

مركز دراسات الدكتوراه : الجماليات و علوم الانسان
تكوين الدكتوراه : التعابير والأشكال الرمزية
مختبر :الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية
تخصص : اللغة العربية وآدابها

ريحانة الكتاب ونجعة المنتخب للسان الدين ابن الخطيب
(ت776هـ) الجزء الثاني
دراسة وتحقيق

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

تحت اشراف الأستاذ:
الدكتور العياشي السنوني

اسم الطالبة:
فدوى الأصيل
ر.و.ط : 0725746129

السنة الجامعية: 2021/2020م
1442/1441هـ

الإهداء

إلى روح والدي الكريمين -رحمهما الله-
إلى أخي العزيز عادل -وفقه الله-
إلى أختي الحبيبة حفيظة -شفاها الله تعالى-

أهدي هذا البحث

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الدكتور الفاضل العياشي السنوني لفضل مجهوداته القيمة التي واكبت هذا البحث إشرافا وتوجيها وتصويبا، فأسأل الله أن يبارك له في عمله وعلمه، وأن يجعله نبراسا للعلم والمعرفة.

كما أتقدم بخالص الشكر إلى اللجنة العلمية التي ستقوم بفحص الأطروحة ومناقشتها على ما ستقدمه من توجيهات ونصائح تصحح ما أصابها من نقص أو خلل.

والشكر موصول لأساتذة المختبر "مختبر الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية، شعبة اللغة العربية" الذين لهم فضل علينا ، أطرونا في الماستر، وأطرونا في المختبر بتكويناتهم، المتنوعة التي هي سلم إلى الدرجة العلمية.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يعد لسان الدين ابن الخطيب (713-776هـ//1312-1375م) من أشهر علماء القرن الثامن الهجري، تناول حياته بالدراسة العديد من الأدباء والمؤرخين¹، في مؤلفات مستقلة عن حياته، أو في سياق حديثهم عن مواضيع وقضايا ارتبطت أساسا بالأدب الأندلسي، ما جعل مسألة تعريفه بإسهاب وتفصيل مسألة إعادة وتكرار لما خاض فيه كبار العلماء.

فلسان الدين العالم والسياسي والمؤرخ والأديب والوزير والمتصوف من أبرز علماء غرناطة في القرن الثامن الهجري، شغل بمكانته المتميزة فكر العديد من الأمراء والوزراء داخل الأندلس وخارجها، بفضل تلك الثقافة الموسوعية التي تلقاها منذ نعومة أظفاره في بيت عرف بالصلاح والفقہ والأدب، والقرب الشديد من الأسرة الحاكمة بخدمتها، وتدبير شؤونها السياسية والإدارية، الأمر الذي أكسب لسان الدين خبرة وفقها ودراية بتسيير أمور الوزارة التي أسندت إليه، والتي جعلت منه شخصية يتفاوض فيها مقابل تسليم جبل طارق.

لم يكن تميز ابن الخطيب في وزارة السيف أقل شأنًا من تميزه في وزارة القلم، لقد أبدع فيهما، وأبلى البلاء الحسن، الأمر الذي مكنه من تبوء المراتب العليا في سلم الدولة النصرانية، مما ألب عليه العديد من الأعداء الذين بذلوا كل ما في وسعهم للإطاحة بعرشه، وذاك ما كان. ورغم ثقل

1- بعض المصادر التي ترجمت لابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب-التاج المحلي، لسان الدين ابن الخطيب- أعمال الأعلام، لسان الدين ابن الخطيب-كتاب العبر لابن خلدون. -نثير فرائد الجمان، ابن الأحمر-نفع الطيب، المقرئ- سلوة الأنفاس، الكتاني-جنوة الاقتباس، ابن القاضي-نهاية الأندلس، عبد الله عنان-لسان الدين ابن الخطيب، عبد الله عنان-بلاغة العرب في الأندلس، أحمد ضيف-تاريخ الأدب العربي في الأندلس، إبراهيم أبو الخشب.

المسؤولية التي حملها على عاتقه فإنه لم يوقف قلمه عن التأليف والكتابة، فأبدع مؤلفات قيمة كان لها شأنها الكبير في الأدب الأندلسي؛ منها كتابه "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب" الذي ضم رسائله الأدبية بأغراضها وألوانها المختلفة؛ وهي عبارة عن مجموعة من رسائله الإخوانية والديوانية ومقتبسات من مؤلفاته الأخرى، مثل بستان الدول، ورقم الحل وغيرهما.

وتعود تسمية الكتاب بهذا العنوان إلى هدف ابن الخطيب من تأليفه بقوله: "وسميته لتتوزع بساكنيه المنشوقة، وتعدد أفانيه المعشوقة، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب" مضيفاً إلى ذلك قوله: "فجاء موضوعه ميدان أغراض، وموقف نزاع وتراض، كم تضمن من مثير اعتبار، ومشير إلى أخبار، وذم للدهر جبار، وضراعة جبار، وظفر صبار، وأمر كبار، وآداب تستفز السامع، وتشنف دررها المسامع".

فالريحانة من الريحان وهو كل نبات طيب الرائحة، فكأنى بلسان الدين اختار في مؤلفه أطيّب ما خطته يمينه فيما يتعلق بفن الترسيل، الذي يمكن للكتاب أن ينتهجوا نهجه إذا ما أرادوا اعتلاء نفس مكانته. كما جعل كتابه نجعة للمنتاب وهو المغادي المروح الذي يبحث عن الكلا ويتتبع مساقطه كي يكمل حياته بعدما استحالت في موطنه الأصلي. وهو اعتراف ضمني من لسان الدين بأن مؤلفه هذا هو قبلة لكل كاتب يريد تبوء مكانة عالية في سماء الأدب كما تبوأها المترجم له.

وبعد هذه الإطلالة الموجزة على حياة عالما الأندلسي، سينشئ عملي أساساً إلى قسمين: قسم الدراسة، وقسم التحقيق.

بدأت قسم الدراسة بمقدمة عرفت فيها طبيعة المنهج الذي اعتمدته في دراسة المصطلحات الأدبية والنقدية التي وقفت عليها أثناء تحقيقي لهذا المخطوط، لا سيما الجزء الثاني منه الذي تضمن مصطلحات متنوعة ومبثوثة في ثناياه؛ وهذا الجانب لم يتطرق إليه الدارسون، حسب علمي المتواضع، الأمر الذي دفعني إلى دراستها، وتوظيف آليات منهج الدراسة المصطلحية عليها.

وأما قسم التحقيق فاستهلته بمقدمة شرحت فيها الخطوات التي اتبعتها في تحقيق هذا المتن في جزئه الثاني الذي تضمن رسائل ديوانية ورسمية، ومخاطبات ومقامات ومواعظ كتبها لسان الدين في أوج عطائه الأدبي والسياسي.

جهود السابقين:

تتسم الدراسات التي تناولت الجانب المصطلحي في مؤلفات ابن الخطيب بالندرة حيث لم أعر على دراسة مصطلحية وافية لمؤلفاته أو لبعضها؛ ووجدت فقط التحقيق الذي قام به الدكتور عبد العلي الودغيري لكتاب مفردات ابن الخطيب، فهذا الكتاب من المصادر المهمة للسان الدين، جرد فيه عددا من المصطلحات المتنوعة، وهذا ما جعلني أختار منهج الدراسة المصطلحية في دراسة المصطلحات النقدية والأدبية والبلاغية ذات الصلة بالنقد.

إشكالية الدراسة:

تكمّن إشكالية الدراسة في محاولة استجلاء أسس الرؤية النقدية لدى لسان الدين ابن الخطيب بناء على المصطلح النقدي الموجود في متن ربحانة الكتاب؛ بعبارة أخرى، إن دراسة المنظومة المصطلحية النقدية عنده قد تقضي بنا إلى معرفة النظرية النقدية لديه وصياغتها.

غير أن الإشكال الجوهرى هو: هل استطاع ابن الخطيب استخدام جل المصطلحات الأدبية والنقدية في المتن، التي تشكل المعايير الإجرائية التي تتماشى مع مشروعه الأدبي عامة، والنقدي خاصة من خلال الأشعار والنصوص النثرية في آثاره ككل؟

أهداف الدراسة:

هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال دراستنا للمصطلحات الأدبية والمفاهيم النقدية الواردة في المتن، بحيث تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف؛ منها:

- 1- جرد المادة المصطلحية النقدية التي جاءت مبعثرة في المتن المدروس.
- 2- دراسة المادة المصطلحات النقدية وفق منهج الدراسة المصطلحية؛ نظرا لدقة المنهج، وإيجابيات نتائجه.
- 3- تحديد الرؤية النقدية عند ابن الخطيب انطلاقا من المصطلحات والمفاهيم النقدية الواردة في المتن.
- 4- تبيان المقاييس والمعايير النقدية عنده بناء على نصوص الريحانة.

المنهج:

إن المنهج الذي ساعتمد عليه في دراسة المصطلحات والمفاهيم هو المنهج الوصفي¹ فمن خلاله نستطيع الكشف عن البعد الدلالي للمصطلح النقدي داخل المتن؛ وبيان مدى أهميته.

منهجية الدراسة:

وستسير دراستي لتلك المصطلحات وفق منهج الدراسة المصطلحية للكشف عن الواقع الدلالي

لتلك المصطلحات، ويقوم المنهج على خمس مراحل هي كالآتي:

1-مرحلة الإحصاء.

2-مرحلة الدراسة المعجمية والاصطلاحية.

3-مرحلة الدراسة النصية.

4-مرحلة الدراسة المفهومية.

5-مرحلة العرض المصطلحي.

- المنهج الوصفي: ويتضمن هذا المنهج أشكالاً كثيرة وهي: المسح -دراسة الحالة -تحليل الوظائف والنشاطات. -الوصف المستمر على مدى فترة طويلة (وهي دراسة تتبعية لمرحلة معينة من النمو أو التطور) -البحث المكتبي والوثائق (حيث لا يهدف البحث المكتبي إلى مجرد إعداد قوائم ببليوغرافية، وإنما يتضمن تقييم الحقائق المتعلقة بموضوع معين، ومقارنتها وتفسيرها والوصول إلى تعميمات بشأنها) أي أن هذا المنهج يعتمد على تجميع الحقائق¹ والمعلومات، ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة" أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، المكتبة الأكاديمية، ص: 303.

1-مرحلة الإحصاء:

ويتضمن الإحصاء حسب الدكتور الشاهد البوشيخي الإجراءات الآتية:

أ-إحصاء لفظ المصطلح إحصاء تاما حيث ما ورد، وكيف ما ورد، وبأي معنى ورد في المتن

المدرس...

ب-إحصاء الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من الجذر اللغوي للمصطلح المدرس.

ج-إحصاء التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح أو جزء منه إحصاء تاما كذلك.

د-إحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهوم المصطلح، وإن لم يرد بها لفظه"¹

فبعد قراءة متن الريحانة قراءة متأنية واعية؛ سجلت فيها كل الملاحظات الأولية، ثم أحصيت

كل الصفحات التي ورد فيها المصطلح النقدي مع رصده وتتبعه في كل صوره وأشكاله، بحيث لم

أهمل المستعمل من مواد المصطلح الواحد: أسماء وأفعالا ومفردات ومركبات.

2-مرحلة الدراسة الاصطلاحية:

ويقصد بها "دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية انطلاقا من الأقدم

فالأقدم، وانتهاء إلى الأحدث مع تسجيل كل إضافة ملحوظة الدلالة، وهذه الدراسة تمكن من

¹ - دراسات مصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة، ص: 29

الإمساك بالمادة اللغوية للمصطلح، والمعاني اللغوية التي أخذها والشروح التي شرح بها، وكل هذا يمهّد لفقه هذا المصطلح وتذوقه¹

سأقوم ببحث دلالة المصطلح في المعاجم المشهورة ؛ اللغوية والاصطلاحية القديمة والحديثة.

3- الدراسة النصية:

ويقصد بها دراسة المصطلح، وما يتصل به في جميع النصوص التي أحصيت وصنفت قبل بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه من صفات وعلاقات وضمانات وغير ذلك²

4- الدراسة المفهومية:

ويقصد بها دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها مفهومياً بما يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح الوارد في المتن.

5- مرحلة العرض المصطلحي:

"ويقصد بها الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية"³

¹ - دراسات مصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 30

² - المرجع نفسه، ص: 30

³ - دراسات مصطلحية، الشاهد البوشيخي، ص: 31

فالمصطلح في اللغة العربية مشتق من "اصطلاح" وجذره "صلح" بمعنى اتفق، لأن المصطلح أو الاصطلاح يدل على اتفاق أصحاب تخصص ما على استخدامه للتعبير عن مفهوم علمي جديد¹

وستكون مرحلة العرض الاصطلاحي على الشاكلة الآتية:

أ- لغة.

ب- اصطلاحاً: "يعتبر اصطلاحاً كل لفظ يتبين من قرائن استعماله أنه أتى به من المجال اللغوي العام، ليعبر به عن معنى ما في مجال لغوي خاص². وسنقوم بوضع تعريف للمصطلح استناد إلى المصادر، وإلى المتن المدروس إن أمكن ذلك.

ج- إجراء: أي الكيفية الإجرائية التي ورد بها المصطلح في المتن الريحاني.

و قد اتبعت في دراسة المفاهيم والمصطلحات الخطوات الآتية:

أ- عنونة كل مادة بالمصطلح المركزي، وتصنيف هذه المواد حسب ورودها في المتن.

ب- تحديد المعاني الكبرى للمصطلح المركزي في المصادر.

ج- دراسة المصطلح المركزي الأهم دراسة مصطلحية في ريحانة الكتاب.

د - ذكر صفات المصطلح التي تستفاد من مجموع نصوصه أو بعضها.

هـ - ذكر مشتقات المصطلح وترتيبها حسب علاقتها بالمصطلح الأهم.¹

¹ - علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، الدكتور علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، 2008، ص: 262

¹ - مصطلحات نقدية وبلاغية للدكتور الشاهد البوشيخي، ص 18-19.

قسم الدراسة

القسم الأول: المصطلح النقدي لدى لسان الدين ابن الخطيب في "ريحانة الكتاب"

الفصل الأول: المصطلحات الأدبية.

مصطلح الأدب.

مصطلح الشعر.

مصطلح النثر.

الفصل الثاني: المفاهيم النقدية.

مصطلح اللفظ .

مصطلح المعنى.

مصطلح الطبع.

مصطلح التكلف.

مصطلح المفاضلة.

مفهوم الذوق.

مصطلح الفصاحة.

مصطلح البلاغة.

مصطلح البراعة.

مفهوم السرقة.

مصطلح الانتحال.

الفصل الأول: المصطلحات الأدبية

مصطلح الأدب

أولاً : تعريف الادب

أ- لغة :

تدور معاني مادة "أدب" في معاجم اللغة على معان منها:

1-الدعوة إلى الطعام. قال ابن فارس " :الهمزة والداال والباء أصل واحد تتفرع مسائله وترجع إليه،

فالأدب أن تجمع الناس إلى طعامك"

2- كثرة الماء. قال الزمخشري: "ومن المجاز جاش أدب البحر إذا كثر ماؤه"¹

3-التعليم. قال ابن منظور: "وأدبه فتأدب: علمه"

نلاحظ أن دلالات الأدب المعجمية انتقلت من المعنى المادي (الدعوة) إلى المعنى المجرد

(التعليم والتهذيب).

ب -اصطلاحاً :

يدل الأدب في المعاجم الاصطلاحية على معنى عام وهو " اكتساب الفضائل والخصال

المحمودة". قال الكفوي: "الأدب كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل

فإنها يقع عليها الأدب"

¹ - أساس البلاغة، الزمخشري، 22/1

وأما الأدب بالمعنى الخاص، فهو يدل على كل ما يؤثر في النفس من نثر رائع وشعر جميل يراد به التعبير عن مكنون العواطف والضمائر وسوانح الخواطر بأسلوب إنشائي أنيق يطلق على الشعر والنثر الفني فحسب.

ج-إجراء:

يرجع أول استعمال لمصطلح "الأدب" إلى العصر الجاهلي تقريبا بحيث لم تكن دلالاته مستقرة بعد، وإنما كانت تعني الخلق، كما في العبارة (إني سأخذ بأدب البعل والدعوة) كما في قول الشاعر:

نحن في المشتاه ندعو الجفلى لا نرى الأدب منا يفتقر

وتأتي بمعنى التربية والخلق الكريم كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "أدبني ربي فأحسن تأديبي، وربييت في بني سعد"

وبعد هذا العصر، تطورت دلالة الأدب وارتبطت بالمجال الثقافي خاصة في القرن الأول من الهجرة، وظهرت طبقة من العلماء سميت بـ "المؤدبين" وكانت تُعنى بتربية أولاد الخلفاء والأمراء والميسورين. وأخذت اللفظة معنى أضيق، وانشصرت في الشعر والنثر وما يتصل بهما، وتحدد معناها في مقدمة ابن خلدون.

أما عند لسان الدين ابن الخطيب فيعد مصطلح "الأدب" من بين أهم المصطلحات الأساسية النقدية التي تحدد رؤيته النقدية الخاصة به في متن الريحانة، وقد استخدمه بصيغ اشتقاقية

متنوعة، ولم يخرج في توظيفه للمصطلح عن الدلالات السابقة التي رأينا في الدلالة المعجمية، أو الدلالة الاصطلاحية حينما كان يطلق أحكامه النقدية على عدد من العلماء والأدباء الذين ترجم لهم في المتن، وقد ورد لديه مصطلح الأدب بمعنيين أساسيين هما:

1- **معنى خُلقي:** أي الأدب المتعلق بالخصال الحميدة والسمات الطيبة الحسنة التي يتصف بها بعض من ترجم لهم في متنه؛ من ذلك مثلاً المتشاقري: " حَسَنَةُ الدَّهْرِ الْكَثِيرِ الْعُيُوبِ، وَتَوْبَةُ الزَّمَانِ الْجَمِّ الذُّنُوبِ، مَا شِئْتَ مِنْ بَشَرٍ يَتَأَلَّقُ، وَأَدَبٍ تَتَعَطَّرُ لَهُ السَّمَاتُ وَتَتَخَلَّقُ"¹

وقوله أيضاً في وصف أبي محمد عبد الحق بن عطية: "نَشَأَ عَلَى الْعَفَافِ، وَتَبَلَّغَ بِالْكَفَافِ، وَعَمِلَ عَلَى شَاكِلَةٍ مَنْ لَهُ [كَرَامٌ] الْأَسْلَافِ، إِلَى نَفْسٍ يُلَابِسُهَا الْحَيَاءُ وَالْوَقَارُ، وَأَدَبٍ تَتِمُّ عَنْهُ أَخْلَاقُهُ كَمَا تَتِمُّ تَحْتَ الرُّجَاةِ الْعَقَارُ"²

2- **معنى فني :** وهو الأدب المختص إما بالشعر أو النثر؛ من ذلك قوله في وصف أبي عبد الله بن عصام الذي " لَهُ أَدَبٌ ضَعِيفُ الْمَبْنَى، خَالٍ مِنَ الْمَعْنَى، كَانَ يَسْهَلُ عَلَيْهِ، وَيَبْتَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ"³ وفي وصف أبي إسحاق بن الحاج الذي " طَلَعَ شَهَاباً ثَاقِباً، وَأَصْبَحَ بِشِعْرِهِ لِلشُّعْرَى مُصَاقِباً، فَجَعَلَ فَبْرَعاً، وَتَمَّمَ الْمَعَانِي وَاخْتَرَعَ، وَكَلَفَ بِالْآدَابِ، وَهُوَ غُلَامٌ يَافِعٌ، وَلَهُ مِنَ الْحُسْنِ لِكُلِّ قَلْبٍ شَافِعٌ"⁴

¹ - ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ص: 444

² - المصدر نفسه، ص: 443

³ - المصدر نفسه، ص: 452

⁴ - المصدر نفسه، ص: 461

ثانيا : مشتقات الأدب :

1-الأديب: وهو الشخص المهتم بالأدب سواء أكان شاعرا أم ناثرا .يستفاد ذلك في عدد من ترجم

لهم المصنف نحو :الأديب أبي عبد الله بن فضيلة " شَيْخُ أَخْلَافِهِ لَيِّنَةٌ، وَنَفْسُهُ كَمَا قِيلَ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ هَيِّنَةٌ، يَنْظُمُ الشَّعْرَ عَذْبًا مَسَاقُهُ، مُحْكَمًا اتِّسَاقُهُ، عَلَى فَاقَةٍ، وَحَالٍ مَا لَهَا مِنْ إِفَاقَةٍ"¹

2-الأدبية: فعيلة من الأدب. وصيغة تأنيث للأديب، جاءت في وصف أم الحسين بن أحمد

الطنجالي من بلد لوثة " ثَالِثَةُ حَمْدَلَةٍ وَوَلَادَةٍ، وَفَاضِلَةٌ جَمَعَتِ الْأَدَبَ وَالْمَجَادَةَ، وَتَقَلَّدَتِ الْمَحَاسِنَ قَبْلَ الْقِلَادَةِ، وَأُولَدَتْ أَبْكَارَ الْأَفْكَارِ قَبْلَ سِنِّ الْوِلَادَةِ"²

3- الأدباء: صيغة الجمع للأديب: وهي بالمعنى نفسه للأديب. وردت في وصف أبي إسحاق

الحسناني من أهل تونس: " وَقَدِمَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ فَأَعْجَبَ الْأَدَبَاءُ بِإِكْتَارِهِ، وَأَنْقِيَادِ نِظَامِهِ وَنِثَارِهِ، وَتُتَوَفَسَ فِي إِيثَارِهِ"³

4-الأدبية: صفة تتعلق بالطريقة أو الصياغة أو المنطق في إنشاء الأدب .يستفاد ذلك من قول

المصنف في وصف أبي عبد الله بن مصادف الرندي وهو " مِنْ شُيُوخِ الطَّرِيقَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَمُنْتَجَلِي الصَّنَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ"⁴

وقوله أيضا في وصف أبي محمد المربع من أهل بلش " فَهُوَ شَيْخُ الطَّرِيقَةِ الْأَدَبِيَّةِ وَقَتَّاهَا،

وَحَطِيبُ مَحَافِلِهَا كُلَّمَا أَتَاهَا"⁵

¹ - ريجانة الكتاب، ص: 511

² - المصدر نفسه، ص: 501

³ - المصدر نفسه، ص: 499

⁴ - المصدر نفسه، ص: 471

⁵ - المصدر نفسه، ص: 476

7-المؤدبون: وهم معلمو الناشئة الأدب. يستفاد ذلك من قوله في وصف أبي إسحاق بن الحاج الذي سبق ذكره.

مصطلح الشعر

أولاً: تعريف الشعر

أ- لغة :

تدور معاني مادة "شعر" في المعاجم اللغوية القديمة على:

1-الثبات. قال ابن فارس: "الشين والعين والراء أصلان معروفان، يدل أحدهما على ثبات"¹

2-العلم. وقال أيضا عن المعنى الآخر: "الآخر على عِلْمٍ وَعَلَمٍ"²

3-الفطنة. قال الزمخشري: "ما شعرت به: ما فطنت له وما علمته"³

4-الدراية. وقال أيضا: "وما يشعركم: وما يدريكم"⁴

إن الملاحظ على المادة المعجمية لـ "شعر"، أنها ارتبطت في البداية بالدلالة الحسية (الثبات)،

ثم تطورت إلى الدلالة المعنوية (الفطنة، الدراسة...).

ب-اصطلاحاً:

أما المعنى الاصطلاحي العام للشعر، فهو كما قال الشريف الجرجاني: "كلام مقفى موزون

على سبيل القصد"⁵ وقال أيضا: "والشعر في اصطلاح المنطقيين: قياس مؤلف من المخيلات،

والغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير"⁶

¹ - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة شعر، ص: 193. وينظر لسان العرب، ابن منظور، مادة شعر.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - أساس البلاغة، الزمخشري، 3/ 510

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - التعريفات، الجرجاني، ص: 109. وينظر الكليات للكفوي، ص: 537

⁶ - اصطلاحات الفنون للتهانوي، ص: 1030

وأما في اصطلاح الأدب الخاص، فهو كما جاء في معجم المصطلحات العربية، الشعر هو "فن من فنون الكلام يوحي عن طريق الإيقاع الصوتي واستعمال المجاز بإدراك الحياة والأشياء إدراكا لا يوحي به النثر الإخباري"¹

نستخلص مما سبق أن:

- الشعر كلام يقوم على الوزن والقصد والخيال.
- الهدف من الشعر هو انفعال النفس إما بالترغيب وإما بالترهيب.
- الشعر يختلف عن النثر؛ إذ له خصائصه في التعبير وإدراك الحياة والأشياء عموما، بعكس النثر الذي يجد فيه المتكلم/ الأديب خصائص ومقومات أخرى للتعبير عن مقصوده.

ج-إجراء:

اختلف النقاد القدامى اختلافا كبيرا في تعريف الشعر من عصر إلى عصر آخر، بحيث نرى أن هناك تطورا ملحوظا في تعريفه وعنصرا جديدا يضاف إليه؛ فهذا ابن سلام الجمحي وهو من أوائل من حاول وضع حد للشعر يقول: "ليس كل كلام مؤلف معقود شعرا"²

ووافقه بعده- الجاحظ في ذلك إذ قال: "إنه ليس كل كلام موزون شعرا، وإنما هو صناعة

وضرب من النسخ وجنس من التصوير"³

¹ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ص: 210.

² - طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، 08 / 1

³ - الحيوان، الجاحظ، 132 / 3

وتابع موضحاً كلامه بأمثلة متداولة في عبارات عامة الناس؛ من ذلك قوله: "لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم، لوجدت فيها مثل "مستفعلن مستفعلن" كثيراً، و "مستفعلن فاعلن" وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً، ولو أن رجلاً من الباعة صاح: من يشري باذنجان؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن "مستفعلن مستفعلن" وكيف يكون هذا شعراً، وصاحبه لم يقصد إلى الشعر. ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهياً في جميع الكلام. وإذا جاء بالمقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعراً"¹

إذا نلمس من كلام الجاحظ أن هناك تمييزاً بين الشعر والنظم؛ بحيث اشترط معيار القصد في الكلام حتى يكون هناك شعراً. وهذا عينه ما أشار إليه النقاد المتأخرون؛ من بينهم ابن خلدون² وابن البناء وغيرهم؛ وهذا الأخير اعتبر أن المنظوم "قد يكون شعراً وغير شعر، كما أن الشعر يكون منظوماً وغير منظوم، وأهل العُرف يسمون المنظوم كله شعراً ولا يسمون من المنثور شعراً"³ وبهذا المعنى استخدم لسان الدين ابن الخطيب مفهومه للشعر في عدد من نصوص ريحانة الكتاب؛ وذلك أثناء وصفه لعدد ممن ترجم لهم؛ بحيث عد الشعر فناً من الفنون الأدبية الجميلة.

قال مثلاً في وصفه لأبي اسحاق الطراز: "وَلَهُ نَفْسٌ تَطْمَحُ إِلَى بُلُوغِ الْمَعَانِي، وَفِكْرٌ يَحْدُو حُلَّ الْبَدَائِعِ فِي الطَّرَازِ الْعَالِي، وَأَدَبٌ كَالرَّوْضِ بَاكَرْتُهُ السَّحَائِبُ، وَحَمَلَتْ أَرْجَهُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبُ. وَقَدْ أَنْبَتُ مِنْ شِعْرِهِ كُلَّ عَطْرِ النَّسِيمِ، سَافِرِ الْمُحْيَا الْوَسِيمِ"⁴

¹ - البيان والتبيين، الجاحظ، 1/ 288-289

² - مقدمة ابن خلدون، 64/2

³ - الروض المريع، ابن البناء، ص: 82. وينظر المعجم النقدي، أحمد مطلوب، ص: 67-69

⁴ - ريحانة الكتاب ونجعة المنتخب، ابن الخطيب، ص: 470

وقوله أيضا في وصف أبي جعفر بن داود الوادي آشي: "وَلَهُ أَدَبٌ يُصِيبُ شَاكِلَةَ الرَّمِيِّ

بِنِبَالِهِ، وَنَظْمٌ تَضَحَّى الْمَعَانِي قَنَائِصَ حِبَالِهِ"¹

وقوله أيضا واصفا أبا جعفر بن غالب: "وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِ أَبِي جَعْفَرٍ هَذَا، مَا يَشْهَدُ

بِإِجَادَتِهِ، وَيَنْظُمُهُ فِي فُرْسَانِ الْكَلَامِ وَقَادَتِهِ"²

ثانيا: ضمائ الشعر:

أ-أوصافه الحسنة:

1-الشعر جزل الأسلوب. أي العذب. يستفاد ذلك من قوله "وَشِعْرُهُ جَزْلُ الْأُسْلُوبِ، وَعَذْبٌ فِي

الْأَفْوَاهِ وَالْقُلُوبِ"³

2-الشعر اليسير، أي الشعر الحسن. يستفاد من قوله: " وََقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِهِ يَسِيرًا، جَعَلَتْهُ

لِلْمَحَاسِنِ إِكْسِيرًا"⁴

3-الشعر الجيد، أي شعر ذو جودة في النظم. يستفاد من قوله "وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِ أَبِي جَعْفَرٍ

هَذَا، مَا يَشْهَدُ بِإِجَادَتِهِ، وَيَنْظُمُهُ فِي فُرْسَانِ الْكَلَامِ وَقَادَتِهِ"⁵

4-شعر أنيق الحلية، أي شعر جزل الألفاظ. يستفاد من قوله: "وَلَهُ شِعْرٌ أَنْيْقُ الْحِلْيَةِ، جَارٍ فِي

نَمَطِ الْعِلْيَةِ"⁶

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 470

² - المصدر نفسه، ص: 450

³ - المصدر نفسه، ص: 442

⁴ - المصدر نفسه، ص: 449.

⁵ - المصدر نفسه، ص: 452

⁶ - المصدر نفسه، ص: 459.

5-شعر محكم العقد. شعر جيد السبك. يستفاد ذلك من قوله: "وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِهِ كُلَّ مُحْكَمٍ

العقد، شديد الوطأة على النّفْد" ¹

ب-أوصافه المعيبة:

1-الشعر السخيف: وهو الشعر الضعيف النسخ. يستفاد من النص السابق.

2-الشعر المتكلف: وهو ضد المطبوع. يستفاد من قوله: " وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ يَتَكَلَّفُهُ، وَلَا يَكَادُ لِعَدَمِ

شُعُورِهِ بِالْوِزْنِ يَتَأَلَّفُهُ" ²

ثالثا: مرادفاته: النظم.

ميز المصنف في عدد من نصوصه بين الشعر والنظم تمييزا ظاهرا؛ إذ الشعر يتسم

بالشعرية من خيال وغيره، بينما النظم تنتفي عنه الأدبية، فيخضع للقافية، ووزن الرجز.

رابعا: مشتقاته: شاعر.

1-شاعر: اسم فاعل من الشعر، وهو الناظم للشعر بطبع. يستفاد ذلك من قوله: "...اتخذ النظم

صناعة،..." ³

2-صفات الشاعر:

أ-شاعر مفلق. هو الشاعر الفحل المجيد الذي يحسن نظم الشعر. يستفاد من قوله: "...شاعر

مفلق،..." ⁴

ب-الشاعر المطبوع. هو الشاعر الذي لا يتكلف في شعره. يستفاد ذلك من النص السابق.

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 472.

² - المصدر نفسه، ص: 493

³ - المصدر نفسه، ، ص: 113

⁴ - المصدر نفسه ، ص: 458

ج-الشاعر المتكسب. هو الشاعر الذي يتخذ الشعر بضاعة ليتكسب به. يستفاد من

قوله: "...شعر سخيف، توشح بحليته، وجعله وسيلة كديته،..."¹

¹ - ريحانة الكتاب، ص: 456.

مصطلح النثر

أولاً: تعريف النثر

أ- لغة :

تدور معاني مادة "نثر" في معاجم اللغة القديمة على:

1-التبعثر. قال ابن فارس: "النون والثاء والراء أصل صحيح يدل على إلقاء شيء متفرق ونثر الدراهم وغيرها"¹

2-اللفظ. قال الزمخشري: "نثر اللؤلؤ وغيره وقد انتثر وتناثر، در منشور ومنثر ونثير كأن لفظه الدر النثير ونثر الدر..."²

3-الرمي. قال ابن منظور: "النثر نثر ك نثر الشئ بيدك، ترمي به متفرقا"³

نلاحظ في المادة المعجمية لنثر "التبعثر، اللفظ، الرمي" أنها مترادفة فيما بينها، كما أنها تلتصق بالجانب المادي المحسوس أي نثر الدراهم ونثر الدر.

أ- اصطلاحاً:

أما النثر في الاصطلاح فيدور على معان عدة؛ منها:

1-الكلام المنشور. قال ابن وهب: "والمنثور هو الكلام"⁴

¹ -مقاييس اللغة، ابن فارس، ص: 389

² - أساس البلاغة، الزمخشري، 2/ 248

³ - لسان العرب، ابن منظور، 3/ 18

⁴ - البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، ص: 160

2-الكلام المنتظم من حروف وغيرها. قال ابن سنان الخفاجي: "الكلام عندنا ما انتظم من هذه

الحروف التي ذكرناها أو غيرها"¹

3-الكلام غير الموزون. قال ابن خلدون: "هو الكلام غير الموزون"²

4- النثر أحد قسمي الأدب الإنشائي. جاء في معجم المصطلحات العربية: "النثر هو أحد

قسمي الأدب الإنشائي. وهو نوعان:

- ما يدور في كلام الناس أثناء المعاملة، وهذا ليس من الأدب في شيء.

- النثر الفني: وهو الذي يحتوي الأفكار المنظمة تنظيماً حسناً، والمعرضة عرضاً جذاباً حسن

الصياغة، جيد السبك، مراعى فيه قواعد النحو والصرف"³

نستخلص مما سبق أن:

- النثر متعلق بالكلام المنتظم من عدد من الحروف.
 - النثر كلام لا يخضع للوزن مثل الشعر.
 - النثر قسم من أقسام الأدب العامة.
- كانت الدلالة اللغوية حسية (الدر)، بينما الدلالة الاصطلاحية معنوية (الكلام).

¹ - سر الفصاحة، الخفاجي، ص: 26

² - المقدمة، ابن خلدون، 112 / 3

³ - معجم المصطلحات العربية، مجدي وهبه-كامل المهندس، ص: 410

ج- إجراء:

استخدم النثر في مناسبات وأغراض ومواضيع متعددة إلى أن أصبح يشكل أجناسا نثرية مختلفة. وقد فاق النثر الشعر أو النظم في أول عهده. قال ابن سنان موضحا ذلك: "وأما الذي نقوله من تفضيل النثر على النظم، فهو أن النثر يعلم فيه أمور لا تعلم في النظم كالمعرفة بالمخاطبات وبنية الكتب والعهود والتقليدات، وأمور تقع بين الرؤساء والملوك يعرف بها الكاتب أمورهم، ويطلع على خفي أسرارهم، وأن الحاجة إلى صناعة الكتابة ماسة، والانتفاع بها في الأغراض ظاهر"¹

وتابع مبينا نزول قدر الشعر بقوله: "والشعر فضل يستغنى عنه ولا تقود ضرورة إليه، وأن منزلة الشاعر إذا زادت وتنامت لم ينل بها قدرا عاليا ولا ذكرا جميلا"²

وأردف مبرزاً مكانة الكاتب داخل المجتمع قائلاً: "والكاتب ينال بالكتابة الوزارة فما دونها من رتبة الرياسة، وصناعة تبلغ بها إلى الدرجة الرفيعة أشرف من صناعة لا توصل صاحبها إلى ذلك"³

فما قاله ابن سنان الخفاجي ينطبق على لسان الدين الذي سمي بذي الوزارتين نظراً لما يمتلكه من ثقافة موسوعية، وملكة الكتابة في شتى الأغراض وغيرها؛ بحيث إن النثر شمل عنده الخطابة والرسائل والمقامات كما جاء في متن الريحانة.

¹ - سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص: 26.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه.

وغالبا ما يقترن مصطلح النثر بمصطلح النظم في المتن المدروس اقتران تقابل؛ إذ النثر هو فن من فنون الكتابة الأدبية التي نعبر بها عن الأفكار والمعاني وغيرها. يفهم ذلك من خلال مجموعة من النصوص التي وصف فيها بعض الأعلام؛ من ذلك قوله في أبي الحسن القيجاطي:

" وَلَهُ نَظْمٌ تَعَطَّرَتِ الْمَجَالِسُ بِجُرْيَالِهِ وَتَعَلَّقَتِ الْمَحَاسِنُ بِأَذْيَالِهِ، وَنَثَرُ حَسَدَتِ عُقُودُ الْغَانِيَاتِ دُرَرَهُ، وَغَارَتِ النُّجُومُ الزُّهْرُ لَمَّا اجْتَلَتْ غُرَّهُ"¹

وهناك من الأعلام - لدى المصنف - من اختص بالنثر دون الشعر كما جاء في وصف أبي جعفر بن أبي خالد: "الذي من الرسائل الأبي السائل إلى الدين الذي لا تغمز قناته، والخلق الذي يرضي الله حلمه وأناته. " وَهَذَا الْخَطِيبُ وَابْنُ عَمِّهِ فَرَسًا رِهَانٍ، وَمُقَدِّمًا بُرْهَانٍ، وَعِلْمًا بَيَانٍ، وَرَضِيْعًا لَبَانٍ، لَكِنَّ النَّثْرَ أَغْلَبُ عَلَى لِسَانِهِ، وَالْخَطَابَةَ أَعْرَقَ فِي نَسَبِ إِحْسَانِهِ."²

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 430

² - المصدر نفسه، ص: 435

الفصل الثاني: المفاهيم النقدية

مصطلح اللفظ

أولاً: تعريف اللفظ

أ- لغة :

تدل معاني مادة "لفظ" في المعاجم اللغوية القديمة على:

1-الطرح. قال ابن فارس: "اللام والفاء والطاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء. تقول لفظ بالكلام يلفظه لفظاً"¹

2-الرمي. قال ابن منظور: "اللفظ أن يرمي بشيء كان في فيه..."²

3-التكلم. وقال أيضاً: "ولفظ بالشيء يلفظ لفظاً تكلم. ولفظت بالكلام وتلفظت به تكلمت به"³

إذا تأملنا في المعاني المعجمية للفظ (الطرح، الرمي، التكلم) نجد أنها معان مترادفة. فاللفظ

هو الطرح أو الرمي بالشيء المادي، أو التكلم بالشيء المعنوي.

ب-اصطلاحاً:

أما اللفظ في الاصطلاح العام، فهو كما قال الكفوي: "اللفظ صوت معتمد على مقطع

¹ - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص: 259

² - لسان العرب، ابن منظور، 6 / 67

³ - المصدر نفسه، 6 / 88

حقيقة أو حكماً؛ فالأول كزيد، والثاني كالضمير المستتر في قُمْ المقدّر أنت¹

وأما في الاصطلاح الخاص؛ فقد تعددت تعاريفه؛ من ذلك قول ابن رشيق القيرواني: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته. فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه، كان اللفظ أوفر حظاً كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح"²

نستخلص مما سبق أن:

- اللفظ عبارة عن صوت أو كلام يتلفظ به الإنسان.
- اللفظ كجسم الإنسان يظهر الشكل الخارجي في مقابل المعنى أو الروح.

ج- إجراء:

استُعمل مصطلح اللفظ في المتن مرادفاً لكلمة المبنى -أي الشكل- ويقترن بمصطلح المعنى اقتراناً تقابلياً في عدد من نصوص الريحانة؛ مثل ذلك قول ابن الخطيب في وصف أبي الحسن بن الجياب: "وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ عُيُونِ قَصَائِدِهِ وَأَدْبِهِ الَّذِي عَلِقَ الْإِحْسَانُ فِي مَصَائِدِهِ، كُلَّ وَثِيقِ الْمَبْنَى، كَرِيمِ الْمَجْنَى، جَامِعٍ بَيْنَ حَصَافَةِ اللَّفْظِ وَلَطَافَةِ الْمَعْنَى"³

¹ - الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص: 795. وينظر التعريفات، ص: 16

² - العمدة، ابن رشيق القيرواني، 1 / 124

³ - ریحانة الكتاب، ابن الخطيب، ص: 458

وقوله أيضا في أبي علي حسن بن عبد السلام: "...وله أدب غض الجنى، أنيق اللفظ والمعنى على قصر باعه، وقلة انتجاعه..."¹

ثانيا : ضمائم اللفظ:

1-أوصافه:

-**اللفظ القريب**. وهو اللفظ المؤلف ضد الوحشي. يستفاد ذلك من قوله عن أبي الوليد بن هانى من أهل غرناطة: "...عدل عن اللفظ القريب إلى الوحشي الغريب..."²

ثالثا : إضافاته:

1-**أنيق اللفظ**: هو اللفظ الفصيح. يستفاد ذلك من النص السابق.

2-**حصافة اللفظ**: قوة اللفظ. يستفاد من النص السابق.

3-**مصانع اللفظ**: أي صياغة اللفظ. يستفاد ذلك من قوله: "ويشيد مصانع اللفظ محكمة المباني..."³

4-**طيب اللفظ**: هو اللفظ الحسن. يستفاد ذلك من قوله في وصف أبي القاسم بن مقاتل " وَلَهُ

أَدَبٌ غَضُّ الْجَنَى، أُنِيقُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى." ⁴

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 468

² - المصدر نفسه، ص: 481

³ - المصدر نفسه، ص: 486.

⁴ - المصدر نفسه، ص: 468.

رابعاً مرادفه: المبني.

يستفاد ذلك من قوله في وصف أبي عبد الله بن عصام "وَلَهُ أَدَبٌ ضَعِيفُ الْمَبْنَى، خَالٍ مِنْ

الْمَعْنَى، كَانَ يَسْهَلُ عَلَيْهِ، وَيُنْتَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ"¹

¹ - المصدر نفسه، ص: 452.

مصطلح المعنى

أولاً: تعريف المعنى :

أ- لغة :

تدل معاني عنا في المعاجم اللغوية على :

1-المحنة. قال ابن منظور : "معنى كل شيء : محنته وحاله التي يصير إليها أمره"¹.

ب-اصطلاحاً :

أما دلالة المعنى الاصطلاحية فهي : "ما يقصد بالشيء"²

ج- إجراء :

يأتي مصطلح المعنى مقترناً في كثير من النصوص باللفظ اقتران تطابق؛ وهو من مصطلحات النقد المهمة الواردة في المتن، فلا تخلو ترجمة أو وصف لكلام منه. من ذلك قول لسان الدين في وصف أبي عبد الله بن عصام " وَلَهُ أَدَبٌ ضَعِيفُ الْمَبْنَى، خَالٍ مِنَ الْمَعْنَى، كَانَ يَسْهَلُ عَلَيْهِ، وَيَبْتَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ"³

وقوله في وصف أبي علي حسن بن عبد السلام: "وَلَهُ أَدَبٌ غَضُّ الْجَنَى، أَنْيَقُ اللَّفْظِ

وَالْمَعْنَى"⁴

¹ - لسان العرب/ عنا.

² - التعريفات، للجرجاني، ص: 185

³ - ربحانة الكتاب، ص: 452

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ووصف أبي القاسم بن مقاتل المالقي: "...، وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ غَضُّ الْجَنَى، طَيِّبُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى،

وَمَقْطُوعَاتٌ حَسَنَةٌ الْمَقَاطِعِ، سَافِرَةٌ عَنِ الْحُسْنِ السَّاطِعِ"¹

وقوله في أبي الحسن الجياب: " وَمَاذَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي إِمَامِ الْأَيْمَةِ، وَثُورِ الدِّيَاجِي الْمُدْلِهِمَةِ.

وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ عُيُونِ قَصَائِدِهِ وَأَدَبِهِ الَّذِي عُلِقَ الْإِحْسَانُ فِي مَصَائِدِهِ، كُلُّ وَثِيقِ الْمَبْنَى، كَرِيمِ

الْمَجْنَى، جَامِعٌ بَيْنَ حَصَافَةِ اللَّفْظِ وَلَطَافَةِ الْمَعْنَى"²

ثانيا : مشتقات (المعنى).

-المعاني: كقوله: "وَحَزَّكَ الْأَشْوَاقُ بَعْدَ سُكُونِهَا، وَأَخْرَجَهَا مِنْ وَكُونِهَا بِلِسَانٍ يَنْزَاحِمُ عَلَى مَوْرِدِ

الْخِيَالِ، وَيَتَدَفَّقُ مِنْ حَاقَاتِهِ الْأَدَبُ السَّيَّالُ، وَبَيَانٌ يُقِيمُ أَوْدَ الْمَعَانِي، وَيُشِيدُ مَصَانِعَ اللَّفْظَةِ مُحْكَمَةً

الْمَبَانِي، وَيَكْسُو حُلَّ الْإِحْسَانِ جُسُومَ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي، إِلَى نَادِرَةٍ لِمِثْلِهَا يُشَارُ، وَمُحَاضَرَةٍ يُجْنَى

بِهَا الشَّهْدُ وَيُنَّارُ"³

وَمَنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ: "الْلِّسْنُ الْعَارِفُ، وَالنَّاقِذُ لِحَوَاهِرِ الْمَعَانِي كَمَا

تَقْصِلُ"⁴ بِالسَّكَّةِ الصِّيَارِفُ، وَالْأَدِيبُ الْمُجِيدُ، الَّذِي تَحَلَّى بِهِ لِلْعَصْرِ النَّحْرُ وَالْجِيدُ"⁵

وَمَنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَاقَ الطَّرَازِ "رَوْضَةُ أَدَبٍ وَظَرْفٍ، كَمَا شِنَتْ مِنْ حُسْنٍ وَعُزْفٍ،

أَشْرَقَتْ ذُكَاءُ ذَكَائِهِ، وَتَضَوَّعَتْ آدَابُهُ تَضَوُّعَ الرُّوْضِ غِبَّ سَمَائِهِ، إِلَى حَلَاوَةِ الْخَلَائِقِ وَالضَّرَائِبِ،

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 452

² - المصدر نفسه، ص: 458

³ - المصدر نفسه، ص: 510

⁴ - "السكة حديدية منقوشة تطبع بها الدراهم والدنانير والجمع سكك" م. م/ سكك، ص 107

⁵ - المصدر نفسه، ص: 469

وَالشَّيْمُ الْحَسَنَةُ وَالْمَعَانِي الْغَرَائِبُ. تَرْتَاخُ إِلَى مُجَالَسَتِهِ الْمُحَاضِرُ، وَيَرِفُّ مِنْ أَفْنَانِ فُكَاهَتِهِ الزَّهْرُ

النَّاضِرُ، وَلَهُ نَفْسٌ تَطْمَحُ إِلَى بُلُوغِ الْمَعَانِي، وَفَكَرَ يَحْدُو حُلَّ الْبِدَائِعِ فِي الطَّرَازِ الْعَالِي¹

ووصف أبي جعفر بن داود الوادي آشي: "وَلَهُ أَدَبٌ يُصِيبُ شَاكِلَةَ الرَّمِيِّ بِنِبَالِهِ، وَنَظْمٌ

تَضَحَّى الْمَعَانِي قَنَائِصَ حِبَالِهِ"²

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ رِضْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ: "شَاعِرٌ بِطَبْعٍ، وَعَامِرٌ حِمَى

مِنَ الْأَدَبِ وَرَبْعٍ، حُجَّةٌ مِنْ حُجَجِ الْغَرَائِزِ فِي الْعَالَمِ الْجَائِرِ، يَتَدَقَّقُ تَدَقُّقَ الْفُرَاتِ، وَيَتَتَبَعُ الْمَعَانِي

كَأَنَّمَا يَطْلُبُهَا بِالثُّرَاتِ، فَيَأْتِي بِكُلِّ عَجِيبَةٍ"³

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَكُودِيِّ مِنْ أَهْلِ فَاسٍ: "شَاعِرٌ لَا يُتَعَاطَى مِيزَانُهُ، وَمَرْعَى

بَيَانَ رَقٍّ غَضَاهُ وَأَيْنَعَ سَعْدَانُهُ، يَدْعُو الْكَلَامَ فَيَهْطَعُ لِدَاعِيهِ، وَيَسْعَى فِي اجْتِلَابِ الْمَعَانِي فَتَنْجَحُ

مَسَاعِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَفْرَطَ فِي الْإِنْهَمَاكِ، وَهُوَ إِلَى بَطْنِ السَّمَكَةِ مِنْ أَوْجِ السَّمَاءِ"⁴

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 346

² - المصدر نفسه، ص: 500

³ - المصدر نفسه، ص: 358

⁴ - المصدر نفسه، ص: 500

مصطلح الطبع

أولاً: تعريف الطبع

أ- لغة :

تدل مادة طبع في المعاجم على :

1-الختم. قال ابن فارس: "الطاء والباء والعين أصل صحيح، وهو مثل على نهاية ينتهي إليها

الشيء حتى يختم عندها"¹

2-السجية. وقال أيضاً: "ثم يقال على هذا طبع الإنسان وسجيته"²

3-الضرب. قال الزمخشري: "طبع السيف والدرهم: ضربه"³

ثانياً: اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "الطبع ما يقع على الإنسان بغير إرادة"⁴

وقال أيضاً: "الطبع بالسكون الجبلة التي خلق الإنسان عليها"⁵

ثالثاً: في الاصطلاح الخاص:

الطبع هو الاستعداد الفطري أو العبقري أو الموهبة التي يهبها الله من يشاء من عباده"⁶

¹ - مقاييس اللغة، ابن فارس، ص: 438

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - أساس البلاغة، الزمخشري، 1/ 593

⁴ - التعريفات، الجرجاني، ص: 119

⁵ - المصدر نفسه، ص: 119

⁶ - م. م. ع، ص: 233

ثالثاً: إجراء:

لقد استخدم الأدباء والنقاد مصطلح الطبع، وألفوا حوله العديد من الكتب كابن طباطبا في كتاب بعنوان "تهذيب الطبع" باعتبار الطبع مقوماً من مقومات قول الشعر أو النثر: "مما يؤدي ذلك إلى تفاوت بين الشعراء والأدباء في أعمالهم الأدبية من حيث الجودة والإحكام؛ وهذا ما أشار إليه ابن قتيبة بقوله: "والشعراء في الطبع مختلفون؛ منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسر له المراثي، ويتعذر عليه الغزل"¹

ونجد ابن الأثير يؤكد على ذلك قائلاً: "وأغرب من ذلك أن صاحب الطبع في المنظوم يجيد في المديح دون الهجاء، أو في الهجاء دون المديح، أو يجيد في المراثي دون التهاني، أو في التهاني دون المراثي. وكذلك صاحب الطبع في المنثور، هذا ابن الحريري صاحب المقامات قد كان على ما ظهر عنه في تنميق المقامات واحداً في فنه، فلما حضر ببغداد، ووقف على مقاماته قيل: هذا يستصلح لكتابة الإنشاء في ديوان الخلافة، ويحسن أثره فيه، فأحضر، وكلف الكتابة كتاب فأفحم ولم بجر لسانه في طويلة ولا قصيرة"²

وأردف مبيناً أن الطبع هو معيار من المعايير النقدية للحكم على العمل الأدبي. قال: "واعرضه على طبعك السليم حتى تعلم صحته"³

¹ - الشعر والشعراء، 93 / 1

² - المثل السائر، 28 / 1

³ - المصدر نفسه، 146 / 1

ثالثاً : مشتقات الطبع:

1-طباع: على وزن فعال، صيغة مصدرية يقصد بها حال الأديب. وردت في قوله

: "وَصَدَرَتْ عَنْهُ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ قَصِيدَةٌ نَبَوِيَّةٌ، تَغْنَى بِهَا الْحَادِي الْمُطْرِبُ، وَكَلِفَ بِهَا الْمُصْنَعُ

وَالْمُصْنُوبُ، تَذُلُّ عَلَى انْفِسَاحِ طِبَاعِهِ، وَامْتِدَادِ بَاعِهِ"¹

2-الانطباع: صيغة مصدرية من الانفعال للمطاوعة. وردت في وصف لسان الدين لأبي عبد الله

بن السراج: "...وله نظم ينخرط في سلك الانطباع،..."²

¹ - المصدر نفسه، ص: 450

² - المصدر نفسه، ص: 479

مصطلح التكلف

أولا : تعريف التكلف.

أ- لغة :

تدل مادة كلف في المعاجم اللغوية على :

1-الولع. قال ابن فارس: "الكاف واللام والفاء أصل صحيح يدل على إيلاء بالشيء"¹

2- التعلق. وقال أيضا: "الكاف واللام والفاء أصل صحيح يدل على إيلاء بالشيء وتعلق به"²

3- العريض. وقال أيضا: "المتكلف العريض لما لا يعنيه"³

4- المشقة. قال ابن منظور: "كلفه تكليفا أمره بما يشق عليه. تكلفت الشيء تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادته"

ثانيا : اصطلاحا:

التكلف في الاصطلاح الخاص هو المبالغة في "استعمال البديع كالتطبيق والتجنيص، لأنه

يدل على تكلف الشاعر لذلك، وإذا كان قليلا نسب إلى أنه طبع فيه، ولذلك عابوا على أبي تمام

كثرت في شعره، واستحسنوه في شعر غيره لقلته"⁴

¹ -مقاييس اللغة، ابن فارس، ص: 136

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - المصدر نفسه، ص: 119-118

ثالثاً : إجراء:

إن النقاد والبلاغيين القدامى كانوا يستخدمون مصطلح التكلف بالدلالة اللغوية الأصلية؛ بحيث لم يعطوا تعريفاً وتحديداً للتكلف، فجاءت نظراتهم مختلفة للمصطلح المذكور، بدأ من ابن سلام الذي قال عن شعر النابغة: كأن شعره كلام ليس فيه تكلف"¹

وأما الجاحظ فقد رأى أن التكلف هو من يكثر البديع في شعره كمنصور النمري ومسلم بن الوليد"²

والتكلف عند أبي العباس المبرد هو السلامة من التزيد. قال: ومما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد وبعده عن الاستعانة قول أبي حية النميري:

رمتي وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم

ألا رب يوم لو رمتي رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم

يرى الناس أنني قد سلوت وأنني لمرمي أحناء الضلوع سقيم³

وأخذ مصطلح التكلف يطابق الطبع، كما قال المرزباني: "فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون بما ينافر الطبع، وينبو عن السمع"⁴

¹ - طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، 56 / 1

² - البيان والتبيين، الجاحظ، 51 / 1

³ - الكامل، المبرد، 29 / 1

⁴ - الموشح، المرزباني، ص: 540

مصطلح المفاضلة

أولاً: تعريف المفاضلة.

أ- لغة :

تدور معاني مادة "فضل" في المعاجم اللغوية على:

1- الزيادة في الشيء¹.

2- الخير².

3- الإحسان³.

4- الغلبة. فاضلني فلان ففضلته أفضله، وهو مفضول: مغلوب.

ب- اصطلاحاً :

المفاضلة هي الموازنة، قال ابن الأثير: "أما المفاضلة بين الشعراء فإن الاختلاف فيها كثير، وكل يذهب مذهبا يدعو إليه نظره، والأكثر يرى المفاضلة إلا بين المعاني المتفقة، ويقولون كيف يمكن المفاضلة بين المعاني المختلفة"⁴

وقال أيضا: "... إن المفاضلة تقع بين الكلامين سواء كانا متفقين في المعنى أو مختلفين، أما

إذا كانا متفقين فإن المفاضلة بينهما ظاهرة مكشوفة،..."⁵

1- مق/ فضل.

2- مق/ فضل.

3- مق/ فضل.

4- المثل السائر/ فضل.

5- المعجم النقدي، لأحمد مطلوب، ص: 311.

ج- في اصطلاح الريحانة:

ومن ضمن المصطلحات النقدية الميثوثة في نصوص الريحانة مصطلح المفاضلة. فابن

الخطيب بين العناصر الآتية:

-بين الأجناس الأدبية (الشعر والنثر)

-بين الأدباء

-بين المدن (مالقة وسلا)

1-المفاضلة بين الأجناس الأدبية:

إن الغالب على نصوص متن الريحانة النثر (رسائل، مخاطبات...) وهذا راجع إلى طبيعة عمل ابن الخطيب الكاتب السياسي ، لذلك كثرت النصوص النثرية في هذا المتن. لكننا نجده في أصيان قليلة يفتتح مخاطباته بقصائد شعرية مختلفة الأوزان، وهنا نتساءل لماذا خص تلك المخاطبات والمراسلات بمطالع شعرية؟ هل ذلك على سبيل التنويع أم ماذرعاة ثقافة المخاطب الموجه إليه ذلك الخطاب الأدبي؟

من ذلك مثلا ما خاطب به السلطان أبا زيان عندما تم له الأمر وولي ملك المغرب رحمة الله عليه:

1-يا ابن الخلائف يا سمي محمد يا من علاه ليس يحصره حاصر

2-ومنها مخاطبة السلطان أبي عبد الله بن نصر عندما وصل إليه ولده من الأندلس إلى فاس:

الدهر أضيق فسحة من أن يرى لالحزن والكمد المضاعف يقطع

3-ومنها أيضا عند عودته إلى سلطانه:

هنيئا ما خولت من رفعة الشأن وإن كره الباغي وإن رغم الشاني

4-يا ولي الإله أنت جواد وقصدنا إلى حماك المنيع

5-عامر بن محمد بن عبد الله بن علي:

لا ترج إلا الله في شدة وثق به فهو الذي أيدك

6-أيا عمر العدل الذي مطر النداء بوعد الهدى حتى وفيت بدينه

2-المفاضلة بين الأدباء:

وازن ابن الخطيب الناقد بين شاعر وشاعر، وبين خطيب وشاعر...وفق مقاييس ومعايير نقدية كما أشرنا إليها سابقا في آرائه النقدية.

7-مخاطبة عامر بن عبد الله:

تقول لي الأظعان والشوق في الحشى له الحكم يمضي بين ناه وأمر

3-المفاضلة بين المدن:

وقد خص ابن الخطيب بعض المقامات للمفاخرة بين المدن مبرزاً فيها الخصائص الطبيعية والجغرافية والعمرانية المميزة لكل مدينة؛ كمفاخرته بين مدينتين مختلفتي الموقع؛ مدينة إسبانية (مالقة) ومدينة مغربية (سلا) كي يبرز لنا الفارق بينهما على كل المستويات.

مفهوم الذوق

أولاً: تعريف الذوق.

أ- لغة :

تدل مادة "ذوق" في المعاجم اللغوية على أصل واحد: "...اختبار الشيء من جهة،..."¹.

ب- في اصطلاحاً :

قال الكفوي الذوق: في الأصل: "...تعرف الطعم، ثم كثر حتى جعل عبارة عن كل تجربة..."².

ج- إجراء :

ورد مصطلح الذوق في المتن المدروس في نصوص قليلة، بمعنى جمالي عام من ذلك قوله

في أبي عبد الله النمري الكفيف الذي: "له في العلوم ذوق، وإلى تلك الفنون شوق،..."³

إلا أنه كونه في المتن مصطلحات أخرى كما سنراها لاحقاً من قبيل: الفصاحة والبلاغة

والبراعة...

ثانياً مشتقات الذوق:

-مذاق: صيغة مصدرية، وردت بمعنى العذوبة؛ وذلك قوله في أبي عبد الله النجار: "مُتَقَنَّ مُشَارِكٌ، وَأَخَذُ فِي الْأَدَبِ غَيْرُ تَارِكٍ، بَرَعَ فِي الْوَثِيقَةِ وَأَحْكَامِهَا، وَنَزَلَ فُصُولُهَا عَلَى مُقْتَضِيَّاتِ

أَحْكَامِهَا، إِلَى نَفْسٍ جُبِلَتْ عَلَى حُسْنِ الْأَخْلَاقِ، وَشَمَائِلِ أَعْدَبَ مِنَ الضَّرْبِ فِي الْمَذَاقِ"⁴

وقوله أيضاً في أبي بكر القرشي: "وَأَدَبٍ عَذْبٍ مَذَاقُهُ، وَاعْتَرَفَ بِهِ فُرْسَانُ الْكَلَامِ وَحَذَافُهُ"⁵

¹ - مق/ ذوق.

² - الكليات، الكفوي، 50

³ - ربحانة الكتاب، ص: 481

⁴ - المصدر نفسه، ص: 453

⁵ - المصدر نفسه، ص: 463

مصطلح الفصاحة

أولاً : تعريف الفصاحة.

أ- لغة :

تدور معاني مادة "فصح" في المعاجم اللغوية على:

1-**الخلوص**. قال ابن فارس: " الفاء والصاد والحاء أصل واحد يدل على خلوص في شيء ونقاء

الثوب"¹. خلوص الشيء².

2- **النقاء**³. قال ابن فارس: " الفاء والصاد والحاء أصل واحد يدل على خلوص في شيء ونقاء

الثوب"⁴.

3- **الطلاقة**⁵. قال ابن فارس: "من ذلك اللسان الفصيح: الطليق"⁶.

ب-اصطلاحاً:

الفصاحة في الاصطلاح العام هي: "...خلوص الكلام من ضعف التأليف، والتنافر، والتعقيد،

وخلوصه من كثرة التكرار وتتابع الإضافات،..."⁷

¹ - م م /فصح. وينظر :مف: الفصح: " خلوص الشيء مما شوب وأصله في اللبن. وينظر: أ/ فصح.

² - مق/ فصح.

³ - مق/ فصح.

⁴ - م م /فصح. وينظر :مف: الفصح: " خلوص الشيء مما شوب وأصله في اللبن. وينظر: أ/ فصح.

⁵ - مق/ فصح.

⁶ - م م /فصح.

⁷ - الكليات، الكفوي، ص: 236-237.

ج-إجراء:

يرد مصطلح الفصاحة في المتن بمعنى الطلاقة وسهولة الكلام؛ من ذلك وصفه لأبي جعفر

بن الزيات: "...وفجر الله ينابيع الحكمة على لسانه، وجعل زمامه الفصاحة طوع إحسانه،..."¹

ثانيا: مشتقات الفصاحة (إفصاح، أفصح).

1-إفصاح: بمعنى إبلاغ والتعبير عن ما يختلج في النفس من أفكار ومشاعر. يستفاد ذلك من

وصفه لأبي جعفر بن أبي خالد: "سَابِقٌ لَا تُدْرِكُ غَايَتُهُ، وَبَاطِلٌ لَا تَحْجُمُ رَأْيَتُهُ، وَبَلِيغٌ تُزْرِي

بِالْإِفْصَاحِ كِنَايَتُهُ"²

2-أفصح: صيغة اسم التفصيل. وردت في وصف أبي الحسن القيجاطي: "...أخطب من سعد

المنبر وارتقاها، وأفصح من هذب العبارة وألقاها،..."³

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 428.

² - المصدر نفسه، ص: 434.

³ - المصدر نفسه، ص: 429.

مصطلح البلاغة

أولاً: تعريف البلاغة.

أ- لغة :

تدور معاني مادة "بلغ" في المعاجم اللغوية على:

1- قال ابن فارس : "الوصول إلى الشيء"¹.

2- التناهي: قال الزمخشري : "التناهي". "تبالغ فيه المرض والهم إذا تناهى"².

ب- اصطلاحاً:

قال الجرجاني البلاغة في الكلام: "... مطابقته لمقتضى الحال، المراد بالحال الأمر الداعي

إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته أي فصاحة الكلام،..."³.

ج- إجراء:

يدل مصطلح البلاغة عند لسان الدين ابن الخطيب في المتن بمعنى فن القول، ويرادف

الفصاحة.

يستفاد ذلك من عدد من النصوص من قبيل قوله في أبي جعفر بن خميس: " وَدَيَانَتْهُ لَا

تَقْرُبُ الشُّبُهَاتُ حِمَاهَا، وَبَلَاغَةٌ لَا يَشِخُّ يَنْبُوعُهَا، وَلَا تُفْقِرُ مِنَ الْمَعَانِي رُبُوعُهَا، يَدْعُو الْفَقْرَ فَيَذْعُنْ

عَاصِيَهَا، وَيُنْزِلُ عِصَمَ الْمَعَانِي مِنْ صَيَاصِيهَا، وَقَضَى -رَحِمَهُ اللَّهُ-"⁴

¹ - مق/ بلغ.

² - أ/ بلغ.

³ - التعريفات، للجرجاني، ص: 43.

⁴ - ربحانة الكتاب، ص: 433.

وقوله أيضا في أبي جعفر أبي خالد: "سَابِقٌ لَا تُدْرِكُ غَايَتُهُ، وَبَطْلٌ لَا تَحْجُمُ رَايَتُهُ، وَبَلِيغٌ تُزْرِي بِالْإِفْصَاحِ كِنَايَتُهُ. طَلَعَ بِذَلِكَ الْأُفُقِ وَنَجَمَ، وَصَابَ عَارِضُ بَيَانِهِ وَأَنْسَجَمَ، وَعَجَمَ مِنْ عُودِ الْبَلَاغَةِ مَا عَجَمَ، فَأَطَاعَتْهُ الْقَوَافِي وَالْأَسْجَاعُ"¹

وقوله أيضا في أبي جعفر بن غالب: "مَاطِرٌ جَادَ بِالْوَابِلِ السَّجَمِ، وَشَاعِرٌ افْتَتَحَ بَيْتَهُ إِلَى النَّجْمِ، وَبَلِيغٌ قَادَ الْكَلَامَ بِرَسَنِهِ، وَأَيَّقَظَ طَرْفَ الْبَلَاغَةِ مِنْ وَسْنِهِ"²

¹ - ریحانة الکتاب، ص: 435.

² - المصدر نفسه، ص: 452.

مصطلح البراعة

أولاً: تعريف البراعة

أ - لغة :

تدل مادة برع في المعاجم اللغوية على :

1-التطوع: قال ابن فارس: "الباء والراء والعين أصلان: أحدهما التطوع بالشيء من غير وجوب"¹

2-التبريز. وقال أيضا عن المعنى الثاني "والآخر التبريز والفضل"²

3-الجيد الرأي. وقال أيضا: "والبارع: الأصيل الجيد الرأي"³

4-العلو. قال الزمخشري: "برع الجبل وفرعه: علاه"⁴

ب - اصطلاحاً :

قال الكفوي: "البراعة هي كمال الفضل والسرور وحسن الفصاحة الخارجة عن نظائرها"⁵

وقال أيضا: "براعة الاستهلال معناها عند أهل البلاغة أن يذكر المؤلف في طاعة كتابه ما

يشعر بمقصوده ويسمى بالإلماع"⁶

¹ - مقاييس اللغة، ابن فارس، برع، ص: 221.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - أساس البلاغة، الزمخشري، برع، ص: 56.

⁵ - الكليات، الكفوي، ص: 244.

⁶ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ج - إجراء :

تتداخل البراعة بالبلاغة والفصاحة والبيان عند عبد القاهر الجرجاني. يقول: "ما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"¹

فالبراعة اتصف بها الكلام الجيد.

وأما البراعة عند أهل اللغة فهي: الحنق بطريقة الكلام وتجويده. وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة"²

وقال أيضا: "فأما وصف الكلام بالبراعة فمعناه أنه حذقت طريقته وأجيد نظمه، وقد يوصف بذلك كل مجيد قول أو صناعة فيجوز أن يوصف القرآن بالبراعة على هذا المعنى. والمراد أنه نظم يخرج عن إمكان الناطقين لا على معنى أنه تجويد كلام هو على معنى كلام العرب"³

قال السيوطي: البراعة مثل البلاغة فيقال: متكلم بارع وكلام بارع. ولا يقال كلمة بارعة"

وأشار إلى ذلك في منظومته :عقود الجمان" فقال:

يوصف بالفصاحة المركب ومفرد منشئ مرتب

وغير ثان صفة البلاغة ومثله في ذلك البراعة⁴

¹ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 35

² - إعجاز القرآن، ص: 194

³ - نكت الانتصار لنقل القرآن، ص: 260.

⁴ - شرح عقود الجمان، ص: 3

مصطلح الانتحال

أولاً : تعريف الانتحال

أ- لغة :

تدور معاني مادة نحل في المعاجم اللغوية القديمة على :

1-الادعاء. قال ابن منظور: "انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان : إذا ادعاه إنه قائله،

وتتخله : ادعاه وهو لغيره"¹.

ب - اصطلاحاً :

أما الانتحال في الاصطلاح الخاص، فهو من السرقات عند البلاغيين " وهو أن يأخذ الشاعر

أبياتاً لشاعر آخر وينتخلها لنفسه"

ب-إجراء:

الانتحال هو الأخذ من الأديب معان أو غيرها إما بطريق مباشر أو غير مباشر. يستفاد ذلك

من وصفه لأبي عبد الله بن بقي في قوله : "مُدِيرٌ لَأَكْوَاسِ الْبَيَانِ [المُعْتَقِ]، وَلَعُوبٌ بِأَطْرَافِ

الْكَلَامِ الْمُشَقَّقِ انْتَحَلَ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ الْهَزْلَ مِنْ أَصْنَافِهِ، فَأَبْرَزَ دُرَرَ مَعَانِيهِ مِنْ أَصْدَافِهِ، وَجَنَى ثَمَرَةَ

الإِبْدَاعِ لِحِينِ قِطَافِهِ"²

¹- لسان العرب/نحل.

²- ربحانة الكتاب، ص:465

وَمَنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ ابْنِهِ أَبِي جَعْفَرٍ: "كَاتِبُ حِسَابٍ، وَمُنْتَسِبٌ لِأَدَبٍ أَيَّ انْتِسَابٍ، إِنْ فَكَّرَ

وَرَوَى، أَنَّهُلَ الْخَوَاطِرَ وَرَوَّى، وَإِنْ ابْتَدَرَ وَارْتَجَلَ، أَوْلَدَ الْبِدَائِعَ وَانْتَحَلَ"¹

¹ - المصدر نفسه، ص: 470

القسم الثاني: آراء ابن الخطيب النقدية في القضايا الواردة

في تراجم الأدباء الأندلسيين كتاب "التاج" و "الإكليل الزاهر"

الفصل الأول: آراؤه النقدية في اللغة:

أ-العربية وعلم اللسان

ب-العروض

ج-البلاغة والفصاحة

د-الفصاحة والغرابة

هـ-الذوق

الفصل الثاني: آراؤه في النقد

أ-اللفظ والمعنى

ب-الطبع والتكلف

ج-الجودة والقبح

د-القلة والكثرة

هـ-السرقاات

آراؤه النقدية في الأدب

التداخل بين الأجناس الأدبية:

أ-الشعر والنظم والرجز

ب-الشعر والنثر

ج-الخطابة والرسائل والرواية

د-طبقات الشعراء.

أ-العربية وعلم اللسان

ميز ابن الخطيب أثناء ترجمته للعديد من الأدباء والشعراء والخطباء بين من يمتلك لغة عربية فطرية، تنبثق عن أصالة الطبع، والانتساب العروبي، وبين من يمتلك لغة مكتسبة (علم اللسان) عن طريق حفظ القواعد، وضبط الأحكام، وتدقيقها؛ الشيء الذي يتطلب دربة ومراسا طويلا حتى يترشح صاحبها في علم اللسان.

وهذا ما استخلصناه من خلال سياقات مختلفة للمترجم لهم، فقد أكد الناقد ابن الخطيب أن للشريف أبي عبد الله "في الشعر طبع يشهد بعروبية أصوله، ومضاء نصوله. وقد أثبت من شعره ما ينضح في البلاغة سبيله، ويشهد بعنق الجواد صهيله"¹

وكذلك الشأن بالنسبة لابن هانئ السبتي الذي "رفع للعربية راية لا تتأخر، ومرج منها لجة تترخر، فانتسح مجال درسه، وأنمرت أدواح غرسه فركض في تلك المدائن"²

غير أنه ينتقد المقرئ أبا القاسم الجزالي الذي انتحل العربية انتحالا مما صعب عليه الوصول إلى درجة الحذاق المتمكنين من ناصية العربية، قال عنه: "مشمّر في الطلب عن ساق، مثابر على اللحاق بدرجات الحذاق، منتحل للعربية جاد في إحصاء خلافتها، ومعطاة سلافها"³

كما يدرج لسان الدين علم اللسان ضمن العلوم المعرفية الأخرى نحو علم التفسير، وعلم البلاغة، والخطابة، وغيرها، والتي تتطلب لمن يتعاطاها اكتساب علم اللسان أو اللغة المكتسبة عن طريق ضبط القواعد والدربة والرسوخ، حتى يمتلك لسانا بليغا ينظم به شعرا أو يكتب رسالة، أو يبدع نثرا، وغير ذلك.

¹ - ربحانة الكتاب، ص 525

² - المصدر نفسه، ص: 493

³ - المصدر نفسه، ص: 514

يظهر ذلك من خلال إشاراتته بمجموعة ممن ترجم لهم؛ فمنهم ابن جزي الذي "سَفَرَ فِي عِلْمِ
اللِّسَانِ عَنْ وُجُوهِ الْإِحْسَانِ، وَرَحَلَ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ إِلَى كُلِّ طَيْبَةٍ، وَرَكَضَ فِي أَغْرَاضِهِ كُلِّ مَطِيَّةٍ،
حَتَّى أُنْسَى الزَّمَخْشَرِيُّ وَابْنُ عَطِيَّةٍ ، وَلَهُ مِنَ الْأَدَبِ حَظٌّ وَافِرٌ، وَمَذْهَبٌ عَنِ الْحُسْنَى سَافِرٌ"¹

فهذا المفسر وصل إلى طبقة الزمخشري وابن عطية بفضل ما امتلكه من علم اللسان.

كما أشاد بالفقيه أبي عبد الله النمري الذي تمكن من علم اللسان أشد التمكن، ورسخت قدمه
فيه، قال: "وَلَهُ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ، وَفِي أَحْكَامِ الْمَعَانِي آيَةٌ نَاسِخَةٌ، وَكَانَ مُقَرِّئَ عَصْرِهِ،
وَوَارِثَ عِلْمِهِ الَّذِي يُعْجَزُ عَنْ حَصْرِهِ، وَلَهُ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ ذَوْقٌ، وَإِلَى تِلْكَ الْفُنُونِ شَوْقٌ، نَسَبَتْهُ
لِسَبَبِهِ الْأَلْسُنُ، وَاسْتَفْبَحَ مِنْهُ مَا يَحْسُنُ"²

وكذلك قوله في الفقيه أبي عامر عبد العظيم الذي أحسن اكتساب علم اللسان ببلده، قال ابن
الخطيب: "مُنْتَمٍ إِلَى مَعْرِفَةٍ، مُتَّصِفٌ مِنَ الذِّكَاةِ بِأَحْسَنِ صِفَةٍ، أَفْرَأُ بِبَلَدِهِ عِلْمَ اللِّسَانِ، وَمَا حَادَ عَنْ
الْإِحْسَانِ"³

ونجد ناقدنا ابن الخطيب يطلق وصف اللسنيين على كل من يمتلك لسانا بليغا، وخاصة البلغاء
الفصحاء وعلى رأسهم ابن شبرين الذي عده "خَاتِمَةُ الْمُحْسِنِينَ، وَقُدْوَةُ الْفُصَحَاءِ اللَّسَنِيِّينَ"⁴

وكذلك ابن صاحب الصلاة فهو "مُحْسِنٌ لَا يُنَارِعُ إِحْسَانَهُ، وَبَلِيغٌ لَا يُسَاجِلُ لِسَانَهُ"⁵

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 432

² - المصدر نفسه، ص: 481

³ - المصدر نفسه، ص: 513

⁴ - المصدر نفسه، ص: 439

⁵ - المصدر نفسه، ص: 454

ومن الخطباء أبو عبد الله البدوي فهو "خَطِيبٌ طَلَقُ اللِّسَانِ، وَأَدِيبٌ رَحْبُ الْإِحْسَانِ"¹

كما استحسّن ابن الخطيب ابن ليون فهو "لَهُ نَظْمٌ حَسَنٌ، وَعَارِضَةٌ وَلَسَنٌ، نَظَمَ بِهِ الْعُلُومَ وَدَوَّنَ،

وَتَقَلَّبَ فِي شَتَّى الْمَآخِذِ وَتَلَوَّنَ"²

وينطبق الأمر أيضا على أبي عبد الله بن عبيدة وأبي عبد الله بن بقي والوادي آشي وأبي عبد الله بن حسان وابن الصباغ.

ولكنه في أحيان قليلة ينتقد كقوله في أبي الحجاج بن مرزوق "وَكَانَ لَهُ لِسَانٌ مُخِيفٌ، وَشِعْرٌ

سَخِيفٌ، تَوَشَّحَ بِجِلْيَتِهِ، وَجَعَلَهُ وَسِيلَةَ كُدَيْتِهِ"³

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 438

² - المصدر نفسه، ص: 449

³ - المصدر نفسه، ص: 456

ب-القافية

تعتبر القافية مكوناً من مكونات الإيقاع الشعري الذي يستوجب على الشاعر أن يراعي له الانتباه أثناء نظمه للشعر؛ لأن للقافية مكانة مهمة، بل على أساسها تقوم القصيدة الشعرية، وقد وضع حازم القرطاجني على قول أحد العرب القدامى لبنيه: "اطلبوا الرماح فإنها قرون الخيول، وأجيدوا القوافي فإنها حوافر الشعر أي عليها جريانه واطراده، وهي مواقفه، فإن صحت استقامت جريته، وحسنت مواقفه ونهايته"¹

وهذا ما ألمح إليه لسان الدين أثناء ترجمته لعدد من الشعراء الذين أولوا للقافية اهتماماً كبيراً، فمنهم المربع فهو "طَوِيلُ الْقَوَائِمِ وَالْخَوَافِي، كَلَفٌ عَلَى كِبَرِ سِنِّهِ بَعَقَائِلُ الْقَوَافِي، شَابَ فِي الْأَدَبِ وَشَبَّ"²

وقد حكم لأبي عامر بن عبد العظيم بإجادته في نظم القوافي، قال: "وَعَانَى الشَّعْرَ فَتَنَظَّمَ قَوَافِيَهُ، وَمَا تَكَلَّفَ فِيهِ"³ "أما إذا نظم بسيطاً أو مجتثاً فإنما همته في قافية حاضرة، وخواطر من خاطرة وسما نوال ماطرة"⁴

¹-منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 271

²- ريحانة الكتاب، ص: 476

³- المصدر نفسه، ص: 512

⁴- المصدر نفسه، ص: 523

ج-البلاغة والفصاحة:

1-البلاغة:

يلاحظ في المتن المدروس أثناء النقد التطبيقي للسان الدين ابن الخطيب أنه يفضل ويكثر من صفة البلاغة على الفصاحة، ويعلي من قيمتها حين يطلقها على بعض الأدباء؛ فمن يمتلك صفة البلاغة أي البليغ، يقتدر على صناعة الكلام الجيد، ويطبق المفصل، ويصيب الحز؛ وهذه الخصائص تظهر في أبي جعفر بن غالب الذي "قاد الكلام برسنه، وأيقظ طرف البلاغة من وسنه، وطبق مفاصل فصل الخطاب بلسنه"

ومن البلغاء الذين أشاد بهم ناقدنا: أبو جعفر بن أبي خالد فهو "سَابِقٌ لَا تُدْرِكُ غَايَتُهُ، وَبَطْلٌ لَا تَحْجُمُ رَأْيَتُهُ، وَبَلِغٌ تُزْرِي بِالْإِفْصَاحِ كِنَايَتُهُ. طَلَعَ بِذَلِكَ الْأُفُقِ وَنَجَمَ، وَصَابَ عَارِضُ بَيَانِهِ وَأَنْسَجَمَ، وَعَجَمَ مِنْ عُودِ الْبَلَاغَةِ مَا عَجَمَ، فَأَطَاعَتْهُ الْقَوَافِي وَالْأَسْجَاعُ، وَأَدَّاهُ إِلَى رَوْضِ الْإِجَادَةِ الْإِنْتِجَاعُ. وَلَمْ يَزَلْ يَشْحَدُ قَرِيبَتَهُ الْوَقَادَةُ وَيَسْتَدْعِيهَا، وَيَسْمَعُ الْحِكَمَ وَيَعِيهَا؛ حَتَّى تَوَفَّرَتْ فِي الْيَرَاعَةِ أَفْسَامُهُ، وَطَبَّقَ مَفَاصِلَ الْخِطَابِ حُسَامُهُ، طَرَزَ الْمَهَارِقَ وَوَشَّاهَا، وَفَضَحَ أَسْرَارَ الْبَلَاغَةِ وَأَفْشَاهَا، وَأَتَى مِنْ الرِّسَائِلِ بِالْأَبْيِّ السَّائِلِ"¹

1- 1- بلاغة الشعر:

وقد وقف الناقد ابن الخطيب وقفة دقيقة عند بلاغة الشعر التي يتميز بها شاعر دون آخر؛ منهم أبو عبد الله بن الحسن الحسني الذي أثبت ابن الخطيب من شعره "وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِهِ مَا يَنْضَحُ فِي الْبَلَاغَةِ سَبِيلُهُ، وَيَشْهَدُ بِعِنَقِ الْجَوَادِ صَهِيلُهُ"²

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 435

² - ربحانة الكتاب، ص: 525

1-2- فرسان علم البيان:

فرق ناقدنا بين البلاغة والبيان؛ بمعنى أن علم البيان جزء من أجزاء البلاغة المنحصرة في ثلاثة علوم هي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع. وقد خص ابن الخطيب بعض الأدباء بخاصية البيان في كلامهم، من بينهم: أبو القاسم الخضر بن أبي العافية: "قَارِسُ مَيْدَانِ الْبَيَانِ، وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ، وَحَامِلُ لَوَاءِ الْإِحْسَانِ لِأَهْلِ هَذَا اللِّسَانِ"¹

ومن امتلك تلك الخاصية أيضا أبو العلى بن سماك: "كَاتِبٌ مَاشِقٌ، وَأَدِيبٌ لَرِيحِ الْبَيَانِ نَاشِقٌ،

ذُو طَبْعٍ سَائِلٍ"²

ومن أقسام علم البيان: الحقيقة والمجاز وغيرها، وقد وُجد أثناء الترجمة من استعمل الحقيقة مرة، والمجاز مرة أخرى. وقد انفرد بهذه الميزة البيانية أبو زيد عبد الرحمن الينشتي الناظم للأرجاز.

-الفصاحة والغرابة

1- الفصاحة:

يصف ابن الخطيب بعض الأعلام المترجم لهم بالفصاحة؛ خاصة الخطباء منهم؛ لأن الخطبة تتطلب فصاحة كبيرة من الخطيب حتى يخاطب الناس بمختلف طبقاتهم من أجل التأثير فيهم؛ فمثلا أبو الحسن القيجاطي وصفه ناقدنا بأنه: "أَخْطَبُ مَنْ صَعِدَ الْمَنَابِرَ وَارْتَقَاهَا، وَأَفْصَحُ مَنْ هَدَّبَ الْعِبَارَةَ وَأَلْقَاهَا، وَاسْتَجَادَهَا وَانْتَقَاهَا"³

¹ - المصدر نفسه، ص: 441

² - المصدر نفسه، ص: 464

³ - المصدر نفسه، ص: 429

والطلاقة صفة حسنة من صفات الخطيب المصقع، وتلك الصفة ارتبطت بأبي عبد الله

البدوي؛ فهو "حَطِيبٌ طَلَّقَ اللِّسَانَ، وَأَدِيبٌ رَحْبُ الْإِحْسَانِ"¹

2- الغرابة:

وفي مقابل الفصاحة هناك الغرابة، وهي عيب من عيوب الفصاحة التي انتقدها في الشاعر

بحيث "عدل عن اللفظ القريب إلى الحوشي الغريب"²

خلاصة القول في البلاغة والفصاحة، أن لسان الدين أكثر من صفة البلاغة مقارنة مع صفة

الفصاحة أثناء نقده الإجمالي.

كما أن البلاغة وردت في سياق الحديث عن المعاني والأفكار، بينما وردت الفصاحة

وعيوبها في سياق الحديث عن الألفاظ؛ بعبارة أخرى هناك بلاغة المعنى، وبلاغة اللفظ.

ويفضل ابن الخطيب البلاغة الحسنة (الطلاقة) ويشيد بها، في حين يذم عيوب الفصاحة من

الغرابة والحوشي من الألفاظ.

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 439

² - المصدر نفسه، ص: 481

هـ- الذوق:

تقوم أحكام ابن الخطيب النقدية في بعض الأحيان على معيار الذوق؛ وهذا راجع أساساً إلى ملكته الأدبية الفنية، وتمرسه بالأدب عموماً، والشعر خصوصاً؛ كما لا ننسى أن لابن الخطيب ديواناً شعرياً يضم قصائد من مختلف الفنون والأغراض.

وهذا ما دفعه أحياناً إلى إطلاق أحكام ذوقية على أشعار أندلسية قراها، وأثبتها في ترجمة الأعلام الشعراء الذين أبانوا عن قريحة وطبع في نظم الشعر وإبداعه.

منهم مثلاً أبو إسحاق بن جابر الوادي الذي جاء "شِعْرُهُ جَزْلُ الْأُسْلُوبِ، وَعَذْبٌ فِي الْأَفْوَاهِ

وَالْقُلُوبِ"¹

وهذا أبو بكر بن الحكيم الذي "لَهُ شِعْرٌ أُنِيقُ الْحَلِيَّةِ، جَارٍ فِي نَمَطِ الْعُلْيَةِ، وَسِيمٌ فِي أَثْنَائِهِ

مَا يَدُلُّ عَلَى قَدْرِهِ، وَيَشْهَدُ بِسَعَةِ صَدْرِهِ"²

وقد وصف شعر الأديب أبي عبد الله بن فضيلة بالعذوبة والاتساق في النظم، قال عنه: "يَنْظُمُ

الشَّعْرَ عَذْباً مَسَاقُهُ، مُحْكَمًا اتِّسَاقُهُ، عَلَى فَاقَةٍ، وَحَالٍ مَا لَهَا مِنْ إِفَاقَةٍ. أَشَدَّ الْمَقَامِ الْكَرِيمِ يَظَاهِرُ

بَلَدِهِ قَصِيدَةً، اسْتَعْرَبَ مِنْهَا مُنْزَعُهَا، وَاسْتَعَذَّبَ مِنْ مِثْلِهِ مُشْرِعُهَا"³

كما أشاد بالفقيه الصوفي أبي جعفر العاشق الذي تذوق نظمه فوجده " لَا يَخْلُو مِنْ حَلَاوَةٍ،

وَمَعَانِيهِ فِي طَرِيقَتِهِ عَلَيْهَا بَعْضُ طَلَاوَةٍ"⁴

¹- ربحانة الكتاب، ص: 442

²-المصدر نفسه، ص: 459

³-المصدر نفسه، ص: 511

⁴-المصدر نفسه، ص: 514

وتبين لابن الخطيب أن عذوبة الأخلاق تنتج عذوبة الكلام؛ وذلك ما تلمسه في ترجمة الوقشي الزبار "وَأَدَبٍ كَالرَّوْضِ، رَاقٍ مِنْهُ الْمُجْتَلَى، وَتَأَرَّجَ الْعُرْفُ، وَنَفْسٍ أَرْقٍ مِنْ نَسِيمِ الْفَجْرِ، وَأَخْلَاقٍ أَعْدَبَ مِنَ الْوَصْلِ فِي عَقِبِ الْهَجْرِ، وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ كَلَامِهِ مَا يَعْدُبُ مَوَارِدُهُ، وَتَرَوُّقُ شَوَارِدُهُ"¹

وقد شهد ابن الخطيب لنفسه بتمكنه من ملكة الذوق في أعماله الإبداعية ومعارفه الأدبية التي كانت كتابته عنها "أبهى من وجوه البشائر، وأحلى من الشهد في يد الساحر"²

كما لاحظنا احتكام ناقدنا ابن الخطيب إلى معيار الذوق للحكم على بعض الأعمال الإبداعية للمبدعين الأندلسيين المعاصرين له من فقهاء وأدباء وغيرهم.

لكنه ذم أبا إسحاق بن سعد لانعدام الحلاوة في شعره، وانتقص منه لأنه "يَهْزِرُ بِالشَّعْرِ هَذَرِ الْمَحْمُومِ. ثَقُلَ حَتَّى خَفَّ، وَكَثَّفَ حَتَّى شَفَّ. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقَبِضُ مِنْ بَسْطٍ، وَلَا يَلْقَى جَعْدَ الْمِرَاجِ إِلَّا بِخُلُقٍ سَبْطٍ، وَلَمْ يَكُنْ خِلَواً مِنْ فَائِدَةٍ يُلْقِيهَا، وَطُرْفَةٍ يَنْتَقِيهَا"³

1-ريحانة الكتاب، ص: 454

2-المصدر نفسه، 516 -

3-المصدر نفسه، ص: 524

الفصل الثاني: آراؤه في النقد:

أ-الحسن والقبح:

غالبا ما تتسم أحكام ابن الخطيب النقدية في ترجمته للأعلام الأندلسيين بالحسن، وقليل ما تنتصف بالقبح في حكمه على بعض الأعمال الإبداعية لدى الشعراء والأدباء الأندلسيين. إذا، فالحسن والقبح مقياسان أساسان من المقاييس النقدية التي يجريها ناقدنا على المترجم لهم.

أ/1-الحسن ومقاييسه: (الجودة، الجمال...)

يعد أبو جعفر الشاطبي من الذين تميزوا بأعمال شعرية حسنة؛ "وَلَهُ شِعْرٌ تَلُوحُ عَلَيْهِ مِنَ الْحُسْنِ مُسَحَّةٌ، وَتَتِمُّ عَنْهُ لِلطَّرْفِ نَفْحَةٌ"¹

وهذا أبو إسحاق بن الحاج "كَلِفَ بِالْأَدَابِ، وَهُوَ غُلَامٌ يَافِعٌ، وَلَهُ مِنَ الْحُسْنِ لِكُلِّ قَلْبٍ شَافِعٌ"² والحسن لا يشمل الشعر فقط، بل حتى أسلوب الشاعر مثل قوله: "فالشعر وإن كان قليلا ما يعنى بإجادة صناعته، ومعاناة بضاعته، فحظه منه لطيف الهبوب، حسن الأسلوب"³

وقد وصف أدب أبي الحسن العاصي بأنه "أَنِيْقُ الشَّارَةِ، حَسَنُ الْإِشَارَةِ"⁴

وقد أشاد ناقدنا بأبي القاسم بن جزي؛ لأنه جمع بين الإتقان في علوم اللسان، والإحسان في مذاهب الأدب، قال عنه: " وَسَفَرَ فِي عِلْمِ اللَّسَانِ عَنْ وُجُوهِ الْإِحْسَانِ، وَرَحَلَ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ إِلَى كُلِّ طَيْبَةٍ، وَرَكَّضَ فِي أَغْرَاضِهِ كُلَّ مَطِيَّةٍ، حَتَّى أَنْسَى الزَّمَخْشَرِيَّ وَابْنَ عَطِيَّةٍ ، وَلَهُ مِنَ الْأَدَبِ حَظٌّ وَافِرٌ، وَمَذْهَبٌ عَنِ الْحُسْنَى سَافِرٌ"⁵

¹-ريحانة الكتاب، ص: 502

²-المصدر نفسه، ص: 461

³-المصدر نفسه، ص: 461

⁴-المصدر نفسه 431

⁵المصدر نفسه، ص: 432

كما جاء نظم ابن ليون —حسب ناقدنا- حسنا، قال "وَلَهُ نَظْمٌ حَسَنٌ، وَعَارِضَةٌ وَلَسَنٌ، نَظَمَ بِهِ

الْعُلُومَ وَدَوَّنَ، وَتَقَلَّبَ فِي شَتَّى الْمَآخِذِ وَتَلَوَّنَ"¹

وقد وقف لسان الدين أحيانا قليلة عند الخط، وهو طريقة كتابة العلوم والمعارف التي اهتم بها الكتاب والشعراء والمدونون سابقا لأهميتها؛ وهذا ما انطبق على أبي عبد الله بن عبيدة الذي "وَلَهُ خَطٌ حَسَنٌ، وَبَلَاغَةٌ وَلَسَنٌ"²

أ/2-1-الإجادة:

يرادف الحسن عند ابن الخطيب الإجادة أو الجودة لما يقوم بنقدات دقيقة أثناء الموازنة بين الأعلام الأندلسيين، وقد تكون:

أ/2-2-الإجادة في العبارة:

وهذا الوصف تعلق بأبي الحسن القيجاطي الذي رأى لسان الدين أنه "أَخْطَبُ مَنْ صَعِدَ الْمَنَابِرَ وَارْتَقَاهَا، وَأَفْصَحُ مَنْ هَذَبَ الْعِبَارَةَ وَالْقَاهَا، وَاسْتَجَادَهَا وَانْتَقَاهَا"³

أ/2-3-إجادة الشعر:

أي الشعر الذي يتسم بالحسن وجمالية التعبير. وهذا ما وجده ابن الخطيب عند أبي جعفر بن غالب الذي أثبت من شعره "مَا يَشْهَدُ بِإِجَادَتِهِ، وَيَنْظُمُهُ فِي فُرْسَانِ الْكَلَامِ وَقَادَتِهِ"⁴

ولا يمكن أن تكون هناك إجادة في أي عمل دون وجود معاناة؛ والمعاناة شرط أساس من شروط الإبداع الشعري؛ وهذا ما لمسه ناقدنا عند أبي جعفر بن جعفر المالقي الذي "عَانَى النَّظْمَ

¹-ريحانة الكتاب، ص: 449

²-المصدر نفسه، ص: 447

³-المصدر نفسه، ص: 429

⁴-المصدر نفسه، ص: 463

فَأَجَادَهُ، وَاسْتَقَى غَمَامَ الْأَدَبِ فَجَادَهُ، وَسَبَكَ الْأَلْفَافَ وَخَلَّصَهَا، وَاسْتَطَرَدَ الْمَعَانِي وَاقْتَنَصَهَا، وَمَرَّتْ بِهِ النَّادِرَةُ فَأَعْنَتَمَ فُرْصَهَا"¹

فهذا أبو إسحاق بن زكرياء قد انتقده ناقدنا لأنه كان " قَلِيلًا مَا يُعْنَى بِإِجَادَةِ صِنَاعَتِهِ، وَمُعَانَاةِ بِضَاعَتِهِ، فَحَظُّهُ مِنْهُ لَطِيفُ الْهُبُوبِ، حَسَنُ الْأُسْلُوبِ"²

أ/2-4-إجادة الأدب ككل:

وقد يجيد الأديب أدبه، ويتقنه أيما إتقان حتى يجعل المتلقي متأثرا، ويجد أثرا بليغا في نفسه؛ مثل ابن هذيل التجيبي الذي: "ذَهَبَ فِي الْإِجَادَةِ كُلِّ مَذْهَبٍ، وَارْتَدَى مِنَ الْبَلَاغَةِ بِكُلِّ رِدَاءٍ مُذْهَبٍ، وَمَعَانٍ تَرَاوَدَّهَا الْخَوَاطِرُ فَتَنَصَّدُ، وَتُحْيِيهَا النُّفُوسُ فَلَا تَرُدُّ"³

وقد أشاد لسان الدين بأبي محمد المربع الأديب الذي عاش مع الأدب وشب فيه "وَنَشَقَ رِيحَ الْبَيَانِ لَمَّا هَبَّ، فَجَاوَرَ رَقِيقَهُ وَجَزَلَهُ، وَأَجَادَ جِدَّهُ، وَأَحْكَمَ هَزْلَهُ، فَإِنْ مَدَحَ صَدَحَ، وَإِنْ وَصَفَ أَنْصَفَ"⁴

القبج:

بعدما قام ابن الخطيب بالتحسين لبعض أعمال الأدباء وغيرهم، نجده يُقبج بعض الإبداعات؛ وهي قليلة جدا؛ والتقبيح إما يكون بالضعف أو السخف أو الهذر... وهذه كلها صفات معيبة لدى

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 475

² - المصدر نفسه، ص: 461

³ - المصدر نفسه، ص: 480

⁴ - المصدر نفسه، ص: 476

الأديب مثل: أبي عبد الله بن عصام، فقد كان أدبه "ضعيفُ المبني، خالٍ من المعنى، كان يسهلُ عليه، وَيُنَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ"¹

كما حط ناقدنا من قيمة ابن مرزوق لتعاطيه للكدية أو التكسب؛ فخرج أدبه عن أصول الأدب الفنية؛ "وَكَانَ لَهُ لِسَانٌ مُخِيفٌ، وَشِعْرٌ سَخِيفٌ، تَوَشَّحَ بِحِلْيَتِهِ، وَجَعَلَهُ وَسِيلَةَ كُدَيْتِهِ"²

ومثله مثل الحاج أبي العباس القراق الذي تعاطى للكدية: "لِسَانٌ بِالشَّعْرِ يَهْتَفُ، وَيَدٌ بِالكُدِيَةِ تَنْتَفُ، لَا يُبَالِي أَلْبَسَ مِنَ الْقَوْلِ جَدِيداً أَوْ رَثّاً، أَوْ كَانَ سَمِيناً مِنَ الشَّعْرِ أَوْ غَنّاً، أَوْ نَظَمَ بِسِيطاً أَوْ مُجْتَنّاً. إِنَّمَا هِمَّتُهُ فِي قَافِيَةِ حَاضِرَةٍ، وَخَوَاطِرٍ مِنْهُ خَاطِرَةٌ، وَسَمَاءٍ نَوَالٍ مَاطِرَةٌ"³

وقد انتقد ابن الخطيب إسحاق بن سعد لأنه يهذر بالشعر هذر المحموم نقل حتى خف، وتابع منتقدا ضعف أدبه قائلا: "وَلَهُ سَلَفٌ صَالِحٌ، وَأَدَبٌ ضَعْفُهُ وَاضِحٌ"⁴

وقد انتقص ناقدنا من شعر أبي عبد الله بن ورد رغم أنه "هَامَ بِوَادِي الشَّعْرِ مَعَ مَنْ هَامَ، وَاسْتَمَطَرَ مِنْهُ الْجَهَامَ، فَجَاءَ بِأَبْيَاتٍ أَوْهَنَ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ نَسْجاً، وَمَقَاصِدَ لَا تُبَيِّنُ قَصْداً وَلَا نَهْجاً"

كانت تلك أحكام ناقدنا لسان الدين النقدي التي جاءت لتقبيح بعض الأشعار؛ وهي قليلة إذا ما قورنت بالتحسين لمثل تلك الأعمال؛ فنستخلص أنه يفضل الجودة في العمل الأدبي بدل الانتقاص منها.

¹-ريحانة الكتاب، ص: 452

²-المصدر نفسه، ص: 456

³-المصدر نفسه، ص: 523

⁴-المصدر نفسه، ص: 524

ب-الكثرة والقلة:

وقد اعتمد ابن الخطيب في أحكامه النقدية معيار القلة والكثرة في المفاضلة بين المترجم لهم. والملاحظ في المتن أن أغلب المترجم لهم هم الذين يتميزون بكثرة أشعارهم دون القلة باعتبارها صفة قدحية حسبما جاء في سياقات مختلفة وخاصة الفقهاء كما سنرى ذلك.

فمن الذين جاءت أشعارهم غزيرة؛ أبو عبد الله المتأهل الذي كان " شَاعِرًا مِكَثَرًا، وَجَوَادًا لَا يَخَافُ عِثَارًا"¹

وهذا شاعر آخر افتتن به الأدباء لكثرة شعره؛ وهو أبو عبد الله الحساناني " شَاعِرٌ لَا يَنْضُبُ طَبْعُهُ، وَلَا يَفْقُرُ رَبْعُهُ. قَصَدَ الْمُلُوكَ وَانْتَجَعَ، وَهَدَلَ فِي أَفْنَانِ أَمْدَاحِهَا وَسَجَعَ، وَتَجَرَّأَ عَلَى اقْتِحَامِ دُسُوتِهَا، وَوُلُوجِ بُيُوتِهَا. وَقَدِمَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ فَأُعْجِبَ الْأَدَبَاءُ بِإِكْثَارِهِ، وَانْقِيَادِ نِظَامِهِ وَنِثَارِهِ"² وقد يعبر ابن الخطيب عند نقده بعبارات تدل على الكثرة من قبيل حصة مباركة، في ترجمة أبي جعفر بن فركون الذي "كَانَ لَهُ فِي الْأَدَبِ مُشَارَكَةٌ، وَفِي فَرِيضَةِ النَّظْمِ حِصَّةٌ مُبَارَكَةٌ"³ وفي المقابل نجد لسان الدين يقلل من شأن بعض الأعلام المترجم لهم؛ إما لقلة أشعارهم، وإما لقلة إبداعهم الشعري، وإما للسرقات الشعرية. بعبارة أخرى عندما يترجم صاحبنا لبعض المترجمين ينتقد أشعارهم لقلتها؛ منهم الفقيه أبو عمرو بن منظور "وَشِعْرُهُ قَلِيلٌ جِدًّا، لَمْ يُغْرِهِ هَزْلًا وَلَا جِدًّا، إِلَّا أَنَّنِي رَأَيْتُ بِحَطِّهِ أَبْيَاتًا مِنْ نَظْمِهِ عَلَى ظَهْرِ فَهْرَسَةِ الْوَزِيرِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْحَكِيمِ"⁴

¹-ريحانة الكتاب، ص: 477

²-المصدر نفسه، ص: 499

³-المصدر نفسه، ص: 439

⁴-المصدر نفسه، ص: 504

وانتقد كذلك الفقيه أبا عامر بن عبد العظيم "فَشِعْرُهُ قَلِيلُ الْبَشَاشَةِ، ذَاهِبُ الْحُشَاشَةِ، وَذُو

الْإِكْثَارِ، كَثِيرُ الْعِنَارِ"¹

وإما أن نجد القلة تتعلق بالعملية الإبداعية لدى الشاعر مثل أبي عبد الله العبدري المالقي "وَأِنْ

كَانَ لَا يَتَّعَاطَاهُ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَّا تَعْلِيلًا، أَبْيَاتًا لَا تَخْلُو مِنْ مُسْحَةِ جَمَالٍ عَلَى صَفَحَاتِهَا،

وَهَبَّةٌ طَيِّبٌ تَنْمُ فِي نَفَحَاتِهَا"²

وإما أن تشمل القلة السرقات الأدبية، مثل أبو لسان الدين "وَكَانَتْ لَهُ فِي الْأَدَبِ فَرِيضَةٌ، وَفِي

النَّادِرَةِ الْعَذْبَةِ مَنَادِحُ عَرِيضَةٌ، مَعَ قَلَّةٍ انْتِحَالِهِ، وَاشْتِغَالِهِ بِحَالِهِ"³

¹- ربحانة الكتاب، ص: 513

²- المصدر نفسه، ص: 485

³- المصدر نفسه، ص: 477

ج-السرققات الشعرية:

تدور بعض الأفعال نحو: انتحل، ينتحل، أخذته، وغيرها على السرقة أثناء ترجمة ابن الخطيب لبعض الأدباء والفقهاء وهم قلة؛ حيث انتحلوا كلاما وشعرا لغيرهم، بالرغم من مكانتهم الأدبية، فأثر عليهم ذلك تأثيرا مذموما فكانت النتيجة ضعف أدبهم، وقلة الثقة لدى المتلقي؛ منهم أبو عبد الله بن مشرف "مِمَّنْ يَمُتُ بِحَسَبٍ، وَيَرْجِعُ إِلَى نَظْمٍ وَأَدَبٍ، وَيَنْتَحِلُ عَلَى ضَعْفِ الْأَدَوَاتِ شِعْرًا رَائِقًا، وَبِالطَّلَبَةِ الْغُرِّ لَائِقًا"¹

وكذلك نجد أبا عبد الله بن حُبَيْش الذي سرق شعر مغن، أدى ذلك إلى فقدان الثقة فيه، قال لسان الدين نقلا عنه "قَالَ أَخَذْتُهُ عَنْ مُغَنٍّ يُنْشِدُهُ، فَقَلَّتْ بِهِ الثَّقَّةُ"²

وهذا الفقيه أبو عامر بن عبد العظيم "لَهُ سَلَفٌ يَخُوضُ فِي الْحَقَائِقِ، وَيَنْتَحِلُ بَعْضَ الْكَلَامِ الرَّائِقِ"³

وليس الانتحال مقصورا على الشعر؛ بل حتى على العربية كما جاء في إحصاء خلافتها ومعاطاة سلافها"

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 521

² - المصدر نفسه، ص: 510

³ - المصدر نفسه، ص: 512

الفصل الثالث: آراؤه النقدية في الأدب:

1- التداخل بين الأجناس الأدبية (الشعر، الرجز، النظم، النثر، الخطابة...)

يتميز ابن الخطيب بحس نقدي، وذائقة أدبية، وملكة شعرية خاصة به؛ جعلته يميز بين أجناس أدبية مختلفة أثناء ترجمته لعدد من الأعلام الأندلسيين، أو عند الموازنة بينهم، وكأنه يضع حدودا فاصلة بين كل جنس أدبي و آخر. بعبارة أخرى، نجده يفصل بين ما يتداخل بين الشعر والنظم، وبين الشعر والرجز، وبين الشعر والنثر، وهكذا كما سنرى من خلال تبيان أحكامه في نقده التطبيقي.

أ-بين الشعر والنظم:

هناك بعض الأدباء يختصون بصفة الشاعرية وحدها دون جانب النظم، بمعنى أن ناقدنا يفرق بين الشعر الذي له خصائصه القائمة على الخيال والمعنى والوزن وغير ذلك، وبين النظم القائم على الوزن خاصة، ثم القافية والمعنى، منهم مثلا الورشيدي الذي له "لَهُ شِعْرٌ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا خَفَاءَ بِفَضْلِ مَذْهَبِهِ"¹

ومنهم أبو عبد الله بن ورد الذي "هَامَ بِوَادِي الشُّعْرِ مَعَ مَنْ هَامَ، وَاسْتَمَطَرَ مِنْهُ الْجَهَامَ، فَجَاءَ بِأَبْيَاتٍ أَوْهَنَ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ نَسْجًا، وَمَقَاصِدَ لَا تُبِينُ قَصْدًا وَلَا نَهْجًا"²

وما أكثر هؤلاء الذين تميزوا بالشاعرية لدى ناقدنا في المتن المدروس.

ب-بين النظم والرجز:

وقد وقفنا في ترجمة سابقة للينشتي التي انفرد فيها بحس شعري وهو الرجز، والرجز له طريقة خاصة في الكتابة الشعرية، إذ يعمد الناظم إلى تحويل نص منشور إلى نص منظوم، وهذا

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 510

² - المصدر نفسه، ص: 507

ما قام به لما نظم "وهو ناظم أرجاز، ومستعمل حقيقة ومجاز. نظم بها مختصر السيرة في الألفاظ اليسيرة، ونظم جزءاً في الرجز والقال، فبدّ به تلك الطريقة بعد الإغفال"¹

ج-الجمع بين الشعر والنظم:

وفي بعض الأحيان يذكر بعض الأدباء الذين يجمعون بين الشعر والنظم معاً، منهم: أبو جعفر بن غالب الذي أثبت من شعره "ما يشهد بإجادته، وينظمه في فُرسان الكلام وقادته"²

ومنهم الحاج أبو جعفر القراق الذي له "لسان بالشعر يهتف، ويد بالكُدية تنثف، لا يبالي ألبس من القول جديداً أو رثاً، أو كان سميناً من الشعر أو غنّاً، أو نظم بسيطاً أو مجتناً"³

د-بين النظم والنثر:

كما ميز ناقدنا ابن الخطيب بين النظم والنثر، ونلاحظ ذلك أثناء نقده للقيجاطي "وله نظم تعطرت المجالس بجرياله، وتعلقت المحاسن بأذياله، وتثر حسدت عهود الغانيات دُرره، وغارت النجوم الزهر لما اجتلت غُرره"⁴

ه-النثر (الخطابة، الرسائل...)

ننتقل من جنس الشعر إلى جنس أدبي آخر مقابل له، وهو النثر؛ ويختلف شكلاً وكتابة عن الشعر، وهذا ما وقف عنده ناقدنا لما رأى أن أبا جعفر بن أبي خالد غلب عليه النثر أكثر من أي

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 473

² - المصدر نفسه، ص: 462

³ - المصدر نفسه، ص: 522

⁴ - المصدر نفسه، ص: 429

جنس آخر، قال عنه: "لَكِنَّ النَّثْرَ أَغْلَبُ عَلَى لِسَانِهِ، وَالْخَطَابَةَ أَعْرَقُ فِي نَسَبِ إِحْسَانِهِ"¹

2-مراتب الشعراء:

يطلق لسان الدين ابن الخطيب بعض الصفات على الأعلام والأدباء، يظهر من خلالها مكانتهم الشعرية على عادة النقاد القدامى الذين ميزوا بين الشاعر والشويعر والشعرور. قال الجاحظ: "وسمعت بعض العلماء يقول: "طبقات الشعراء ثلاث: شاعر وشويعر وشعرور. قال والأمر والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران سماه بذلك امرؤ القيس بن حجر"² ينطبق ذلك على عدد من الشعراء الذين حكم لهم ابن الخطيب بالشاعرية على الشكل الآتي:

2-1-الشاعر الفحل:

قال لسان الدين عن جابر الوادي "فَحُلُّ هَادِرٍ، وَبَلِيغٌ عَلَى الْكَلَامِ قَادِرٌ، اهْتَزَّ لَهُ الْعَصْرُ عَلَى رَجَاحَةِ أَطْوَادِهِ"³

2-2-الشاعر المفلق:

قال عن اللوشي: "شَاعِرٌ مُفْلِقٌ، وَحَسِيبٌ مُعْرِقٌ، طَبَّقَ مَفَاصِلَ الْكَلَامِ بِحُسَامِ لِسَانِهِ"⁴

2-3-الشاعر المجيد:

قال عن الشديد: "شَاعِرٌ مُجِيدٌ حَوْكَ الْكَلَامِ، وَلَا يَقْصُرُ عَنْ دَرَجَاتِ الْأَعْلَامِ"⁵

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 434

² البيان والتبيين، 2 / 9-10

³ - ربحانة الكتاب، 440

⁴ - المصدر نفسه، ص: 457

⁵ - المصدر نفسه، ص: 515

وعن القبايعي: "شَاعِرٌ إِذَا نَظَّمَ أَجَادَ، وَإِنْ اسْتَسْقَى طَبْعَهُ أَفَادَ"¹

2-4- الشاعر المطبوع:

فمن يتصف بصفة الطبع في الشعر: أبو جعفر أحمد بن رضوان: "شَاعِرٌ بِطَبْعٍ، وَعَامِرٌ

جَمَى مِنَ الْأَدَبِ وَرَبِيعٌ"²

والحسناني: "شَاعِرٌ لَا يَنْضُبُ طَبْعُهُ، وَلَا يَقْفُرُ رِنْعُهُ. قَصَدَ الْمُلُوكَ وَانْتَجَعَ، وَهَدَلَ فِي أَفْنَانِ

أَمْدَاجِهَا وَسَجَعَ"³

ووصف البربري بأنه "شَاعِرٌ يُنْفِقُ مِنْ سَعَةٍ، وَيَنْطِقُ وَسَطَ الْمَجْمَعَةِ، وَمَطْبُوعٌ لَا يَتَكَلَّفُ،

وَمُجِيدٌ إِذَا نَهَضَ الْبُلْعَاءُ لَا يَتَخَلَّفُ"⁴

2-5- الشاعر المكثار:

ووصف بعض الشعراء بالكثرة في أشعارهم، وهي صفة قدحية فيهم، منهم: أبو عبد الله

المتأهل؛ "وَكَانَ شَاعِرًا مَكْثَارًا، وَجَوَادًا لَا يَخَافُ عِثَارًا"⁵

2-6- الشاعر المتكسب:

وقد جاء حكم ابن الخطيب على عدد من الشعراء وهم قلة بصفات سلبية نحو التكسب مثل

أبي عبد الله بن الحاج فهو: "شَاعِرٌ اتَّخَذَ النَّظْمَ بِضَاعَةً، وَمَا تَرَكَ السَّعْيَ فِي مَذَاهِبِهِ سَاعَةً"⁶

¹ - ربحانة الكتاب، ص: 447

² - المصدر نفسه، ص: 521

³ - المصدر نفسه، ص: 498

⁴ - المصدر نفسه، ص: 472

⁵ - المصدر نفسه، ص: 476

⁶ - المصدر نفسه، ص: 504

فالملاحظ في مراتب الشعراء أعلاه أننا صنفناه بشكل تنازلي من الأعلى (الشاعر الفحل) إلى الأسفل (الشاعر المتكسب)، كما جاء في النقد التطبيقي للسان الدين علي شعر الأعلام المترجم لها في المتن المدروس.

خاتمة الدراسة المصطلحية:

وبعد دراستنا للمصطلحات النقدية الواردة في المتن، توصلنا إلى الخلاصات والاستنتاجات

الآتية:

أولاً: رغم أن المتن المدروس ذو طبيعة إجرائية بحيث ضم رسائل ومخاطبات وغيرها؛ فإنه تضمنت مصطلحات متنوعة اقتصرنا على النقدي والأدبي منها نظراً لكثرتها وتنوعها بتنوع ثقافة ابن الخطيب وموسوعية علومه.

ثانياً: ورود عدد من المصطلحات النقدية والأدبية التي شكلت مفاهيم نقدية .

ثالثاً: تداخل المصطلح النقدي بما هو أدبي؛ وهذا طبيعي لأن طبيعة المتن تتطلب ذلك؛ زيادة على تكامل العلوم والفنون والمعارف فيما بينها، مما صعب علي في بعض الأحيان تحديد أو الفصل في ماهية المصطلح بين ما هو نقدي وما هو أدبي وما هو بلاغي.

رابعاً: غالبية المصطلحات النقدية المدروسة غير خاضعة للتعريف؛ لأن المتن كما أشرنا سابقاً تطبيقي وليس نظرياً؛ وذلك لأن النقاد في القرن السابع الهجري لم يأتوا بمعايير جديدة؛ الشيء الذي دفع الكتاب إلى استخدام تلك المعايير في رسائلهم ومكاتباتهم.

خامساً: وهذا ما جعلنا نقف مع المصطلحات النقدية بعد تحديدها ودراستها دراسة مصطلحية قصد استخلاص تعريف من النصوص التي تتدرج ضمن المصطلح النقدي.

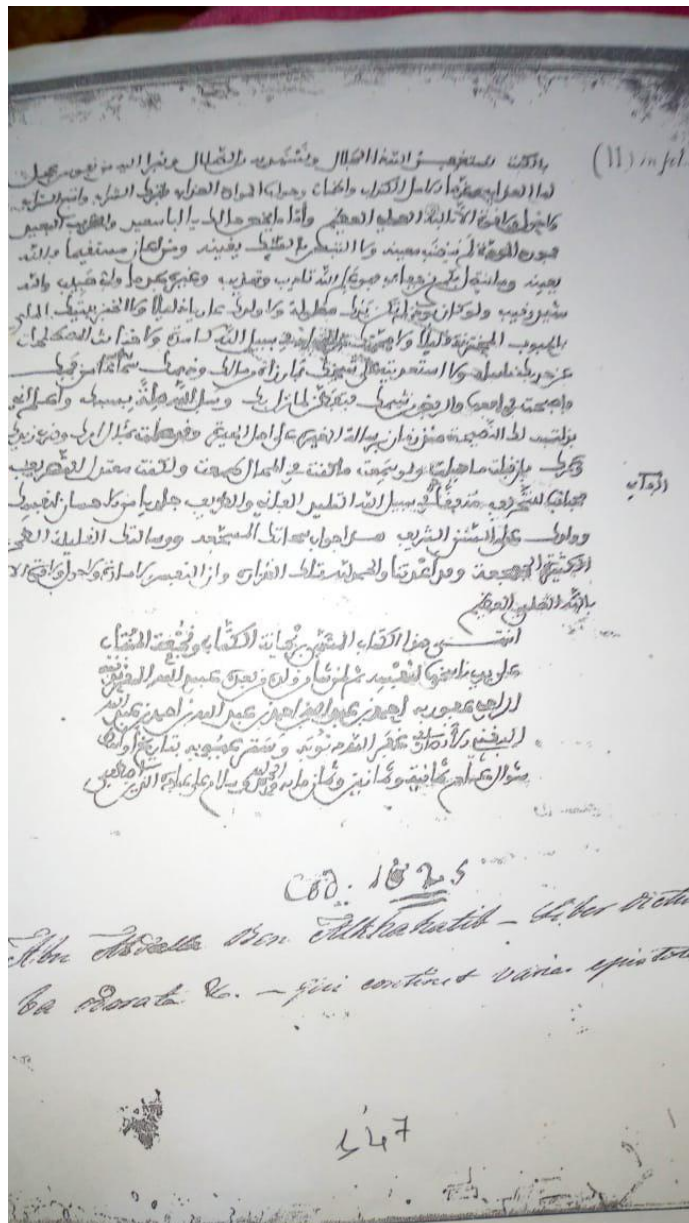
سادسا: كشفت الدراسة المصطلحية عن علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، وبين المعنى الاصطلاحي الخاص بريحانة الكتاب. بعبارة أخرى إن الدلالة اللغوية الاصطلاحية لم تخرج عن الدلالة الاصطلاحية المستعملة من قبل ابن الخطيب.

سابعا: الملاحظ أن بعض المصطلحات النقدية ارتبطت بالتراجم؛ أي إن الأحكام النقدية التي أطلقها لسان الدين على من ترجم لهم من الشعراء والأدباء عموما اختصت بهم.

ثامنا: إن المعايير النقدية المتداولة بين النقاد هي موجودة في ثنايا رسائل الريحانة وغيرها. وهذا في نظري ما دفع الكتاب إلى الاختصار على توظيفها دون تقديم تعريف للمصطلحات النقدية سيرا على النهج العام النقدي.

تاسعا: لقد استلزم استخلاص دلالات المصطلح النقدي دراسة النصوص دراسة نصية قد استخرج السمات الدلالية المميزة لكل مصطلح نقدي سواء من الرسائل أو من التراجم.

قسم التحقيق



نسخة مكتبة الإسكوريال

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي جعل في كتابه الحكيم ما لا يحصى ولا يعد
والله اعلم بالصواب

الحمد لله الذي جعل في كتابه الحكيم ما لا يحصى ولا يعد
والله اعلم بالصواب

الحمد لله الذي جعل في كتابه الحكيم ما لا يحصى ولا يعد
والله اعلم بالصواب

مكتبة القرويين
فاس



الصفحة الأخيرة من نسخة القرويين

كتب مخاطبات الرعايا والجهات

كتبْتُ عن السلطان أبي الحجاج ابن السلطان أبي الوليد ابن نصر ، رحمه الله تعالى لأهل ألمرية ، أعرف بهلاك الطاغية ملك قشتالة ، وإفلاخ محلته عن جبل الفتح .

من الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر ، أيد الله أمره وأعلى ذكره .

إلى أوليائنا الذي تُبادر إليهم بالبشائر السَّافرة الغر ، ونُجلى^(١) عليهم وجوه الصنائع الإلهية كريمة الخبر والخبر ، ونعلم ما لديهم من الوُدِّ الكريم الأثر . الفوائد بالمرئىة والقاضي بها ، والخطب والفقها والأشياخ بها والوزراء والأمناء والأزكيا والكافة والدهماء من أهلها ، عرفهم الله عوارف الآلاء^(٢) ، وشكر ما لهم من صحيح الوُدِّ ومخض الولاء ، وأوزعهم شكر نعمة هذا الفتح الرباني الذي تفتحت له أبواب السماء ، وأشرت معجزاته ميّت الرجا ، سلام كريم طيب^(٣) عيم تُنشق منه نفحات الفرج ، عاطرة الأرج عليكم أجمعين ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمّل الله فاتح أبواب الأمل ، من بعد استغلاقيها ، ومُعِد^(٤) سعيد^(٥) سُعود الإسلام إلى آفاقها ، ومبشّر العباد والبلاد بحياة أزماقيها ، ومُتدارك هذه الأمة المحمدية ، بالصنع الذي تجلّى لها ملء أحداقها ، والرحمة التي مدّت على النفوس والأموال^(٦) والحرّمات والأحوال صافي رواقها ، والنعمة التي لا يُوفى

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وتجلاوا) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الآراء) ، والتصويب من الملكية .

(٣) في الملكية (بر) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ومتدارك) .

(٥) وأردت في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الامال) ، والأولى أرجح .

تلك الغزارة ، وإنَّ النفس لأثارة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم . [وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً]^(١)

انتهى هذا الكتاب المسمى « بريحانة الكتاب ، ونجمة المنتاب » على يد ناسخها لنفسه ثم لمن شاء من ولده من بعده ، عبيد الله المقر بذنبه ، الراجي عفو ربه ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله البقعي الأنصاري غفر الله ذنوبه ، ومستر عيوبه ، بتاريخ أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وثمان مائة ، والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

تم نسخه بحمد الله في صباح يوم السبت الثامن والعشرين من رجب سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٣ يونيو سنة ١٩٧٩ م .

(١) ما بين القاصرتين واردة في الملكية وساقط في الإسكوريال .

بيان لرموز البحث:

(أ): نسخة مكتبة الإسكوريال.

(ق): نسخة مكتبة القرويين.

(ع): نسخة الخزانة العامة بالرباط.

(ج): نسخة مكتبة الجزائر الوطنية.

(م): نسخة الكتاب المطبوع.

{...}: الآيات القرآنية.

(...): الأحاديث النبوية.

"...": الأقوال.

[...]: الزيادات.

لقد خلف لسان الدين ابن الخطيب للمكتبة العربية الإسلامية تراثا فكريا خصباً؛ متنوع الفنون والأغراض، موزعا بين التاريخ والسياسة والأدب والطب والشريعة والفلسفة والتصوف...؛ وذلك بفضل التنشئة الاجتماعية والأدبية التي تلقاها، والثقافة الموسوعية التي اكتسبها طوال حياته، وكذا المناصب الوزارية التي تقلدها في دولة بني الأحمر منذ وفاة أبيه سنة 741هـ في معركة طريف، فحل محله في خدمة الحاشية السلطانية.

وأثناء ذلك كتب العديد من الرسائل الديوانية باعتباره وزيرا لدولة بني نصر، بعد وفاة رئيس الكتابة السلطانية آنذاك وهو "ابن الجياب". فضمن معظم تلك الرسائل كتابه "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب" الذي يعد وثيقة تاريخية وأدبية؛ أرخ فيها لأهم الأحداث التي شهدتها الغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري؛ معتمدا في ذلك لغة أدبية متميزة جامعة لأجناس أدبية متنوعة من رسائل ومخاطبات ومقامات وترجمات...

لذلك جاء اختيار هذا المخطوط تبعا لعدة قناعات ودوافع علمية وذاتية منها:

-ارتباط المخطوط بفترة مهمة من فترات التاريخ الأندلسي ألا وهو القرن الثامن الهجري؛ الذي شهد تغيرات على مستوى بنية الدولة الإسلامية. عموما، والدولة الأندلسية خصوصا.

-الإعجاب بشخصية ابن الخطيب وما يتمتع به من صيت ذائع في الوسط التاريخي والثقافي بالمغرب والأندلس.

-عدم تحقيق المخطوط تحقيقا علميا ينضبط لأصوله وقواعده. وأهم ما يؤخذ على الأستاذ عنان هو:

- عدم اتخاذ نسخة أصلا ومقابلتها بباقي نسخ المخطوط؛ إذ قام بالتلفيق بين النسخ دون التركيز بشكل دقيق بين الاختلافات الموجودة بينها.

- عدم قيامه بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال والأشعار والأماكن والبلدان والأعلام. وهي أمور أساسية في التحقيق العلمي الرصين.
- عدم ذكر الأحداث المرتبطة بتلك الرسائل؛ إذ لكل رسالة أو مقامة مناسبة لقولها ودافع لإرسالها.

وصف النسخ:

بعد عملية البحث التي قمت بها لجمع نسخ مخطوط " ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب" للسان الدين ابن الخطيب، توصلت إلى نسخ منها:

النسخة الأولى:

وهي نسخة الإسكوريال بمدرید. وهي مسجلة برقم (554)، كتبت بخط أندلسي، وتقع في (281) لوحة كبيرة. كتبت سنة (888هـ)، ورمزت لها ب (أ). واعتبرتها النسخة الأصل.

النسخة الثانية:

توجد في خزانة القرويين بفاس وتضم السفرين الرابع والخامس، وتقع في (99) لوحة مزدوجة من القطع الكبير. وكتبت يوم الأحد قبل الزوال عام تسعة عشر ومائة وألف. وهي برقم (40-565). ورمزت لها ب (ق)

النسخة الثالثة:

توجد بالمكتبة الوطنية بالرباط، وهي مسجلة برقم (786)، وتتكون من (303) لوحة، لكنها مجهولة النسخ وتاريخ النسخ. ورمزت لها ب (و)

النسخة الرابعة:

توجد بالمكتبة الوطنية بالرباط أيضا، وهي مسجلة برقم (757)، وتضم (227) لوحة. ورمزت لها ب (ع)

النسخة الخامسة:

توجد بالخزانة الحسنية بالرباط برقم (11738)، وتتكون من (250) لوحة. ورمزت لها ب (ح).

النسخة السادسة:

وهي الكتاب المطبوع للدكتور محمد عنان، وقد استفدت منها الشيء الكثير نظرا لمكانة هذا المحقق الأدبية. ورمزت لها ب (م)

منهج التحقيق:

لقد اتخذت من نسخة مكتبة الإسكوريال أصلا وسائر نسخ المخطوط فروعا لها؛ لكونها أفضل تلك النسخ وأصحها نصا، وأكثرها دقة، وأقدمها زمنا. فأثبتت الفروق الدقيقة والإسقاطات والتحريفات، كل ذلك في الهامش، وأضفت الزيادات الموجودة في النسخ إلى الأصل حسبما يقتضيه السياق بين معقوفتين، مع ذكر مصدر الزيادة في الهامش أيضا.

وقد آثرت دمج المقابلة مع التخريج في هامش واحد كي لا يضيع القارئ بين هامشين.

وأنت بعد ذلك مرحلة التخريج وتضمنت:

-الآيات القرآنية الكريمة: اعتمدت فيها على رواية ورش، مع إثبات اسم السورة ورقم الآية، واختلاف القراءات للآية الواحدة.

-الأحاديث النبوية الشريفة: رجعت فيها إلى أصح كتب الحديث.

-الأشعار: نسبتها إلى أصحابها مع ذكر الديوان الواردة فيه، وكذا إثبات مناسبة قول القصيدة في بعض الأحيان.

-الأماكن والبلدان والقبائل: اعتمدت فيها على الكتب المتخصصة في ذلك.

-الأعلام: عمدت إلى ترجمة المشهورين منهم والمغمورين اعتمادا على أوثق المصادر؛ ذاكرة سنة الولادة وسنة الوفاة، مع ذكر بعض الأحداث المهمة وأشهر المؤلفات التي ألفها.

كما قمت بشرح المفردات الصعبة معتمدة في ذلك على ثلاثة معاجم: "أساس البلاغة" للزمخشري، (ت 538 هـ / 1143 م) "لسان العرب" لابن منظور (ت 711 هـ / 1311 م) "المصباح المنير" للفيومي (ت 834 هـ / 1431 م)

أما الفهارس فقد رتبناها وفق ما يلي:

فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الأشعار، وفهرس الأعلام، وفهرس الأمثال، وفهرس القبائل والجماعات، وفهرس البلدان، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس محتويات الكتاب.

وفيما يتعلق بفهرس الآيات القرآنية، فقد قمت بترتيبها حسبما جاءت به في المصحف الشريف. ورتبت الأحاديث النبوية ترتيبا هجائيا.

أما الفهرس الخاص بالأشعار، فإنني حرصت على ترتيب الأبيات والأشطار حسب روي البيت ترتيبا هجائيا، مع ذكر صدر البيت وبحره وقائله. وفيما يخص الأعلام، فقد ارتأيت ترتيبها حسب حروف المعجم أيضا، مع الحرص على إيراد الاسم الكامل، أو اللقب لكل علم من الأعلام، دون اعتبار "ال" و "أب" و "ابن" محددة الصفحات التي ورد فيها العلم. وهذا الترتيب اعتمدته أيضا فيما يخص القبائل والجماعات، فالمواضع والبلدان، فالمصادر والمراجع. ثم ختمت الكتاب بوضع فهرس للمصطلحات النقدية الواردة في المتن، والتي قمت بدراستها.

صعوبات البحث:

إن العمل في التحقيق ليس بالأمر الهين؛ فهو يتطلب جهدا مضاعفا خصوصا عندما يرتبط المخطوط بعالم جليل ذي ثقافة موسوعية كابن الخطيب الذي لا تنحصر ثقافته في جوانب معدودة، بل تتعدى ذلك لتجمع بين الأدب والسياسة والطب وغيرها من المجالات. لذلك من البديهي أن تواجهني صعوبات يكمن أبرزها في:

- تعدد نسخ المخطوط؛ فبقدر ما تيسر قراءته بقدر ما تضعك أمام خيارات متعددة يصعب أحيانا الترجيح بينها.

- تحقيق المخطوط بأكمله من قبل محمد عنان إلا أنه افتقد لشروط التحقيق العلمي.

- تحقيق بعض المقامات الواردة في ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب من قبل محققين؛ الأمر الذي استدعى البحث عن بعض الثغرات التي تضمنتها قصد تجاوزها، وعدم الوقوع في التكرار أو السرقة.

- تداخل الجهاز المصطلحي الموظف بين مجالات عدة؛ الأمر الذي جعل الفصل بينها وتمييز بعضها عن بعض ليس بالهين.

جهود السابقين:

لقد سبقت الإشارة إلى أن مخطوط الريحانة ثم تحقيق بعض مقاماته تحقيقا تتفاوت درجته العلمية من محقق إلى آخر وهي:

"معار الاختيار في ذكر المعاهد والديار" : وقد صدر في طبعتين محققتين وهما: الأولى بتحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ضمن كتاب "مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس-مجموعة من رسائله"، وهي تشغل فيه من ص 69 إلى ص 113.

والثانية: بتحقيق الدكتور محمد كمال شبانة في كتاب مستقل مدعم بخرائط وصور، وقد صدر في سنة 1976، يحمل عنوان المقامة.

- "خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف": نشرها الدكتور أحمد المختار العبادي في سنة 1978 ضمن كتابه "مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب"

- "مفاخرة مالقة وسلا": حققها الدكتور أحمد المختار العبادي في كتابه "مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب"

- "الإشارة إلى أدب الوزارة في السياسة": قام بتحقيقها الدكتور عبد القادر زمامة، ونشر في العدد الأول من المجلد السابع والأربعين بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، شهر ذي القعدة 1391، كانون الثاني 1972، من ص 70 إلى ص 91.

كما حققها الدكتور محمد كمال شبانة في كتاب مستقل بمطبعة الساحل بالرباط ضمن سلسلة من التراث الأندلسي سنة 1400 / 1980.

إضافة إلى تحقيق الدكتور وداد القاضي الذي نشر في مجلة الفكر العربي العدد 23 السنة 3، سنة 1985

فبالنسبة لمشاهدات لسان الدين ابن الخطيب للدكتور أحمد المختار العبادي فقد اعتمد في تحقيقه على نسختين متواجدين بمكتبة الإسكوريال باسبانيا؛ الأولى برقم 470 اعتمدها كأصل، ورمز لها ب (أ)، والثانية برقم 1825 قابل بها، ورمز لها ب (ب).

أما الجزء الأول من هذا المخطوط فقد حققه الطالب الباحث المبروك السنوسي شادكو بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بإشراف الدكتور عبد الإله سيار، وتمت مناقشته برسم سنة 2016-2017م.

[كُتِبَ مُخَاطَبَاتِ الرَّعِيَّةِ^(١) وَالْجِهَاتِ^(٢)]

كَتَبْتُ عَنِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنِ السُّلْطَانِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ نَصْرِ^(٣) -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-

لِأَهْلِ الْمَرِيَّةِ^(٤) أَعَرَفُ بِهَلَاكِ الطَّاعِيَةِ^(٥) مَلِكِ قَشْتَالَةَ^(٦)، وَإِفْلَاحِ مَحَلَّتِهِ^(٧) عَنْ جَبَلِ الْفَتْحِ^(٨) [٩].

مِنَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ فَرْجِ بْنِ نَصْرِ -أَيَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ، وَأَعْلَى

ذِكْرُهُ^(١٠) - إِلَى أَوْلِيَانِنَا [فِي اللَّهِ تَعَالَى]^(١١) الَّذِينَ يُبَادِرُ إِلَيْهِمُ بِالْبِشَائِرِ السَّافِرَةِ الْغُرَرِ، وَنَجَلُو عَلَيْهِمُ

وَجُوهَ الصَّنَائِعِ^(١٢) الْإِلَهِيَّةِ كَرِيمَةِ^(١٣) الْخُبَرِ^(١٤) وَالْخَبَرِ، وَنَعْلَمُ مَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْوُدِّ الْكَرِيمِ الْأَثَرِ. الْقَائِدِ

بِالْمَرِيَّةِ^(١٥) وَالْقَاضِي بِهَا [وَالْخُطَبَاءِ]^(١٦) وَالْفُقَهَاءِ، وَالْأَشْيَاخَ^(١٧) [بِهَا]^(١٨) وَالْوُزَرَءِ،

^١- طرة أ : "الرعايا"، وكذا في ع، م. وكلاهما صحيح. وكتبها ابن الخطيب في العاشر من ربيع الثاني سنة 750 حيث أصاب إسبانيا الوباء وانتشر بين الجيش؛ فمات ملك قشتالة، فأصبح من اللازم فك الحصار عن الجبل. اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، بيروت 1977-1978، ص: 108

^٢- ق: ساقط.

^٣- "أبو الحجاج يوسف بن محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر (733-755هـ) هـ وهو السلطان السادس من بني الأحمر" معجم الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين 2002: 250/1

^٤- المرية: "بافتتح ثم الكسر وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، مدينة بحرية تقع في شرق الأندلس" معجم البلدان ياقوت الحموي، بيروت، دار صادر: 119/5

^٥- "هو بيدرو أو بطرس المشهور بالقاسي، ملك قشتالة، تولى العرش بعد وفاة أبيه ألفونسو الحادي عشر سنة 1350م. وقد اشتهر بصرامته وبطشه" معجم الأعلام: 300/2

^٦- قشتالة: "إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة" معجم البلدان: 1889/4

^٧- "المحلة: بالفتح المكان ينزله القوم" م. م/ حل، ص: 57

^٨- جبل الفتح أو جبل طارق: كان هذا الجبل محط عناية كل غاز فكان أحيانا يستولي عليه المسلمون وأحيانا أخرى النصارى. فقد استولى عليه النصارى حوالي سنة 709هـ/ 1309م، فاسترجعه أبو الحسن سنة 733هـ/ 1333م. العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، لبنان، دار الكتاب اللبناني، 1959: 530-531 / 7

^٩- ق، ع: ساقط.

^{١٠}- ق، ع: "أيد الله أمره وأعز نصره وأسعد عصره"

^{١١}- أ، م: "ساقط"، والمثبت من ق، ع.

^{١٢}- ق: "الغنائم" وهو تحريف لعدم صحة معناها في السياق.

^{١٣}- ق: "كريم" وهو تحريف.

^{١٤}- "وما لي به خير: أي علم" أساس البلاغة/ الزمخشري/ خبر: 229 / 1

^{١٥}- ع: "بالمدينة" بالبدال بدل الراء، وهو تحريف. "والمدينة ولاية من ولايات الجزائر"

^{١٦}- ق: "والدهماء" والأشياخ. "والدهماء: الجماعة من الناس. ودهماء الناس: جماعتهم وكثرتهم" لسان العرب/ دهم: 319/5

^{١٧}- ق، ع: ساقط.

^{١٨}- ق، ع: ساقط.

وَالْأَمْنَاءِ [الْأَزْكِيَاءِ] ⁽¹⁾ وَالْكَافَّةِ وَالذَّهْمَاءِ مِنْ أَهْلِهَا. عَرَفَهُمُ اللَّهُ عَوَارِفَ الْأَرَاءِ ⁽²⁾ [وَشَكَرَ مَا لَهُمْ مِنْ صَاحِبِ الْوُدِّ وَمَحْضِ الْوَلَاءِ] ⁽³⁾، وَأَوْزَعَهُمْ شُكْرَ [نِعْمَةٍ] ⁽⁴⁾ هَذَا الْفَتْحِ الرَّبَّانِيِّ الَّذِي تَفَتَّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأَنْشَرَتْ ⁽⁵⁾ مُعْجَزَاتُهُ مَيِّتَ الرَّجَاءِ [فِي هَذِهِ الْأَرْجَاءِ] ⁽⁶⁾.

سَلَامٌ كَرِيمٌ [طَيِّبٌ] ⁽⁷⁾ عَمِيمٌ ⁽⁸⁾ تَنْشَقُّ مِنْهُ نَفَحَاتُ الْفَرْجِ عَاطِرَةُ الْأَرْجِ عَلَيْكُمْ أَجْمَعِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ [تَعَالَى] ⁽⁹⁾ وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ فَاتِحِ أَبْوَابِ الْأَمَلِ مِنْ بَعْدِ اسْتِغْلَاقِهَا، [وَمُعِيدِ] ⁽¹⁰⁾ سَعِيدِ سُعُودِ ⁽¹¹⁾ الْإِسْلَامِ إِلَى آفَاقِهَا، وَمُبَشِّرِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِحَيَاةِ أَرْمَاقِهَا ⁽¹²⁾ وَمُتَدَارِكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِالصُّنْعِ الَّذِي تَجَلَّى لَهَا مِلْءُ أَحْدَاقِهَا، وَالرَّحْمَةِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَى النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ، وَالْحُرُمَاتِ وَالْأَحْوَالِ، ضَافٍ ⁽¹³⁾ رِوَاقِهَا، [وَالنَّعْمَةِ الَّتِي لَا يُوفَّى إِلَّا بِمَعُونَتِهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الشُّكْرِ وَاجِبِ اسْتِحْقَاقِهَا] ⁽¹⁴⁾.

وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الَّذِي دَعَوْتُهُ هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِمَنْ تَمَسَّكَ بِاعْتِلَاقِهَا، وَقَامَ ⁽¹⁵⁾ عَلَى الْوَفَاءِ [بِعَهْدِهَا] ⁽¹⁶⁾ وَمِيثَاقِهَا، ذِي الْمُعْجَزَاتِ الَّتِي بَهَرَتْ الْعُقُولَ

1- ق، ع: ساقط.

2- ق: "الأداء". ع، م: "الآلاء". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أن الله أنار عقولهم بالآراء والأفكار التي تهديهم إلى الصواب.

3- ق، ع: ساقط.

4- ق، ع: ساقط.

5- م: "أشهرت"، ولعل الصواب "أنشرت" لأنها من النشور أي البعث، بمعنى إعادة إحياء الأمل والرجاء في النفوس بعدما يئست من تسلط العدو.

6- أ، م: "ساقط"، والمثبت من ق، ع.

7- ق: ساقط.

8- ق، ع: "بر عميم".

9- ق: ساقط.

10- أ، ق، ع: ساقط، والمثبت من م.

11- سُعُود النجوم عشرة كواكب. استعيرت للإسلام صفة النجوم دلالة على رفعة، وإعادة مجده السابق.

12- ق، ع: ساقط.

13- ق، ع: "صافيا"، م: "صافي". ولعل الصواب هو المثبت لأنه نعت للرحمة.

14- ق، ع: ساقط.

15- ق، ع: "أقام". ولعل الصواب ما أثبت؛ إذ "أقام بالموضع إقامة اتخذها وطننا" المصباح المنير / قوم، ص: 199

16- ق، ع: ساقط.

بِائْتِلَافِهَا⁽¹⁾، الَّذِي لَمْ تَرْعُهُ فِي اللَّهِ الشَّدَائِدُ عَلَى اشْتِدَادِ وَثَاقِهَا وَفُظَاعَةِ⁽²⁾ مَذَاقِهَا، حَتَّى بَلَغَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ مَا شَاءَتْ مِنْ انْتِظَامِهَا وَاتِّسَاقِهَا. وَالرَّضَى عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعِزَّتِهِ⁽³⁾ وَحِزْبِهِ الْفَائِزِينَ فِي مِيَادِينِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ بِخَصْلِ سِبَاقِهَا⁽⁴⁾

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ⁽⁵⁾ شُكْرًا [لِنِعْمِهِ]⁽⁶⁾ وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ كَرَمِهِ، مِنْ حَمَرَاءِ غَرْنَاطَةِ⁽⁷⁾ [حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى]⁽⁸⁾ وَلَا زَائِدَ بِفَضْلِ اللَّهِ [سُبْحَانَهُ]⁽⁹⁾ إِلَّا مَا أَمَّنَ الْأَرْجَاءَ وَمَهَّدَهَا، وَأَنْشَأَ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَجَدَّدَهَا⁽¹⁰⁾، وَأَسَّسَ أَرْكَانَ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَأَقَامَ أَوْدَهَا. وَأَنْتُمْ الْأَوْلِيَاءُ الَّذِينَ نَعْلَمُ مِنْهُمْ خُلُوصَ⁽¹¹⁾ الْأَهْوَاءِ، وَتَنْتَحَقُّ مَا عِنْدَهُمْ⁽¹²⁾ مِنَ الْوُدِّ⁽¹³⁾ وَالصَّفَاءِ.

وَالَى هَذَا فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَتْ الْحَالُ آتَتْ إِلَيْهِ مِنْ ضَيْقَةٍ⁽¹⁴⁾ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِهَذِهِ الطَّاعِيَةِ الَّتِي جَرَى⁽¹⁵⁾ فِي مِيزَانِ الْأَمَلِ جَزْيَ الْجَمُوحِ⁽¹⁶⁾، وَدَارَتْ عَلَيْهِ خَمْرُ⁽¹⁷⁾ النَّخْوَةِ وَالْخِيَلَاءِ⁽¹⁸⁾ مَعَ

1- م : "بائتلافها" وهو تصحيف.
2- أ: "فضاعة" من "فَضَعَ فَضْعًا كَضَفَعَ أَي جَعَسَ وَأَحْدَثَ" ل. ع/ فضع. م : "وضاعة". فالوضاعة تقابل التكبر والاختيال. ولعل الصواب ما أثبت لأنه بمعنى البشاعة والقبح.
3- العِزَّة: "النسل والرهط والعشيرة" لسان العرب/عتر: 15/10
4- أ، ع، م : "سياقها"، والمثبت من ق، ولعلها الصواب، "وأصاب خصله وأحرز خصله: غلب على الرهان" لسان العرب/خصل: 82/5
5- أ: "بكم". والمثبت من ق، ع، م.
6- أ، ع، م : "شكر النعمة"، والمثبت من ق، لتشبيه "شكرا" ل "معرفة".
7- غرناطة: "يفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون وبعد الألف طاء مهملة؛ ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس، سمي البلد لحسنه بذلك. وقال الأنصاري هي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها " معجم البلدان: 4/ 195
8- أ، م : "ساقط"، والمثبت من ق، ع.
9- أ، ع، م : ساقط، والمثبت من ق.
10- ق، ع: "جردها" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أنه أعاد معالم الإسلام إلى سالف عهدها جديدة.
11- "خَلَصَ الشَّيْءُ خُلُوصًا فَهُوَ خَالِصٌ" أساس البلاغة / خلص، 262 / 1
12- ق، ع: "عندكم". ولعل الصحيح هو المثبت تناسبا مع "منهم".
13- ق، ع: "الخلوص". ولعل الصواب ما أثبت لأن الخلوص مرادف للصفاء.
14- م : "ضيعة". وكلاهما صحيح؛ فملك قشتالة ضيق على المسلمين في معيشتهم وضيع حقوقهم.
15- ق: "جرا".
16- ع: "الجموع". "جَمَحَ الْفَرَسُ بَرَاكِبَهُ: اعْتَزَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَذَهَبَ جَرِيَا غَالِبًا لَا يَمْلِكُهُ... وَمِنْ الْمَجَازِ فَلَانَ جَمُوحٌ وَجَامِحٌ: رَاكِبٌ لِهَوَاهُ" أساس البلاغة/ جمح: 146 / 1
17- ق: "خمرة" "وهي قطعة من الخمر" المصباح المنير / خمر، ص: 69
18- "الخيلاء: الكبر والإعجاب" المصباح المنير/ خيل، ص: 71

الغُبُوقِ⁽¹⁾ وَالصَّبُوحِ، حَتَّى طَمَحَ بِسُكْرِ⁽²⁾ اغْتِرَارِهِ، [وَأَعْتَرَّ عَلَى أَنْصَارِ اللَّهِ بِأَنْصَارِهِ]⁽³⁾، وَمَحَصَ [اللَّهُ]⁽⁴⁾ الْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدَيْهِ بِالْوَقَائِعِ⁽⁵⁾ الَّتِي تَجَاوَزَ [بِهَا]⁽⁶⁾ مُنْهَى مِقْدَارِهِ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَى اسْتِنْصَالِ الْكَلِمَةِ مَطَامِعُ أَفْكَارِهِ، وَوَثِقَ بِأَنَّهُ يُطْفِئُ نُورَ اللَّهِ بِنَارِهِ، وَنَازَلَ⁽⁷⁾ جَبَلَ الْفَتْحِ⁽⁸⁾ فَشَدَّ مُحَنَّقَ حِصَارِهِ، وَأَدَارَ أَشْيَاعَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ دَوْرَ السَّوَارِ عَلَى أَسْوَارِهِ، وَانْتَهَزَ الْفُرْصَةَ بِانْقِطَاعِ الْأَسْبَابِ [وَأَنْبِيَاهِمَ الْأَبْوَابِ]⁽⁹⁾، وَالْأُمُورِ الَّتِي لَمْ تَجْرِ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْعُدُوتَيْنِ⁽¹⁰⁾ عَلَى مَأْلُوفِ الْحِسَابِ وَتَكَالُبِ النَّثْلَتِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَسَاءَتِ الظُّنُونُ مِنْ هَذَا الْقَطْرِ الْوَحِيدِ، الْمُنْقَطِعِ بَيْنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ وَالْبُحُورِ الزَّاحِرَةِ وَالْمَزَامِ الْبَعِيدِ.

وَأَنَّا صَابِرْنَا بِاللَّهِ تَيَّارَ سَيْلِهِ⁽¹¹⁾، وَاسْتَضْنَا بِنُورِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ فِي جُنْحِ هَذَا الْخَطْبِ وَدُجْنَةِ⁽¹²⁾ لَيْلِهِ، وَلَجَأْنَا إِلَى اللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ⁽¹³⁾ نَوَاصِي الْخَلَائِقِ⁽¹⁴⁾، وَاعْتَلَقْنَا مِنْ حَبْلِهِ الْمَتِينَ بِأَوْثَقِ الْعَلَائِقِ، وَفَسَحْنَا مَجَالَ الْأَمَلِ⁽¹⁵⁾ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ الْمُتَضَائِقِ، وَأَخْلَصْنَا لِلَّهِ -مُقِيلِ الْعِثَارِ، وَمُؤْوِي أُولِي الْإِضْطِرَارِ- قُلُوبَنَا، وَرَفَعْنَا إِلَيْهِ أَمْرَنَا، وَوَقَّعْنَا عَلَيْهِ مَطْلُوبَنَا، وَلَمْ نُقْصِرْ مَعَ ذَلِكَ فِي إِبْرَامِ

1- ع: "الغُبُوقِ" وهو تصحيف. والغُبُوق: "الشرب بالعشي" لسان العرب / غبق: 10/11

2- ع: "كسر". ولعل الصواب ما أثبت؛ فاغتراره لم يكسره إلا هلاكه.

3- ق، ع: ساقط.

4- ق، ع، م: ساقط.

5- أ، م: "الوقائع". والمثبت من ق، ع. لأن "محص" تنصب فعلا واحدا.

6- ق، ع: ساقط.

7- "ونازله في الحرب منازل ونزالا وتنازلا نزل كل واحد منهما في مقابلة الآخر" المصباح المنير / نزل، ص: 229

8- جبل الفتح: "جبل طارق، كان هذا الجبل محط عناية كل غاز فكان أحيانا يستولي عليه المسلمون وأحيانا أخرى النصارى. فقد

استولى عليه النصارى حوالي سنة 709هـ / 1309م، فاسترجعه أبو الحسن ثانية سنة 733هـ / 1333م" العبر: 7 / 530-531

9- ق: ساقط.

10- أي المغرب والأندلس.

11- أ: "سبله". والمثبت من باقي النسخ، ولعله الصواب، فعداؤه للإسلام يشبه السيل الجارف الذي يتطلب القوة والصبر لمقاومته.

12- الدُّجْنَةُ: "الظلمة، وجمعها دجن" لسان العرب / دجن: 220/5

13- ق، ع: "إلى من بيده".

14- ق: "قاضي الخلائق".

15- أ: "الأمان". والمثبت من باقي النسخ، ولعله الصواب؛ لأن الإحساس بالأمان لن يتحقق إلا بعد فتح باب الأمل في استرجاع غرناطة.

العَزمِ، وَاسْتَشْعَارِ الْحَزْمِ، وَإِمْدَادِ الثُّغُورِ بِأَقْصَى الْإِمْكَانِ، وَبَعَثِ الْجُيُوشِ إِلَى مَا يَلِينَا مِنْ بِلَادِهِ⁽¹⁾
عَلَى الْأَحْيَانِ.

فَرَحَمَ اللَّهُ انْقِطَاعَنَا إِلَى كَرَمِهِ، وَلُجَأَنَا إِلَى حَرَمِهِ⁽²⁾ فَجَلَّى سُبْحَانَهُ بِفَضْلِهِ⁽³⁾ ظِلَامَ الشَّدَّةِ،
وَمَدَّ⁽⁴⁾ عَلَى الْحَرِيمِ وَالْأَطْفَالِ ظِلَالَ رَحْمَتِهِ الْمُمتَدَّةِ، وَعَرَفْنَا عَوَارِفَ الصُّنْعِ الَّذِي قَدَّمَ بِهِ الْعَهْدُ عَلَى
طُولِ الْمُدَّةِ، وَرَمَاهُ بِجَيْشٍ⁽⁵⁾ [مِنْ]⁽⁶⁾ جُيُوشِ قُدْرَتِهِ أَغْنَى عَنْ إِخَافٍ⁽⁷⁾ وَاحْتِشَادِ الْأَحْزَابِ، وَأَظْهَرَ
فِينَا قُدْرَةَ مُلْكِهِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَسْبَابِ، وَاسْتَخْلَصَ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مِنْ بَيْنِ الظُّفْرِ
وَالنَّابِ. فَقَدْ كَانَ سَدَّ⁽⁸⁾ الْمَجَازِ⁽⁹⁾ بِأَسَاطِيلِهِ⁽¹⁰⁾، [وَكَايَرِ⁽¹¹⁾ كَلِمَةَ الْحَقِّ بِأَبَاطِيلِهِ]⁽¹²⁾، وَرَمَى الْجَزِيرَةَ
الْأَنْدَلُسِيَّةَ بِشَوْبُوبٍ⁽¹³⁾ شَرَّهِ، وَصَيَّرَهَا فَرِيسَةً بَيْنَ غَرْبَانِ بَحْرِهِ، وَعِقْبَانِ⁽¹⁴⁾ بَرِّهِ، فَلَمْ تَخْلُصْ⁽¹⁵⁾ إِلَى
الْمُسْلِمِينَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ مَرْفَقَةً إِلَّا عَلَى الْخَطَرِ الشَّدِيدِ، وَالْإِفْلَاتِ مِنْ يَدِ الْعَدُوِّ الْعَنِيدِ مَعَ تَوْفُرِ
العَزمِ⁽¹⁶⁾ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - عَلَى الْعَمَلِ الْحَمِيدِ، وَالسَّعْيِ⁽¹⁷⁾ فِيمَا يَعُودُ عَلَى الدِّينِ بِالتَّائِيدِ.

1- ق: "بلده". ولعل الصواب ما أثبتت فالإعانات الممدودة شملت العديد من البلدان.

2- ق، ع: "حزمه". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لجأنا إلى حماية الله وذاته العليا التي تقينا من كل شر.

3- ق، ع: "بفضله سبحانه".

4- ق: "مدد". "وَمَدَّدْتُ مِنَ الدَّوَاةِ وَاسْتَمَدَدْتُ مِنْهَا أَخَذْتُ مِنْهَا بِالْقَلَمِ لِلْكِتَابَةِ وَمَدَّ الْبَحْرُ مَا زَادَ" المصباح المنير / مدد، ص: 216.

ولعل الصواب ما أثبت، أي أنه زاد من بسط رحمته على النساء والأطفال.

5- ق، ع: "بجيوش".

6- ق: ساقط.

7- أ، ع، م: "إيجاد". والمثبت من ق، ولعله الصواب؛ فالإيجاد من "أوجده الله: أغناه" أساس البلاغة / وجد: 2 / 320. فقدرته

تعالى أخافت الأحزاب وجعلتهم يحتشدون.

8- ق: "شد" من "شدَّ الشيء يشد شدة قوي فهو شديد" المصباح المنير / شد، ص: 116. ولعل الصواب ما أثبت لأنه من "سددت عليه باب الكلام سدا إذا منعه من" المصباح المنير / سدد، ص: 103، أي مَنَعَ من تجاوز المضيق لعظم أسطوله.

9- المجاز: ممر بحري ضيق، مضيق، كمجاز ميناء.

10- ع: "بأساصيله" وهو تصحيف.

11- م: "كاثر"، أي جعله كثيرا. ولعل الصواب ما أثبت.

12- ق، ع: ساقط.

13- "شأب: جاء شوبوب من مطر وشأبيب، أي الدفعة" أساس البلاغة / شأب: 1 / 490

14- ق: "غربان". والعُقبان جمع عُقاب.

15- ق، ع: "يخلص".

16- ق، ع: "الغرائم".

17- ق، ع: "بالسعد" وهو تحريف.

وَبَيْنَمَا شَفَقْنَا⁽¹⁾ عَلَى جَبَلِ الْفَتْحِ تَقُومُ⁽²⁾ وَتَقْعُدُ، وَكَلْبُ⁽³⁾ الْأَعْدَاءِ عَلَيْنَا⁽⁴⁾ يُبْرِقُ⁽⁵⁾ وَيُرْعَدُ،
وَالْيَأْسُ وَالرَّجَاءُ خَصْمَانِ، هَذَا يَقْرُبُ وَهَذَا يَبْعُدُ؛ إِذْ⁽⁶⁾ طَلَعَ عَلَيْنَا الْبَشِيرُ بِانْفِرَاجِ الْأُزْمَةِ، وَحَلَّ تِلْكَ
الْعُرْمَةَ، وَمَوْتَ شَاهٍ⁽⁷⁾ تِلْكَ الرُّفْعَةَ، [وَابْقَاءِ اللَّهِ عَلَى تِلْكَ الْبُقْعَةِ]⁽⁸⁾، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخَذَ الطَّاغِيَةَ
أَشَدَّ⁽⁹⁾ مَا كَانَ اغْتِرَارًا، وَأَعْظَمَ أَنْصَارًا، وَزَلَزَلَ أَرْضَ عِزِّهِ وَقَدْ أَصَابَتْ قَرَارًا. وَأَنَّ شِهَابَ سَعْدِهِ
أَصْبَحَ أَفْلًا، وَعَلِمَ كِبَرُهُ انْقِلَابَ سَافِلًا، وَأَنَّ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَرَقَهُ بِحَتْفِهِ، وَأَهْلَكَهُ
بِرْغَمِ أَنْفِهِ⁽¹⁰⁾. وَأَنَّ مَحَلَّتَهُ⁽¹¹⁾ عَاجَلَهَا [التَّبَابُ]⁽¹²⁾ وَالتَّبَارُ⁽¹³⁾، وَعَاثَ⁽¹⁴⁾ فِي مَنَازِلِهَا النَّارُ،
وَتَمَحَّضَ عَنْ سُوءِ عَاقِبَتِهَا اللَّيْلُ⁽¹⁵⁾ وَالنَّهَارُ. وَأَنَّ حُمَاتَهَا يُخْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ⁽¹⁶⁾، وَيُنَادِي
بِالشَّتَاتِ⁽¹⁷⁾ لِسَانُ مُنَادِيهِمْ.

-
- ¹ - ق: "شفقة" ولعل الصواب ما أثبت؛ ف "شفقة" بالنكرة لا تعبر عن صدق الإحساس والخوف على جبل الفتح عكس كلمة "شفقتنا" المعرفة بالإضافة.
- ² - ق، ع: "تقيم" من "أقام بالموضع إقامة اتخذها وطنا" المصباح المنير / قوم، ص: 199. ولعل الصواب ما أثبت لأنه في معنى انتصب.
- ³ - كَلْبٌ عَلَى الشَّيْءِ كَلْبًا: حَرَصَ عَلَيْهِ حَرَصَ الْكَلْبِ، واشتد حرصه "لسان العرب / كلب: 96/13
- ⁴ - ق، ع: "عليه".
- ⁵ - أ: "ببرق"، والمثبت من ق، ع، م.
- ⁶ - ق، ع: "إذا" ولعل الصواب ما أثبت؛ لأن إذ ترتبط بالزمان الماضي، وهذا ما يناسب سياق الإخبار بما جرى. بينما "إذا" تدل على ما يستقبل من الزمان.
- ⁷ - ق: "شاه" وهو تحريف. والشاه هو الملك.
- ⁸ - ق: ساقط.
- ⁹ - ق، ع: "أكمل". وكلاهما صحيح.
- ¹⁰ - "وقول العرب: مات فلان حتف أنفه أي بلا ضرب ولا قتل، وقيل: إذا مات فجأة" لسان العرب / حتف: 30/4
- ¹¹ - ق: "محتلته".
- ¹² - ع: "ساقط".
- ¹³ - ق: "التبار". والتباب: "الخسران والهلاك" لسان العرب / تيب: 210/2
- ¹⁴ - ق، ع: "عاثت". "والنار: معروفة أنثى، وهي من الواو لأن تصغيرها نويرة" لسان العرب / نور: 380/14
- ¹⁵ - ق، ع: "الليل".
- ¹⁶ - اقتباس من قوله تعالى: {وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعُهُمْ خُصُوتُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَاتَّخَذَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۖ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ} سورة الحشر، الآية: 2
- ¹⁷ - ق، ع: "بشتات الشمل".

وَتَلَحَّقَ [بِنَا] ⁽¹⁾ الْفُرْسَانُ مِنْ جَبَلِ الْفَتْحِ الْمَعْقِلِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ رِوَاقٌ ⁽²⁾ مَضْرُوبٌ،
وَالرِّبَاطِ الَّذِي مِنْ حَارِبِهِ فَهُوَ الْمَحْرُوبُ. فَأُخْبِرْتُ ⁽³⁾ بِانْفِرَاجِ الضِّيقِ، وَارْتِفَاعِ الْعَائِقِ لَهَا عَنِ
الطَّرِيقِ، وَبُرْءِ الدَّاءِ الَّذِي أَشْرَقَ ⁽⁴⁾ بِالرِّيقِ. وَأَنَّ النَّصَارَى -دَمَرَهُمُ اللَّهُ- جَدَّتْ فِي ارْتِحَالِهَا،
وَأَسْرَعَتْ بِحَيِّفَةٍ طَاغِيَتِهَا إِلَى سُوءِ مَالِهَا، وَسَمَحَتْ لِلنَّهْبِ وَالنَّارِ بِأَسْلَابِهَا ⁽⁵⁾ وَأَمْوَالِهَا.
فَبَهَرْنَا هَذَا الصَّنْعُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي مَهَّدَ الْأَقْطَارَ بَعْدَ رَجْفَانِهَا، وَأَنَامَ الْعُيُونَ بَعْدَ سُهَادِ أَجْفَانِهَا ⁽⁶⁾.
وَسَأَلْنَا اللَّهَ أَنْ يُعِينَنَا عَلَى شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي إِنْ سُلِّطَتْ عَلَيْهَا قُوَى الْبَشَرِ فَضَحَّتْهَا، [أَوْ
فُوسِستْ ⁽⁷⁾ بِالنِّعَمِ فَضَلَّتْهَا] ⁽⁸⁾ وَرَجَحَتْهَا. وَرَأَيْنَا سِرَّ اللَّطَائِفِ الْخَفِيَّةِ كَيْفَ سَرَيَانِهَا ⁽⁹⁾ فِي الْوُجُودِ،
وَشَاهَدْنَا بِالْعِيَانِ أَنْوَارَ اللَّطْفِ وَالْجُودِ. وَقُلْنَا إِنَّمَا الْفَتْحُ [الْأَوَّلُ] ⁽¹⁰⁾ شُفَّعَ بِنَّانٍ ⁽¹¹⁾، وَقَوَاعِدُ الدِّينِ
[الْحَنِيفِ] ⁽¹²⁾ أَيْدَتْ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ بَيَّانٍ ⁽¹³⁾. [اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ] ⁽¹⁴⁾ عَلَى نِعَمِكَ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ⁽¹⁵⁾،
وَمِنْكَ الْوَافِرَةُ أَنْتَ وَلَيْنَا [فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] ⁽¹⁶⁾.

1- ق، ع : ساقط.

2- "وقعدوا في رَوْقِ بَيْتِهِ وَرِوَاقِ بَيْتِهِ وهو مقدمه" أساس البلاغة / روق: 396 / 1

3- أ، م: "فاختبرت". والمثبت من ق، ع، أي وصلني خبر هلاك ملك قشتالة وجيوشه.

4- ق، ع: "أشرف". ولعل الصواب: "أشرق"، "يقال: شَرَّقَ فلان بريقه وكذلك غص بريقه، ويقال: أخذته شَرَقَةً فكاد يموت"

لسان العرب / شرق: 66/8

5- "أخذ سَلَبَ القَتِيلِ وَأَسْلَابَ القَتْلَى" أساس البلاغة / سلب: 468 / 1

6- ق: "جفانها" وهي "جمع جفنة الطعام" المصباح المنير/ جفن، ص: 40. ولعل الصواب ما أثبت، ف "جفن العين غطاؤها من

أعلاها وأسفلها"

7- م: "قويت" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالترجيح يقتضي القياس والمقارنة.

8- ق، ع : ساقط.

9- ق: "سريانه" حيث عاد الضمير على السر.

10- أ، م : ساقط، والمثبت من ق، ع.

11- ق: "ثبان". ولعل المقصود بالفتح الأول دخول الإسلام إلى بلاد الأندلس، والثاني هو استرجاع ما أخذه ملك قشتالة وهلاكه.

12- ق: "ساقط".

13- جميع النسخ: "بيان" ولعل الصواب "بَيَّانٍ" ويقصد بها السنة النبوية الشريفة التي بينت ووضحت قواعد الدين.

14- أ، م : "الحمد لله"، والمثبت من ق، ع.

15- ق: "الظاهرة والباطنة".

16- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

وَأَمَرْنَا لِلْحَيْنِ فَقُلِدْتُ لَبَّاتُ⁽¹⁾ الْمَنَابِرِ بِهَذَا الْخَبَرِ، وَجُلِّيتُ فِي جَمَاعَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَجُوهُ هَذَا [الْفَتْحِ]⁽²⁾ الرَّائِقِ الْغُرْرِ⁽³⁾، وَعَجَّلْنَا تَعْرِيفَكُمْ⁽⁴⁾ بِهِ سَاعَةَ اجْتِلَائِهِ⁽⁵⁾، وَتَحَقَّقِ أَنْبَاءَهُ، لِتَسْحَبُوا⁽⁶⁾ لَهُ أَثْوَابَ الْجَدَلِ⁽⁷⁾ صَافِيَةً⁽⁸⁾، وَتَرِدُوا بِهِ مَوَارِدَ الْأَمَلِ صَافِيَةً. فَإِنَّمَا هُوَ سِتْرُ اللَّهِ شَمِلَ أَنْفُسَكُمْ وَحَرِيمَكُمْ، وَأَمَانُهُ⁽⁹⁾ كَفَى ظَاعِنَكُمْ وَمُقِيمَكُمْ. فَقَرِّطُوا⁽¹⁰⁾ بِهِ الْأَذَانَ، وَبَشِّرُوا بِهِ الْإِقَامَةَ وَالْأَذَانَ، وَتَمَلَّؤُوا⁽¹¹⁾ الْعَيْشَ فِي ظِلِّهِ، وَوَاصِلُوا حَمْدَ اللَّهِ وَلِيَّ الْحَمْدِ وَأَهْلِهِ، وَأَنْشُرُوا فَوْقَ أَعْوَادِ الْمَنَابِرِ مِنْ خُطَابِهِ رَايَةً مَيْمُونَةَ الطَّائِرِ، وَاجْعَلُوا هَذِهِ الْبِشَارَةَ⁽¹²⁾ سَجْدَةً فِي فُرْقَانِ الْبَشَائِرِ. فَشْكُرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَسْتَدْعِي الْمَزِيدَ مِنْ نِعَمِهِ⁽¹³⁾، وَيَضْمَنُ اتِّصَالَ كَرَمِهِ.

وَعَرَفُوا بِذَلِكَ مَنْ يَلِيكُمْ مِنَ الرَّعِيَّةِ لِيَأْخُذُوا بِمِثْلِ حَظِّكُمْ، وَيَلْحَظُوا⁽¹⁴⁾ هَذَا الْأَمْرَ بِمِثْلِ لَحَظِّكُمْ. فَحَقِيقٌ عَلَيْهِمْ⁽¹⁵⁾ أَنْ يُشِيدُوا بِهَذَا الْخَبَرِ فِي الْحَاضِرِ وَالْبَادِ⁽¹⁶⁾، وَيَجْعَلُوا⁽¹⁷⁾ يَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي ت

¹ - "وطعن في لَبَّةِ البعير وهي منحرة وموضع قلادتها" أساس البلاغة / لبب: 2 / 154. فهو استعار للمنابر أعناقاً توضع فيها القلائد، للدلالة على أن خبر النصر كانت تفتح به الخطب في المساجد نظراً لقيمتها وأهميته.

² - ق: ساقط.

³ - ق: "المرائق بالغرر".

⁴ - ق: "وعرفنا تعجيلكم".

⁵ - ق، ع: "استجلائه". ولعل الصواب ما أثبت ف "جلا الخبر للناس جلاء بالفتح والمد وضح وانكشف" المصباح المنير / جلا، ص: 41

⁶ - أ: "لتسحبوا"، والمثبت من باقي النسخ.

⁷ - ق، ع: "الجدل" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ إذ الجدل هو الفرح.

⁸ - ق: "طافية" وهو تصحيف، وما أبعد عن السياق.

⁹ - ق: "أمله".

¹⁰ - أي اجعلوه كالقُرْط في أذانكم؛ للدلالة على مكانته وقيمته.

¹¹ - ق، ع: "تملوا". "تملأت من الطعام تملوا، وقد تمليت العيش تمليا إذا عشت ملياً أي طويلاً" لسان العرب / ملأ: 14 / 114

¹² - ق: "البشائر" فهو جعل البشارة بشائر؛ كأنها لعظمتها جاءت متعددة.

¹³ - قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} سورة إبراهيم، الآية: 7

¹⁴ - أ، ق، ع: "ويلحظ". والمثبت من م

¹⁵ - ق، ع: "عليكم".

¹⁶ - ق: "البادي".

¹⁷ - ق: "وتجعل"، ع: "تجعلوا".

جَلَّى فِيهِ هَذَا الصُّنْعُ ثَالِثَ الْأَعْيَادِ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ⁽¹⁾ [يَجْعَلُهُ]⁽²⁾ لِلْمَسَرَّاتِ⁽³⁾ عُنْوَانًا، وَيُطْلَعُ عَلَيْكُمْ⁽⁴⁾ [وُجُوهَ صُنْعِهِ]⁽⁵⁾ غُرًّا حَسَنًا. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكُمْ أَجْمَعِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ⁽⁶⁾ [كُتِبَ فِي كَذَا]⁽⁷⁾

1- ق، ع: "سبحانه".

2- ق: ساقط.

3- ق، ع: "للمسرة" ولعل الصواب هو المثبت؛ استيشارا بكثرة المسرات وتعددتها.

4- أ: "علينا"، والمثبت من ق، ع، م.

5- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع، م.

6- ق، ع: "والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته".

7- ق، ع: ساقط.

أَوْصَدَرَ عَنِّي أَيْضًا فِي عَامِ سَبْعَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعُمِائَةٍ مِمَّا يَجْرِي مَجْرَى الْحَكَمِ وَالْمَوَاعِظِ
وَالْأَمْثَالِ صَدَعَتْ بِهِ الْخُطْبَاءُ فَوْقَ⁽¹⁾ الْمَنَابِرِ وَاجْتَمَعَتْ لِإِلْقَائِهِ مِنَ الْأُمَمِ الزَّوَاخِرُ⁽²⁾. وَاللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ لَا يَخِيبُ فِيهِ الْقَصْدُ⁽³⁾ وَلَا يُخْبِطُ فِيهِ الْعَمَلُ بِمَنِّهِ⁽⁴⁾
مِنَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ⁽⁵⁾ مُحَمَّدُ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَجَّاجِ [ابْنِ]⁽⁶⁾ مَوْلَانَا
أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ نَصْرِ⁽⁷⁾ أَيْدَى اللَّهِ أَمْرَهُ، وَأَعَزَّ نَصْرَهُ⁽⁸⁾
إِلَى أَوْلِيَائِنَا الْمَخْصُوصِينَ مِنَّا وَمِنْ سَلَفِنَا بِذِمَامِ⁽⁹⁾ الْجَوَارِ الْقَرِيبِ، وَالْمُسَاكِنَةِ الَّتِي لَا يَنْطَرِقُ
إِلَى حَقِّهَا الدِّينِيُّ اسْتِرَابَةُ الْمُسْتَرِيبِ، الْمُعْتَمِدِينَ⁽¹⁰⁾ إِذَا عُدَّتِ الرَّعَايَا، وَذُكِرَتِ الْمَزَالِيَا، بِمَزِيدِ الْإِدْنَاءِ،
والتَّقْرِيبِ⁽¹¹⁾ مِنَ الْأَشْيَاخِ الْجَلَّةِ الشُّرَفَاءِ، وَالْأَعْلَامِ، الْعُلَمَاءِ، وَالصُّدُورِ الْفُقَهَاءِ، وَالْعُدُولِ الْأَرْكَيَاءِ،
وَالْأَعْيَانِ الْوُزَرَاءِ، وَالْحُمَاةِ الْمُدَافِعِينَ عَنِ الْأَرْجَاءِ، وَالْأَمْنَاءِ الثَّقَاتِ الْأَتَقِيَاءِ، وَالْكَافَّةِ الَّذِينَ نَصِلُ لَهُمْ
عَوَائِدَ الْإِعْتِنَاءِ، وَنَسِيرُ⁽¹²⁾ فِيهِمْ بِإِعَانَةِ اللَّهِ عَلَى السَّبِيلِ السَّوَاءِ.

¹ - م: "من".

² - "زخر القوم: جاشوا لحرب أو نفير، وزخرت الحرب" أساس البلاغة / زخر: 1 / 411. فقد شُبِّهوا بالبحر الزاخر إشارة إلى قوة خطبهم على المنابر.

³ - م: "الفصل" أي الحكم بالعدل والفصل بين الناس. وكلاهما صحيح.

⁴ - ق، ع: ساقط، ومكانه: "ومن ذلك".

⁵ - ق، ع: "من عبد الله أمير المسلمين". الغني بالله (739-793هـ / 1339-1391م) هو محمد بن يوسف أبي الحجاج بن اسماعيل، ثامن ملوك دولة بني نصر بن الأحمر في الأندلس. معجم الأعلام: 28 / 8

⁶ - ق: ساقط.

⁷ - ق: "بن فرج بن نصر".

⁸ - ق، ع: "وصل الله سعده وبلغه من فضله العليم قصده".

⁹ - ق: "بذمام"، بدال مهملة. "ذم الشيء: طلاه بما رسخ فيه كما يذم الرجل البرمة بالذمام" أساس البلاغة / ذمم: 1 / 299. ولعل الصواب ما أثبت؛ ف "الفلان ذمة وذمام ومذمة: عهد يلزم الذم مضيعه" أساس البلاغة / ذمم: 1 / 317

¹⁰ - ق: "المعتدين". وكلاهما صحيح، فهم يُعْتَدُّ بفضائلهم، ويعتمد عليهم في المواقف.

¹¹ - ق، ع: "مزية التقريب".

¹² - ق، ع: "وتسير" عاد الضمير على السلطان.

مِنْ أَهْلِ حَضْرَتِنَا غَرْنَاطَةَ⁽¹⁾ وَرَبَضِيَّهَا⁽²⁾ شَرَحَ اللَّهُ لِقَبُولِ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ [الْحَسَنَةِ]⁽³⁾

صُدُورَهُمْ، وَكَيْفَ بِنَتَائِجِ الْإِسْتِقَامَةِ سُرُورَهُمْ، وَأَصْلَحَ بِنَعَايَتِهِ أُمُورَهُمْ، وَاسْتَعْمَلَ فِيمَا يُرْضِيهِ أَمْرَهُمْ وَمَأْمُورَهُمْ.

سَلَامٌ كَرِيمٌ عَلَيْكُمْ [أَجْمَعِينَ]⁽⁴⁾ وَرَحْمَةُ اللَّهِ [تَعَالَى]⁽⁵⁾ وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي إِذَا رَضِيَ عَنْ قَوْمٍ جَعَلَ لَهُمُ التَّقْوَى لِبَاسًا⁽⁶⁾، وَالدُّكْرَى لِبِنَاءِ الْمَتَابِ⁽⁷⁾

أَسَاسًا. وَالصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الَّذِي هَدَانَا إِلَى الْفَوْزِ الْعَظِيمِ ابْتِغَاءَ الرَّحْمَةِ⁽⁸⁾

وَالنِّمَاسَا. وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ [وَصَحْبِهِ]⁽⁹⁾ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لَهُ نَاسًا، وَجَعَلَهُمْ مَصَابِيحَ مِنْ بَعْدِهِ اقْتِدَاءً وَاقْتِبَاسًا⁽¹⁰⁾.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللَّهُ إِغْرَازَكُمْ، وَحَرَسَ أَخَوَازَكُمْ، وَجَعَلَ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ اهْتِزَازَكُمْ، وَبِقَبُولِ

النِّصَائِحِ امْتِيزَازَكُمْ - مِنْ مُسْتَقَرَّنَا بِذُرُوتِكُمْ الْحَمْرَاءَ - حَمَاهَا اللَّهُ - وَلَا مُتَعَرِّفَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا

هَدَايَةً تَظْهَرُ عَلَى الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَعِنَايَةً تَخْفُ⁽¹¹⁾ عَنِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

1- ق، ع: "حضرتنا المحروسة بفضل الله".

2- م: "ريضها". بالياء بدل الباء، وهو تحريف. "الرَّيْضُ من الدواب: حديث العهد بالرياضة، لم يذل بعد لراكبه" ولعل الصواب ما أثبت؛ "قال ابن خالويه: رُبِضَ المدينة بضم الراء والياء أساسها، وبفتحهما: ما حولها" لسان العرب / ريبض: 80/6

3- ع: ساقط. اقتباس من قوله تعالى: {أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} سورة النحل، الآية: 125

4- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع

5- أ، ق، م: ساقط، والمثبت من ع.

6- اقتباس من قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَنْكَرُونَ} سورة الأعراف، الآية: 26

7- ق: "المتات" وهو ما مُتَّ به، والمُتَّ: التوصل والتوصل بحرمة أو قرابة أو غير ذلك "لسان العرب / تمت: 11 / 14

8- ق، ع: "لرحمته" وكلاهما صحيح.

9- ق، ع: ساقط

10- ق، ع: ساقط

11- م: "تحف" بالخاء بدل الحاء، وهو تصحيف. ومعناه: "خَفَّ فلان لفلان إذا أطاعه وانقاد له" لسان العرب / خفف: 112 / 5

[سُبْحَانَهُ] ⁽¹⁾ يَتَكَفَّلُ لَنَا وَلَكُمْ بِبُلُوغِ ⁽²⁾ الْآمَالِ. وَأَنْتُمْ أَوْلِيَاؤُنَا الَّذِينَ لَا نَذْخِرُ ⁽³⁾ عَنْهُمْ نُصْحًا، وَلَا نُهْمِلُ ⁽⁴⁾ فِي تَدْبِيرِهِمْ مَا يُنْمِرُ نُجْحًا. وَبِحَسَبِ هَذَا الْإِعْتِقَادِ لَا نَعْمَلُ عَنْ نَصِيحَةٍ نُرْشِدُكُمْ ⁽⁵⁾ إِذَا غَفَلْتُمْ، وَمَوْعِظَةٍ نَقُصُّهَا عَلَيْكُمْ إِذَا اجْتَمَعْتُمْ فِي بُيُوتِ اللَّهِ وَاحْتَفَلْتُمْ، وَذَبَّ عَنْكُمْ ⁽⁶⁾ تَارَةً بِسِلْمٍ نَعْقِدُهَا وَمُحَاوَلَةٍ نُسَدِّدُهَا، وَتَارَةً بِسُيُوفٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُجَرِّدُهَا، وَغِمَارٍ لِلشَّهَادَةِ ⁽⁷⁾ نَرُدُّهَا، وَنُفُوسٍ بِوَعْدِ اللَّهِ نَعْدُّهَا. وَنَرْضَى بِالسَّهْرِ لِنَتَّامِ أَجْفَانِكُمْ، وَبِالْكَدِّ لِنَرْعِ ⁽⁸⁾ صَبِيَّتِكُمْ ⁽⁹⁾ وَوِلْدَانَكُمْ، وَبِافْتِحَامِ الْمَخَاوِفِ لِيَتَحَصَّلَ ⁽¹⁰⁾ أَمَانُكُمْ. وَلَوْ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَجْعَلَ عَلَيْكُمْ وَاقِيَةً كَوَاقِيَةِ الْوَلِيدِ لَجَعَلْنَا، أَوْ أَمَكْنَا أَنْ لَا تَفْضُلُكُمْ ⁽¹¹⁾ رَعِيَّةٌ بِصَلَاحِ دِينٍ أَوْ دُنْيَا إِلَّا فَعَلْنَا ⁽¹²⁾.

هَذَا [شُعْلُ زَمَنِنَا مُنْذُ عَرَفْنَاهُ] ⁽¹³⁾، وَمَرَمَى هَمَّنَا مَهْمَا اسْتَرْهَفْنَاهُ ⁽¹⁴⁾. وَقَدْ اسْتَرْعَانَا اللَّهُ جَمَاعَتَكُمْ، وَمَلَأْنَا ⁽¹⁵⁾ طَاعَتَكُمْ، وَحَرَمَ عَلَيْنَا إِضَاعَتَكُمْ. وَالرَّاعِي إِذَا لَمْ يَقْصِدْ بِسَائِمَتِهِ الْمَرَاعِي ⁽¹⁶⁾ الطَّيِّبَةَ، وَيَنْتَجِعُ مَسَاقِطَ الْعَمَائِمِ الصَّيِّبَةِ، وَيُورِدُهَا الْمَاءَ النَّمِيرَ ⁽¹⁷⁾، وَيَبْتَغِ ⁽¹⁸⁾ بِهَا النَّمَاءَ وَالنَّتْمِيرَ، وَيُصْلِحَ

1- ق، ع: ساقط.
2- ق: "بلوغ". ولعل الصواب ما أثبت؛ ف "تكفل" يتعدى بالحرف.
3- ق، ع: "ندخر" بدال مهملة، "من دَخَرَ الرجل بالفتح، يدْخِر دخورا: ذل وصغرُ يصغر صغارا" لسان العرب / دخر: 5/ 226. ولعل الصواب ما ثبت في الأصل.
4- أ، م: "يهمل" والمثبت من ق، ع. وذلك تماشيا مع السياق.
5- ق، ع: "ترشدكم" عاد الضمير على النصيحة.
6- أ، م: "درعنكم"، والمثبت من ق، ع.
7- ق: "للشاهد". ولعل الصواب ما أثبت؛ إذ السياق سياق جهاد وشهادة.
8- أ، ع، م: "لنترع". والمثبت من ق، ولعله الصواب؛ لأن "أترع الكأس: ملأها" أساس البلاغة / ترع: 93 / 1.
9- ق: "صبيبتكم". وهو تحريف.
10- ق: "فتحصل"، ع: "فليتحصل". ولعل الصواب ما أثبت؛ "فليتحصل" معطوفة على "لنتنام".
11- م: "نفصلكم". ولعل الصواب هو المثبت؛ ففاعل "تفضلكم" هو "الرعية". أما رواية "نفصلكم" فتقتضي زيادة حرف "على" أي "لا نُفْضَلُكُمْ على رعية" حتى يتم المعنى.
12- ق، ع: "لعلنا".
13- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع.
14- م: "استرفناه".
15- أ: "ملأتنا"، والمثبت من ق، ع، م.
16- ق: "المرعى".
17- "ماء نمير: عذب ناجع" أساس البلاغة / نمير: 304 / 2.
18- أ، م: "ويبتغي" ولعل الصواب هو المثبت؛ لأنه مجزوم لعطفه على يقصد.

خَلَّلَهَا وَيُدَاوِ (1) عِلَّهَا؛ قَلَّ عَدَدُهَا، وَعَدِمَتْ (2) غَلَّتْهَا وَوَلَدَهَا. فَتَدِمَ عَلَى مَا ضَيَّعَهُ فِي أَمْسِهِ، وَجَنَى عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِهِ.

وَالْفَيْنَاكُمْ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ الْمَيَّامِينَ (3) عَلَيْكُمْ، قَدْ غَمَرْتَكُمْ آلاءُ اللَّهِ وَنِعَمُهُ، وَمَلَأْتُ أَيْدِيَكُمْ مَوَاهِبُهُ وَقِسْمُهُ، وَشُغِلَ عَدُوُّكُمْ بِفِتْنَةِ قَوْمِهِ، فَنِمْتُمْ لِلْعَافِيَةِ فَوْقَ مِهَادٍ، وَبَعَدَ عَهْدُكُمْ (4) بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ جُهْدٍ وَجِهَادٍ، وَمَحْمَصَةِ وَسُهَاةٍ، فَأَشْفَقْنَا أَنْ يَجْرُكُمْ (5) تَوَالِي الرَّخَاءِ إِلَى الْبَطَرِ، أَوْ تَحْمِلَكُمْ الْعَافِيَةُ عَنِ الْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ - وَهِيَ أخطرُ الخطرِ - أَوْ تَجْهَلُوا (6) مَوَاقِعَ فَضْلِهِ تَعَالَى وَكَرَمِهِ، أَوْ تَسْتَعِينُوا عَلَى مَعْصِيَتِهِ بِنِعَمِهِ. فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ فِي الرَّخَاءِ عَرَفَهُ (7) فِي الشَّدَّةِ (8)، وَمَنْ اسْتَعَدَّ فِي الْمَهْلِ وَجَدَ مَنَفَعَةَ الْعُدَّةِ، وَالْعَاقِلُ مَنْ لَا يَغْتَرُّ بِالْحَرْبِ (9) أَوْ السَّلْمِ بِطُولِ الْمُدَّةِ؛ فَالْدَّهْرُ مُبْلِي الْجِدَّةِ وَمُسْتَوْعِبُ (10) الْعُدَّةِ.

وَإِخْوَانُكُمْ الْمُسْلِمُونَ (11) قَدْ شُغِلُوا الْيَوْمَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَصْرِكُمْ (12)، وَسَلَّمُوا [لِلَّهِ] (13) فِي أَمْرِكُمْ، وَفُتِحَتِ الْأَيْدِي - وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - بِشَعْرِكُمْ، وَأَهْمَتَهُمْ فِتْنٌ تَرَكْتَ رُسُومَ الْجِهَادِ خَالِيَةً

1- جميع النسخ: "يداوي"، ولعل الصواب ما أثبت؛ لجزمها بلم.

2- أ: "عدم"، والمثبت من ق، ع. م: "جذبت".

3- م: "الميامين" وكلاهما صحيح.

4- أ: "غمركم"، والمثبت من باقي النسخ.

5- ق: "يجرمكم". ولعل الصواب ما أثبت؛ فَيُجَرِّمُكُمْ من "جَرَّمْنَاهُ: قطعناه وأُتِمْنَاهُ" أساس البلاغة / جرم: 135 / 1

6- ق: "لا تجعلوا". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي عدم معرفة مواقع فضله تعالى وجهلها تشكل خطرا على الإنسان.

7- ق، ع: "ويجده".

8- قال ﷺ: (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) أخرجه البخاري في صحيحه 134 / 2

9- ق، ع: "في الحرب". ولعل الصواب ما أثبت؛ "وما غرك بفلان أي كيف اجترات عليه واغتررت به ظننت الأمن فلم أتخفظ"

م. م/ غرر، ص: 169

10- ع: "مستوعب" وهو تصحيف.

11- ق، ع: "والمسلمون إخوانكم".

12- أ: "نظركم"، والمثبت من ق، ع، م.

13- ق: ساقط.

خَاوِيَةً، وَرِيَاضَ الْكَتَائِبِ الْخُضِرِ ذَابِلَةً دَاوِيَةً⁽¹⁾. فَإِنْ لَمْ تُشَمِّرُوا⁽²⁾ لِمَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِي هَذِهِ الْبُرْهَةِ
فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ وَإِذَا لَمْ تَنْتَصِرُوا⁽³⁾ بِاللَّهِ مَوْلَاكُمْ فَبِمَنْ تَنْتَصِرُونَ⁽⁴⁾؟ وَإِذَا لَمْ تَسْتَعِدُّوا فِي الْمَهْلِ مَتَى
تَسْتَعِدُّونَ؟ لَقَدْ خَسِرَ مَنْ رَضِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالْذُّونِ {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ
إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}⁽⁵⁾.

وَمِنَ الْمُنْفُولِ عَنِ الْمِلَلِ وَالْمَشْهُورِ فِي الْأَوَاخِرِ وَالْأَوَّلِ (أَنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا فَشَتْ فِي قَوْمٍ أَحَاطَ
بِهِمْ سُوءُ كَسْبِهِمْ)⁽⁶⁾ وَأَظْلَمَ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وَأَنْقَطَعَتْ [عَنْهُمْ]⁽⁷⁾ الرَّحِمَاتُ، وَوَقَعَتْ فِيهِمْ
الْمَثَلَاتُ⁽⁸⁾ وَالنَّقَمَاتُ، وَشَحَّتِ السَّمَاءُ، وَغِيضَ الْمَاءُ⁽⁹⁾، وَاسْتَوَلَتْ الْأَعْدَاءُ، وَانْتَشَرَ⁽¹⁰⁾ الدَّاءُ،
وَجَفَّتِ الضُّرُوعُ، وَأَخْلَفَتِ⁽¹¹⁾ الزُّرُوعُ. فَوَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَخَوَّلَكُمْ⁽¹²⁾ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالذِّكْرِ الَّتِي
تُوقِظُ مِنَ السَّنَةِ، وَتَقَرِّعُ آذَانَكُمْ بِقَوَارِعِ الْأَلْسِنَةِ، فَاقْرَعُوا⁽¹³⁾ الشَّيْطَانَ بِوَعِيهَا، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِرَعِيهَا.

¹ - ق، ع: "دابلة دأوية". بدال مهملة، وهو تصحيف. "دَبَلُ الشَّيْءِ يَدْبِلُهُ وَيَدْبُلُهُ دَبْلًا: جَمَعَهُ كَمَا تَجْمَعُ اللَّقْمَةُ بِأَصَابِعِكَ" لسان
العرب / دبل: 214 / 5. و"دأوية ودأوية بالتخفيف المفازة" لسان العرب / دوا: 334 / 5. و"ذاو أي لا يصيبه رِيُّهُ أو يضربه الحر
فيذبل ويضعف" لسان العرب / ذوي: 52 / 6
² - أ، م: "تشعروا". والمثبت من ق، ع
³ - ق، ع، م: "تستصروا". وكلاهما صحيح.
⁴ - م: "تستصرون".
⁵ - ع: "الخاسرون". [سورة الأعراف، الآية: 99].
⁶ - أخرج الإمام ابن ماجه في سننه والبخاري والبيهقي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، برقم 156
⁷ - ق: ساقط.
⁸ - اقتباس من قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ۚ} سورة الرعد، الآية: 6
⁹ - قال تعالى: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اقلعي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ} سورة هود، الآية: 44
¹⁰ - ق: "أنشئ".
¹¹ - ق: "أخلف"، ع: "أخلفت النجوم والشجر: لم تمطر ولم تنثر" أساس البلاغة / خلف: 264 / 1
¹² - أ، م: "نخولكم" والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب، حيث ورد في الصحيحين عن ابن مسعود قال: (كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا)
¹³ - ق، ع: "فاقنعوا" وهو تحريف.

الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ فَلَا تُهْمِلُوهَا، وَوُضَائِفُهَا الْمَعْرُوفَةُ فَكَمِّلُوهَا؛ فَهِيَ الرُّكْنُ الْوَثِيقُ، وَالْعَلَمُ⁽¹⁾ الْمَائِلُ⁽²⁾ عَلَى جَادَةِ الطَّرِيقِ، وَالْخَاصَّةُ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا هَذَا الْفَرِيقُ. وَبَادِرُوا صُفُوفَهَا الْمَائِلَةَ، وَأَتَّبِعُوا فَرِيشَتَهَا بِالْإِنْفَالَةِ، وَأَشْرِعُوا إِلَى تَارِكِهَا أَسِنَّةً⁽³⁾ الْإِنْكَارِ، وَاعْتَمُوا بِهَا نَوَاشِيَّ⁽⁴⁾ اللَّيْلِ وَمَبَادِي الْأَسْحَارِ. وَالزَّكَاةُ أُخْتُهَا الْمَنْسُوبَةُ وَلِدَتُهَا⁽⁵⁾ الْمَكْتُوبَةُ الْمَحْسُوبَةُ، وَمَنْ مَنَعَهَا فَقَدْ بَخَلَ عَلَى مَوْلَاهُ بِالْيَسِيرِ مِمَّا أَوْلَاهُ، وَمَا أَحَقَّهُ بِذَهَابِ هِبَةِ اللَّهِ وَأَوْلَاهُ. فَاسْتَرُوا مِنَ اللَّهِ كَرَائِمَ أَمْوَالِكُمْ بِالصَّدَقَاتِ، وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُرْبِحْكُمْ أَضْعَافَ النَّفَقَاتِ، وَوَاسُوا سُؤَالَكُمْ كُلَّمَا نُصِبَتِ الْمَوَائِدُ، وَأُعِيدَتِ لِلْقُرْبِ⁽⁶⁾ الْعَوَائِدُ. وَارْعَوْا حَقَّ الْجَارِ، وَخُذُوا عَلَى أَيْدِي الدَّعَرَةِ⁽⁷⁾ وَالْفَجَّارِ.

وَاصْرِفُوا⁽⁸⁾ الشَّتَانَ عَنِ⁽⁹⁾ الصُّدُورِ، وَاجْعَلُوا صِلَةَ الْأَرْحَامِ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ، وَصُونُوا عَنِ الْإِغْتِيَابِ أَفْوَاهَكُمْ، وَلَا تُعَوِّدُوا السَّقَاهَةَ شِفَاهَكُمْ⁽¹⁰⁾، وَأَقْرِضُوا الْقَرْضَ الْحَسَنَ إِلَهُكُمْ⁽¹¹⁾، وَعَلِّمُوا الْقُرْآنَ صِبْيَانَكُمْ؛ فَهُوَ أَسُّ [هَذَا]⁽¹²⁾ الْمَبْنَى، وَارْزَعُوهُ⁽¹³⁾ فِي تُرَابِ تُرَابِيهِمْ⁽¹⁴⁾، فَعَسَى أَنْ يُجْنَى. وَلَا تَتْرَكُوا النَّصِيحَةَ لِمَنْ اسْتَنْصَحَ، وَرُدُّوا⁽¹⁵⁾ السَّلَامَ عَلَى مَنْ بَتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ أَفْصَحَ. وَجَاهِدُوا أَهْوَاءَكُمْ

¹ - ق: "العمل". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي العلامة التي تدل على صحة الطريق وصوابه.

² - ق: "المؤتل". "شرف مؤتل وأثيل: أي له مجد" أساس البلاغة / أثل: 21 / 1

³ - ق: "الأسنة". ولعل الصواب ما أثبت؛ فقد استعيرت للإنكار صفة الرمح وهي "أسنة"، وأشرعت الرمح أي أملتته تهيؤا لإخراجه من غمده.

⁴ - ق: "نواهي"، م: "نواصي". ولعل الصواب ما أثبت؛ بدليل قوله تعالى: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً} سورة المزمل، الآية: 6

⁵ - اللَّذَّةُ أَي التَّرْبُّبُ وَهُوَ الَّذِي وَلَدَ مَعَكَ أَوْ تَرَبَّى مَعَكَ.

⁶ - ق: "للتقرب"، ع: "للترف".

⁷ - ق: "الدعة". ولعل الصواب ما أثبت؛ فالدعة مرادفة للفجار.

⁸ - ق، ع: "أخرجوا". وكلاهما صحيح.

⁹ - ق: "من".

¹⁰ - ع: "شفالكم" وهو تحريف.

¹¹ - قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} سورة البقرة،

الآية: 245

¹² - ق: ساقط

¹³ - م: "ارزعوهم". ولعل الصواب ما أثبت؛ حيث يعود الضمير على الأس.

¹⁴ - م: "ترايبهم". والترايب: منحدر ترابي.

¹⁵ - أ، م: "رد"، والمثبت من ق، ع

فَهِيَ أُولَى مَا جَاهَدْتُمْ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ⁽¹⁾. وَثَابِرُوا عَلَى حَقِّ الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، وَحُفُّوا⁽²⁾ بِمِرَاقِي النَّكَلِ. وَتَعَلَّمُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا لَا يَسَعُكُمْ [عِنْدَ اللَّهِ]⁽³⁾ جَهْلُهُ، وَبَيِّنْ لَكُمْ حُكْمَ اللَّهِ أَهْلُهُ. فَمِنْ الْقَبِيحِ أَنْ يَقُومَ أَحَدُكُمْ عَلَى مُعَالَجَةِ بُرِّهِ وَشَعِيرِهِ، وَرِعَايَةِ شَاتِهِ وَبَعِيرِهِ، وَلَا يَقُومَ عَلَى شَيْءٍ يُخَلِّصُ لَهُ⁽⁴⁾ قَاعِدَةَ اعْتِقَادِهِ، وَيُعِدُّهُ مَنَاجَاةً لِيَوْمِ مِيعَادِهِ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}⁽⁵⁾، وَأَنْفُوا مِنَ الْحَوَادِثِ الشَّنِيعَةِ، وَالْبِدَعِ الَّتِي تَقُتُّ⁽⁶⁾ فِي عَضْدِ الشَّرِيعَةِ؛ فَقَدْ شَنَّ عَلَيْهَا لِلْمُتَلَبِّسَةِ بِأَهْلِ التَّصَوُّفِ⁽⁷⁾ الْمَغَارُ، وَنَالَ جَهْلَتَهَا⁽⁸⁾ بَلْ جُهَّالَتَهَا⁽⁹⁾ بِإِغْمَاضِهِمُ الصَّغَارُ، وَتُوَوَّلَ الْمَعَادُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ.

وَإِذَا لَمْ يَغْرِ الرَّجُلُ عَلَى دِينِهِ وَدِينِ أَبِيهِ⁽¹⁰⁾ فَعَلَى مَنْ يَغَارُ؟ فَالْأَنْبِيَاءُ الْكَرَامُ وَوَرِثَتُهُمُ الْعُلَمَاءُ الْأَعْلَامُ، هُمْ أَمِمةُ الْإِقْتِدَاءِ، وَالْكَوَائِبُ الَّتِي عَيْنُهَا الْحَقُّ لِلِإِهْتِدَاءِ. فَاحْذَرُوا مَعَاطِبَ هَذَا الدَّاءِ، وَدَسَائِسَ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ. وَأَهْمُ مَا صَرَفْتُمْ إِلَيْهِ الْوُجُوهَ، وَاسْتَدْفَعْتُمْ بِهِ⁽¹¹⁾ الْمَكْرُوهَ الْعَمَلُ عَلَى مَا فِي الْآيَةِ الْمُتَلَوَّةِ، وَالْحِكْمَةِ السَّافِرَةِ الْمَجْلُوءَةِ، مِنْ ارْتِبَاطِ الْخَيْلِ وَإِعْدَادِ الْقُوَّةِ⁽¹²⁾.

فَمَنْ كَانَ ذَا سَعَةٍ فِي رِزْقِهِ فَلْيَقُمْ لِلَّهِ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ حَقِّهِ، وَلْيَتَّخِذْ فَرَسًا يَعْلَمُ⁽¹³⁾ مَحَلَّتَهُ

1- قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} سورة النمل، الآية: 91
2- ق: "احفلوا"، م: "حقوا". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي حفوا وأحيطوا علما بما يرقى كلامكم ويعلي شأنه.
3- أ، ق، م: ساقط، والمثبت من ع
4- ق، ع: "به".
5- سورة المؤمنون، الآية: 15
6- ق: "تفت". "فت الماء الحار بالبارد يفته فتا: كسره وسكّنه" لسان العرب / فثث: 128 / 11
7- م: "بالصرف" وهو مصطلح صوفي.
8- ع: "حملتها".
9- ق، ع: "جهلتها".
10- ق: "الله".
11- ق، ع: "إليه". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي استدفعتم وأبعدتم به المكروه هو العمل بما أنزل في الكتاب والسنة.
12- م: "العدة". وكلاهما صحيح.
13- ق، ع: "تعلم" حيث نائب الفاعل هو "محلتها". و "يعلم" فاعلها "من كان في سعة"

بِصَهْلِهِ، وَيَقْتَنِي (1) أَجْرَهُ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ فِي سَبِيلِهِ. فَكَمْ يَتَحَمَّلُ مِنْ عِيَالٍ يَلْتَمِسُ (2) مَرْضَاتِهِنَّ بِاتِّخَاذِ الزَّيْنَةِ، وَالْعُرُوضِ النَّمِيَّةِ، وَالتَّنَافُسِ فِي تَرْفِ الْمَدِينَةِ. وَمُؤْنَةُ الْإِرْتِبَاطِ أَقْلٌ، وَعَلَى [أَهْلِ] (3) الْهِمَّةِ وَالذِّينِ أَدْلُ، إِلَى مَا فِيهِ مِنْ حِمَايَةِ الْحَوَازَةِ وَأَظْهَارِ الْعِزَّةِ. وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ الرَّمْيَ فَلْيَتَدَرَّبْ، وَبِاتِّخَاذِ السَّلَاحِ إِلَى اللَّهِ فَلْيَتَقَرَّبْ، فَقَبْلَ الرَّمْيِ تُرَاشُ السَّهَامُ (4)، وَعَلَى الْعَبْدِ الْإِجْتِهَادُ، وَعَلَى اللَّهِ التَّمَامُ. وَالسَّكَّةُ (5) الْجَارِيَةُ حَدِيثُ نَوَادِيكُمُ، وَأَنْثَمَانُ الْعُرُوضِ الَّتِي بِأَيْدِيكُمْ. فَمَنْ تَحَيَّفَ حُرُوفَهَا (6) وَنَكَرَ مَعْرُوفَهَا، أَوْ سَامَحَ فِي قَبُولِ زَيْفٍ، أَوْ هُجُوسٍ (7) حَيْفٍ؛ فَقَدْ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَخَانَ نَفْسَهُ وَسِوَاهُ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (8)

وَلْتَعْلَمُوا أَنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّمَا بَعَثَهُ اللَّهُ مُجَاهِدًا، وَفِي الْعَرَضِ الْأَدْنَى زَاهِدًا، وَبِالْبَلَاغِ (9) رَاضِيًا وَبِالْحَقِّ قَاضِيًا، وَعَنِ الْهَفَوَاتِ حَلِيمًا مُتَعَاضِيًا. فَتَمَسَّكُوا بِحَبْلِهِ، وَلَا تُعَرِّجُوا عَنْ سَبِيلِهِ (10)، وَبِرَعَاةِ الرِّجْلِ فِي نَجْلِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ

1- ع: "وينثي". "نثا الحديث والخبر نثوا: حَدَّثَ بِهِ وَأَشَاعَهُ وَأَظْهَرَهُ" لسان العرب / نثا: 14 / 190

2- ع: "تلتمس" على أساس بنائه للمجهول؛ أي تَلْتَمَسُ مَرْضَاتَهُنَّ.

3- ق، ع: ساقط.

4- مثل يضرب في الاستعداد للأمر قبل وقوعه. مجمع الأمثال، الميداني، ط بيروت، 1958، 1 / 254

5- السكة: "حديدة قد كتب عليها يضرب عليها الدراهم وهي المنقوشة... والسكة الدينار والدرهم المضروبين، سمي كل واحد منهما سكة لأنه طبع بالحديدة المعلمة له" لسان العرب / سكك: 7 / 218

6- ق: "صروفها"، ع: "خروفها".

7- ق: "منحوس"، ع: "فنجوس". ولعل الصواب ما أثبت؛ فالهجوس من "هجس في قلبي أمر، ووقع له ووقع له هاجس" أساس البلاغة/ هجس: 2 / 363، أي تفكير المرء في الظلم.

8- الشعراء: 183.

9- م: "والسلاح". ولعل الصواب ما أثبت، أي راضيا بتبليغ شرع الله ورسالته.

10- ق، ع: زيادة: "يوردكم الله في سجله".

فِيهِمْ ۖ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ (1) وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (2) وَإِنْ كَانَ فِي وَطَنِكُمْ (3) سَعَةً، وَقَدْ أَلْحَقَكُمْ (4) أَمْنًا (5) وَدَعَةً، فَاحْسِبُوا أَنَّكُمْ فِي بَلَدٍ مَحْصُورٍ، وَبَيْنَ لِحْيَيْ (6) أَسَدٍ هَاصِرٍ. اكْتَفَكُمْ (7) بَحْرٌ يَعْبُ عِبَابُهُ، وَدَارَ بِكُمْ سُورٌ بِيَدِ عَدُوِّكُمْ بَابُهُ، وَلَا يُدْرَى مَتَى يَنْتَهِي السَّلْمُ، وَيَتَعَبُ (8) الْكَلِمُ؟ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بِنَاءً مَرْصُوصًا، وَتَسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ عُمُومًا وَخُصُوصًا، أَصْبَحَ الْجَنَاحُ مَقْصُوصًا، وَالرَّأْيُ سَلْبَتُهُ الْحَيْرَةُ (9)، وَالْمَالُ وَالْحَرِيمُ قَدْ سَلِمَتْ فِيهِ الضَّنَانَةُ وَالْغَيْرَةُ. وَإِنْ أَنْشَأَ اللَّهُ رِيحَ الْحَمِيَّةِ، وَنُصِرَتِ النُّفُوسُ عَلَى الْخَيَالَاتِ الْوَهْمِيَّةِ {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ (10) وَلِلْمُؤْمِنِينَ (11) وَاللَّهُ مُتِمٌّ عَلَى رُغْمِ الْجَاذِبِينَ وَكَرِهَةِ الْكَافِرِينَ} {وَكَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِيهَا كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (12)}. وَاعْتَقِدُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلِ الظُّهُورَ مَقْرُونًا بِعَدَدٍ كَثِيرٍ، وَجَرَادٍ (13) مَزْرَعَةٍ آثَارُهَا مُثِيرٌ، إِنَّمَا هُوَ إِخْلَاصٌ لَا يَنْبَغِي (14) لِغَيْرِ اللَّهِ افْتِقَارًا، وَنُفُوسٌ تُوسَّعُ مَا بَيْنَ (15) الْحَقِّ اخْتِقَارًا (16)، وَوَعْدٌ يَصْدُقُ، وَبَصَائِرُ (17) أَبْصَارُهَا إِلَى مَنَابَةِ الْجَزَاءِ تُحَدِّقُ.

- 1- م: "يعذبهم".
- 2- سورة الأنفال، الآية 33.
- 3- ق، ع: "بزيادة": "اليوم".
- 4- ق: "ألحقكم". وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي جعل لحافكم الأمن والراحة.
- 5- ق، ع: "أمنًا من الله".
- 6- ع: "الخيي"، م: "الجتي". واللي: "منبت اللحية من الإنسان وغيره" لسان العرب / لحي: 13 / 185. و"الخلا: اعوجاج في اللي" لسان العرب / لخا: 13 / 187.
- 7- أ، م: "كنفكم". والمثبت من ق، ع.
- 8- ق: "يبعث"، ع: "بيعت"، م: "يشعب". "تعب الماء والدم ونحوهما يثعبه ثعبًا: فجره" لسان العرب / ثعب: 3 / 18.
- 9- أ: "الخيرة"، والمثبت من ق، ع، م.
- 10- ق، ع: "ولرسوله".
- 11- م: "والمؤمنين" يقول الله تعالى: {يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} سورة المنافقون، الآية: 8.
- 12- سورة البقرة، الآية: 249.
- 13- ق: "جراد".
- 14- ق، ع: "يبغي".
- 15- أ، م: "ما سوى". والمثبت من ق، ع.
- 16- م: "اختصارا".
- 17- أ: "نصائر" والمثبت من باقي النسخ.

وَهَذَا الدِّينُ ظَهَرَ مَعَ الْغُرْبَةِ⁽¹⁾، وَشَطَبِ⁽²⁾ الْقُرْبَةِ⁽³⁾، فَلَمْ تَرَعُهُ الْأَكَاسِرَةُ وَقُبُولُهَا⁽⁴⁾،
وَالْأَقَاصِرَةُ وَقُبُولُهَا⁽⁵⁾، دِينَ حَنِيفٍ، وَعِلْمٌ مَنِيفٌ⁽⁶⁾ مِنْ وَجُوهِ شَطَرِ الْمَسْجِدِ⁽⁷⁾ الْحَرَامِ تَوَلَّى⁽⁸⁾، وَأَيَّاتٌ
عَلَى سَبْعَةِ الْأَحْرَفِ تُتْلَى⁽⁹⁾، وَرَكَاتَةٌ مِنَ الصَّامِمِ تُنْتَقَى⁽¹⁰⁾، وَصَوْمٌ بِهِ إِلَى الْمَعَاجِرِ يُرْتَقَى، وَحَجٌّ
وَجِهَادٌ، وَمَوَاسِمٌ وَأَعْيَادٌ لَيْسَ إِلَّا تَكْبِيرٌ جَهِيرٌ⁽¹¹⁾، وَآذَانٌ شَهِيرٌ، وَقُوَّةٌ تُعَدُّ، وَتُغَوَّرُ لِلْإِسْلَامِ تُسَدُّ،
وَفِيءٌ⁽¹²⁾ يُقَسَّمُ⁽¹³⁾، وَفَخْرٌ يُرْسَمُ، وَنَصِيحَةٌ تُهْدَى، وَأَمَانَةٌ تُؤَدَّى، وَصَدَقَةٌ تُخْفَى وَتُبْدَى، وَصُدُورٌ
تُشْرَحُ وَتُشْفَى، وَخُلُقٌ مِنْ خُلُقِ الْقُرْآنِ تُخَذَا⁽¹⁴⁾.

فُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا الْعَقْدُ قَدْ سُجِّلَ، وَالْمَوْعُودُ بِهِ قَدْ عُجِّلَ {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}⁽¹⁵⁾. وَلَا يَنْقَطِعُ لِهَذَا الْفَرْعِ عَادَةٌ
وَصَلِّهِ⁽¹⁶⁾ مَا دَامَ شَبِيهَاً بِأَصْلِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ حَلَبٌ لَكُمْ زُبْدَتُهُ الْمَمْخُوضَةُ⁽¹⁷⁾ [وُخْلَاصَتُهُ

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ". أخرجه مسلم
حديث (145)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الفتن " " باب بدأ الإسلام غريباً " حديث 3986
2- ق: "شطف"، "بالتحريك: شدة العيش وضيقه" لسان العرب / شطف: 82 / 8. ع: "شطف"، "شَطَفَ وَشَطَبَ إِذَا ذَهَبَ وَتَبَاعَدَ"
لسان العرب / شطف: 81 / 8. ولعل الصواب ما أثبت أي ابتعد المسلمون عن أهلهم بعد الهجرة.
3- ق، ع: "التربة". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي تباعدت القرابة بين الأهل.
4- ق، ع: "فيولها". وقبول "جمع قِيلَ وهو رئيس أو ملك من ملوك حمير في اليمن" لسان العرب / قيل: 250/12
5- ق، ع: "فيولها".
6- أي مرتفع شامخ دلالة على علو كعبهم في علوم الدين.
7- ق: "وجه الله"، ع: "مسجد الله".
8- ق، ع: "مولى". حيث يعود الضمير على العلم.
9- يقول عليه السلام: " أَفْرَأْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى حَرْفٍ فَرَجَعْتُهُ ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ"
رواه البخاري (3047) ومسلم (819).
10- ق، ع: "تنقى". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أنها تؤخذ من خالص المال.
11- ق، ع: "حميد". ولعل الصواب ما أثبت لإتمام السجع.
12- أ، ق، م: "نبي"، والمثبت من ع.
13- ع: "بقسم".
14- أ، ع، م: "تحدى". ق: "تهدى". ولعل الصواب ما أثبت؛ بمعنى الاقتداء بأخلاق القرآن الكريم.
15- المائدة: 3.
16- ق، م: "وصلة". ولعل الصواب ما أثبت؛ لتناسب "وصله" "أصله" في تشكيل السجع.
17- أ: "المخوضه" لم أجد لها أصل، والمثبت من ق، ع، ولعلها الصواب أي "الذي قد مخض وأخذ زبده" لسان العرب /
14 / 35. م: "المخوضه". من "الْخَضَضُ: السَّقَطُ فِي الْمَنْطِقِ" لسان العرب / خضض: 91 / 5
18- ق: ساقط.

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ⁽¹⁾ {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ}⁽²⁾

وَحَضَرْتُكُمْ الْيَوْمَ قَاعِدَةُ الدِّينِ، وَغَابُ⁽³⁾ الْمَجَاهِدِينَ، وَقَدْ اخْتَرَعْتُ فِي⁽⁴⁾ أَيَّامِنَا هَذِهِ⁽⁵⁾ وَأَيَّامِ
الْمُقَدَّسِ وَالِدُنَا الْآثَارِ الْكِبَارِ، وَالْحَسَنَاتُ الَّتِي تُثَوِّقُ بِهَا الْأَخْبَارُ، وَأُغْفِلَتْ⁽⁶⁾ إِلَى زَمَنِكُمُ الْحَسَنَةُ
الْمَذْخُورَةُ، وَالْمُنْقَبَةُ الْمَبْرُورَةُ، وَهِيَ مِيَارِسْتَانُ⁽⁷⁾ يَضُمُّ مِنْكُمْ الْمَرْضَى الْمُطَّرَحِينَ، وَالضُّعَفَاءَ
الْمُعْتَرِبِينَ⁽⁸⁾ مِنْهُمْ وَالْمُنْتَرَحِينَ فِي كُلِّ حِينٍ. فَأَنْتُمْ تَطْوُونَهُمْ⁽⁹⁾ بِالْأَقْدَامِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ، يَنْظُرُونَ
إِلَيْكُمْ بِالْعُيُونِ الْكَالِيلَةِ، وَيُعْرَبُونَ عَنِ الْأَحْوَالِ الذَّلِيلَةِ⁽¹⁰⁾، وَضُرُورَتُهُمْ غَيْرُ خَافِيَةٍ، وَمَا أَنْتُمْ بِأَوْلَى
مِنْهُمْ بِالْعَافِيَةِ، وَالْمَجَانِينَ تَكْثُرُ مِنْهُمْ الْوَقَائِعُ، وَيَفْشُو⁽¹¹⁾ بِالْإِنَاتِ مِنْهُمْ الْعُھْرُ الدَّائِعُ، عَارٌّ
تَحْظُرُهُ⁽¹²⁾ الشَّرَائِعُ، [وَفِي]⁽¹³⁾ مِثْلَهَا تُسَدُّ⁽¹⁴⁾ الذَّرَائِعُ⁽¹⁵⁾.

وَقَدْ فَضَلْتُمْ أَهْلَ مِصْرَ⁽¹⁶⁾ وَبَغْدَادَ⁽¹⁷⁾، بِالرِّبَاطِ الدَّائِمِ وَالْجِهَادِ، فَلَا أَقَلَّ مِنَ الْمُسَاوَاةِ فِي مَعْنَى،

1- قال تعالى: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْعَيْنَا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} سورة
الأعراف، الآية: 128.
2- قال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} سورة ص، الآية: 88.
3- غاب: "جمع غابة: الأجمة التي طالت ولها أطراف مرتفعة بأسفة" لسان العرب / غيب: 106 / 11.
4- أ، ع، م: "بها". والمثبت من ق.
5- أ، م: "هذا" والمثبت من ق، ع.
6- ق: "أعقلت" من "عقلت عنه غرمت عنه ما لزمه من دية وجناية" المصباح المنير. / عقل، ص: 160. ولعل الصواب ما
أثبت؛ أي أن الأعمال العظيمة لم يُهْتَمَّ بها إلا في زمنكم.
7- ع: "ينمارستان"، م: "يمارستان".
8- ع: "المعترين". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي الذين عانوا من الاغتراب والنزوح عن أوطانهم.
9- ق: "تطلونهم". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لا تعطونهم قيمة.
10- ع: "الدليلة" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أن أحوالهم تنطق عن الذل الذي أصابهم.
11- ق: "تغشوا"، ع: "تغشوا" م: "يعيثون". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي ينتشر بينهم ويكثر.
12- ق: "تحضره". وهو تصحيف.
13- ق: ساقط.
14- ق، ع: "تشد". وهو تصحيف.
15- ق: "الدرائع" بدال مهملة.
16- سميت مصر بمصر من مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام، وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه معجم البلدان 137/5.
17- بغداد: "أم الدنيا وسيدة البلاد؛ قال ابن الأنباري: أصل بغداد للأعاجم، والعرب تختلف في لفظها... وفي بغداد سبع لغات: بغداد
وبغدان، ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداد في آخره الذال المعجمة، وقالوا: لأنه ليس في كلام العرب كلمة فيها دال بعدها ذال"
معجم البلدان: 456 / 1

وَالْمَنَافَسَةِ فِي مَبْنَى، يُذْهِبُ عَنْكُمْ لَوَمَ الْجَوَارِ، وَيُزِيلُ عَنْ وُجُوهِكُمْ سِمَاتٍ⁽¹⁾ الْعَارِ، وَيَذُلُّ عَلَى هِمَّتِكُمْ، وَفَضْلٍ شِيمَتِكُمْ⁽²⁾. وَكَمْ مِنْ نَفَقَةٍ هَانَتْ عَلَى الرَّجُلِ فِي غَيْرِ مَشْرُوعٍ، وَحِرْصٍ اعْتَرَاهُ عَلَى مَمْنُوعٍ. فَأَشْرِعُوا النَّظَرَ فِي هَذَا الْمُهِمِّ خَيْرَ شُرُوعٍ.

فَلَوْلَا اهْتِمَامُنَا بِمُرْتَزَقَةِ دِيُونِكُمْ، وَإِعْدَادُنَا مَالَ الْجَبَايَةِ⁽³⁾ لِلْمُجَاهِدِينَ إِخْوَانِكُمْ، لَسَبَقْنَاكُمْ إِلَى هَذِهِ الزُّلْفَةِ⁽⁴⁾، وَقُمْنَا فِي هَذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِتَحْمُلِ الْكُلْفَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِذَا⁽⁵⁾ قُدْنَاكُمْ⁽⁶⁾ إِلَى الْجَنَّةِ بِنَبَائِهِ، وَأَسْهَمْنَاكُمْ فِي فَرِيضَةِ أَجْرِهِ وَثَنَائِهِ. فَنَحْنُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- [نُعِينُ]⁽⁷⁾ لَهُ الْأَوْقَافَ الَّتِي تَجْرِي [مِنْهَا]⁽⁸⁾ الْمَرْفَقَةُ⁽⁹⁾، وَتَتَّصِلُ عَلَيْهِ بِهَا الصَّدَقَةُ، تَأْصِيلًا لِفَخْرِكُمْ، وَإِطَابَةً فِي الْبِلَادِ لِدُكْرِكُمْ. فَلْيُشَاوِرْ أَحَدُكُمْ هِمَّتَهُ وَدِينَهُ، وَيَسْتَخْذِمِ يَسَارَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ⁽¹⁰⁾ وَيَمِينِهِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ كُلًّا لِهَذَا الْقَصْدِ الْكَرِيمِ وَيُعِينَهُ.

وَمِنْ وَرَاءِ هَذِهِ النَّصَائِحِ عَزْمٌ يُنْهِيهَا⁽¹¹⁾ إِلَى غَايَتِهَا، وَيُجْبِرُ⁽¹²⁾ الْكَافَّةَ عَلَى اتِّبَاعِ رَأْيِهَا وَرَأْيَتِهَا. فَأَعْمِلُوا الْأَفْكَارَ فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْفُصُولِ، وَتَلَقَّوْا دَاعِيَ اللَّهِ فِيهَا بِالْقَبُولِ، وَالْدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ

1- ق، ع: "سيمات". وهو تحريف.

2- ع: "سيمتكم". وهو تحريف.

3- ق: "الجبابة"، ع: "الجنابة"، م: "الجهاد" ولعل الصواب ما أثبت؛ إذ الجبابة ما يجمع من الضرائب.

4- ق: "الزلفة".

5- ق، ع: "فإننا". ولعل الصواب ما أثبت؛ لوجود جواب الشرط وهو "فنحن نعين".

6- م: "أخذناكم". وكلاهما صحيح.

7- أ: ساقط والمثبت من ق، ع. م: "نحبس".

8- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

9- م: "لمرفقه".

10- ق: "القصد"، ع: بزيادة: "الكريم".

11- أ، م: "يتنها"، والمثبت من ق، ع.

12- ق: "يجر" وكلاهما صحيح.

الْآخِرَةِ (1) وَكَمْ مُعْتَبِرٌ لِلنُّفُوسِ السَّاخِرَةِ بِالْعِظَامِ النَّاخِرَةِ (2). {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ} (3). وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ أَحَقُّ النَّاسِ بِقَبُولِ الْمَوْعِظَةِ (4) نُفُوساً رَزِيَّةً (5)، وَفُهُوماً لَا قَاصِرَةَ وَلَا بَكِيَّةً (6)، وَوَطْنَ جِهَادٍ، وَمُسْتَسْقَى غَمَائِمِ رَحْمَةٍ (7) [مِنْ] (8) اللَّهِ وَعَهَادٍ، وَبَقَايَا الْأَوَّلِ الَّذِينَ فَتَحُوا هَذَا الْوَطْنَ، وَلَلْقَوَا الْعَطَنَ (9). فَإِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ حُسْنُ الظَّنِّ بِأَدْيَانِكُمْ، وَصِحَّةِ أَيْمَانِكُمْ، وَتَسَاوِي (10) إِسْرَارِكُمْ [فِي طَاعَةِ اللَّهِ] (11) وَإِعْلَانِكُمْ.

اللَّهُمَّ إِنَّا (12) قَدْ خَرَجْنَا لَكَ فِيهِمْ عَنِ الْعَهْدَةِ الْمُتَحَمَّلَةِ، وَبَلَّغْنَاهُمْ نَصِيحَتَكَ الْمُكَمَّلَةَ، وَوَعَدْنَاهُمْ (13) مَعَ الْإِمْتِنَالِ رَحْمَتَكَ الْمُؤَمَّلَةَ، فَيَسِّرْنَا وَإَيَّاهُمْ لِلْيُسْرَى، وَعَرِّفْنَا لَطَائِفَكَ الَّتِي خَفِيَ مِنْهَا الْمَسْرَى، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ صَمَّ عَنِ النَّدَاءِ، وَأَصْبَحَ شِمَاتَةً لِلْأَعْدَاءِ. فَمَا ذَلَّ (14) مَنْ اسْتَنْصَرَ بِجَنَابِكَ، وَلَا ضَلَّ مَنْ اسْتَبْصَرَ بِسُنَّتِكَ وَكِتَابِكَ، وَلَا انْقَطَعَ مَنْ تَمَسَّكَ بِأَسْبَابِكَ. وَاللَّهُ يَصِلُ لَكُمْ عَوَائِدَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ، وَيَحْمِلُكُمْ وَإِيَّانَا عَلَى أَوْضَحِ سَبِيلٍ [وَاللَّهُ يَصِلُ سَعْيَكُمْ وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ] (15).

1- حديث مرفوع أورده الغزالي في الإحياء ، وفي الفردوس بلا سند عن ابن عمر مرفوعا : الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ، ولا تعمروها ، وفي الضعفاء للعليلي ومكارم الأخلاق لابن لال من حديث طارق بن أشيم رفعه : نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته ، الحديث . وهو عند الحاكم في مستدركه وصححه ، لكن تعقبه الذهبي بأنه منكر قال : وعبد الجبار يعني راويه لا يعرف . رقم الحديث: 483

2- ق : "النخرة" قال تعالى: {يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ، إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً} سورة النازعات، الآيات: 10-11. قرأها قراء المدينة والحجاز والبصرة "نخرة" بمعنى بالية. وقرأها قراء الكوفة "ناخرة" بمعنى مجوفة تنخر الرياح في جوفها إذا مرت بها. تفسير القرطبي: 190/19

3- سورة لقمان، الآية: 33.

4- أ، م: "المواعظ" والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب لاعتماد ظاهرة السجع.

5- ق : "زأكية" ولعل الصواب ما أثبت كي تناسب "بكية" في سجعها.

6- "البكي من الآبار : قليلة الماء" لسان العرب / بكي: 200 / 1

7- ع: " من رحمة".

8- ق، ع : ساقط.

9- "العطن للإبل كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض" لسان العرب / عطن: 155/10

10- ع : "تساوي". وهو تصحيف.

11- ق، ع : ساقط.

12- ع : "إننا".

13- ق: "واعدناكم"، ع: "واعدناهم". ولعل الصواب ما أثبت لأن "واعد" تقتضي المشاركة في الفعل. ومقصود المؤلف هو صدور الوعد منه.

14- ع : "دل" بدال مهملة، وهو تصحيف.

15- أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع.

وَالسَّلَامُ⁽¹⁾ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى⁽²⁾ وَبَرَكَاتُهُ.

¹- ق، ع: بزيادة: "الكَرِيمُ يَخْصُّكُمْ".
²- أ، ق، م: ساقط، والمثبت من ع.

[وَفِي هَذَا الْغَرَضِ أَيْضًا ⁽¹⁾]

مِنَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ
أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ نَصْرِ أَيْدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ ⁽²⁾.

إِلَى أَوْلِيَائِنَا الَّذِينَ نُوقِظُ مِنَ الْغَفْلَةِ أَجْفَانَهُمْ ⁽³⁾، وَنَدْعُوهُمْ لِمَا يُطَهِّرُ مِنَ الْإِرْتِيَابِ إِيْمَانَهُمْ،
وَنُخْلِصُ لَهُ إِسْرَارَهُمْ وَإِعْلَانَهُمْ، وَنَرِثِي ⁽⁴⁾ لِعَدَمِ إِحْسَانِهِمْ ⁽⁵⁾ وَخِيْبَةِ قِيَّاسِهِمْ، وَنَغَارُ مِنْ اسْتِيْلَاءِ
الْغَفْلَاتِ عَلَى أَنْوَاعِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ. وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَهُمْ وَلَنَا إِقَالََةَ الْعَثَرَاتِ، وَتَخْفِيزَ الشَّدَائِدِ الْمَفْتُورَاتِ ⁽⁶⁾،
وَكَفَّ أَكْفِ الْعَوَادِي الْمُبْتَدِرَاتِ، مِنْ أَهْلِ حَضْرَتِنَا غَرْبَاةَ دَافِعِ اللَّهِ [فِتْنَتُهُمْ] ⁽⁷⁾ الْغَرِيبَةِ، وَعَرَفَهُمْ فِي
الذَّرَارِي وَالْحَرَمِ عَارِفَةَ اللَّطَائِفِ الْقَرِيبَةِ ⁽⁸⁾، وَتَذَارَكَهُمْ بِالصَّنَائِعِ الْعَجِيبَةِ.

سَلَامٌ [كَرِيمٌ] ⁽⁹⁾ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ [تَعَالَى] ⁽¹⁰⁾ وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا نُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا، وَلَا نَجِدُ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ⁽¹¹⁾، مُبْتَلِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
[لِيَعْلَمَ] ⁽¹²⁾ أَيُّهَا أَقْوَى جَلَدًا، وَأَبْعَدَ فِي الصَّبْرِ مَدًّا، لِيَزِيدَ اللَّهُ [الَّذِينَ] ⁽¹³⁾ اهْتَدَوْا هُدًى ⁽¹⁴⁾.

1- ق، ع : ساقط ومكانه: "ومن ذلك".

2- ق، ع: "أيد الله أمره وأسعد عصره".

3- أ، ق: "أجفانكم"، والمثبت من ع، م، لتناسبها مع ما بعدها من ضمير الغائب.

4- ع: "نرى". وهو تحريف.

5- ق: "إحسانهم".

6- ق، ع: "المفتورات"، م: "المفتورات". ولعل الصواب ما أثبت؛ "بوجهه قنر وقنرة وهو ما يغشاه غبرة الكرب والموت"

أساس البلاغة / قنر: 51 / 2

7- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع، م.

8- ق: "الغريبة" وكلاهما صحيح.

9- ق، ع: ساقط.

10- أ، ق، م: ساقط، والمثبت من ع.

11- يقول تعالى: {وَأَنْتَ مَا أَوْجِي إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} سورة الكهف، الآية: 27

12- ق: ساقط.

13- ق: ساقط، م: "آمنوا واهتدوا".

14- يقول تعالى: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا} سورة مريم، الآية: 76.

وَالصَّلَاةِ ⁽¹⁾ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الَّذِي أَنْقَذَ مِنَ الرَّدَى، وَتَكَفَّلَ بِالشَّفَاعَةِ ⁽²⁾ غَدًا،
ضَارِبِ هَامِ الْعِدَا، وَمُجَاهِدِ مَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ وَلَدًا ⁽³⁾. وَالرَّضَى عَنْ آلِهِ الَّذِينَ كَانُوا لِسَمَاءٍ مِلَّتِهِ
عُمْدًا، فَلَمْ تَرَعْهُمْ الْكَتَائِبُ الْوَافِرَةُ وَإِنْ كَانُوا [هُمْ] ⁽⁴⁾ أَقْلُ عَدَدًا، وَلَا هَالَتْهُمْ ⁽⁵⁾ الْأُمَمُ الْكَافِرَةُ وَإِنْ كَانَتْ
أَكْثَرَ جَمْعًا وَأَظْهَرَ عَدَدًا. صَلَاةٍ لَا تَنْقَطِعُ أَبَدًا، وَرِضَى لَا يَبْلُغُ أَمَدًا.
فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابَكُمْ اللَّهُ مِمَّنْ أَمْتَلًا ⁽⁶⁾ قَلْبُهُ غَضَبًا لِلَّهِ وَحَمِيَّةً، وَرَمَى بِفِكْرَةِ عَقْلِهِ ⁽⁷⁾ عُرْضَ
الصَّوَابِ، فَلَمْ يَخْطُ ⁽⁸⁾ مِنْهُ هَدَفًا وَلَا رَمِيَّةً. وَقَدْ اتَّصَلَ بِنَا الْخَبَرُ الَّذِي يُوجِبُ نُصْحَ ⁽⁹⁾ الْإِسْلَامِ،
وَرَعَى الْجَوَارِ وَالْذِّمَامَ ⁽¹⁰⁾، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْإِمَامِ، إِيْقَاضُكُمْ ⁽¹¹⁾ مِنْ مَرَاقِدِكُمْ الْمُسْتَعْرِقَةِ،
وَجَمْعُ أَهْوَائِكُمْ الْمُفْتَرِقَةِ ⁽¹²⁾، وَهَوَانُ ⁽¹³⁾ كَبِيرِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ الَّذِي إِلَيْهِ يَنْقَادُونَ، وَفِي مَرْضَاتِهِ ⁽¹⁴⁾
يُصَافُونَ وَيُعَادُونَ، وَعِنْدَ رُؤْيَا صَلَاحِهِ يُكْبُونَ وَيَسْجُدُونَ، لَمَّا رَأَى الْفِتَنَ قَدْ أَكَلَتْهُمْ خَضْمًا
وَقَضْمًا ⁽¹⁵⁾، وَأَوْسَعَهُمْ هَضْمًا، فَلَمْ تَبْقِ عَضْبًا ⁽¹⁶⁾ وَلَا عَظْمًا، وَتَنَثَرَتْ مَا كَانَ نَظْمًا، أَعْمَلَ نَظْرَهُ فِي

¹ - ق، ع: بزيادة: "والسلام".

² - ق: "الشفعة". قال صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة **حلت له الشفاعة**) **رواه مسلم في صحيحه رقم الحديث 384**

³ - قال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَه قَانِتُونَ} سورة البقرة، الآية: 116

⁴ - ق، ع: ساقط.

⁵ - أ: "هابتهم"، م: "لأصابتهم". والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ إذ مقصود المؤلف لم تهلم أي تخفهم كثرة الجيش الكافر.

⁶ - ق: "امتلى" وكلاهما صحيح.

⁷ - ق: "قلبه".

⁸ - "وَحَطَّه بِالرَّمْحِ، وَوَحَطْتَهُ بِالسَّيْفِ: تَنَاوَلْتَهُ بِهِ مِنْ بَعِيدٍ" أساس البلاغة / وخط: 324 / 2

⁹ - ع: "مصح". "ومصح الشيء مصوحاً: ذهب وانقطع" لسان العرب / مصح: 82 / 14. وهو تحريف لبعد المعنى عن المقصود.

¹⁰ - ق، ع: "الذمام" بدال مهمل، وهو تصحيف

¹¹ - أ: "أيقظكم"، ع: "إيقاضكم". وهو تصحيف. والمثبت من ع، ولعله الصواب؛ لأن الخبر المقصود هو إيقاضهم من مراقدهم...

¹² - ق، ع، م: "المتفرقة" فرقت بين الكلامين فافترقا مخفف، وفرقت بين العبدین فتنفقا مُثَقَّل فجعل المخفف في المعاني

والمثقل في الأعيان" م. / فرق، ص: 179 ولعل الصواب ما أثبت؛ لارتباط الأهواء بالمعاني.

¹³ - م: "وهو أن"

¹⁴ - ع: "مرضاه الله". ولعل المقصود ما أثبت؛ أي يرضون ملك قشتالة ويفعلون ما يأمر به.

¹⁵ - ق، ع: "قسماً". "الخضم الأكل بأقصى الأضراس والقضم بأدناها" لسان العرب / خضم: 94 / 5

¹⁶ - م: "عصماً" وهو تحريف، وبعيد عن المعنى المقصود.

أَنْ (1) يَجْمَعُ مِنْهُمْ مَا افْتَرَقَ، وَيَرْفَعُ مَا طَرَقَ، وَيَرْقَعُ (2) مَا مَزَّقَ [الشَّتَاتُ] (3) وَخَرَقَ (4). فَرَمَى الْإِسْلَامَ بِأُمَّةٍ عَدَدُهَا الْقَطْرُ الْمُنْتَالُ (5)، وَالْجَرَادُ الَّذِي تُضْرَبُ (6) بِهِ الْأُمْتَالُ.

وَعَاهَدَهُمْ وَقَدْ حَضَرَ التَّمْنَالُ، وَأَمَرَهُمْ - وَشَأْنُهُمُ الْإِمْتِنَالُ - أَنْ يَدْمُثُوا (7) لِمَنْ ارْتَضَاهُ مِنْ أُمَّتِهِ الطَّاعَةِ، وَيَجْمَعُوا فِي (8) مِلَّتِهِ الْجَمَاعَةَ، وَيَطْلِعَ الْكُلُّ عَلَى هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْقَلِيلَةِ الْغَرِيبَةِ بَغْتَةً لِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَأَقْطَعَهُمْ قَطَعَ اللَّهُ [بِهِ] (9) الْعِبَادَ (10) وَالْبِلَادَ وَالطَّارِفَ وَالتَّلَادَ، وَسَوَّعَهُمُ الْحَرَمَ (11) وَالْأَوْلَادَ. وَبِاللَّهِ نَسْتَدْفِعُ مَا لَا نُطِيقُهُ، وَمِنْهُ نَسْأَلُ عَادَةَ الْفَرَجِ، فَمَا سُدَّ (12) طَرِيقُهُ، إِلَّا أَنَّنَا (13) رَأَيْنَا غَفْلَةَ النَّاسِ مَعَ تَصْمِيمِهِمْ مُؤَذِّنَةً بِالْبَوَارِ، وَأَشْفَقْنَا لِلدِّينِ [الْحَنِيفِ] (14) الْمُنْقَطِعِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ، وَقَدْ أَصْبَحَ مُضْغَةً فِي لَهَوَاتِ الْكُفَّارِ. وَارَدْنَا أَنْ نَهْزُكُمُ (15) بِالْمَوَاعِظِ الَّتِي تَكْحُلُ الْأَبْصَارَ بِإِثْمِدِ (16) الْإِسْتِبْصَارِ، وَلِنُلْهِمَكُمُ (17) [إِلَى] (18) الْإِنْتِصَارِ بِاللَّهِ عِنْدَ عَدَمِ الْأَنْصَارِ، فَإِنْ جَبَرَ اللَّهُ الْخَوَاطِرَ بِالضَّرَاعَةِ إِلَيْهِ

1- ق، ع: "فيما".

2- ق، ع: "يرفأ". ولعل الصواب ما أثبت؛ ف "هذا مرفأ السفن وقد أرفؤوها إلى الشط" أساس البلاغة / رفا: 367 / 1

3- ق: ساقط.

4- ع: "حرف". وكلاهما صحيح.

5- ق، ع: "المنتل". "نقلت الكنانة نثلا استخرجت ما فيها من النبل" المصباح المنير / نثل، ص: 226

6- ق، ع: "يضرب"، ولعل الصواب ما أثبت؛ لأن فاعل "تضرب" هي الأمثال.

7- ق، ع: "يدسوا"، م: "يهشوا". ولعل الصواب ما أثبت؛ "دمث لان وسهل.. ودمث الرجل دماثة سهل خلقه" م. م/ دمث، ص: 76

8- ق، ع: "من".

9- ق، ع: "بهم".

10- أ: "القياب"، والمثبت من ق، ع، م: "البلاد والعباد".

11- ق، ع: "الحريم" وهي جمع حرم.

12- ق، ع: "سدت". "الطريق يذكر في لغة نجد وبه جاء القرآن في قوله تعالى {فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا} ويؤنث في لغة الحجاز" المصباح المنير/ طرق، ص: 141

13- ق، ع: "أنا".

14- أ، ع، م: ساقط، والمثبت من ق.

15- ق: "نهركم"، ع: "نهزهم". ولعل الصواب ما أثبت.

16- أ، ع، م: "بميل". والمثبت من ق. ولعله الصواب؛ لأن "الميل بالكسر عند العرب مقدار مدى البصر في الأرض" م. م/ ميل، ص: 225

17- ع: "نهلمكم". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي نوجهكم إلى الطريقة المثلى لتحقيق النصر.

18- ق: ساقط.

وَالْإِنْكَسَارِ، وَنَسَخَ الْإِعْسَارَ بِالْإِيسَارِ، وَأَنْجَدَ الْيَمِينَ بِأُخْتِهَا⁽¹⁾ الْيَسَارِ؛ وَإِلَّا فَقَدْ تَعَيَّنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَظُّ الْخَسَارِ. فَإِنَّ مَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ عَدُوٌّ دِينِهِ وَهُوَ عَنِ اللَّهِ مَصْرُوفٌ، وَبِالْبَاطِلِ مَشْغُوفٌ، وَبِغَيْرِ الْعُرْفِ مَعْرُوفٌ، وَعَلَى الْخَطَايَا الْمَسْلُوبِ عَنْهُ مَلْهُوفٌ، فَقَدْ تَلَّه⁽²⁾ الشَّيْطَانُ لِلْجَبِينِ، وَقَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ { ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }⁽³⁾

وَمَنْ نَفَذَ⁽⁴⁾ فِيهِ أَوْ لَهُ قَدَرٌ اللَّهِ عَنْ أَدَاءِ الْوَاجِبِ وَبَدَّلَ⁽⁵⁾ الْمَجْهُودَ، وَأَفْرَدَ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ⁽⁶⁾ الْأَحَدَ الْمَعْبُودَ، وَوَطَّنَ النَّفْسَ عَلَى الشَّهَادَةِ الْمُبَوَّتَةِ دَارَ الْخُلُودِ الْعَائِدَةِ بِالْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالْوُجُودِ، أَوْ الظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ الْمَحْشُورِ [إِلَيْهِ]⁽⁷⁾ الْمَحْشُودِ صَبْرًا عَلَى الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَيَبْعَا مِنْ اللَّهِ تَكُونُ الْمَلَائِكَةُ فِيهِ [مِنْ]⁽⁸⁾ الشُّهُودِ، حَتَّى تَعِيثَ⁽⁹⁾ يَدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْبِنَاءِ الْمَهْدُومِ، بِقُوَّةِ اللَّهِ الْمَهْدُودِ، وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ الْمَمْدُودُ كَانَ عَلَى أَمْرِهِ⁽¹⁰⁾ بِالْخِيَارِ الْمَحْدُودِ⁽¹¹⁾ { قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ^ط وَنَحْنُ نَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا^ط فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبَّصُونَ }⁽¹²⁾.

1- أ، م: "باجتهاد". والمثبت من ق، ع.
2- ق، ع: "تله". قال تعالى: { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهَ لِلْجَبِينِ } سورة الصافات، الآية: 103
3- قال تعالى: { فاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ } قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^ط أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } سورة الزمر، الآية: 15
4- ق: "نفذ" "من نفذ الشيء نفذا ونفادا: فني وذهب" لسان العرب / نفذ: 14 / 316. و"نفذت أي جُزئت" لسان العرب / نفذ: 14 / 316
5- ع: "بدل". وهو تصحيف.
6- ق، ع: "وجه الواحد".
7- ق: ساقط.
8- ق، ع: ساقط.
9- ق: "تغيب".
10- ق، ع: "أمره".
11- أ، ق: "المحدود"، م: "المسدود". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أنهم سينالون إما النصر وإما الشهادة.
12- التوبة: 52

الله فِي الْهَمَمِ قَدْ خَمَدَتْ رِيحُهَا. وَاللهُ اللهُ فِي الْعَقَائِدِ قَدْ خَفَّتْ⁽¹⁾ مَصَابِيحُهَا. وَاللهُ اللهُ فِي
الرُّجُولَةِ⁽²⁾ قَدْ قَلَّ حَدُّهَا. وَاللهُ اللهُ فِي الْغَيْرَةِ فَقَدْ تَعَسَّرَ⁽³⁾ جِدُّهَا. وَاللهُ اللهُ فِي الدِّينِ الَّذِي طَمَعَ الْكُفْرُ
فِي تَحْوِيلِهِ. [وَاللهُ اللهُ فِي الْحَرِيمِ الَّذِي مَدَّ إِلَى اسْتِرْقَاقِهِ يَدَ تَأْمِيلِهِ. [وَاللهُ اللهُ فِي الْمَسَاكِينِ رَحَتْ⁽⁴⁾
لِسُكْنَاهَا] ⁽⁵⁾. [وَاللهُ اللهُ فِي الْمِلَّةِ الَّتِي يُرِيدُ إِطْفَاءَ سَنَاهَا] ⁽⁶⁾. وَاللهُ اللهُ فِي الْحَرِيمِ. وَاللهُ اللهُ فِي الدِّينِ
الْكَرِيمِ. [وَاللهُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ. وَاللهُ اللهُ فِي الْأَقَارِبِ وَالْجِيرَانِ. وَاللهُ اللهُ فِي الطَّارِفِ وَالنَّالِدِ] ⁽⁷⁾. وَاللهُ
اللهُ فِي الْوَطَنِ الَّذِي تَوَارَثَهُ الْوَلَدُ عَنِ الْوَالِدِ. الْيَوْمَ تَسْتَأْسِدُ النُّفُوسُ الْمَهِيئَةُ. الْيَوْمَ يُسْتَنْزِلُ الصَّبْرُ
وَالسَّكِينَةُ. الْيَوْمَ تُخْتَبَرُ الْهَمَمُ.

الْيَوْمَ تُرْعَى لِهَذِهِ الْمَسَاجِدِ الْكَرِيمَةِ الذِّمَّةُ. الْيَوْمَ يَرْجِعُ إِلَى اللهِ الْمُصِرُّونَ. الْيَوْمَ يُفِيْقُ مِنْ نَوْمِ
الْغَفْلَةِ الْمُعْتَرُونَ قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْهَوْلُ، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ، وَيُسَدَّ الْبَابُ، وَيَحِيقُ⁽⁸⁾ [الْعَذَابُ] ⁽⁹⁾ وَتُسْتَرْقُ
بِالْكُفْرِ الرَّقَابُ. فَالنِّسَاءُ نَقِيَّ بِنَفْسِهِنَّ أَوْلَادَهُنَّ الصَّغَارَ، وَالطُّيُورُ تُرْفَرُفُ لِتَحْمِيِ الْأَوْكَارِ⁽¹⁰⁾ إِذَا
أَحْسَتِ الْعِيَاثَ بِأَفْرَاحِهَا وَالْإِضْرَارَ. تَمُرُّ الْأَيَّامُ⁽¹¹⁾ عَلَيْكُمْ مَرَّ السَّحَابِ فَلَا خَبَرَ يُفْضَى⁽¹²⁾ [إِلَى] ⁽¹³⁾

1- ق: "خفقت". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي ضعف نورها وقل ضوءها.

2- ق: "الرَّجْلَةُ" وقد جمع قليلا على رَجْلَةٍ وزان تمره حتى قالوا لا يوجد جمع على فعلة بفتح الفاء إلا رجلة وكُمأة" المصباح المنير / رجل، ص: 84

3- ق: "تعس". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي صعب تحقيق الجد فيها.

4- م: "زحف". "ونزلوا في رحي واسعة وهي أرض ناشزة على ما حولها مستديرة أكبر من الفلّة. وهؤلاء رحي من أرحاء العرب؛ وهي قبائل لا تنتجع ولا تبرح مكانها" أساس البلاغة / رحي: 344 / 1

5- ق: ساقط

6- ع: ساقط.

7- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

8- ق: "ويحق". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لحقهم العذاب وحلّ بهم.

9- ق: ساقط

10- ع: "الأوكان". "الوكن للظائر مثل الوكر وزنا ومعنى. قال الأصمعي الوكن بالنون مأواه في غير عش، والوكر بالراء مأواه في العش" المصباح المنير / وكن، ص: 257

11- ق، ع: "السحاب".

12- أ، ع، م: "يقضي". والمثبت من ق.

13- ق: ساقط.

الْعَيْنِ، وَلَا حَدِيثَ فِي اللَّهِ يُسْمَعُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَلَا كَدَّ إِلَّا لَزِيْنَةً يُحَلِّي⁽¹⁾ بِهَا نَحْرَ وَجِيدٍ، وَلَا سَعْيَ [إِلَّا]⁽²⁾ فِي مَتَاعٍ لَا يُغْنِي فِي الشَّدَائِدِ وَلَا يُفِيدُ، وَبِالْأَمْسِ دُعِيْنُ⁽³⁾ إِلَى [النِّمَاسِ]⁽⁴⁾ رَحْمَتِي مُسَخَّرِ السَّحَابِ وَاسْتِقَالَةَ كَاشِفِ الْعَذَابِ، وَسُؤَالَ مُرْسِلِ الدِّيْمَةِ وَمُحْيِي الْبَشْرِ وَالْبَهِيْمَةِ، وَقَدْ أُمْسِكْتَ عَنْكُمْ رَحْمَةُ السَّمَاءِ، وَاغْبَرْتَ جَوَانِبُكُمْ الْمُخْضَرَّةَ اِحْتِيَاجًا إِلَى بَلَالَةِ الْمَاءِ {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}⁽⁵⁾ وَإِلَيْهِ⁽⁶⁾ الْأَكْفَ تَمْدُونَ وَأَبْوَابَهُ⁽⁷⁾ بِالْأَدْعَاءِ تَقْصِدُونَ. فَلَمْ يَصْحَرْ⁽⁸⁾ مِنْكُمْ⁽⁹⁾ عَدَدٌ مُعْتَبَرٌ، وَلَا ظَهَرَ لِلْإِنْبَاءِ وَلَا الصَّدَقَةِ خَبْرٌ، [تُثَوِّلُ]⁽¹⁰⁾ عَنْ إِعَادَةِ الرَّغْبَةِ إِلَى الْوَلِيِّ⁽¹¹⁾ الْحَمِيدِ، وَالْغَنِيِّ الَّذِي إِنْ يَشَأْ⁽¹²⁾ يُذْهِبُهُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ⁽¹³⁾ وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ كَانَ لَهُوَ لَا زُنُوبَ السَّاعَاتِ، وَضَاقَتْ⁽¹⁴⁾ الْمُتَسَاعَاتُ، وَتَرَاحَمَتْ عَلَى حِبَالِهِ وَعَصِيَّتْ الْجَمَاعَاتُ.

أَتَعَزُّزًا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ؟ أَتَلْبِيسًا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ الَّذِي يُمَيِّزُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَالشَّبَّهَ مِنَ الْإِبْرِيزِ⁽¹⁵⁾؟ أَمُنَابَذَةً وَالنَّوَاصِي فِي يَدَيْهِ؟ أَغُرُورًا بِالْأَمَلِ وَالرُّجُوعُ بَعْدُ إِلَيْهِ؟ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ

1- أ: "يجلى" والمثبت من ع، م. ق: "يحل" من حلَّ يَجَلُّ خلاف حرم.

2- ق: ساقط.

3- ق، ع: "ندبتم". وكلاهما صحيح.

4- ق: ساقط.

5- سورة الذاريات، الآية: 22.

6- ق، ع: "إليها". عاد الضمير على السماء.

7- ق: "أبوابها". أي السماء.

8- م: "يضجر". ويصح من "صَحَرَه يَصْحَرُه صَحْرًا: طبخه، وقيل: إذا سُخِّنَ الحليب خاصة حتى يحترق" لسان العرب/ صحر: 202/8. ولعل المعنى لم يتألم منكم أحد أو يفعل.

9- ق: "عنكم".

10- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع، م: "نتوقل".

11- ق: "المولى".

12- ق، ع: "شاء".

13- قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئِشَ أُنَاسًا يَذْهَبُهُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} سورة إبراهيم، الآية: 19

14- ع: "صاقت". وهو تصحيف، من "صاق به كذا أي لصق.

15- ق: "الشبيه"، م: "المشبه".

يُعِيدُهُ⁽¹⁾؟ مَنْ يُنْزِلُ الرَّفْقَ⁽²⁾ وَيُفِيدُهُ؟ مَنْ يُرْجِعُ إِلَيْهِ فِي الْمُهَمَّاتِ⁽³⁾؟ مَنْ يُرْجَى فِي الشَّدَائِدِ
وَالْأَزْمَاتِ؟ مَنْ يُوْجِدُ فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ؟ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ⁽⁴⁾ يَخْتَلِجُ الْقُلُوبَ؟ أَنْتُمْ غَيْرُ اللَّهِ مَنْ يَدْفَعُ
الْمَكْرُوهَ وَيُبَيِّسُ الْمَطْلُوبَ؟ يُفَضِّلُونَ عَلَى اللُّجَا إِلَيْهِ عَوَائِدَ الْجَهْلِ [نُزْه]⁽⁵⁾ الْأَهْلِ، وَطَائِفَةٌ مِنْكُمْ قَدْ
بَرَزَتْ إِلَى اسْتِسْقَاءِ رَحْمَتِهِ، تَمُدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَيْدِي وَالرِّقَابَ، وَتَسْتَكْشِفُ بِالْخُضُوعِ لِعِزَّتِهِ الْمَقَابِ⁽⁶⁾
وَتَسْتَعْجِلُ إِلَى مَوَاعِيدِ إِجَابَتِهِ الْاِزْتِقَابَ، وَكَأَنَّكُمْ [أَنْتُمْ]⁽⁷⁾ عَنْ كَرَمِهِ قَدْ اسْتَعْنَيْتُمْ، أَوْ عَلَى الْاِمْتِنَاعِ
مِنَ الرَّجُوعِ [إِلَيْهِ]⁽⁸⁾ نُبْنِئُكُمْ⁽⁹⁾.

أَمَا تَعْلَمُونَ كَيْفَ كَانَ نَبِيُّكُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ مِنَ التَّبْلِيغِ بِالْيَسِيرِ⁽¹⁰⁾، وَالِاسْتِعْدَادِ
لِلرَّحِيلِ الْحَقِّ وَالْمَسِيرِ، وَمُدَاوِمَةِ الْجُوعِ، وَهَجْرِ الْهُجُوعِ، وَالْعَمَلِ عَلَى الْإِيَابِ إِلَى اللَّهِ وَالرَّجُوعِ.
دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام وَبِيَدِهَا كِسْرَةُ شَعِيرٍ. فَقَالَ: مَا هَذِهِ يَا فَاطِمَةُ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خُبْرَةٌ⁽¹¹⁾
فُرْصَةٌ وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا. فَقَالَ: (يَا فَاطِمَةُ أَمَا إِنَّهُ أَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ جَوْفَ أَبِيكَ مُنْذُ ثَلَاثِ)⁽¹²⁾.
وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً يَلْتَمِسُ رُحْمَاهُ. وَيَقُومُ - وَهُوَ الْمَغْفُورُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

1- قال تعالى: {أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} سورة النمل، الآية: 64
2- أ: "الرفق"، والمثبت من ق، ع، م.
3- ق، ع: "المللمات".
4- قال تعالى: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} سورة إبراهيم، الآية: 10
5- أ: ساقط والمثبت من ق، ع، م. وأصل النُزْه: البعد" لسان العرب/نزه: 238/14
6- ق: "العقاب"، ع، م: "السَّقَاب"، ومعناه أنه "كانت المرأة في الجاهلية، إذا مات زوجها، حلقت رأسها، وخمشت وجهها، وحمّرت قطنة من دم نفسها، ووضعتها على رأسها، وأخرجت طرف قطنتها من خرق قناعها، ليعلم الناس أنها مصابة" لسان العرب / سقب: 206 / 7
7- ق، ع: ساقط.
8- ق: ساقط.
9- أ: "بنيتم"، والمثبت من ق، ع، م: "بقيتم".
10- ق: "بالتيسير". وكلاهما صحيح؛ أي أنه صلى الله عليه وسلم لم يَشَقَّ على أمته، وكان يبسر الدعوة، ويدعو إلى التيسير.
11- ق، ع: "خيزت".
12- أخرجه البخاري في صحيحه، 56 / 2

ذَنبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ - حَتَّى وَرِمَتْ⁽¹⁾ قَدَمَاهُ. وَكَانَ شَأْنُهُ الْجِهَادُ، وَدَأْبُهُ الْجِدُّ وَالْاجْتِهَادُ، وَمَوَاقِفُ صَبْرِهِ تَعْرِفُهَا الرُّبَى وَالْوَهَادُ، وَمَقَامَاتُ زُهْدِهِ [فِي هَذَا الْمَتَاعِ الْفَانِي]⁽²⁾ تَحُومُ عَلَى [أَدْنَى]⁽³⁾ مَرَاتِبِهَا الرُّهَادُ. فَإِذَا لَمْ تَقْتَدُوا بِهِ فَبِمَنْ تَقْتَدُونَ؟ وَإِذَا لَمْ تَهْتَدُوا بِهِ فَبِمَنْ تَهْتَدُونَ؟ وَإِذَا لَمْ تُرْضَوْهُ⁽⁴⁾ بِاتِّبَاعِكُمْ [لَهُ]⁽⁵⁾ فَكَيْفَ تَعْتَرُونَ إِلَيْهِ وَتَنْتَسِبُونَ؟ وَإِذَا لَمْ تَرْغَبُوا فِي الْإِتِّصَافِ بِصِفَاتِهِ غَضَبًا لِلَّهِ وَجِهَادًا، وَتَقْلًا⁽⁶⁾ مِنَ الْعَرَضِ الْأَدْنَى وَسَهَادًا فَعِيمَ تَرْغَبُونَ؟ فَابْتُرُوا⁽⁷⁾ حِبَالَ⁽⁸⁾ الْأَمَلِ فَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ⁽⁹⁾ وَاعْتَبِرُوا بِمَثَلَاتٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ وَالْقَوَاعِدِ فَذُهِلُّكُمْ عَنْهَا غَرِيبٌ، وَتَفَكَّرُوا فِي مَنَابِرِهَا الَّتِي يَعْلُو فِيهَا وَاعِظٌ وَخَطِيبٌ، [وَمُطِيلٌ]⁽¹⁰⁾ وَمُطِيبٌ، وَمَسَاجِدُهَا الْمُتَعَدَّدَةُ الصُّفُوفِ وَالْجَمَاعَاتِ، الْمَعْمُورَةِ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ. فَكَيْفَ أَخَذَ اللَّهُ فِيهَا بِذَنْبِ الْمُتْرِفِينَ⁽¹¹⁾ مِنْ دُونِهِمْ، وَعَاقَبَ الْجُمْهُورَ بِمَا أَغْمَضُوا عَنْهُ [مِنْ]⁽¹²⁾ عُيُونِهِمْ؟ وَسَاعَتْ بِالْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ عُقْبَى جَمِيعِهِمْ، وَذَهَبَتِ النِّقَمَاتُ⁽¹³⁾ بِمَاضِيهِمْ⁽¹⁴⁾، وَمَنْ دَاهَنَ فِي أَمْرِهِمْ مِنْ مُطِيعِهِمْ، وَأَصْبَحَتْ مَسَاجِدُهُمْ مَنَاصِبَ لِلصُّلْبَانِ، وَاسْتَبْدَلَتْ مَا دَنِيَهُمْ بِالنَّوَاقِيسِ⁽¹⁵⁾ مِنَ الْأَذَانِ. هَذَا وَالنَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ.

1- ق: "تورمت". أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ: قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» حَكَمُ الْأَلْبَانِيِّ: صَحِيحٌ، (132 - 133) (1393)

2- ق، ع: ساقط.
3- ع: ساقط.
4- ق: "ترضوا" وكلاهما صحيح.
5- ع: ساقط.
6- ق: "تعللا"، ع: "تمللا". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي زهدا في الدنيا.
7- أ: "فافترون". ق: "فانثروا" والمثبت من ع، ولعله الصواب؛ أي اقطعوا كثرة آمالك في الدنيا لأنها فانية.
8- أ: "جهاد". ق: "خيال" والمثبت من ع، ولعله الصواب؛ حيث جعل للأمل حبلا يمد من شأنه.
9- إشارة إلى قول ابن هانئ الأندلسي:
أَلَا كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ الْمَدَى وَكُلُّ حَيَاةٍ إِلَى مُنْتَهَى
10- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع، م.
11- ق: "المغترين". وكلاهما صحيح.
12- ق، ع: ساقط.
13- ق: "النعمة"، ع، م: "النعمة". ولعل الصواب هو المثبت؛ أي العقوبات التي وقعت لهم ذهبت بماضيهم المشرق.
14- ق، ع، م: "بعاصيهم". وكلاهما صحيح؛ فالذي حل بالمسلمين من وضع مزرعي ذهب بماضيهم، ولحق بعاصيهم.
15- أ، ع: "بالنواقص". والمثبت من ق، م

مَا هَذِهِ الْغَفْلَةُ عَمَّنْ إِلَيْهِ الرُّجْعَى وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ؟ وَإِلَى مَتَى التَّسَاهُلُ فِي حُقُوقِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ؟ وَحَتَّى مَتَى [مَدًّا] ⁽¹⁾ الْخَطَا فِي الْأَمَدِ الْقَصِيرِ؟ وَإِلَى مَتَى نِسْيَانُ اللَّجَا إِلَى الْوَلِيِّ النَّصِيرِ؟ قَدْ تَدَاعَتْ الصُّلْبَانُ مُجْلِبَةً عَلَيْكُمْ، وَتَحَرَّكَتِ الطَّوَاعِثُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ إِلَيْكُمْ، أَفِيَحْذُلُكُمُ الشَّيْطَانُ وَكِتَابُ اللَّهِ قَائِمٌ فِيكُمْ، وَالسِّنَةُ الْآيَاتِ تُتَادِيكُمْ؟ لَمْ تُمَحَّ ⁽²⁾ سَطُورُهَا، وَلَا اخْتَجَبَ نُورُهَا. وَأَنْتُمْ بَقَايَا مَنْ فَتَحَهَا عَنْ عَدَدٍ قَلِيلٍ، وَصَابِرٍ ⁽³⁾ فِيهَا كُلِّ حَظْبٍ جَلِيلٍ ⁽⁴⁾. فَوَاللَّهِ لَوْ تَمَحَّضَ الْإِيمَانُ، وَرَضِيَ الرَّحْمَانُ مَا ظَهَرَ التَّنَلُّيْتُ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَلَا عَدَمَ الْإِسْلَامِ فِيهَا عَادَةً التَّأْيِيدِ، لَكِنْ شَمِلَ الدَّاءُ، وَصَمَّ النَّدَاءُ، وَعَمِيَتْ الْأَبْصَارُ فَكَيْفَ الْإِهْتِدَاءُ، وَالْبَابُ مَفْتُوحٌ وَالْفَضْلُ مَمْنُوحٌ؟ فَتَعَالَوْا نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ جَمِيعاً فَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ⁽⁵⁾، وَنَسْتَقِيلُ مُقِيلَ الْعِنَارِ فَهُوَ الرَّؤُوفُ الْحَلِيمُ، وَنَصْرِفُ الْوُجُوهَ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِينَا، فَقَبُولِ الْمَعَادِيرِ ⁽⁶⁾ مِنْ شَأْنِ الْكَرِيمِ.

سُدَّتِ الْأَبْوَابُ، وَضَعَفَتِ الْأَسْبَابُ، وَانْقَطَعَتِ [الْأَمَالُ] ⁽⁷⁾ إِلَّا مِنْكَ يَا فَتَّاحُ يَا وَهَّابُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} ⁽⁸⁾ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا} ⁽⁹⁾ الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} ⁽¹⁰⁾ {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا

1- ع: ساقط.

2- أ، ق، ع: " تمتح " والمثبت من م.

3- أ، م: " ظفر " والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ أي أنهم صبروا على كل ما أصابهم من بلاء.

4- ق: " جزيل " وهو تحريف.

5- يقول تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً} سورة النساء، الآية: 4

6- ق: "المعادر"، ع: "المعادير" بدال مهملة وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي قبول الأعذار المقدمة.

7- ق: ساقط.

8- سورة محمد، الآية 7

9- ق: "قتلوا".

10- سورة التوبة، الآية 123

وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ⁽¹⁾ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا⁽²⁾ وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ⁽³⁾ }.

أَعِدُّوا الْخَيْلَ وَارْتَبِطُوهَا، وَرَوِّضُوا⁽⁴⁾ النَّفُوسَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَغَبِّطُوهَا، فَمَنْ خَافَ الْمَوْتَ رَضِيَ

بِالدِّنِّيَّةِ، وَلَا بُدَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنَ الْمَنِيَّةِ، وَالْحَيَاةُ مَعَ الذِّلِّ لَيْسَتْ مِنْ شِيَمِ النَّفُوسِ السَّيِّئَةِ. وَافْتَنُوا

السَّلَاحَ وَالْعُدَّةَ، وَتَعَرَّفُوا إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكُمْ فِي الشَّدَّةِ. وَاسْتَشْعِرُوا الْقُوَّةَ بِاللَّهِ عَلَى أَعْدَاءِ⁽⁵⁾

اللَّهِ وَأَعْدَائِكُمْ، وَاسْتَمِيتُوا مِنْ دُونِ أُنْبَائِكُمْ. فَكُونُوا كَالْبَنَاءِ⁽⁶⁾ الْمَرْصُوصِ لِحِمَلَاتِ هَذَا الْعَدُوِّ النَّازِلِ

بِفَنَائِكُمْ، وَحُوطُوا بِالتَّغْوِيلِ عَلَى اللَّهِ وَحْدَةَ بِلَادِكُمْ، وَاشْتَرُوا مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَوْلَادَكُمْ.

ذَكَرُوا⁽⁷⁾ أَنَّ امْرَأَةً احْتَمَلَ⁽⁸⁾ السَّبْعَ وَلَدَهَا، وَشَكَتْ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ فَأَشَارَ عَلَيْهَا بِالصَّدَقَةِ

فَتَصَدَّقَتْ⁽⁹⁾ بَرِغِيفٍ، وَأَطْلَقَ⁽¹⁰⁾ السَّبْعَ وَلَدَهَا، وَسَمِعَتِ النَّدَاءَ: يَا هَذِهِ لُقْمَةُ بَلْقَمَةٍ⁽¹¹⁾ وَإِنَّا لِمَا

اسْتَوْدَعْنَاهُ لِحَافِظُونَ.

1- سورة آل عمران، الآية: 139

2- ع: "واربطوا".

3- سورة آل عمران، الآية 200

4- ق، ع: "ورُضُوا". من "رضو فعل ذلك ابتغاء رضوان الله ورضاه ومرضاته" أساس البلاغة / رضو: 359 / 1

5- ق، ع: "أعدائه". وكلاهما صحيح.

6- م: "كالبنيان". حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))، وشبك بين أصابعه أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، (3 / 129) برقم: (2446)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (4 / 1999)، برقم: (2585)

7- ق: "ذكر". وقد رويت تلك القصة عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد ضعيف. قال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة برقم 1684:

"أتى سائل امرأة وفي فمها لقمة ، فأخرجت اللقمة فلفظتها فناولتها السائل ، فلم تلبث أن رزقت غلاما ، فلما ترعرع جاء ذنب فاحتمله ، فخرجت أمه تعدو في أثر الذنب وهي تقول : ابني ابني ، فأمر الله ملكا : الحق الذنب ، فأخذ الصبي من فيه ، وقال لأمه : إن الله يقرئك السلام ، وقال : هذه لقمة بلقمة" رواه الدينوري في "المنتقى من المجالسة" (494 / 1

8- ق: "حمل"، ع: "أحمل".

9- ق: فصدقت".

10- ع: بزيادة "الرغيف".

11- ع: "تلقمه".

وَاهْجُرُوا الشَّهَوَاتِ، وَاسْتَدْرِكُوا الْبَقِيَّةَ مِنْ بَعْدِ الْفَوَاتِ، وَأَفْضَلُوا⁽¹⁾ لِمَسَاكِنِكُمْ مِنَ الْأَقْوَاتِ،
وَاخْشَعُوا⁽²⁾ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْآيَاتِ، وَخُذُوا⁽³⁾ مَنْ لَكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْأَزْمَاتِ، وَالْمُؤَاسَاةِ فِي
الْمُهِمَّاتِ، وَأَيِّقْظُوا جُفُونَكُمْ مِنَ السَّنَاتِ، وَعَلِّمُوا أَنْتُمْ رُضْعَاءَ نَدْيِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَجِيرَانُ الْبَلَدِ
الْغَرِيبِ وَالِدَيْنِ الْوَحِيدِ، وَحِزْبُ التَّمَحِيصِ، وَتَفَرُّ الْمَرَامِ الْعَوِيصِ.

وَتَقَفُّوا مُعَامَلَاتِكُمْ مَعَ اللَّهِ [مَهْمَا]⁽⁴⁾ رَأَيْتُمْ الصَّدَقَ غَالِبًا، وَالْقَلْبَ لِلْمَوْلَى الْكَرِيمِ مُرَاقِبًا، وَشِهَابَ
الْيَقِينِ ثَاقِبًا. فَتَقُوا بِعِنَايَةِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَغْلِبُكُمْ مَعَهَا غَالِبٌ، وَلَا يَنَالُكُمْ مِنْ أَجْلِهَا عَدُوٌّ مُطَالِبٌ.
وَأَنْتُمْ⁽⁵⁾ فِي السِّتْرِ الْكَثِيفِ⁽⁶⁾ وَعِصْمَةِ الْخَبِيرِ اللَّطِيفِ. وَمَتَى⁽⁷⁾ رَأَيْتُمْ الْخَوَاطِرَ مُتَبَدِّدَةً، وَالظُّنُونِ فِي
اللَّهِ مُتَرَدِّدَةً، وَالْجِهَاتِ الَّتِي تُخَافُ وَتَرْجَى مُتَعَدِّدَةً، وَالْعَقْلَةَ عَنِ اللَّهِ مَلَابِسَهَا مُتَجَدِّدَةً، وَعَادَةَ الْخِذْلَانِ
دَائِمَةً، وَأَسْوَاقَ الشَّهَوَاتِ قَائِمَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُنْفَذٌ⁽⁸⁾ فِيكُمْ وَعَدَهُ وَوَعِيدَهُ فِي الْأُمَمِ الْغَافِلِينَ⁽⁹⁾،
وَأَنْتُمْ قَدْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ⁽¹⁰⁾، وَالتَّوْبَةُ تَرُدُّ الشَّارِدَ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ⁽¹¹⁾ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ⁽¹²⁾ وَهُوَ الْقَائِلُ: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}⁽¹³⁾

1- "مال فلان فاضل: كثير يفضل عن القوت" أساس البلاغة / فضل: 26 / 2
2- ع: "واخشوا" أي اخشوا الله فيما أنزل من الآيات. وكلاهما صحيح.
3- ق: "حذروا". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي خذوهم بالنصيحة بالصبر، وليس حذروهم منه.
4- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع، م: "فمتى".
5- ق: "أنتم". وكلاهما صحيح.
6- أ، م: "الكثيف". والمثبت من ق، ع، أي الستر المحيط بكم.
7- أ، م: "ومهمي" والمثبت من ق، ع.
8- ق، ع: "منفذ" بالبدال بدل الذال، وهو تصحيف. من "نَفَذَ الْمَالُ نَفَادًا وَأَنْفَدُوا مَا عَنْدهُمْ وَاسْتَنْفَدُوهُ وَانْتَفَدُوهُ" أساس البلاغة / نفد:
291 / 2
9- ق: "الغفلين".
10- ق، ع: "الظلمين" يقول تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} سورة
البقرة، الآية: 193
11- ق: "وهو". وكلاهما صحيح.
12- يقول تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَى فَاغْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ
فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} سورة البقرة، الآية: 222
13- سورة هود، الآية: 114

وَمَا أَقْرَبَ صَلَاحِ الْأَحْوَالِ مَعَ اللَّهِ إِذَا صَلَحَتِ ⁽¹⁾ الْعَرَائِمُ، وَتَوَلَّتْ عَلَى حِزْبِ الشَّيْطَانِ الْهَرَائِمُ، وَخَمَلَتِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةُ فِي الْعُيُونِ، وَصَدَقَتْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ الطُّنُونُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ} ⁽²⁾.

وَتُوبُوا ⁽³⁾ سِرَاعاً إِلَى طَهَارَةِ التَّوْبِ ⁽⁴⁾، وَإِزَالَةِ الشُّوبِ، وَافْصِدُوا أَبْوَابَ غَافِرِ الذَّنْبِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ ⁽⁵⁾، وَاعْلَمُوا أَنَّ سُوءَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ يَفْتَحُ أَبْوَابَ الشَّدَائِدِ، وَيَسُدُّ طَرِيقَ ⁽⁶⁾ الْعَوَائِدِ، فَلَا تَمْطُلُوا بِالنُّوبَةِ أَرْمَانَكُمْ، وَلَا تَأْمَنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَتَغْشُوا إِيْمَانَكُمْ، وَلَا تُعَلِّقُوا ⁽⁷⁾ جَنَابَكُمْ ⁽⁸⁾ بِالضَّرَائِرِ فَهُوَ عَلَامُ السَّرَائِرِ، وَإِنَّمَا عَلَيْنَا مَعَاشِرَ الْأُولِيَاءِ أَنْ نُنْصَحَكُمْ وَإِنْ كُنَّا أَوْلَىٰ بِالنَّصِيحَةِ، وَنَعْتَمِدَكُمْ بِالمَوْعِظَةِ الصَّرِيحَةِ [الصَّادِرَةِ] ⁽⁹⁾ عَلِمَ اللَّهُ عَنْ صِدْقِ الْقَرِيحَةِ، وَإِنْ شَارَكْنَاكُمْ فِي الْعَقْلَةِ فَقَدْ نَدَبْنَاكُمْ ⁽¹⁰⁾ إِلَى الْإِسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَإِنَّمَا لَدَيْنَا نَفْسٌ مَبْدُولَةٌ ⁽¹¹⁾ فِي جِهَادِ الْكُفَّارِ، وَنَقْدُكُمْ ⁽¹²⁾ قَبْلَكُمْ إِلَى مَوَاقِفِ الصَّبْرِ [النَّيِّ] ⁽¹³⁾ لَا نَرْضَىٰ بِالْفِرَارِ، وَاجْتِهَادٍ فِيمَا يَعُودُ [عَلَيْكُمْ] ⁽¹⁴⁾ بِالْحُسْنَىٰ وَعُقْبَى الدَّارِ، وَالِاخْتِيَارِ لِلَّهِ وَلِيَّ الْإِخْتِيَارِ، وَمُصَرَّفِ الْأَقْدَارِ.

¹ - ق، ع: "صحت". وكلاهما صحيح.

² - سورة فاطر، الآية 5

³ - أ، ع: "توبوا"، والمثبت من ق، م. "توب: تفرق عنه أصحابه ثم تابوا إليه" أساس البلاغة / توب: 1 / 117. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي ارجعوا إلى الطهارة من الذنوب والمعاصي.

⁴ - ق: "التوب". والتوب كناية عن الجسد والنفس وتطهيرها من الآفات.

⁵ - قال تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} سورة غافر، الآية: 3

⁶ - أ، م: "طرق". والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ فطريق الحق واحد، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه خط خطا مستقيماً فقال: هذا سبيل الله" ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله فقال: هذه السبل وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه" ثم قرأ الآية:

{وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ} سورة الأنعام، الآية: 153

⁷ - ق، ع: "ولا تغفلوا". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لا تفعلوا ما يلحق الضرر بكم.

⁸ - ق، ع: "من بكم". "في جناب فلان أي في فئائه ومحلته" أساس البلاغة / جنب: 1 / 150

⁹ - ق، ع: ساقط.

¹⁰ - ق: "نديناكم" بالياء بدل الباء. وهو تصحيف.

¹¹ - ع: "مبدولة" بدال مهملة. وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي يضحون بأنفسهم ويقدمونها لنيل الشهادة.

¹² - ق، ع: "تقدم" بعودة الضمير على النفس.

¹³ - أ، م: ساقط والمثبت من ق، ع.

¹⁴ - ق: ساقط.

وَهَا نَحْنُ نُشْرَعُ⁽¹⁾ الْخُرُوجَ إِلَى مُدَافَعَةِ هَذَا الْعَدُوِّ، وَنَفْذِي بِنَفْسِنَا [الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ]⁽²⁾، وَالْحَرِيمَ الْمُسْتَضْعَفَ وَالْأَوْلَادَ، وَنَصَلِّي⁽³⁾ مِنْ دُونِهِمُ الْجِلَادَ، وَنَسْتَوْهِبُ مِنْكُمْ الدُّعَاءَ إِلَى مَنْ وَعَدَ بِإِجَابَتِهِ، وَنَقْبَلُ مَنْ صَرَفَ إِلَيْهِ وَجْهَ إِيَابَتِهِ.

اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا فِي هَذَا الْإِنْقِطَاعِ نَصِيرًا⁽⁴⁾، وَعَلَى أَعْدَائِكَ ظَهِيرًا، وَمِنْ ائْتِقَامِ عَبْدَةِ الْأَصْنَامِ كَفِيلًا وَمُجِيرًا. اللَّهُمَّ قُوِّ مَنْ ضَعُفَتْ حِيلَتُهُ فَأَنْتَ الْقَوِيُّ الْمُعِينُ، وَانْصُرْ مَنْ لَا نَصِيرَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.⁽⁵⁾ اللَّهُمَّ ثَبَّتْ أَقْدَامَنَا عِنْدَ تَرَلُّزِ الْأَقْدَامِ، وَلَا تُسَلِّمْنَا عِنْدَ لِقَاءِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ، فَقَدْ أَلْقَيْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْإِسْتِسْلَامِ.

اللَّهُمَّ دَافِعِ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُسَوِّمِينَ عَمَّنْ ضُوبِقَتْ⁽⁶⁾ أَرْجَاؤُهُ، وَانْقَطَعَ إِلَّا مِنْكَ رَجَاؤُهُ. اللَّهُمَّ هَيِّئْ لِمَنْ لَضَعْفَانِنَا - وَكُلُّنَا ضَعِيفٌ فَقِيرٌ وَذَلِيلٌ⁽⁷⁾ بَيْنَ يَدَيِ عَظَمَتِكَ حَقِيرٌ - رَحْمَةً تُزَوِّي [فِي الْأَزْمَةِ]⁽⁸⁾ وَتُسَبِّعُ، وَقُوَّةً تَطْرِدُ وَتُسْتَنْبِعُ يَا غَلَّابَ الْغَلَابِ، يَا هَازِمَ الْأَحْزَابِ، يَا كَرِيمَ الْعَوَائِدِ، يَا مُفْرَجَ الشَّدَائِدِ {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}⁽⁹⁾ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ تَذَكَّرُ وَتَقِظُ⁽¹⁰⁾ وَمِمَّنْ {قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا

1- أ، م: "شرعنا" والمثبت من ق، ع.

2- ق: "العباد والبلاد"، ع: ساقط.

3- أ، م: "نلي" والمثبت من ق، ع.

4- ع: "نصير". ولعل الصواب ما أثبت؛ لأنه خبر منصوب.

5- سورة الفاتحة، الآية: 5.

6- ق، ع: "قوضت" وكلاهما صحيح.

7- ق، ع: "دليل" بدال مهملة، وهو تصحيف.

8- ق، ع: ساقط.

9- ق، ع: "الكافرين". سورة البقرة، الآية: 250

10- ق، ع: "تقيظ وتذكر".

اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ⁽¹⁾

وَقَدْ وَرَدَتْ عَلَيْنَا الْمُخَاطَبَاتُ مِنْ قَبْلِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ عَرَفْنَا فِي الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ⁽²⁾ اجْتِهَادَهُمْ [وَشَكَرْنَا فِي ذَاتِ اللَّهِ اجْتِهَادَهُمْ]⁽³⁾ بَنِي مَرَيْنَ، أُولِي الْإِمْتِعَاضِ لِلَّهِ وَالْحِمِيَّةِ، وَالْمَخْصُوصِينَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْكَرِيمَةِ بِهَذِهِ الْمَزِيَّةِ، بَعَزْمِهِمْ عَلَى الْإِمْتِعَاضِ بِحَقِّ الْجَوَارِ، وَالْمُصَارَحَةِ⁽⁴⁾ الَّتِي تَلِيْقُ بِالْأَحْرَارِ، [وَالْمُنَافَرَةِ]⁽⁵⁾ لِانْتِهَاكِ دِيَارِ⁽⁶⁾ نَبِيِّهِمْ⁽⁷⁾ الْمُخْتَارِ وَحَرَكَةِ سُلْطَانِهِمْ. مَحَلُّ أَخِينَا⁽⁸⁾ بِمَنْ لَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْصَارِ، وَكَافَّةِ الْمُجَاهِدِينَ بِتِلْكَ الْأَقْطَارِ وَالْأُمُصَارِ، وَمُدَافَعَةِ أَحْزَابِ الشَّيْطَانِ وَأَهْلِ النَّارِ. فَاسْأَلُوا اللَّهَ إِعَانَتَهُمْ عَلَى هَذَا الْمَقْصِدِ الْكَرِيمِ الْآثَارِ، وَالسَّعْيِ الضَّمِينِ الْعِزِّ⁽⁹⁾ وَالْأَجْرِ وَالْفَخَارِ.

وَالسَّلَامُ⁽¹⁰⁾ [عَلَيْكُمْ أَيُّهَا [الْأَوْلِيَاءُ]⁽¹¹⁾ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ]⁽¹²⁾. وَكُتِبَ فِي صَفَرٍ مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعُمِائَةٍ.

1- سورة آل عمران، الآيتان: 173-174.

2- ق: "القديم والحادث".

3- أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع

4- ق، ع: "والمطارحة". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي غضبهم وتآلمهم جعلهم يصرخون غيره على الإسلام ورسوله عليه السلام.

5- ق: ساقط، أ، م: "النفرة" والمثبت من ع.

6- أ، م: "دمار" ولعل الصواب "ديار" أي يخرجون في نفر لجهاد من يريد انتهاك ديار قبيلته عليه السلام.

7- أ، م: "النبي صلى الله عليه وسلم" والمثبت من ق، ع.

8- "كان والد ابن الأحمر أبو الحجاج يوسف (733-755) يخاطب أبا الحسن ب "محل والدنا"، ويخاطب أبا عنان ب "محل

أخينا" فأصبح الغني بالله محمد بن يوسف يخاطب أبا عنان باسم "محل والدنا". الغرب الإسلامي في أواسط القرن الثامن دراسة

تاريخية لديوانيات ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب، أحمد عزاوي، الرباط نيت المغرب، ط 1، 2008، ص: 26

9- ق: "للغور"، ع: "للعر". ولعل الصواب ما أثبت؛ فصيغة المبالغة تعمل عمل اسم الفاعل، فنصب هنا العز.

10- ق، ع: بزيادة: "الكريم يخصكم".

11- ق: ساقط.

12- ق، ع: ساقط.

[وَسَكَّنْتُ هَرَجَ النَّاسِ بِقَوْلِي عِنْدَمَا ثَارَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ نَصْرِ⁽¹⁾ صَادِعاً بِذَلِكَ فَوْقَ أَعْوَادِ
الْمِنْبَرِ بِالْجَامِعِ الْأَعْظَمِ مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ، مُبَلِّغاً عَنِ السُّلْطَانِ ^{الْبُيُوتِيِّ} الْأَمَانَ سَادِلاً رِوَاقَ
الْعِصْمَةِ، ضَامِناً عَنْهُ الْعَفْوَ لِكُلِّ طَائِفَةٍ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمَجَازَاتِ وَالْمُتَكَفِّلُ بِالْمُتَوَاتِرِ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ] ⁽²⁾

هَذَا كِتَابٌ ⁽³⁾ كَرِيمٌ أَصْدَرْنَاهُ - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - شَارِحاً لِلصُّدُورِ، مُصْلِحاً بِإِعَانَةِ اللَّهِ لِلْأُمُورِ ⁽⁴⁾
مُلْحِفاً جَنَانَ الْأَمَانِ وَالْعَدْلِ ⁽⁵⁾ وَالْإِحْسَانَ لِلْخَاصَّةِ وَالْجُمْهُورِ، يَعْلَمُ مَنْ سَمِعَهُ أَوْ يَقِفُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُهُ
وَيَتَذَكَّرُ لَدَيْهِ مَا عَاهَدْنَاهُ عَلَيْهِ مِنْ تَأْمِينِ النُّفُوسِ وَحَقْنِ الدِّمَاءِ، وَالسَّيْرِ فِي التَّجَافِي ⁽⁶⁾ عَنْهَا عَلَى ⁽⁷⁾
السَّنَنِ ⁽⁸⁾ السَّوَاءِ، وَرَفْعِ التَّنْزِيهِ ⁽⁹⁾ عَنِ الْبَعِيدِ فِيهَا وَالْقَرِيبِ، وَالْمُسَاوَاةِ فِي الْعَفْوِ عَنْهَا وَالْغُفْرَانِ بَيْنَ
الْبَرِيِّ وَالْمُرِيبِ، وَحَمَلِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَنْظُرُ ⁽¹⁰⁾ بِعَيْنِ الْعَدَاوَةِ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ [وُظَاهِرِهِ] ⁽¹¹⁾
مَحْمَلٍ ⁽¹²⁾ الْحَبِيبِ، وَتَرْكِ مَا يَتَوَجَّهُ بِهَا مِنَ الْمُطَالَبَاتِ، وَرَفْضِ التَّبِعَاتِ مِمَّا لَا يُعَارِضُ حُكْماً
شَرْعِيّاً، وَلَا يُنَاقِضُ سَبَباً ⁽¹³⁾ مِنَ الدِّينِ مَرْعِيّاً. فَمَنْ كَانَ رَهْنٌ تَبِعَةٍ، أَوْ طَرِيدَ تَهْمَةٍ، أَوْ مُنْبِرّاً ⁽¹⁴⁾

1- علي بن نصر بن علي: "الإمام الثقة الحافظ، أبو الحسن الجهمي الكبير" سير أعلام النبلاء: 138 / 12

2- ق، ع : ساقط، ومكانه : "من ذلك".

3- ق : "ظهير".

4- ع : "الأمر".

5- ق : "العدل والأمان".

6- م : "التعامي". وكلاهما بمعنى البعد وغيض الطرف عنها.

7- ق : "عن" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي سار على الطريق الصحيح وليس ابتعد عنه.

8- ق : "السنى" أي الضياء. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي سار على الطريق وقصده.

9- أ : "الترتيب" والمثبت من باقي النسخ. ولعله الصواب لقوله تعالى: { لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ } سورة يوسف، الآية: 92.

10- أ، م : "ينطق" والمثبت من ق، ع

11- ق، ع : ساقط.

12- ق : "محل". ولعل الصواب ما أثبت؛ فمحمل مشتقة من حمل، بينما المحل من حل.

13- ق، ع : "سنناً" أي طريقاً. وكلاهما صحيح

14- ق، ع : "منبداً"، من "نبد: أي سكن وركد" لسان العرب / نبد: 174 / 14. ونبز معناها: نسب إليه لقباً قبيحاً وعابه. ومنه قوله تعالى: { وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ }

فِي الطَّاعَةِ بِرَبِّيَّةٍ؛ فَقَدْ سَحَبْنَا عَلَيْهِ ظِلَالَ الْأَمَانِ، وَالْحَفْنَاهُ أَثْوَابَ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، وَوَعَدْنَاهُ⁽¹⁾ مِنْ نَفْسِنَا مَوَاعِدَ الرَّفْقِ وَالْإِحْسَانِ، حُكْمًا عَامًّا، وَعَفْوًا تَامًّا، فَاشِيًّا فِي جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ⁽²⁾، مُنْسَحِبًا عَلَى الْأَصْنَافِ الْمُخْتَلِفَاتِ.

عَامِلُنَا فِي ذَلِكَ مَنْ يَقْبَلُ الْأَعْمَالَ، وَلَا يُضَيِّعُ السُّؤَالَ. وَاسْتَغْفَرْنَا اللَّهَ عَنْ نَفْسِنَا، وَعَمَّنْ أَخْطَأَ عَلَيْنَا مِنْ رَعِيَّتِنَا مِمَّنْ يَذُرُّ⁽³⁾ الشَّرْعَ غَلْطَتَهُ، وَيَقْبَلُ الْحَقَّ فَيَنْتَهُ، {وَمَنْ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا رَحِيمًا}⁽⁴⁾ لِمَا رَأَيْنَا⁽⁵⁾ مِنْ وُجُوبِ⁽⁶⁾ انْتِفَاقِ الْأَهْوَاءِ وَالضَّمَائِرِ، وَخُلُوصِ الْقُلُوبِ وَالسَّرَائِرِ، فِي هَذَا الْوَطَنِ الَّذِي أَحَاطَ⁽⁷⁾ بِهِ الْعَدُوُّ وَالْبَحْرُ، وَمَسَّهُ بِتَقْدِمِ الْفِتْنَةِ الضَّرُّ، وَصِلَتْ لِمَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْنَا⁽⁸⁾، وَهَيَّأَهُ بِنَا، فَلَمْ يَخَفَ مَا سَكَنَ بِنَا مِنْ نَارِ فِتْنَةٍ، وَرَفَعَ مِنْ بَأْسِ وَإِحْنَةٍ⁽⁹⁾ وَكَشَفَ مِنْ ظُلْمَةٍ، وَأَسَدَلَ مِنْ نِعْمَةٍ، وَأَضْفَى⁽¹⁰⁾ مِنْ مَوْرِدِ عَافِيَةٍ، وَأَوَّلَى مِنْ عِصْمَةٍ كَافِيَةٍ بَعْدَمَا تَحَرَّمَتِ⁽¹¹⁾ التُّغُورُ، وَقَسَدَتِ الْأُمُورُ، وَاهْتَضَمَ الدِّينُ، وَاشْتَدَّ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ كَلْبُ الْكَافِرِينَ، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ⁽¹²⁾ اللَّهِ

¹ - ق، ع: "وواعدناه" ولعل الصواب ما أثبت؛ فواعد تقتضي المشاركة، بينما الوعد صدر من السلطان لهم.
² - ق: "الصعاب"، ع: "الصفات". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي عفو وحكمه شامل لجميع طبقات المجتمع رغم اختلاف الأجناس والأعراق.
³ - ق، ع: "يدر" من "دَرَّ اللبن أي غَزَرَ" أساس البلاغة أ / درر: 283 / 1. ولعل الصواب ما أثبت؛ درأ بمعنى دفع.
⁴ - قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظِلْمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا رَحِيمًا} سورة النساء، الآية: 110
⁵ - م: "رأيناه".
⁶ - أ، م "وجوه". والمثبت من ق، ع
⁷ - أ: "حاط" والمثبت من باقي النسخ.
⁸ - م: "أيدينا" ولعل الصواب ما أثبت؛ فقال "يدينا" وليس "أيدينا" كأن اتحادهم في العمل جعلهم كيد واحدة.
⁹ - ق: "أجلة"، ع: "أجئة". ولعل الصواب ما أثبت؛ فالإحنة اسم من أحن الرجل يأحن حقد وأضمر العداوة" المصباح المنير / أحن، ص: 3
¹⁰ - أ: "أصفى" والمثبت من باقي النسخ.
¹¹ - ق: "تحرمت" وهو تصحيف.
¹² - أ، م: "فضل". والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ ففضل الله عظيم، ونصره للمؤمنين جزء منه.

عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ⁽¹⁾، فَلَهُ الْحَمْدُ دَائِبًا، وَالشُّكْرُ وَاجِبًا. وَمِنْ اللَّهِ **نَسْأَلُ** أَنْ يُتِمَّ ⁽²⁾ نِعْمَتَهُ عَلَيْنَا كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْنَا ⁽³⁾ مِنْ قَبْلُ [إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] ⁽⁴⁾.

وَنَحْنُ قَدْ شَرَعْنَا فِي تَعْيِينِ مَنْ يَتُوبُ عَنَّا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَدَالَةِ، وَالِدِّينِ وَالْجَلَالَةِ، لِلتَّطَوُّفِ بِالْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، وَمُبَاشَرَةِ الْأُمُورِ بِالْإِيَالَةِ النَّصْرِيَّةِ، يُنْهَوْنَ إِلَيْنَا مَا يَسْتَطْلِعُونَهُ، وَيُبْلَغُونَ مِنَ الْمَصَالِحِ ⁽⁵⁾ مَا يَتَعَرَّفُونَهُ، وَيُقَيِّدُونَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الثُّغُورُ، وَتَسْتَوْجِبُهُ ⁽⁶⁾ الْمَصْلَحَةُ الْجِهَادِيَّةُ مِنَ الْأُمُورِ، وَنَحْنُ نَسْتَعِينُ بِفَضْلَاءِ رَعِيَّتِنَا وَخِيَارِهِمْ، وَالْمُرَاقِبِينَ ⁽⁷⁾ مِنْهُمْ لِلَّهِ ⁽⁸⁾ فِي إِبْرَادِهِمْ وَإِصْدَارِهِمْ، عَلَى إِنْهَاءِ مَا تَخْفَى عَنَّا مِنْ ظُلَامَةٍ تَقَعُ، أَوْ حَادِثٍ يُبْدَعُ، وَمَنْ اتَّخَذَتْ بِجَوَارِهِ خَمْرٌ فَاشِيَةً، أَوْ نَشَأَتْ فِي جِهَتِهِ لِلْمُنْكَرِ نَاشِئَةٌ.

فَنَحْنُ نُقَلِّدُهُ الْعُهُدَةَ، وَنُطَوِّفُهُ الْقِلَادَةَ، وَوَرَاءَ تَنْبِيهِنَا عَلَى مَا خَفِيَ ⁽⁹⁾ عَنَّا مِنَ الشُّكْرِ لِمَنْ أَهْدَاهُ ⁽¹⁰⁾، وَإِحْمَادِ سَعْيٍ مَنْ بَلَغَهُ ⁽¹¹⁾ وَأَدَّاهُ، مَا نَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَالتَّقَرُّبَ بِهِ إِلَيْهِ. فَمَنْ أَهْدَى لَنَا ⁽¹²⁾ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ شَرِيكٌ فِي أَجْرِهِ، وَمُقَاسِمٌ فِي مَثُوبَتِهِ. وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [وَالسَّلَامُ] ⁽¹³⁾.

1- قال تعالى: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} سورة يوسف، الآية: 38
2- ق: "يُتِمُّ". وكلاهما صحيح.
3- ق، ع: "أَبَانُنَا" ولعل الصواب ما أثبت؛ لموافقتها ألفاظ الآية الكريمة.
4- ق: ساقط. يقول تعالى: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} سورة يوسف، الآية: 6.
5- ق: "النصائح". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي يحققون المصالح الجهادية في الأندلس، فالسياق سياق عمل لا سياق نصح.
6- ق، ع: "تستوحيه". وكلاهما صحيح.
7- م: "المرافقين" وهو تحريف.
8- ق، ع: "الله منهم".
9- ق: "خفاء" ولعل الصواب ما أثبت؛ فما الموصول تحتاج إلى جملة الصلة.
10- ق: "أهديه" ولعل الصواب ما أثبت؛ فأهداه على وزن أداه، وقد شكلا معا السجع.
11- ق، ع: "أبلغه" وكلاهما صحيح.
12- أ، م: "أهدانا". والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ يقال "أهدى له وإليه هدية" أساس البلاغة / هدي: 368 / 2
13- أ، ع، م: ساقط والمثبت من ق.

[وَصَدَرَ عَنِّي ظَهِيرٌ كَرِيمٌ لِمَنْ تَوَجَّهَ يَتَطَلَّعُ عَلَى أَحْوَالِ الرَّعَايَا

حَسَبَمَا نُبَّهَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْمُتَقَدِّمِ⁽¹⁾

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ مُضَمَّنُهُ اسْتِجْلَاءُ⁽²⁾ الْأُمُورِ الرَّعِيَّةِ، وَاسْتِظْلَاعُ وَرَعَايَةٍ، كَرَمْتُ مِنْهَا أَجْنَاسُ

وَأَنْوَاعُ، وَعَدَلُ بَهَرٍ مِنْهُ شُعَاعُ، وَوَصَايَا يَجِبُ لَهَا إِهْطَاعُ. أَصْدَرْنَاهُ لِلْفَقِيهِ [أَبِي]⁽³⁾ فَلَانٍ لَمَّا تَقَرَّرَ

لَدَيْنَا دِينُهُ وَعَدْلُهُ، وَبَانَ صَلاَحُهُ وَفَضْلُهُ، رَأَيْنَا أَنَّهُ أَحَقُّ مَنْ نُقَلِّدُهُ الْمُهِمَّ الْأَكِيدَ⁽⁴⁾، وَنَرْمِي بِهِ مِنْ

أَغْرَاضِ الْبِرِّ الْغَرَضَ الْبَعِيدَ⁽⁵⁾، وَنَسْتَكْشِفُ بِهِ أَحْوَالَ الرَّعَايَا حَتَّى لَا يَغِيبَ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِهَا،

وَلَا يَتَطَرَّقَ إِلَيْهَا طَارِقٌ مِنْ إِهْمَالِهَا، وَيُنْهِيَ إِلَيْنَا الْحَوَادِثَ الَّتِي تَنْشَأُ [فِيهَا]⁽⁶⁾ إِنْهَاءً يَتَكَفَّلُ بِحِيَاظَةِ⁽⁷⁾

إِسَارِهَا⁽⁸⁾ وَأَمْوَالِهَا.

وَأَمَرْنَاهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى جِهَاتٍ كَذَا [حَاطَهَا اللَّهُ]⁽⁹⁾ فَيَجْمَعُ النَّاسَ فِي مَسَاجِدِهِمْ [وَيُبَادِيهِمْ مِنْ

مَشَاهِدِهِمْ]⁽¹⁰⁾ وَيَبْدَأُ بِتَقْرِيرِ غَرَضِنَا فِي صَلاَحِ أَحْوَالِهِمْ، وَإِحْسَابِ أَمَالِهِمْ، وَمُكَابَدَتِنَا الْمَشَقَّةَ⁽¹¹⁾ فِي

مُدَارَاةِ عَدُوِّهِمُ الَّذِي نَعْلَمُ⁽¹²⁾ مِنْ أَحْوَالِهِ⁽¹³⁾ مَا غَابَ عَنْهُمْ، دَفَعَهُ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ، وَوَقَى نُفُوسَهُمْ وَحَرِيمَهُمْ

مِنْ مَعَرَّتِهِ.

1- ق، ع: ساقط، ومكانه: "ومن ذلك".

2- ق: "استخلاء". وهو تصحيف.

3- ق، ع: ساقط.

4- ق، ع: "الوكيد" وكلاهما صحيح.

5- م: "الوكيد".

6- أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع.

7- ق: "بحياصة" ومعناها حزام الدابة.

8- ع: "إبشارها" والإسار ما يقيد به الأسير.

9- أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع.

10- أ، ع، م: ساقط، والزيادة من ق.

11- أ: "المشقة"، والمثبت من ق، ع، م.

12- ق، ع: "يعلم" ببناء الفعل للمجهول، بينما "نعلم" يعود الضمير على السلطان.

13- ق، ع: "من عدوهم" ولعل الصواب ما أثبت؛ تفاديا للتكرار.

وَلَمَّا رَأَيْنَا مِنْ انْبِتَاتِ الْأَسْبَابِ الَّتِي قَبْلُ [تُؤْمَلُ] ⁽¹⁾ وَعَجَزِ الْحِيلِ ⁽²⁾ الَّتِي كَانَتْ تُعْمَلُ،
وَتَسْتَدْعِي ⁽³⁾ إِنْجَادَهُمْ بِالْدُعَاءِ، وَإِخْلَاصَهُمْ فِيهِ إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ. وَنَسْأَلُ عَنْ سِيرَةِ الْقَوَادِ، وَوَلَاةِ
الْأَحْكَامِ بِالْبِلَادِ. فَمَنْ نَالَتْهُ مَظْلَمَةٌ فَلْيَرْفَعْهَا ⁽⁴⁾ وَيَقْضُهَا عَلَيْهِ لِيُبَلِّغَهَا إِلَيْنَا، وَيُوفِدَهَا مُقَرَّرَةً ⁽⁵⁾ الْوَاجِبَاتِ
لَدَيْنَا، وَيَخْتَبِرُ ⁽⁶⁾ مَا افْتَرَضَ صَدَقَةَ الْجَبَلِ ⁽⁷⁾ وَمَا فَضَّلَ عَنْ كَرِيمِ ذَلِكَ الْعَمَلِ، لِيُعِينَ ⁽⁸⁾ لِلْحِصْنِ ⁽⁹⁾
بِجَبَلِ فَارِهِ ⁽¹⁰⁾ يَسَّرَ اللَّهُ لَهُمْ فِي إِنْتِمَائِهِ ⁽¹¹⁾، وَجَعَلَ صَدَقَتَهُمْ تِلْكَ مِسْكَ ⁽¹²⁾ خِتَامِهِ، وَغَيْرِهِ مِمَّا
افْتَرَضَ ⁽¹³⁾ إِعَانَةَ لِلْمُسَافِرِينَ ⁽¹⁴⁾، وَإِنْجَادَ لِجِهَادِ الْكَافِرِينَ.

فَيَعْلَمَ مِقْدَارَهُ، وَيَتَوَالَى ⁽¹⁵⁾ اخْتِيَارُهُ ⁽¹⁶⁾ حَتَّى لَا يُجْعَلَ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى ضَعِيفٍ، وَلَا يُعْدَلَ
فِيهِ ⁽¹⁷⁾ لِمَشْرُوفٍ عَنْ شَرِيفٍ، وَلَا تَقَعَ فِيهِ مُضَاقِقَةُ ذِي الْجَاهِ، وَلَا مُحَادَعَةٌ غَيْرِ ⁽¹⁸⁾ الْمُرَاقِبِ ⁽¹⁹⁾ لِلَّهِ.

وَمَتَى تَحَقَّقَ أَنَّ غَنِيًّا قَصَرَ بِهِ [فِيهِ] ⁽²⁰⁾ عَنْ حَقِّهِ، أَوْ ضَعِيفًا كُفِّ مِنْهُ فَوْقَ طَوْقِهِ، فَيُجْبَرُ ⁽²¹⁾

- 1- ع : ساقط.
- 2- أ : "الحيال". والمثبت من باقي النسخ، ولعله الصواب لأن حيال بمعنى إزاء وتجاه.
- 3- أ، ع، م : "يستدعي". والمثبت من ق، فالحيل هي التي تستدعي الدعاء.
- 4- ق : "فليعرفها" وكلاهما صحيح.
- 5- ع : "مقدرة" وهو تصحيف.
- 6- أ، ق : "نختبر" والمثبت من ع، م.
- 7- أ، ع : "الجبل"، م : "للجبل" والمثبت من ق، ولعله الصواب؛ أي اختبار ما أعطي صدقة لنصرة جبل الفاره.
- 8- ق : "ليعمل إلى بناء"، ع : "ليعل إلى بناء"
- 9- ق : "إلى بناء الحصن".
- 10- جبل فارِهِ : "بالراء المشددة والهاء، مدينة في شرقي الأندلس من أعمال تَطِيلَة" معجم البلدان: 4 / 229
- 11- ق : "تمامه" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالحصن لم يكمل بناؤه.
- 12- أ، ع، م : "مسكة" والمثبت من ق، ولعله الصواب؛ يقال : "ما في سقائه مُسْكَةٌ من ماء: قليل" أساس البلاغة / مسك، 2 / 214
- 13- أ، م : "فرض" والمثبت من ق، ع
- 14- أ، م : "للمسلمين" والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب؛ تشكيلا للسجع.
- 15- أ، ق، ع، م : "يتولى". والمثبت من ع
- 16- أ، م : "اختباره". والمثبت من ق، ع.
- 17- أ، م : "به". والمثبت من ق، ع.
- 18- أ، ق، م : "غير" والمثبت من ع، ولعله الصواب لتوافقها مع السياق.
- 19- ق : "المراتب". وهو تحريف.
- 20- ق : ساقط.
- 21- ق : "فيجبر". وهو تصحيف.

الْفَقِيرُ مِنَ الْغَنِيِّ، وَيُجْرَى مِنَ الْعَدْلِ عَلَى السَّنَنِ السَّوِيِّ⁽¹⁾. وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّ هَذِهِ الْمَعُونَةُ، وَإِنْ كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَحَلِّ ضَرُورَتِهَا يَسِيرَةً، وَأَنَّ اللَّهَ يُضَاعِفُهَا لَهُمْ أَضْعَافًا كَثِيرَةً⁽²⁾، فَلَيْسَتْ مِمَّا يُلْزَمُ، وَلَا مِنَ الْمَعَاوِنِ الَّتِي بِتَكَرُّرِهَا يُحْرَمُ، وَيَنْظَرُ فِي عُهُودِ الْمُتَوَفِّينَ⁽³⁾ فَيَصْرِفُهَا فِي [حُقُوقِهَا]⁽⁴⁾ مَصَارِفَهَا الْمُعَيَّنَةَ⁽⁵⁾، وَطَرَفَهَا الْوَاضِحَةَ الْبَيِّنَةَ⁽⁶⁾. وَيَتَقَفَّدُ الْمَسَاجِدَ⁽⁷⁾ تَقَفُّدًا يَكْسُو⁽⁸⁾ عَارِيَهَا، وَيُتَمِّمُ مِنْهَا الْمَارِبَ تَتْمِيمًا يُرْضِي بَارِئَهَا، وَيَنْدُبُ النَّاسَ لِتَعْلِيمِ⁽⁹⁾ الْقُرْآنِ لِصِبْيَانِهِمْ؛ فَذَلِكَ أَصْلُ [فِي]⁽¹⁰⁾ أَذْيَانِهِمْ، وَيَحْذُهُمُ الْمَغِيبُ عَلَى⁽¹¹⁾ شَيْءٍ⁽¹²⁾ مِنْ أَعْشَارِهِمْ.

فَالزَّكَاةُ أُخْتُ الصَّلَاةِ، وَهُمَا مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ [وَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ]⁽¹³⁾ بِأَفْصَى الْحَدِّ⁽¹⁴⁾ وَالْإِعْتِرَافِ، وَرَفَعْنَا عَنْهُمْ رَسْمَ التَّعْرِيفِ نَظَرًا لَهُمْ⁽¹⁵⁾ بَعَيْنِ الْإِهْتِمَامِ، وَقَدَّمْنَا الثَّقَاتَ⁽¹⁶⁾ لِهَذِهِ الْأَحْكَامِ، وَجَعَلْنَا الْخَرْصَ⁽¹⁷⁾ شَرْعِيًّا فِي هَذَا الْعَامِ، وَفِيمَا بَعْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْأَعْوَامِ. وَمِنْ أَهَمِّ مَا أَسْنَدْنَاهُ

¹ - أ: "النبى"، والمثبت من باقي النسخ

² - قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} سورة البقرة، الآية: 245

³ - ق، ع: "التوفير".

⁴ - ق: ساقط.

⁵ - ق، ع: "المتحينة". ولعل الصواب ما أثبت، أي بصرفها في مصارف تم تعيينها.

⁶ - م: "المبنية". ولعل الصواب ما أثبت؛ فالطرق وردت لا بمعناها المادي، بل بمعناها المجازي.

⁷ - م: "المسلمين".

⁸ - ق: "يكسوا". وهو تحريف؛ لأن الواو أصلية.

⁹ - ق، ع: "إلى تعليم" وكلاهما صحيح، يقال: "نَدَبَ لكذا وإلى كذا فانتدب له" أساس البلاغة / ندب، 2/ 259

¹⁰ - ق، ع: ساقط.

¹¹ - ق: "عن".

¹² - ق، ع: "كل شيء". ولعل الصواب ما أثبت؛ فمن تعني الجزء من الشيء.

¹³ - م: ساقط.

¹⁴ - أ، م: "الحد". والمثبت من ق، ع؛ فالجد والاعتزام مترادفان.

¹⁵ - أ، م: "الهم". والمثبت من ق، ع.

¹⁶ - ق: "الثقات". وهو تصحيف.

¹⁷ - أ: "الحرص" والمثبت من باقي النسخ. والحرص من "خَرَصَ النخل والكرم إذا خَزَرْتُ التمر لأن الخَزَرَ إنما هو تقدير بظن لا إحاطة" لسان العرب / حرص: 46/5

إِلَيْهِ وَعَوَّلْنَا [فِيهِ] ⁽¹⁾ عَلَيْهِ، الْبَحْثُ بِتِلْكَ الْأَحْوَارِ عَنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَالسَّائِرِينَ مِنَ السَّبِيلِ ⁽²⁾ [عَلَى] ⁽³⁾ غَيْرِ السَّوَاءِ. وَمَنْ يَنْبَرِ بِفَسَادِ الْعَقْدِ، وَتَخْرِبِ ⁽⁴⁾ الْقَصْدِ، وَالتَّلَبُّسِ بِالصُّوفِيَّةِ وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ، وَالذَّاهِبِينَ ⁽⁵⁾ إِلَى الْإِبَاحَةِ وَتَأْوِيلِ الْمَعَادِ، وَالْمُؤَلَّفِينَ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَالْمُتَشَيِّعِينَ ⁽⁶⁾ لِمَذَاهِبِ الْخِلَالِ. فَهَمَّا عَثَرَ عَلَى مُطَوَّقٍ بِالثُّمَّةِ، مُنْبَزٍ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلْيَشُدَّ تِقَافَهُ شَدًّا، وَيَسُدَّ عَلَيْهِ ⁽⁷⁾ سَبِيلَ الْخَلَاصِ سَدًّا، وَيُشَرِّعْ ⁽⁸⁾ فِي شَأْنِهِ الْمُوجِبَاتِ، وَيَسْتَوْعِبِ ⁽⁹⁾ الشَّهَادَاتِ، حَتَّى يَنْظُرَ ⁽¹⁰⁾ فِي حَسْمِ [دَائِهِ] ⁽¹¹⁾، وَيُعَالِجَ ⁽¹²⁾ الْمَرَضَ بِدَوَائِهِ ⁽¹³⁾ فَلْيَتَوَلَّ مَا ذَكَرْنَاهُ ⁽¹⁴⁾ نَائِبًا بِأَحْسَنِ الْمَنَابِ، وَيَقْصِدْ وَجْهَ اللَّهِ رَاجِيًا مِنْهُ جَزِيلَ الثَّوَابِ، وَيَعْمَلْ عَمَلًا مِنْ لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً ⁽¹⁵⁾ لِيَجِدَ ذَلِكَ فِي مَوْقِفِ ⁽¹⁶⁾ الْحِسَابِ.

وَعَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوَادِ وَالْأَشْيَاخِ ⁽¹⁷⁾ وَالْحُكَّامِ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُ يَدًا وَاحِدَةً عَلَى مَا

1- ق، ع : ساقط.

2- م : "السبل".

3- ق : ساقط.

4- ق، ع : "وتحريف". وكلاهما صحيح؛ أي هدم القصد بتغيير مساره.

5- م : "والداعين". وكلاهما صحيح.

6- ق، ع : "والمبتغين". وكلاهما صحيح.

7- أ، ق، م : "عنه" والمثبت من ع.

8- ق : "ويستدعي"، ع : "ويسترعي" ولعل الصواب ما أثبت.

9- أ، م : "وتستوعب". والمثبت من ق، ع

10- ق : "تنظر"، ع : "تنظر". ولعل الصواب ما أثبت، فالضمسر يعد على الغائب.

11- ع : ساقط، م : "رأيه".

12- أ، م : "يعاجل"، ق : "نعالج" والمثبت من ع.

13- ق : ساقط.

14- ع : "فاذكر".

15- يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمَةً ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} سورة المائدة، الآية: 54

16- ق، ع : "مواقف".

17- ق : "الأشياخ والوقاد".

ذَكَرْنَاهُ⁽¹⁾ فِي هَذِهِ الْفُصُولِ مِنَ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ⁽²⁾ وَالْعَدْلِ الْمَبْدُولِ⁽³⁾ وَمَنْ قَصَرَ عَنْ غَايَةِ مَنْ
 غَايَاتِهِ، أَوْ خَالَفَ مُقْتَضَى مِنْ مُقْتَضِيَاتِهِ، فَعِقَابُهُ عِقَابُ مَنْ عَصَى أَمْرَ اللَّهِ وَأَمَرَنَا، فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا
 نَفْسَهُ الَّتِي⁽⁴⁾ غَرَّتْهُ، وَإِلَى مَصْرَعِ النَّكِيرِ جَرَّتْهُ⁽⁵⁾ [وَاللَّهُ]⁽⁶⁾ الْمُسْتَعَانُ.
 [وَكُتِبَ عَنِ الْأَمْرِ الْعَلِيِّ الْمَوْلِيِّ السُّلْطَانِيِّ النَّصْرِيِّ أَدَامَ اللَّهُ غُلَاهُ، وَوَالِي مَضَاءَهُ فِي شَهْرِ
 رَبِيعِ الْمُبَارَكِ مِنْ عَامِ خَمْسَةِ وَسِتِّينَ وَسَبْعُمِائَةَ عَرَفْنَا اللَّهُ خَيْرَهُ]⁽⁷⁾

1- ق، ع: "حددنا". كلاهما صحيح.
 2- ق: "المنقول". وهو تحريف.
 3- ق: "المبدول". وهو تصحيف.
 4- أ، م: "الذي". المثبت من ق، ع
 5- ق: "جذبتة". وكلاهما صحيح.
 6- ق: ساقط.
 7- ق، ع: ساقط.

أَوَلَمَّا تَوَجَّهَ شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ السَّفَارَةُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْمَحْرُوقِ⁽¹⁾ رَسُولًا إِلَى الْمَغْرِبِ يَسْتَدْعِي
الْإِمْدَادَ، وَيَحْضُ عَلَى الْجِهَادِ كَانَ مِمَّا رَفَعَ بِهِ الْعَقِيرَةَ بِجَامِعِ الْقَرْوِيِّينَ قَوْلِي فِي غَرَضِ الْمُوعِظَةِ
وَاسْتَوْعَبَهُ دَرَسَاهُ⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ -رَحِمَكُمُ اللَّهُ- [إِنَّ]⁽³⁾ إِخْوَانَكُمْ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ⁽⁴⁾ قَدْ دَهَمَ⁽⁵⁾ الْعَدُوُّ -قَصَمَهُ اللَّهُ-
سَاحَتَهُمْ، وَزَامَ الْكُفْرَ -حَيَّيَهُ اللَّهُ- اسْتَبَاحَتَهُمْ، وَرَجَعَتْ أَبْصَارُ⁽⁶⁾ الطَّوَاعِثِ⁽⁷⁾ إِلَيْهِمْ، وَمَدَّ الصَّلِيبُ
ذِرَاعِيهِ⁽⁸⁾ عَلَيْهِمْ، وَأَيْدِيكُمْ⁽⁹⁾ بِعِزَّةِ⁽¹⁰⁾ اللَّهِ أَقْوَى، وَأَنْتُمْ الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَهُوَ دِينُكُمْ
فَاصْصُروهُ، وَجِوَارُكُمْ الْغَرِيبُ فَلَا تُخْفِرُوهُ⁽¹¹⁾، وَسَبِيلُ الرُّشْدِ قَدْ وَضَحَ فَاسْتَبْصِرُوهُ⁽¹²⁾.

الْجِهَادَ الْجِهَادَ فَقَدْ تَعَيَّنَ. الْجَارَ الْجَارَ فَقَدْ قَرَّرَ⁽¹³⁾ الشَّرْعُ حَقَّهُ وَبَيَّنَّ. اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ. اللَّهُ
اللَّهُ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ. اللَّهُ اللَّهُ فِي الْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ. اللَّهُ اللَّهُ فِي وَطَنِ⁽¹⁴⁾ الْجِهَادِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ اسْتَعَاثَ بِكُمْ الدِّينُ فَأَغِيثُوهُ، وَقَدْ تَأَكَّدَ عَهْدُ اللَّهِ وَحَاشَاكُمْ أَنْ تَتَكَبَّرُوهُ. أَعِينُوا إِخْوَانَكُمْ بِمَا

¹ - أبو الحسن بن المحروق: (672-729هـ / 1273-1328م) محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله بن المحروق: وزير أندلسي من أهل غرناطة. كان وكيل السلطان اسماعيل بن فرج النصري في بعض أعماله، واغتيل السلطان اسماعيل وبويع لابنه (محمد) سنة 725هـ، وهو في العاشرة من عمره، فتولى ابن المحروق وزارته وحجبه وتغلب على ملكه بغرناطة، واستمر إلى أن ترعرع محمد، فكان أول ما شعر به حب التحرر من كابوس ابن المحروق، فأوعز بقتله، فقتل "الأعلام: 325 / 5

² - ق، ع : ساقط. ومكانه : ومن ذلك وتوجه به المحروق".

³ - ق، ع : ساقط.

⁴ - الأندلس: "بضم الدال وفتحها، وهي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم، وإنما عرفت في العرب في الإسلام. وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام. وهي جزيرة كبيرة" معجم البلدان: 262/1

⁵ - ق: "هَمَّ". ولعل الصواب ما أثبت؛ يقال : "ودهمتهم الخيل ودهمتهم: غشيتهم" أساس البلاغة / دهم: 304 / 1

⁶ - ق، ع : "أحزاب". يقال: "رجف البحر: اضطربت أمواجه" أساس البلاغة / رجف: 340 / 1

⁷ - ق، م : "الطواغيت".

⁸ - ق : "دراعه"، وهو تصحيف. م : "بذراعيه" ولعل الصواب ما أثبت؛ يقال: "مد الحبل ووغيره فامتد" أساس البلاغة / مدد،

199 / 1

⁹ - ق : "أيد". ومعنى الأيد: "من أد يئيد أيدا وآدا قوي واشتد" المصباح المنير / أيد، ص 13

¹⁰ - أ : "لعزة". والمثبت من باقي النسخ.

¹¹ - "أخفـره" : نقض عهده وخاس به وغدره " لسان العرب / خفر: 110 / 5

¹² - ع : "فلتبصروه". وكلاهما صحيح؛ أي ابصروا طريق الرشـد واطلبوا من يبصركم إياه.

¹³ - ق، ع : "حقوق".

¹⁴ - ق : "مواطن". وكلاهما صحيح.

أَمْكَنَ مِنَ الْإِعَانَةِ، أَعَانَكُمْ اللَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، جَرِّدُوا عَوَائِدَ الْحَمِيَّةِ⁽¹⁾ يَصِلُ اللَّهُ لَكُمْ جَمِيلَ الْعَوَائِدِ. صَلُّوا رَحِمَ الْكَلِمَةِ، وَأَسُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ تِلْكَ الطَّائِفَةُ⁽²⁾ الْمُسْلِمَةُ. كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، وَالسُّنَّةُ الْآيَاتِ تُنَادِيكُمْ، وَاللَّهُ [سُبْحَانَهُ]⁽³⁾ يَقُولُ فِيهِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ⁽⁴⁾} وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ قَائِمَةٌ فِيكُمْ. وَمِمَّا صَحَّ عَنْهُ ﷺ⁽⁵⁾: (مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ)⁶، (لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ)⁽⁷⁾، (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا)⁽⁸⁾. أَدْرِكُوا رَمَقَ الدِّينِ قَبْلَ أَنْ يَقُوتَ. بَادِرُوا⁽⁹⁾ عِلِيلَ الْإِسْلَامِ قَبْلَ⁽¹⁰⁾ أَنْ يَمُوتَ. احْفَظُوا وُجُوهَكُمْ مَعَ اللَّهِ يَوْمَ يَسْأَلُكُمْ عَنْ عِبَادِهِ. جَاهِدُوا فِي [سَبِيلِ]⁽¹¹⁾ اللَّهِ بِالْأَنْفُسِ⁽¹²⁾ وَالْأَمْوَالِ⁽¹³⁾ وَالْأَقْوَالِ حَقَّ جِهَادِهِ⁽¹⁴⁾:

مَاذَا يَكُونُ جَوَابُكُمْ لِنَبِيِّكُمْ *** وَطَرِيقُ هَذَا الْعُذْرِ غَيْرُ مُمَهَّدٍ

إِنْ قَالَ لِمَ فَرَّطْتُمْ فِي أُمَّتِي *** وَتَرَكْتُمُوهُمْ لِلْعَدُوِّ الْمُعْتَدِي

- 1- ق، ع: "الخير". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي تحلوا بالغيرة والحمية على الدين للدفاع عنه.
- 2- أ، م: "الطوائف" والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) رواه البخاري (7311) ومسلم (156).
- 3- ق: "تعالى"، ع: ساقط.
- 4- يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} سورة الصف، الآية: 10-11.
- 5- ق، ع: زيادة "وقوله:" (مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)
- عن عباية بن رفاعه رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: "من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار" قال الألباني في السلسلة الصحيحة (254/5) أخرجه البخاري (390/2) والترمذي (163/2) والنسائي (56/2) وابن حبان (4586) وأحمد (479/3)⁶
- 7- قال صلى الله عليه وسلم: (لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا) رواه النسائي 3110، وهو حديث صحيح
- 8- تنمته: (ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا) أخرجه البخاري. باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير رقم 2688
- 9- م: "بادروا". وهو تصحيف.
- 10- ق: ساقط.
- 11- ع: ساقط.
- 12- ق، ع: "بالألسن" ولعل الصواب ما أثبت.
- 13- ق، ع: ساقط.
- 14- قال تعالى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} سورة التوبة، الآية:

تَاللّٰهِ لَوْ أَنَّ الْعُقُوبَةَ لَمْ تُخَفَّ *** لَكَفَا الْحَيَا مِنْ وَجْهِ ذَاكَ السَّيِّدِ

اللَّهُمَّ اعْطِفْ عَلَيْنَا قُلُوبَ الْعِبَادِ. اللَّهُمَّ بُثَّ (1) لَنَا الْحَمِيَّةَ فِي الْبِلَادِ. اللَّهُمَّ دَافِعْ عَنِ الْحَرِيمِ الضَّعِيفِ
وَالْأَوْلَادِ. اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِكَ بِأَحْبَابِكَ وَأَوْلِيَائِكَ يَا خَيْرَ النَّاصِرِينَ. اللَّهُمَّ {أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (2). وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا [وَمَوْلَانَا] (3) وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا [كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ] (4).

¹ - ق: "ثبت". وكلاهما صحيح.

² - قال تعالى: {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} سورة البقرة،

الآية: 250

³ - ق: ساقط.

⁴ - ق، ع: ساقط.

لَوْصَلَنِي كِتَابُ السُّلْطَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعَرِّفُ بِفَتْحِ إِطْرِيرَةِ⁽¹⁾ وَاسْتِيلَائِهِ عَلَيْهَا غَنَوَةً وَذَلِكَ بِخَطِّ يَدِهِ فَعَرَفْتُ مِنْ أَهْلِ حَضْرَتِهِ الَّذِينَ أَعْجَلَهُمْ إِسْرَاعُ الْحَرَكَةِ عَنِ اللَّحَاقِ بِهِ⁽²⁾

أَيُّهَا النَّاسُ ضَاعَفَ اللَّهُ بِمَزِيدِ النِّعَمِ سُورَكُمْ، وَتَكَفَّلَ بِلُطْفِهِ الْخَفِيِّ فِي هَذَا الْقُطْرِ الْغَرِيبِ أُمُورَكُمْ، أَبَشَّرَكُمْ بِمَا كَتَبَهُ⁽³⁾ سُلْطَانُكُمْ السَّعِيدُ عَلَيْكُمْ، الْمُتَرَادِفَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَسَعَادَتِهِ نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ. أَمَتَعَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ بِبَقَائِهِ، وَأَيَّدَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَنَصَرَهُ فِي أَرْضِهِ بِمَلَائِكَةِ سَمَائِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ لَهُ الْفَتْحَ الْمُبِينَ، وَأَعَزَّ بِحَرَكَةِ جِهَادِهِ الدِّينَ، وَبَيَّضَ وُجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَظْفَرَهُ بِإِطْرِيرَةِ الْبَلَدِ الَّذِي فَجَعَ الْمُسْلِمِينَ بِإِسْرَارِهِمْ فَجِيعَةً⁽⁴⁾ تُثِيرُ الْحَمِيَّةَ، وَتُحَرِّكُ النُّفُوسَ⁽⁵⁾ الْأَيَّيَّةَ، فَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ عَلَى يَدِهِ، وَبَلَغَهُ مِنْ اسْتِئْصَالِهِمْ غَايَةَ مَقْصَدِهِ، فَصَدَقَ مِنَ [اللَّهِ]⁽⁶⁾ لِأَوْلِيَائِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَحَكَمَ بِإِبَادَتِهِمْ⁽⁷⁾ الْمُبْدِي الْمُعِيدُ. {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}⁽⁸⁾

وَتَحَصَّلَ مِنْ سَبَبِهِمْ⁽⁹⁾ بَعْدَمَا رَوَيْتِ السُّيُوفَ بِدِمَائِهِمْ⁽¹⁰⁾ أَلُوفٌ⁽¹¹⁾ عَدِيدَةٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فِي الْمُدَدِ الْمَدِيدَةِ، وَلَا فِي الْعُهُودِ⁽¹²⁾ الْبَعِيدَةِ. وَلَمْ يُصَبِّ مِنْ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ عَدَدٌ يُذَكَّرُ، وَلَا رَجُلٌ يُعْتَبَرُ⁽¹³⁾ فَتَحَ هَنِيئًا، وَصُنْعَ سَنِيٍّ، وَلُطْفَ خَفِيٍّ، وَوَعْدٌ وَفِيٍّ.

1- "إطريرة: (مقاطعة إشبيلية) ضبطت بكسر الهمزة وسكون الطاء، وتقع في الجنوب الشرقي من إشبيلية على بعد 39 كلم" تاريخ ابن خلدون: 609 / 7

2- ق، ع : ساقط، ومكانه : "ومن ذلك".

3- أ، ق، ع : "كتب به". والمثبت من م؛ أي يبلغكم مضمون رسالته لا أداة الكتابة.

4- ق: " فجعة". ولعل الصواب ما أثبت؛ يقال: "نزلت بهم فجعة وفاجهة" أساس البلاغة / فجع: 8 / 2

5- ق، ع : "النفوس".

6- أ: بياض، والمثبت من باقي النسخ.

7- ق: " بإفادتهم". لعل الصواب ما أثبت؛ أي تم إهلاكهم.

8- سورة هود، الآية: 102.

9- ق، ع: "سبيه". ولعل الصواب ما أثبت؛ فالضمير يعود على الأعداء.

10- ق، ع: "من دمائهم". ولعل الصواب ما أثبت؛ مبالغة في إراقة كل الدماء.

11- ق، ع: "آلاف".

12- ق، ع: "ولا العهود".

13- أ، م: "معتبر" والمثبت من ق، ع.

فَاسْتَبْشِرُوا بِفَضْلِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ، وَثِقُوا عِنْدَ الْإِفْتِقَارِ وَالْإِنْقِطَاعِ بِرَحْمَتِهِ، وَقَابِلُوا نِعْمَهُ بِالشُّكْرِ
يَزِيدُكُمْ⁽¹⁾، وَاسْتَبْصِرُوا فِي الدِّفَاعِ عَنْ دِينِكُمْ يَنْصُرُكُمْ وَيُؤَيِّدُكُمْ، وَاعْتَبِطُوا⁽²⁾ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُبَارَكَةِ
الَّتِي لَمْ تَعْدِمُوا مِنَ اللَّهِ مَعَهَا عَيْشاً خَصِيْباً، وَلَا رَأياً مُصِيباً، وَلَا نَصراً عَزِيزاً، وَلَا فَتْحاً⁽³⁾ قَرِيباً،
وَتَضَرَّعُوا فِي بَقَائِهَا، وَنَصِرْ لَوَائِهَا إِلَى مَنْ⁽⁴⁾ لَمْ يَزَلْ سَمِيعاً لِلدُّعَاءِ مُجِيباً.
وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَجْعَلُ الْبَشَائِرَ الْفَاشِيَةَ فِيكُمْ عَادَةً، وَلَا يَعْدِمُكُمْ وَلَا يَلْزِمُ الْأَمْرَ تَوْفِيقاً وَسَعَادَةً.
وَالسَّلَامُ [الكَرِيمُ يَخْصُكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ [تَعَالَى]⁽⁵⁾ وَبَرَكَاتُهُ. مِنْ مُبَلِّغِ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ [ابْنُ الْخَطِيبِ]⁽⁶⁾

¹ - أ، ع، م: "يزدكم". والمثبت من ق.

² - ق: ساقط.

³ - أ، م: "فتحا"، والمثبت من ق، ع

⁴ - أ، م: "المن" والمثبت من ق، ع.

⁵ - أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع

⁶ - ق، ع: ساقط، ومكانه: "فلان". ابن الخطيب السلماني لسان الدين: (713 - 776 هـ = 1313 - 1374 م) محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب: وزير مؤرخ أديب نبيل. كان أسلافه يعرفون ببني الوزير. ولد ونشأ بغرناطة. واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (سنة 733 هـ) ثم ابنه (الغني بالله) محمد، من بعده. وعظمت مكانته" الأعلام: 160 / 3

[ظَهَائِرُ الْأُمَرَاءِ وَالْوُلَاةِ]

صَدَرَ عَنِّي لِشَيْخِ الْغَزَاةِ بِالْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عُمَرَ بْنِ رَحُو⁽¹⁾

لأَوَّلِ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ السُّلْطَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ⁽²⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ⁽³⁾

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ، مَنْزِلَتُهُ فِي الظُّهْرِ⁽⁴⁾ الْكَرِيمَةِ مَنْزِلَةُ الْمُعْتَمَدِ⁽⁵⁾ [بِهِ]⁽⁶⁾ فِي الظُّهْرَاءِ⁽⁷⁾ الْكَرَامِ،

أُطْلِعَ وَجْهَ التَّعْظِيمِ سَافِرِ الْقَسَامِ⁽⁸⁾، وَعَقَدَ رَايَةَ الْعِزِّ السَّامِيَةِ⁽⁹⁾ الْأَعْلَامِ، وَجَدَّدَ⁽¹⁰⁾ كَرِيمَ الْمَتَاتِ⁽¹¹⁾

وَقَدِيمَ الدِّمَامِ⁽¹²⁾، وَأَنْتَضَى لِلدِّفَاعِ⁽¹³⁾ عَنْ حَوْزَةِ الدِّينِ حُسَامًا، هَزَّ⁽¹⁴⁾ بِمَضَائِهِ صَدْرَ الْحُسَامِ،

فَأَعْلَى تَجْدِيدَهُ بِشَدِّ أَرْزِ الْمُلْكِ وَمُنَاصَحَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَعْرَبَ عَنِ الْإِعْتِنَاءِ الَّذِي لَا تُخْلِقُ جِدَّتَهُ⁽¹⁵⁾

الَّلَّيَالِي وَالْأَيَّامُ.

¹ - "أبو زكريا يحيى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق المريني، وكان معاصرًا لابن أبي العلاء، وتولى مشيخة الغزاة فترة قصيرة كان ابن أبي العلاء قد عزل فيها، ثم تولاها بعد وفاة ابن أبي العلاء مرة أخرى، وكان رئيسًا أصيلًا، شجاعًا داهية، شديد التيقظ، عارفًا بأحوال قبيلته" نفح الطيب: 386 / 6

² - "أبو عبد الله هو ابن أبي الوليد اسماعيل بن الرئيس أبي سعيد فرج بن الأحمر المتغلب على ملك الأندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش، وقد بادر السلطان أبو عبد الله إلى الوفاة على السلطان أبي الحسن لمحاربة الطاغية المستولي على جبل الفتح منذ سنة 709هـ، فقدم عليه بدار ملكه بفاس سنة 732، فأكرم أبو الحسن وفادته وعقد لابنه أبي مالك، فزحف مع بني الأحمر إلى الجبل وأحاطوا به وألحوا عليه إلى أن فتحوه يوم الثلاثاء 12 من شهر ذي الحجة سنة 733هـ" الاستقصا: 121 / 3

³ - ق، ع: ساقط بزيادة: "ومن ذلك".

⁴ - ق، ع: "الظهائر".

⁵ - م: "المعتمدة" وهو تحريف.

⁶ - م: ساقط.

⁷ - م: "الظهر". والظهراء: "ج ظهير، بمعنى رفيق ونصير" لسان العرب / ظهر: 199 / 9

⁸ - ع: "القيام" ولعل الصواب ما أثبت، أي أن قسما وجه التعظيم سافرة ظاهرة.

⁹ - ق، ع: "السامي" عاد الضمير على العز.

¹⁰ - ق: "وجد" وهو تحريف.

¹¹ - ق، "المتات" بالثاء بدل التاء. والمتات: "ما متُّ به. والمت: التوسل والتوصل بحرمة أو قرابة أو غير ذلك" لسان العرب / متت: 11 / 14

¹² - ع: "الدمام" بالكسر، ومعناه "دواء تطلّى به جبهة الصبي وظاهر عينيه، وكل شيء طلي به" لسان العرب / دم: 302 / 5

"الذمام والمذمة: الحق والحرمة والجمع أذمة" لسان العرب / ذم: 43 / 6

¹³ - أ، م: "للدين" والمثبت من ق، ع.

¹⁴ - ق: "يعز"، ع: "يَعَزُّ" وهو تحريف لأن العَرَزَ بمعنى "الإساءة لسان العرب / عر: 80 / 10. وهذا مخالف للسياق.

¹⁵ - ق: "تجديده أيدي"، ع: "جديده أيدي". ولعل الصواب ما أثبت، "جد الشيء يجد بالكسر فهو جديد وهو خلاف القديم" المصباح المنير، 273 / 36

أَمَرَ بِهِ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ [أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ] ⁽¹⁾

أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ نَصْرِ، -أَيَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ، وَأَعَزَّ نَصْرَهُ- لَوْلِيَّهِ الَّذِي هُوَ عِمَادُ سُلْطَانِهِ، وَوَاحِدُ خُلَصَانِهِ،

وَسَيْفُ جِهَادِهِ، وَرَأْسُ أُولِي الدِّفَاعِ عَنْ ⁽²⁾ بِلَادِهِ، وَعِضْدُ مُلْكِهِ، وَوَسْطَى سِلْكِهِ. الشَّيْخُ الْكَذَّاءُ أَبِي

زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي عَلِيٍّ عُمَرَ بْنِ زَيْدٍ رَحُو ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ ⁽³⁾ زَادَ اللَّهُ مَجْدَهُ عُلُوًّا، وَقَدَّرَهُ

سُمُوًّا، وَجِهَادَهُ ثَنَاءً مَثْلُوًّا، لَمَّا كَانَ مَحَلُّهُ مِنْ مَقَامِهِ الْمَحَلِّ الَّذِي تَتَقَاصَرُ عَنْهُ أَبْصَارُ الْأَطْمَاعِ،

فَقَرَّتْ حَاسِرَةٌ ⁽⁴⁾، وَكَانَ [الدِّفَاعُ] ⁽⁵⁾ عَنْ دَوْلَتِهِ يَدًا بَاطِشَةً، وَمُقَلَّةً بَاصِرَةً؛ فَهُوَ مَالِكُ أُمُورِهَا، وَارِدَةٌ أَوْ

صَادِرَةٌ، وَسَيْفُ جِهَادِهَا الَّذِي أَصْبَحَتْ بِمِصْنَانِهَا ظَافِرَةً، وَعَلَى أَعْدَائِهَا ظَاهِرَةً، وَكَانَ لَهُ الصِّيتُ

الْبَعِيدُ، وَالرَّأْيُ السَّدِيدُ، [وَالذِّكْرُ] ⁽⁶⁾ الْحَمِيدُ، وَالْحَسَبُ الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ التَّمَجِيدُ، وَالْقَدْرُ الَّذِي سَمَا مِنْهُ

الْجَيْدُ ⁽⁷⁾، وَعَرَفَهُ [بِهِ] ⁽⁸⁾ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَالْجِهَادُ الَّذِي صَدَقَ فِي قَوَاعِدِهِ الْإِجْتِهَادُ ⁽⁹⁾ وَالتَّقْلِيدُ. فَإِنْ

قَادَ جَيْشًا أَبْعَدَ غَارَتَهُ، وَإِنْ دَبَّرَ أَمْرًا أَحْكَمَ إِدَارَتَهُ، مُسْتَظْهِرًا بِالْجَلَالِ الَّذِي لَبَسَ شَارَتَهُ؛ فَهُوَ وَاحِدُ

الزَّمَانِ، وَالْعُدَّةُ الرَّفِيعَةُ مِنْ عُدَدِ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَهُ بِذَاتِهِ وَسَلَفِهِ عُلُوُّ الشَّانِ، وَسُمُوُّ الْمَكَانِ، وَالْحَسَبُ

الْوَثِيقُ الْبُنْيَانِ، وَلِبَنِيَّتِهِ ⁽¹⁰⁾ الْكَرِيمِ [بَيْتُ] ⁽¹¹⁾ مِنْ بَنِي رَحُو ⁽¹²⁾ السَّابِقَةِ فِي وَلَايَةِ هَذِهِ الْأَوْطَانِ،

¹ - ق، ع: "ساقط"

² - م: "من". ولعل الصواب ما أثبت، أي يدافع عن بلاده. فحمو بن عبد الحق بن رحو من قبيلة زناتة بالمغرب "تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية، 431 / 2

³ - أ، م: "ابن الشيخ الكذا"، والمثبت من: ق، ع.

⁴ - ق: "خاسئة"، ع، م: "خاسرة". يقول تعالى: {يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} سورة الملك، الآية: 4.

⁵ - ق، ع: "ساقط"

⁶ - أ، م: "ساقط"، والمثبت من ق، ع.

⁷ - أ، م: "الجد"، والمثبت من ق، ع كناية عن سمو القدر وارتفاعه.

⁸ - ق، ع: "ساقط".

⁹ - م: "كالاجتهاد".

¹⁰ - أ: "لبينه"، والمثبت من ق، ع، م. وهو تصحيف

¹¹ - أ، م: "ساقط"، والمثبت من ق، ع.

¹² - م: "نجد حق".

وَالْمُدَافِعَةَ عَنْ حَوْزَةِ الْمُلْكِ وَحِمَى السُّلْطَانِ، إِنَّ فُؤَخِرُوا⁽¹⁾ صَعَدُوا⁽²⁾ بِالْمَفَاخِرِ الْمَعْلُومَةِ، وَمَتُّوا إِلَى
مَلِكِ الْمَغْرِبِ بِبُنُوَّةِ الْعُمُومَةِ، وَتَزَيَّنُوا مِنْ حُلَى⁽³⁾ الْعِزِّ بِالنَّيْجَانِ الْمَنْظُومَةِ، فَهَمَّ سَيْوْفُ الدِّينِ،
وَأَبْطَالَ الْمَيَادِينَ، وَأَسْوَدُ الْعَرِينِ، وَنُجُومُ سَمَاءِ بَنِي مَرِينِ.

وَكَانَ سَلْفُهُ الْكَرِيمُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَسْتَضِيءُ⁽⁴⁾ مِنْ رَأْيِهِ بِالشَّهَابِ الثَّاقِبِ⁽⁵⁾، وَيُحِلُّهُ مِنْ
بَسَاطِ تَقْرِيبِهِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، وَيَسْتَوْضِحُ كُنْهَ جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ، وَيَسْتَظْهَرُ بِصِدْقِ دِفَاعِهِ عَلَى جِهَادِ
الْعَدُوِّ الْكَاذِبِ، وَيَرَى أَنَّ عِزَّ دَوْلَتِهِ وَسَيْفَ صَوْلَتِهِ، وَذَخِيرَةَ فَخْرِهِ، وَسِيَّاحَ أَمْرِهِ، جَدَّدَ⁽⁶⁾ لَهُ هَذِهِ
الرُّتَبَ تَجْدِيداً صَيَّرَ الْعَايَةَ مِنْهَا ابْتِدَاءً، وَاسْتَأْنَفَ بِهِ إِعْلَاءً، وَلَمْ يَدْخُرْ⁽⁷⁾ عَنْهُ⁽⁸⁾ حُظُوءٌ وَلَا اعْتِنَاءٌ.
وَحِينَ صَيَّرَ اللَّهُ إِلَيْهِ مُلْكَ الْمَوْلَى أَبِيهِ بِمُظَاهَرَتِهِ وَرَأْيِهِ، [وَقَلَّدَهُ قِلَادَةَ الْمُلْكِ بِأَصِيلِ
[اجْتِهَادِهِ]⁽⁹⁾ وَرِاثَةَ آبَائِهِ]⁽¹⁰⁾، وَحَمِيدِ⁽¹¹⁾ سَعْيِهِ بَعْدَ أَنْ سَبَقَ الْأُلُوفَ إِلَى الْأَخْذِ بِثَأْرِهِ، وَعَاجَلَتْ
الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى⁽¹²⁾ يَدَ ابْتِدَارِهِ، وَأَرْدَى بِنَفْسِهِ الشَّقِيَّ الَّذِي سَعَى فِي تَبْدِيدِ شَمْلِ [الْإِسْلَامِ]⁽¹³⁾ وَإِطْفَاءِ
أَنْوَارِهِ، عَلَى تَعَدُّدِ خُلَصَانِ الْمَلِكِ يَوْمَئِذٍ، وَتَوَفُّرِ أَنْصَارِهِ، فَاسْتَقَرَّ الْمُلْكُ فِي قَرَارِهِ، وَانْسَحَبَ السِّتْرُ
عَلَى مَحَلِّهِ، وَامْتَدَّ ظِلُّ الْحِفْظِ عَلَى دَارِهِ؛ عَرَفَ وَسِيلَةَ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي قَامَهُ، وَالْوَفَاءِ الَّذِي رَفَعَ

1- أ، ق، م: "فوخر". والمثبت من ع؛ لأن الضمير عائد على بني رحو.

2- أ، ق، ع: "فاصدعوا". والمثبت من م، ولعله الصواب؛ فعندما يفخر عليهم أحد يصعدون في سلم المراقبي.

3- أ: "حلا"، والمثبت من ق، ع. م: "خيلاء".

4- ق، ع: "يستضاء". ولعل الصواب ما أثبت؛ فيحله معطوفة على يستضيء.

5- قال تعالى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} سورة الصافات، الآية: 10.

6- "جد" وهو تحريف.

7- ع، م: "يدخر"، دخر بالفتح: ذل وصغر، والدخور: الصغار والذل. لسان العرب / دخر: 227 / 5.

8- أ، م: "به" والمثبت من ق، ع.

9- ق، ع: بزيادة "اجتهاده".

10- ق، ع: "ساقط".

11- أ، م: "حمد"، والمثبت من ق، ع.

12- قال تعالى: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} سورة الدخان، الآية: 16.

13- أ: "ساقط" والمثبت من ع.

أَعْلَامُهُ، فَأَلْقَى إِلَيْهِ فِي مُهِمِّ الْأُمُورِ بِالْمَقَالِيدِ، وَالزَّمَهُ مُلَازِمَةَ الْحُضُورِ مَجْلِسُهُ السَّعِيدِ، وَشَدَّ يَدَ
 الْإِغْتِبَاطِ عَلَى قُرْبِهِ مُسْتَنْجِحاً⁽¹⁾ مِنْهُ بِالرَّأْيِ السَّدِيدِ، وَمُسْتَنْدِئاً مِنْ وَدِّهِ إِلَى الرُّكْنِ الشَّدِيدِ، وَأَقَامَهُ
 بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ عِمَادَ قَوْمِهِ، فَهُوَ فِيهِمْ يَعْصُوبُ [الْكُتَيْبَةُ]⁽²⁾، وَوُسْطَى الْعَقْدِ الْفَرِيدِ، وَفَذَلِكَ⁽³⁾
 الْحِسَابُ وَبَيَّتُ الْقَصِيدِ، فَدَوَّارُهُ مِنْهُمْ⁽⁴⁾ لِلشَّرِيدِ مَأْوَى الطَّرِيفِ وَالتَّلِيدِ، وَالْكَفِيلِ بِالْحُسْنَى وَالْمَزِيدِ،
 يَقِفُ⁽⁵⁾ بَبَابِهِ أَمْرًاؤُهُمْ، [وَتَتَعَقَّدُ فِي مَجْلِسِهِ آرَاؤُهُمْ]⁽⁶⁾ وَيَرْكُضُ خَلْفَهُ كُبْرَاؤُهُمْ، مُجَدِّدًا مِنْ ذَلِكَ مَا عَقَدَ
 سَلَفُهُ مِنْ تَقْدِيمِهِ، وَأَوْجَبَهُ مَزِيَّةَ حَدِيثِهِ وَقَدِيمِهِ.

فَهُوَ شَيْخُ الْغُرَاةِ عَلَى اخْتِلَافِ قَبَائِلِهِمْ، وَتَشَعُّبِ وَسَائِلِهِمْ، تَتَفَاضَلُ دَرَجَاتُ الْقَبُولِ عَلَيْهِمْ
 بِتَعْرِيفِهِ، وَتَشْرَفُ أَقْدَارُهُمْ⁽⁷⁾ لَدَيْهِ⁽⁸⁾ بِتَشْرِيفِهِ، وَتَثْبُتُ وَاجِبَاتُهُمْ بِتَقْدِيرِهِ، وَيَنَالُهُمْ⁽⁹⁾ الْمَزِيدُ بِتَحْقِيقِهِ
 [الْغِنَاءِ]⁽¹⁰⁾ مِنْهُمْ وَتَقْرِيرِهِ، فَهُوَ بَعْدَهُ -أَيْدُهُ اللَّهُ- قِبْلَةُ آمَالِهِمْ، وَمِيزَانُ أَعْمَالِهِمْ، وَالْأَفْقَ الَّذِي يَصُوبُ
 مِنْ سَحَابِ رِفْدِهِ⁽¹¹⁾ عَمَامَ نَوَالِهِمْ، وَالْيَدَ [الَّتِي]⁽¹²⁾ تَسْتَمْنَحُ عَادَةً أَطْعِمَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ
 عَظِيمَ الْقَدْرِ، مُنْشِرِحَ الصَّدْرِ، حَالًا مِنْ دَائِرَةِ حَشَمِهِمْ مَحَلَّ الْقَلْبِ مِنَ الصَّدْرِ، مُتَأَلِّقًا فِي هَالَتِهِ تَأَلَّقَ
 الْبَدْرِ، صَادِعًا بَيْنَهُمْ بِاللُّغَاتِ الزُّنَاتِيَّةِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْأَصَالَةِ الْعَرِيقَةِ، وَاللِّسَانِ الْحُرِّ، وَهُوَ - إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ - الْحُسَامُ الَّذِي لَا يُنْبَهُ عَلَى الضَّرْبَةِ، وَلَا يَزِيدُهُ حُسْنًا جَلْبُ الْحُلِيِّ الْعَجِيبَةِ حَتَّى يُشْكَرَ اللَّهُ

1- أ، م: "مستمنحا". والمثبت من ق، ع، ولعل الصواب ما أثبت؛ أي انه يحقق النجاح باتباع رأيه الصائب.

2- ق: "ساقط"

3- ق: "فدلكة" بدال مهملة. الفدلكة: فذلك حسابه فدلكة أنهاه وفرغ منه. وهي مخترعة من قول الحاسب إذا أجمل حسابه، فذلك كذا وكذا إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته.

4- ق "مبهم" وهو تصحيف.

5- ق، ع "تقف".

6- أ، ق، م: "ساقط" والمثبت من ع.

7- أ، م: "أقداره" والمثبت من ق، ع

8- أ، م: "الديهم"، والمثبت من ق، ع

9- أ، م: "ينال" والمثبت من ق، ع.

10- ق: "ساقط".

11- ق، ع: "قدره" "الرِّفْد والرِّفْد: القدر العظيم الضخم" لسان العرب / رفد: 189/6.

12- أ، م: "ساقط" والمثبت من ق، ع.

وَالْمُسْلِمُونَ اغْتَبَاطَ مَقَامِهِ بِمِثْلِهِ، وَبُزِّي بِرُّهُ عَلَى مَنْ أَسَسَ بِرُّهُ مِنْ قَبْلَهُ، وَبَجَنْتِي الْمَلِكُ ثَمَرَةَ تَقْرِيْبِهِ مِنْ مَحَلِّهِ.

وَمَنْ وَقَفَ عَلَى الظَّهِيرِ الْكَرِيمِ مِنَ الْغُرَّةِ آسَادِ الْكِفَاحِ، وَمُعْتَلَقِي السُّيُوفِ، وَمُعْتَقِلِي الرِّمَاحِ، كُمَاةً⁽¹⁾ الْهَيْجَاءِ، وَحُمَاةِ الْبِطَاحِ، حَيْثُ كَانُوا مِنْ مُوسَّطَةِ ثَغْرِ، وَمَنْ أُقِيمَ فِي رَسْمٍ مِنَ الْجِهَادِ أَوْ أَمْرٍ، أَنْ يَعْلَمُوا قَدْرَ هَذِهِ الْعِنَايَةِ الْمَشْرِقَةِ وَالْيَدِ الْمُنْطَلِقَةِ، وَالْحُظُورَةِ الْمُتَالِقَةِ، فَتَكُونُ أَيْدِيهِمْ فِيمَا قَلَّدُوا رِْدَاءً⁽²⁾ لِيَدِهِ، وَعَرَائِمُهُمْ مُتَوَجِّهَةً⁽³⁾ إِلَى مَقْصِدِهِ، فَقَدَرُهُ فَوْقَ الْأَقْدَارِ، وَأَمْرُهُ الَّذِي هُوَ نَائِبُ أَمْرِهِ، مُقَابِلٌ بِالْإِبْتِدَارِ، عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَتَعَاظُبِ الْأَعْصَارِ.

¹ - "كمأة ج كمي: الشجاع المتكفي في سلاحه لأنه كمي نفسه أي سترها بالدرع والبيضة" لسان العرب / كمي: 115 / 13

² - م: "رذه". "الردء: العون والناصر" لسان العرب / ردأ: 131 / 6

³ - م: "متجهة" وكلاهما صحيح.

[وَصَدَرَ عَنِّي ظَهِيرُ شَيْخِ الْغَزَاةِ أَيْضاً أَبِي الْحَسَنِ

عَلِيِّ بْنِ بَدْرِ الدِّينِ ⁽¹⁾ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ⁽²⁾

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ، مَنْزِلَتُهُ مِنَ الظَّهَائِرِ ⁽³⁾، مَنْزِلَتُهُ الْمُعْتَمَدِ بِهِ مِنَ الظُّهَرَاءِ ⁽⁴⁾، وَمَحَلُّهُ مِنَ الصُّكُوكِ ⁽⁵⁾

الصَّادِرَةِ عَنْ أَعْظَمِ الْمُلُوكِ، مَحَلُّهُ مِنْ أُولَى الرَّايَاتِ الْخَافِقَةِ الْعَذْبَاتِ وَالْآرَاءِ. فَتَحَ عَلَى الْإِسْلَامِ

مِنْ بَعْدِ الْإِبْهَامِ ⁽⁶⁾ أَبْوَابَ السَّرَّاءِ، وَرَاقَ طِرَازاً مُذْهَباً ⁽⁷⁾ عَلَى عَاتِقِ الدَّوْلَةِ الْغَزَّاءِ، وَأَعْمَلَ عَوَامِلَ

الْجِهَادِ فِي طَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، مُتَارَعَةً ⁽⁸⁾ لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، مِنْ بَابِ الْإِعْمَالِ وَالْإِغْرَاءِ.

أَمَرَ بِهِ فَلَانٌ لِيَصْدُرَ صُدُورٌ أَوْدَائِهِ، وَحُسَامِهِ الْمَشْهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَوَلِيِّهِ الَّذِي خَبَرَ صِدْقَ

وَفَائِهِ، وَجَلَّى ⁽⁹⁾ فِي مِضْمَارِ ⁽¹⁰⁾ الْخُلُوصِ [لَهُ] ⁽¹¹⁾ مُعَبَّراً ⁽¹²⁾ فِي وُجُوهِ أَكْفَائِهِ ⁽¹³⁾، شَيْخُ شُيُوخِ

الْمُجَاهِدِينَ، وَقَائِدُ كِتَائِبِهِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى غَرَوِ الْكَافِرِينَ وَالْمُعْتَدِينَ، وَعَدْنَتُهُ الَّتِي يُدَافِعُ بِهَا عَنِ الدِّينِ،

وَسَابِقُ وَدِّهِ الْمُبَرِّزِ فِي الْمَيَادِينِ، [الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْأَعَزُّ الْأَسْنَى الْأَمْجَدُ الْأَسْعَدُ الْأَصْعَدُ الْأَعْنَى

الْأَحْمَى الْأَحَبُّ الْأَوْصَلُ الْأَفْضَلُ الْمُجَاهِدُ الْأَمْضَى الْأَرْضَى الشَّهِيرُ الْمُقَدَّسُ الْمَرْحُومُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ

بَدْرِ الدِّينِ بْنِ شَيْخِ الشُّيُوخِ وَعَلِمَ الْأَعْلَامِ الدَّافِعَ عَنْ حَوَازَةِ الْإِسْلَامِ الْبَعِيدِ الْغَارَةِ فِي تَقْدِيمِ عِبْدَةِ

¹ - "علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق يكنى: أبا الحسن. ولي مشيخة الغزاة بعد سنة 764، واستمر فيها حتى قتل في غزوة جبان سنة 769هـ" الإحاطة في أخبار غرناطة: 4: 53-51

² - ق، ع: "ساقط".

³ - ق "الظواهر" ومعناها: "أشرف الأرض، وظاهر الجبل أعلاه" لسان العرب / ظهر: 201 / 9

⁴ - ظهراء ج ظهير "وهو المعين والناصر" لسان العرب / ظهر: 201 / 9

⁵ - ع: "السكوك". ج السَّكِّي بالكسر: قيل الملك" لسان العرب / سكك: 219 / 7. والصكوك: "الصك: الكتاب، فارسي معرب" لسان العرب / صكك: 263 / 8

⁶ - ع: "الإبهاء". ولعل الصواب ما أثبت؛ فالإبهاء مصدر أبهى "شيء أبهى إذا علا حسنه وروعته" أساس البلاغة / بهي، 1 / 85

⁷ - ق "فذهب". ولعل الصواب ما أثبت؛ فقد علا فضله تقدم بفضل العَلَمِ المطرز بالذهب، كناية على حسن صنيعه.

⁸ - ق، ع "شارعة"، م: "منازعة". والمتارعة من "تسرع إلينا بالشر وتترع" أساس البلاغة / ترع، 93 / 1

⁹ - ق، ع: "جلا" وكلاهما صحيح؛ "جلا لي الشيء وانجلي وتجلي وجلاه لي فلان" أساس البلاغة / جلي، 145 / 1

¹⁰ - ق، ع: "مضمّر" ولعل الصواب ما أثبت.

¹¹ - ق "ساقط".

¹² - "المغبر: الطالب للشيء: المنكمش فيه كأنه لحرصه وسرعه يثير الغبار" لسان العرب / غبر: 8 / 11.

¹³ - م: "الكفاية". ولعل الصواب ما أثبت؛ لتتناسب "أكفائه" مع "وفائه" في السجع.

الأصْناعُ الشَّيْخُ الجَلِيلُ الكَبِيرُ الخَطِيرُ الرَّفِيعُ الصَّدْرُ، الأَوْحَدُ الأَمَجْدُ الأَصْعَدُ المُعْظَمُ المُوقَّرُ،
صَاحِبُ الجِهَادِ الأَرْضَى والعَزْمِ الأَمْضَى والمُقَدَّسِ المَرْحُومِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ أَبِي زَيْدٍ رَحُو بْنِ
مَحْيُو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ مَحْيُو⁽¹⁾، وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَهُ، وَحَرَسَ مَجْدَهُ، وَبَلَغَهُ مِنْ مُظَاهَرَةِ
دَوْلَتِهِ، وَمُؤَاوَرَةِ خِلَافَتِهِ⁽²⁾ قَصْدَهُ. رَفَعَ ثُبَّةَ العِنَايَةِ والإِخْتِيَارِ⁽³⁾ عَلَى عِمَادٍ، وَأَشَادَ بِدَعْوَةِ التَّعْظِيمِ
مُسْمِعاً كُلَّ حَيٍّ وَجَمَادٍ، وَقَابَلَ السَّعْيَ الكَرِيمَ بِإِحْمَادٍ، وَأُورِدَ مِنَ الْبِرِّ غَيْرَ ثِمَادٍ⁽⁴⁾، وَاسْتَنْظَرَ بِالْوَفَاءِ
الَّذِي لَمْ يَسْتَنْتِرِ⁽⁵⁾ نَارُهُ بِرِمَادٍ، وَلَا قَصَرَتْ حِيَادُهُ عَنْ بُلُوغِ آمَادٍ، وَقَلَّدَ سَيْفَ الجِهَادِ عَاتِقَ الحَسَبِ
اللُّبَابِ، وَأَعْلَقَ⁽⁶⁾ يَدَ الإِسْتِظْهَارِ بِأَوْثَقِ الأسبابِ، وَاسْتَعْلَظَ عَلَى الأَعْدَاءِ بِأَحَبِّ الأَحْبَابِ، لَمَّا
قَامَتْ⁽⁷⁾ لَهُ الْبَرَاهِينُ الصَّادِقَةُ عَلَى كَرِيمِ⁽⁸⁾ شَيْمِهِ، وَرُسُوحِ قَدَمِهِ، وَجَنَى مِنْهُ عِنْدَ الشَّدَّةِ
[وَالْتَمَحِيصِ]⁽⁹⁾ ثَمَرَةً مَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعَمِهِ، قَابَلَ⁽¹⁰⁾ كَرَائِمِ⁽¹¹⁾ ذِمَمِهِ⁽¹²⁾، وَعَظَائِمِ⁽¹³⁾ خَدَمِهِ، وَشَدَّ يَدَهُ
عَلَى عَهْدِهِ، الَّذِي عَرَفَهُ حِينَ انْتَكَبَ⁽¹⁴⁾ الْعَقْدُ، وَأَخْلَفَ⁽¹⁵⁾ الْمُعْتَقْدُ، وَاسْتَأْسَدَ النُّعْرُ⁽¹⁶⁾ وَتَنَكَّرَ
الصَّدِيقُ، وَفُرَّقَ الْفَرِيقُ، وَسُدَّتْ⁽¹⁷⁾ عَنِ النُّصْرَةِ⁽¹⁸⁾ الطَّرِيقُ، [وَتَمَيَّزَ الْمُغْرِبُ وَالْعَرِيقُ]⁽¹⁹⁾ فَأَثْقَلَ لَهُ

1- أ، م: "الشيخ الكذا ابي فلان بن فلان"، والمثبت من ق، ع.

2- ق: "خلافة" ولعل الصواب ما أثبت.

3- م: "الاختبار". وهو تصحيف.

4- ثماد كالتمد: "الماء القليل... وقيل الثماد: الحفر يكون فيها الماء القليل" لسان العرب / تمد: 37/3.

5- ق، ع: "تستتر".

6- ق: "وأغلق"، ع: "وأعلى". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي تمسك بأوكد الأسباب.

7- ق: "قدمت". وكلاهما صحيح.

8- ق: "كرم". وكلاهما صحيح.

9- أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع.

10- ق، ع: "قابل بالرعي".

11- م: "كرام" جمع مذكر، والضم جمع مؤنث فناسبتها كرائم.

12- ق، ع: "ذممه" بدل مهملته. ولعل الصواب ما أثبت؛ "دمم قبح منظره وصغر جسمه وكأنه مأخوذ من الدمة وهي القملة أو

النملة الصغيرة" المصباح المنير / دم/ ص: 76

13- م: "عظام". ولعل الصواب ما أثبت؛ فعظائم على وزن كرائم

14- ق: "انتكنت"، ع: "انتكنت". وكلها بمعنى واحد.

15- م: "أخف".

16- في جميع النسخ: "النغد" ولعل الصواب "النعر بالراء: فرخ العصفور" لسان العرب / نعر: 309 / 14

17- م: "سد" وكلاهما صحيح.

18- ق، ع: "النظرة". وهو تحريف.

19- أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع.

مِيزَانَ الْمُكَافَأَةِ⁽¹⁾، وَسَجَّلَ لَهُ رَسْمَ الْمُصَافَاةِ⁽²⁾، وَجَعَلَهُ يَمِينَ الْمُلْكِ الَّذِي بِهِ يُنَاضِلُ، وَيُقَاطِعُ وَيُوَاصِلُ، وَسَيْفَ الْجِهَادِ الَّذِي يَحْمِي بِمَضَائِهِ حَوْرَةَ⁽³⁾ الْبِلَادِ، وَمِرَاةَ النُّصْحِ الَّذِي⁽⁴⁾ تَتَجَلَّى⁽⁵⁾ بِهِ⁽⁶⁾ وَجُوهُ الرَّشَادِ.

فَقَدَّمَهُ -أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ، وَشَكَرَ نِعَمَهُ، وَأَسْعَدَهُ فِيمَا يَمَّمُهُ، وَنَشَرَ بِالنَّصْرِ عِلْمَهُ⁽⁷⁾ - شَيْخَ الْغَزَاةِ بِحَضْرَتِهِ⁽⁸⁾ الْعَلِيَّةِ، وَسَائِرِ⁽⁹⁾ بِلَادِهِ⁽¹⁰⁾ النَّصْرِيَّةِ، تَرْجِعُ الْقَبَائِلُ وَالْأَشْيَاخُ إِلَى نَظَرِهِ فِي السَّكَنَاتِ وَالْحَرَكَاتِ⁽¹¹⁾، وَتُسْتَدْرَكُ⁽¹²⁾ عَلَى يَدِ مَقَامِهِ⁽¹³⁾ الْكَرِيمِ عَمَائِمُ⁽¹⁴⁾ الْبَرَكَاتِ، وَتُقَرَّرُ وَسَائِلُهَا بِوَسَاطَةِ خُطْوَتِهِ⁽¹⁵⁾، وَتُقَصَّرُ خُطَاهَا، اعْتِرَافًا بِحَقِّهِ الْوَاجِبِ عَنْ خُطْوَتِهِ⁽¹⁶⁾، فَعَلَيْهِ تَدُورُ أَفْلَاكُ جَمَاعَتِهِمْ⁽¹⁷⁾، كُلَّمَا اجْتَمَعُوا وَانْتَلَفُوا، وَبِحُجَّةِ فَضْلِهِ⁽¹⁸⁾ يَزُولُ إِشْكَالُهُمْ مَهْمَا اخْتَلَفُوا، وَبِلِسَانِهِ الْمُبِينِ يُقَرَّرُ لَهُمْ مَا أَسْلَفُوا، وَفِي كَنْفِ رَعِيهِ يَنْشَأُ مَنْ أَعْقَبُوا مِنَ النَّشْءِ⁽¹⁹⁾ وَخَلَفُوا، وَبِأَقْدَامِهِ تَنْهَضُ

- 1- ق: "المكافآت" بالجمع. ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للجمع.
- 2- ق: "المصافات"، ع: "المضافات". "صافى الرجل: صدقه الإخاء". لسان العرب / صفا: 258 / 8
- 3- ق: "جوزة" وهو تصحيف.
- 4- ع: "التي". ولعل الصواب ما أثبت؛ فالعائد في جملة الصلة يعود على مذكر وهو "النصح"
- 5- ق: "يتجلى" ولعل الصواب ما أثبت.
- 6- ق، ع: "بها" ولعل الصواب ما أثبت؛ بعودة الضمير على النصح.
- 7- ق: "عمله" وكلاهما صحيح؛ فالنصر تحقق بعمله وجهاده الذي مكنه من نشر رايات الإسلام.
- 8- ق: "بالحضرة"
- 9- م: "مسائر". وهو تحريف.
- 10- ق: "بلدة"، ع: "بلده". "النصرية بالفتح ثم السكون وراء وياء مشددة للنسبية وهاء التأنيث: وهي محلة بالجانب الغربي من بغداد في طرف البرية متصلة بدار القز، منسوبة إلى أحد أصحاب المنصور يقال له نصر" معجم البلدان: 287 / 5
- 11- ق، ع: "ساقط".
- 12- أ، م: "يبترد" ع: "تسترد" والمثبت من ق.
- 13- أ، م: "مقامنا" والمثبت من ق، ع.
- 14- ق، ع: "غيوم". وكلاهما صحيح.
- 15- ق، ع: "خطوته". وهو تحريف.
- 16- أ، م: "خطوته". والمثبت من ق، ع.
- 17- ع: "جماعاتهم". ولعل الصواب ما أثبت؛ فجماعتهم كانت واحدة باجتماعها ووحدتها.
- 18- أ، ع، م: "فضلهم". والمثبت من ق.
- 19- أ، ق، ع: "النشأة" والمثبت من م.

أَقْدَامُهُمْ مَهْمًا تَوَقَّفُوا؛ فَهُوَ يَعْسُوبُ كَتَائِبِهِمُ الْمُتَنَقَّةَ، وَفِرْزَانُ⁽¹⁾ قِطْعِهِمُ الْمُصْطَفَّةَ، [وَسَهْمُ]⁽²⁾ جَوَارِحِهِمُ الْفَارِهَةِ، وَعَيْنُ عُيُونِهِمْ⁽³⁾ النَّابِغَةُ، وَتَأْوِيلُ أُمُورِهِمُ الْمُتَشَابِهَةُ عَنْ نَظَرِهِ، يَرْدُونَ وَيَصْدُرُونَ، وَبِإِشَارَتِهِ يَرِيشُونَ⁽⁴⁾ وَيَبْرِرُونَ⁽⁵⁾، وَآثَارُهُ يَقْتَفُونَ، وَبِتَلْعَةِ دُورِهِ [الْمَرِينِي]⁽⁶⁾ فِي خِدْمَةِ مَقَامِنَا النَّصْرِيِّ يَقْفُونَ. فَهُوَ الَّذِي لَا تَأْنَفُ أَشْرَافُ الْقَبَائِلِ مِنْ اقْتِغَاءِ آثَارِهِ، وَلَا تَجْهَلُ رِفْعَةُ مِقْدَارِهِ، فَلَبِيتَهُ الْمَرْيَةُ بِالْحَقِّ، [الْمُسْتَوْحِيَةُ لِلْفَخْرِ لِسَابِقَةِ السَّعَادَةِ لِعَبْدِ الْحَقِّ]⁽⁷⁾، وَلِدَاتِهِ قَصَبُ السَّبْقِ، وَلَوْفَائِهِ الشَّهْرَةُ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ.

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ -تَوَلَّاهُ اللَّهُ- مُنْشَرِحًا بِالْعِزِّ صَدْرُهُ، مُشْرِقًا⁽⁸⁾ مِنْ شَمْسِ سَعَادَتِهِ بِدْرُهُ، مَعْرُوفًا حَقُّهُ، مُعْظَمًا قَدْرُهُ؛ فَهِيَ حِطَّةٌ⁽⁹⁾ قَوْمِهِ، وَفَرِيسَةٌ حَوْمِهِ⁽¹⁰⁾، وَطِيَّةٌ⁽¹¹⁾ أَمْسِهِ وَيَوْمِهِ، وَكُفْرٌ خُطَّتِهِ، وَمَرَمَى رُنْبَتِهِ، وَخُلِيٌّ جِيدِهِ، وَمَظْهَرٌ تَوَفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ، مُطْلَقًا [مِنْ]⁽¹²⁾ عَنَانِ النَّشَاءِ عَلَى [أَهْلِ]⁽¹³⁾ الْغَنَاءِ⁽¹⁴⁾، مُعَامِلًا بِصَادِقِ⁽¹⁵⁾ الْإِطْرَاءِ لِذَوِي الْأَرْءَاءِ، مُتَعَمِّدًا⁽¹⁶⁾ بِالْإِغْضَاءِ⁽¹⁷⁾ هَفَوَاتِ [أَهْلِ]⁽¹⁸⁾

¹ - أ، م: "فرنان"، ف: "فوزان" والمثبت من ع: "الفرزان: من لعب الشطرنج أعجمي معرب، وجمعه فرازين" لسان العرب/152/11
² - أ: ساقط والمثبت من ق، ع، م.
³ - ق، ع: "صدورهم"
⁴ - ق، ع: "يرشون". ولعل الصواب ما أثبت؛ من راش يريش.
⁵ - ق، ع: "يبرعون"، م: "يبرزون". ولعل الصواب ما أثبت؛ "وقال النابغة: يريش قوما ويبري آخرين بهم" لله من رائش عمرو من بار "أساس البلاغة" / ريش، 402 / 1
⁶ - أ: "ساقط" والمثبت من ق، ع، م.
⁷ - ق، ع: ساقط
⁸ - ق، ع: "مستمدًا" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي إشراق البدر من ضوء الشمس.
⁹ - ق، ع، م: "حطة". "حطة: فِعْلَةٌ مِنْ حَطَ الشَّيْءِ يَحْطُهُ إِذَا أَنْزَلَهُ وَأَلْقَاهُ" لسان العرب / حطط: 4 / 154
¹⁰ - الحوم القطيع الضخم من الإبل من غير أن يحدد عدده
¹¹ - الطية: "الوطن والمنزل والنية" لسان العرب / طوى: 9 / 167
¹² - ق: ساقط
¹³ - ق: "ساقط".
¹⁴ - "الغناء بالفتح: النفع" لسان العرب / غني: 11 / 94
¹⁵ - أ، م: "بصديق"، والمثبت من ق، ع
¹⁶ - ع: "متعمدا" وهو تصحيف.
¹⁷ - ق: "الإغضاء" وهو تصحيف.
¹⁸ - أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع

الْمَضَاءِ، مُعَرِّفًا بِالْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ وَالْفَضَائِلِ، كُلَّمَا وَفَدُوا مِنَ الْآفَاقِ لِلِاسْتِلْحَاقِ، مُنْبِّهًا⁽¹⁾ عَلَى مَظَانِّ الْإِسْتِحْقَاقِ، مُطَبِّقًا لِلطَّبَاقِ⁽²⁾، مُتَمَيِّزًا⁽³⁾ لِحِجَاهِهَا يَوْمَ السَّبَاقِ، حَرِيصًا عَلَى إِثْمَاءِ الْأَعْدَادِ، [مُطَبِّقًا⁽⁴⁾ مَفَاصِلَ السَّدَادِ، مُحْتَاطًا عَلَى الْأُمُوالِ]⁽⁵⁾ الَّتِي يُمَلِّي⁽⁶⁾ بِهَا أَكْفَاءَ الْجَبَايَةِ⁽⁷⁾ ضُرُوعَ الْعِبَادِ، وَاضِعًا مَالَ اللَّهِ حَيْثُ وَضَعَهُ الْحَقُّ مِنَ الْوَرَعِ وَالِاسْتِدَادِ⁽⁸⁾، سِيمًا فِي هَذِهِ الْبِلَادِ، حَتَّى تَعْظُمَ الْمَزَايَا وَالْمَزَائِنُ، وَتَتَوَفَّرَ الْكَتَائِبُ وَالْخَزَائِنُ، وَيُبْهَجَ السَّامِعُ وَيُسَرَّ الْمُعَايِنُ، وَيُظْهَرَ الْفَضْلُ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ، وَعِنْدَ اللَّهِ يَجِدُ كُلُّ مَا قَدَّمَ⁽⁹⁾؛ فَهِيَ قِلَادَةُ اللَّهِ الَّتِي لَا يَضِيعُ مَنْ أَصَاغَهَا⁽¹⁰⁾، وَيُوفِّي صَاعَهَا، وَيُرْضَى مَنْ أَعْمَلَ فِيهَا أَوَامِرَهُ وَأَطَاعَهَا.

وَهُوَ -وَصَلَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ، وَحَرَسَ مَجَادَتَهُ- أُولَى مَنْ لَاحَظَ ضِرَارَهَا، وَشَدَّ إِزَارَهَا⁽¹¹⁾، وَاسْتَطْلَعَ مِنْ ثَنَائِيَا التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ بِشَائِرِهَا، سِنًا⁽¹²⁾ وَحَسَبًا، وَجَدًّا وَأَبَاً، وَجَدًّا وَشَبَابًا⁽¹³⁾، وَنَجْدَةً⁽¹⁴⁾ وَضَحَّتْ مَذْهَبًا. وَعَلَى الْعُرَاةِ -وَفَرَ اللَّهُ جُمُوعَهُمْ، وَأَنْجَدَ تَابِعَهُمْ وَمَتَّبِعَهُمْ، أَنْ يَعْرِفُوا قَدْرَ هَذَا التَّعْظِيمِ، الَّذِي خَفَقَتْ أَعْلَامُهُ، وَصَحَّتْ⁽¹⁵⁾ أَحْكَامُهُ، وَالِاخْتِصَاصِ الَّذِي لَطَفَ⁽¹⁶⁾ مَحَلَّهُ، وَالِاعْتِقَادِ

1- أ، م: "منها"، والمثبت من ق، ع

2- "طَبَاق ج طَبَّقَ وَطَبَّقَ: الْفَقْرَةُ حَيْثُ كَانَتْ. وَقِيلَ هِيَ مَا بَيْنَ الْفَقْرَتَيْنِ. وَالطَّبَقَةُ: الْمَفْصَلُ" لسان العرب / طبق: 89 / 9

3- ق، ع: "مميزاً"

4- الْمُطَبِّقُ مِنَ الرِّجَالِ: "الَّذِي يَصِيبُ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِ" لسان العرب / طبق: 90 / 9

5- ق، ع: ساقط

6- ق: "تمثراً"، ع: "تمتزي". "أَمْزَيْتُهُ عَلَيْهِ: فَضَلْتُهُ. وَالْمَزِيَّةُ: الْفَضِيلَةُ" لسان العرب: 68 / 14.

7- أ، ق، م: "أكف الجباية" والمثبت من ع.

8- ق، ع: "الاتداد"، م: "الاستزاد". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي يضع المال في مكانه السديد.

9- قَالَ تَعَالَى: {وَمَا تَقْدَمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا} وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {سورة

المزمل، الآية: 20.

10- أ، م: "أصاعها" والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ أي من صاغ القلادة ورتبها.

11- أ، ع، م: "مزارها" والمثبت من ق.

12- ع: "سنى". ولعل الصواب ما أثبت.

13- ق، "وأباً". "الشب: ارتفاع كل شيء" لسان العرب / شب: 11 / 8.

14- ق، ع: "نجداً" ولعل الصواب ما أثبت؛ "نَجْدُ الرَّجُلِ نَجْدَةٌ" أساس البلاغة / نجد، 249 / 2.

15- ق: "أوضحت". وهو تحريف.

16- ق: "ألف". وكلاهما صحيح.

الكَرِيمَ الَّذِي ضَفَى (1) ظِلُّهُ، فَيَكُونُ (2) مِنْ إِيْجَابِ حَقِّهِ حَيْثُ حَدَّ وَرَسَمَ، وَمَيَّزَ وَوَسَمَ (3)، لَا يَتَخَلَّفُ
أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي خِدْمَتِهِ -أَيْدُهُ اللهُ- عَلَى إِسَارَتِهِ الْمُؤَفَّقَةِ، وَلَا يَشُدُّ (4) عَنْ رِيَاسَتِهِ الْمُطْلَقَةِ، بِحَوْلِ اللهِ
وَقُوَّتِهِ. وَكُتِبَ فِي كَذَا.

1- م: "صفى". وهو تصحيف.

2- ع: "فيكونوا"، م: "ليكون".

3- م: "خبر ووصم"

4- "شدَّ الشيء يَشُدُّ ويشُدُّ شداً وشذوذاً: ندر عن جمهوره" لسان العرب / شذذ: 43/8

[وَمِنْ ذَلِكَ ظَهِيرٌ [كَرِيمٌ] ⁽¹⁾ أَمَلِيَّتُهُ لِلشَّيْخِ الْأَجَلِّ أَبِي الْعَلِيِّ إِدْرِيسَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ] ⁽²⁾

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ أَطْلَعَ لِلرَّضَى ⁽³⁾ وَالْقَبُولِ صَبَاحًا، وَأَنْشَأَ لِلْعَنَايَةِ فِي جَوْ الْوُجُودِ مِنْ بَعْدِ الرُّكُودِ رِيَاحًا، وَأَوْسَعَ الْعُيُونَ قُرَّةً وَالصُّدُورَ انْشِرَاحًا، وَهَيَّأَ لِلْمُعْتَمِدِ بِهِ مَقَرًّا فِي السَّعَادَةِ وَمِرَاحًا. وَهَزَّ مِنْهُ سَيْفًا عَتِيفًا يَفُوقُ اخْتِيَارًا، وَيَبْرُوقُ التَّمَاحًا، وَوَلَّاهُ رِئَاسَةَ الْجِهَادِ بِالْقَطْرِ الَّذِي تَقَدَّمَتِ الْوِلَايَةُ فِيهِ لِسَلَفِهِ فَنَالَ عِزًّا شَهِيرًا، وَازْدَادَ مَجْدًا صُرَاحًا، وَكَانَ ذَلِكَ لَهُ إِلَى أَبْوَابِ السَّعَادَةِ مِفْتَاحًا.

أَمَرَ بِهِ وَأَمَضَاهُ، وَأَوْجَبَ الْعَمَلَ بِحَسْبِهِ وَمُقْتَضَاهُ الْأَمِيرُ فَلَانُ، لَوْلِيَّهِ فِي اللَّهِ الَّذِي كَسَاهُ مِنْ جَمِيلِ اعْتِقَادِهِ حُلًّا، وَأَوْرَدَهُ مِنْ عَذْبِ رِضَاهُ مِنْهَلًا، وَعَرَّفَهُ عَوَارِفَ قَبُولِهِ، مُفَصَّلًا خِطَابَهَا وَمُجْمَلًا، الشَّيْخُ الْكَذَّاءُ [أَبُو ⁽⁴⁾ الْعَلِيِّ إِدْرِيسُ بْنُ الشَّيْخِ الْكَذَّاءِ] ⁽⁵⁾ أَبِي سَعِيدِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَلِيِّ الْعَلِيِّ ⁽⁶⁾ وَصَلَ اللَّهُ لَهُ أَسْبَابَ سَعَادَتِهِ، وَحَرَسَ أَكْنَافَ ⁽⁷⁾ مَجَادَتِهِ ⁽⁸⁾، وَأَجْرَاهُ مِنْ تَرْفِيعِ الْمَكَانَةِ لَدَيْهِ عَلَى أَجْمَلِ عَادَةٍ سَلَفِهِ وَعَادَتِهِ. لَمَّا كَانَ لَهُ الْقَدْرُ الْجَلِيلُ ⁽⁹⁾، وَالْمَجْدُ الْأَثِيلُ، وَالذِّكْرُ الْجَمِيلُ، وَالْفَضَائِلُ الَّتِي كَرَّمَ مِنْهَا الْإِجْمَالُ وَالْتَفْصِيلُ. وَأَحْرَزَ قَصَبَ السَّبْقِ بِذَاتِهِ، إِذَا ذُكِرَ الْمَجْدُ الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ ⁽¹⁰⁾، وَكَانَ قَدْ أَعْمَلَ الرِّحْلَةَ إِلَيْهِ، يَحْدُوهُ إِلَى خِدْمَتِهِ ⁽¹¹⁾ التَّأْمِيلُ، وَيَهْوِي بِهِ الْحُبُّ الَّذِي وَضَحَ مِنْهُ السَّبِيلُ، وَعَاقَ عَنْهُ الْوَاقِعُ الَّذِي تَبَيَّنَ ⁽¹²⁾ فِي عُذْرِهِ ⁽¹³⁾ الْجَمِيلُ، ثُمَّ خَلَّصَهُ اللَّهُ مِنْ مَلَكَةِ

1- أ، ق، م: ساقط، والزيادة من ع.

2- ق: "ومن ذلك".

3- أ، ع، م: "الرضا". والمثبت من ق.

4- ع: "أبي".

5- ق: ساقط.

6- ق: "العلَّاء".

7- أ، ق، ع: "أكتاف"، والمثبت من م.

8- أ: مجادته، والمثبت من ق، ع، م.

9- ق: "الجميل". ولعل الصواب ما أثبت.

10- ق: "العريض الطويل".

11- ق، ع: "خدمة". ولعل الصواب ما أثبت.

12- ق، ع: "نبين". هو تصحيف.

13- ق: "عذرة"، ع: "عدره".

الْكُفْرِ الَّذِي قَامَ بِهِ عَلَى عِنَايَتِهِ الدَّلِيلُ، قَابَلَهُ بِالْقَبُولِ وَالْإِقْبَالِ، وَفَسَحَ لَهُ مَيْدَانَ الرِّضَا⁽¹⁾ رَحْبَ الْمَجَالِ، وَصَرَفَ إِلَيْهِ وَجْهَ الْإِعْتِدَادِ بِمَضَائِهِ رَائِقَ الْجَمَالِ، سَافِرًا عَنْ بُلُوغِ الْأَمَالِ، وَأَوَاهُ مِنْ خِدْمَتِهِ إِلَى رُبُوعِ مَنِيَعَةِ الْأَرْجَاءِ وَارِقَةٍ⁽²⁾ الظَّلَالِ، وَقَطَعَ عَنْهُ الْأَطْمَاعَ بِمُقْتَضَى هِمَّتِهِ الْبَعِيدَةِ الْمَنَالِ، ثُمَّ رَأَى - وَاللَّهُ يُنَجِّحُ رَأْيَهُ، وَيُشْكِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنِ الْجِهَادِ سَعْيُهُ - أَنْ يَسْتَظْهَرَ بِمَضَائِهِ، وَيَصِلَ لَدَيْهِ عَوَارِفَ آلَائِهِ، وَيُعَمَّرَ بِهِ رُتَبَ آبَائِهِ.

فَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ، وَشَكَرَ آلَاءَهُ⁽³⁾ وَنِعَمَهُ - شَيْخُ الْغُرَاةِ⁽⁴⁾ الْمُجَاهِدِينَ، وَكَبِيرُ أُولِي الدِّفَاعِ عَنِ الدِّينِ، بِمَدِينَةِ مَالِقَةَ⁽⁵⁾ - حَرَسَهَا اللَّهُ - أُخْتِ حَضْرَةِ [دَارِ]⁽⁶⁾ مُلْكِهِ، وَثَانِيَةِ الدَّرَةِ الثَّمِينَةِ مِنْ سِلْكِهِ وَدَارِ سَلَفِهِ، وَقَرَارَةِ مَجْدِهِ، وَالْأَفُقِ الَّذِي تَأَلَّقَ مِنْهُ نُورُ سَعْدِهِ، رَاجِعًا إِلَيْهِ نَظَرَ الْقَوَاعِدِ الْغَرْبِيَّةِ، رُنْدَةً وَذِكْوَانًا⁽⁷⁾ وَمَا إِلَيْهَا⁽⁸⁾، رُجُوعَ الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِسْتِبْدَادِ، وَالْعَزَّ الْفَسِيحِ الْمَجَالِ الْبَعِيدِ الْأَمَادِ⁽⁹⁾، يَقُودُ جَمِيعَهَا إِلَى الْجِهَادِ، عَامِلًا عَلَى شَاكِلَةِ مَجْدِهِ فِي الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ، حَتَّى يُظْهَرَ عَلَى تِلْكَ الْجِهَاتِ الْمُبَارَكَةِ آثَارَ الْحِمَايَةِ وَالْبَسَالَةِ، وَيَعُودَ لَهَا عَهْدُ الْمَجَادَةِ وَالْجَلَالَةِ، وَتَنْتَرِينَ مَلَاسُ الْإِيَالَةِ، وَهُوَ يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَلِيْقُ بِالْمَجْدِ الْكَرِيمِ، وَالْحَسَبِ الصَّمِيمِ، حَتَّى يَنْمُو عَدَدُ

1- ق، ع: "الرضى".

2- ق، ع: "وافرة". ولعل الصواب ما أثبت؛ "ظل ارف: ممدود واسع" أساس البلاغة / ورف، 329 / 2

3- ق: "الآؤه".

4- ق: "العزاة". هو تصحيف.

5- "مالقة: اسم لمدينة وولاية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وفي أيام ابن الخطيب كانت تعتبر العاصمة الثانية بعد مدينة غرناطة في مملكة بني الأحمر" مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص: 57

6- أ، ع، م: ساقط، والمثبت من ق

7- ق: "ركوان"، م: "ذكوان". رندة: RONDA مدينة من جنوب الأندلس، شمال الجزيرة الخضراء وغربي مدينة مالقة من أهم الحصون الأندلسية، وفي أيام الحسن كانت رندة قاعدة من القواعد المرينية في الأندلس، وقد استقر بها محمد الغني بالله أثناء رجوعه إلى الأندلس. رندة في المعجمة الإسلامية 3 / 1245. ذكوان: "عبارة عن حصن يسمى coin موقعه غرب مالقة، يرجع تأسيسه إلى أيام عبد الرحمان الثالث الأموي، أعظم وأشهر ملوك بني أمية" البيان المغرب، ابن عذارى: 189 / 2

8- ق: "إليه" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالضمير عائد على القواعد الغربية.

9- ق، ع: "الآمال" ولعل الصواب ما أثبت؛ لأن الفاصلة هي حرف الدال.

الْحُمَاةِ، وَيَعْظُمُ آثَارَ الْأَبْطَالِ الْكُمَاةِ، وَتَظْهَرُ ثَمَرَةُ الْإِخْتِبَارِ⁽¹⁾، وَيَشْمَلُ الْأَمْنُ جَمِيعَ الْأَقْطَارِ، وَتَنْحَسِمُ⁽²⁾ عَنْهَا [أَطْمَاعُ]⁽³⁾ الْكُفَّارِ.

وَعَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ مِنْ⁽⁴⁾ الْفُرْسَانِ - وَقَرَّ اللَّهُ أَعْدَادَهُمْ، وَأَعَزَّ جِهَادَهُمْ - أَنْ يَكُونُوا مُمْتَلِينَ⁽⁵⁾ فِي الْجِهَادِ لِأَمْرِهِ، عَارِفِينَ بِقَدْرِهِ مُمَضِينَ فِيمَا ذُكِرَ بِحُكْمِهِ، وَاقِفِينَ عِنْدَ حَدِّهِ وَرَسْمِهِ. وَعَلَى [مَنْ]⁽⁶⁾ سِوَاهُ⁽⁷⁾ مِنَ الرِّعَايَا وَالْخُدَامِ، وَالْوَلَاةِ وَالْحُكَّامِ، أَنْ يَعْرِفُوا⁽⁸⁾ قَدْرَ هَذَا الْإِعْتِنَاءِ الْوَاضِحِ الْأَحْكَامِ، وَالْبِرِّ⁽⁹⁾ الْمَشْرِقِ الْقَسَامِ⁽¹⁰⁾، فَيَعَامِلُوهُ بِمُقْتَضَى الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالتَّرْفِيعِ وَالْإِعْظَامِ. عَلَى هَذَا يُعْتَمَدُ، وَيَحْسَبُهُ يُعْمَلُ. وَكُتِبَ فِي كَذَا.

¹ - ق، ع : " الاختيار ". وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي تظهر نتيجة الامتحان والابتلاء.
² - م: "تنسحم". "السَّحْم: السواد" لسان العرب / سحم: 142 / 7. لعل الصواب ما أثبت؛ أي تتوقف أطماع الأعداء.
³ - ق: "ساقط"، ع: "أطباع".
⁴ - ق: "في" "ساقط".
⁵ - ق: "ممتلئين". "مَقْلَه في الماء يمْقَلُه مَقْلًا: غمسه وغطه" لسان العرب / مقل: 108 / 14. ولعل الصواب ما أثبت؛ من الامتثال للأمر.
⁶ - م: ساقط
⁷ - أ، م: "سواهم". والمثبت من ق، ع.
⁸ - أ: "تعرفوا". والمثبت من باقي النسخ
⁹ - ق، ع: "اليمن" وكلاهما صحيح.
¹⁰ - ق، ع: "الأقسام" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أن قسمات وجه البر بينة مشرقة.

وَأَمَلَيْتُ ظَهيراً لِلْأَمِيرِ أَبِي زَيْدِ بْنِ عُمَرَ نَصُّهُ أَيْضاً

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ، بَلَغَ فِيهِ الْإِخْتِيَارُ الَّذِي عَضَّدَهُ الْإِخْتِبَارُ إِلَى أَفْصَى الْغَايَةِ، وَجَمَعَ لَهُ الْوِفَاقَ الَّذِي خَدَمَهُ الْبَحْثُ وَالْإِتِّفَاقُ، وَالْأَهْلِيَّةُ⁽¹⁾ الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا الْآفَاقُ بَيْنَ نُجْحِ الرَّأْيِ وَنَصْرِ الرَّأْيَةِ، وَأَنْتَجَتْ بِهِ مُقَدِّمَاتُ الْوَلَاءِ نَتِيجَةً هَذِهِ الرُّثْبَةُ السَّامِيَّةُ الْعَلَاءِ وَالْوَلَايَةِ، وَاسْتَظْهَرَ مِنَ الْمُعْتَمَدِ بِهِ عَلَى قَصْدِ الْكَرِيمِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَذْهَبِهِ، بَلِيْثٌ مِنْ لُيُوثِ أَوْلِيَائِهِ، شَدِيدِ الْوُطْأَةِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَالنَّكَايَةِ، وَفَرَعَ مِنْ فُرُوعِ الْمُلْكِ الْأَصِيلِ مَعْرُوفِ الْأُبُوءِ وَالْإِبَائَةِ، لِتَنْصَحَ حُجَّةُ⁽²⁾ النَّصْرِ الْعَزِيزِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ، مُحْكَمَةُ⁽³⁾ الْآيَةِ، وَتَدُلُّ بِدَايَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الرَّافِعَةِ لِمَعَالِمِ الدِّينِ، الْمُؤَيَّدَةِ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ، بِمَدَدِ الرُّوحِ الْأَمِينِ عَلَى شَرَفِ النِّهَايَةِ.

أَصْدَرَ حِكْمَتَهُ وَأَبْرَمَ⁽⁴⁾ حُكْمَهُ، وَقَرَّرَ حَدَّهُ الْمَاضِيَّ وَرَسَمَهُ، عَبْدُ اللَّهِ الْغَنِيُّ بِاللَّهِ، مُحَمَّدُ ابْنُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ [أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ]⁽⁵⁾ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ نَصْرِ -عَضَّدَ اللَّهُ كِتَابَتَهُ وَكَتَبَ عَضْدَهُ، وَيَسَّرَ فِي الظُّهُورِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ قَصْدَهُ- لَوْلِيَّهِ الْمُسْتَوَلِي عَلَى مَيَادِينِ حَضَرَتِهِ وَإِيَّاهُ، الْفَائِزِ بِالْقُدْحِ الْمُعْلَى مِنْ إِجْلَالِهِ وَإِكْبَارِهِ، ظَهِيرِ⁽⁶⁾ اسْتِنصَارِهِ وَسَيْفِ جِهَادِهِ، الْمُعَدَّ لِيَوْمِ ضَرِيْبَتِهِ وَيَوْمِ افْتِخَارِهِ، وَيَعْسُوبِ قَبَائِلِ الْغَزَاةِ بِأَصْقَاعِهِ⁽⁷⁾ الْجِهَادِيَّةِ وَأَفْطَارِهِ.

¹- ق، ع : " الإلهية". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي له المقدرة للجمع بين الرأي والعمل.

²- م : "صفحة". وكلاهما صحيح.

³- م : "مجلية". كلاهما صحيح.

⁴- ق، ع : " أبرز". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أحكم إبرام الحكم ودبره.

⁵- ق: "ساقط".

⁶- ق، ع : " ظهر". كلاهما صحيح؛ فهو المعين والظهر الذي يستند عليه.

⁷- ق، ع : " بأصناعه". وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي بنواحيه أطرافه.

الْأَمِيرُ الْكَذَّابُ ابْنُ الْأَمِيرِ الْكَذَّابِ ابْنِ السُّلْطَانِ الْكَذَّابِ - وَصَلَ اللَّهُ أَسْبَابَ سَعْدِهِ، وَأَنْجَزَ لِلْمُسْلِمِينَ بِمُظَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ عَلَى الْكَافِرِينَ سَابِقَ وَعْدِهِ، لَمَّا وَفَدَ [عَلَى] ⁽¹⁾ بَابِهِ الْكَرِيمِ، مُؤَثِّرًا عَمَّا كَانَ بِسَبِيلِهِ مِنْ جَوَارِهِ، مُلْقِيًا بِمَحَلِّهِ الْجِهَادِيِّ عَصَا تَسْيِيرِهِ، مُفَضِّلًا مَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى رَحْبِ أَوْطَانِهِ وَأَنْصَارِهِ، شِيَمَةً مَنْ أَسْرَعَ إِلَى خَيْرِ الْآخِرَةِ بِيَدَارِهِ، قَبْلَ اكْتِمَالِ هِلَالِهِ وَإِبْدَارِهِ، وَعَلَى انْتِبَاحِ أَمَلِهِ، وَاسْتِقَامَةِ مَدَارِهِ، قَابِلَ -أَيَّدَهُ اللَّهُ- وَفَادَتَهُ، بِالْقَبُولِ الْمَمْنُوحِ ⁽²⁾، وَالصَّدْرِ الْمَشْرُوحِ، وَجَعَلَ لَهُ الشُّرْبَ الْمُهْنَأَ فِي مَنَاهِلِ الصَّنَائِعِ الَّتِي صَنَعَ اللَّهُ لِمُلْكِهِ وَالْفُتُوحِ، وَلَمْ يَذْخَرْ ⁽³⁾ عَنْهُ تَقْرِيْبًا يَقِفُ الْأَوْلِيَاءُ دُونَ مَدَاهُ، وَتَرْفِيْعًا تَشْهَدُ بِهِ مَحَافِلُ الْمُلْكِ وَمُنْتَدَاهُ، إِلَى أَنْ ظَفِرَتْ بِحَقِيقَةِ الْمُوَالَاةِ الْكَرِيمَةِ يَدَاهُ. ثُمَّ اسْتَظْهَرَ بِهِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ وَعِدَاهُ، فَوَفَّى النُّصْحَ لِلَّهِ وَأَدَّاهُ، وَأَضْمَرَهُ وَأَبْدَاهُ، وَتَحَلَّى بِالْبَسَالَةِ وَالْجَلَالَةِ وَالطَّهَارَةِ اللَّائِقَةِ بِمَنْصِبِ الْإِمَارَةِ فِي مَرَاكِهِ وَمَغْدَاهُ، حَتَّى انْتَقَتِ الْأَهْوَاءُ عَلَى فَضْلِهِ وَعَفَافِهِ، وَكَمَالَ أَوْصَافِهِ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ مَخَائِلُ أَسْلَافِهِ.

ثُمَّ رَأَى الْآنَ - سَدَّدَ اللَّهُ رَأْيَهُ، وَشَكَرَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ سَعْيَهُ - أَنْ يُوفِدَ رَكَائِبَ الْإِعْتِقَادِ عَلَى جَنَابِهِ، وَيَفْسَحَ مَيْدَانَ ⁽⁴⁾ الْإِسْتِظْهَارِ [إِحْسَنَ] ⁽⁵⁾ مَنَابِهِ ⁽⁶⁾، وَيَصِلَ أَسْبَابُهُ بِأَسْبَابِهِ، وَيُضَاعِفَ بَوْلَانِيَهُ ⁽⁷⁾ الصَّادِقِ اهْتِمَامَهُ، وَيُقِيمَهُ فِي قَوْدِ عَسَاكِرِ الْجِهَادِ مَقَامَهُ. فَأَضْفَى مَلَاسِيسَ وَدِّهِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَهُ ⁽⁸⁾ فَاتِحَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ بِفَضْلِ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْرَاهُ مَجْرَى عَضُدِهِ ⁽⁹⁾، الَّذِي يَتَصَدَّقُ عَنْهُ

1- ق: "ساقط".

2- ق: "الممدوح". وكلاهما صحيح؛ فهو قابله بمنح القبول الذي يمدح عليه فاعله.

3- ق، ع، م: "يدخر". بدال مهمله. ولعل الصواب ما أثبت؛ "الدخر هو الذل".

4- ق، ع: "مناب". لعل الصواب ما أثبت؛ أي فسح مجال الظهور بحسن عودته.

5- ق، ع: ساقط.

6- ق، ع: "منابه". وهو تصحيف.

7- ق: "بولانية". وهو تحريف.

8- ق، ع: "جعل". ولعل الصواب ما أثبت؛ حيث يعود الضمير على الود.

9- ع: "عصره". وهو تصحيف.

الضَّرِيبَةَ فِي الْمَجَالِ، وَسَيْفُهُ الَّذِي يُفَرِّجُ بِهِ مَضَاقِقَ الْأَهْوَالِ، وَنَصَبَهُ لِلْقَبَائِلِ الْجِهَادِيَّةِ، قِبْلَةً⁽¹⁾ فِي مُنَاصَحَةِ اللَّهِ، وَمُنَاصَحَتُهُ⁽²⁾ مَشْرُوعَةٌ، وَرَايَةُ [سَعْدِهِ]⁽³⁾ فِي مَظَاهِرَتِهِ مَتَّبُوعَةٌ، وَعَقَدَ لَهُ الْوَلَايَةَ الْجِهَادِيَّةَ الَّتِي لَا تُعَدُّ بِوَلَايَةٍ، وَلَا تُوَازَنُ عِنَايَةُ الْمُعْتَمِدِ بِهَا عِنَايَةً، يَشْهَدُ بِصَرَاحَةٍ نَسَبَهَا [الدِّينُ]⁽⁴⁾، [وَتَتَحَلَّى]⁽⁵⁾ بِحُلِيِّ عَزَّتِهَا⁽⁶⁾ الْمِيَادِينُ.

فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَحْلَةٌ نَبِيٌّ⁽⁷⁾ الْأُمةِ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأُمةِ، لَاسِيَّمَا فِي هَذَا الْقَطْرِ الْمُتَأَكِّدِ الْأُمةِ⁽⁸⁾ لِأُولِي الدِّينِ وَالْهَمَّةِ، فَلْيَتَوَلَّ⁽⁹⁾ ذَلِكَ تَوَلَّى مِثْلِهِ، وَإِنْ قَلَّ وُجُودُ مِثْلِهِ، جَارِيًا عَلَى سُنَنِ مَجْدِهِ وَفَضْلِهِ، سَائِرًا مِنْ رِضَى اللَّهِ عَلَى أَوْضَحِ سُبُلِهِ، مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ.

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ⁽¹⁰⁾، قَدْ هَيَّأَ لَهُ مِنْ أَمْرِ رَشَدًا، وَسَلَكَ بِهِ طَرِيقًا سَدَدًا، وَاسْتَعْمَلَهُ الْيَوْمَ فِيمَا [يُخْصُهُ]⁽¹¹⁾ غَدًا، وَجَعَلَ حَظَّهُ الَّذِي عَوَّضَهُ ثَوْرًا وَهُدًى، وَأَبْعَدَ لَهُ فِي الصَّالِحَاتِ⁽¹²⁾ مَدًّا.

وَلْيَنْظُرْ فِيمَنْ لَدَيْهِ مِنَ الْقَبَائِلِ الْمُؤَفَّرَةِ، وَالْجُمُوعِ الْمُؤَيَّدَةِ الْمَنْصُورَةِ، نَظْرًا يَرِيحُ مِنَ الْعِلَلِ، وَيُبْلِغُ الْأَمَلَ، وَيَزَعِي [الْهَمَلَ]⁽¹³⁾، وَيُحْسِنُ الْقَوْلَ، [وَيُنَجِّحُ الْعَمَلَ]⁽¹⁴⁾، مُنْبِهًا عَلَى أَهْلِ الْغَنَاءِ

1- ع، م: "قبلة" وهو تصحيف.

2- ق، م: "مناصحة".

3- أ، م: "سعيدة"، والمثبت من ق، ع.

4- ق، ساقط، والمثبت من ع.م.

5- أ، ع: "يتحلى"، والمثبت من ق، م.

6- أ، ع، م: "غررتها". والمثبت من ق، ولعله الصواب؛ أي اتخذت العزة كحلي التزيين.

7- ق: "بين". وهو تحريف.

8- ق، ع: "الأدمة". هو تصحيف.

9- م: "فيتول". ولعل الصواب ما أثبت؛ فلو صحت "فيتول" لما حذفت ألفها.

10- قال تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} سورة القصص، الآية: 68

11- أ، ع، م: "يعظه"، والمثبت من ق.

12- ق: "الصلحت".

13- أ، ع، م: "المهمل"، والمثبت من ق.

14- أ، ع، م: "ساقط"، والمثبت من ق.

وَالِاسْتِحْقَاقِ، [مُسَدِّدًا]⁽¹⁾ لِعَوَائِدِ الْأَرْزَاقِ، مُعَرِّفًا بِالْغُرَبَاءِ الْوَارِدِينَ مِنَ الْآفَاقِ، مُطِيعًا مِنْهُمْ لِلطَّبَاقِ، مُتَعَمِّدًا⁽²⁾ لِلْهَفَوَاتِ بِحُسْنِ الْأَخْلَاقِ، مُسْتَجِيدًا⁽³⁾ لِلْأَسْلِحَةِ وَالْكَرَاعِ، مُبَادِرًا هَيَّاتِ⁽⁴⁾ الصَّرِيخِ⁽⁵⁾ بِالِإِسْرَاعِ، مُسْتَدْعِيًا لِلْمَشُورَةِ الَّتِي يَقَعُ الْحُكْمُ فِيهَا عَلَى حُصُولِ الْإِجْمَاعِ، رَفِيقًا بِمَنْ ضَعُفَ عَنْ طُولِ الْبَاعِ، مُحْتَاطًا عَلَى الْإِسْلَامِ بِمَوَاقِفِ⁽⁶⁾ الدِّفَاعِ، مُقَدِّمًا عِنْدَ اتِّجَاهِ⁽⁷⁾ الْأَطْمَاعِ، صَابِرًا فِي الْمَضَاقِ عَلَى الْقِرَاعِ⁽⁸⁾، مُتَقَدِّمًا لِلْأَبْطَالِ بِالِاصْطِنَاعِ، مُقَابِلًا نَصَائِحِ أُولِي الْخَبَرَةِ⁽⁹⁾ بِالِاسْتِمَاعِ، مُسْتَعْمِلًا فِي الْحُرُوبِ مِنْ وَجْهِ الْخِدَاعِ، حَتَّى يَكُونَ عَمَلُهُ وَفَقَ شُهْرَتِهِ الْبَعِيدَةِ الْمَطَارِ، وَسِيرَتُهُ⁽¹⁰⁾ فِيمَا أَسْنَدَ إِلَيْهِ مَثَلًا فِي الْأَفْطَارِ، وَاسْتِقَامَةُ التَّدْبِيرِ عَلَى يَدَيْهِ ذَرِيعَةً⁽¹¹⁾ إِلَى إِزْغَامِ أَنْوَابِ الْكُفَّارِ، بِقُوَّةِ اللَّهِ وَحَوْلِهِ، وَعِزَّتِهِ وَطَوْلِهِ.

وَعَلَى الْغَزَاةِ بِالْحَضَرَةِ الْعَلِيَّةِ، وَسَائِرِ الْبِلَادِ النَّصْرِيَّةِ مِنْ بَنِي مَرَيْنَ، وَسَائِرِ قَبَائِلِ الْمُجَاهِدِينَ، أَنْ يَعْرِفُوا قَدْرَهُ، وَيَمْتَثِلُوا فِي مَرْضَاتِنَا أَمْرَهُ، وَيَكُونُوا⁽¹²⁾ مَعَهُ يَدًا وَرُوحًا وَجَسَدًا، وَسَعْيًا وَعَضُدًا، فَبِذَلِكَ يَشْمَلُهُ⁽¹³⁾ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ مَقَامِنَا الرِّضَا⁽¹⁴⁾ وَالْقَبُولُ، وَالْعِزُّ الْمَوْصُولُ، وَيُضْمِي فِي عَدُوِّ اللَّهِ

1- أ، ع، م: "مستردًا"، فالمثبت من م.

2- ق، ع: "متعمداً". وهو تصحيف، ولعل الصواب ما أثبت؛ أي إنه يغض الطرف عن الأخطاء.

3- ق: "مستجداً"، ع: "مسنداً". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي يقتني أجود الأسلحة.

4- ق: "هيات". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أنه يسرع لإنقاذ الجهات المحتاجة.

5- ق، ع: "الصريح" وهو تصحيف.

6- أ، م: "بمواقف" والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ أي أن دفاعهم دائم عن الإسلام، وليس فقط في بعض المواقف التي تحتاج للدفاع.

7- ق، ع: "أبحاث".

8- ق: "الفراع" وهو تصحيف.

9- ق، ع: "الخبر" لعلها أولي الخبر، أي من يكشفون ما بطن من الأخبار.

10- ق، ع: "صيرته" أي جعلته الشهرة مثلاً في البلدان.

11- ع: "ذريعة" بدال مهمة. ولعل الصواب ما أثبت.

12- ق، ع: "يكون" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالضمير عائد على القبائل.

13- أ، م: "يشملهم" والمثبت من ق، ع.

14- ق، ع: "بالرضى".

النُّصُول⁽¹⁾، وَيَتَأْتِي عَلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْحُصُولُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ فَلْيَعْرِفْ مَا لَدَيْهِ. وَكُتِبَ فِي كَذَا.

لَوَاقَتَضَى نَظْرُ السُّلْطَانِ أَعَزَّهُ اللَّهُ أَنْ قَدَّمَ وَلَدَهُ

عَلَى الْجَمَاعَةِ الْكُبْرَى مِنْ جَيْشِ الْغَزَاةِ بِحَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ

عِنْدَ قَبْضِهِ عَلَى يَحْيَى بْنِ عُمَرَ⁽²⁾ فَكَتَبْتُ فِي ذَلِكَ ظَهيراً كَرِيماً نَصُهُ⁽³⁾

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ فَاتِحٌ بِنَشْرِ⁽⁴⁾ الْأَلَوِيَّةِ وَالْبُنُودِ⁽⁵⁾، وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ وَالْجُنُودِ، وَأَجَالٍ فِي مِيدَانِ
الْوُجُودِ⁽⁶⁾ [وَجَنَاحِ الْبَاسِ]⁽⁷⁾ الْجُودِ، وَأَضْفَى سِتْرَ الْحِمَايَةِ وَالْوَقَايَةِ بِالتَّهَانِمِ وَالنُّجُودِ، عَلَى الطَّائِفِينَ
وَالْعَاكِفِينَ⁽⁸⁾ وَالرُّكْعِ السُّجُودِ. عَقْدَ لِلْمُعْتَمِدِ بِهِ عَقْدَ التَّشْرِيفِ، وَالْقَدْرِ الْمُنِيفِ زَاكِي الشُّهُودِ، وَأَوْجَبَ
الْمُنَافَسَةَ بَيْنَ الْمَجَالِسِ بِجَمِيعِ رَايَتِهِ، وَهُوَ عَلَى كَنْدٍ⁽⁹⁾ دَابَّتِهِ⁽¹⁰⁾ وَاسْتَرْكَبَ جَيْشَ الْإِسْلَامِ تَرْحِيباً
بِوَفَادَتِهِ، وَتَنْوِيهاً⁽¹¹⁾ بِمَجَادَتِهِ، وَأَثَبَتْ فِي عَرْضِ⁽¹²⁾ الْإِمَارَةِ النَّصْرِيَّةِ سَهْمَ سَعَادَتِهِ. رَأَى أَنْ يَزِيدَهُ
فِي عِنَايَتِهِ ضُرُوباً أَجْنَاساً، وَيَتَّبِعَ أَثَرَهُ نَاساً فَنَاساً، قَدْ اخْتَلَفُوا لِسَاناً وَلِبَاساً⁽¹³⁾، وَاتَّفَقُوا ابْتِغَاءً
لِمَرْضَاةِ اللَّهِ وَالتَّمَسَّاسِ، مِمَّنْ كَرَّمَ انْتِمَاؤُهُ، وَرُيِّنَتْ بِالْحَسَبِ الْغُرَّ سَمَاؤُهُ، وَعُرِفَ غَنَاؤُهُ، وَتَأَسَّسَ عَلَى

1- ق: "المنصول". النُّصُولُ ج نَصَلٌ: كل حديدة من حدائد السهام" لسان العرب / نصل: 274 / 14

2- "عمر بن أبي بكر (وكنيته أبو يحيى) ابن عبد الحق المريني، أبو حفص (ت 658هـ / 1259م): من أمراء الدولة المرينية في المغرب الأقصى. بوع بفاًس بعد وفاة أبيه (سنة 656هـ) ولم يلبث أن تغلب عليه عمه يعقوب بن عبد الحق، فنزل عن الإمارة. وأقطعه عمه مدينة مكناسة فرحل إليها وتولاها. وقتله بعض أقربائه اغتيالاً" الأعلام: 43 / 4

3- ق: ساقط.

4- أ: "نشر"، م: "بنير" والمثبت من ق، ع.

5- ع: "النبود". وهو تحريف.

6- أ: "الجود"، والمثبت من باقي النسخ.

7- أ: ساقط، والمثبت من باقي النسخ.

8- ق: "القائمين". قال تعالى: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ {سورة الحج، الآية: 26}.

9- الكَتْدُ والكَتْدُ: مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس، قيل: أعلى الكتف" لسان العرب / كتد: 20 / 13

10- ق، ع: "دابته" وهو تصحيف.

11- ق، ع: "تقويماً" ولعل الصواب ما أثبت؛ فمجادته ومجده تستحق التثنية لا التثنية.

12- ع: "عرض" وهو تصحيف.

13- ق: "لسانا لباساً".

الْمَجَادَةِ بِنَاؤُهُ، حَتَّى لَا يَدَعَ مِنَ الْعِنَايَةِ فَنًّا إِلَّا جَلَبَهُ إِلَيْهِ، وَلَا سَعَادَةَ فَخْرٍ إِلَّا جَعَلَهَا فِي يَدَيْهِ، وَلَا حُلَّةَ (1) عَزٍّ إِلَّا أَضْفَى مَلَابِسَهَا عَلَيْهِ.

وَكَانَ جَيْشُ (2) الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ -أَمَّنَ اللَّهُ خِلَالَهَا، وَسَكَنَ زِلْزَالَهَا، وَصَدَّقَ (3) فِي رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَمَالَهَا (4) - كَافٍ (5) هِمَّتِهِ، وَمَرَعَى أَدَمَّتِهِ، وَمِيدَانَ جِيَادِهِ، وَمُتَعَلِّقَ أَمَدِ جِهَادِهِ، وَمِعْرَاجَ إِرَادَتِهِ إِلَى تَحْصِيلِ سَعَادَتِهِ، وَسَبِيلَ خِلَالِهِ إِلَى بُلُوغِ كَمَالِهِ. فَلَمْ يَدَعْ عِلَّةً إِلَّا أَزَاحَهَا، وَلَا طَلِبَةً إِلَّا أَجَالَ (6) قَدَاحَهَا، وَلَا عَزِيمَةً إِلَّا فَلَى (7) اقْتَدَاحَهَا، وَلَا رَغْبَةً إِلَّا فَسَحَ سَاحَتَهَا (8)، أَخَذَ مَرُوثَتَهُ (9) بِالتَّهْدِيبِ (10) وَمَصَافَهُ بِالتَّرْتِيبِ، [وَأَمَالَهُ] (11) بِالتَّقْرِيبِ (12)، مُحْسِنًا فِي تَلْقَى الْغَرِيبِ وَ[تَأْنِيسِ الْحَرِيبِ] (13)، مُسْتَنْجِزًا لَهُ وَبِهِ وَعَدَ النَّصْرِ الْعَزِيزِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ (14)، وَرَفَعَ عَنْهُ لِهَذَا الْعَهْدِ (15)، نَظَرَ مَنْ حَكَّمَ الْأَغْرَاضَ فِي حُمَاتِهِ (16)، وَاسْتَشْعَرَ (17) عُرُوقَ الْحَسَائِفِ (18) لِتَشْدِيدِ (19) كُمَاتِهِ، وَاشْتَعَلَ (20) عَنْ حُسْنِ الْوَسَاطَةِ لَهُمْ بِمَصْلَحَةِ دَاتِهِ، وَجَلَّبَ هِبَاتِهِ (21)، وَتَنَمَّيرَ

1- م : "حلية" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالحلة من الملابس.

2- ق: "جيس" وهو تصحيف.

3- أ، م : "ضرف"، والمثبت من ق، ع.

4- ق: "مالها".

5- ق، ع، م : "كلف".

6- ق : "ولا طلبه الأجال" وه تحريف.

7- ق، ع، م : "أورى". "فليت الأمر إذا تأملت وجوهه ونظرت إلى عاقبته" لسان العرب / فلا: 226 / 11

8- م : "ساحها" وهو تحريف.

9- ق، ع: "مروته".

10- ق، ع: "بالتهديب". وهو تصحيف.

11- أ : ساقط، والمثبت من ق، ع، م.

12- م : "التعريب". وهو تحريف.

13- ع : "المريب" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالحريب من "حرب أخذ جميع ماله" المصباح المنير / حرب، ص: 49

14- ق: ساقط. قال تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} سورة النصر، الآية: 1

15- ق، ع: "العهد القديم".

16- ع : "حمائته" ولعل الصواب ما أثبت؛ فحماة لها نفس وزن كماء.

17- ق: "استشعر" وهو تصحيف.

18- حسائف ج حسيفة: "رجع فلان بحسيفة نفسه إذا رجع ولم يقض حاجة نفسه" لسان العرب / حسف: 120 / 4

19- ق: "تشديب" وهو تصحيف.

20- أ، م : "واستقل" والمثبت من ق، ع.

21- ق، ع : "حياته" وهو تحريف.

مَالِهِ، وَتَوْفِيرِ أَقْوَاتِهِ، ذَاهِباً أَقْصَى مَذَاهِبِ التَّعْمِيرِ بِأَمَدِ حَيَاتِهِ، فَانْفَرَجَ الضِّيقُ، وَخُلَصَ [إِلَى حُسْنِ نَظَرِهِ] ⁽¹⁾ وَسَاغَ ⁽²⁾ الرِّيقُ، وَرَضِيَ الْفَرِيقُ، وَرَأَى -وَاللَّهُ الْكَفِيلُ بِنُجْحِ رَأْيِهِ وَشُكْرِ سَعْيِهِ، وَصِلَةِ حِفْظِهِ وَرَعْيِهِ- أَنْ يَحْمَدَ لَهُمْ اخْتِيَارَهُ وَيُحَسِّنَ لَدَيْهِمْ آثَارَهُ، وَيَسْتَنْتِيبَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سُيُوفِ جِهَادِهِ، وَأَبْطَالِ جَلَادِهِ، وَحِمَاةِ أَحْوَاذِهِ، وَآلَاتِ اعْتِزَالِهِ، مَنْ يَجْرِي مَجْرَى نَفْسِهِ [النَّفِيسَةِ] ⁽³⁾ فِي كُلِّ مَعْنَى ⁽⁴⁾، وَمَنْ يَكُونُ ⁽⁵⁾ لَهُ لَفْظُ الْوِلَايَةِ وَلَهُ -أَيَّدَهُ اللَّهُ- الْمَعْنَى ⁽⁶⁾.

فَقَدَّمَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ الْأُولَى كُبْرَى الْكَتَائِبِ، وَمَقَادِرِ الْجَنَائِبِ، وَأَجَمَةَ الْأَبْطَالِ، وَمُزْنَةً ⁽⁷⁾ الْوَدْقِ الْهَطَّالِ، الْمُشْتَمَلَةِ مِنَ الْغُرَاةِ عَلَى مَشِيخَةِ آلِ يَعْقُوبَ، نَسَبِ ⁽⁸⁾ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ، وَأَعْلَامِ الْإِسْلَامِ، وَسَائِرِ ⁽⁹⁾ قَبَائِلِ بَنِي مَرَيْنَ، لُيُوثِ الْعَرِينِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الْقَبَائِلِ، وَأُولِي الْوَسَائِلِ، يَحُوطُ ⁽¹⁰⁾ جَمَاعَتَهُمْ، وَيَرْفَعُ بِتَقَفِّدِهِ إِضَاعَتَهُمْ وَيَسْتَخْلِصُ لِلَّهِ وَلِأَبِيهِ -أَيَّدَهُ اللَّهُ- طَاعَتَهُمْ، وَتَشْرُفُ ⁽¹¹⁾ بِإِمَارَتِهِ ⁽¹²⁾ مَرَاجِبُهُمْ، وَيَرِينُ ⁽¹³⁾ بِهِلَالِهِ النَّاهِضِ إِلَى الْإِبْدَارِ ⁽¹⁴⁾ عَلَى فَلَكَ الْأَقْدَارِ ⁽¹⁵⁾ كَوَاكِبَهُمْ، تَقْدِيمًا أَشْرَقَ ⁽¹⁶⁾ لَهُ وَجْهُ الدِّينِ [الْحَنِيفِ] ⁽¹⁷⁾ وَتَهَلَّلَ، وَأَحَسَّ بِإِقْتِرَابِ مَا أَمَلَ.

1- أ : ساقط، والمثبت من ق، ع، م.

2- ق، ع : " صاغ " وهو تصحيف. " صاغ له الطعام والشراب... وماء سانغ وسينغ " أساس البلاغة / سوغ، 482 / 1

3- أ، م : ساقط، والزيادة من ق، ع.

4- ع : " معنى " وهو تصحيف.

5- ق : " يكن " ولعل الصواب ما أثبت؛ فمن هنا اسم موصول.

6- ق : " المغنى " وهو تصحيف، ولعل الصواب ما أثبت؛ فهنا ثنائية اللفظ والمعنى.

7- ع : " مرته " وهو تصحيف، ولعل الصواب ما أثبت؛ فالمزنة هي السحابة.

8- ق، ع : " نسبة ".

9- ق، ع : " سائل " وهو تصحيف.

10- ق، ع : " ليحوط ".

11- م : " تشرق " وهو تصحيف.

12- ق، ع : " بحبل إمارته ".

13- ق : " ويزيل " ع، م : " يزين " . " رانت عليه الخمر : غلبته وغشيتة " لسان العرب / ران : 281 / 6

14- ع : " الايدار " وهو تصحيف.

15- أ، م : " على فلك سعادة الإنذار " والمثبت من ق، ع.

16- ع : " أشرف " وهو تصحيف.

17- ق : ساقط.

فَلَلْخَيْلِ (1) اخْتِيَالٌ وَمِرَاحٌ، وَلِلْأَسْلِ (2) السُّمْرِ اهْتِرَازٌ وَارْتِيَاخٌ، وَلِلصُّدُورِ انْشِرَاحٌ، وَلِلْأَمَالِ مَعْدَى فِي فَضْلِ اللَّهِ وَمِرَاحٌ. فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ - أَسْعَدَهُ اللَّهُ - تَوَلَّى مِثْلَهُ، فَمِنْ أُسْرَةِ الْمَلِكِ أُسْرَتُهُ، وَأُسْرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْرَتُهُ، وَالْمُلُوكُ الْكَرِيمُ أَصْلٌ لِقَرْعِهِ، وَالسَّبَبُ (3) الْعَرَبِيُّ مُنْجِدٌ لَطِيبٌ طَبْعُهُ، آخِذًا (4) أَشْرَافَهُمْ بِتَرْفِيعِ الْمَجَالِسِ بِنِسْبَةِ أَقْدَارِهِمْ، مُقَرَّبًا حُسْنَ اللَّقَاءِ بِإِيثارِهِمْ، شَاكِرًا غَنَاءَهُمْ (5)، مُسْتَدْعِيًا ثَنَاءَهُمْ مُسْتَدِرًّا لِأَرْزَاقِهِمْ، مُوجِبًا (6) الْمَزِيَّةَ بِحَسَبِ اسْتِحْقَاقِهِمْ، شَافِعًا لَدَيْهِ فِي رَغَبَاتِهِمُ الْمُؤَمَّلَةِ وَوَسَائِلِهِمُ الْمُتَحَمَّلَةِ (7)، مُسَهِّلًا (8) الْإِذْنَ لَوْفُودِهِمُ الْمُتَلَحِّقَةِ، مُنْفِقًا لِبِضَائِعِهِ النَّافِقَةِ، مُؤْنِسًا لِعُزْبَائِهِمْ (9)، مُسْتَجْلِيًا (10) أَحْوَالَ أَهْلِيهِمْ وَعُزْبَائِهِمْ (11)، مُمَيِّزًا بَيْنَ أَغْفَالِهِمْ وَنُبُهَائِهِمْ، وَعَلَى جَمَاعَتِهِمْ - رَعَى اللَّهُ جِهَادَهُمْ، وَوَفَّرَ أَعْدَادَهُمْ - أَنْ يُطِيعُوهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ أَبِيهِ، وَيَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى دِفَاعِ أَعَادِي (12) اللَّهِ وَأَعَادِيهِ، وَيَشُدُّوا فِي مَوَاقِفِهِ (13) الْكَرِيهَةِ (14) أَرْزَهُ، وَيَمْتَنِّتُوا نَهْيَهُ وَأَمْرَهُ (15)، حَتَّى يَعْظُمَ الْإِنْتِفَاعُ، وَيُنْمِرَ (16) الدِّفَاعُ، وَيَخْلُصَ الْمِصَالُ (17) لِلَّهِ وَالْمِصَاعُ (18).

1- ق، ع : " فللجيد" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي اختيال الخيل في مشيتها.

2- ق، ع : " للالسن" وهو تحريف.

3- ق، ع : " النسيب".

4- م : " أخذ" ولعل الصواب ما أثبت؛

5- ق : " أغناءهم"، ع : " أغناءهم".

6- ق، ع : " موجب للمزية"، م : " موجهها". ولعل الصواب ما أثبت.

7- ع : " المحتملة" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالمتحملة على وزن المؤملة.

8- ق، ع : " مسهل" ولعل الصواب ما أثبت؛ تماشيا مع الأحوال الموجودة.

9- ق : " لغرائبهم".

10- ق : " مستخليا"، ع : " مستحليا"، م : " مستجليا".

11- ق : " عرباهم" وهو تصحيف.

12- ق : " أعداء".

13- ق، ع : " المواقف" وكلاهما صحيح.

14- م : " الكريمة" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي في المواقف الشديدة.

15- ق : " أمره ونهيه".

16- ق، ع : " يتمر" وهو تصحيف.

17- المِصَالُ : " من صال أي سطا" لسان العرب / صول : 308 / 8

18- المِصَاعُ : " المجالدة والمضاربة" لسان العرب / مصع : 86 / 14

فَلَوْ وَجَدَ -أَيَّدَهُ اللهُ- غَايَةً فِي تَشْرِيفِهِمْ لَبَلَّغَهَا، أَوْ مَوْهَبَةً لَسَوَّغَهَا⁽¹⁾، لَكِنْ مَا بَعْدَ وَلَدِهِ
الْعَزِيزِ عَلَيْهِ مَذْهَبٌ⁽²⁾، وَلَا وَرَاءَ مُبَاشَرَتِهِمْ بِنَفْسِهِ مَرْغَبٌ. وَاللَّهُ مُنْجِحُ الْأَعْمَالِ، وَمُبْلِّغُ الْأَمَالِ،
وَالْكَفِيلُ بِسَعَادَةِ الْمَالِ.

فَمَنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الظَّهِيرِ الْكَرِيمِ، فَلْيَعْلَمْ مِقْدَارَ مَا تَضَمَّنَتْهُ⁽³⁾ مِنْ أَمْرِ مُطَاعٍ، وَفَخْرِ
مُسْتَدٍّ إِلَى إِجْمَاعٍ، وَوُجُوبِ اتِّبَاعٍ. وَلْيَكُنْ خَيْرَ مَرْعَى لِخَيْرِ رَاعٍ بِحَوْلِ اللَّهِ. وَأَقْطَعَهُ -أَيَّدَهُ اللهُ-
لِيَكُونَ بَعْضَ الْمِدَادِ⁽⁴⁾ لِأَزْوَادِ سَفَرِهِ، وَسِمَاطِ سَفَرِهِ⁽⁵⁾، مِنْ جُمْلَةِ مَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعَمِهِ، وَسَوَّغَهُ مِنْ
مَوَارِدِ كَرَمِهِ، جَمِيعِ الْقَرْيَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى عَرَبِ غَسَّانَ؛ وَهِيَ الْمَحَلَّةُ الْأَثِيرَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الشَّهِيرَةُ، تَنْطَلِقُ
عَلَيْهَا أَيْدِي خُدَّامِهِ وَرِجَالِهِ، جَارِيَةً مَجْرَى صَحِيحٍ⁽⁶⁾ مَالِهِ، مُحَرَّرَةً مِنْ كُلِّ وَظِيفٍ لِاسْتِقْلَالِهِ⁽⁷⁾ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ، فَهُوَ الْمُسْتَعَانُ سُبْحَانَهُ. وَكُتِبَ فِي كَذَا.

1- ق، ع : " هبة لصوغها".

2- ق، ع : " مذهب" وهو تصحيف.

3- ق: "ضمته" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي ما يوجد في الظهير.

4- ق: "المدد"، م: "المواد". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي مداد كتبه.

5- ق، م : " وسماط قفره". "سماطي الطريق: جانيبه" أساس البلاغة / سبط، 1 / 473.

6- ق، ع : " صريح". وكلاهما صحيح.

7- م: " استغلاله".

[وَأَمَلَيْتُ أَيْضاً ظَهيراً لِلْمَذْكُورِ بِخِطَابِهِ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ مِنْ غَرْنَاطَةَ⁽¹⁾]

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ أَعْلَى رُتْبَةِ الْإِحْتِفَاءِ [وَالِإِحْتِفَالِ]⁽²⁾ اخْتِيَاراً وَاخْتِبَاراً، وَأَظْهَرَ مَعَانِي الْكَرَامَةِ
وَالْتَّخَصِصِ انْتِقَاءً وَاصْطِفَاءً وَإِثَاراً، وَرَفَعَ لَوَاءَ الْجَلَالَةِ عَلَى مَنْ اشْتَمَلَ عَلَيْهَا⁽³⁾ حَقِيقَةً وَاعْتِبَاراً،
وَرَفَى فِي دَرَجَاتِ [الْعِزِّ]⁽⁴⁾ مَنْ طَاوَلَهَا عُلَا بَهْرَ أَنْوَارٍ، وَدِيناً كَرَمَ فِي الصَّالِحَاتِ آثَاراً، وَزَكَ⁽⁵⁾ فِي
الْأَصَالَةِ نِجَاراً⁽⁶⁾، وَخُلُوصاً إِلَى هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ السَّعِيدِ، رَاقٍ إِظْهَاراً وَإِضْمَاراً.

أَمَرَ بِهِ [وَأَمَضَاهُ وَأَنْقَدَ حُكْمَهُ وَمَقْتَضَاهُ]⁽⁷⁾ [فُلَانٌ]⁽⁸⁾ لِقَاضِي الْجَمَاعَةِ الْكَذَا أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ
الشَّيْخِ الْوَزِيرِ الْكَذَا وَخَطِيبِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَخْصُوصِ لَدَى الْمَفَاخِرِ الْعُلَى بِالْحَضْرَةِ السَّنِيَّةِ،
وَالْمَكَانَةِ الْخَفِيَّةِ، الْمُوقَّرِ الْفَاضِلِ الْحَافِلِ الْكَامِلِ الْمُوقَّرِ الْمُبَرَّرِ أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْوَزِيرِ
الْأَجَلِّ الْأَعَزِّ الْمَاجِدِ الْأَسْنَى الْمُرفَعِ الْأَحْفَلِ الْأَصْلَحِ الْمُبَارَكِ الْأَكْمَلِ الْمُوقَّرِ الْمُبَرَّرِ الْمَرْحُومِ]⁽⁹⁾
أَبِي مُحَمَّدٍ بَنِ الْحَسَنِ، وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَهُ، وَوَالَى رِفْعَتَهُ [مَبْرَتَهُ]⁽¹⁰⁾، وَوَهَبَهُ⁽¹¹⁾ مِنْ صِلَةِ الْعِنَايَةِ
الرَّبَّانِيَّةِ أَمَلَهُ وَبُغْيَتَهُ؛ لَمَّا أَصْبَحَ فِي صُدُورِ الْقُضَاةِ الْعُلَمَاءِ، مُشَاراً إِلَى جَلَالِهِ، مُسْتَنِدّاً إِلَى مَعَارِفِهِ،

1- ق، ع: ساقط.

2- أ، ع، م: ساقط، والمثبت من ق.

3- أ، م: "عليه" والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب؛ أي من اشتمل على الجلالة.

4- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

5- ق، ع: "زكى" ولعل الصواب ما أثبت. "زكا الرجل يزكو إذا صلح" المصباح المنير / زكاء، ص: 97

6- م: "بخاراً". وهو تصحيف. "النَّجَار والنُّجَار: الأصل والحسب" لسان العرب/ نجر: 14 / 196

7- أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع.

8- ق، بزيادة: الشيخ الكذا، ع: بزيادة: "الشيخ القاضي العدل الأَرْضِي".

9- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

10- أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع.

11- ق، ع: "وهب له" وكلاهما صحيح. "وهب الشيء هبة وموهباً...وهب له الشيء: جعله له" أساس البلاغة / وهب، 2 / 356

الْمَخْصُوصَةِ بِكَمَالِهِ، مَطْوِيًّا⁽¹⁾ عَلَى الْإِفَادَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ، بِمَحَاسِنِهِ الْبَدِيعَةِ وَخِصَالِهِ، مَحْفُوفًا مَقْعَدُ⁽²⁾ الْحُكْمِ⁽³⁾ النَّبَوِيِّ بِبَرَكََةِ عَدَالَتِهِ، وَفَضْلِ خِلَالِهِ⁽⁴⁾.

وَحَلَّ فِي هَذِهِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَحَلِّ الَّذِي لَا يَرْفَاهُ إِلَّا عَيْنُ الْأَعْيَانِ، وَلَا يَتَّبِعُ مِهَادَهُ إِلَّا مِثْلُهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَجْدِ الثَّابِتِ⁽⁵⁾ الْأَرْكَانِ، وَمُؤَمِّلِي⁽⁶⁾ الْعِلْمِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ، وَالْمُبَرِّزِينَ بِالْمَآثِرِ الْعَلِيَّةِ فِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ، وَتَصَدَّرَ لِقَضَاءِ الْجَمَاعَةِ فَصَدَرَتْ عَنْهُ الْأَحْكَامُ الرَّاجِحَةُ الْمِيزَانِ، وَالْأَنْظَارُ الْحَسَنَةُ الْأَثَرِ وَالْعِيَانِ، وَالْمَقَاصِدُ الَّتِي وَفَّتْ بِالْغَايَةِ الَّتِي لَا تُسْتَطَاعُ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ. فَكَمْ مِنْ قَضِيَّةٍ جَلَّى بِمَعَارِفِهِ مُشْكِلَهَا، وَنَازِلَةٍ⁽⁷⁾ مُبْهَمَةٍ فَتَحَ بِإِدْرَاكِهِ مُقْفَلَهَا، وَمَسْأَلَةٍ [مُهِمَّةٍ]⁽⁸⁾ عَرَفَ نَكِرَتَهَا، وَقَرَّرَ مُهِمَلَهَا، حَتَّى قَرَّتْ بِعَدَالَتِهِ وَجَرَالَتِهِ⁽⁹⁾ [الْعِيُونُ، وَصَدَقَتْ فِيهِ الْأَمَالُ الرَّاجِحَةُ⁽¹⁰⁾]⁽¹¹⁾ الظُّنُونُ. وَكَانَ فِي تَصْدِيرِهِ لِهَذِهِ الْوَلَايَةِ⁽¹²⁾ الْعُظْمَى مِنَ الْخَيْرِ وَالْخَيْرَةِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ، كَانَ أَحَقَّ بِالتَّشْفِيعِ لِلْوَجَاهَةِ وَأَوْلَى، وَأَجْدَرُ بِمُضَاعَفَةِ النِّعَمِ الَّتِي لَا تَزَالُ تَتَرَادَفُ عَلَى قَدَرِهِ الْأَعْلَى، فَلِذَلِكَ أَصْدَرَ لَهُ [أَيَّدَهُ اللَّهُ]⁽¹³⁾ هَذَا الظَّهِيرَ الْكَرِيمَ، مُشِيدًا بِالتَّرْفِيعِ وَالتَّنْوِيهِ، وَمُؤَكِّدًا لِلِإِحْتِفَاءِ وَالتَّوْجِيهِ⁽¹⁴⁾. قَدَّمَهُ -أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ⁽¹⁵⁾ وَشَكَرَ نِعَمَهُ- خَطِيبًا بِالْجَامِعِ الْأَعْظَمِ مِنْ حَضْرَتِهِ، [مُضَافًا ذَلِكَ إِلَى

1- ق، ع: "مطرزا"، م: مطمورا".

2- ق: "معقد" وهو تحريف.

3- ق: "الملك". ولعل الصواب ما أثبت؛ وهو إشارة إلى اتباعه سنة الرسل صلى الله عليه وسلم.

4- ق، ع: "جلاله" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ فعدالته مصدر نبل خصاله.

5- م: "الثابتة" أي الأركان.

6- أ: "مؤمل"، ق، ع: "ومولى"، والمثبت من م

7- ق: "ونزلة" وهو تحريف.

8- ق، ع: ساقط.

9- ق: "جدالته". "والجدالة بالفتح الأرض" المصباح المنير / جدل، ص: 36

10- ع: "الناجحة" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي صدقت الآمال التي كان يرجح حصولها.

11- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

12- أ، م: "الآية". والمثبت من ق، ع.

13- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

14- أ، ق، ع: "والوجيه" والمثبت من م.

15- م: "قدره" وكلاهما صحيح.

وَلَايَتِهِ، وَرَفِيعَ مَنْزِلَتِهِ⁽¹⁾، عَمَرَهُ اللهُ بِذِكْرِهِ، مِنْ عَلِيَّةِ الْخُطَبَاءِ، وَكِبَارِ الْعُلَمَاءِ، وَخِيَارِ النَّبَهَاءِ
وَالصُّلَحَاءِ، فَلْيَتَدَاوُلْ ذَلِكَ فِي جُمُعَاتِهِ مُظْهِراً [فِي الْخُطَبِ] ⁽²⁾ أَثَرَ بَرَكَاتِهِ وَحَسَنَاتِهِ، عَامِلاً عَلَى مَا
يُقَرَّبُهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ مَرْضَاتِهِ، وَيُظَفِّرُهُ بِجَزِيلِ مَثُوبَاتِهِ، بِحَوْلِ اللهِ [وَقُوَّتِهِ] ⁽³⁾.

¹ - ع: "ساقط"
² - أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.
³ - أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

[وَتَبَّتْ فِي ظَهْرِ رَئِيسِ الْكِتَابِ الْفَقِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ زَمْرَكٍ⁽¹⁾]

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ، نَصَّبَ الْمُعْتَمِدَ بِهِ لِلْأَمَانَةِ الْكُبْرَى بِبَابِهِ فَرَفَعَهُ، وَأَفْرَدَ لَهُ مَثْلُو الْعِزِّ وَجَمَعَهُ⁽²⁾، [وَأَوْتَرَهُ]⁽³⁾ وَشَفَّعَهُ، وَقَرَّبَهُ فِي بَسَاطِ الْمُلْكِ تَقْرِيباً فَتَحَ لَهُ بَابَ السَّعَادَةِ⁽⁴⁾ وَشَرَّعَهُ، وَأَعْطَاهُ لَوَاءَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى، فَوَجَبَ عَلَى دُونِ رُتْبَتِهِ، مِنْ أُولَى⁽⁵⁾ صَنْعَتِهِ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَرَعَى لَهُ وَسِيلَتَهُ⁽⁶⁾ السَّابِقَةَ عِنْدَ اسْتِخْلَاصِ الْمُلُوكِ لَمَّا ابْتَزَّهُ اللَّهُ مِنْ يَدِ الْغَاصِبِ وَانْتَزَعَهُ، وَحَسْبُكَ مِنْ ذِمَامٍ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مَعَهُ.

أَمَرَ بِهِ الْأَمِيرُ فَلَانٌ [الْفُلَانِ]⁽⁷⁾، وَصَلَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ، وَحَرَسَ مَجَادَتَهُ، وَأَطْلَعَ لَهُ وَجْهَ الْعِنَايَةِ، أَبْهَى مِنْ [الصُّبْحِ]⁽⁸⁾ الْوَسِيمِ⁽⁹⁾، [وَأَقْطَعَهُ جَنَابَ⁽¹⁰⁾ الْإِنْعَامِ الْجَسِيمِ، وَأَنْشَقَّهُ أَرْجَ الْخُطْوَةِ⁽¹¹⁾ عَاطِرَةِ النَّسِيمِ]⁽¹²⁾. وَنَقَّلَهُ مِنْ كُرْسِيِّ التَّدْرِيسِ وَالتَّعْلِيمِ، إِلَى مَرْقَى التَّنْوِيهِ وَالتَّكْرِيمِ⁽¹³⁾، وَالرُّتْبَةِ الَّتِي لَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ⁽¹⁴⁾، وَجَعَلَ أَقْلَامَهُ جِيَاداً لِإِجَالَةِ أَمْرِهِ الْعَلِيِّ، وَخِطَابِهِ السَّنِيِّ فِي مَيَادِينِ⁽¹⁵⁾

¹ - ابن زمرك (733-1330/793-1390) "وزير من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس، تتلمذ للسان الدين بن الخطيب وغيره، وترقى في الأعمال الكتابية إلى أن جعله الغني بالله كاتم سره سنة 733، وقد كان سعى في أستاذه ابن الخطيب حتى قُلت خنقا" الأعلام: 29/8

² - ق، ع: "وجهه وأثره".

³ - ق، ع: ساقط.

⁴ - ع: بزيادة: "وعرفه".

⁵ - ق: "أهل" وكلاهما صحيح.

⁶ - أ، ع، م: "وسيلة"، والمثبت من ق.

⁷ - م: ساقط.

⁸ - ق: ساقط.

⁹ - ق: "النسيم" ولعل الصواب ما أثبت.

¹⁰ - م: "جانب" وه تحريف.

¹¹ - م: "الخطوة" وهو تصحيف.

¹² - ق: ساقط.

¹³ - أ، م: "التعليم"، والمثبت من ق، ع.

¹⁴ - قال تعالى: {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} سورة فصلت، الآية: 35.

¹⁵ - ق: "ميدان". ولعل الصواب ما أثبت؛ إشارة إلى سعة المجال.

الأقاليم⁽¹⁾، وَوَضَعَ فِي يَدِهِ أَمَانَةَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى، جَارِياً مِنَ الطَّرِيقَةِ الْمُتَلَى، عَلَى النَّهْجِ⁽²⁾ الْقَوِيمِ،
وَاخْتَصَّهُ بِمَزِيَّةِ الشُّفُوفِ⁽³⁾ عَلَى كُتَّابِ بَابِهِ وَالتَّقْدِيمِ⁽⁴⁾، لَمَّا كَانَ نَاهِضَ الْوَكْرَ فِي طَلِبَةِ حَضْرَتِهِ مِنَ
الْبِدَايَةِ، وَلَمْ تَزَلْ تَظْهَرُ عَلَيْهِ لِأُولَى التَّمْيِيزِ⁽⁵⁾ مَخَايِلُ هَذِهِ الْعِنَايَةِ⁽⁶⁾. فَإِنْ نَظَمَ أَوْ نَثَرَ أَتَى بِالْقَصَائِدِ
الْمَنْقُولَةِ⁽⁷⁾، وَالْمُخَاطَبَاتِ الْمَصْنُوعَةِ⁽⁸⁾، فَاشْتَهَرَ فِي بَلَدِهِ وَغَيْرِ بَلَدِهِ، وَصَارَتْ أَرْمَةُ الْعِنَايَةِ⁽⁹⁾ طَوْعَ
يَدِهِ، بِمَا أُوجِبَ لَهُ الْمَزِيَّةُ فِي يَوْمِهِ وَغَدِهِ.

وَحِينَ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْنَا⁽¹⁰⁾ مُلْكَنَا⁽¹¹⁾ الَّذِي جَبَرَ بِهِ جَنَاحَ الْإِسْلَامِ، وَزَيَّنَ وُجُوهَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ،
وَأَذَالَ⁽¹²⁾ الضِّيَاءَ مِنَ الْإِظْلَامِ. كَانَ مِمَّنْ وَسَمَهُ الْوَفَاءُ وَشَهَرَهُ، وَعَمَّمَ⁽¹³⁾ الْمُلُكُ عُودَ خُلُوصِهِ
وَحَبَّرَهُ، فَحَمِدَ أَثَرَهُ، وَشَكَرَ ظَاهِرَهُ وَمُضْمَرَهُ، وَاسْتَصْحَبَ عَلَى رِكَابِهِ الَّذِي صَحِبَ الْيَمْنَ⁽¹⁴⁾ سَفَرَهُ،
وَأَخْلَصَتْ الْحَقِيقَةُ نَفَرَهُ.

وَكَفَّلَ اللَّهُ وَرْدَهُ وَصَدْرَهُ، مَيِّمُونَ النَّقِيبَةِ، حَسَنَ الضَّرِيبَةِ، خَالِصاً فِي الْأَحْوَالِ الْمُرِيبَةِ، نَاطِقاً
عَنْ مَقَامِهِ بِالْمُخَاطَبَاتِ الْعَجِيبَةِ، وَاصِلاً إِلَى الْمَعَانِي الْبَعِيدَةِ، بِالْعِبَارَةِ⁽¹⁵⁾ الْقَرِيبَةِ، مُبْرِزاً⁽¹⁶⁾

1- ق: "الإقليم". ولعل الصواب ما أثبت؛ إشارة إلى تعدد المناطق.

2- ع: "المنهج" وكلاهما صحيح.

3- ق، ع: "الشفوف" أي ما يستف، وسففته أي نسجته" لسان العرب. صف 7 / 200. والشفوف: "من الشف أي الفضل" لسان العرب / شف: 103 / 8

4- ق: "والقديم". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي قدمه على جميع كتابه.

5- م: "التميز" ولعل الصواب ما أثبت.

6- م: "الغاية".

7- ق، ع: "المسقولة".

8- ق، ع: "المنقولة".

9- م: "السقاية".

10- ق، ع: "عليه" ولعل الصواب ما أثبت.

11- ق، ع: "ملكه" بعودة الضمير على السلطان.

12- ق، أ: "أزال"، م: "أذال". ولعل الصواب ما أثبت؛ من "أذال ثيابه وذيلها" أساس البلاغة / ذيل، 1 / 322

13- ق، م: "عجم".

14- أ، ق: "اليمين"، والمثبت من ع، م.

15- ع: "بالمعاني".

16- أ، م: "ميرز"، والمثبت من ق، ع.

الْخَدَمَ ⁽¹⁾ الْغَرِيبَةَ، حَتَّى اسْتَقَامَ الْعِمَادُ، وَنَطَقَ بِصِدْقِ الطَّاعَةِ الْحَيِّ وَالْجَمَادُ، وَدَخَلَتْ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ ⁽²⁾، اللَّهُ الْحَمْدُ عَلَى نِعَمِهِ الثَّرَةِ ⁽³⁾ الْعِهَادِ، وَالْآئِهِ الْمُتَوَالِيَةِ التَّزَادِ.

رَعَى لَهُ -أَيَّدَهُ اللَّهُ- هَذِهِ الْوَسَائِلَ؛ وَهُوَ أَحَقُّ مَنْ يَرْعَاهَا، وَشَكَرَ [لَهُ] ⁽⁴⁾ الْخَدَمَ الْمَشْكُورَ مَسْعَاهَا، فَقَصَرَ عَلَيْهِ الرُّتْبَةُ ⁽⁵⁾ الشَّمَاءَ الَّتِي خَطَبَهَا ⁽⁶⁾ بِوَفَائِهِ، وَالْبَسَهُ أَثْوَابَ اعْتِنَائِهِ، وَفَسَحَ لَهُ مَجَالَ آيَاتِهِ، وَقَدَّمَهُ -أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ، وَشَكَرَ نِعَمَهُ- كَاتِبَ السَّرِّ، وَأَمِينَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ، تَقْدِيمَ الْإِخْتِيَارِ ⁽⁷⁾ [بَعْدَ الْإِخْتِبَارِ] ⁽⁸⁾ وَالْإِعْتِبَاطِ بِخِدْمَتِهِ الْحَسَنَةِ الْآثَارِ، [وَالْتِيْمُنِ بِاسْتِخْدَامِهِ قَبْلَ الْحُلُولِ بِدَارِ الْمُلْكِ وَالْإِسْتِفْرَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُوجِبَاتِ الْإِثَارِ] ⁽⁹⁾ ⁽¹⁰⁾

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَارِفًا بِمِقْدَارِهِ، مُقْتَفِيًا لِآثَارِهِ، مُسْتَعِينًا بِالْكَثْمِ لِأَسْرَارِهِ، وَالْإِضْطِلَاعِ ⁽¹¹⁾ بِعِظَامِ ⁽¹²⁾ أُمُورِهِ وَكِبَارِهِ، مُتَّصِفًا بِمَا يُحْمَدُ مِنْ أَمَانَتِهِ وَعَفَافِهِ وَوَقَارِهِ، مُعْطِيًا هَذَا الرَّسْمَ حَقَّهُ مِنَ الرَّئَاسَةِ، عَارِفًا أَنَّهُ ⁽¹³⁾ أَكْبَرُ أَرْكَانِ السِّيَاسَةِ، حَتَّى يَتَأَكَّدَ الْإِعْتِبَاطُ بِتَقْرِيبِهِ وَإِدْنَائِهِ، وَتَتَوَفَّرَ ⁽¹⁴⁾ أَسْبَابُ الزِّيَادَةِ فِي إِعْلَائِهِ. وَهُوَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - غَنِيٌّ عَنِ الْوَصَاةِ فَهَمَّا ⁽¹⁵⁾ ثَاقِبًا، وَأَدْبَابًا لِعُيُونِ الْكَمَالِ مُرَاقِبًا؛ فَهُوَ يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ أَفْصَى الْعَمَلِ، الْمُتَكَفِّلُ بِبُلُوغِ الْأَمَلِ، وَعَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ مِنْ حَمَلَةِ الْأَفْلامِ،

1- ق: "بالخداع"، "بالخدم".

2- قال تعالى: {وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا} سورة النصر، الآية: 2.

3- م: "الثرة". "عين ثرة: غزيرة الماء" لسان العرب / ثر: 14 / 3

4- م: ساقط.

5- ع: "التربة" ولعل الصواب ما أثبت.

6- ق: "خطب" وكلاهما صحيح.

7- ع: "الاختبار".

8- ق، ع ساقط.

9- م: "الآثار" وهو تحريف.

10- ق: ساقط.

11- م: "اضطلاعه".

12- م: "بعظيم".

13- ق، ع: "بأنه" والصواب ما أثبت؛ عرف يتعدى بالتثنية فيقال عرفته به" المصباح المنير / عرف، ص: 154

14- ق، ع: "بتوفر". ولعل الصواب ما أثبت؛ إذ يتوفر معطوف على يتحقق.

15- م: "مهما" وهو تحريف.

وَالْكِتَابِ الْأَعْلَامِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكَافَّةِ وَالْخُدَامِ، أَنْ يَعْرِفُوا قَدْرَ هَذِهِ الْعِنَايَةِ⁽¹⁾ [الوَاضِحَةِ الْأَحْكَامِ]⁽²⁾
وَالْتَقْدِيمِ الرَّاسِخِ الْأَقْدَامِ، وَيُوجِبُوا⁽³⁾ مَا أَوْجَبَ مِنَ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ، [وَالْإِجْلَالِ]⁽⁴⁾ وَالْإِعْظَامِ [بِحَوْلِ اللَّهِ
وَقُوَّتِهِ]⁽⁵⁾ وَكُتِبَ فِي كَذَا [مِنَ التَّارِيخِ]⁽⁶⁾.

1- أ، م: "الإنعام"، والمثبت من ق، ع.
2- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع. ف
3- ق: "يوجب"، م: "يوجهوا".
4- ق: ساقط.
5- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.
6- ق، ع: ساقط.

وَالَّذِي خَاطَبْتُ بِهِ عَنْ نَفْسِي أَوْ عَنِ السُّلْطَانِ يَنْقَسِمُ إِلَى مَكْتُوبٍ عَنِ وَلَدٍ لِلْمَلِكِ ⁽¹⁾ أَوْ حَرَمِهِ، أَوْ مُخَاطَبَةِ سُلْطَانٍ وَوَلِيٍّ نِعْمَةٍ، أَوْ رَئِيسٍ طَوَّقَ يَدًا، أَوْ فَاضِلٍ رَاحَ فِي الْفَضْلِ وَغَدَا، وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ [أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ] ⁽²⁾ السُّلْطَانُ الْكَبِيرَ الْمُقَدَّسَ، أَبَا الْحَسَنِ، لَمَّا قَصَدْتُ تَرْبَتَهُ عَقَبَ مَا تَذَمَّمْتُ ⁽³⁾ بِجَوَارِهِ، وَتَوَسَّلْتُ فِي أَغْرَاضِي إِلَى وَلَدِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ⁽⁴⁾.

[السَّلَامُ] ⁽⁵⁾ عَلَيْكَ ثُمَّ ⁽⁶⁾ السَّلَامُ، أَيُّهَا الْمَوْلَى الْإِمَامُ، الَّذِي عَرَفَ فَضْلُهُ الْإِسْلَامَ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ الْعُلَمَاءُ الْأَعْلَامُ، وَخَفَقَتْ بِعِزِّ نَصْرِهِ الْأَعْلَامُ، وَتَنَافَسَتْ فِي إِنْفَازِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ السُّيُوفُ وَالْأَقْلَامُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي قَسَمَ زَمَانُهُ بَيْنَ حُكْمٍ فَصْلٍ، ⁽⁷⁾ وَإِمْضَاءٍ نَصْلٍ، وَإِحْرَازٍ خَصْلٍ، وَعِبَادَةٍ قَامَتْ ⁽⁸⁾ فِي الْيَقِينِ عَلَى أَصْلٍ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُقَرَّرَ ⁽⁹⁾ الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَةِ، وَمُشْبِعِ الْبُطُونِ الْجَائِعَةِ، وَكَاسِيِ الظُّهُورِ الْعَارِيَةِ، وَقَادِحِ زِنَادِ الْعِزَائِمِ الْوَارِيَةِ، وَمُكْتَتَبِ الْكَتَائِبِ الْغَارِيَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّرَايَا السَّارِيَةِ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ الصَّبْرِ وَالنَّسْلِيمِ، وَمُتَلَقِّي أَمْرِ اللَّهِ بِالْخُلُقِ ⁽¹⁰⁾ الرَّضِيِّ وَالْقَلْبِ السَّلِيمِ، وَمُفَوَّضِ الْأَمْرِ فِي الشَّدَائِدِ إِلَى السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، وَمُعْمِلِ الْبَنَانِ الطَّاهِرَةِ فِي اكْتِتَابِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ. كَرَّمَ اللَّهُ تَرْبَتَكَ ⁽¹¹⁾ وَقَدَّسَهَا، وَطَيَّبَ رُوحَكَ الزَّكِيَّةَ وَأَنْسَهَا. فَلَقَدْ كُنْتُ لِلدَّهْرِ حَمَالًا ⁽¹²⁾، وَلِلْإِسْلَامِ

1- م : " الملك " .

2- ق، ع : ساقط.

3- ق، ع : " شرعت " . " تذممت من أجل حق أو حرمة أي ذممت نفسي وانتهيت " أساس البلاغة / ذمم، 317 / 1

4- ق، ع : " على الجميع " .

5- ق، ع : ساقط.

6- ق، ع : " مني " .

7- م : " فضل " وهو تصحيف.

8- م : " فاقت " وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبت؛ أي بنيت على أساس.

9- ق، ع : " مقرر " ولعل الصواب ما أثبت؛ فهو مصدر الصدقات، لا مقررهما فقط.

10- ق : " بالحق " . و الصواب ما أثبت. هو تحريف،

11- أ : " ربتك "، والمثبت من ق، ع، م.

12- ق، ع : " جمالا " وهو تصحيف.

ثِمَالًا⁽¹⁾، وَلِلْمُسْتَجِيرِ مُجِيرًا⁽²⁾، وَلِلْمَظْلُومِ وَلِيًّا وَنَصِيرًا. لَقَدْ كُنْتَ لِلْمَحَارِبِ صَدْرًا، وَفِي الْمَوَاقِبِ
بَدْرًا، وَلِلْمَوَاهِبِ بَحْرًا، وَعَلَى الْعِبَادِ ظِلًّا ظَلِيلًا وَسِتْرًا.

لَقَدْ فَرَعْتَ أَعْلَامَ عِرْكَ النَّثَايَا، وَأَجَزَلْتَ هِمَّتَكَ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ الْهَدَايَا، كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِضِ الْجُنُودَ،
وَلَمْ تَنْشُرِ الْبُنُودَ، وَلَمْ تَبْسُطِ الْعَدْلَ الْمَحْدُودَ⁽³⁾، وَلَمْ تُوجِدِ الْجُودَ، وَلَمْ تُزَيِّنِ لِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ،
فَقَوَّسَدَتِ النَّرَى، وَأَطْلَتِ الْكَرَى، وَشَرِبْتَ الْكَأْسَ الَّتِي يَشْرِبُهَا⁽⁴⁾ الْوَرَى، وَأَصْبَحْتَ ضَارِعَ الْخَدِّ، كَلِيلَ
الْجَدِّ، سَالِكًا سُنَنِ الْأَبِ [الْفَاضِلِ]⁽⁵⁾ وَالْجَدِّ، لَمْ تَجِدْ بَعْدَ انْصِرَامِ أَمَلِكَ إِلَّا صَالِحَ عَمَلِكَ، وَلَا
صَحِبْتَ⁽⁶⁾ لِقَبْرِكَ إِلَّا زَابِحَ تُجْرِكَ، وَمَا أَسْلَفْتَ مِنْ رِضَاكَ وَصَبْرِكَ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُؤْنِسَ اغْتِرَابَكَ، وَيَجُودَ بِسَحَابِ الرَّحْمَةِ ثَرَابَكَ، وَيَنْفَعَكَ بِصِدْقِ الْيَقِينِ، وَيَجْعَلَكَ
مِنَ الْأَيْمَةِ الْمُتَّقِينَ، وَيُعْلِي دَرَجَتَكَ فِي عِلِّيِّينَ، وَيَخْشُرَكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ [وَالشُّهَدَاءِ الصَّالِحِينَ]⁽⁷⁾

وَلِيَهْنِكَ أَنْ صَيَّرَ اللَّهُ مُلْكَكَ مِنْ بَعْدِكَ إِلَى نَيْرِ سَعْدِكَ، وَبَارِقِ رَعْدِكَ، وَمُنْجِرِ وَعْدِكَ، أَرْضَى
وَأَدَكَ، وَزِيحَانَةَ خَلْدِكَ، وَشِفَّةَ نَفْسِكَ، وَالسَّرْحَةَ⁽⁸⁾ الْمُبَارَكَةَ مِنْ غَرْسِكَ⁽⁹⁾، وَبَذَرِ شَمْسِكَ، وَمُوصِلِ
عَمَلِكَ الْبِرِّ إِلَى رَمْسِكَ. فَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ أَثَرُ دَعَوَاتِكَ فِي خَلَوَاتِكَ وَأَعْقَابِ صَلَوَاتِكَ. فَكَلِمَتُكَ وَالْمِنَّةُ

1- "معناه أن يكون ثِمَالًا لهم أي غِيَاثًا وقوامًا يفزعون إليه" لسان العرب / ثمل: 41 / 3

2- ق، ع: "أجيرا".

3- أ، ق، ع: "الممدود"، والمثبت من م.

4- ق، ع: "شربها" ولعل الصواب ما أثبت؛ فهي كأس لم ينقطع شربها.

5- ق، ع: ساقط.

6- ق: "صبحت" وهي تحريف. ولعل الصواب ما أثبت؛ فالعمل الصالح هو الصاحب.

7- أ، ع، م: ساقط.

يقول تعالى {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۖ وَحَسُنَ
أُولَٰئِكَ رَفِيقًا} سورة النساء، الآية: 69.

8- "السَّرْحَةُ: ضرب من الشجر" لسان العرب / سرح: 164 / 7

9- أ، م: "عزمك"، والمثبت من ق، ع.

لِلَّهِ - بَاقِيَّةً، وَحَسَنَتُكَ إِلَى مَحَلِّ الْقَبُولِ رَاقِيَّةً. يَزْعَى بِكَ الْوَسِيلَةَ، وَيُنِثُّ مَقَاصِدَكَ الْجَمِيلَةَ، أَعَانَهُ اللَّهُ بِبَرَكَتِهِ رِضَاكَ عَلَى مَا قَلَّدَهُ، وَعَمَرَ بِتَقْوَاهُ يَوْمَهُ وَعَدَّهُ، وَأَبْعَدَ⁽¹⁾ فِي السَّعْدِ أَمَدَهُ، وَأَطْلَقَ بِالْخَيْرِ يَدَهُ، وَجَعَلَ الْمَلَائِكَةَ أَنْصَارَهُ، وَالْأَقْدَارَ عَدَدَهُ.

وَأَنْتَنِي⁽²⁾ أَيُّهَا الْمَوْلَى الْكَرِيمُ، الْبَرُّ الرَّحِيمُ، لِمَا اشْتَرَانِي وَرَاشَنِي وَبَرَانِي وَتَعَبَّدَنِي⁽³⁾ بِإِحْسَانِهِ، وَاسْتَعْمَلَ⁽⁴⁾ [فِي]⁽⁵⁾ اسْتِخْلَاصِي خَطَّ بَنَانِهِ [وَوَصِيَّةَ لِسَانِهِ]⁽⁶⁾، لَمْ أَجِدْ مُكَافَأَةً إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَيْكَ وَبِرِّثَانِكَ، وَاغْرَاءَ لِسَانِي بِتَخْلِيدِ عَلَيَّائِكَ، وَتَغْفِيرِ الْوَجَنَةِ⁽⁷⁾ فِي حَرَمِكَ، وَالْإِشَادَةَ بَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَجْدِكَ وَكَرَمِكَ، فَفَتَحْتُ [الْبَابَ]⁽⁸⁾ فِي هَذَا الْغَرَضِ إِلَى الْقِيَامِ بِحَقِّكَ، الَّذِي لَوْلَاهُ لَاتَّصَلَتِ الْغَفْلَةُ عَنْ أَدَائِهِ وَتَمَادَتْ، فَمَا⁽⁹⁾ تَبَسَّتِ الْأَلْسُنُ وَلَا كَادَتْ، مُتَمَيِّزًا⁽¹⁰⁾ بِالسَّبْقِ إِلَى أَدَاءِ هَذَا الْحَقِّ، بِأَدْيَاءِ بَزِيَارَةِ قَبْرِكَ، الَّذِي [هُوَ]⁽¹¹⁾ رِحْلَةُ الْغَرْبِ فِيمَا⁽¹²⁾ نَوَيْتَ⁽¹³⁾ مِنْ رِحْلَةِ الشَّرْقِ، وَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، فَأَقْطَعُهُ إِثْرَ مَوَاقِعِ الْإِسْتِحْسَانِ، وَجَمَعَ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالتَّنْوِيهِ وَالْإِحْسَانِ.

وَاللَّهُ يَجْعَلُهُ عَمَلًا مَقْبُولًا، وَيَبْلُغُ فِيهِ مِنَ الْقَبُولِ مَأْمُولًا، وَيَتَعَمَّدُ مِنْ ضَاجَعَتِهِ مِنْ سَلَفِكَ الْكَرِيمِ بِالْمَغْفَرَةِ الصَّيِّبَةِ، وَالتَّحِيَّاتِ الطَّيِّبَةِ. فَنِعْمَ الْمُلُوكُ الْكِبَارُ، وَالْخُلَفَاءُ الْحِرَارُ، [وَالْأَيْمَةُ الْأَخْيَارُ]⁽¹⁴⁾

1- م : "أنفق". ولعل الصواب ما أثبت؛ فطموحوه في السعد بعيد وعال لم ينفقه وينهيه.
2- ق، ع: "إننا" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالضمير الجمل اللاحقة ضمير متكلم.
3- ق: "تبعدني". وهو تحريف.
4- م : "استعجل".
5- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.
6- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.
7- م : "الوجه".
8- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.
9- م : "فيها" وهو تحريف.
10- ق، ع: "مميزا". وكلاهما صحيح.
11- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.
12- م : "فيها". ولعل الصواب ما أثبت.
13- م : "فنوبت". وهو تصحيف.
14- ع : ساقط.

الَّذِينَ كَرَّمَتْ مِنْهُمْ السَّيْرَ، وَحَسُنَتِ الْأَخْبَارُ، وَسَعَدَ بِعِزِّهِمُ الْجِهَادِيَّةُ الْمُؤْمِنُونَ وَشَقِيَ الْكُفَّارُ،
وَصَلَّوَاتُ اللَّهِ بَدْءًا وَعَوْدًا، عَلَى الرَّسُولِ الَّذِي اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ، فَهُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ⁽¹⁾ الَّذِينَ هُمْ السَّادَةُ الْأَخْيَارُ⁽²⁾، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا.

¹- أ، م: "صحابه". والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب تكثيرا لصحبه عليه السلام.
²- ق، ع: "الأبرار". وكلاهما صحيح.

[وَمِنْ إِمْلَائِي ظَهِيرُ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ]⁽¹⁾

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ، أَنْتَجَ⁽²⁾ مَطْلُوبَ الْإِخْتِيَارِ قِيَاسُهُ، وَدَلَّ عَلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ التَّمَّاسُهُ، وَأَطْلَعَ نُورَ الْعِنَايَةِ يَجْلُو الظَّلَامَ نِبْرَاسُهُ، وَاعْتَمَدَ بِمَثُوبَةٍ⁽³⁾ الْعَدْلِ مَنْ عُرِفَ بِافْتِرَاحِ هَضْبَتِهَا نَاسُهُ، وَأَلْقَى بِيَدِ الْمُعْتَمَدِ بِهِ، زِمَامَ الْإِعْتِقَادِ الْجَمِيلِ ثُورِقُ أَنْوَاعِهِ وَأَجْنَاسُهُ، وَشَيْدَ مَبْنَى الْعِزِّ [الرَّفِيعِ]⁽⁴⁾ فِي قُنَّةِ الْحَسَبِ الْمَنِيعِ، وَكَيْفَ لَا وَاللَّهُ بَانِيهِ، وَالْمَجْدُ أَسَاسُهُ.

أَمَرَ بِهِ وَأَمَضَى الْعَمَلَ بِحَسَبِهِ⁽⁵⁾، [الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ ابْنُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنِ]⁽⁶⁾ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ نَصْرِ -أَيَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ [وَقَلَّدَ مَفَاخِرَهُ]⁽⁷⁾، [وَأَعَزَّ نَصْرَهُ-⁽⁸⁾ لِقَاضِي حَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ، وَخَطِيبِ حَمْرَائِهِ السَّنِّيَّةِ، الْمَخْصُوصِ لَدَيْهِ بِتَرْفِيعِ الْمَزِيَّةِ، الْمَصْرُوفِ إِلَيْهِ خِطَابُ الْقُضَاةِ بِإِيَالَتِهِ النَّصْرِيَّةِ، قَاضِي الْجَمَاعَةِ، وَمُصَرِّفِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُطَاعَةِ، الشَّيْخِ الْكَذَّاءِ، أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ الشَّيْخِ [الْوَزِيرِ]⁽⁹⁾ الْكَذَّاءِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ -وَصَلَّ اللَّهُ سَعَادَتَهُ، وَحَرَسَ مَجَادَتَهُ، [وَسَنَّى مِنْ فَضْلِهِ إِزَادَتَهُ-]⁽¹⁰⁾ عَصَبَ مِنْهُ جَبِينِ الْمَجْدِ بِتَاجِ الْوِلَايَةِ، وَأَجَالَ قِدَاحِ الْإِخْتِيَارِ حَتَّى بَلَغَ الْغَايَةَ، وَتَجَاوَزَ النَّهَايَةَ، فَأَلْقَى مِنْهُ بِبِيمِينَ عَرَابَةَ الرَّايَةِ، وَأَحْلَهُ [مِنْهُ]⁽¹¹⁾ مَحَلَّ اللَّفْظِ مِنْ

1- ق، ع: ساقط
2- ق: "أطلع"، ع: "أطلب".
3- ق، ع: "بمثابة".
4- ق: ساقط
5- ق، ع: "بمقتضاه" وكلاهما صحيح.
6- ق: ساقط.
7- أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع.
8- ق، ع: ساقط.
9- ق، ع: ساقط.
10- أ، م: ساقط، و المثبت من ق، ع.
11- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

الْمَعْنَى وَالْإِعْجَازِ مِنَ الْآيَةِ، وَحَشَرَ إِلَى مُرَاعَاةٍ⁽¹⁾ تَرْفِيعِهِ وَجُوهَ الْبِرِّ وَأَعْيَانَ الْعِنَايَةِ، وَأَنْطَقَ بِتَبْجِيلِهِ
 أَلْسُنَ أَهْلِ جِيلِهِ بَيْنَ الْإِفْصَاحِ وَالْكِنَايَةِ. وَلَمَّا كَانَ [لَهُ]⁽²⁾ الْحَسَبُ الَّذِي شَهِدَتْ بِهِ وَرَقَاتُ الدَّوَابِّ،
 وَالْأَصَالَةُ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا صِحَاحُ الْبَرَاهِينِ، وَالْإِبَاءُ الَّذِي اعْتَدَّ بِمَضَاءِ قُضَائِهِمُ الدِّينَ، وَطَبَّقَ
 مَفَاصِلَ الْحُكْمِ بِسُيُوفِهِمُ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَازْدَانَ بِمُجَالَسَةِ⁽³⁾ وَرَرَائِهِمُ السَّلَاطِينِ؛ فَمِنْ فَارِسِ حَكَمٍ أَوْ
 حَكِيمٍ بِتَدْبِيرٍ⁽⁴⁾، أَوْ قَاضٍ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَوَزِيرٍ، أَوْ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا جَمَعَ سَلَامَةً لَا جَمَعَ
 تَكْسِيرٍ.

تَعَدَّدَ ذَلِكَ وَاطَّرَدَ، وَوَجَدَ مَشْرَعَ الْمَجْدِ عَذْبًا فَوْرَدَ، وَقَصُرَتِ النُّظَرَاءُ عَنْ مَدَاهُ فَأَنْفَرَدَ، وَفَرَى⁽⁵⁾
 الْفَرَى⁽⁶⁾ فِي يَدِ الشَّرْعِ فَأَشْبَهَ السَّيْفَ الْفَرْدَ، وَجَاءَ فِي أَقْبَابِهِمْ مُحْيِيًا⁽⁷⁾ لِمَا دَرَسَ، بِمَا حَقَّقَ وَدَرَّسَ،
 جَانِبًا لِمَا بَدَرَ السَّلَفُ الْمُبَارَكُ وَاعْتَزَّسَ، طَاهِرًا⁽⁸⁾ النَّشْأَةَ وَقُورَهَا⁽⁹⁾، مَخْمُودًا⁽¹⁰⁾ السَّجِيَّةَ⁽¹¹⁾
 مَشْكُورَهَا، مُتَحَلِّيًا بِالسَّكِينَةِ، حَالًا مِنَ النَّزَاهَةِ بِالْمَكَانَةِ الْمَكِينَةِ، سَاحِبًا أَدْيَالَ الصَّوْنِ، بَعِيدًا عَنِ
 الْإِتِّصَافِ بِالْفَسَادِ مِنْ لَدُنِ الْكَوْنِ. فَخَطَبَتْهُ الْخُطُطُ الْعَلِيَّةُ، وَاعْتَبَطَتْ بِهِ الْمَجَادَةُ الْأُولِيَّةُ،
 وَاسْتَعْمَلَتْهُ دَوْلَتُهُ الَّتِي تَرْتَادُ⁽¹²⁾ أَهْلَ الْفَضَائِلِ لِلرَّتَبِ⁽¹³⁾ وَتَسْتَظْهِرُ عَلَى الْمَنَاصِبِ بِأَبْنَاءِ التُّقَى

1 - ق: "مدعات"، أ، ع: "مرعاة". والمثبت من م، ولعله الصواب؛ أي يراعي في رفع مكانته الاعتماد على جوه البر.

2 - ق، ع: ساقط.

3 - ع: "بمجالسته" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي جالس السلاطين الوزراء، فالسلطان أعلى مرتبة من الوزير.

4 - ق، ع: "تدبير" على أساس أنه مبتدأ مؤخر.

5 - م: "فرق". ولعل الصواب ما أثبت؛ وهو مثل يضرب لمن يأتي بالعجب في عمله.

6 - م: "الفريق". "فلان يفري الفري": إذا كان يأتي بالعجب في عمله. وروي يفري فَرِيَهُ بسكون الراء والتخفيف "لسان العرب /

فري: 11: 177

7 - ع: "فمجييا" وهو تحريف.

8 - ق، ع: "ظاهر" وهو تصحيف.

9 - ق، ع: "نورها". وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبت؛ أي نشء طاهر وذو وقار.

10 - ق، ع: "مجموع" وهو تحريف.

11 - ق، ع: "الشجبة" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي ذو أخلاق حسنة.

12 - ق: "ترتاب" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت؛ فالدولة تهتم بأهل الفضائل.

13 - م: "للرتبة" ولعل الصواب ما أثبت؛ فتعدد الرتب دليل على الفضائل.

وَالْحَسَبِ، وَالْفَضْلِ وَالْمَجْدِ وَالْأَدَبِ، مِمَّنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ، وَالْإِزْتِ وَالْمُكْتَسَبِ، فَكَانَ مَعْدُوداً مِنْ عُدُولِ فُضَائِلِهَا، وَصُدُورِ نُبْهَائِهَا، وَأَعْيَانِ وُزَرَائِهَا، وَأُولِي آرَائِهَا.

فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ خِلَافَتَهُ⁽¹⁾ بِالتَّمَحِيصِ، الْمُتَجَلِّي⁽²⁾ عَنِ التَّخْصِيصِ، وَخَلَّصَ مُلْكُهُ الْأَصِيلَ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ⁽³⁾ مِنْ بَعْدِ التَّخْلِيصِ، كَانَ مِمَّنْ صَحِبَ رِكَابَهُ، الطَّالِبُ لِلْحَقِّ بِسَيْفِهِ الْحَقِّ، وَسَلَكَ فِي مَظَاهِرَتِهِ أَوْضَحَ الطَّرِيقِ، وَجَادَلَ مَنْ حَادَهُ بِأَمْضَى مِنَ الْحَدَادِ الذَّلَقِ، وَاشْتَهَرَ خَبْرَ وَقَائِهِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ، وَصَلَّى بِهِ صَلَاةَ الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ⁽⁴⁾، وَالْأَمْنِ وَالْخَوْفِ⁽⁵⁾، وَخَطَبَ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي بَعْدَ بَذِكْرِ اللَّهِ عَهْدُهَا، وَخَاطَبَ عَنْهُ أَيْدَهُ اللَّهُ الْمُخَاطَبَاتِ الَّتِي حُمِدَ قَصْدُهَا، حَتَّى اسْتَقَلَّ مُلْكُهُ فَوْقَ سَرِيرِهِ، وَانْتَهَجَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ بِأَمِيرِهِ وَابْنِ أَمِيرِهِ، وَنَزَلَ السُّرُّ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِبَرَكَاتِهِ وَإِيمَانِ تَدْبِيرِهِ. وَكَانَ الْجَلِيسَ الْمُقَرَّبَ الْمَحَلِّ، وَالْحَظِيَّ⁽⁶⁾ الْمُشَارَ فِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ، وَالرَّسُولَ الْمُؤْتَمَنَ⁽⁷⁾ عَلَى الْأَسْرَارِ، وَالْأَمِينَ عَلَى الْوُظَائِفِ الْكِبَارِ، فَرَزَّ الْمَجْلِسَ السُّلْطَانِيَّ بِالْوَقَارِ، وَمُتَحِفَ⁽⁸⁾ الْمَلِكِ بِغَرِيبِ الْأَخْبَارِ، وَخَطِيبَ مُنْبَرِهِ الْعَالِي فِي الْجِهَاتِ⁽⁹⁾، وَقَارِئَ الْحَدِيثِ لَدَيْهِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ.

ثُمَّ رَأَى - أَيْدَهُ اللَّهُ - أَنْ يُشْرِكَ رَعِيَّتَهُ فِي نَفْعِهِ، وَيَصْرِفَ عَوَامِلَ الْحُظُوءِ إِلَى مَزِيدِ رَفْعِهِ، وَيُجْلِسَهُ مَجْلِسَ الشَّارِعِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، لِإِيضَاحِ شَرْعِهِ⁽¹⁰⁾، أَصْلِهِ [الْوَثِيقِ]⁽¹¹⁾ وَفَرَعِهِ. وَقَدَّمَ

¹ - ق، ع: "ولايته" وكلاهما صحيح.

² - ق، ع: "المجتلي". وكلاهما صحيح. من "جلا لي الشيء وانجلوتجلي وجلاه لي فلان" أساس البلاغة / جلي، 145 / 1

³ - م: "الإبريز" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ "ذهب إبريز: خالص" أساس البلاغة / برز، 56 / 1

⁴ - ق، ع: "السفر والحضر".

⁵ - أ، ع، م: "الحذر" والمثبت من ق.

⁶ - ق، ع: "الحظا" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي هو ذو حظوة يرجع إليه في الأمور الجلية.

⁷ - ق، ع: "المؤمن" ولعل الصواب ما أثبت؛ "وهو مؤتمن على كذا" أساس البلاغة / 34 / 1

⁸ - ق: "محتف" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت؛ فالحنف هو الهلاك.

⁹ - ق، ع: "الجماعات" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالجهات أعم من الجماعات، وهو كناية عن قوة انتشار سلطانه.

¹⁰ - ق: "شرعة" وهو تصحيف.

¹¹ - أ، م: ساقط. والزيادة من ق، ع.

- أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ، وَشَكَرَ آلَاءَهُ وَنِعَمَهُ - قَاضِيًا بِالْأُمُورِ ⁽¹⁾ الشَّرْعِيَّةَ، وَفَاصِلًا فِي الْقَضَايَا الدِّينِيَّةَ، بِحَضْرَةِ ⁽²⁾ غَرْبَاطَةَ الْعَلِيَّةِ، تَقْدِيمَ الْإِخْتِيَارِ وَالْإِنْقَاءِ، وَأَبْقَى لَهُ فَخْرَ السَّلَفِ عَلَى ⁽³⁾ الْخَلْفِ، وَاللَّهُ يُمَتِّعُهُ بِطُولِ الْبَقَاءِ.

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَادِلًا فِي الْحُكْمِ [مَهْدِيًّا] ⁽⁴⁾ بِنُورِ الْعِلْمِ، مُسَوِّيًا بَيْنَ الْخُصُومِ، حَتَّى [فِي] ⁽⁵⁾ لَحْظِهِ ⁽⁶⁾ وَالتَّفَاتِيهِ، مُنْصِفًا مِنَ الْحِلْمِ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ، مَهْيِيًا بِالدِّينِ ⁽⁷⁾، رَوُوفًا بِالْمُؤْمِنِينَ ⁽⁸⁾، وَمُسَجِّلاً لِلْحَقُوقِ، غَيْرَ مُبَالٍ ⁽⁹⁾ فِي رِضَا الْخَالِقِ بِسُخْطِ الْمَخْلُوقِ، جَزِلًا فِي الْأَحْكَامِ، مُجْتَهِدًا فِي الْفَضْلِ بِأَمْضَى حُسَامٍ، مُرَاقِبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي النِّقْضِ وَالْإِبْرَامِ.

وَأَوْصَاهُ بِالْمَشُورَةِ الَّتِي تُقَدِّمُ زِنَادَ التَّوْفِيقِ، وَالتَّثَبُّتِ ⁽¹⁰⁾ حَتَّى يَنْبَلِّجَ ⁽¹¹⁾ قِيَاسُ التَّحْقِيقِ ⁽¹²⁾ [بِإِرَاءِ] ⁽¹³⁾ مَشِيخَةَ أَهْلِ التَّوْفِيقِ، عَادِلًا إِلَى سَعَةِ الْأَقْوَالِ عَنِ الضِّيقِ، سَائِرًا مِنْ مَشْهُورِ الْمَذْهَبِ عَلَى ⁽¹⁴⁾ أَهْدَى طَرِيقٍ، وَصِيَّةً أَصْدَرَهَا لَهُ مَصْدَرُ الذِّكْرِى الَّتِي تَنْفَعُ، وَيُعْلِي بِهَا اللَّهُ الدَّرَجَاتِ

1- ق، ع: "في الأمور" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أنه يقضي بشرع الله، وليس فقط قاضيا في الأمور المرتبطة بالشرع.

2- ق، ع: "بحضرته".

3- ق: "عن".

4- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

5- ق: ساقط.

6- ق: "لحظة" وهو تصحيف.

7- أ، م: "في الدين". والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ فهو يكتسب هيئته بالتزامه بالدين.

8- قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} سورة التوبة، الآية:

128

9- ق، ع: "مثال" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لا يبالى بسخط المخلوق إذا رضي الخالق.

10- ق: "التثبیت". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي التآني والتحقيق.

11- ق: "تنبلج"، ع: "ينبلج". وكلاهما صحيح؛ "انبلج الفجر وتبلج" أساس البلاغة / بلج، 73 / 1

12- ق، ع: بزيادة "فاز".

13- ق، ع: ساقط

14- أ، م: "إلى". والمثبت من ق، ع.

وَيَرْفَعُ، وَإِلَّا فَهُوَ عَنِ الْوَصَاةِ (1) غَنِيٌّ، وَقَصْدُهُ قَصْدُ سَنِيٍّ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلِيُّ إِعَانَتِهِ، وَالْحَارِسُ (2) مِنَ النَّبَعَاتِ (3) أَكْثَافَ (4) دِيَانَتِهِ، وَالْكَفِيلُ بِحِفْظِهِ عَنِ (5) الشُّبُهَاتِ وَصِيَانَتِهِ.

وَأَمْرُهُ -أَيَّدَهُ اللَّهُ- أَنْ يَنْظُرَ فِي الْأَجْنَاسِ (6) عَلَى اخْتِلَافِهَا، وَالْأَوْقَافِ عَلَى شَتَّى أَصْنَافِهَا، وَالْيَتَامَى الَّتِي انْسَدَلَتْ (7) كِفَالَةُ الْقُضَاةِ عَلَى ضِعَافِهَا، فَيَذُودُ عَنْهَا طَوَارِقَ الْخَلَلِ، وَيُجْرِي أُمُورَهَا بِمَا يَتَكَفَّلُ لَهَا بِالْأَمَلِ. وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرَاهُ، وَأَنَّ فَلَنَاتِ (8) الْحُكْمِ تُعَاوِدُهُ الْمُرَاجَعَةَ فِي أُخْرَاهُ، فَيَدْرِعُ جَنَّةَ تَقْوَاهُ، وَسُبْحَانَ مَنْ يَقُولُ: {إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ} (9) فَعَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ [حَقًّا] (10) هَذَا الْإِجْلَالَ، صَائِنًا مَنْصِبَهُ عَنِ الْإِخْلَالِ، مُبَادِرًا أَمْرَهُ الْوَاجِبَ بِالْإِمْتِنَالِ بِحَوْلِ اللَّهِ. وَكُتِبَ فِي الثَّلَاثِ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، فَاتِحَ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعُمِائَةٍ [عَرَفَ اللَّهُ فِيهِ هَذَا الْمَقَامَ الْعَلِيِّ عَوَارِفَ النَّصْرِ الْمُبِينِ، وَالْفَتْحَ الْقَرِيبَ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ فَهُوَ الْمُسْتَعَانُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ] (11).

1- ق: "الوصايا".

2- ق: "الحارث". ولعل الصواب ما أثبت؛

3- ق: "انبعاث". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي يحرسه من التبعات التي تلحق بالدين، لا من تبعات الدين.

4- م: "أكفاف" وهو تصحيف.

5- م: "من".

6- م: "الأحباس" وهو تصحيف. لعل الصواب ما أثبت.

7- م: "أسدلت" ولعل الصواب ما أثبت؛ فانسدال الكفالة دليل إخراجها بطواعية نفس.

8- ق: "فليات" وهو تصحيف.

9- قال تعالى: {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مَثَلٌ مَا أُوْتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} سورة آل عمران، الآية: 73.

10- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

11- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ وَلَدَهُ

السُّلْطَانُ أَبَا سَالِمٍ ⁽¹⁾ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَهْنَيْتُهُ بِفَتْحٍ تِلْمَسَانَ ⁽²⁾

مَوْلَايَ فَتَّاحَ الْأَفْطَارِ ⁽³⁾ وَالْأَمْصَارِ، فَائِدَةَ الْأَزْمَانِ وَالْأَعْصَارِ، أَشِيرَ هِبَاتِ اللَّهِ الْآمِنَةِ مِنَ
الْإِغْتِصَارِ، فُذُوَّةَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ، نَاصِرُ الْحَقِّ عِنْدَ تَعَدُّدِ الْأَنْصَارِ، مُسْتَنْصِرُ الْمَلِكِ
الْغَرِيبِ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، مِصْدَاقُ دُعَاءِ الْأَبِ الْمَوْلَى فِي الْأَصَائِلِ ⁽⁴⁾ وَالْأَسْحَارِ. أَبْقَاكُمْ اللَّهُ لَا تَقِفُ
إِيَّالْتُكُمْ عِنْدَ حَدٍّ، وَلَا تُحْصَى فُتُوحَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بَعْدُ، [وَلَا تُفِيقُ أَعْدَاءُكُمْ مِنْ كَدٍّ، مُيسِّرًا عَلَى مَقَامِكُمْ
مَا عَسَرَ عَلَى كُلِّ أَبِي كَرِيمٍ وَجَدٌ] ⁽⁵⁾ عَبْدُكُمْ الَّذِي خَلَصَ إِبْرِيْزَ عُبودِيَّتِهِ، [الْمَلِكُ] ⁽⁶⁾ مَلِكُكُمْ
الْمَنْصُورُ ⁽⁷⁾، الْمُعْتَرِفُ لِأَدْنَى رَحْمَةٍ مِنْ رَحِمَاتِكُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِهَا وَالْقُصُورِ. [أَرْغَمَ اللَّهُ] ⁽⁸⁾
لِطَاعَتِكُمْ أَنْفَ الْأَسَدِ الْهَاصِرِ، [وَالِدَّاعِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقْصُرَ عَلَيْكُمْ سَعَادَةُ الْقُصُورِ] ⁽⁹⁾،
وَيُبْقِي الْمُلْكَ فِي عَقِبِكُمْ إِلَى يَوْمٍ يُنْفَخُ ⁽¹⁰⁾ فِي الصُّورِ.

[ابْنُ الْخَطِيبِ] ⁽¹¹⁾ مِنَ الضَّرِيحِ الْمُقَدَّسِ، وَهُوَ الَّذِي تَعَدَّدَتْ ⁽¹²⁾ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حُقُوقُهُ،

وَسَطَعَ نُورُهُ، وَتَلَأَلَ شُرُوقُهُ، وَبَلَغَ مَجْدُهُ السَّمَاءَ لَمَّا بَسَقَتْ فُرُوعُهُ، وَرَسَخَتْ عُرُوقُهُ، وَعَظُمَ **بِبُنُوتِكُمْ**

¹ - إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، (ت762هـ) أبو سالم، السلطان المستعين بالله: من ملوك بني مرين في المغرب الأقصى، من بني عبد الحق... كان من رجاله المؤرخ الأشهر ابن خلدون فولاه توقيعه وكتابة سره... نهض إلى تلمسان فاستولى عليها وأخضع بني زيان، ورأى أن يجعل مقامه في قصبة فاس القديمة "الأعلام: 52 / 1

² - تلمسان: "عاصمة دولة بني دولة عبد الواد في المغرب الأوسط، وعرفت قديما باسم أكادير وقد ترك فيها المرابطون والموحدون والمرينيون آثارا" معجم البلدان: 100 / 1

³ - م: "الأفكار". ولعل الصواب ما أثبت.

⁴ - ع: "الأصال". وكلاهما صحيح.

⁵ - ق: ساقط.

⁶ - أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

⁷ - م: "المقصود". لعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للجمع.

⁸ - أ، م: ساقط، والمثبت من ع.

⁹ - أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

¹⁰ - أ، م: "النفخ". والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ لقوله تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} سورة النبا، الآية: 18

¹¹ - ق، ع: ساقط، ومكانه: "فلان".

¹² - ق، ع: "اتعدت".

فَخَرُّهُ، فَمَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ فَخَرٌ يَفُوقُهُ⁽¹⁾؛ حَيْثُ الْجَلَالُ قَدْ رَسَخَتْ⁽²⁾ هِضَابُهُ، وَالْمُلْكُ قَدْ كُسِيتَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ قِبَابُهُ، وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ قَدْ أَلْحَقَتِ الْمَلَا حِدُ الْأَمَامِيَّةُ أَنْوَابَهُ، وَالْقُرْآنُ الْعَزِيزُ تَرْتَّلُ أَحْزَابُهُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْتَفِعُ إِلَى اللَّهِ ثَوَابُهُ، وَالْمُسْتَجِيرُ يُخْفِي بِالْهَيْبَةِ⁽³⁾ سُؤَالَهُ، [فَيَجْهَرُ]⁽⁴⁾ بِبُصْرَةِ الْعِزِّ جَوَابُهُ، وَقَدْ تَفَيَّأَ مِنْ أَوْرَاقِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ حَدِيقَةً، وَخَمِيلَةَ أُنَيْقَةٍ، وَحَطَّ بِجُودِي الْجُودِ نَفْسًا فِي طُوفَانِ الضَّرِّ غَرِيقَةً، وَالتَّحَفَ بِعُرْفِ الْهَيْبَةِ الَّتِي لَا تَهْتَدِي النَّفْسُ فِيهَا إِلَّا بِهَدَايَةِ اللَّهِ طَرِيقَةً، وَاعْتَزَّ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقَدْ تَوَسَّطَ جَيْشَ الْحُرْمَةِ⁽⁵⁾ الْمَرِينِيَّةَ حَقِيقَةً؛ إِذْ جَعَلَ الْمَوْلَى الْمُقَدَّسَ الْمَرْحُومَ أَبَا الْحَسَنِ مُقَدِّمَهُ [وَأَبَاهُ]⁽⁶⁾ وَجَدَّهُ سَيْفَهُ،⁽⁷⁾ يَرَى بِرُكْمٍ بِهَذَا اللَّحْدِ الْكَرِيمِ قَدْ طَنَّبَ⁽⁸⁾ عَلَيْهِ مِنَ الرِّضَا فُسْطَاطًا⁽⁹⁾، وَأَعْلَقَ بِهِ يَدَ الْعِنَايَةِ الْمَرِينِيَّةِ اهْتِمَامًا وَاعْتِبَاطًا، وَحَرَّرَ لَهُ أَحْكَامَ الْحُرْمَةِ نَصًّا⁽¹⁰⁾ جَلِيًّا وَاسْتَنْبَاطًا، وَضَمَّنَ لَهُ بِحُسْنِ الْعُقْبَى التِّزَامًا وَاشْتِرَاطًا. وَقَدْ عَقَدَ النَّصْرَ بِطَرِيقِ رَحْمَتِكُمْ الْمُنتَظَرَةَ الْمُرتَقِبَةَ، وَمَدَّ الْيَدَ إِلَى لَطَائِفِ شَفَاعَتِكُمُ الَّتِي تَتَكَفَّلُ بِعِثْقِ الْمَالِ كَمَا تَكَفَّلَتْ بِعِثْقِ الرِّقَبَةِ، وَشَرَعَ فِي الْمِرَاحِ بِمَيِّدَانِ نِعَمِكُمْ⁽¹¹⁾ بَعْدَ اقْتِحَامِ هَذِهِ الْعَقَبَةِ.

1- أ، م: "يروقه"، والمثبت من ق، ع.

2- ق، ع: "رست" وكلاهما صحيح.

3- ق: "بالجنة". وهو تحريف.

4- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، م.

5- ع، م: "الحرمة" وهو تصحيف.

6- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع، م.

7- ق: "سقيه"، م: "سبقه".

8- طَنَّبَهُ: "مده بأطنابه وأوتاده وشدّه" لسان العرب / طنب: 148 / 9

9- م: "بساطا". "الفُسْطَاطُ والفُسْطَاطُ: ضرب من الأبنية" لسان العرب/ فسط: 181 / 11

10- ق، ع: "نصحا" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي إثبات نصوص التحريم واستنباط الأحكام منها.

11- أ، م: "نعمتكم". والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ تكثرنا لنعمه على الرعية.

كَمَا (1) شَنَّفَتْ (2) الْأَذَانَ الْبُشْرَى، الَّتِي لَمْ يَبْقَ طَائِرٌ إِلَّا سَجَعَ (3) بِهَا (4) وَصَدَحَ (5)، وَلَا شِهَابَ دُجْنَةٍ (6) إِلَّا اقْتَبَسَ مِنْ نُورِهَا وَافْتَدَحَ، وَلَا صَدْرٌ إِلَّا انْشَرَحَ، وَلَا عُصْنٌ عَطَفَ إِلَّا مَرَحَ (7)؛ بُشْرَى الْفَتْحِ الْقَرِيبِ، وَخَبَرُ النَّصْرِ الصَّحِيحِ الْحَسَنِ الْغَرِيبِ، وَنَبَأُ الصُّنْعِ الْعَجِيبِ، وَهَدِيَّةُ (8) السَّمِيعِ الْمُجِيبِ؛ فَتُحُ تَلِمَسَانِ الَّذِي قَلَدَ الْمَنَابِرَ عُقُودَ الْإِبْتِهَاجِ، وَوَهَبَ الْإِسْلَامَ مَنِيحَةَ النَّصْرِ غَنِيَّةً عَنِ الْهِيَاجِ، وَالْحَفَ الْخَلْقَ ظِلًّا مَمْدُودًا، وَفَتَحَ بَابَ الْحَقِّ (9) وَكَانَ مَسْدُودًا، وَأَقَرَّ عُيُونَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا (10)، وَأَضْرَعَ (11) لِسَيْفِ (12) الْحَقِّ جِبَاهًا أَبْيَّةً وَخُدُودًا، وَمَلَكَكُمْ حَقَّ (13) أَبِيكُمْ، الَّذِي أَهَانَ عَلَيْهِ الْأَمْوَالِ، وَخَاضَ (14) مِنْ دُونِهِ الْأَهْوَالَ، وَأَخْلَصَ [فِي] (15) الضَّرَاعَةِ وَالسُّوَالِ، مِنْ غَيْرِ كَدٍّ يَغْمُرُ عَطْفَ الْمَسَرَّةِ (16)، وَلَا جُهْدٍ (17) يُكَدِّرُ صِفَةَ النَّعْمِ الثَّرَةِ، وَلَا حَصْرِ يَنْقُضُ بِهِ الْمَنْجَنِيْقُ ذُوَابَتَهُ (18)، وَيُظْهِرُ بِتَكَرُّرِ الرُّكُوعِ إِنَابَتَهُ.

- 1- ق، ع: "لما".
- 2- الشَّنْفُ: "الذي يلبس في أعلى الأذن، بفتح الشين" لسان العرب / شنف: 145 / 8
- 3- ق، ع: "شجع" وهو تصحيف.
- 4- ق، ع: "لها" ولعل الصواب ما أثبت.
- 5- م: "صرح" وهو تحريف.
- 6- ق، ع: "جنة". "تقول جعل الجنة جنة وهي الظلمة" أساس البلاغة / دجن، ص: 279 / 1
- 7- ع: "مدح" وهو تحريف.
- 8- ق: "هداية" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالنصر هديته تعالى للمسلمين.
- 9- ق، ع: "الحج" وهو تصحيف.
- 10- يقول الله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} سورة آل عمران، الآية: 191.
- 11- م: "أصرع". ولعل الصواب ما أثبت؛ "أضرعت له مالي أي بذلته" لسان العرب / ضرع: 38 / 9
- 12- ع: "بسيف" وكلاهما صحيح؛ فهو يستعين بالحق، وغايته إحقاق الحق.
- 13- م: "أمن".
- 14- م: "خطر". وكلاهما صحيح.
- 15- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع.
- 16- م: "المسيرة". وهو تحريف.
- 17- أ: "بجهد"، م: "يجهد". ولعل الصواب ما أثبت.
- 18- م: "ذوابة" ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقَالَ⁽¹⁾ الْعِثَارَ، وَنَظَمَ بِدَعْوَتِكُمْ الْإِنْتِثَارَ، وَجَعَلَ مُلْكَكُمْ يُجَدِّدُ الْآثَارَ، [وَيَأْخُذُ
النَّارَ]⁽²⁾ وَالْعَبْدُ يَهْنِي⁽³⁾ مَوْلَاهُ، بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ [إِيَّاهُ]⁽⁴⁾ عَلَيْهِ وَأَوْلَاهُ، وَمَا أَجْدَرُهُ بِالشُّكْرِ وَأَوْلَاهُ، فَإِذَا أَجَالَ
الْعَبْدُ قِدَاحَ السُّرُورِ فَلِلْعَبْدِ الْمُعَلَّى وَالرَّقِيبِ⁽⁵⁾، وَإِذَا [أَسْهَمُوا]⁽⁶⁾ حُطُوطَ الْجَدَلِ [فِي الْحِطِّ]⁽⁷⁾ [فَعَلَى
الْقِسْمِ الْوَافِرِ وَالنَّصِيبِ، وَإِذَا افْتَسَمُوا فَرِيضَةَ شُكْرِ اللَّهِ، فَعَلَى الْفَرَضِ]⁽⁸⁾ وَالتَّعَصِيبِ؛ لِتَضَاعُفِ
أَسْبَابِ الْعُبُودِيَّةِ قَبْلِي، وَتَرَادُفِ النِّعَمِ الَّتِي عَجَزَ عَنْهَا قَوْلِي وَعَمَلِي، وَتَقَاصَرَ فِي ابْتِغَاءِ مُكَافَأَتِهَا
وَجَدِي، وَإِنْ تَطَاوَلَ أَمَلِي.

فَمَقَامُكُمْ [الْمَقَامُ]⁽⁹⁾ الَّذِي نَفَسَ الْكُرْبَةَ، وَأَنَسَ الْغُرْبَةَ، وَرَعَى الْوَسِيلَةَ وَالْقُرْبَةَ، وَأَنَعَشَ الْأَرْزَاقَ،
وَفَكَ الْوَثَاقَ، وَأَدَّرَ الْأَرْزَاقَ، وَأَخَذَ عَلَى الدَّهْرِ بِالِاسْتِقَالَةِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ.

وَإِنْ لَمْ يُبَاشِرِ الْعَبْدُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ بِهَذَا الْهِنَاءِ⁽¹⁰⁾، وَيُمَثِّلُ بَيْنَ يَدَيِ الْخِلَافَةِ الْعَالِيَةِ⁽¹¹⁾ السَّنَى
وَالسَّنَاءَ، وَيَمُدُّ بِسَبَبِ⁽¹²⁾ فِي الْبِدَارِ إِلَى تِلْكَ السَّمَاءِ، فَقَدْ بَاشَرَ بِهِ الْيَدَ الَّتِي يَحِقُّ مَوْلَايَ لِتَذَكُّرِ
تَقْبِيلِهَا، وَيُكْمِلُ فُرُوضَ الْمَجْدِ بِتَوْفِيَةِ حُقُوقِهَا الْأَبْوِيَةِ⁽¹³⁾ وَتَكْمِيلِهَا، وَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيِ مَلِكِ الْمُلُوكِ
الَّذِي أَجَالَ عَلَيْهَا الْقِدَاحَ، وَوَصَلَ فِي طَلَبِ وَصْلِهَا بِالْمَسَاءِ وَبِالصَّبَاحِ، وَكَانَ فَتْحُهُ إِيَّاهَا أَبَا

1 - ق: "قال" وهو تحريف.

2 - ق: ساقط

3 - م: "يمني" ولعل الصواب ما أثبتت.

4 - أ: ساقط، والمثبت من ق، ع.

5 - الرقيب: "اسم السهم الثالث من قذاح الميسر" لسان العرب / رقب: 199 / 6

6 - أ: "استصوا"، م: "استمنحوا" والمثبت من ق، ع.

7 - أ، ع، م: ساقط، والزيادة من ق.

8 - ق: ساقط

9 - أ: ساقط، والمثبت من ق، ع.

10 - أ، م: "الهناء" والمثبت من ق، ع.

11 - ق، ع: "العظيمة". وكلاهما صحيح.

12 - م: "نفسه". ولعل الصواب ما أثبت: {مَنْ كَانَ يَطْنُ أَنْ لَا يُنْصَرَهُ اللَّهُ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ

كَيْدُهُ مَا يَعِظُ} سورة الحج، الآية: 14

13 - م: "الأبدية". وهو تحريف.

عُذْرٍ (1) الْإِفْتِتَاحِ. وَقُلْتُ: يَهْنُوكَ يَا مَوْلَايَ رَدُّ ضَالَّتِكَ (2) الْمَنْشُودَةِ، وَجَبَّرَ لِقِطْعَتِكَ (3) الْمَعْرُوفَةَ (4) الْمَشْهُودَةَ، وَوُدُّ أُمَّتِكَ الْمَوْدُودَةَ، فَقَدْ اسْتَحَقَّهَا وَارِثُكَ الْأَرْضَى، وَسَيْفُكَ الْأَمْضَى، وَقَاضِي دِينِكَ، وَفَرَّةُ عَيْنِكَ، مُسْتَنْقِذُ دَارِكَ (5) مِنْ يَدِ غَاصِبِهَا، وَرَادُّ (6) رُتْبِكَ (7) إِلَى مَنَاصِبِهَا، وَعَامِرُ الْمَتْوَى الْكَرِيمِ، وَسِرُّ الْأَهْلِ وَالْحَرِيمِ.

مَوْلَايَ هَذِهِ تِلْمِسَانُ قَدْ طَاعَتْ، وَأَخْبَارُ الْفَتْحِ عَلَى وَلَدِكَ الْحَبِيبِ [إِلَيْكَ] (8) قَدْ شَاعَتْ، وَالْأُمَمُ إِلَى هَنَائِهِ قَدْ تَدَاعَتْ (9)، وَعَدُوُّكَ وَعَدُوُّهُ قَدْ شَرَّدَتْهُ الْمَخَافَةُ، وَانْضَافَ إِلَى عَرَبِ الصَّخْرَاءِ فَخَفَضَتْهُ بِالْإِضَافَةِ، وَعَنْ قَرِيبٍ تَتَحَكَّمُ فِيهِ [يَدُ] (10) احْتِكَامِهِ، وَتُسَلِّمُهُ السَّلَامَةُ إِلَى حِمَامِهِ. فَلْتَنْطَبْ يَا مَوْلَايَ نَفْسُكَ، وَلْيَسْتَبْشِرْ رَمْسُكَ (11)، فَقَدْ نَمَتْ بَرَكَتُكَ، وَزَكَا عَرْسُكَ (12).

وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى ضَرِيحِكَ، مِنْ أَنْبَاءِ نَصْرِهِ مَا تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ قَبُولًا، وَيَتَرَادَفُ إِلَيْكَ مَدَدًا مَوْصُولًا، وَعَدَدًا آخِرُهُ لَكَ خَيْرٌ مِنَ الْأُولَى، وَيَعْرِفُهُ بَرَكَاتُ رِضَاكَ [عَنْهُ] (13) طَعْنًا وَحُلُولًا، وَيُضْفِي عَلَيْهِ مِنْهُ سِتْرًا مَسْدُورًا. وَلَمْ يَقْنَعْ الْعَبْدُ بِخِدْمَةِ النَّشْرِ حَتَّى أَجْهَدَ (14) الْقَرِيحَةَ الَّتِي رَكَّضَهَا الدَّهْرُ فَأَنْضَاهَا، وَاسْتَشَفَّهَا الْحَادِثُ الْجَلُّ وَتَقَاضَاهَا، فَلَفَّقَ مِنْ خِدْمَةِ الْمَنْظُومِ مَا يَتَعَمَّدُهُ (15)

1- ع: "عذرة". ولعل الصواب ما أثبت؛ يقال "هو أبو عذرها لأول من اقتضاها" المصباح المنير / عذر، ص: 640

2- م: "ضاللتها". ولعل الصواب ما أثبت.

3- ق، ع: "لقطنتك"، م: "لقطفتك". ولعل الصواب ما أثبت.

4- ق، م: "المعرفة". ولعل الصواب ما أثبت.

5- أ، م: "درالك"، م والمثبت من ق، ع.

6- أ، م: "در"، م والمثبت من ق، ع.

7- ق: "رتبتك" ولعل الصواب ما أثبت؛ تكثر لرتبه.

8- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

9- ع: "تراعت" وهو تحريف.

10- ق: ساقط

11- ق، ع: "رسمك". وهو تحريف.

12- م: "عزمك". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي نما ما غرسه في أبنائه ورعيته.

13- ق، ع: ساقط.

14- ق: "جهد" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت؛ فهو أعيأ قرحته الشعرية والنثرية.

15- ق، ع، م: "يتعمده". وهو تصحيف.

حُلْمُكُمْ⁽¹⁾ تَقْصِيرُهُ، وَيَكُونُ إِغْضَاؤُكُمْ، إِذَا لَقِيَ مَعَرَّةَ الْعُثْبِ، وَلِيَّهُ وَنَصِيرُهُ. وَإِحَالَةُ مَوْلَايَ عَلَى اللَّهِ فِي نَفْسٍ جَبَرَهَا⁽²⁾، وَوَسِيلَةَ عَرْفَهَا مَجْدُهُ فَمَا أَنْكَرَهَا، وَحُزْمَةَ بَضْرِيحِ مَوْلَايَ وَالِدُهُ شَكَرَهَا، وَيَطْلَعُ الْعَبْدُ مِنْهُ عَلَى كَمَالِ أَمَلِهِ، وَنُجْحِ عَمَلِهِ، وَتَسْوِيعِ⁽³⁾ مُقْتَرَحِهِ، وَتَتْمِيمِ جَدْلِهِ⁽⁴⁾ [وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَى مَقَامِكُمْ الْأَعْلَى، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ]⁽⁵⁾

¹ - أ، م: "حلمه"، والمثبت من ق، ع
² - ع: "خبرها"، م: "حترها". ولعل الصواب ما أثبت.
³ - ق: "توسيع" وكلاهما صحيح.
⁴ - ق: "جدله" بدال مهملة. والجذل "بالتحريك: الفرخ" لسان العرب / جذل: 105 / 3
⁵ - ق، ع: "ساقط".

وَحَاطَبْنَا السُّلْطَانَ أَبَا زِيَّانَ الْمَذْكُورَ رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ⁽¹⁾

المَوْلَى⁽²⁾ الَّذِي طَوَّقَ⁽³⁾ المِنَنَ، وَأَحْيَا السُّنَنَ، وَأَنْبَتَ [اللَّهُ]⁽⁴⁾ حُبَّهُ فِي حَبِّ الْقُلُوبِ النَّبَاتِ
الحَسَنَ. [مَقَامُ المَوْلَى]⁽⁵⁾ نَاطِمِ كَلِمَةِ الدِّينِ بَعْدَ انْتِثَارِهَا⁽⁶⁾، وَمُقِيلِ عَثَارِهَا، وَالْآخِذِ بِثَارِهَا، وَالْمُخَلِّدِ
لِاثَارِهَا.

السُّلْطَانُ الكَذَا أَبَقَاهُ⁽⁷⁾ اللَّهُ عَالِي الْقَدَمِ، مَنْصُورَ العِلْمِ، ظَاهِرًا⁽⁸⁾ [عَلَى]⁽⁹⁾ الأُمَمِ، مَقْصُودَ الحِمَى
كَالرُّكْنِ وَالْمُلْتَرَمِ. عَبْدُ مَقَامِكُمْ الَّذِي أَوْيئُمُوهُ غَرِيبًا، [وَأَنْسَنُمُوهُ مُرِيبًا]⁽¹⁰⁾ وَأَنْلَنُمُوهُ عَلَى عَدُوِّ الدَّهْرِ
نَصْرًا عَزِيزًا، وَفَتْحًا قَرِيبًا، فَلَمْ يَخْشَ دَرْكًَا وَلَا تَنْزِيًّا، وَلَا عَدِمَ حُطُوءَةً وَلَا شَفَقَةً وَلَا نِعْمَةً وَلَا
[تَفْرِيبًا]⁽¹¹⁾، [ابْنُ الخَطِيبِ مُوَكَّدًا عَنْ ثَنَاءٍ يُعْطَرُ الْآفَاقَ، وَيَرْقُمُ⁽¹²⁾ الْأَوْرَاقَ، وَيُخْلِفُ الْجُيُوبَ
وَالْأَطْوَاقَ⁽¹³⁾]، [وَبَهَرَ ثَوْرًا وَرَاقًا]⁽¹⁴⁾ فَجَاسَ اشْتِهَارُهُ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ.

وَيُطَالِعُ الْعَبْدُ مَحَلَّ مَوْلَاهُ الَّذِي خَلَفَ بِبَابِهِ مَالَهُ⁽¹⁵⁾ وَوَلَدَهُ، وَصَبْرَهُ⁽¹⁶⁾ وَجَلَدَهُ⁽¹⁷⁾، وَصَيَّرَ وَطَنَهُ
[دَارَهُ]⁽¹⁸⁾ الْحَقِيقِيَّ وَبَلَدَهُ. أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَى مَحَلِّ أَخِيهِ، الْمُعْتَدِّ بِمَا أَوْدَعَ اللَّهُ مِنَ الْخِلَالِ الشَّرْعِيَّةِ

1- ق: ساقط ومكانه "من ذلك".

2- أ، م: "المقام" والمثبت من ق، ع.

3- م: "طوف" بالفاء بدل القاف وهو تصحيف.

4- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

5- ق، ع: ساقط.

6- ق: "انبثارها" وهو تصحيف.

7- ق، ع: "أبقاكم" وكلاهما صحيح.

8- ق: "ظاهر" ولعل الصواب ما أثبت؛ فهو حال.

9- ق، ساقط.

10- ق، ساقط.

11- ق: ساقط ومكانه "من ذلك".

12- "رقم الكتاب يرقمه: أعجمه وبينه" لسان العرب / رقم: 207 / 6

13- أ، ق، م: ساقط، والمثبت من ع.

14- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

15- ق، ع: "قلبه".

16- ق، ع: "صهره" ولعل الصواب ما أثبت.

17- ق: "جاره" ولعل الصواب ما أثبت.

18- أ، م: ساقط، والمثبت من ع.

فِيهِ، مَوْلَايَ ابْنِ مَوْلَايَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، كَافًا اللَّهُ جَمِيلَ رَعِيهِ وَكَرَمَ عَهْدِهِ، وَحَكَمَ بِإِعْلَاءِ جَدِّهِ، وَمَضَاءِ حَدِّهِ، رَعَى الْوَسِيلَةَ، وَصَدَّقَ⁽¹⁾ النَّحِيلَةَ⁽²⁾، وَجَلَّى عِنْدَ اجْتِلَاءِ⁽³⁾ مُخَاطَبَتِكُمْ أَسَارِيرَ الْفَضِيلَةِ، فَلَمْ يَدَعْ حَقًّا إِلَّا صَرَفَهُ، وَلَا نِكْرَةً إِلَّا [أَظْهَرَ شَأْنَهَا]⁽⁴⁾ وَعَرَفَهُ، وَلَا نِعْمَةً إِلَّا سَكَبَهَا، وَلَا مَزِيَّةً إِلَّا أَوْجَبَهَا، وَلَا رُتْبَةً إِلَّا أَعْلَاهَا، وَلَا نِعْمَةً إِلَّا أَوْلَاهَا.

وَمَا ذَلِكَ يَا مَوْلَايَ، وَإِنْ تَعَدَّدَتِ الْوَسَائِلُ وَالْأَذِمَّةُ، وَادَّكَرَتِ الْقُرُبُ بَعْدَ [أُمَّةٍ]⁽⁵⁾ إِلَّا بِوَصَائِتِكُمْ الَّتِي لَا تُهْمَلُ، وَحُرْمَتِكُمْ الَّتِي لَا تُجْهَلُ، وَعَطْفِ مَقَامِكُمْ الَّذِي اشْتَهَرَ، وَاعْتِنَائِكُمْ بِعَبْدِكُمْ الَّذِي رَاقَ وَبَهَرَ. وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، وَخَدِيمُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِنْ نَأَتْ الدَّارُ⁽⁶⁾، وَمَحْسُوبٌ عَلَى نِعْمَةٍ مَقَامِكُمْ [الرَّفِيعِ الْمِقْدَارِ، وَالْأَمَلُ فِي مَقَامِكُمْ غَيْرُ مُنْقَطِعِ السَّبَبِ، وَالْأَهْلُ وَالْوَلَدُ تَحْتَ كَنْفِ مَقَامِكُمْ]⁽⁷⁾ الْأَصِيلِ الْحَسَبِ، حَتَّى يَمُنَّ اللَّهُ بِحَجِّ بَيْتِهِ، وَزِيَارَةِ رَسُولِهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]⁽⁸⁾ بَيْنَ يَدَيْكُمْ، وَيَكُونُ قَضَاءُ هَذَا الْوَطَرِ مَنْسُوبٌ إِلَيْكُمْ، وَيَعْدُهُ⁽⁹⁾ يَسْتَقَرُّ الْقَرَارُ حَيْثُ [يَخْتَارُهُ مَنْ]⁽¹⁰⁾ يَخْلُقُ⁽¹¹⁾ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ بِحَوْلِ اللَّهِ.

وَالْعَبْدُ يَذْكُرُ مَوْلَاهُ بِمَا [نَثَرَهُ]⁽¹²⁾ بَيْنَ يَدَيْ وَدَاعِهِ، وَبِمَرَايَ وَزِيرِهِ السَّعِيدِ وَاسْتِمَاعِهِ، مِنْ أَجْلَاءِ الْحَرَكَةِ عَنْ عِزِّهِ وَظُهُورِهِ، وَنَجَاحِ أَحْوَالِهِ، وَاسْتِقَامَةِ أُمُورِهِ. وَيُهِئُّهُ [بِصِدْقٍ]⁽¹³⁾ الْوَعْدِ، وَإِمْطَارِ

1- م: "هدى".

2- م: "المخيلة" وهو تحريف.

3- ق: "اختلاء" وهو تحريف.

4- ق، ع: ساقط.

5- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع، م.

6- ق، ع: "الديار".

7- ع: ساقط.

8- ق، ع: ساقط.

9- أ، م: "بعد"، والمثبت من ق، ع.

10- ق، ع: ساقط.

11- ق بزيادة: "الله" ولعل الصواب ما أثبت؛ فجملة الصلة تتضمن ضميرا لا اسما ظاهرا.

12- ق: ساقط، ع: "بشره الله به".

13- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع.

الرَّعْدِ، وَظُهُورِ السَّعْدِ؛ وَهِيَ وَسِيلَةٌ إِذَا عُدَّتِ الْوَسَائِلُ، وَرُوعِيَتِ الذَّمُّ الْجَلَالُ. وَمِثْلُ مَوْلَايَ مَنْ
رَعَى وَأَبْقَى، وَسَلَكَ الَّتِي هِيَ أَبْرُ وَأَنْقَى، وَمَا قَصَرَ عَنْهُ [الْقَلَمُ مِنْ حَقِّ مَوْلَايَ، فَالرَّسُولُ -أَعَزَّهُ
الله- يُتِمُّهُ⁽¹⁾، وَمَا قَصَرَ عَنْهُ⁽²⁾ الرَّسُولُ فَإِنَّهُ يَعْلَمُهُ، وَهُوَ جَلٌّ وَعَلَا يُدِيمُ أَيَّامَ مَوْلَايَ وَيُبْقِي⁽³⁾
[سَعْدَهُ]⁽⁴⁾ وَالسَّلَامَ [الكَرِيمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ]⁽⁵⁾

1- م: "متممه" ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.

2- ق، ع: ساقط.

3- م: "يتنبيه".

4- ق: ساقط.

5- ق، ع: ساقط.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
نَصْرِ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَلَدُهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى فَاسٍ (1)

الدَّهْرُ أَضْيَقُ فُسْحَةً فِي أَنْ يُرَى بِالْحُزْنِ وَالْكَمَدِ الْمُضَاعَفِ يُقْطَعُ
وَإِذَا قَطَعْتَ زَمَانَهُ فِي كُرْبَةٍ ضَيَّعْتَ فِي الْأَوْهَامِ مَا لَا يَرْجِعُ
فَاقْنَعْ بِمَا أَعْطَاكَ رَبُّكَ (2) وَاعْتَنِمِ مِنْهُ السُّرُورَ وَخَلِّ مَا لَا يُقْتَنَعُ (3)

مَوْلَايَ الَّذِي لَهُ الْمِنَّةُ، وَالْخُلُقُ الْجَمِيلُ وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ، وَالْمَجْدُ الَّذِي وَضَحَ مِنْهُ السَّنُّ، كَتَبَهُ
عَبْدُ (4) [نِعْمَتِكَ] (5) مُهَيَّئًا بِنِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَفَاضَهَا عَلَيْكَ، وَجَلَبَهَا إِلَيْكَ، مِنْ اجْتِمَاعِ شَمْلِكَ بِجَلِّكَ،
وَقَضَاءِ دَيْنِكَ مِنْ قُرَّةِ عَيْنِكَ، إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِفْلَاتِكَ وَسَلَامَةِ ذَاتِكَ، وَتَمَزُّقِ أَعْدَائِكَ، وَانْفِرَادِكَ
بِأَوْدَائِكَ. وَالزَّمَانُ سَاعَةٌ وَأَقْصَرُ (6)، لَا بَلْ كَلَمَحِ الْبَصَرِ، وَكَأَنَّ بِالْبَسَاطِ قَدْ طُويَ، وَالتُّرَابُ عَلَى
الْكُلِّ قَدْ سُويَ، فَلَا تَبْقَى غِبْطَةٌ وَلَا حَسْرَةٌ، وَلَا كُرْبَةٌ وَلَا مَسْرَةٌ.

وَإِذَا نَظَرْتَ، مَا كُنْتَ فِيهِ تَجِدُكَ لَا تَنَالُ مِنْهُ إِلَّا أَكْلَةً وَفِرَاشًا، وَبِنَاءً (7) وَرِيَاشًا (8)، مَعَ تَوَقُّعِ
الْوَقَائِعِ، وَارْتِقَابِ الْفَجَائِعِ، وَدُعَاءِ الْمَظْلُومِ وَصُدَاعِ الْجَائِعِ، فَقَدْ حَصَلَ مَا كَانَ عَلَيْهِ التَّعَبُ، وَأُمِنَ (9)

1- فاس: "مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر... وهي مدينتان: عدوة القرويين أسست في سنة 193، وعدوة
الأندلسيين أسست في سنة 192" معجم البلدان: 4/ 230

2- ديوان ابن الخطيب: "دهرك"

3- المصدر نفسه، 2/ 656

4- ق، ع: "عبدك" ولعل الصواب ما أثبت.

5- ق، ع: ساقط

6- أ، م: "أكثر" والمثبت من ق، ع.

7- ق، ع، م: "كنا".

8- ع: "رياسا" ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.

9- م: "أمر" وهو تحريف.

الرَّهْبُ⁽¹⁾، وَوَضَحَ الْأَجْرَ الْمُذْهَبُ، وَالْقُدْرَةُ بَاقِيَةٌ، وَالْأَدْعِيَةُ رَاقِيَةٌ، وَمَا تَدْرِي مَا تَحْكُمُ بِهِ الْأَقْدَارُ، وَيَتَمَحَّضُ⁽²⁾ عَنْهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

وَأَنْتَ الْيَوْمَ عَلَى زَمَانِكَ بِالْخِيَارِ، فَإِنْ اعْتَبَرْتَ الْحَالَ، وَاجْتَنَبْتَ الْمُحَالَ، لَمْ يَخَفَ عَلَيْكَ⁽³⁾ أَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسٍ، مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا لَبْسٍ، وَكَانَ أَمَلِي⁽⁴⁾ التَّوَجُّهُ لِرُؤْيَا وَلَدِكَ، لَكِنْ عَارَضَتْنِي مَوَانِعُ، وَلَا نَدْرِي فِي الْكَوْنِ مَا اللَّهُ صَانِعٌ، فَاسْتَنْبْتُ هَذِهِ فِي تَقْبِيلِ قَدَمِهِ، وَالْهَنَاءِ بِمَقْدَمِهِ وَالسَّلَامُ.

¹- أ، م: "الذهب" والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب.

²- م: "يتمخض" وهو تصحيف.

³- أ، م: "عنك" والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب.

⁴- ق، ع: "من أمني" ولعل الصواب ما أثبت؛ إذ جعل كل أمله في رؤيته، فهي ليست فقط جزء منه.

وَخَاطَبْتُهُ لَمَّا بَلَغَنِي مَا كَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ لَهُ، وَعَوَدْتِهِ إِلَى سُلْطَانِهِ⁽¹⁾

هَنِيئاً بِمَا خُوِّلْتَ مِنْ رِفْعَةِ الشَّانِ وَإِنْ كَرِهَ الْبَاغِي وَإِنْ رَغِمَ الشَّانِي
وَإِنْ خَصَّكَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِمُعْجَزَةٍ مَنَسُوبَةٍ لِسُلْطَانِي
أَغَارَ عَلَى كُرْسِيِّهِ بَغْضَ جَنِّهِ فَأَلْقَيْتَ لَهُ الدُّنْيَا مَقَالِدَ إِذْعَانِ
فَلَمَّا رَأَاهَا فِتْنَةً خَرَّ سَاجِداً وَقَالَ إِلَهِي اأْمُنْ عَلَيَّ بِغُفْرَانِ
وَهَبْ لِي مُلْكاً بَعْدَهَا لَيْسَ يَنْبَغِي تَقْلُدُهُ بَعْدِي لِإِنْسٍ وَلَا جَانٍّ
فَاتَّاهُ لَمَّا أَنْ أَجَابَ دُعَاءَهُ مِنْ الْعِزِّ مَا لَمْ يُؤْتَ يَوْماً لِإِنْسَانِ
وَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي الدَّهْرِ مُفْرَداً فَأَنْتَ لَهُ لَمَّا اقْتَدَيْتَ بِهِ الثَّانِي
فَقَابِلْ صَنِيعَ اللَّهِ بِالشُّكْرِ وَاسْتَعِنْ بِهِ وَاجْزِ إِحْسَانَ الْإِلَهِ بِإِحْسَانِ
وَحَقِّ الَّذِي سَمَّاكَ بِاسْمِ مُحَمَّدٍ لَوْ أَنَّ الصَّبَا قَدْ عَادَ مِنْهُ بِرِيعَانِ
لَمَّا بَلَغَ النُّعْمَى عَلَيْكَ سُرُورُهُ أَلْيَسَ وَافٍ لَا أَلْيَسَ خُـوَانِ
فَإِنِّي أَنَا الْعَبْدُ الصَّرِيحُ انْتِسَابُهُ كَمَا أَنْتَ مَوْلَايَ الْعَزِيزُ وَسُلْطَانِي
إِذَا كُنْتَ فِي عِزٍّ وَمُلْكٍ وَغِبْطَةٍ فَقَدْ نِلْتَ أَوْطَارِي وَرَاجَعْتَ أَوْطَانِي⁽²⁾

مَوْلَايَ الَّذِي شَأْنُهُ عَجَبٌ، وَالْإِيمَانُ [بِهِ]⁽³⁾ بِعِنَايَةِ اللَّهِ⁽⁴⁾ قَدْ وَجَبَ، وَعِزُّهُ أَظْهَرَ مَنْ بَرْدَاءِ الْعِزَّةِ
اِحْتَجَبَ، إِذَا كَانَتْ الْغَايَةُ لَا تُدْرِكُ، فَأُولَى أَنْ تُسَلَّمَ وَتُتْرَكَ، وَمِنَّةُ اللَّهِ عَلَيْكَ لَيْسَ مِمَّا تُشْرَحُ، قَدْ عُقِلَ

¹ - خاطب بها الغني بالله لتتوب عن اللقاء قبل إزماح الحركة من "سلا"

² - ديوان ابن الخطيب: 2: 598-599. من الطويل.

³ - ق، ع : ساقط.

⁴ - ق، ع بزيادة: "به".

العقل فما⁽¹⁾ يبرح، وقيد اللسان فيما يرتقب في مجال العبارة ولا يسرخ.

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ شُكْرًا تَرْضَاهُ، وَإِمْدَادًا مِنْ لَدُنْكَ تَتَقَضَاهُ، يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ. سَعُودٌ
أَنَارَتْ بَعْدَ أَقُولِ شَهَابَهَا، وَحَيَاةٌ كَرَّتْ بَعْدَ [أَقُولِ]⁽²⁾ ذَهَابَهَا، وَأَحْبَابٌ اجْتَمَعَتْ بَعْدَ فِرَاقِهَا، وَأَوْطَانٌ
دَنَتْ بَعْدَ شَامِهَا مِنْ عِرَاقِهَا، وَأَعْدَاءٌ أَذْهَبَ اللَّهُ رَسْمَ نَعِيمِهِمْ وَمَحَاهُ، وَبُعَاةٌ أَدَارَ عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ رَحَاهُ،
وَعِبَادٌ أُعْطُوا مِنْ كَشْفِ الْغَمِّ مَا سَأَلُوهُ، وَنَازِحُونَ لَوْ سُلُّوا فِي إِتَاحَةِ الْقُرْبِ بَاقِي أَرْمَاقِهِمْ لَبَدَّلُوهُ،
وَسُبْحَانَ الَّذِي يَقُولُ: {وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ}⁽³⁾
فَلْيَهِنَا الْإِسْلَامُ بِيَاضِ وَجْهِهِ بَعْدَ اسْوَدَادِهِ، وَتَغْلِبِ⁽⁴⁾ إِيَالَةَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ عَلَى
بِلَادِهِ، وَعَوْدَةِ الْمَلِكِ الْمَظْلُومِ إِلَى مُعْتَادِهِ، وَاسْتِوَاءِ الْحَقِّ الْفَانِي⁽⁵⁾ حَنْبُهُ⁽⁶⁾ فَوْقَ مِهَادِهِ، وَرَدِّ الْإِزْثِ
الْمَغْصُوبِ إِلَى مُسْتَحَقِّهِ عَنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي غَسَلَ عَنْ وَجْهِ الْمَلَةِ الْحَنِيفِيَّةِ الْعَارَ، وَأَنْقَذَ عُهْدَتَهَا وَقَدْ مَلَكَهَا الدُّعَارُ، فَرَدَّ
الْمُعَارَ، وَأَعِيدَ الشُّعَارُ. نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ⁽⁷⁾ حَمْدًا يَلِيقُ بِقُدْرَتِكَ، بَلْ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا
أُنْتَبِيتَ عَلَى نَفْسِكَ⁽⁸⁾.

1- ق، ع: "فيما" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لا يبرح العقل مكانه، كناية عن ثباته.

2- أ، ع، م: ساقط، والمثبت من ق.

3- سورة النساء، الآية: 66

4- أ: "تقلب" والمثبت من باقي النسخ.

5- أ، ق، ع: "النائي" والمثبت من م ولعله الصواب؛ فالسلطان هو القائم بالحق الذي يفتنى عنده.

6- ق، ع: "خبثه" وهو تحريف.

7- أ، م: "الله" والمثبت من ق، ع.

8- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَّاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعْتُ بِيَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَتْنَبَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» صحيح مسلم - الصلاة (486)

وَالْعَبْدُ يَا مَوْلَايَ قَدْ بَهَرْتَهُ⁽¹⁾ آلاءُ اللَّهِ قِبْلَكَ؛ فَالْفِكْرُ جَائِلٌ، وَاللِّسَانُ سَاكِتٌ، وَالْعَقْلُ ذَاهِلٌ،
وَالطَّرْفُ بَاهِتٌ، فَإِنْ أَقَامَ رَسْمًا لِلْمُخَاطَبَةِ، فَقَلَمٌ مَرَحٌ وَرَكَضٌ، وَطِرْسٌ هَزٌّ جَنَاحَ الْإِزْتِيَاكِ وَنَفْضٌ،
لَيْسَ هَذَا الْمَرَامُ مِمَّا يُرَامُ، وَلَا هَذِهِ الْعِنَايَةُ⁽²⁾ الَّتِي تَحَارُ فِيهَا الْأَفْهَامُ⁽³⁾، مِمَّا تُصْنَمِي غَرَضُهُ السَّهَامُ.
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مَوْلَايَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَيَأْخُلِمَ تَقَلُّبَاتِ الْأَيَّامِ مِنَ الْمُعْتَبِرِينَ، حَتَّى لَا يَغْرَهُ
السَّرَابُ الْخَادِعُ [وَالدَّهْرُ الْمُرْغَمُ لِلْأُنُوفِ الْجَادِعِ]⁽⁴⁾، وَلَا يَرَى فِي الْوُجُودِ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ صَانِعٍ، وَلَا
مُعْطِيٍّ وَلَا مَانِعٍ. وَبُيُمَتَّعُهُ بِالْعِزِّ الْجَدِيدِ، وَيُؤَفِّقُهُ لِلنَّظَرِ السَّيِّدِ، وَيُلْهِمُهُ الشُّكْرَ، فَهُوَ مِفْتَاحُ الْمَزِيدِ.
وَالسَّلَامُ.

¹ - ق، ع: "بهرت عقله" وكلاهما صحيح.
² - ق: "العبارة" بمعنى تحار اللغة المعبر بها.
³ - أ، م: "الأقلام" والمثبتين من ق، ع.
⁴ - أ: ساقط، والمثبت من ق، ع، م.

[وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُهُ⁽¹⁾ بِهِ⁽²⁾ عَلَى لِسَانٍ وَلَدِهِ أَسْعَدَهُ اللَّهُ عِنْدَمَا حَلَلْنَا بِمَالِقَةَ⁽³⁾ [حَرَسَهَا اللَّهُ]⁽⁴⁾]⁽⁵⁾

مَوْلَايَ الَّذِي رِضَا اللَّهِ مُفْتَرِنٌ بِرِضَاهُ، وَالنُّجْحُ مُسَبَّبٌ عَنْ نِيَّتِهِ [الصَّالِحَةِ]⁽⁶⁾ وَدُعَاةُ، وَطَاعَتُهُ مُرْتَبِطَةٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ. أَبْقَى اللَّهُ عَلَيَّ [بِكُمْ]⁽⁷⁾ ظِلَّ رُحْمَاهُ⁽⁸⁾، وَعَمَامَ نُعْمَاهُ. وَزَادَنِي مِنْ مَوَاهِبِ هِدَايَتِهِ⁽⁹⁾ فِي تَوْفِيَةِ حَقِّهِ الْكَبِيرِ، فَإِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ. يُقْبَلُ مَوَاطِيءُ رِجْلِكُمُ الَّتِي تَرَاهَا شَرَفُ⁽¹⁰⁾ الْخُدُودِ⁽¹¹⁾ وَفَخْرُ الْجِبَاهِ، وَيُفَرِّزُ مِنْ عُيُودِيَّتِهِ مَا يُسَجِّلُ [الْحَقُّ مُفْتَضَاهُ، وَيُسَلِّمُ عَلَى مَثَابَةِ رَحْمَتِكُمُ السَّلَامَ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَلَدُكُمْ وَعَبْدُكُمْ]⁽¹²⁾ يُوسُفُ مِنْ مَنْزِلٍ تَأْيِيدِكُمْ بِظَاهِرِ مَالِقَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ، وَلِلْوُجُودِ أَلْسُنٌ بِالْعِزَّةِ لِلَّهِ⁽¹³⁾ نَاطِقَةٌ، وَلِلْأَعْلَامِ وَالشَّجَرِ أَلْوِيَّةٌ بِالسَّعْدِ خَافِقَةٌ، وَأَنْوَاعُ التَّوْفِيقِ مُوَافِقَةٌ، وَصَنَائِعُ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ مُصَاحِبَةٌ⁽¹⁴⁾ مُرَافِقَةٌ⁽¹⁵⁾. ارْتَسَمَ بِخِدْمَةِ أَبْوَابِكُمُ الشَّرِيفَةِ مِنَ الْخُدَامِ، وَأُولِي الْمُرَاقَبَةِ وَالْإِنْتِرَامِ، مَا يَضِيقُ⁽¹⁶⁾ عَنْهُ بَيَانُ الْعِبَارَةِ، وَيَفْتَضِحُ⁽¹⁷⁾ فِيهِ لِسَانُ الْقَوْلِ وَالْإِشَارَةِ مِنْ عَنَايَاتٍ سَنِيَّةٍ، وَنِعَمٍ بَاطِنَةٍ وَجَلِيَّةٍ، وَمُلَاحَظَةِ مَوْلَوِيَّةٍ، وَمَقَاصِدَ مَلَكِيَّةٍ. فَمَا شِئْتُ مِنْ قِبَابٍ مُذَهَّبَةٍ،

1- ع: "خاطبت".

2- ع: بزيادة: "السلطان".

3- ع: "مقالتي وقد وصلت به إليه من المغرب". مالقة: اسم لمدينة وولاية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وفي أيام ابن الخطيب كانت تعتبر العاصمة الثانية بعد مدينة غرناطة في مملكة بني الأحمر "مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص: 57.

4- ع: ساقط.

5- ق: ساقط، ومكانه: "ومن ذلك".

6- ق، ع: ساقط.

7- أ: ساقط، والمثبت من ق، م.

8- م: "حماء" كلاهما صحيح.

9- ع: ساقط.

10- أ، ق، ع: "تراها"، والمثبت من م.

11- م: "الجدود" وهو تصحيف.

12- ع: ساقط.

13- ق، ع: "بالعز بالله" وكلاهما صحيح.

14- ع: "مصافحة" وكلاهما صحيح.

15- ع: "من ألقه" وهو تحريف.

16- أ، م: "تضييق"، والمثبت من ق، ع: "يطيق".

17- أ، م: "تفتضح"، والمثبت من ع. ق.

وَمَلَابِسَ مُنْتَخَبَةٍ، وَأَسِرَةٍ مُرْتَبَةٍ، وَمَحَاسِنَ لَا مَسْثُورَةَ وَلَا مُحَجَّبَةَ. وَاللَّوَاءُ الَّذِي نَشَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ ظِلَّهُ الظِّلِيلَ، وَمَدَدْتُمْ عَلَيْهِ جَنَاحَ الْعِزِّ الْكَفِيلِ، جَعَلَهُ اللَّهُ أَسْعَدَ لَوَاءٍ [يَسِيرُ]⁽¹⁾ فِي خِدْمَتِكُمْ، وَمَدَّ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ لَوَاءَ حُرْمَتِكُمْ، حَتَّى يَكُونَ لِجِهَادِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ شَاهِدًا، وَبِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ عَلَيْكُمْ عَائِدًا، وَلِطَائِفَةِ⁽²⁾ الْخُلُوصِ لِأَمْرِكُمْ قَائِدًا، وَلِأَوْلِيَاءِ بَابِكُمْ⁽³⁾ هَادِيًا، وَلِأَعْدَائِكُمْ كَائِدًا.

وَأَتَّفَقَ يَا مَوْلَايَ، أَنْ كَانَ عَبْدُكُمْ قَدْ رَكِبَ مُغْتَمًا أَبْرَدَ الْيَوْمِ، وَمُؤَثِّرًا لِرِيَاضَةِ عَقَبٍ⁽⁴⁾ النَّوْمِ. وَالتَّقَتِ⁽⁵⁾ عَلَيْهِ الْخُدَامُ، وَالْأَوْلِيَاءُ الْكَرَامُ. فَلَمَّا عُدْنَا تَعَرَّضْتَ [لَنَا]⁽⁶⁾ تِلْكَ الْعِنَايَاتِ الْمَجْلُوءَةِ الصُّورِ، الْمَثْلُوءَةِ السُّورِ⁽⁷⁾، وَقَدْ حُشِرَ النَّاسُ، وَحَضَرَتْ [مِنْهُمْ]⁽⁸⁾ الْأَجْنَاسُ، فَعَلَا الدُّعَاءُ، وَانْتَشَرَ التَّنَاءُ، وَرَاقَتْ الْأَبْصَارُ لِلْهِمَّةِ⁽⁹⁾ الْعَلِيَاءِ.

فَنَسَأَلُ اللَّهَ يَا مَوْلَايَ أَنْ يُكَافِيَ مَقَامَكُمْ⁽¹⁰⁾ بِالْعِزِّ الَّذِي لَا يَتَبَدَّلُ، وَالنَّصْرِ الَّذِي يَسْتَأْنِفُ وَيَسْتَنْقِبُ، وَالسَّعْدِ الَّذِي مُحْكَمُهُ لَا يُتَأَوَّلُ، وَالْعَبْدُ وَمَنْ لَهُ عَلَى حَالِ اسْتِثْنَاءٍ لِلْوُرُودِ عَلَى بَابِكُمُ الرَّفِيعِ الْمِقْدَارِ، وَارْتِيَا حُ لِقُرْبِ الْمَزَارِ:

وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشَّقُّوقُ يَوْمًا... إِذَا دَنَتْ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ⁽¹¹⁾

وَالْعَمَلُ عَلَى تَسْيِيرِ الْحَرَكَةِ⁽¹²⁾ مُتَّصِلٌ، وَالذَّهْرُ لِأَوَامِرِ سَعْدِكُمْ مُحْتَفِلٌ، بِفَضْلِ اللَّهِ.

1- م : ساقط.

2- م : "الطابعة" وهو تحريف.

3- م : "ما بكم" وهو تحريف.

4- ق، ع : "في عقب" ولعل الصواب ما أثبت.

5- ق، ع : "التف".

6- أ، م : ساقط، والمثبت من ق، ع.

7- م : "السرر" وهو تحريف.

8- أ، م : ساقط، والمثبت من ق، ع.

9- ق، ع : "تلك الهمة".

10- أ، م : "مقدمكم"، والمثبت من ق، ع.

11- الحلة السيرة في شعر الأمراء، ابن الأبار.

12- ق : "الحكمة".

وَالسَّلَامُ عَلَى مَقَامِ مَوْلَايَ [مَقَامِ الرَّحْمَةِ وَالْمِنَّةِ وَالنُّعْمَةِ]⁽¹⁾ وَرَحْمَةُ اللَّهِ [تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ]⁽²⁾

¹- أ، ق، م: ساقط، والمثبت من ع.
²- أ، ق، م: ساقط، والمثبت من ع.

[وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبْتُ بِهِ عَنِ السُّلْطَانِ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْوَلِيِّ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّبْتِيِّ ⁽¹⁾
بِمُرَّاكُشٍ ⁽²⁾ وَنَحْنُ [بِالْمَغْرِبِ] ⁽³⁾ مُسْتَقَرُّونَ بِفَاسَ ⁽⁴⁾

يَا وَلِيَّ الْإِلَهِ أَنْتَ جَوَادٌ وَقَصَدْنَا إِلَى حِمَاكَ الْمَنِيْعِ
رَاعِنَا الدَّهْرُ بِالْخُطُوبِ فَجَنَّنَا نَرْتَجِي مِنْ غَلَاكَ حُسْنَ الصَّنِيْعِ
فَمَدَدْنَا لَكَ الْأَكْفَ نُرْجِي عَوْدَةَ الْعِزِّ تَحْتَ شَمْلِ جَمِيْعِ
قَدْ جَعَلْنَا وَسِيلَةً تُرِيكَ الزَّأ كِي وَزُلْفَى إِلَى الْعَلِيمِ السَّمِيْعِ
كَمْ غَرِيبٍ أَسْرَى إِلَيْكَ فَوَافَى بِرِضَى عَاجِلٍ وَخَيْرٍ سَرِيْعِ ⁽⁵⁾

يَا وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ جَاهَهُ سَبَبًا لِقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَرَفَعَ الْأَرْمَاتِ، وَتَصْرِيْفُهُ ⁽⁶⁾ بَاقِيًا بَعْدَ
الْمُهْمَاتِ ⁽⁷⁾ وَصَدَّقَ نَقْلَ الْحِكَايَاتِ ظُهُورُ الْآيَاتِ، نَفَعَنِي اللَّهُ بِنَيْتِي فِي بَرَكَاتِهِ ⁽⁸⁾، وَأَظْهَرَ عَلَيَّ
أَثَرَ تَوْسُلِي بَلْ إِلَى اللَّهِ رَبِّكَ، مُزَّقَ شَمْلِي، وَفُرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِي، وَتُعَدِّي عَلَيَّ، وَصُرِفَتْ وُجُوهُ
الْمَكَائِدِ إِلَيَّ، حَتَّى أُخْرِجْتُ مِنْ وَطَنِي وَبَلَدِي، وَمَالِي وَوَلَدِي، وَمَحَلَّ جِهَادِي، وَحَقِّي الَّذِي صَارَ لِي
طَوْعًا عَنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي، عَنْ بَيْعَةٍ لَمْ يَحُلَّ عُقْدَتَهَا الدِّينُ، وَلَا ثُبُوتُ حُرْمَةِ ⁽⁹⁾ بِشِينٍ ⁽¹⁰⁾.

¹ - "أحمد بن جعفر الخزرجي أبو العباس السبتي المراكشي (524هـ / 601هـ) متصوف نسبت إليه "الزاييرجة" في استخراج الغيوب. ولد في سبتة وانتقل إلى مراكش وعملت شهرته وتحدث الناس بأخباره. وكان فصيحاً مفوهاً يكثر من الحض على الصدقة... واختلف مؤرخوه: منهم من يراه ولياً، ومنهم من يبدعه، ومن يقول إنه ساحر، ومن يكفره" الأعلام: 107 / 1

² - ع: ساقط. "مراكش بالفتح والتشديد وضم الكاف مدينة عظيمة بالمغرب الأقصى" الإلام بما حل مراكش وأغمات من الأعلام 75/1.

³ - أ، ق، م: ساقط، والزيادة من ع.

⁴ - ق، م: ساقط.

⁵ - ديوان ابن الخطيب: 658 / 2. وهي من الخفيف.

⁶ - أ، م: "تصريفاً" والمثبت من ق، ع.

⁷ - أ: "المهمات" والمثبت من باقي النسخ.

⁸ - م: "قربك" ولعل الصواب ما أثبت؛ فأرضه كلها مباركة، وليس فقط مكان تواجده.

⁹ - أ، م: "جرمة" والمثبت من ق، ع.

¹⁰ - ق، ع، م: "تشين" ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلاً للسجع.

وَأَنَا قَدْ قَرَعْتُ⁽¹⁾ بَابَ اللَّهِ بِتَأْمِيلِكَ، فَالْتَمَسْتُ لِي قَبُولَهُ بِقَبُولِكَ، وَرُدَّنِي إِلَى وَطَنِي عَلَى أَفْضَلِ
حَالٍ، وَأَظْهَرَ عَلَيَّ كَرَامَتَكَ⁽²⁾ الَّتِي تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ. فَقَدْ جَعَلْتُ⁽³⁾ وَسِيلَتِي رَسُولَ الْحَقِّ إِلَى جَمِيعِ
الْخَلْقِ [وَسَيِّدِهِ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}]⁽⁴⁾ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَوْلَى⁽⁵⁾ الْكَرِيمُ الَّذِي يَأْمَنُ بِهِ الْخَائِفُ، وَيُنْتَصِفُ⁽⁶⁾ بِهِ الْغَرِيمُ،
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

¹ - ع: "عرفت" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي قصد باب الله ليحقق أمله في النجاة.

² - م: "كرماتك" وهو تحريف.

³ - ق: "جعلتك" ولعل الصواب ما أثبت.

⁴ - ق، ع: ساقط

⁵ - ع: "الولي"

⁶ - ع: "يتصف" ولعل الصواب ما أثبت؛ فهو من الانتصاف.

[وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ⁽¹⁾ بِهِ الْوَزِيرَ الْمُتَغَلَّبَ عَلَى⁽²⁾ [دَوْلَةَ⁽³⁾ الْمُلُوكِ⁽⁴⁾
بِالْمَغْرِبِ [عَامِرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ⁽⁵⁾] [⁽⁶⁾]⁽⁷⁾

لَا تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ فِي شِدَّةٍ وَثِقْ بِهِ فَهُوَ الَّذِي أَيْدَكَ
حَاشَاكَ أَنْ تَرْجُو إِلَّا الَّذِي فِي ظُلْمَةِ الْأَحْشَاءِ قَدْ أَوْجَدَكَ
وَأَشْكُرُهُ بِالرَّحْمَةِ فِي خَلْقِهِ وَوَجْهَكَ ابْسُطْ بِالرِّضَا أَوْ يَدَكَ
وَاللَّهُ لَا تُهْمِلُ الْطَافُفُ قِلَادَةَ الْحَقِّ الَّذِي قَلَّدَكَ
مَا أَسْعَدَ الْمُلُوكَ الَّذِي سُنَّتُهُ يَا عُمَرَ الْعَدْلِ وَمَا أَسْعَدَكَ⁽⁸⁾

تَخُصُّ⁽⁹⁾ الْوَزِيرَ الَّذِي بَهَرَ سَعْدُهُ، وَحُمِدَ فِي الْمَضَاءِ قَصْدُهُ، وَعَوَّلَ عَلَى الشَّيْمِ الَّتِي⁽¹⁰⁾
اِفْتَضَاهَا مَجْدُهُ، وَأَوْرَثَهُ إِيَّاهَا أَبُوهُ وَجَدُهُ. الشَّيْخُ الْكَذَا ابْنُ فُلَانٍ⁽¹¹⁾ أَبْقَاهُ اللَّهُ ثَابِتَ الْقَدَمِ، خَافِقَ
الْعِلْمِ، شَهِيرًا حَدِيثُ⁽¹²⁾ [سَعْدِهِ]⁽¹³⁾ فِي الْأُمَمِ، مَثَلًا خَبَرَ بِسَالَتِهِ وَجَلَّالَتِهِ فِي الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ تَحِيَّةُ
مَجْدِهِ الْكَبِيرِ، الْمُسْتَنَدِ إِلَى عَهْدِهِ الْوَثِيقِ، وَحَسَبِهِ الشَّهِيرِ، الْمَسْرُورِ بِمَا سَنَاهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ نَجْحِ
النَّدْبِيرِ، وَالنَّصْرِ الْقَدِيمِ النَّظِيرِ، وَإِنْجَادِهِ إِيَّاهُ عِنْدَ إِسْلَامِ⁽¹⁴⁾ النَّصِيرِ، وَفِرَاقِ الْقَبِيلِ وَالْعَشِيرِ⁽¹⁵⁾،

1- ع: "في مخاطبة".

2- ع: "عن".

3- ع: ساقط.

4- ع: "الملك".

5- لعب دورا كبيرا في الدولة المرينية حتى قتله عبد العزيز سنة 771 هـ. العبر، 7/ 300-318.

6- ع: ساقط.

7- ق: ساقط. ورد في ديوان ابن الخطيب أن القصيدة قيلت في عمر بن عبد الله: 339 / 1

8- ديوان ابن الخطيب: 339/1.

9- ق: "يخص" ولعل الصواب ما أثبت؛ بعودة الضمير على المخاطبة.

10- أ، م: "الذي" والمثبت من ق، ع.

11- ق، ع: "الكذا ابن الشيخ الزبير الكذا".

12- ع: "حديثه".

13- ع: ساقط.

14- ق: "السلام".

15- ق، ع: بزيادة: "فلان من فلانة".

[ابن الخطيب من سلا⁽¹⁾ حرسها الله]⁽²⁾ واليد ممدودة إلى الله، في صلة سعد الوزير، أبقاه الله، ودوام عصمته، واللسان يطنب ويسهب في شكر نعمته، والأمل متعلق بأسبابه الكريمة وأدمته. وقد كان شيعته مع الشفقة التي أذابت الفؤاد، وألزمت الأرق والسهاد، على علم بأن عناية⁽³⁾ الله عليه عاكفة، وديم آلائه⁽⁴⁾ [لديه]⁽⁵⁾ واكفة، وأن الذي أقدره، وأيده ونصره، وأنفدت مشيئته ما دبره كليل بإمداده، وملبى بإسعاده، ومرجو⁽⁶⁾ بإصلاح دنياه ومعاده.

وفي أثناء هذه الأراجيف⁽⁷⁾ استولى على معظم وزارته الجرع، وتعاورته الأفكار تأخذه وتدع. فإني كما يعلم الوزير -أعزه الله- منقطع الأسباب، مستوحش من الجهة الأندلسية على بعد الجناح، ومستعدى علي لكوني من المعذودين⁽⁸⁾ فيمن له من الخُصان والأحاب، فشرعت في نظر أحصل منه على زوال اللبس، وأمان النفس، والحق [بمأن]⁽⁹⁾ [من]⁽¹⁰⁾ يرعاني برعي الوزير بخلال ما يدبر الأمر [من]⁽¹¹⁾ له التدبير.

1- "سلا: مدينة موازية لوادي أبي الرقراق الذي يفصلها عن مدينة الرباط العاصمة، يعتقد بأنها تأسست في ق 11م، ويرى بعض المؤرخين أنها مدينة رومانية قديمة ذ، نالت عناية بني مرين فسورواها، وأنشأوا بها كثيرا من المرافق العامة، وتعتبر عمارتها نموذجا للفن المغربي الرائع في ق 13 و 14... وهي المدينة التي بقي فيها ابن الخطيب منفيا لمدة ثلاث سنوات تقريبا، حينما جاء جاء إلى المغرب مع سلطانه غرناطة المخلوع "الغني بالله محمد الخامس ابن الأحمر" معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار،

ص: 152

2- ق، ع "ساقط.

3- ق: "نعمة".

4- م: "الآلاء"

5- ق: ساقط.

6- م: "مرجي" من "أرجت الحامل فهي مرجية أدنت فرجي ولادها" أساس البلاغة / رجو: 1 / 341

7- ق: "الأراجف" والصواب ما أثبت.

8- أ: "العدوين"، والمثبت من ق، ع، م .

9- ق، ع : ساقط.

10- م: ساقط.

11- ع: ساقط.

فَفِي أَثْنَائِهِ، وَتَمْهِيدِ أَسَاسِ بِنَائِهِ، وَرَدِّ الْبَشِيرِ بِمَا سَنَّاهُ اللَّهُ لِسَيِّدِي، وَجَابِرِ كَسْرِي وَمُنْصِيفِي،
بِفَضْلِ اللَّهِ مِنْ⁽¹⁾ دَهْرِي مِنَ الصُّنْعِ الَّذِي بَهَرَ، وَرَاقَ نُورُهُ وَظَهَرَ. فَأَمَنْتُ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ جَنَى،
وَجَفَنْتِي الْمَسْرَاتُ بَيْنَ فُرَادَى وَتُنَى، وَأُنْشَرَخَ بِفَضْلِ اللَّهِ صَدْرِي، وَزَارَتْني النِّعَمُ وَالتَّهَانِي، مِنْ حَيْثُ
[أَدْرِي]⁽²⁾ وَلَا أَدْرِي، وَوَجَّهْتُ الْوَلَدَ الَّذِي شَمِلَتْهُ نِعْمَةُ الْوَزِيرِ وَإِحْسَانِهِ، وَسَبَقَ إِلَيْهِ امْتِنَانُهُ نَائِبًا عَنِّي
فِي تَقْبِيلِ يَدِهِ، [وَشُكْرِ بَرِّهِ]⁽³⁾⁽⁴⁾ وَالْوُقُوفِ بِبَابِهِ، وَالتَّمَسُّكِ بِأَسْبَابِهِ، آثَرْتُهُ بِذَلِكَ لِأُمُورٍ مِنْهَا الْمَرَارُ
فِيمَا كَانَ يَلْزُمُنِي مِنْ إِخْوَتِهِ الْأَصَاغِرِ، وَتَدْرِيبُهُ عَلَى خِدْمَةِ الْجَلَالِ الْبَاهِرِ، وَلِعَائِقِ ضُعْفٍ عَنِ
الْحَرَكَةِ، وَإِفْرَادٍ لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَشْرَعُ بِفَضْلِ اللَّهِ فِي الْعَمَلِ [عَلَى]⁽⁵⁾ تَجْدِيدِ الْعَهْدِ بِبَابِ الْوِزَارَةِ
الْعَلِيَّةِ عَارِضًا مِنْ ثَنَائِهَا مَا يَكُونُ وَفْقَ الْأُمْنِيَّةِ، وَرُبَّ عَمَلٍ أَغْنَى عَنْهُ فَضْلُ النِّيَّةِ. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ
عَلَى سَيِّدِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ [تَعَالَى]⁽⁶⁾ وَبَرَكَاتُهُ.

¹ - ق: "عن" ولعل الصواب ما أثبت؛ فهو جبره من الدهر.

² - ق: ساقط.

³ - أ، ق، ع: "يده" والمثبت من م.

⁴ - ق: ساقط.

⁵ - ق: ساقط.

⁶ - أ، ق، م: ساقط والمثبت من ع.

[وَحَاطَبْتُ⁽¹⁾ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ عَلَى أَثَرِ الْفَتْحِ الَّذِي تَكَيَّفَ لَهُ⁽²⁾]

سَيِّدِي الَّذِي أُسِّرَ بِسَعَادَتِهِ، وَظَهَرَ عِنَايَةَ اللَّهِ بِهِ فِي إِبْدَائِهِ وَإِعَادَتِهِ، وَأَعْلَمَ كَرَمَ مَجَادَتِهِ، وَأَعْتَرَفُ بِسَيَادَتِهِ. الْوَزِيرُ الْمَيْمُونُ الطَّائِرُ، الْجَارِي حَدِيثُ سَعْدِهِ [وَمَضَائِهِ]⁽³⁾ مَجْرَى الْمَثَلِ السَّائِرِ. الْكَذَا ابْنُ الْكَذَا، أَبَقَاهُ اللَّهُ عَزِيزَ الْأَنْصَارِ، جَارِيَةً بِئُمنِ نَقِيبَتِهِ حَرَكَةُ الْفَلَكَ الدَّوَّارِ، مَعْصُومًا مِنَ الْمَكَارِهِ بِعِصْمَةِ⁽⁴⁾ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، مُعْظَمَ سَيَادَتِهِ الرَّفِيعَةِ الْجَانِبِ، وَمَوْقَرَ وَزَارَتِهِ الشَّهِيرَةِ الْمُنَاسِبِ، الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ بِطَوْلِ بَقَائِهِ فِي عِزٍّ وَاضِحِ الْمَذَاهِبِ، وَصُنْعِ وَكِفِ السَّحَائِبِ.

فُلَانٌ مِنْ كَذَا عَنِ الَّذِي يَعْلَمُ سَيِّدِي مِنْ لِسَانِ طَلْقٍ بِالنِّثَاءِ، وَيَدِ مَمْدُودَةٍ إِلَى اللَّهِ [عِزٌّ وَجَلٌّ]⁽⁵⁾ بِالْدَّعَاءِ، وَالنِّمَاسِ لِمَا يُعَدُّ مِنْ جَزِيلِ النِّعْمَاءِ، وَالْفَتْحِ الَّذِي تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ.

وَقَدْ اتَّصَلَ مَا سَنَاهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ النَّصْرِ وَالظُّهُورِ، وَالصُّنْعِ الْبَادِي السُّفُورِ، لَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانِ، [وَتُهَوِّدِيَتْ أَكْوَاسُ الطَّعَانِ، وَتَبَيَّنَ الشُّجَاعُ مِنَ الْجَبَانِ]⁽⁶⁾، وَظَهَرَ مِنْ كَرَامَةِ سَيِّدِي وَيَسَالَتِهِ مَا تَتَحَدَّثُ⁽⁷⁾ بِهِ أَلْسِنَةُ الرُّكْبَانِ، حَتَّى كَانَتْ الطَّائِلَةُ لِحَرْبِهِ⁽⁸⁾، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِنَايَةُ رَبِّهِ. فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ سَعْدَ عِمَادِي مُتَّصِلَ الْآيَاتِ، بِعِيدِ الْغَايَاتِ، وَصُنْعَ اللَّهِ [لَهُ]⁽⁹⁾ بَاهِرَ الْآيَاتِ، وَاضِحَ الْعُرْرِ وَالشَّيَاطِ. وَقَدْ كُنْتُ [بِعَنْتُ]⁽¹⁰⁾ أَهْنُهُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ صُنْعِ جَمِيلٍ، وَبُلُوغِ

1- ع: "ومن ذلك في مخاطبة".

2- ق: ساقط.

3- أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع.

4- م: "بعظمة" ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للجناس الاشتقاقي.

5- أ، ع، م: ساقط، والمثبت من ق.

6- ق، ع: ساقط.

7- ق، ع: "تحدث" وكلاهما صحيح.

8- أ، م: "لحربه"، والمثبت من ق، ع.

9- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

10- ق: ساقط.

تَأْمِيلٍ. فَقُلْتُ: اَللّهُمَّ اَفِدْ عَلَيْنَا التَّهَانِي تَتَرَى⁽¹⁾، وَاجْعَلِ الْكُبْرَى مِنْ نِعَمِكَ [السَّالِفَةِ بِنِعَمِكَ الرَّادِفَةِ
الْحَافِلَةِ هِيَ]⁽²⁾ الصُّغْرَى، وَاجْمَعْ لَهُ بَيْنَ نِعَمٍ⁽³⁾ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى.

وَالنَّاسُ -أَبْقَى اللهُ سَيِّدِي- لَهُمْ مَعَ الْإِسْتِنَادِ إِلَيْهِ جِهَاتٌ، وَأُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، إِلَّا الْمُحِبُّ الْمُتَشَيِّعُ
بِجِهَتِكَ هِيَ الَّتِي آتَسَتْ الْغُرْبَةَ، وَفَرَجَتِ الْكُرْبَةَ، وَوَعَدَتْ بِالْخَيْرِ، وَضَمِنَتْ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ. وَأَنَا
أَرْتَقِبُ وَرُودَ التَّعْرِيفِ الْمَوْلَوِيِّ عَلَى عَبِيدِهِ، بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَأَمْلُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- [إِلَى]⁽⁴⁾ مُبَاشَرَةِ
الْهَنَاءِ، وَقَرَّةِ الْعَيْنِ بِمُشَاهَدَةِ الْآلَاءِ. وَاللهُ [عَزَّ وَجَلَّ] يُدِيمُ [سَعَادَةَ]⁽⁵⁾ [سَيِّدِي وَيُطِيلُ إِبْقَاءَهُ وَيُرَادِفُ
قَلْبَهُ، نِعَمَهُ وَآلَاءَهُ بِفَضْلِهِ]⁽⁶⁾ [الَّذِي هُوَ كَهْفٌ مُؤَدِّيهِ، حَتَّى يُظْفِرَهُ اللهُ بِمَنْ يُنَاوِيهِ وَيُعَادِيهِ.
وَالسَّلَامُ]⁽⁷⁾

¹ - م : " تتزین ". ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.

² - أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

³ - أ، ق، ع: "نعم" والمثبت من م.

⁴ - ق، ع: ساقط

⁵ - أ، م: ساقط. والمثبت من ق، ع.

⁶ - أ، م: ساقط، والزيادة من ق، ع.

⁷ - ق، ع: ساقط.

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي مُحَاطَبَةِ الْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ وَأَنَا سَاكِنٌ بِسَلَا فِيمَا ظَهَرَ مِنْ
الْغَرَضِ]⁽¹⁾

أَيَا عُمَرَ الْعَدْلِ الَّذِي مَطَّلَ الْمَدَى بَوَعْدِ الْهُدَى حَتَّى وَفَيْتَ بِدَيْنِهِ
وَيَا صَارِمَ الْمُلْكِ الَّذِي يَسْتَعِدُّهُ لِدَفْعِ عِدَاهُ أَوْ لِمَجْلِسِ زَيْنِهِ
هَنْتَ عَيْنَكَ الْيَقْظَى مِنَ اللَّهِ عِصْمَةً كَفَتْ وَجْهَ دِينَ اللَّهِ مَوْقِعَ شَيْنِهِ
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا الْمُلْكُ وَالِدَيْنُ وَالِدُنَا وَلَا يُلْبَسُ الْحَقُّ الْمُبِينُ بِمَيْنِهِ
إِذَا نَالَ مِنْكَ الْعَيْنُ ضُرًّا فَإِنَّمَا أُصِيبَ بِهِ الْإِسْلَامُ فِي عَيْنِ عَيْنِهِ⁽²⁾

الْوَزِيرُ الَّذِي هُوَ لِلدِّينِ الْوَزْرُ الْوَاقِي، وَالْعَلَمُ السَّامِي، الْمُرَاقِبُ وَالْمُرَاقِي، وَالْحُلِيُّ الْمُقْلَدُ فَوْقَ
النَّرَائِبِ وَالتَّرَاقِي، وَالْكَنْزُ الْمُؤَمَّلُ وَالذُّخْرُ⁽³⁾ الْبَاقِي. حَبَبَ اللَّهُ الْعُيُونَ عَنْ [عَيْنِ]⁽⁴⁾ كَمَالِكَ، وَصَيَّرَ
الْفَلَكَ الدَّوَّارَ مَطِيَّةَ أَمَالِكَ، وَجَعَلَ اتِّفَاقَ الْيُمْنِ مَقْرُونًا بِبَيْمِينِكَ⁽⁵⁾، وَانْتِظَامَ الشَّمْلِ مَعْقُودًا بِشِمَالِكَ.
إِعْلَمْ أَنَّ مُطْلَقَ [لِسَانِ]⁽⁶⁾ التَّنَاءِ عَلَى مَجْدِكَ، وَالْمُسْتَضِيءَ عَلَى الْبُعْدِ بِنُورِ⁽⁷⁾ سَعْدِكَ،
وَالْمَعْقُودَ الرَّجَاءَ بِعُرْوَةِ وَعْدِكَ. لَا يَزَالُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يَسْحَبُ [الْفَلَكَ]⁽⁸⁾ فِيهِ ذَيْلَهَا، وَيُعَاقِبُ يَوْمَهَا
وَلَيْلَهَا، مُصْغِي الْأُذُنَ إِلَى نَبَأٍ يَهْدِي⁽⁹⁾ عَنْكَ اللَّهُ دِفَاعًا، أَوْ يَمُدُّ فِي مِيدَانِ سَعْدِكَ بَاعًا، فَأَنْتَ الْيَوْمَ
النَّصِيرُ عَلَى الدَّهْرِ الْمَظْلُومِ، وَأَسَى الْكُلُومِ، وَدُوَ الْمَقَامِ الْمَعْلُومِ، فَتَعَرَّفْتُ أَنَّ بَعْضَ مَا يُتْلَا عُبُّ بِهِ

1- أ، م : ساقط. والمثبت من ق، ع.

2- ديوان ابن الخطيب: 602/2. وهي من الطويل. قيلت القصيدة في الوزير مدبر الدولة الذي تلوعب بين يديه بنارنج، فأصابته وجهه منها واحدة أثرت فيما حول عينيه.

3- ق: "الذخيرة" وكلاهما صحيح. "وجعل ماله ذخرا عند الله وذخيرة" أساس البلاغة / ذخ: 310 / 1

4- أ، م : ساقط. والمثبت من ق، ع.

5- م: "ببمينك" ولعل الصواب ما أثبت.

6- أ، م : ساقط. والمثبت من ق، ع.

7- ق: "بنار" ولعل الصواب ما أثبت.

8- أ، م : ساقط. والمثبت من ق، ع.

9- ق: "يهم" وه تحريف.

بَيْنَ أَيْدِي السَّادَةِ (1) الْخُدَّامِ، وَتَتَفَكَّهُ بِهِ الْمُتَأَقِّبَةُ (2) وَالْإِقْدَامُ، مِنْ كُرَةِ مُرْسَلَةِ الشَّهَابِ، أَوْ نَارِنَجَةٍ ظَهَرَ عَلَيْهَا مِنْ [اسْمِهَا] (3) صِبْغَةٌ (4) الْإِلْتِهَابِ، حَوَّمتْ حَوْلَ عَيْنِكَ، لَا كُدَّرَ صَفَاؤُهَا، وَلَا عَدِمَ فَوْقَ مِهَادِ الدَّعَةِ وَالْأَمْنِ إِغْفَاؤُهَا، فَرَعَتْ حَوْلَ حِمَاها، وَرَأَتْ أَنْ تُصِيبَ فَجَنَّبَ (5) اللَّهُ مَرَمَاهَا:

وَمَا لَا نَرَى مِمَّا يَبْقَى اللَّهُ أَكْثَرَ ... تَرَى السُّوءَ مِمَّا يُتَّقَى مِنْهَا بِهِ

فَقُلْتُ: مَكْرُوهٌ أَحْطَى سَهْمُهُ، وَتَنْبِيهٌُ مِنَ اللَّهِ [لِمَنْ] (6) قُبِلَ عَقْلُهُ وَفَهْمُهُ، وَدِفَاعٌ قَامَ دَلِيلُهُ، وَسَعْدٌ أَشْرَفَ تَلِيلُهُ، وَأَيَّامٌ أَعْرَبَتْ عَنْ إِقْبَالِهَا، وَعِصْمَةٌ غَطَّتْ بِسِرْبَالِهَا، وَجَوَارِحُ جَعَلَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ تَحْرُسُهَا، فَلَا تَعْتَالُهَا (7) الْحَوَادِثُ وَلَا تَقْتَرِسُهَا (8). وَالْفِطْنُ يَشْعُرُ (9) بِالشَّيْءِ وَإِنْ جُهِلَتْ أَسْبَابُهُ، وَالصُّوفِيُّ يَسْمَعُ مِنَ الْكَوْنِ جَوَابَهُ. فَبَادَرْتُ أَهْنُتُهُ تَهْنِئَةً مَنْ يَرَى تِلْكَ الْجَوَارِحَ الْكَرِيمَةَ أَعَزَّ عَلَيْهِ مِنْ جَوَارِحِهِ، [وَيُرْسِلُ طَيْرَ الشُّكْرِ لِلَّهِ فِي مَسَاقِطِ اللَّطْفِ الْخَفِيِّ وَمَسَارِحِهِ] (10) وَسَأَلْتُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَكَ عَنِ النَّوَائِبِ [حَجَرًا] (11) لَا يُقْرَبُ، وَرَبْعَكَ رُبْعًا لَا يُخْرَبُ، مَا سَبَحَتْ الْحَوْتُ وَدَبَّتِ الْعُقْرُبُ. ثُمَّ إِنِّي شَفَعْتُ النَّثَاءَ (12) وَوَتَرْتُهُ، وَأَظْهَرْتُ السُّرُورَ فَمَا سَتَرْتُهُ، فَمَا سَتَى اللَّهُ لِتَدْبِيرِكَ مِنْ مُسَالَمَةٍ تُكَذِّبُ الْإِرْجَافَ، وَتُعْنِي عَنِ الْإِيْجَافِ، وَتُخْصِبُ الْأَمَالَ الْعِجَافَ، وَتُزِيحُ مِنْ كَيْدٍ، وَتَفْزَعُ إِلَى

1- ع: "السيادة" وهو تحريف.

2- م: "المناقبة" وهو تصحيف.

3- أ، م: ساقط. والمثبت من ق، ع.

4- أ، م: "صبغها"، والمثبت من ق، ع.

5- ق، ع: "فخب" وكلاهما صحيح.

6- أ، م: ساقط. والمثبت من ق، ع.

7- ق: "تعتادها" ولعل الصواب ما أثبت؛ فلا غتيال أشد من الاعتياد.

8- ق: "تفرسها". "فرسها فرسا من باب ضرب إذا كسرهما" المصباح المنير/ فرس، ص: 178

9- أ، م: "تشعر". والمثبت من ق، ع.

10- ق: "ساقط".

11- أ، م: "بياض"، والمثبت من باقي النسخ.

12- ق: "الهناء" ولعل الصواب ما أثبت؛ لمجيء السرور بعده.

مُحَاوَلَةٍ عَمِرُوا وَزَيْدٍ. وَكَأَنَّ بِسَعْدِكَ قَدْ سَدَلَ الْأَمَانَ، وَعَدَّلَ لِلزَّمانِ، وَأَصْلَحَ الْفَاسِدَ، [وَنَفَّقَ]⁽¹⁾

الكَاسِدَ، وَقَهَرَ الرُّوعَ الْمُسْتَأْسِدَ، وَسَرَّ الْحَبِيبَ وَسَاءَ الْحَاسِدَ⁽²⁾.

¹- ق: "ساقط."
²- ق، ع: "الفاسد" وكلاهما صحيح.

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي مُخَاطَبَةِ عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ [الْهَنْتَاتِي] (1)]

تَقُولُ لِي الْأَظْعَانُ وَالشَّوْقُ فِي الْحَشَا لَهُ الْحُكْمُ يَمْضِي بَيْنَ نَاهٍ وَأَمْرِ
إِذَا جَبَلَ التَّوْحِيدَ أَصْبَحْتَ فَارِعَاً فَخَيْمٌ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي دَارِ عَامِرِ
وَزُرْ تَرْبَةَ الْمَغْصُومِ إِنَّ مَرَارَهَا هُوَ الْحَجُّ يَمْضَى نَحْوَهُ كُلُّ ضَامِرِ
سَتَلْقَى بِمَثْوَى عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ تُغَوِّرُ الْأَمَانِي مِنْ ثَنَائِيَا الْبَشَائِرِ
وَلِلَّهِ مَا تَبْلُوهُ مِنْ سَعْدٍ وَجَهَةٍ وَلِلَّهِ مَا تَلْقَاهُ مِنْ يُمْنٍ طَائِرِ
وَتُسْتَغْمَلُ الْأَمْثَالُ فِي الدَّهْرِ مِنْكُمْ بِخَيْرِ مَزُورٍ أَوْ بِأَغْبَطِ زَائِرِ (2)

لَمْ يَكُنْ هَمِّي - أَبْقَاكَ اللَّهُ - مَعَ فَرَاغِ الْبَالِ، وَإِسْعَافِ الْأَمَالِ، وَمُسَاعَدَةِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ؛ إِذِ الشَّمْلُ جَمِيعٌ، وَالزَّمَنُ كُلُّهُ رَبِيعٌ، وَالِدَّهْرُ مُطِيعٌ سَمِيعٌ، إِلَّا زِيَادَتَكَ فِي جَبَلِكَ، [الَّذِي يَعْصِمُ مِنْ] (3) الطُّوفَانِ (4)، وَيُوَاصِلُ أَمْنَهُ (5) بَيْنَ النَّوْمِ وَالْأَجْفَانِ، وَإِنْ رَأَى الْأُفُقَ الَّذِي طَلَعَتْ مِنْهُ الْهَدَايَةُ، وَكَانَتْ إِلَيْهِ الْعَوْدَةُ وَمِنْهُ الْبِدَايَةُ.

فَلَمَّا حُمَّ (6) الْوَاقِعُ، وَعَجَزَ عَنِ خَرْقِ الدَّوْلَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الرَّاقِعِ، وَأَصْبَحَتْ دِيَارُ الْأَنْدَلُسِ وَهِيَ بِلَاقِعُ، وَحَسُنَتْ مِنْ اسْتِدْعَانِكَ إِيَّايَ الْمَوَاقِعُ، قَوِيَ الْعَزْمُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفاً، وَعَرَضْتُ عَلَى نَفْسِي السَّفَرَ فَوَجَدْتُهُ خَفِيفاً، وَالتَّمَسْتُ الْإِذْنَ حَتَّى لَا نَرَى فِي قِبْلَةِ السَّدَادِ تَحْرِيفاً، وَاسْتَقْبَلْتُكَ بِصَدْرِ

¹ - أ، م : ساقط والمثبت من ق ع، عامر بن محمد الهنتاتي : هو عامر بن محمد الهنتاتي، يكنى أبا ثابت، مشهور بالرجاحة، ومسدد اللسان للإبانة، من قرية هنتاتة، وكانت له مع أبي الحسن المريني في الوفاء أحاديث صحت عند أبي عنان، توفي سنة 771هـ الإحاطة: 216/4.

² - ديوان ابن الخطيب: 1 / 427. وهي من الطويل.

³ - ق: ساقط.

⁴ - يقول تعالى: {قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَمَ وَحَالٍ بَيْنَهُمَا الْمُوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} سورة هود، الآية: 43

⁵ - ق، ع : "منه" وهو تحريف.

⁶ - حم الشيء وأحم: " أي قدر فهو محمود" لسان العرب / حم: 63/4.

مَشْرُوحٍ، وَزَنْدٍ⁽¹⁾ لِلْعَزْمِ مَقْدُوحٍ، وَاللَّهُ يُحَقِّقُ السُّؤُولَ⁽²⁾، وَيُسَهِّلُ⁽³⁾ [يَمْتَوِي]⁽⁴⁾ الْأَمَاتِلِ⁽⁵⁾ الْمُثُولَ،
وَيُهَيِّئُ⁽⁶⁾ مِنْ قَبْلِهِ⁽⁷⁾ [هَنْتَاتَةَ]⁽⁸⁾ الْقَبُولَ وَالسَّلَامَ⁽⁹⁾

¹ - الزند والزنده: "خشبنا يستقح بهما، فالسفل زنده والأعلى زند" لسان العرب / زند: 63/7.

² - م : " الشمول".

³ - ق : " يمشي".

⁴ - ق: ساقط، ع: " يمشي".

⁵ - "أماثل القوم أي: " خيارهم". لسان العرب/ مثل: 19/14.

⁶ - ق: " يهنئ" ولعل الصواب ما أثبت.

⁷ - ق، ع : " قبيل" ولعل الصواب ما أثبت؛ "أصبت هذا من قبلك أي من جهتك وتلقائك...وهم قبلي وقبلائي: جمع قبيل وهو

الكفيل" أساس البلاغة/ قبل: 49 /2

⁸ - أ، م : ساقط ، والمثبت من باقي النسخ. هنتاته: "بكسر الهاء وفتحها، وسكون النون، وفتح التاء الفوقية، بعدها ألف ممدودة، ثم تاء مفتوحة بعدها هاء التانيث. اسم يطلق على جبل من جبال أطلس كما يطلق على القبيلة المقيمة فيه. ولقد لعبت دورا كبيرا أيام

الموحدين وبني مرين" التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص: 37

⁹ - ق، ع : ساقط.

[وَخَاطَبْتُهُ⁽¹⁾ مُعْزِيًّا عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ]⁽²⁾

"أَبَا ثَابِتٍ" كُنْ فِي الشَّدَائِدِ ثَابِتًا أَعِيذُكَ أَنْ يُلْفَى عَدُوُّكَ شَامِتًا
عَزَاؤُكَ عَنْ "عَبْدِ الْعَزِيزِ" هُوَ الَّذِي يَلِيْقُ بِعِزِّ مَنْكَ أَعْجَزَ نَاعِتًا
فَدَوْحَتُكَ الْغَنَاءُ طَالَتْ ذَوَائِبًا وَسَرَحَتُكَ الشَّمَاءُ طَابَتْ مَنَابِتًا
لَقَدْ هَدَّ أَرْكَانَ الْوُجُودِ مُصَابُهُ وَأَنْطَقَ مِنْهُ الشَّجْوُ مَنْ كَانَ صَامِتًا
فَمِنْ نَفْسٍ حُرٍّ أَوْثَقَ الْحُزْنَ كَظْمَهَا وَمِنْ نَفْسٍ بِالْوَجْدِ أَصْبَحَ خَافِتًا
هُوَ الْمَوْتُ فِي الْإِنْسَانِ فَصَلِّ لِحَدِّهِ فَكَيْفَ نُرْجِي أَنْ نُصَاحِبَ مَائِتًا
وَلِلصَّبْرِ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ رُجُوعُنَا إِذَا لَمْ نَكُنْ بِالْحُزَنِ نُزْجِعُ فَائِتًا⁽³⁾
اتَّصَلَ بِي أَيُّهَا الْهُمَامُ، وَبَدُرَ الْمَجْدُ الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ التَّمَامُ، مَا جَنَّتُهُ عَلَى⁽⁴⁾ عَلَيَائِكُمْ⁽⁵⁾
الْأَيَّامُ، [وَأَقْتَضَاهُ مُحَلِّقُ الرَّدَى بَعْدَ أَنْ طَالَ الْخِيَامُ]⁽⁶⁾، وَمَا اسْتَأَثَّرَ بِهِ الْحِمَامُ، فَلَمْ تُغْنِ⁽⁷⁾ الدِّمَامُ⁽⁸⁾،
مِنْ وَفَاةٍ صِنُوكَ الْكَرِيمِ الصَّفَاتِ، وَهَلَكَ وَسْطَى الْأَسْلَاقِ، وَبَدُرَ الْأَحْلَاقِ، وَمُجِيرِ⁽⁹⁾ الْأَمْلَاقِ،
وَذَهَابِ السَّمْحِ الْوَهَّابِ. وَأَنَا لَدَيْغُ صِلٍ⁽¹⁰⁾ الْفِرَاقِ، الَّذِي لَا يَضِيقُ بِأَلْفِ رَاقٍ، وَجَرِيحُ سَهْمِ الْبَيْنِ،
وَمُحَارِبُ⁽¹¹⁾ [سَهْمِ]⁽¹²⁾ الْعُيُونِ [الْجَارِيَةِ]⁽¹³⁾ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، لِفَقْدِ أَنْيَسٍ سَهْلٍ⁽¹⁴⁾ عَلَى مَضَضِ النَّكْبَةِ،

1- ع: "ومن ذلك في مخاطبة الرئيس عامر بن محمد بن علي الهنتاتي".

2- ق: ساقط. خاطب بها عامر بن محمد شيخ جبل "هنتاتة" يعزيه بأخيه.

3- ديوان ابن الخطيب: 176-177/1. وهي من الطويل.

4- ق: "من" ولعل الصواب ما أثبت؛ "وجنني على أهله: جر عليهم" أساس البلاغة / جني: 153 / 1

5- ق، ع: "عليانك" ولعل الصواب ما أثبت؛ تقديرًا وتعظيمًا له.

6- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع

7- م: "يغن" ولعل الصواب ما أثبت.

8- ق، ع: "الدفاع ولا نفع الزمام".

9- م: "مجبر" وهو تصحيف.

10- الصل: "الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها، ولا تنفخ فيها الرقية" لسان العرب / صلل: 247/8.

11- أ، ق، ع: "مجاري" والمثبت من م.

12- ق، ع: ساقط.

13- ق، ع: ساقط.

14- م: "سد" ولعل الصواب ما أثبت.

وَنَحَى ⁽¹⁾ لَيْتَ الْخَطْبِ مِنْ فَرِيسَتِي بَعْدَ صِدْقِ الْوَثْبَةِ، وَأَنْسَنِي فِي الْإِغْتِرَابِ، وَصَحْبِنِي إِلَى مُنْقَطَعِ
النُّرَابِ، وَكَفَلَ أَصَاغِرِي خَيْرَ الْكَفَالَةِ، وَعَامَلَنِي مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ بِمَا سَجَّلَ عَقْدُ الْوَكَالَةِ ⁽²⁾. انْتَزَعَهُ
الدَّهْرُ مِنْ يَدِي حَيْثُ لَا أَهْلَ وَلَا وَطَنَ، وَالْإِغْتِرَابُ قَدْ أَلْقَى بِعَطَنِ، وَذَاتُ الْيَدِ يَعْلَمُ حَالَهَا، مَنْ يَعْلَمُ
مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ.

وَرَأَيْتُ مِنْ تَطَارُحِ الْأَصَاغِرِ عَلَى شُلُوهِ الْغَرِيبِ، النَّازِحِ عَنِ النَّسِيبِ وَالْقَرِيبِ؛ مَا حَمَلَنِي عَلَى
أَنْ جَعَلْتُ الْبَيْتَ لَهُ ضَرِيحاً، وَمَدَفَنَّا صَرِيحاً، لِأَخْذَعِ مَنْ يَرَى أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُقِيماً لَدَيْهِ، وَإِنْ ظَلَّ
شَفَقَتِهِ مُنْسَحِبٌ ⁽³⁾ عَلَيْهِ، فَأَعْيَا ⁽⁴⁾ مُصَابِي عِنْدَ ذَلِكَ السَّرْحِ ⁽⁵⁾، وَأَعْظَمَ الظَّمَّ الْبَرْحَ، وَتَكَأ الْقُرْحُ
[الْقَرْح] ⁽⁶⁾؛ إِذْ كَانَ رُكْنًا قَدْ بَنَتْهُ لِي يَدُ مَعْرِفَتِكَ، وَمُتَّصِفًا فِي الْبِرِّ وَالرَّعْيِ [لِمَاءِ غَيْثِي] ⁽⁷⁾ بِكَرِيمِ
صِفَتِكَ. فَوَالْهَفِي عَلَيْهِ مِنْ حُسَامٍ، وَعِزُّ سَامٍ، وَأَيَّادِي جِسَامٍ، وَشُهُرَةٌ بَيْنَ بَنِي حَامٍ وَسَامٍ ⁽⁸⁾، إِلَى
جَمَالِ خَلْقٍ، وَوَجْهِ لِمَقَاصِدٍ ⁽⁹⁾ طَلْقٍ، وَشَيْمٍ تَطْمَحُ لِلْمَعَالِي بِحَقٍّ.

وَأَيُّ عَضْدٍ لَكَ يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى لَا يَهِينُ إِذَا سَطَا، وَلَا يُفْهَقِرُ إِذَا خَطَا، يُوجِبُ لَكَ عَلَى
تَحْلِيهِ ⁽¹⁰⁾ بِالشَّيْبَةِ ⁽¹¹⁾، مَا تُوجِبُهُ ⁽¹²⁾ النُّبُوَّةُ مِنَ الْهَيْبَةِ، وَيَرُدُّ ضَيْفَكَ آمِنًا مِنَ الْخَيْبَةِ، وَيَسُدُّ ثَغْرَكَ

1- أ، ق، ع: "تحمي"، والمثبت من م.

2- أ: "الوفاء له" والمثبت من باقي النسخ.

3- ق، ع: "منسحبا"، م: "مسجيا".

4- م: "ناعيا".

5- السرح: "شجر كبار عظام طوال لا يرعى وإنما يستظل به" لسان العرب / سرح: 164/7.

6- ع: ساقط.

7- أ: بياض، والمثبت من باقي النسخ.

8- أورد القلقشندي في "نهاية الأرب": "ولد نوح ساما ويافتا وحاما، وولد كل واحد من هؤلاء ثلاثة. فولد سام العرب وفارس والروم، وولد يافتا الترك والصقالبة وياجوج وماجوج، وولد حام القبط والسودان والبربر" ص: 35

9- ق، ع، م: "للقاصد" وهو تحريف.

10- ق، ع، م: "تجليه" وهو تصحيف.

11- م: "بالتنبيه" وهو تحريف.

12- ق، ع: "توحيه" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالهيبة من واجب النبوة.

عِنْدَ الْغَيْبَةِ. وَكَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْأَنْصَارِ: (أَنْتُمْ الْكَرْشُ وَالْعَيْبَةُ)⁽¹⁾ ذَهَبْتُ إِلَى الْجَذْعِ فَرَأَيْتُ مُصَابَهُ أَكْبَرَ، وَدَعَوْتُ بِالصَّبْرِ فَوَلَّى وَأَدْبَرَ. وَاسْتَنْجَدْتُ الدَّمَعَ فَنَضَبَ، وَاسْتَصْرَخْتُ الرَّجَاءَ فَأَنْكَرَ مَا رَوَى وَانْتَضَبَ. وَبِأَيِّ حُزْنٍ يُلْقَى [فَقَدْ]⁽²⁾ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَقَدْ جَلَّ فَقْدُهُ، أَوْ يُطْفَأُ لَاعِجُهُ وَقَدْ عَظُمَ وَقْدُهُ.

اللَّهُمَّ لَوْ بَكَى بِنْدَى أَيْدِيهِ، أَوْ بَعَمَامَ غَوَادِيهِ⁽³⁾، أَوْ بِعُبَابِ وَاْدِيهِ، وَهِيَ الْإَيَّامُ أَيُّ شَامِخٍ لَمْ تَهْدَهُ، أَوْ جَدِيدٍ لَمْ تُبْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْمُدَّةُ. فَرَقَّتْ بَيْنَ التَّيْجَانِ وَالْمَفَارِقِ، وَالْخُدُودِ وَالنَّمَارِقِ، وَالطَّلَا⁽⁴⁾ وَالْقَعُودِ، وَالْكَأْسِ وَابْنِهِ الْعُنْفُودِ. [فَمَا]⁽⁵⁾ التَّعَلُّ بِالْفَانِ، وَإِنَّمَا هِيَ إِغْفَاءَةٌ أَجْفَانٍ، وَالتَّشَبُّثُ بِالْحَبَائِلِ، وَإِنَّمَا هِيَ ظِلُّ زَائِلٍ. وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَوُقُوعُ سَهْمِهَا الصَّائِبِ، أُولَى مَا اعْتَمَدَ طِلَابًا، وَرَجَعَ إِلَيْهِ طَوْعًا أَوْ غِلَابًا. فَأَنَا يَا سَيِّدِي أَقِيمُ رَسْمَ التَّعْزِيَةِ، وَإِنْ بُوتُ بِالْمَضَاعِفِ الْمُرْزِيَةِ، وَلَا عَتَبَ عَلَى الْقَدْرِ، فِي الْوَرْدِ مِنَ [الْأَمْرِ]⁽⁶⁾ وَالصَّدْرِ. وَلَوْلَا أَنَّ هَذَا الْوَاقِعَ مِمَّا لَا يُجْدِي فِيهِ⁽⁷⁾ الْخُلْصَانُ، وَلَا يُغْنِي فِيهِ الْبِرَاعُ وَلَا الْخُرْصَانُ⁽⁸⁾، لَأَتَى جُهْدُهُ مَنْ أَفْرَضْتُمُوهُ مَعْرُوفًا، أَوْ كَانَ بِالتَّشْيِيعِ إِلَى تِلْكَ

1- قال - ^{صلى الله عليه وسلم} - "أوصيكم بالانصار فإنهم كرشى وعييتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم" رواه البخاري (2235/5) برقم 5652، ومسلم (1808/4) برقم 2665، وأحمد (56/6) برقم 24336. "أي موضع سري وأمانتي كما أن الكرش موضع علف المعتلف. وجاء يجر كرشه: عياله، وله كرش منثور: صبيان صغار" أ. ب/كرش، 2/ 130

2- ق، ع: ساقط.

3- أ، م: "عواديه" والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ فالغوادي هي السحب.

4- ق، ع: "الظلي". الطلا والطلو: الصغير من كل شيء". لسان العرب / طلا: 142/9.

5- م: ساقط.

6- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

7- ق، ع: "به" ولعل الصواب ما أثبت.

8- ق، ع: "لا الخرصان". أي لا يغني القلم ولا السيف.

الْهَضْبَةُ مَعْرُوفًا. لَكِنَّهَا سُوقٌ لَا تَتَفَقُّ⁽¹⁾ فِيهَا إِلَّا سِلْعَةُ التَّسْلِيمِ، لِلْحَكِيمِ الْعَلِيمِ، وَطَيَّ⁽²⁾ الْجَوَانِحِ عَلَى الْمَضَضِ الْأَلِيمِ.

وَلَعَمْرِي لَقَدْ خُلِدَ لِهَذَا الْفَقِيهِ، وَإِنْ طَمَسَ الْحِمَامُ مَحَاسِنَهُ الْوَضَّاحَةَ، لَمَّا كَبَسَ⁽³⁾ مِنْهُ السَّاحَةَ، صُحُفًا مُتَشَرَّةً، وَتُغُورًا بِالْحَمْدِ مُؤَثَّرَةً. يَفْخَرُ بِهَا بَنُوهُ، وَيَسْتَكْتِرُ مِنْهَا مُكْتَتِبُو الْحَمْدِ وَمُقْتَنُوهُ. وَأَنْتُمْ عِمَادُ الْفَازَةِ، وَعَلَمُ الْمَفَازَةِ، وَقُطْبُ الْمَدَارِ، وَعَامِرُ الدَّارِ، وَأَسَدُ الْأَجْمَةِ، وَبَطْلُ الْكُتَيْبَةِ الْمُلْجَمَةِ. وَكَافِلُ الْبَيْتِ، وَالسِّرُّ عَلَى الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ. وَمِثْلُكَ لَا يَهْدِي إِلَى نَهْجٍ⁽⁴⁾ لَاحِبٍ، وَلَا تُرْشِدُ أَنْوَارُهُ بَنُو الْحُبَابِ⁽⁵⁾، وَلَا يُنَبِّهُ عَلَى سُنَنِ نَبِيِّ كَرِيمٍ أَوْ صَاحِبٍ؛ قَدْزُكَ أَعْلَى، وَفَضْلُكَ أَجْلَى، وَإِنَّكَ⁽⁶⁾ صَدْرُ الزَّمَانِ بِلَا مُدَافِعٍ، وَخَيْرُ مُعَدٍّ لِأَعْلَامِ الْفَضْلِ رَافِعٌ.

وَأَنَا وَإِنْ اخْتَرْتُ⁽⁷⁾ [غَرَضَ الْعَزَاءِ]⁽⁸⁾ لِمَا خَصَّنِي مِنَ الْمُصَابِ، وَنَالَتَنِي مِنَ أَوْصَابِ، وَنَزَلَ بِي مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ الْعَصَابِ، مِمَّنْ يَقْبَلُ عُذْرَهُ الْكَرَمُ، وَيَسَعُهُ الْحَرَمُ الْمُحْتَرَمُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْكَفِيلُ لِسَيِّدِي وَعِمَادِي بِبَقَاءِ يُكْفَلُ بِهِ الْأَبْنَاءُ⁽⁹⁾ [وَأَبْنَاءُ الْأَبْنَاءِ]⁽¹⁰⁾، وَيُعْلِي لِقَوْمِهِ رُتَبَ الْعِزِّ سَامِيَةَ الْبِنَاءِ، حَتَّى لَا يُوحَشَ مَكَانُ فَقِيدٍ مَعَ وُجُودِهِ [وَلَا يُحَسُّ بَعْضُ زَمَانِهِ مَعَ جُودِهِ]⁽¹¹⁾، وَيُقَرَّرَ عَيْنُهُ فِي وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ، وَيَجْعَلُ أَيْدِي مُنَاوِيهِ تَحْتَ يَدِهِ وَالسَّلَامُ.

1- ق: "ينفق" م: "تنفق" ولعل الصواب ما أثبت.
2- ع: "وهي" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي الصير على المصاب.
3- أ، م: "ليس" والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ "كبسوا عليهم وكبَسُوا: افتحموا عليهم" أساس البلاغة / كبس: 120 / 2
4- أ: "نجح" م: "لجج" والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ "لحب الطريق: أوضحه وطريق لاحب ولحب" أساس البلاغة / لحب: 160 / 2
5- وفلان بغض إلى كل صاحب لا يوقد إلا نار الحباب، وهي مثل في النكد وعدم النفع "أساس البلاغة / حب، 163 / 1
6- أ، م: "أنت" والمثبت من ق، ع ولعلها الصواب.
7- ق، ع: "أخرت فضل بيعتك".
8- ق، ع: ساقط.
9- أ: "الأنباء"، والمثبت من باقي النسخ.
10- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.
11- ق، ع: ساقط.

[وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ⁽¹⁾ بِهِ السَّلْطَانَ أَبَا زِيَانَ⁽²⁾ عِنْدَمَا⁽³⁾ تَمَّ لَهُ

الْأَمْرُ وَوَلَّى مُلْكَ الْمَغْرِبِ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ]⁽⁴⁾

يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ يَا سَمِيَّ مُحَمَّدٍ	يَا مَنْ غَلَاهُ لَيْسَ يَخْصُرُ حَاصِرُ
أَبْشِرْ، فَأَنْتَ مُجَدِّدُ الْمُلْكِ الَّذِي	لَوْلَاكَ أَصْبَحَ، وَهُوَ رَسْمٌ دَاثِرُ
مَنْ ذَا يُعَانِدُ مِنْكَ وَارِثُهُ الَّذِي	بِسُغُودِهِ فَلَاكَ الْمَشِيئَةُ دَاثِرُ
أَلْقَيْتَ إِلَيْكَ يَدَ الْخِلَافَةِ أَمْرَهَا	إِذْ كُنْتَ أَنْتَ، لَهَا، الْوَلِيُّ النَّاصِرُ
هَذَا، وَبَيْنَكَ لِلصَّرِيحِ، وَبَيْنَهَا	حَرْبٌ مُضَرَّسَةٌ وَبَحْرٌ زَاخِرُ
مَنْ كَانَ هَذَا الصَّنْعُ أَوَّلَ أَمْرِهِ	حَسُنْتَ لَهُ الْعُقْبَى وَعَزَّ الْآخِرُ
مَوْلَايَ، عِنْدِي، فِي عُلاكَ مَحَبَّةٌ	وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ضَمَائِرُ
قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ جَابِرُ	كَسْرِي، وَحَظِّي، مِنْكَ، حَظٌّ وَافِرُ
بِشْرَى جُدُودِكَ قَدْ وَضَعْتَ حَقِيبَتِي	فَوْسِيلَتِي، لِعَلَّاكَ، نُورٌ بَاهِرُ
وَبَذَلْتَ وَسْعِي، وَاجْتِهَادِي، مِثْلَمَا	يَلْقَى لِمُلْكِكَ، سَيْفَ أَمْرِكَ، "عَامِرُ"
وَهُوَ الْوَلِيُّ لَكَ الَّذِي افْتَحَمَ الرَّدَى،	وَنَضَا الْعَزِيمَةَ، وَهُوَ سَيْفٌ بَاتِرُ
وَوَلِيَّ جَدِّكَ فِي الشَّدَائِدِ عِنْدَمَا	خَذَلَتْ غُلَاهُ قَبَائِلُ وَعَشَائِرُ
فَاسْتَهْدَ مِنْهُ النُّصْحَ وَاعْلَمْ أَنَّه	فِي كُلِّ مُغْضِلَةٍ طَبِيبٌ مَاهِرُ

¹ - ع: "في مخاطبة".

² - أبو زيان 739-767 محمد بن يعقوب بن علي بن عثمان المريني، أبو زيان المتوكل من ملوك الدولة المرينية بفاس، نشأ في دار الملك ثم ولي الملك بمبايعة من عمر بن عبد الله الفودوي سنة 763هـ، ومات قتيلا. الأعلام: 8/ 18-19

³ - ع: "لما".

⁴ - ق: ساقط.

وَبَعَثْتَهَا لِتُؤَبِّقَ قَبْلَ تَوَصُّلِي لَكَ، إِذْ عَرَانِي، عَنْكَ، عُذْرٌ ظَاهِرٌ

إِنْ كُنْتُ قَدْ عَجَلْتُ بَعْضَ مَدَائِحِي فَهِيَ الرِّيَاضُ وَلِلرِّيَاضِ بَوَاكِرُ⁽¹⁾

مَوْلَانَا، وَعِصْمَةُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا، الَّذِي سَخَّرَ اللَّهُ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ⁽²⁾ بِأَمْرِهِ⁽³⁾، وَحَكَمَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ بِعِزِّ نَصْرِهِ، وَأَغْنَى يَوْمَ سَعْدِهِ عَنْ سَلِّ السَّلَاحِ وَشَهْرِهِ، وَقَتَّقَ عَنْ زَهْرِ الصَّنِيعِ الْجَمِيلِ كِمَامَةَ تَسْلِيمِهِ وَصَبْرِهِ، وَقَبَضَ لَهُ فِي عِلْمِ غَيْبِهِ وَزِيَرًا مَذْخُورًا لِشِدَّةِ أَزْرِهِ، وَقَوْدِ الْمُلْكِ إِلَيْهِ فِي حَالِ حَصْرِهِ⁽⁴⁾.

الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ، الَّذِي اسْتَبَشَرَ بِهِ الْإِسْلَامُ، وَخَفَقَتْ لِعِزِّهِ الْعِلَامُ، وَلَاحَ بَدْرٌ مُحْيَاهُ فَافْتَضَحَ الْإِظْلَامُ، الْمُقْتَدِي بِالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ، سَمِيَهُ فِي الْمَرَاشِدِ الَّتِي تَأَلَّقَ مِنْهَا الصُّبْحُ، وَالْمَقَاصِدِ الَّتِي لَزَمَهَا النُّجُجُ، وَالتَّمَحِيصُ الَّذِي تَبَعَ مِنْهُ الْمَنْحُ، حَتَّى فِي الْهَجْرَةِ الَّتِي جَاءَ بَعْدَهَا الْفَتْحُ، أَبُو زِيَانَ ابْنُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ، وَلِيُّ الْعَهْدِ تَرْشِيحًا وَمَالًا، وَمُؤَمِّلُ الْإِسْلَامِ تَقْلُدًا لِلْمَذْهَبِ الصَّرِيحِ وَانْتِحَالًا، وَأَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ لَوْ أَوْسَعَهُ الْقَدَرُ إِمَهَالًا، وَوُسْطَى عَقْدِ الْبَيْنِ، خَلَائِقَ مُتَعَدِّدَةً وَخِلَالًا، الْمُتَحَفُّ بِالسَّعَادَةِ⁽⁵⁾، وَلَمْ يَعْرِفْ بَدْرُهُ⁽⁶⁾ هَلَالًا، الْمُعَوِّضُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ سَعَادَةً أَلْبَسَتْهُ سِرْبَالًا، وَأَبْلَغَتْهُ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ أَمَالًا؛ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ، كَبِيرِ⁽⁷⁾ الْخُلَفَاءِ، وَعُنْصُرِ الصَّبْرِ وَالْوَفَاءِ، وَسِتْرِ اللَّهِ الْمَسْدُولِ عَلَى الضُّعْفَاءِ، وَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، الْمُنِيفِ عَلَى

¹ - ديوان لسان الدين بن الخطيب، تحقيق الدكتور محمد مفتاح، 1: 381-382. خاطب ابن الخطيب السلطان "أبا زيان" رحمة الله عليه، يهنئه على يدي مُصْرَفِ أمره "عامر بن محمد". وهي من الكامل.

² - م: "البر والبحر".

³ - قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرْءُوفٌ رَحِيمٌ سورة الحج، الآية: 65.

⁴ - م: "عصره" وهو تحريف.

⁵ - ق، ع: "بالشهادة". ولعل الصواب ما أثبت.

⁶ - ق: "بعده". ولعل الصواب ما أثبت؛ كناية عن دوام علوه وعدم أفضله.

⁷ - ق، ع: "عظيم". وكلاهما صحيح.

مَرَكَزِ النُّجُومِ بِهِمَّهٖ وَآمَالِهِ، الْمُقَدَّسِ أَبِي الْحَسَنِ، ابْنِ مَوَالِينَا الْخُلَفَاءِ الطَّاهِرِينَ⁽¹⁾، وَالْأَيْمَةَ الْمُتَرَتِّبِينَ، مِنْ قَبِيلِ بَنِي مَرَيْنَ، وَصَفْوَةِ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَزِينَةَ الدُّنْيَا، وَعُمْدَةَ الدِّينِ.

هَنَّاهُ اللَّهُ مَا أَوْزَتْهُ مِنْ سَرِيرِ الْمُلْكِ الْأَصِيلِ، وَخَوَّلَهُ مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ عَلَى الْإِجْمَالِ وَالنَّقْصِيلِ، وَتَوَجَّهَ مِنْ تَاجِ الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ عِنْدَ اسْتِبَاهِ السَّبِيلِ، وَعَوَّضَهُ مِنْ قَبِيلِ الْمَلَائِكَةِ، عِنْدَ تَشْنُّتِ الْقَبِيلِ، وَجَعَلَ قَدَمَهُ الرَّاسِخَةَ، وَآيَتَهُ⁽²⁾ النَّاسِخَةَ، وَرُبُوتَهُ السَّامِيَةَ الْبَادِخَةَ، وَعِزَّةَ نَصْرِهِ الشَّامِخَةَ⁽³⁾، وَأَوَزَعَهُ شُكْرَ آلَائِهِ فِي الْخَلَاصِ مِنْ مَلَكَةِ أَعْدَائِهِ، وَخَطَرَ الْبَحْرِ وَعُدْوَانِ مَا بِهِ، وَغَوْلِ السَّفَرِ، وَارْتِكَابِ الْغَرَرِ، وَثَبَاتِ أَفْدَامِ أَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا، وَلَا ارْتَضَوْا لِقِبْلَةَ طَاعَتِهِ بَعْدَ أَنْ وَلَّوْا وَجُوهَهُمْ شَطْرَهَا تَحْوِيلًا⁽⁴⁾، بَلْ صَبَرُوا جَمِيلًا⁽⁵⁾، وَبَاعُوا نَفُوسَهُمْ تَتَمِيمًا لِعُقْدَةِ إِيْمَانِهِمْ وَتَكْمِيلًا. يُسَلِّمُ عَلَى مَقَامِكُمْ الَّذِي وَسَمَ⁽⁶⁾ السَّعْدُ مَشْرِقَ جَبِينِهِ، وَذَخِرَتْ قَبْلَ الطَّاعَةِ لِيَمِينِهِ، وَأَقْسَمَ الدَّهْرُ بِمُظَاهَرَةِ أَمْرِهِ السَّعِيدِ، فَبَرَّ - وَالشُّكْرُ لِلَّهِ - فِي يَمِينِهِ عَبْدُكُمْ، الَّذِي اعْتَلَقَ مِنْكُمْ بِالْوَسِيلَةِ الْكُبْرَى، وَقَرَّ بِمُلْكِكُمْ عَيْنًا، وَشَرَحَ صَدْرًا، وَبَذَلَ الْجُهْدَ، وَإِنْ جَلَّ قُدْرَةٌ وَقَدْرًا، وَالتَّمَسَ لَكُمْ الدُّعَاءَ عَلَنًا وَسِرًّا.

¹- ق، ع : "الراشدين" وكلاهما صحيح.

²- ق، ع : "آياته" ولعل الصواب ما أثبت؛ لتوالي المفردات.

³- ق، ع : "الشادخة" وكلاهما صحيح؛ فعزة نفسه عالية شامخة، وشادخة أي كاسرة لغيرها.

⁴- يقول تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۚ فَلَنُلَاقِيَنَّكَ قِبْلَتَكَ تَرْضَاهَا ۚ} قَوْلَ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ} سورة البقرة، الآية: 144.

⁵- قال تعالى : {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَثِيرٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۚ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۚ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} سورة يوسف، الآية: 18.

⁶- ق، ع : "رسم" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي جعل السعد سمة راسخة في جبينه كالغرة.

ابْنُ الْخَطِيبِ⁽¹⁾ الَّذِي حَطَّ رَحْلَ انْتِظَارِهِ⁽²⁾ بِثَرَابِ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ مِنْ جُودِكُمْ، مَحَارِبِ بَرِّكُمْ،
وَأَسْبَابِ وُجُودِكُمْ وَإِبَائِكُمْ، الَّذِينَ فِي مَظَاهِرَتِهِمْ وَرَعِيهِمْ، تَظْهَرُ لِلنَّاسِ مَخَايِلُ هَدْيِكُمْ⁽³⁾، وَتُدْرُ
سَحَائِبَ جُودِكُمْ، مُلْتَحِفًا مُنْذُ سِنِينَ [بِأَسْتَارِ]⁽⁴⁾ قُبُورِهِمْ وَثِيَابِهَا، مُسْتَظِلًّا بِأَقْبِيَّتِهَا⁽⁵⁾ الْمُعْظَمَةَ وَقِبَابِهَا،
مُمَرِّغًا خَدَّهُ بِثَرَابِهَا، مُوَاصِلًا الصُّرَاخَ بِآلِ مَرَيْنَ وَبِآلِ يَعْقُوبَ، مُتَطَارِحًا عَلَى أَبْوَابِهَا.

فَلَمْ يُتِحِ اللَّهُ [لَهُ]⁽⁶⁾ نُصْرَةً تَرْعَى الضَّعِيفَ، وَتَحْمِي الدَّخِيلَ، أَوْ حَمِيَّةً تَرْفَعُ الضَّيِّمَ، وَتَشْفِي
الْغَلِيلَ إِلَّا عَلَى يَدَيْكُمْ يَا الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ [ابْنَ الْكَرِيمِ]⁽⁷⁾، وَبَطَلَ الْمَيْدَانَ فِي مَوْقِفِ الْهَوْلِ الْعَظِيمِ،
الْمَنْصُوبِ لِلْمَظْلُومِ وَإِنْصَافِ الْغَرِيمِ، وَإِجَالَةَ أَقْلَامِ الْفَتْحِ، لِفَتْحِ الْأَقَالِيمِ، كَتَبَهُ مُهْنًا بِمَا سَنَاهُ اللَّهُ،
لِمُلْكِكُمْ مِنَ الصَّنْعِ الَّذِي خَرَقَ حِجَابَ الْمُعْتَادِ⁽⁸⁾، وَأَرَى أَنْوَاعَ [الْيَمْنِ وَالْإِسْعَادِ]⁽⁹⁾، مُعْجَلًا ذَلِكَ بَيْنَ
يَدَيِ الْمُبَادَرَةِ⁽¹⁰⁾ إِلَى لَثَمِ بَسَاطِكُمْ الَّذِي تُصَرِّفُ إِلَيْهِ الْوُجُوهَ، وَتَخْشَاهُ الْأَمْلاكَ الْجَبَابِرَةُ وَتَرْجُوهُ،
وَأَدَاءِ⁽¹¹⁾ الْوَاجِبِ مِنَ الْقِيَامِ بِمَنْظُومِ ثَنَائِهِ فِي الْحَقْلِ الْمَشْهُودِ، وَإِبْلَاحِ لِسَانِ الْحَمْدِ وَسُعَى
الْمَجْهُودِ⁽¹²⁾، وَالْقَاءِ مَا عِنْدَ الْعَبْدِ مِنْ خُلُوصٍ وَجُنُوحٍ، وَحُبٍّ وَضَحٍ⁽¹³⁾ أَيْ وَضُوحٍ.

1- ق، ع: "فلان".

2- ق، ع: "انتصار" وكلاهما صحيح؛ فهو ينتظر كرمهم، بهم سيحقق النصر.

3- أ، م: "هداهم". والمثبت من ق، ع.

4- أ، م: ساقط، ق، ع: "بأصونة". والمثبت من م.

5- أ، م: "بأقيلتها" والمثبت من ق، ع.

6- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع، م.

7- ق، ع: ساقط.

8- ق، ع: "العادة" ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.

9- ق، ع: ساقط.

10- أ، م: "المبادئ" والمثبت من ق، ع.

11- أ، م: "مؤديا" والمثبت من ق، ع.

12- ق، ع: "الموجود" وه تحريف.

13- ق، ع: "واضح".

فَوَلِيَّ دَعْوَتِكُمْ الشَّيْخُ ابْنُ ثَابِتٍ ⁽¹⁾ -أَعَزَّهُ اللهُ- يُقَرِّرُهُ، وَيُبَيِّنُ مُجْمَلَهُ وَيُفَسِّرُهُ. وَالْعَبْدُ وَاثِقٌ
بِفَضْلِ اللهِ عَلَى يَدَيْكُمْ، وَمُلْتَمِسُ النَّصْرِ ⁽²⁾ لَدَيْكُمْ، وَقَاطِعٌ أَنَّ طَلِبَتَهُ بِكُمْ تَتَسَنَّى، وَأَنَّكُمْ سَبَبُ عَاقِبَتِهِ
الْحُسْنَى، إِمَّا بِالظُّهُورِ عَلَى الْوَطَنِ الَّذِي تَجَرَّأَ الْمُتَغَلَّبُ بِهِ عَلَى مُلْكِكُمْ، وَمَدَّ الْيَدَ إِلَى نَشْرِ سِلْكِكُمْ ⁽³⁾،
وَتَقْضَى أَثَرُ ⁽⁴⁾ [سَلَفِكُمْ] ⁽⁵⁾ الْمُسْلِمَ الْمُحَرَّرَ، وَزَلْزَلَ وَطَنَكُمْ الْمُؤَسَّسَ عَلَى الطَّاعَةِ [بِكُمْ] ⁽⁶⁾ الْمُقَرَّرَ،
وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي بَسَائِطِكُمْ وَجِبَالِكُمْ، وَأَطْلَقَ يَدَ الْفِتْنَةِ عَلَى بُيُوتِ أَمْوَالِكُمْ، مُكْثِرًا عَلَيْكُمْ بِالْقِلَّةِ، مُتَعَزِّزًا
بِالدَّلَّةِ، جَانٍ عَلَى دَارِكُمْ بِمَا لَا تُبِيحُهُ الْمِلَّةُ، أَوْ بِالشَّفَاعَةِ الْجَارِمَةِ، إِنْ لَمْ يَتَأَذَّنِ اللهُ فِي
الْإِنْصِرَافِ ⁽⁷⁾ وَاللهُ يَجْعَلُ الظُّهُورَ لَكُمْ مِنَ الْأَوْصَافِ، وَيُعِينُكُمْ عَلَى جَبْرِ الْكَسِيرِ، [وَتَيْسِيرِ الْأَمَلِ] ⁽⁸⁾
الْعَسِيرِ، وَيُهَنِّئُكُمْ مَنِيحَةَ الْمُلْكِ الْكَبِيرِ ⁽⁹⁾ وَيُبْقِي كَلِمَتَهُ فِي عَقَبِكُمْ تَمَلًّا ⁽¹⁰⁾ التَّعْمِيرِ. وَالسَّلَامُ [عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ] ⁽¹¹⁾.

1- ق، ع : "أبو ثابت".
2- أ، م: "النظر". والمثبت من ق، ع.
3- م: "مسكم" ولعل الصواب ما أثبت.
4- ق، ع : "إرتكم" ولعل الصواب ما أثبت.
5- ق، ع : ساقط.
6- ق، ع : ساقط.
7- أ: "الإصاف". ق، ع : "الانتصاف" والمثبت من م.
8- ق: "الأمر" وكلاهما صحيح.
9- ع : ساقط.
10- م: "يخلد" وكلاهما صحيح.
11- ق، ع : ساقط.

[وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ أَبَا ثَابِتٍ عَامِرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَنْتَاتِي (1) بِمَا نَصَّهُ (2)]

سَيِّدِي الَّذِي هُوَ رَجُلُ الْمَغْرِبِ كُلِّهِ، وَالْمُجْمَعُ عَلَى [فَضْلِهِ] (3) وَطَهَارَةِ بَيْتِهِ، وَزَكَاءِ أَصْلِهِ، عَلَّمَ
أَهْلَ الْمَجْدِ وَالِدِينَ، وَبَقِيَّةُ كِبَارِ الْمُوَحِّدِينَ. بَعْدَ السَّلَامِ عَلَى تِلْكَ الْجَلَالَةِ الرَّاسِخَةِ الْقَوَاعِدِ، السَّامِيَةِ
الْمَصَاعِدِ، وَالِدُعَاءِ لِلَّهِ أَنْ يَفْتَحَ لَكَ فِي مَضِيقاتِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مَسَالِكَ التَّوْفِيقِ، وَيُمْسِكَ مِنْ
عِصْمَتِهِ بِالسَّبَبِ الْوَثِيقِ.

أَعْرَفُكَ (4) أَنَّ جَبَلَكَ الْيَوْمَ -وَقَدْ عَظُمَ الرَّجْفَانُ وَفَارَ (5) النَّتُّورُ وَطَغَى الطُّوفَانُ- تُوَمِّلُ النُّفُوسُ
الْعَرَقِيَّ جُودِيَّ جُودِهِ، [وَتَرْجُو التَّمَسُّكَ بِالْمَوْجُودِ مَعَ وُجُودِهِ] (6) وَوَاللَّهِ لَوْلَا الْعَلَقُ الَّتِي يَجِبُ لَهَا
الِاتِّزَامُ، مَا وَقَعَ عَلَى غَيْرِ قَصْدِكَ الْإِعْتِرَاضُ. وَاللَّهُ يَمْدُكَ بِإِعَانَتِهِ عَلَى تَحْمِلِ الْقُصَادِ، وَيُبْقِي
مَجْدَكَ (7) رَفِيعَ الْعِمَادِ، [كَثِيرَ الرَّمَادِ] (8)، وَيَجْعَلُ (9) أَبَا يَحْيَى خَلْفًا مِنْكَ بَعْدَ عُمَرِ النَّهَائِيَةِ، الْبَعِيدِ
الْأَمَادِ، وَيُبْقِي كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ فِيكُمْ إِلَى يَوْمِ النَّتَادِ.

¹- لعب دورا كبيرا في الدولة المرينية حتى قتله عبد العزيز سنة 771هـ. العبر: 7 / 300-318. نفح الطيب: 9 / 117-120. الاستقصا: 4 / 17-56.

²- أ، ق، م: ساقط، والمثبت من ع.

³- ق، ساقط.

⁴- أ، م: "أعرفك" والمثبت من ق، ع.

⁵- ق، ع: "فاض" ولعل الصواب ما أثبت؛ لقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} سورة هود، الآية: 40

⁶- ق، ع: ساقط.

⁷- ق، ع: "مهلك" وكلاهما صحيح.

⁸- ق: ساقط.

⁹- أ، م: "جعل"، والمثبت من ق، ع.

وَحَامِلُهُ الْقَائِدُ الْكَذَّاءُ مَعْرُوفُ النَّبَاهَةِ⁽¹⁾ وَالْجِهَادِ، وَمَحَلُّهُ لَا يُنْكَرُ فِي الْقَوَادِ، لَمَّا اشْتَبَهَتْ السُّبُلُ،
وَالنُّبَسَ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ، لَمْ يَجِدْ⁽²⁾ أَنْجَى مِنَ الرُّكُونِ إِلَى جَنَابِكَ [وَالْتَّمَسُكَ بِأَسْبَابِكَ]⁽³⁾ وَالْإِنْتِظَامَ فِي
سِلِّكَ خَوَاصِّكَ وَأَحْبَابِكَ، حَتَّى يَنْبَلِجَ الصُّبْحُ، وَيُظْهَرَ النُّجُجُ، وَيَكُونَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ الْفَتْحُ. وَمِثْلُكُمْ مَنْ
فُصِدَ وَأُمِّلَ، وَأُنْضِيَ إِلَيْهِ الْمَطِيُّ⁽⁴⁾ وَأُعْمِلَ.

وَأَمَّا الَّذِي بِهِ⁽⁵⁾ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ تِلْكَ الذَّاتِ الشَّرِيفَةِ، وَالْقَوْلِ بِمَنَاقِبِهَا الْمُنِيفَةِ، فَهُوَ شَيْءٌ لَا تَقِي
بِهِ الْعِبَارَةُ، وَلَا تُؤَدِّيهِ الْأَلْفَاظُ الْمُسْتَعَارَةُ. [وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ فِي صَلَةِ عِزَّةِ سَيِّدِي وَدَوَامِ سَعْدِهِ
وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ]⁽⁶⁾ [وَالسَّلَامُ]⁽⁷⁾

1- ق، ع: "النهاية". ولعل الصواب ما أثبت.
2- أ، م: "أجد" والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب؛ لعودة الضمير على القائد.
3- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.
4- ق، ع: "المطل" وهو تحريف.
5- ق، ع: "النهاية" وهو تحريف.
6- م: ساقط، والمثبت من ق، ع.
7- ق، ع: ساقط.

[وَحَاطَبْتُ شَيْخَ الدَّوْلَةِ يَحْيَى بْنَ رَحُو بِقَوْلِي] (1)

سَيِّدِي [الَّذِي] (2) لَهُ الْمَزِيَّةُ الْعُظْمَى، وَالْمَحَلُّ الْأَسْمَى، شَيْخُ قَبِيلِ بَنِي مَرِينٍ (3)، وَقُطِبُ مَدَارِ الْأَحْرَارِ عَلَى الْإِجْمَالِ وَالْتَعْيِينِ، وَالْمُتَمَيِّزُ بِالذَّهَاءِ وَالرَّجَاحَةِ (4)، وَالْمَعْرِفَةُ الْفَسِيحَةُ السَّاحَةِ، وَالصَّدَقَةُ الْمُبَاحَةُ، وَشُرُوطُ الصُّوفِيَّةِ (5) مِنْ تَرْكِ الْأَذَى وَوُجُودِ الرَّاحَةِ.

أَسَلَّمُ عَلَى ذَاتِكَ الطَّاهِرَةِ الَّتِي بَخَلَتْ الْأَرْزَامُ -وَاللَّهُ- أَنْ تَأْتِيَ بِنَظِيرِهَا، وَتَتَأَفَّسَتْ الدُّوَلُ فِي تَكْبِيرِهَا، وَسَارَتْ الْكَوَكِبُ الْمَلَكِيَّةُ بِمَسِيرِهَا، وَأَثْنَتْ الْأَلْسُنُ بِفَضْلِهَا وَخَيْرِهَا. وَأَقَرُّ لَدَيْهَا أَنَّنِي [أَعَدَدْتُ] (6) مِنْ مَعْرِفَتِهَا بِالْأَنْدَلُسِ كَنْزًا، لَمْ أَنْفِقْ مِنْهُ إِلَى الْيَوْمِ وَزْنًا، إِعْدَادًا لَهُ وَحُزْنًا؛ إِذْ لَا يَخْرُجُ الْقَتَادُ (7) الْكَبِيرُ، إِلَّا عَنْ حَاجَةٍ وَفَاقَةٍ، [وَلَا تَرُدُّ الْيَدُ إِلَى الذَّخِيرَةِ إِلَّا فِي إِضَاقَةٍ وَعَجْزِ طَاقَةٍ. وَمَا كَانَتْ الْوَصْلَةُ بِمِثْلِهِ لِيُهْمَلَهَا] (8) مِثْلِي جَهْلًا بِقِيَمَتِهَا الْعَالِيَةِ، أَوْ إِزْرَاءً (9) بِجَهَّتِهَا الْكَافِلَةِ الْكَافِيَةِ؛ لَكِنْ نَابَتْ عَنْ يَدِهَا أَيْدٍ، وَأَعْفَى عَنْ ابْتِدَالِهَا مَا كَيْفَ اللَّهُ مِنْ عَمْرٍو وَزَيْدٍ.

وَالآنَ [أَقَرُّ] (10) أَنِّي قَدْ كَادَتْ حَاجَتِي إِلَى ذَلِكَ الْقَتَادِ [أَنْ تَتَمَحَّضَ، وَزُبْدَتُهُ] (11) أَنْ تَتَمَحَّضَ (12)؛ إِذْ هُوَ حَظِي مِنْ رَعْيِي ذَلِكَ الْقَبِيلِ الَّذِي قَصُرَتْ عَلَيْهِ رِئَاسَتُهُ، وَالْوَزِيرِ الَّذِي مِنْ رَأْيِهِ تُسْتَمَدُّ سِيَاسَتُهُ.

1- ق: ساقط، ومكانه، "ومن ذلك".

2- ق: ساقط.

3- "المرينيون، بنو مرين، أو بنو عبد الحق: سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب الأقصى من ق 13 إلى ق 15 ميلادي، وتوسعت حدود دولتهم خارج نطاق المغرب في عهد السلطان أبي سعيد الأول، ويوسف بن يعقوب، وخاصة أيام أبي الحسن المريني الذي ضم لدولته المغرب الأوسط والأدنى فوحد المغرب الكبير تحت رايته، مسيطرا على بلاد السوس ومعاقل الصحراء جنوبا" العبر، ابن خلدون: 244 / 7

4- أ، ع، م: "الوجهة". والمثبت من ق.

5- "التصوف في ظاهره فن من فنون الحياة يعمل على ضبط السلوك في اتجاه معرفة الخالق. أما باطنه فالتحقق بآداب الشريعة" قاموس المصطلحات الصوفية، دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأنبياء، أيمن حمدي، ص: 12

6- أ: ساقط، والمثبت من ق، ع، م.

7- م: العناد" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالقتاد هو شجر صلب له شوك كالإبر، ومنه يستخرج أجود الصمغ.

8- ق: ساقط.

9- م: "ازدراء" كلاهما صحيح.

10- م: ساقط.

11- ق: ساقط.

12- أ: "تمخض"، والمثبت من باقي النسخ.

وَإِذَا وَقَدَ خَاصَّةً⁽¹⁾ أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مُهَنِّينَ، وَبَشُكْرِ الْإِيَالَةِ الْكَرِيمَةِ مُثْنِينَ، فَجَهَّتْهُ ظِلِّي الظَّلِيلُ،
وَمُشَارَكَتُهُ مُعْتَمَدِي فِي الْكَثِيرِ، فَكَيْفَ وَلَا غَرَضَ لِي⁽²⁾ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ. وَعِنْدِي أَنَّ رَعِيَهُ لِمِثْلِي لَا
يَفْتَقِرُ إِلَى⁽³⁾ وَسِيلَةٍ تُجْلِبُ، وَلَا ذِمَامٍ يُحْسِبُ، فَمِثْلُهُ مَنْ قَرَّرَ قَدَرَ الْهَنَاءِ، وَشَدَّ⁽⁴⁾ أَعْلَامَ الْحَمْدِ
سَامِيَةَ الْبِنَاءِ، وَعَلِمَ أَنَّ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَحَقُّ الْأَشْيَاءِ. وَقَدْ رَفَعْتُ أَمْرِي بَعْدَ اللَّهِ إِلَى رَأْيِكَ، وَغَنَيْتُ
عَنْ سَعْيِي لِنَفْسِكَ بِجَمِيلِ سَعْيِكَ. وَالسَّلَامُ.

¹ - ع، م "خاصته" ولعل الصواب ما أثبت.

² - ق، ع: "فكيف لا والغرض".

³ - ق، ع: "إلا" ولعل الصواب ما أثبت.

⁴ - م: "سد" وهو تصحيف.

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي مُخَاطَبَةِ شَيْخِ الْعَرَبِ مُبَارَكِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ⁽¹⁾] ⁽²⁾

عَرَصَاتُ دَارِكَ لِلضَّيَافِ مَبَارِكُ	وَبِضْوَةِ نَارِ قِرَاكَ يُهْدَى السَّالِكُ
وَنَوَالِكَ الْمَبْدُولُ قَدْ شَمَلَ الْوَرَى	طُرّاً وَفَضْلُكَ لَيْسَ فِيهِ مُشَارِكُ
قُلْ لِلَّذِي قَالَ: الْوُجُودُ قَدْ انْطَوَى	وَالْبَاسُ لَيْسَ لَهُ حُسَامٌ فَاتِكُ
وَالْجُودُ لَيْسَ لَهُ غَمَامٌ هَاطِلُ	وَالْمَجْدُ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ بَاتِكُ
جَمَعَ السَّجَاةَ وَالرَّجَاةَ وَالنَّدَى	وَالْبَاسُ وَالرَّأْيَ الْأَصِيلَ مُبَارِكُ
لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَلِلشَّيْمِ الْعُلَى	وَالْجُودُ إِنْ شَحَّ الْغَمَامُ السَّافِكُ

عِنْدَ الْهِيَاجِ "رَبِيعَةُ بْنُ مُكَدَّمٍ"

¹ - "هو مبارك بن إبراهيم بن عطية الخلطي صاحب الشورى في عهد أبي الفضل قتله عبد العزيز في شوال سنة 771هـ" تاريخ ابن خلدون: 2/ 480
² - ق: ساقط.

فِي الْفَضْلِ وَالْتَّقْوَى "الْفَضِيلُ" وَ"مَالِكُ"

وَرِثَ الْجَلَالََةَ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ فَكَأَنَّهُمْ مَا غَابَ مِنْهُمْ هَالِكُ
فَجَرَّيَاؤُهُ لِلْأَمَلِينَ مَرَاكِبُ وَخِيَامُهُ لِلْقَاصِدِينَ أَرَائِكُ
فَإِذَا الْمَعَالِي أَصْبَحَتْ مَمْلُوكَةً أَغْنَانَاقُهَا بِالْحَقِّ فَهُوَ الْمَالِكُ
يَا فَارِسَ الْعَرَبِ الَّذِي مِنْ بَيْتِهِ حَرَّمَ لَهَا حَجَّ بِهِ وَمَنَاسِكُ
يَا مَنْ يُبَشِّرُ بِاسْمِهِ قُصَّادُهُ فَلَهُمْ إِلَيْهِ مَسَارِبُ وَمَسَالِكُ
أَنْتَ الَّذِي اسْتَأْثَرْتُ فِيكَ بَغِطَتِي وَسِوَاكَ فِيهِ مَآخِذُ وَمَتَارِكُ
لَا زِلْتُ نُورًا يُهْتَدَى بِضِيَائِهِ مِنْ جُنَّةٍ لِلرُّوعِ لَيْلٌ حَالِكُ
وَيَخْصُ مَجْدَكَ مِنْ سَلَامِي عَاطِرُ كَالْمِسْكِ صَاكُ بِهِ الْغَوَالِي صَائِكُ⁽¹⁾

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَ بَيْتَكَ شَهِيرًا، وَجَعَلَكَ لِلْعَرَبِ أَمِيرًا، وَجَعَلَ اسْمَكَ فَأَلًا، وَوَجَّهَكَ جَمَالًا،
وَقُرْبَكَ جَاهًا، وَآلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - لَكَ الْآل.

أُسَلِّمُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْعَرَبِ، وَابْنَ أُمَرَائِهَا، وَقُطْبَ سَادَتِهَا وَكُبْرَائِهَا، وَأُهْنِّئُكَ بِمَا مَنَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى
مِنْ شُهْرَةٍ تَبْقَى، وَمَكْرَمَةٍ لَا يَضِلُّ الْمُتَصِفُ بِهَا وَلَا يَشْقَى⁽²⁾؛ إِذْ جَعَلَ خَيْمَتَكَ فِي هَذَا الْمَغْرِبِ عَلَى
اتِّسَاعِهِ، وَاخْتِلَافِ أَشْيَاعِهِ، مَأْمَنًا لِلْخَائِفِ، عَلَى قِيَاسِ الْمَذَاهِبِ وَالطَّوَائِفِ، وَصَرَفَ الْأَلْسِنَةَ إِلَى
مَدْحِكَ، وَالْقُلُوبَ إِلَى حُبِّكَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِسِرِّيرَةِ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ.

¹ - ديوان ابن الخطيب: 2 / 473. وهي من الكامل.
² - قال تعالى: {قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۚ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۚ فَلِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} سورة طه، الآية: 123

وَلَقَدْ كُنْتُ -أَيَّامَ تَجْمَعُنِي وَإِيَّاكَ الْمَجَالِسُ السُّلْطَانِيَّةُ- عَلَى مَعْرِفَتِكَ مُتَهَالِكًا، وَطَوَّعَ الْأَمَلَ سَالِكًا⁽¹⁾، لِمَا يُلَوِّحُ عَلَى وَجْهِكَ مِنْ سِيَمَاءِ الْمَجْدِ وَالْحَيَاءِ، وَالشَّيْمِ الدَّالَّةِ عَلَى الْعُلْيَاءِ، وَزَكَاةِ الْأُصُولِ وَكَرَمِ الْآبَاءِ. وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنَ لِلِقَاءِ خَالِ السُّلْطَانِ قَرِيبِكُمْ، لَمَّا تَوَجَّهَ فِي الرِّسَالَةِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ نَائِبًا فِي تَأْنِيْسِهِ عَنْ مَخْدُومِهِ، وَمُنَوَّهًا حَيْثُ حَلَّ بِقُدُومِهِ، وَاتَّصَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا الْمُهَادَاةُ وَالْمَعْرِفَةُ، وَالْوَسَائِلُ⁽²⁾ الْمُخْتَلِفَةُ، فَعَظُمَ لِأَجْلِ هَذِهِ الْوَسَائِلِ شَوْقِي إِلَى التَّشْرِفِ بِزِيَارَةِ ذَلِكَ الْجَنَابِ الَّذِي حُلُولُهُ شَرَفٌ وَفَخْرٌ، وَمَعْرِفَتُهُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ.

فَلَمَّا ظَهَرَ الْآنَ لِمَحَلِّ أَخِي⁽³⁾ الْقَائِدِ الْكَذَا فُلَانِ اللَّحَاقُ بِكَ، وَالتَّعَلُّقُ بِسَبَبِكَ، رَأَيْتُ أَنَّهُ قَدْ اتَّصَلَ بِهِذَا الْغَرَضِ الْمُؤَمَّلِ بَعْضِي، وَاللَّهُ يُبَسِّرُ فِي الْبَعْضِ عِنْدَ تَقْرِيرِ الْأَمْنِ وَهُدْنَةِ الْأَرْضِ. وَهَذَا الْفَاضِلُ بَرَكَةٌ حَيْثُ حَلَّ لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ أَصَالَةٍ وَجِهَادٍ، وَمَاجِدٍ وَابْنِ أَمْجَادٍ، وَمِثْلُكَ لَا يُوصَى بِحُسْنِ جَوَارِهِ، وَلَا يُنْبَهُ عَلَى آثَارِهِ⁽⁴⁾. وَقَبِيلُكَ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْقَدِيمِ -وَهُوَ الَّذِي أُوجِبَ لَهُ⁽⁵⁾ مَزِيَّةُ النَّقْدِيمِ- لَمْ يَفْتَخِرْ قَطُّ بِذَهَبٍ يُجْمَعُ، وَلَا ذُخْرٍ يُرْفَعُ، وَلَا قَصْرٍ يُبْنَى، وَلَا غَرْسٍ يُجْنَى؛ إِنَّمَا فَخْرُهَا عَدُوٌّ يُغْلَبُ، وَتَنَاءٌ يُجْلَبُ، وَجَزُورٌ يُنْحَرُ، وَحَدِيثٌ [يُذَكَّرُ]⁽⁶⁾ وَجُودٌ عَلَى الْفَاقَةِ، وَسَمَاحَةٌ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ. فَلَقَدْ ذَهَبَ الذَّهَبُ، وَفَنِيَ⁽⁷⁾ النَّسَبُ، وَتَمَزَّقَتِ الْأَنْثَابُ، وَهَلَكَتِ الْخَيْلُ الْعِرَابُ، وَكُلُّ الَّذِي

1- م : "مالكا" وكلاهما صحيح.

2- م: "الرسائل". ولعل الصواب ما أثبت؛ لذكر الوسائل بعد هذا.

3- ق، ع: "الأخ".

4- أ، م: "إيثاره" والمثبت من ق، ع.

5- ق، ع: "لها".

6- ع: ساقط.

7- أ، م: "بقي" فني والمثبت من ق، ع، ولعله الصواب؛ أي المال الأصيل.

فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ⁽¹⁾، وَبَقِيَتِ الْمَحَاسِنُ تُرَوَّى وَتُنْقَلُ، وَالْأَعْرَاضُ تُجَلَّى وَتُصَقَّلُ. وَلِلَّهِ دَرُّ الشَّاعِرِ إِذْ يَقُولُ:

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى⁽²⁾

هَذِهِ مُقَدِّمَةٌ إِنْ يُسَنِّيَ اللَّهُ بَعْدَهَا لِقَاءَ الْأَمِيرِ فَيُجَلِّيَ اللِّسَانَ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ:

وَمَذْحِي عَلَى الْأَمْلَاكِ وَقَفٌ وَإِنَّمَا رَأَيْتُكَ مِنْهَا فَاُمْتَدَحْتُ عَلَى وَسْمِي

وَمَا كُنْتُ بِالْمُهْدِي لِغَيْرِكَ مَذْحَتِي وَلَوْ أَنَّهُ قَدْ حَلَّ فِي مَفْرِقِ النَّجْمِ⁽³⁾

¹ - يقول أبو فراس الحمداني :

فَلَيْتَكَ تَخْلُوَ وَالْحَيَاءُ مَرِيرَةً
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ
إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ فَالْكُلُّ هَيَّئْ
وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

² - مقصورة ابن دريد، أبي بكر بن دريد (321هـ)

³ - ديوان ابن الخطيب: 2 / 553. وهي من الطويل.

[وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ شَيْخَ الدَّوْلَةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْقُدُومِ عَلَى مَلِكَ

الْمَغْرِبِ⁽¹⁾ مُفْلِتًا مِنَ النَّكْبَةِ⁽²⁾ بِسَبَبِ شَفَاعَتِهِ⁽³⁾

سَيِّدِي الَّذِي إِلَيْهِ انْقِطَاعِي وَانْحِيَاشِي، وَمُلْجِي الَّذِي يَسَّرَ خَلَاصِي، وَسَيِّ انْتِيَاشِي، وَمُنْعِمِي الَّذِي جَبَرَ جَنَاحِي، وَأَنْبَتَ رِيَاشِي، وَمَوْلَى هَذَا الصَّنْفِ الْعِلْمِيِّ وَلَا أَحَاشِي.

كَتَبَهُ صَنِيعُ نِعْمَتِكُمُ الْخَالِصَةِ الْحُرَّةِ، وَمُسْتَرْقُ فَضْلِكُمُ الَّذِي تَأَلَّقَتْ مِنْهُ فِي لَيْلِ الْخُطُوبِ الْعُرَّةِ، ابْنُ الْخَطِيبِ -أَطَفَ اللَّهُ بِهِ، مِنْ مَرْبَلَةٍ⁽⁴⁾، [وَالْعَزْمُ قَدْ أَبْلَعَتْ فِيهِ النَّفْسُ عُذْرَهَا، وَعَمَرَتْ بِالْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْكُمُ سِرَّهَا وَجَهْرَهَا]⁽⁵⁾ وَقَدْ [نَشَدَ⁽⁶⁾ إِلَى إِبْلَاغِ⁽⁷⁾ النَّفْسِ عُذْرَهَا فِي مُبَاشَرَةِ تَقْبِيلِ الْيَدِ الَّتِي لَهَا الْيَدُ الْعُظْمَى، وَالسَّجِيَّةُ⁽⁸⁾ الرُّحْمَى [فَلَكُمْ طَوَّقَتْ مِنْ نِعْمَى⁽⁹⁾ وَجِبَالُ النِّعَمِ قَدْ أَنْقَلَتِ الْأَكْتَادَ⁽¹⁰⁾، وَالْأَيَادِي الْجَمَّةُ قَدْ خَلَفَتِ الْوَطْنَ وَالْمَالَ وَالْعَتَادَ.

فَبَائِي لِسَانٍ أَوْ بَائِي بَيَانٍ، وَلَا أَثَرُ بَعْدَ عَيَانٍ، تُقَابِلُ نِعْمَةً تَدَارَكَتِ الرَّمَقَ وَقَدْ أَشْفَى، وَأَبَقَتِ الدِّمَى، وَالشُّرُوعُ فِي اسْتِئْصَالِهَا لَا يَخْفَى. فَيَا لَكَ مِنْ فَرْدٍ هَزَمَ أَلْفًا، وَوَعَدَ نَصْرٍ لَمْ يَعْرِفْ خُلْفًا، وَنَبِيَّةٌ خَالِصَةٌ تَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ رُفْقَى. فَقَدْ صَدَعَ بِهَا مَوْلَايَ غَرِيبَةً فِي الزَّمَنِ، بِالْغَا حُسْنُ صَنِيعِهَا صَنْعَاءَ

¹ - هو السلطان أبو سالم المريني.

² - أي المحنة التي تعرض لها ابن الخطيب بعد الانقلاب الذي تعرض له السلطان الغني بالله، فأودع السجن وصودرت أمواله، ثم استقبله السلطان أبو سالم المريني. نفاضة الجراب: 215/2. أعمال الأعلام ص 358 وما بعدها.

³ - ق: ساقط.

⁴ - ق، ع: "كذا". مربلة: بالفتح ثم السكون وباء موحدة ولام مشددة وهاء ساكنة، هي ناحية من أعمال قبيرة بالأندلس، وهي مدينة صغيرة بقرب مرسى سهيل ومرسى مالقة" معجم البلدان: 99/5.

⁵ - ق، ع: ساقط.

⁶ - م: "نسد" وهو تحريف.

⁷ - أ: بياض، والمثبت من باقي النسخ.

⁸ - م: "السمية" وهو تحريف.

⁹ - أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

¹⁰ - ق: "الدهر"، ع: "الظهر"، م: "الأكفاء".

الْيَمَنِ، مُتَرْفَعَةً عَنِ النَّمَنِ، إِنَّ لَمْ يَقُمْ بِهَا مِثْلُهُ؛ وَإِلَّا فَلْيَهْنَأْ سَيِّدِي مَا صَاغَ لِمَجْدِهِ بِهَا مِنْ فَخْرٍ، وَمَا قَدَّمَ لِيَوْمٍ تَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ مِنْ دُخْرِ⁽¹⁾، وَمَا جَلَبَ لِلْمَقَامِ الْعَلِيِّ مِنْ طِيبٍ ذِكْرٍ وَاسْتِيفَاضَةٍ حَمْدٍ وَشُكْرِ. لَقَدْ ارْتُهِنَ دُعَاءُ الْحَافِي وَالنَّاعِلِ، وَالذَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ شَرِيكَ الْفَاعِلِ⁽²⁾. وَالَّذِي أَحْيَا النَّفْسَ جَدِيرٌ بِرَدِّ جِدَّتِهَا وَإِنْجَازِ عُدَّتِهَا.

وَأَنَا قَدْ قَوَيْتُ بِجَاهِكُمْ وَإِنْ كُنْتُ ضَعِيفًا، وَاسْتَشْعَرْتُ سَعْدًا جَدِيدًا وَقَدْرًا مُنِيفًا، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ بِي لَطِيفًا؛ إِذْ هَيَّأَ لِي مِنْ رَحْمَةِ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْمَوْلَوِيِّ عَلَى يَدِكُمْ نَصْرًا عَزِيزًا، وَقَدْ اسْتَأْسَدَتِ الْأَعْدَاءُ، وَأَعْضَلَ الذَّاءُ، وَأَعْمَلَ الْإِعْتِدَاءُ، وَعَزَّ الْفِدَاءُ، فَانْفَرَجَ الضَّيْقُ، وَتَيَسَّرَتِ لِلْخَيْرِ الطَّرِيقُ، وَسَاغَ [الرَّيْقُ]⁽³⁾، وَنَجَا الْغَرِيقُ، غَرِيبَةً لَا تَمُتُ إِلَّا فِي الْحُلْمِ، وَلَطِيفَةً فِيهَا اعْتِبَارٌ لِأُولِي الْعِلْمِ.

اللَّهُمَّ جَاوِزِ بِهَا سَيِّدِي فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ، وَحَالِهِ وَبَلَدِهِ، وَمَعَادِهِ بَعْدَ طُولِ عُمْرِهِ، وَأَنْفِسَاحِ أَمَدِهِ. وَكُنْ لَهُ نَصِيرًا أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى نَصْرِ، وَاجْعَلْ لَهُ سَعَةً مِنْ كُلِّ حَصْرٍ، وَأَقْصُرْ عَلَيْهِ جَاهَ كُلِّ قَصْرٍ، كَمَا جَعَلْتَ ذَاتَهُ فَوْقَ كُلِّ ذَاتٍ، وَعَصْرَهُ فَوْقَ كُلِّ عَصْرِ.

وَلْيَعْلَمْ سَيِّدِي أَنَّ مَنْ أَرَادَنِي مُنَافَسَةً وَحَسَدًا، وَزَارَ عَلَيَّ أَسَدًا، لَمَّا اسْتَقَلَّ عَلَى الْكُرْسِيِّ جَسَدًا، مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ تَبَيَّنَ، وَلَا حَدٍّ⁽⁴⁾ تَعَيَّنَ، أَصَابَهُ مِنْ خَلَاصِي الْمُقِيمِ الْمُقْعَدِ، وَوَعَدَ النَّفْسَ بِأَجَلٍ أَخْلَفَ مِنْهُ

¹ - ق، ع : "فخر" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي ما انخره ليوم الحساب.

² - عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الدال على الخير كفاعله) أخرجه الترمذي في سننه رقم (2670). وأخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة، 216/4.

³ - أ: بياض، والمثبت من باقي النسخ.

⁴ - ق، ع: "عذر". ولعل الصواب ما أثبت.

الموعِدَ، لَمَّا اسْتَنْقَذَنِي [اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ]⁽¹⁾ مِنْ بَيْنِ ظُفْرِهِ وَنَابِهِ، [وَعَطَّانِي بِسِتْرِ جَنَابِهِ، وَكَثَّرَنِي فِي
 الْعُيُونِ عَلَى قَلَّةٍ، وَأَعَزَّنِي بَعِزِّ نَصْرِهِ عَلَى حَالِ ذِلَّةٍ]⁽²⁾، لَمْ يَدْعُ حِيلَةً إِلَّا نَصَبَهَا أَمَامِي⁽³⁾، لِيُحْبِطَ
 ذَلِكَ الْمَقَامُ الْكَرِيمُ ذِمَامِي، وَيُكَدِّرَ جِمَامِي، وَيَسْتَدْرِكَ حِمَامِي. وَزَعَمَ أَنَّ بِيَدِهِ عَلَى الْبُعْدِ زِمَامِي،
 وَيَأْبَى ذَلِكَ رَأْيِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَضِدِّهِ، وَعَدْلٌ لَا يُخْرِجُ الشَّيْءَ عَنْ حَدِّهِ. فَتَبَهْتُ⁽⁴⁾ سَيِّدِي خَوْفًا أَنْ
 تَنْجَحَ حِيلَةً، أَوْ تُنْقَسَ وَسِيلَةً، وَأَنَا قَادِمٌ بِالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَالْجَلْدَةِ الْمُسْتَسِنَّةِ عَلَى الْجُلْدِ، لِيَعْمَلَ رَبُّ
 الصَّنِيعَةِ عَلَى شَاكِلَةِ الْمَجْدِ الَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، فَإِنَّمَا⁽⁵⁾ افْتَرَى⁽⁶⁾ بِهِ جَهْلٌ، وَلَا يُخْتَلَفُ فِي عِظَمِ مَا
 أَسْدَاهُ غَرٌّ وَلَا كَهْلٌ، وَلَا يَلِيهِ مِثْلُهُ عَنْ تَتَمِيمٍ، وَإِجْزَالِ فَضْلٍ عَمِيمٍ، وَمُؤَانَسَةِ غَرِيبٍ، وَصِلَةِ نَصْرٍ
 عَزِيزٍ، وَفَتْحِ قَرِيبٍ بِحَوْلِ اللَّهِ.

1- ق: ساقط.

2- ق: ساقط.

3- أ، م: "أمانتي"، والمثبت من ق، ع.

4- أ، م: "فبهت"، والمثبت من ق، ع.

5- م: "فما نما" وهو تحريف.

6- م: "افتدى" وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبت؛ أي افتراؤهم عليه نابه من جهلهم بقيمته وحسن نيته.

[وَخَاطَبْتُهُ أَيْضاً بِمَا نَصَّهُ فِيمَا يَظْهَرُ مِنَ الْغَرَضِ]⁽¹⁾

رَاشَ زَمَانِي وَبَرَى نَبْلَهُ فَكُنْتُ لِي مِنْ وَقَعِهَا جُنَّةٌ

وَلَوْ قَهَرْتَ الْمَوْتَ أَمْنَتَنِي مِنْهُ وَأَدْخَلْتَنِي الْجَنَّةَ

فَكَيْفَ لَا أَنْشُرَهَا مِنْهُ قَدْ عَرَفْتُهَا الْإِنْسُ وَالْجَنَّةَ⁽²⁾

مَا⁽³⁾ أَخَاطِبُ [بِهِ]⁽⁴⁾ تِلْكَ الْجَلَالَةِ فَيَتَيَسَّرُ الْخِطَابُ، وَتَحْصُلُ الدَّلَالَةُ لِسَيِّدِي، وَيُشْرِكُنِي فِيهِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَفِيهِ بُرُوحُ حَيَاتِي، وَمُقَدَّمُ مَا هِيَ ذَاتِي، وَذُخْرِي الْكَبِيرُ لَا بَلْ فَلَكِي الْأَثِيرُ. وَهُوَ تَضْيِيقٌ عَلَى الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ، وَتَعَرِّي⁽⁵⁾ الْمَرَاتِبِ الْمَحْدُودَةِ مِنَ الْجَهْلِ⁽⁶⁾، فَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الْإِشَارَةُ الْخَارِجَةُ عَنْ وَطَائِفِ اللِّسَانِ، وَهِيَ بَعْضُ دَلَالَاتِ الْإِنْسَانِ، أَفَدَّتِ الْأَسِيرَ، وَجَبَرَتِ الْكَسِيرَ، وَرَوَتْ يَا ابْنَ الْعَلَاءِ التَّيْسِيرَ، وَعَمَّرَتْ⁽⁷⁾ بِالْكَرَمِ، وَأَمِنْ حَمَامِ الْحَرَمِ الظَّعَنَ وَالْمَسِيرَ. فَمَنْ رَامَ شُكْرَ بَعْضِ أَيْادِيكَ، فَلَقَدْ شَدَّ حَقَائِبَ الرَّحَالِ إِلَى كُلِّ الْمِحَالِ.

وَالْحَقُّ أَنْ نَكِلَ جَزَاءَكَ لِلَّذِي جَعَلَ الْمَجْدَ اعْتِرَافَكَ، وَتَوَلَّى شُكْرَكَ وَثَنَاءَكَ، إِلَى مَنْ عَمَّرَ بِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الرِّفْقِ بِالْخَلْقِ وَإِقَامَةِ الْحَقِّ إِنْاءَكَ، وَنَدَعُو مِنْكَ بِالْبَقَاءِ إِلَى الرُّوضِ الْمَجُودِ، وَغَمَامِ الْجُودِ، وَإِمَامِ الرُّكَّعِ السُّجُودِ، لَا بَلْ لِنُورِ اللَّهِ الْمُشْرِقِ عَلَى التَّهَانِمِ وَالنُّجُودِ، وَرَحْمَتِهِ الْمَبْنُوثَةِ أَنْثَاءَ هَذَا الْوُجُودِ.

1- ق: ساقط.

2- ديوان ابن الخطيب: 601/2. من بحر السريع. وقد خاطب بها شيخه "ابن مرزوق"

3- أ، ع، م: "ماذا" والمثبت من ق.

4- ق: ساقط.

5- م: "يعزى" وهو تصحيف.

6- م: "الجميل" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي إزالة الجهل بالمراتب المحدودة التي يشغلها.

7- ع: "عمدت" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالتعمير بالكرم أعم وأطول من مجرد قصده.

وَلْيَعْلَمْ سَيِّدِي أَنَّ النَّفْسَ طَمَاعَةٌ جَمَاعَةٌ، وَسَرَابُ آمَالِهَا تِجَارَةٌ لَمَاعَةٌ، فَلَا تَفِيقُ مِنْ كَدٍّ، وَلَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ، [سِيمَا إِذَا لَمْ يَهْدُبْهَا السُّلُوكُ وَالتَّجْدِيدُ، وَلَا يَسَّرَ مِنْهَا فِي عَالَمِ الْغَيْبِ الْبَرِيدُ، وَلَا تَجَلَّتْ لَهَا السَّعَادَةُ الَّتِي تَحْدَى بِهَا الْمُرَادُ، وَيُسَمَّرُ لَهَا الْمُرِيدُ، إِلَى أَنْ يَتَأْتَى عَمَّا دُونَ الْحَقِّ الْمَجِيدُ، وَيَصِحَّ التَّوْحِيدُ]⁽¹⁾

وَقَدْ مَثَلْتُ لِي الْآنَ خَصْمًا، يُوسِعُ ظَهَرَ اسْتَظْهَارَةٍ⁽²⁾ قَضْمًا⁽³⁾ وَتَقُولُ الْمَالُ عَدِيلِي عِنْدَ النَّقِيمَةِ، وَطَبِيبِي فِي الْأَحْوَالِ السَّقِيمَةِ؛ وَهُوَ نَتِيجَةُ كَدِّي عِنْدَ الْأَقْسَةِ الْعَقِيمَةِ. وَمَنْ اسْتَخْلَصَنِي عَلَى شَرَفِي إِذَا تَفَاضَلَتِ الْجَوَاهِرُ، وَتَبَيَّنَتِ لِلْحَقِّ الْمَظَاهِرُ، وَتَعَيَّنَتِ الْمَرَاتِبُ الَّتِي تَعْتَقِدُهَا عَلَى رَأْيِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ [فِي]⁽⁴⁾ النُّورِ الْأَصْفَرِ وَالنُّورِ الْبَاهِرِ⁽⁵⁾. فَخَلَّصُ الْمَالِ طَوْعُ يَدَيْهِ، وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ: {أَهْوَنُ عَلَيْهِ}⁽⁶⁾ حَتَّى تَبَيَّنَ مَعَاطِفُهَا وَأَخَادِعُهَا⁽⁷⁾، وَأَقُولُ قَدْ وَقَعَ الْوَعْدُ، وَأَشْرَقَ السَّعْدُ، وَلَانَ الْجَعْدُ⁽⁸⁾، وَسَكَنَ الرَّعْدُ، {وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ}⁽⁹⁾ [الْعُمْرُ]⁽¹⁰⁾ الْمَنَامُ الْمُقَامُ، وَأَيَّامُ الْجَاهِ وَالْقُدْرَةُ يَحِقُّ لَهَا الْإِغْتِنَامُ. وَهُمْ الْعَاقِلِ⁽¹¹⁾ إِلَى وَقْتِهِ الْحَاضِرِ مَصْرُوفٌ، إِذَا لَمْ يُغَيِّرْ حَاطِطُهُ مَثَلٌ مَعْرُوفٌ. وَفِي الْوَقْتِ زَيْوُنٌ يُرْجَى بِهِ اسْتِخْلَاصُ الْحُقُوقِ، وَيُسْتَبَعْدُ وَفُوعُ الْعُقُوقِ.

1- ق، ع: ساقط.

2- بياض في جميع النسخ.

3- م: "قضنتها" وهو تحريف.

4- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

5- ق: "القاهر".

6- يقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

سورة الروم، الآية: 27

7- ق، ع: ساقط. "معطف جمع معطف وهو العنق" و"الأخدعان عرقان في موضع الحجامة" المصباح المنير / خدع، ص: 63

8- أ، م: "الجهد" والمثبت من ق، ع.

9- قال تعالى: {الْم. غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ {سورة الروم، الآية: 4.

10- ق، ع: ساقط.

11- م: "الغافل" وهو تصحيف ولعل الصواب ما أثبت؛ فالعاقل هو الذي يعوض في يومه ما ضاع من أمسه.

وَإِنْ رَأَى مَوْلَايَ أَنْ يَشْفَعَ الْمِنَّةَ⁽¹⁾، وَيَقْرَعَ بَاباً ثَانِياً مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، قَبْلَ أَنْ يَشْغَلَ شَاغِلٌ، أَوْ يُكَدَّرَ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَارِشٌ أَوْ وَاعِلٌ، أَوْ يَنْوَبَ لِلْمُتَعَدِّي نَظَرَ فِي اللَّجَاجِ، أَوْ يَدُسَّ لَهُ مَا يَحْمِلُهُ عَلَى الْإِحْتِجَاجِ مُتَسِّعٌ مَنَاطُهَا، فَسِيحٌ⁽²⁾ اسْتِنْبَاطُهَا، كَثِيرٌ هَيَاطُهَا وَمِيَاطُهَا⁽³⁾؛ فَهُوَ تَمَامٌ صَنِيعَتِهَا الَّتِي لَمْ يَنْسُجْ عَلَى مَنَوَالِهَا الْأَحْزَارُ، وَلَا اهْتَدَتْ إِلَى حَسَنَاتِهَا الْأَبْرَارُ، وَلَا عَرَفَ بَدْرَ فَجْرِهَا السَّرَارُ، فَإِلَيْهِ كَانَ الْفِرَارُ، وَلِلَّهِ تَمَّ لَهُ خُلُوصُ الْإِضْطِرَارِ، وَيَسْتَقِرُّ تَحْتَ دَخِيلِهِ الْقَرَارُ، وَتَطْمَئِنُّ الدَّارُ. فَإِنَّ مَا ابْتَدَأَ بِهِ مِنْ عَرٍّ ضَرَبَ عَلَى الْأَيْدِي الْعَادِيَةِ مِنْهُ حَكْمَ الْحُكَّامِ، وَفَارِعُ الْهَضَابِ وَالْآكَامِ، عَلَى مَلَأٍ وَمَجْمَعٍ، وَمَرَأَى مِنَ الْخَلْقِ وَمَسْمَعٍ، يَقْتَضِي اطِّرادَ قِيَاسِ الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ، وَسَعَادَةِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَظُهُورِ دَرَجَاتِ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ.

فَهُوَ جَاءَ حَارَتْ فِيهِ الْأَوْهَامُ وَهَذِهِ أَذْيَالُهُ⁽⁴⁾ وَمَنْ رَكِبَ حَقِيقَةَ أَمْرِهَا هَانَ عَلَيْهِ خَيَالُهُ، وَالْمَالُ مَالُهُ، وَالْعِيَالُ عِيَالُهُ، وَالْوُجُودُ سَرِيعُ زِيَالُهُ، وَالْجَزَاءُ عِنْدَ اللَّهِ مِكْيَالُهُ. وَعُرُوضُ الْمَغْصُوبِ بَاقِيَةٌ [الْأَعْيَانِ]⁽⁵⁾، مُسْتَقْلَّةُ الشَّجَرِ⁽⁶⁾ قَائِمَةُ الْبُنْيَانِ، تَمْنَعُ عَنْ شَرَائِعِهَا⁽⁷⁾ عَقَائِدُ الْأَدْيَانِ، وَغَيْرُهَا مِنْ مَكِيلٍ وَمَوْزُونٍ بَيْنَ مَأْكُولٍ وَمَخْزُونٍ. وَالْكَتُبُ مُقَفَّاةٌ بِالْقَاعِ، مُطْرَحَةٌ بِأَخْبَثِ الْبِقَاعِ. فَإِنْ تَأَتَّى الْجَبْرُ، وَإِلَّا فَالْصَّبْرُ، عَلَى أَنْ وَعَدَ عِمَادِي لَا يُفَارِقُهُ الْإِنْجَارُ، وَمَكْرَمَتُهُ الَّتِي طَوَّقَهَا قَدْ بَلَعَتْ الشَّامَ

1- ق، ع: " الجنة" ولعل الصواب ما أثبت.

2- م: "تبيح" وهو تحريف.

3- "ويقال: وقع القوم في هياط ومياط. وتهايط القوم تهايطا إذا اجتمعوا وأصلحوا أمرهم، خلاف التمايط، وتمايطوا تمايطا:

تباعدوا وفسد ما بينهم" لسان العرب، هيط: 480 / 15

4- ق، ع: "الإيالة".

5- ق: ساقط.

6- م: "السحر" وهو تصحيف.

7- أ: "شرايها"، م: "شرايها" والمثبت من ق، ع.

وَالْحِجَارَ، وَحَقِيقَةَ التَّزَامِهِ تُبَايُنُ الْمَجَازَ، وَآيَاتِ مَجْدِهِ تَسْتَصْحِبُ الْإِحْجَارَ. وَلِلَّهِ دَرُّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
الْمَهْدِيِّ⁽¹⁾ يُخَاطَبُ [الْمَأْمُونُ]⁽²⁾ لَمَّا أَكْذَبَ فِي الْعَفْوِ عِنْدَ الظُّنُونِ:

وَهَبْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا أَنْ قَدْ وَهَبْتَ دَمِي⁽³⁾

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَنْقَبَةُ غَرِيبَةً فَعَزَّزْتُهَا بِأُخْتِهَا الْكُبْرَى، وَفَرِيدَةً فَجَبْتُ بِأُخْرَى، وَشَفَعْتُ وَثَرًا. أَبْقَاكَ اللَّهُ
تَعَالَى لِتَخْلِيدِ الْمَنَاقِبِ، وَإِعْلَاءِ الْمَرَاقِبِ، وَجَعَلَ أَخْمَصَ نَعْلِكَ تَاجًا لِلنَّجْمِ الثَّاقِبِ، وَتَكْفَلَ لَكَ بِالنَّفْسِ
وَالْوَلَدِ بِحُسْنِ الْعَوَاقِبِ:

آمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ حَتَّى أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَ

وَأَمَّا تَنْبِيهُ سَيِّدِي عَلَى إِسْنَاءِ⁽⁴⁾ رِزْقِي، وَتَفْرِيرِ رِفْدٍ وَرَفْقٍ، فَلَا أَنْبِيءُ حَاتِمًا⁽⁵⁾ وَكَعْبًا⁽⁶⁾ أَنْ يَمْلَأَ
قَعْبًا⁽⁷⁾، لِمَنْ خَاضَ بَحْرًا وَرَكِبَ صَعْبًا. هَذَا أَمْرٌ كَفَانِيهِ الْكَافِي، وَدَوَاءٌ أَذْهَبَهُ الشَّافِي وَالسَّلَامُ.

¹ - ق: "مجازه". "إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور (162هـ - 224هـ) العباسي الهاشمي، أبو اسحاق. أخو هارون الرشيد... ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين" الأعلام: 60 / 1

² - ق، ساقط.

³ - ق، ع: "بأخرى".

⁴ - ق، ع: "أسنى" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالمعطوف عليه مصدر.

⁵ - "حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، (46 ق هـ - 578 م) أبو عدي: فارس، شاعر، جواد، جاهلي. يضرب المثل بجوده" الأعلام: 151 / 2

⁶ - هو كعب بن مامة الأيادي وكان يضرب به المثل في الإيثار.

⁷ - "القعب إنباء ضخم كالقصعة والجمع قعاب وأقعب" المصباح المنير / قعب، ص: 194

وَخَاطَبْتُهُ وَقَدْ اسْتَقَلَّ مِنْ مَرَضٍ⁽¹⁾

لَا أَعْدَمَ اللَّهُ دَارَ الْمَلِكِ مِنْكَ سَنًا يُجَلَى بِهِ الْحَالِكَانِ الظُّلْمُ وَالظُّلْمُ

وَأَنْشَدْتُكَ اللَّيَالِي وَهِيَ صَادِقَةٌ الْمَجْدُ عُوفِي إِذْ عُوفِيَتْ وَالْكَرَمُ⁽²⁾

مَنْ عَلِمَ -أَعْلَى اللَّهِ قَدْرَكَ- أَنَّ الْمَجْدَ جَوَادٌ أَنْتَ شَيْأَتُهُ، لَا بَلِ الْمَلِكُ بَدْرٌ⁽³⁾ أَنْتَ آيَاتُهُ، لَا بَلِ

الْإِسْلَامُ جِسْمٌ أَنْتَ حَيَاتُهُ، دِعَامَتُكَ [لِلْبَقَاءِ]⁽⁴⁾ لِمَجْدٍ يَرُوقُ مِنْكَ جَبِينُهُ، وَمُلْكٍ تُبِيرُهُ وَتُزَيِّنُهُ،

وَلِدَيْنِ [حَسَمٍ]⁽⁵⁾ تُعَامِلُ اللَّهَ بِإِعْزَازِهِ وَتُذَيِّنُهُ.

فَلَقَدْ أَلِمْتُ نُفُوسَ [الْمُسْلِمِينَ]⁽⁶⁾ لِأَلَامِكَ، وَوَجَمَ⁽⁷⁾ الْإِسْلَامُ لِتَوَقُّعِ إِسْلَامِكَ⁽⁸⁾، وَخَفَّفَتِ الْأَعْلَامُ

لِتَأْخِرَ إِطْرَافَكَ بِمَصَالِحِ الْمَلِكِ وَأَعْلَامِكَ، فَإِنَّمَا أَنَامِلُ الدُّنْيَا مُتَشَبِّهَةٌ بِأَذْيَالِ أَيَّامِكَ، وَرِحَالُ⁽⁹⁾ الْأَمَلِ

مُخَيِّمَةٌ بَيْنَ خِلَالِكَ وَخِيَامِكَ.

فَإِذَا قَابَلَتِ الْأَشْرَافُ نِعَمَ اللَّهِ بِشُكْرِ، وَرُمْتَ الْعَفْلَةَ عَنْ ذَلِكَ بِنُكْرِ، فَاشْكُرْهُ جَلَّ وَعَلَا بِمِلْءِ

لِسَانِكَ وَجَنَانِكَ، وَاجْرِ فِي مِيدَانِ حَمْدِهِ مُطْلَقًا جِيَادَكَ، عَلَى مَا طَوَّقَكَ مِنْ اسْتِرْقَاقِ حُرٍّ، وَإِفَاضَةِ

أَيَادٍ غُرٍّ، وَافْتِتَاءِ عَسَجَدٍ مِنَ الْحَمْدِ وَدَرٍّ، وَإِتَاحَةِ نَفْعٍ وَدَفْعِ ضَرٍّ، وَإِدَالَةِ حُلُوٍّ مِنْ مُرٍّ.

1- خاطب شيخ الدولة عامر بن محمد الهنتاتي. وهي من بحر البسيط.

2- ديوان ابن الخطيب: 2/ 553. وهي من البسيط. خاطب بها شيخ الدولة عامر بن محمد الهنتاتي.

3- ق: "فرد" ولعل الصواب ما أثبت.

4- ع: ساقط

5- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع

6- ع: ساقط

7- ق، ع: "رجح" ولعل الصواب ما أثبت؛ إذ هو استعارة الوجود للإسلام عند وقوعك.

8- م: "إسقامك" ولعل الصواب ما أثبت.

9- أ، ق، ع: "رجال" والمثبت من م، ولعله الصواب.

وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ مُدَافَعَةِ اللَّهِ [عَنْ حِمَاكَ، وَعِزٌّ⁽¹⁾ تَبْلُغُ ذُؤَابَتُهُ السَّمَاءَ⁽²⁾، وَرِزْقٍ يَحْدُهُ
مُنْتَهَاكَ بِزِمَامِكَ. وَحُظُوءٌ⁽³⁾ الْخِلَافَةِ فَاسْتَحَقَّقَهَا بِوَسَائِلِكَ الْقَوِيَمَةِ وَدِمَامِكَ، وَمَحَاسِنُ الدَّوْلَةِ فَاجْلُهَا
عَنْ مِصْنَةِ⁽⁴⁾ أَيَّامِكَ، وَرُسُومُ الْبِرِّ فَأَغْرِبْهَا عَيْنَ اهْتِمَامِكَ، وَذِرْوَةُ الْمُنْبَرِ فَاْمُضِ بِهَا طُنْبٌ⁽⁵⁾
حُسَامِكَ⁽⁶⁾ زُهِرِ الْأَيْدِي الْبَيْضِ مِنْ كَمَائِمِ أَكْمَامِكَ.

فِيَا عِزَّ دَوْلَةٍ بِكَ، يَا جُمْلَةَ الْكَمَالِ قَدْ اسْتَظْهَرْتَ، وَعَدَّيْتُ الْمُعَانِدَ وَقَهَرْتَ، وَبِإِعْمَالِ آرَائِكَ
اسْتَهَرْتَ، فَرَأَيْتِ الْفَضَائِلُ مِنْهَا وَبَهَرْتَ؛ جَزَالَةً كَمَا شَقَّ الْجَوْ جَارِحٌ، وَلَطَافَةً كَمَا طَارَحَ نَعَمٌ⁽⁷⁾
التَّأْلِيفِ مُتَطَارِحٌ، وَفِكَرٌ فِي الْغَيْبِ سَارِحٌ، وَدِينٌ لِعَوَامِضِ الْعَدْلِ وَالْحِلْمِ شَارِحٌ، وَمَكَارِمِ آثَارِ
الْبِرَامِكِ⁽⁸⁾ نَسَخَتْ⁽⁹⁾، وَحَلَّتْ⁽¹⁰⁾ عُقُودَ أَخْبَارِ الْأَجْوَادِ فِي الْأَمْصَارِ وَفَسَخَتْ⁽¹¹⁾، فَلَمْ تَدَعْ لِفَضْلِ
الْفَضْلِ ذِكْرًا، وَتَرَكْتَ مَعْرُوفَ خَالِدِ بْنِ يَحْيَى نُكْرًا؛ لَا بَلْ لَمْ تُبْقِ لِكَعْبٍ مِنْ عُلوِّ كَعْبٍ، وَأَنْسَتِ
دَعْوَةَ حَاتِمِ بَابِي مَاحٍ وَحَامٍ، فُصَارَاهُ سَنَى جَوَارٍ، أَوْ مَنَعُ حَوَارٍ⁽¹²⁾، وَعَقَرْتُ نَابٍ، عِنْدَ اقْشِغَرَارِ
جَنَابٍ. وَأَيْنَ يَقَعُ مَنْ كَبِرَ، مَذُ تَرَفَّعَ عَنِ الْكِبَرِ، وَجُودٌ خَضَّبَ الْأَيْدِي بِحِنَاءِ التَّبَرِّ، وَعَنْ اسْتِخْدَامِ

1- ع: "عن" وهو تحريف.

2- السماكان: نجمان نيران أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب وهو السماك الأعزل.

3- ق: ساقط.

4- ق، ع: "منصب" وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبت.

5- ق، ع: "طيب" وهو تصحيف، ولعل الصواب ما أثبت؛ "الطنب الحبل تشد به الخيمة ونحوها" المصباح المنير / طنْب: 1/

144

6- م: "جسامك" وهو تصحيف.

7- ق، ع: "نعم" وهو تصحيف.

8- ق، ع: "أيامك". ولعل الصواب ما أثبت.

9- م: "سحت" ولعل الصواب ما أثبت؛ لتشاكل الفاصلتان السجع.

10- ق، ع: "خلت" وهو تصحيف.

11- ق، ع: "فسحت" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ فالفسخ مرادف للحل.

12- ق، ع: "جوار"، م: "صوار". "صوار المسك وعأوه بضم الصاد والكسر لغة. ورأيت صوارا من البقر بالكسر أي قطيعا"

المصباح المنير / صور، ص: 134

الْأَسْلِ الطَّوَالِ بِيَرَاعِ أَقَلِّ مِنَ الشَّبْرِ، وَحَقَّنَ الدَّمَاءَ الْمُرَاقَةَ⁽¹⁾ نَجِيعَ الْحَبْرِ⁽²⁾، وَفَكَ الْعِقَالَ، وَرَفَعَ
 النُّوبَ⁽³⁾ النَّقَالَ، وَرَاعَى⁽⁴⁾ الذَّرَّةَ وَالْمِثْقَالَ، وَعَتَّرَ لِيَمَانَ فَأَقَالَ، وَوَجَدَ لِسَانَ الصَّدْقِ فَقَالَ: أَقْسِمُ
 بِبَارِي النَّسَمِ، وَهُوَ أَبَرُّ الْقَسَمِ، مَا فَازْتُ بِمِثْلِكَ الدُّوْلُ، وَلَا ظَفِرْتُ بِشَبْهِكَ الْمُلُوكِ الْأَوَاخِرُ وَالْأَوَّلُ،
 وَلَوْ تَقَدَّمْتُ لَمْ يُضْرَبْ إِلَّا بِكَ الْمَثَلُ، [وَلَمْ يَقَعْ إِلَّا بِسُنَّتِكَ وَكِتَابِكَ الْإِجْمَاعُ الْمُتَعَدُّ عَلَى أَدَائِكَ
 الْعَمَلُ. كَتَبَ مُشِيداً بِالْهَنَاءِ، وَمُذِيعاً]⁽⁵⁾ مَا يَجِبُ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ وَالْتَّنَاءِ، وَشَاكِراً مَا لَهُ بِوُجُودِهِ مِنَ
 الْإِعْتِنَاءِ، وَقَدْ بَادَرَ رُكْنَ الدِّينِ بِالْبِنَاءِ، وَأَبْقَى السُّتْرَ وَالْمِنَّةَ⁽⁶⁾ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ.

فَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُمَتِّعَ مِنْكَ بِإِيثارِ الْمُلُوكِ وَوُسْطَى السُّلُوكِ، وَسَلَالَاتِ أَرْبَابِ الْمَقَامَاتِ وَالسُّلُوكِ،
 وَيُبْقِيكَ وَصِحَّةَ الصَّحَّةِ وَافِرَةً، وَعِزَّةَ الْعِزِّ سَافِرَةً، وَعَادَةً عَادَاتِ السَّعَادَةِ غَيْرُ نَافِرَةٍ، وَكُتَيْبَةَ الْأَمَلِ فِي
 مَقَامِكَ السَّعِيدِ غَانِمَةً ظَافِرَةً، مَا رَحَفَتْ لِلصَّبَاحِ شُهْبُ الْمَرَاقِبِ⁽⁷⁾، وَتَفَنَّتْ بِشَطِّ نَهْرِ الْمَجَرَّةِ أَزْهَارُ
 الْكَوَاكِبِ وَالسَّلَامُ.

1- ع: "المواقاة" وهو تحريف.
 2- ع: "الجبر" وهو تصحيف.
 3- ع: "النوائب" وكلاهما صحيح.
 4- ق: "رعي" ولعل الصواب ما أثبت.
 5- ق: ساقط.
 6- ق: "السنة" ولعل الصواب ما أثبت.
 7- أ، م: "المواكب" والمثبت من ق، ع.

وَخَاطَبَتْهُ أَيْضاً بِمَا نَصَّهُ

سَيِّدِي وَعِمَادِي، كَشَفُ قِنَاعِ النَّصِيحَةِ مِنْ وَظَائِفِ صَدِيقٍ أَوْ خَدِيمٍ لَصِيقٍ⁽¹⁾، وَإِنِّي⁽²⁾ بِكَلاَ
الْجِهَتَيْنِ حَقِيقٌ، وَيَتَلَجَّلُ فِي صَدْرِي كَلَامٌ أَنَا إِلَى بَنِّهِ⁽³⁾ دُوْ أَحْتِيَاجٍ، وَلَوْ فِي سَبِيلِ هِيَاجٍ، وَخَرَقِ
سِيَاجٍ، وَخَوْضِ دِيَاجٍ. وَقَدْ أَصْبَحْتَ سَعَادَتِي عَنْ أَصْلِ سَعَادَتِكَ فَرَعاً، يُوجِبُ النَّصَحَ طَبْعاً وَشَرْعاً.
فَلْيَعْلَمْ سَيِّدِي أَنَّ الْجَاهَ وَرُطَةً، وَلِاسْتِفْرَاقٍ فِي تَيَّارِ⁽⁴⁾ الدُّوْلِ غَلْطَةً، وَبِمِقْدَارِ الْعُلُوِّ إِلَّا أَنْ يَقِيَ اللَّهُ
السَّقْطَةَ، وَأَنَّهُ -وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنْ الْحَوَادِثِ، وَيَقِيهِ مِنَ الْخُطُوبِ الْكَوَارِثِ- إِنْ تَبَغَّهِ الْجَمْعُ فَهُوَ
مُفْرَدٌ، وَبِسَهَامِ الْحَسَدَةِ⁽⁵⁾ مُفْصَدٌ، وَأَنَّ الَّذِي يُقْبَلُ يَدُهُ، يُضْمَرُ حَسَدُهُ. وَمَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَالْعِلْلُ⁽⁶⁾
تَسْتَشْرِي، وَالْحِيَالُ تَرِيشُ وَتَبْرِي، وَسُمُومُ الْمَكَائِدِ تَسْرِي، وَالْعَيْنُ السَّاهِرَةُ تَطْرُقُ الْعَيْنَ النَّائِمَةَ مِنْ
حَيْثُ تَدْرِي وَلَا تَدْرِي.

وَهَذَا الْبَابُ الْكَرِيمُ مَخْصُوصٌ بِالزِّيَادَةِ وَالْبَرَكََةِ، وَخُصُوصاً فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ، فَتَمَّ ظَوَاهِرُ
تُخَالِفِ السَّرَائِرِ، وَحِيلُ تُصِيبُ فِي الْجَوِّ الطَّائِرِ. وَمَا عَسَى أَنْ يَتَحَفَّظَ الْمَحْسُودُ، وَقَدْ عَوِيَتْ
الْكِلَابُ وَزَارَتْ الْأُسُودُ.

1- أ، ق، ع: "لصيق" والمثبت من م، ولعله الصواب.

2- ق، ع: "أنا". ولعل الصواب ما أثبت.

3- أ، ع، م: "نفته" والمثبت من ق، ولعله الصواب؛ فذيوه ونشره أكثر من مجرد رميه.

4- ق، ع: "ثبار" يقال هو على ثبار أمر: على إشراف قضائه.

5- م: "الحسد" وكلاهما صحيح.

6- ق، ع: "العله" ولعل الصواب ما أثبت؛ تكثيراً للعلل.

وَإِنْ ظَنَّ سَيِّدِي أَنَّ الْخُطَّةَ الدِّينِيَّةَ تَذِبُ عَنْ نَفْسِهَا، أَوْ تَنْفَعُ مَعَ غَيْرِ جَنْسِهَا، فَقِيَاسٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَهُبُوبُ رِيحٍ؛ وَإِنَّمَا هِيَ دَرَجَةٌ فَوْقَ الْوِزَارَةِ وَالْحِجَابَةِ، وَظَهَرَ⁽¹⁾ يُدْعَى قِيَادِرُ بِالْإِجَابَةِ، وَجَاءَ يَحِقُّ⁽²⁾ عَلَى الْقَبِيلِ وَالْأَذْيَالِ، وَيُعِيدُ⁽³⁾ الْعِزَّ وَالْمَالَ، بَحْرُ هَالٍ، وَصُدُورُ تَحْمِلُ الْجِبَالَ. وَإِنْ قَطَعَ بِالْأَمَانِ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ، لَمْ⁽⁴⁾ يَأْمَنْ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، -وَاللَّهُ يَقِيهِ، وَيُمْتَعُ بِهِ وَيُبْقِيهِ- مَا لَبِثَ⁽⁵⁾ بِصَدَدِهِ، وَالْحَيَّ يَجْرِي إِلَى أَمَدِهِ، فَيَسْتَنْظِرُ الْغَيْبَ بِقَبِيلٍ، وَيَجْرِي مِنَ التَّقَلُّبِ عَلَى سَبِيلٍ.

وَيَبْقَى سَيِّدِي - وَاللَّهُ يَعْصِمُهُ - طَائِرًا بِلَا جَنَاحٍ، وَمُحَارِبًا دُونَ سِلَاحٍ، يُنَادِي بِمَنْ كَانَ يَثِقُ بِوُدِّهِ فِي طَلَلٍ، وَيَقْرَعُ سِنَّ النَّدَمِ⁽⁶⁾ وَالْأَمْرُ جَلٌّ، وَمِثْلُهُ بَيْنَ غَيْرِ صِنْفِهِ مِمَّنْ لَا يَتَّصِفُ بِظَرْفٍ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْإِنْسَانِيَّةِ بِظَرْفٍ، وَلَا يَعْبُدُ اللَّهَ وَلَوْ عَلَى حَرْفٍ⁽⁷⁾، مَحْمُولٌ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ الصَّنْفِيَّةُ، مُتَعَمِّدٌ بِالْعَدَاوَةِ الْخَفِيَّةِ. وَإِنْ ظَنَّ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ مَخْدُوعٌ مَسْحُورٌ، مَفْتُونٌ مَغْرُورٌ. وَبِالْفِكْرِ فِي الْخَلَاصِ تَقَاضَلَتِ النُّفُوسُ، وَاسْتَدْفَعَ الْبُؤْسُ، وَلَهُ وَجُوهٌ مُتَعَدِّةُ الْحُصُولِ، دُونَهُ بَيْضُ النُّصُولِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْغَرَضِ الَّذِي بَانَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ الْجِدِّ⁽⁸⁾ الْفُتُورُ، وَعَدَلَ عَنْهُ وَقَدْ أُخِذَ الدُّسْتُورُ، وَتَيَسَّرَتِ الْأُمُورُ، وَتَقَرَّرَتِ الْإِيمَانُ وَالنُّدُورُ، فَإِنَّهُ عَرَضُ قَرِيبٍ، وَسَفَرٌ قَاصِدٌ⁽⁹⁾، وَمَسْعَى لَا يُنْفَقُ فِيهِ لِسَيِّدِي

1- أ، م: "دهر" والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب؛ كناية عن السند والمعلل.

2- ق، ع: "يجر" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت؛ فالجاه حق للجماعات وأتباعها.

3- أ، ق، ع: "يفيد" المثبت من م. ولعله الصواب؛ أي يعاد العز والمال للمسلمين بعد فقدهم.

4- أ: "لمن" والمثبت من باقي النسخ.

5- أ، ع: "البشر"، م: "اليسر". والمثبت من ق.

6- أ، م: "النادم" والمثبت من ق، ع.

7- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ سورة الحج، الآية: 11.

8- ق، ع: "العز" ولعل الصواب ما أثبت.

9- قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّعْةُ وَسَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ

يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، سورة التوبة، الآية: 42.

مِنْ مَالِهِ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ، وَوَطَنٌ بِحَرَكَتِهِ تُعِينُكُمْ⁽¹⁾ لِإِفْتِضَائِهِ، وَإِحْكَامِ آرَائِهِ وَتَأْمِينِ خَائِفِهِ، وَاسْتِقْدَامِ أَضْيَافِهِ وَطَوَائِفِهِ، وَيَبَحْرُكُونَ حَرَكَهَ [العَزَّ وَالتَّنْوِيهِ]⁽²⁾ وَالْقَدْرِ النَّبِيِّ، لَا يُعْزِزُكُمْ مِمَّنْ وَرَاءَكُمْ مَطْلَبٌ، وَلَا يُلْفَى عَنْ مُخَالَفَتِكُمْ مَذْهَبٌ، وَلَا يُكَدَّرُ لَكُمْ مَشْرَبٌ.

وَتَمُرُّ أَيَّامٌ وَشُهُورٌ، وَتَظْهَرُ بُطُونٌ لِلدَّهْرِ وَظُهُورٌ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابٌ، وَتُسَبَّبُ أَسْبَابٌ، مِنْ رُجُوعِ يَتَاتَى بَعْدَهُ السُّكُونُ وَالْفُتُورُ، وَقَدْ سَكَنَتِ الْخَوَاطِرُ وَتَنَوَّعَتِ الْأُمُورُ، أَوْ مَقَامٌ تُمَهِّدُ بِهِ الْبِلَادُ، وَيُعْمَلُ فِي تَرْتِيبِ السَّيْرِ وَالْإِجْتِهَادِ، وَيُسْتَعْرَقُ فِي هَذَا الْغَرَضِ الْأَمَادُ⁽³⁾، وَيَتَأَتَّى أَنْ حَدَثَ الْإِسْتِقْلَالُ وَالْإِسْتِبْدَادُ. وَأَمَّا اخْتِصَاصُ بِمَعْقِلٍ حَرِيْزٍ وَمُنْتَبَوٍّ عَزِيْزٍ، تَهْنَأُ فِيهِ الْأَعْمَارُ، وَيَكُونُ لِمَنْ يَشْتَغِلُ⁽⁴⁾ بِهِ عَلَى الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ الْخِيَارُ، أَوْ التَّحَكُّمُ فِي نَخِيرَةِ سَمَاءِهَا الْمَقْدَارُ، وَذُهْلٌ عِنْدَ مُشَاهَدَتِهَا الْإِعْتِبَارُ، وَخِرَازِنَةُ الْكُتُبِ بِجُمْلَتِهَا وَفِيهَا الْأَمَّهَاتُ الْكِبَارُ، قَدْ تَجَافَتَ⁽⁵⁾ عَنْهَا الْحَاجَةُ وَعَدِمَ إِلَيْهَا الْإِضْطِرَارُ، وَالرَّفْعُ الَّذِي يُسَوِّغُ بِالْشَّرْعِ وَالْعَقَارُ.

فَهَذَا كُلُّهُ حَاصِلٌ، وَتَمَّ ضَامِنٌ لَا يَتَّهَمُ وَكَافِلٌ، وَعُهُودٌ صَبِغُهَا غَيْرُ نَاصِلٍ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالْوَطَنُ لِأَعْرَاضِ الْمُلْكِ جَامِعٌ، وَلِمَقَاصِدِهِ مِنَ الْإِقَامَةِ وَالْإِنْتِقَالِ مُطِيعٌ وَسَامِعٌ. وَإِنْ تَوَقَّعَ إِثَارَةُ فِتْنَةٍ، وَارْتِكَابَ إِحْنَةٍ، فَالْأَمْرُ أَقْرَبُ، وَإِحَالَةُ التَّيْسِيرِ أَعْرَبُ، وَهَذِهِ الْحُجَّةُ فِي تَلَمُّسَانِ غَيْرِ مُعْتَبَرَةٍ، وَأَجْوِبَتُهَا مُقَرَّرَةٌ.

1- م: "يمينكم" وهو تحريف.

2- ق، ع: ساقط.

3- أ، م: "الإمداد".

4- أ، م: "يستقل" ق: "يشغل" والمثبت من ع.

5- أ، م: "تخافت" والمثبت من ق، ع.

وَقَدْ رُوِيَ الطَّاعِيَةُ وَإِعَانَتُهُ تَحْصُلُ فِي الْغَالِبِ عَلَى هَذِهِ الْمَطَالِبِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالدُّنْيَا قَدْ
 اخْتَلَّتْ ⁽¹⁾، وَالْأَفْدَامُ قَدْ زَلَّتْ، وَالْأَمْوَالُ قَدْ قَلَّتْ، وَشَبِيبَةُ الدَّهْرِ قَدْ وَلَّتْ. وَذَلِكَ الْفُطْرُ عَلَى عِلَاتِهِ،
 أَحْكَمُ لِمَنْ يَرُومُ الْجَاهَ وَأَمْنَعُ، وَأَجْدَى بِكُلِّ اعْتِبَارٍ وَأَنْفَعُ ⁽²⁾. وَقَدْ حَضَرَتْ لِاسْتِخْلَاصِكُمْ إِيَّاهُ الْآلَةُ
 الَّتِي لَا تَنْتَاقِي فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَتَهَيَّأَ الْمَكَانُ، وَافْتَضِيَتْ أَيْمَانُ، وَعُرِضَتْ سِلَعٌ تُقَلُّ لَهَا، وَارْتَهَنَتْ
 الْوَفَاءَ مَرْوَعَاتٌ ⁽³⁾ وَأَدْيَانٌ. وَتَحَقَّقَ بِذَلِكَ [الْفُطْرُ] ⁽⁴⁾ الْفَسَادُ الَّذِي اسْتَهْرَ بِهِ مَأْمُورُهُ وَأَمِيرُهُ، وَالْمُنْكَرُ ⁽⁵⁾
 الَّذِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ تَغْيِيرُهُ.

فَإِنْ شِئْتَ شَرَعًا فَالْحُكْمُ ظَاهِرٌ، أَوْ طَمَعًا فَالطَّمَعُ حَاضِرٌ، وَمَا تَمَّ عَازِلٌ ⁽⁶⁾ بَلْ عَازِرٌ، وَالْمُؤَنَّةُ
 الَّتِي تَلْزُمُ مَنْ أَنْ تَكُونَ تَمَنَ بَعْضِ الْحُصُونِ، وَمَا يُسْتَهْلَكُ فِي هَذَا الْغَرَضِ شَيْءٌ لَهُ خَطَرٌ، وَلَا
 يُسْتَنْفَدُ مِنَ الصَّحِيفَةِ سَطْرٌ، وَالْيَدُ مُحْكَمَةٌ، فَكُلُّ أَوْ شَطْرٌ، وَمَا يَخُصُّ الْمُلُوكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا
 اسْتِنْفَادُ نَشَبٍ، وَاسْتِخْلَاصُ مُزِيلٍ بَيْنَ مَوْرُوثٍ وَمُكْتَسَبٍ، وَبَعِيدٌ أَنْ لَا يُنْصَرَ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ،
 فَلَا بُدَّ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ أَعْيَانٍ، وَمَرْوَعَاتٍ وَأَحْسَابٍ وَأَدْيَانٍ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي
 شَأْنٍ﴾ ⁽⁷⁾

¹ - ق، ع: "اختللت" ولعل الصواب ما أثبت.

² - م: "أنضع" وهو تحريف.

³ - ق، ع: "مروعة" ولعل الصواب ما أثبت.

⁴ - ع: ساقط.

⁵ - م: "النكر". وكلاهما صحيح.

⁶ - م: "عازل" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ من العذل وهو اللوم.

⁷ - يقول تعالى: {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} سورة الرحمن، الآية: 29

وَأَمَّا خِدْمَةُ دَوْلَةٍ فَهِيَ عَلَى حَرَامٍ، وَلَا يَنْجَحُ لِي [فِيهَا] ⁽¹⁾ إِنْ اعْتَمَدْتُهَا مَرَامٌ، وَكَأَنَّنِي بِالْمَشْرِقِ
لَا حَقَّ، وَلِإِنْفَاسِهِ الزَّكِيَّةِ نَاشِقٌ. فَمَا هِيَ إِلَّا أَطْمَاعُ سَرَابِهَا لَمَاعٌ، فَإِذَا انْقَطَعَتْ انْفَسَحَتِ الدُّنْيَا
وَاتَّسَعَتْ مَعَاشِرُ ⁽²⁾ فِي غِمَارٍ، أَوْ عُكُوفٌ فِي كِسْرِ ⁽³⁾ دَارٍ، لِمُدَاوَمَةِ [اسْتِقَالَةٍ] ⁽⁴⁾ وَاسْتِعْفَارٍ. وَوَاللَّهِ مَا
تَوَهَّمَ [أَحَدٌ] ⁽⁵⁾ أَنْ مَنْ بِنِثْلِكَ الْبِلَادِ يَسْتَنْصِرُ بُغَاثَهُ عَلَيْكُمْ، وَيَحْتَقِرُّ مَا لَدَيْكُمْ، فَقَدْ ظَهَرَ الْكَامِنُ،
وَتَطَابَقَ الْمَخْبَرُ وَالْمُعَايِنُ.

فَسُبْحَانَ مَنْ يُقَوِّي الضَّعِيفَ، وَيُهِينُ الْمُخِيفَ، وَيُجْرِي يَدَ الْمَشْرُوفِ عَلَى الشَّرِيفِ. وَالْهَمُّ بِيَدِ
اللَّهِ يُنْجِذُهَا وَيَخْذُلُهَا، وَالْأَرْضُ فِي قَبْضَتِهِ يَرْعَاهَا وَيُهْمِلُهَا. هَذَا بَثٌّ لَا يَسَعُ ⁽⁶⁾ إِفْشَاؤُهُ، وَسِرٌّ إِنْ لَمْ
يُطَوَّ سَقَطَ بِهَا عَلَى السَّرْحَانِ عَشَاؤُهُ، وَفِيهِ مَا يُنْكَرُ الْأَمْرُ، وَتَتَعَلَّقُ بِهِ الظُّنُونُ وَتَعْمَلُ الْخَوَاطِرُ،
فَتَنْدَبِرُوهُ وَاعْتَبِرُوهُ ⁽⁷⁾، وَبِعَقْلِكُمْ فَاسْبُرُوهُ، ثُمَّ عُطُوهُ بِالْأَحْدَاقِ وَاسْتُرُوهُ. وَاللَّهُ يُرْشِدُكُمْ لِلَّتِي هِيَ أَسْعَدُ ⁽⁸⁾،
وَيَحْمِلُكُمْ عَلَى مَا فِيهِ الْعِزُّ السَّرْمَدُ، وَالْفَخْرُ الَّذِي لَا يَنْفَدُ. وَالسَّلَامُ.

1- ع: ساقط.

2- م: "معاش" وهو تحريف.

3- ق: "عسكر". ولعل الصواب ما أثبت؛ "ارفع كسر الخباء وكسرَه: شفته السفلى" أساس البلاغة / كسر، 134 / 2

4- ق: ساقط.

5- ق: ساقط.

6- م: "يتسع". وكلاهما صحيح.

7- م: "اعتَمَرُوهُ". وهو تحريف.

8- ق، ع: "السعد". ولعل الصواب ما أثبت.

[وَخَاطَبْتُهُ أَيْضاً بِقَوْلِي⁽¹⁾]

سَيِّدِي، بَلْ مَالِكِي، بَلْ شَافِعِي، [وَمُنْشَلِي⁽²⁾] مِنْ الْهَقْوَةِ وَرَافِعِي، وَعَاصِمِي عِنْدَ تَجْوِيدِ حُرُوبِ
الصَّنَائِعِ وَنَافِعِي، الَّذِي بِجَاهِهِ أَجْزَلَتِ الْمَنَازِلُ قِرَايَ، وَفَضَّلَتْ⁽³⁾ أَوْلَايَ -وَالْمِنَّهُ لِلَّهِ- أُخْرَايَ،
وَأَصْنَحْتُ وَقَوْلُ الْحَسَنِ هَجِيرَايَ:

عَلَقْتُ بِحَبْلِ مِنْ حَبَالِ مُحَمَّدٍ أَمَنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرٍ بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

فَلَوْ تَسَلَّى الْأَيَّامَ مَا أَسْمَى مَا دَرْتُ وَأَيَّنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِ

وَصَلْتُ مَكْنَسَةً⁽⁴⁾ حَرَسَهَا اللَّهُ [تَعَالَى] تَحْتَ غَيْثٍ حَذَا بِي حَدْوً نَدَاكَ، وَسَحَائِبَ لَوْلَا الْخِصَالِ
الْمُبَرَّةَ قَلَّتْ يَدَاكَ، وَكَانَ الْوَطَنُ [لَاغْتِبَاطِهِ]⁽⁵⁾ بِجَوَارِي، وَمَا رَأَهُ مِنْ انْبِثَاتِ زُورَايَ، أَوْعَزَ إِلَى بُهْتِ
يَقْطَعُ الطَّرِيقَ، وَأَطْلَقَ يَدَهُ عَلَى التَّغْرِيقِ⁽⁶⁾، وَأَشْرَقَ⁽⁷⁾ الْقَوَافِلَ مَعَ كَثْرَةِ الْمَاءِ بِالرِّيقِ، فَلَمْ يَسَعِ إِلَّا
الْمُقَامُ أَيَّامًا، فُعُودًا فِي الْبَرِّ وَقِيَامًا، وَاخْتِيَارًا فِي ضُرُوبِ⁽⁸⁾ الْأُنْسِ وَاغْتِنَامًا.

1- ق: ساقط.

2- م: ساقط.

3- م: "وصلت" وهو تحريف.

4- مكناس أو مكناسة: "هي بالإسبانية Mequinez اتخذها المولى اسماعيل عاصمة له، وطبعها بطابع عبقريته. تقع جنوب غرب فاس على مسافة 60 كم، وقد سميت باسم قبيلة مكناسة البربرية التي اختطت المدينة أولا" التعريف بابن خلدون، ص: 221

5- م: ساقط.

6- أ، ق، ع: "التغريق". والمثبت من م.

7- أ، م: "إشراق". والمثبت من ق، ع.

8- م: "حروب" وهو تحريف.

وَرَأَيْتُ بَلَدَةً مَعَارِفُهَا أَعْلَامٌ، وَهَوَاؤُهَا ⁽¹⁾ بَرْدٌ وَسَلَامٌ ⁽²⁾، وَمَحَاسِنُهَا تُعْمَلُ فِيهَا أَلْسِنَةٌ وَأَقْلَامٌ. فَحَيَّا
 اللَّهُ سَيِّدِي، فَلَكُمْ مِنْ فَضْلِ أَقَادٍ، وَأَنْسِ أَحْيَا وَقَدْ بَادَ، وَحَفِظْ مِنْهُ عَلَى الْأَيَّامِ الذُّخْرَ وَالْعَتَادَ، كَمَا
 مَلَكَهُ زَمَامَ الْكَمَالِ فَاقْتَادَ. وَأَنَا أَتَطَارُحُ عَلَيْهِ فِي صِلَةٍ تَفْقُدُهُ، وَمُؤَالَاةٍ يَدِهِ، بِأَنْ يُسَهِّمَنِي فِي فَرَضٍ ⁽³⁾
 مُخَاطَبَتِهِ، مَهْمَا خَاطَبَ مُعْتَبِرًا بِهَذِهِ الْجِهَاتِ، وَتَصَحَّبَنِي مِنْ أَنْبَائِهِ ⁽⁴⁾ صُحْبَةً بِكُؤُوسِ الْمَسَرَّاتِ ⁽⁵⁾
 يَعْمَلُ فِيهَا هَاكَ وَهَاتِ. فَالْعِزُّ بِعِزِّهِ ⁽⁶⁾ مَعْفُودٌ ⁽⁷⁾، وَالسَّعْدُ بِوُجُودِهِ مَوْجُودٌ، أَبْقَاهُ اللَّهُ بَقَاءَ الدَّهْرِ،
 وَجَعَلَ حُبَّهُ وَظِيفَةً ⁽⁸⁾ السَّرَّ، وَحَمَدَهُ وَظِيفَةً ⁽⁹⁾ الْجَهْرَ، وَحَفِظَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ زَمَنِ الزَّهْرِ،
 وَوَصَلَ لَنَا بِإِيَالَتِهِ، الْعَامَ بِالْعَامِ، وَالشَّهْرَ بِالشَّهْرِ، آمِينَ آمِينَ وَالسَّلَامُ.

1- أ، ق، ع: "دواؤها" والمثبت من م.
 2- قال تعالى: {فَلَنَّا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} سورة الأنبياء، الآية: 69
 3- ق، ع: "فرد". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي يجعل له نصيبا مفروضا.
 4- ق، ع: "بناء" وهو تحريف.
 5- أ، م: "مسرة". والمثبت من ق، ع.
 6- م: "بعده". وهو تحريف.
 7- ق: "مفقود". ولعل الصواب ما أثبت.
 8- ق: "وضيفة". وهو تصحيف.
 9- ق: "وضيفة". وهو تصحيف.

[وَحَاطَبْتُهُ أَيْضاً فِي غَرَضِ الشَّفَاعَةِ] (1)

يَا سَيِّدِي أَبْقَاكُمْ اللَّهُ مَحَطَّ الْأَمَالِ وَقِبْلَةَ الْوُجُوهِ، وَبَلَغَ سَيَادَتَكُمْ مَا تُؤْمَلُهُ (2) [مِنْ] (3) فَضْلِ اللَّهِ وَتَرْجُوهُ، وَكَلاَّ بِعَيْنِهِ (4) [حِفْظِهِ] (5) ذَاتِكُمُ الْفَاخِرَةِ، وَجَعَلَ عِزَّ الدُّنْيَا مُتَّصِلاً بِعِزِّ الْآخِرَةِ، بَعْدَ تَقْيِيلِ يَدَيْكُمُ الَّتِي يَدُهَا لَا تَزَالُ تُشْكِرُ، وَحَسَنَتْهَا عِنْدَ اللَّهِ نُذُكْرُ.

أُنْهِيَ إِلَى مَقَامِكُمْ أَنَّ الشَّيْخَ الْكَذَّاءَ فَلَانَ، مَعَ كَوْنِهِ مُسْتَحِقُّ التَّجَلَّةِ، فَهَجَرَهُ إِلَى أَبْوَابِكُمُ الْكَرِيمَةِ قَدُمْتُ، وَوَسَائِلُ أَصَالَةٍ وَحِشْمَةٍ كَرُمْتُ، وَفَضْلٌ وَوَقَارٌ، وَتَنْوِيهِ لِلْوِلَايَةِ إِنْ كَانَتْ ذَا اخْتِقَارٍ (6)، وَسِنْ أَفْتَضَى الْفَضْلُ بَرَّهُ، وَأَدَبُ شَكَرِ الْإِخْتِيَارِ (7) عَلَنَهُ وَسِرَّهُ، لَهُ بِمَعْرِفَةِ سَلَفِكُمُ الْأَرْضَى وَسِيلَةٌ مَرْعِيَّةٌ، وَفِي الْإِعْتِرَافِ بِنِعْمَتِكُمْ (8) مَقَامَاتٌ مَرْضِيَّةٌ، وَتَوَجُّهُ إِلَى بَابِكُمْ، وَالتَّمَسُّكُ بِأَسْبَابِكُمْ.

وَالْمُؤْمَلُ مِنْ سَيِّدِي سِتْرُهُ بِجَنَاحِ رَعِيهِ فِي حَالِ الْكِبَرَةِ، وَلَحْظُهُ [بِطَرِيقِ الْمَبَرَّةِ] (9) إِمَّا فِي اسْتِعْمَالِ يَلِيقُ بِذِي الْإِحْتِشَامِ، أَوْ سَكَنٍ تَحْتَ رَعِيٍّ وَاهْتِمَامٍ، وَإِعَانَةٍ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ، فَيَكُونُ مِسْكُهُ خِتَامٌ (10)، وَهُوَ أَحَقُّ الْفَرَضَيْنِ بِالنِّزَامِ، وَإِحَالَةُ سَيِّدِي فِي حِفْظِ رَسْمِ مِثْلِهِ عَلَى اللَّهِ الَّذِي يُجْزَى الْمُحْسِنُونَ بِفَضْلِهِ. وَمِنْهُ نَسْأَلُ أَنْ يُدِيمَ [أَيَّامَ] (11) الْمَجْلِسِ الْعِلْمِيِّ مَحْرُوساً مِنَ النَّوَائِبِ، فَبَلَغَ

1- ق: ساقط.

2- م: "تأمله". ولعل الصواب ما أثبت؛ مبالغة وتكثيراً.

3- ق، ساقط.

4- أ، م: "بعين" والمثبت من ق، ع.

5- ق، ع: ساقط.

6- ق: "افتقار" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي الرفع من قيمة الولاية.

7- ق: "الاعتبار" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أدبه مختار بدقة.

8- ق، ع: "لسلفكم" ولعل الصواب ما أثبت؛ تفادياً للتكرار.

9- ق، ع: ساقط.

10- قال تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿سورة المطففين، الآية: 26.﴾

11- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

الْأَمَالَ وَالْمَآرِبَ. وَالْمَمْلُوكُ قَرَّرَ شَأْنَهُ فِي إِسْعَافِ الْمَقَاصِدِ الْمَأْمُولَةِ مِنَ الشَّفَاعَةِ إِلَيْكُمْ، وَالتَّسْحُبِ⁽¹⁾ فِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ عَلَيْكُمْ. وَتَقْلِبُ الْقُلُوبِ بِيَدِ اللَّهِ⁽²⁾ الَّذِي يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَمْلِكُ الْأَمْرَ أَجْمَعَ، وَالسَّلَامُ.

¹ - م : "التحبيب". ولعل الصواب ما أثبت؛ "سحبت وتسحبت من الطعام والشراب: تكثر" أساس البلاغة / سحب: 1 / 441

² - عن أنس- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله : (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا بِكَ، وَيَمَّا جِئْتُ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ : "نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ) رواه الترمذي وقال حديث حسن (448/4) رقم 2140، وابن ماجه (1260/2) رقم 3834. وصحح الألباني في صحيح الترمذي (225/2) وصحح سنن ابن ماجه.(325/2).

[وَخَاطَبْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ بَدْرِ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -] (1)

يَا جُمْلَةَ الْفَضْلِ وَالْوَفَاءِ مَا بِمَعَالِيكَ مِنْ خَفَاءِ

عِنْدِي لِلْوُدِّ فِيكَ عَقْدٌ صَحَّحَهُ الدَّهْرُ بِاِكْتِفَاءِ

مَا كُنْتُ أَقْضِي عَنْكَ حَقًّا لَوْ جُنْتُ مَذْحًا بِكُلِّ فَاءِ

فَأُولِ وَجْهِهِ الْقَبُولِ عُذْرِي وَجَنَّبِ الشَّكِّ فِي صَفَاءِ (2)

سَيِّدِي، الَّذِي هُوَ فَضْلٌ (3) جِنْسِهِ، وَمَزِيَّةٌ يَوْمِهِ عَلَى أُمْسِهِ، فَإِنْ افْتَحَرَ الدِّينُ مِنْ أَبِيهِ بِبَدْرِهِ،

افْتَحَرَ مِنْهُ بِشَمْسِهِ. رَحَلْتُ عَنْ (4) الْمُنْشَأِ وَالْقَرَارَةِ، [وَمَحَلَّ الصَّبْوَةِ وَالْغَرَارَةِ] (5)، فَلَمْ تَتَعَلَّقْ نَفْسِي

بِذَخِيرَةٍ، [وَلَا عَهْدَ حَبِيرَةٍ خَيْرَةٍ] (6)، كَتَعَلَّقَهَا بِتِلْكَ الذَّاتِ الَّتِي لَطُفَتْ لَطَافَةُ الرَّاحِ، وَاشْتَمَلَتْ بِالْمَجْدِ

الصُّرَاحِ، شَفَقَةً أَنْ تُصِيبَهَا (7) مَعَرَّةٌ، وَاللَّهُ يَقِيهَا وَيَحْفَظُهَا وَيُبْقِيهَا؛ إِذِ الْفَضَائِلُ فِي الْأَزْمَانِ الرِّزْلَةِ (8)

عَوَائِلُ (9)، وَالضُّدُّ عَنْ ضِدِّهِ مُنْحَرِفٌ [بِالطَّبْعِ] (10) وَمَائِلٌ.

فَلَمَّا تَعَرَّفْتُ خَلَاصَ سَيِّدِي مِنْ ذَلِكَ الْوَطَنِ، وَالْقَاءَهُ وَرَاءَ الْفُرْصَةِ بِالْعَطَنِ، لَمْ تَبْقَ لِي تَعَلَّةٌ، وَلَا

أَحْرَضَتْنِي (11) عِلَّةٌ، وَلَا أُوتِيَ جَمْعِي مِنْ قِلَّةٍ. فَكَتَبْتُ أَهْنَى نَفْسِي الثَّانِيَةَ بَعْدَهَا بِهَنَاءِ نَفْسِي الْأُولَى،

1- ق: ساقط.

2- ديوان ابن الخطيب: 1/ 101. وهي من مخلع البسيط.

3- م: "فصل" وهو تصحيف.

4- ق: "على" ولعل الصواب ما أثبت.

5- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

6- ق: ساقط.

7- أ، ع، م: "يصيبها". والمثبت من ق.

8- ق، ع: "الردلة" بدال مهملة، وهو تصحيف.

9- ق: "عوائل"، م: "عوامل". ولعل الصواب ما أثبت؛ فالفضائل هي ما يعول عليها عند انحطاط الزمان.

10- ق، ع: ساقط.

11- أ: "حرضني" والمثبت من باقي النسخ.

وَأَعْتَرَفُ لِلزَّمَنِ بِالْيَدِ الطُّوْلِى. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ الشَّمْلَ بَعْدَ شَتَاتِهِ، وَأَخْيَى الْأَنْسَ بَعْدَ مَمَاتِهِ،
سُبْحَانَهُ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ.

وَأَيَّاهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ الْعِصْمَةَ حَظَّ سَيِّدِي وَنَصِيْبِهِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ حَدِثٌ ⁽¹⁾ أَنْ يُصِيبَهُ، وَأَنَا
أَحْدَجُ ⁽²⁾ عَنْ بَثِّ كَمِينٍ، وَنُصَحِ أَنَا بِهِ ⁽³⁾ قَمِينٌ، بَعْدَ أَنْ أُسِيرَ ⁽⁴⁾ غَوْرُهُ، وَأَخْبَرَ طَوْرُهُ، وَأَرْصَدَ فَوْرُهُ.
فَإِنْ كَانَ لَهُ فِي التَّشْرِيقِ أَمَلٌ، وَفِي رَكْبِ الْحِجَازِ نَاقَةٌ وَجَمَلٌ ⁽⁵⁾، وَالرَّأْيُ قَدْ نَجَحَتْ مِنْهُ نِيَّةٌ وَعَمَلٌ.
فَقَدْ غَنَيْ عَنِ عَرَفَ وَالْبَقَرَاتِ، بِأَرْكَى الثَّمَرَاتِ، وَإِطْفَاءِ الْجَمْرَاتِ بِرَمِي الْجَمْرَاتِ ⁽⁶⁾، وَتَأْنُسِ بِوَصْلِ
السُّرَى، وَوِصَالِ الْمَسَرَّاتِ. وَأَنَا لَهُ إِنْ رَضِيْنِي أَرْضَى مُرَافِقِي، وَلَوْ عَزَى بِهِ خَافِقِي. وَإِنْ كَانَ عَلَى
السُّكُونِ بِنَاؤُهُ، [وَأَنْصَرَفَ إِلَى الْإِقَامَةِ اعْتِنَاؤُهُ] ⁽⁷⁾، فَأَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ، وَاللَّهُ يَحْفَظُ مِنَ الْغَيْرِ سَعْدَهُ.
وَالْحَقُّ أَنْ تُحْدَفَ الْأُبْهَةُ وَتُخْتَصَرَ، وَيُحْفَظَ اللَّسَانُ وَيُعَضَّ الْبَصَرُ، وَيَنْخَرِطَ فِي الْغِمَارِ،
وَيُخَلَّى عَلَى ⁽⁸⁾ الْمِضْمَارِ، وَيُجْعَلَ مِنَ الْمَحْظُورِ مَخَالِطَةٌ ⁽⁹⁾ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ، مِمَّنْ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ قَوْلَهُ
وَلَا عَمَلَهُ، فَلَا يَكْتُمُ سِرًّا، وَلَا يَتَطَوَّقُ [مِنْ الرُّجُولَةِ] ⁽¹⁰⁾ زِرًّا. وَرَفُضُ الصُّحْبَةِ زِمَامُ السَّلَامَةِ، وَتَرْكُ
الْعَلَامَةِ عَلَى النَّجَاةِ عَلَامَةٌ.

1- أ، م: "أحد" والمثبت من ق، ع.

2- "تراموا بالحدج وهو صغار الحنظل. ومن المجاز حدجه بالسهم: رماه به" أساس البلاغة / حدج، 1 / 173

3- م: "إنائه" وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبت؛ "وبه قمين وهم قمنون وقمناء أي أمناء" أساس البلاغة / قمن: 2 / 103

4- ق: "أسير" وهو تصحيف.

5- مثل يضرب في براءة الإنسان من تهمة لا شأن له بها، أو دعي إلى عمل لا يجني من ورائه نفعاً. مجمع الأمثال، الميداني، 2 /

153

6- م: "الحرمان" وهو تصحيف.

7- أ، م ساقط، والمثبت من ق، ع.

8- ق، ع: "عن".

9- أ، ع، م: "ملاحظة" والمثبت من ق.

10- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

وَأَمَّا حَالِي فَمَا عَلِمْتُمْ مُلَازِمُ كِنٍّ، [وَمَبْهُوْظُ] ⁽¹⁾ تَجَرِبَةٍ وَسِنٍّ، أَرْجِي ⁽²⁾ الْآيَّامَ، وَأَرْوَمُ بَعْدَ التَّفَرُّقِ
 الْإِلْتِنَامَ، خَالِي الْيَدِ، مَلِيءَ الْقَلْبِ وَالْخَلْدِ، بِفَضْلِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ. عَامِلٌ عَلَى الرَّحَلَةِ الْحِجَازِيَّةِ الَّتِي
 أَخْتَارَهَا لَكُمْ وَلِنَفْسِي، وَأَصِلُ فِي التِّمَاسِ الْإِعَانَةَ عَلَيْهَا يَوْمِي وَأَمْسِي، أُوجِبُ مَا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ مَا أَنْتُمْ
 أَعْلَمُ بِهِ مِنْ وَدِّ قَرَرْتُهُ الْآيَّامَ وَالشُّهُورَ، وَالْخُلُوصُ الْمَشْهُورُ، وَمَا أَطَلْتُ فِي شَيْءٍ عِنْدَ قُدُومِي عَلَى
 هَذَا الْبَابِ الْكَرِيمِ، إِطَالَتِي فِيمَا يَخْتَصُّ بِكُمْ مِنْ مُوَالَاتِهِ، وَبَذَلِ مَجْهُودِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ عَلَى ⁽³⁾
 مَرْضَاتِهِ.

وَأَمَّا ذِكْرُكُمْ ⁽⁴⁾ فِي هَذِهِ الْأَوْضَاعِ، فَهُوَ مِمَّا يُقَرَّرُ عَيْنَ الْمَجَادَةِ وَالْوُضِيفَةِ، الَّتِي تَتَأَفَسُ فِيهَا أَوْلُو
 السِّيَادَةِ. وَاللَّهُ يَصِلُ بَقَاءَكُمْ، وَيُيسِّرُ لِقَاءَكُمْ. [وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ] ⁽⁵⁾.

¹ - أ : ساقط، والمثبت من باقي النسخ. من "بَهْظَةُ الْحِمْلِ": أثقله" أساس البلاغة / بهظ: 84 / 1

² - ق، ع : "راجي" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالمعطوف عليه فعل.

³ - ق، ع : "في" ولعل الصواب ما أثبت؛

⁴ - أ، م : "ذكرهم"، والمثبت من ق، ع.

⁵ - ق، ع : ساقط.

[وَخَاطَبْتُهُ مُقَرَّرًا لِلْوَسِيلَةِ وَالشَّفَاعَةِ] ⁽¹⁾

سَيِّدِي الْأَعْظَمُ، وَمَلَاذِي الْأَعْصَمُ، وَعُرْوَةُ عِزِّي الْوُثْقَى الَّتِي لَا تُفْصَمُ. أَبْقَاكَ اللَّهُ بَقَاءً ⁽²⁾ يَأْمُرُ
الدَّهْرَ فَيَأْتِمُرُ، وَيُلَبِّي بِنَتَائِكَ ⁽³⁾ الطَّائِفُ وَالْمُعْتَمِرُ، بِأَيِّ لِسَانٍ أَنتُنِي عَلَى فَضَائِلِكَ؛ ⁽⁴⁾ وَهِيَ أُمّهَاتُ
الْمِنَنِ، وَطَرَبُ ⁽⁵⁾ الشَّامِ ⁽⁶⁾ وَالْيَمَنِ ⁽⁷⁾، [وَمَقَامَاتُ بَدِيعِ الزَّمَنِ] ⁽⁸⁾، وَالتُّخَفُ الْمُتَرْفَعَةُ عَنِ الثَّمَنِ.

فَحَسْبِي دُعَاءٌ أَرَدَّدُهُ وَأُوَالِيهِ، وَأَطْلُبُ مَطْلُوبَ الْإِجَابَةِ مِنْ مُقَدَّمِهِ وَتَالِيهِ، وَإِنْ تَشَوَّفَ الْمُنْعَمُ
لِلْحَالِ الْمَوْفُوفِ، جَبَرَهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَلَى جَمِيلِ سَعْيِهِ، الْمَوْسَدَةِ عَلَى وَطَاءِ لُطْفِهِ، الْمَغْشَاةِ ⁽⁹⁾ بِغِطَاءِ
رَعْيِهِ، فَقَلْبُ خَافِقٍ، يُحَارِبُهُ ⁽¹⁰⁾ وَسْوَاسٌ مُنَافِقٌ، وَقَدْ تَجَاوَزَ مُوسَى مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ⁽¹¹⁾، وَأَصْبَحَ سُرَى
إِبَابِهِ سُرَى الْقَيْنِ.

وَلَقَدْ كَانَتْ مَرَايِلُ الرُّسُلِ قَصِيرَةً قَبْلَ أَنْ يُكْسِبَهَا ⁽¹²⁾ رَحْلِي ثِقْلَ الْحَرَكَةِ، وَيَخْلِطَ خَاصِمِي فِي

1- ق: ساقط.

2- بياض في جميع النسخ.

3- ع: "ببابك". وكلاهما صحيح.

4- أ، ق، م: "فواضلك". والمثبت من ع. ولعله الصواب؛ فالفواضل ما يفضل على الشيء.

5- أ، ق، م: "طوف" والمثبت من ع.

6- "الشام": بفتح أوله، وسكون همزته، والشام بفتح همزته، وفيها لغة ثالثة وهي الشام، بغير همز... وأما حدها فمن الفرات إلى
العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم "معجم البلدان: 3/ 312.

7- اليمَن: بالتحريك، حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عَدَن إلى الشَّحَر حتى يجتاز عمان فينقطع من
بينونة "معجم البلدان: 447/ 5

8- ع: ساقط. "أحمد بن الحسين بن يحيى الهمداني (358هـ - 398/969 هـ - 1008) أبو الفضل: أحد أئمة الكتاب. له مقامات، أخذ
الحريري أسلوب مقاماته عنها. وكان شاعرا، وطبقته في الشعر دون طبقته في النثر" الأعلام: 1/ 115

9- م: "المفشاة". وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت.

10- أ، ق، م: "يجاوبه" والمثبت من ع.

11- مجمع البحرين: "منهم من يرى أنهما بحرا الأردن والفلزم، ومنهم من يراه في أنطاكية، ومنهم من يراه في طنجة المغربية
القريبة من الأندلس" تفسير القرطبي، 11/9، سورة الكهف، الآية 60.

12- أ: "يكتسبها"، والمثبت من ع، م

وَضَائِفُهَا الْمُشْتَرَكَةُ. وَلَيْتَ أَمْرِي بَرَزَ إِلَى طَرْفٍ، وَأَفْضَى ⁽¹⁾ إِلَى مُنْصَرَفٍ، وَرُبَّمَا ظَفَرَ ⁽²⁾ أَنْسُ بِمَا يَزْجُوهُ، وَبَرَزَ الْمَحْبُوبُ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَاللَّهُ لَا يَفْضَحُ جَاءَ الْكِتَابِ الَّذِي أَحْيَا وَأَنْشَرَ ⁽³⁾، وَحَيًّا وَبَشَّرَ ⁽⁴⁾، وَأَعْطَى صَحِيفَتَهُ بِالْيَمِينِ وَقَدْ جَمَعْتَ مَثَابِئَكُمْ الْمَحْشَرِ، وَمَوْصِلُ كِتَابِي يُثُوبُ فِي تَقْبِيلِ الْيَدِ الْعِلْمِيَّةِ مَنَابِي.

وَلِيَعْلَمَ سَيِّدِي أَنَّ هَذَا الْقَطْرَ عَلَى شُهُرَتِهِ، وَتَأَلَّقَ مُشْتَرِيهِ وَزُهُرَتِهِ، إِذَا انْتَحَلَ كِرَامُهُ ⁽⁵⁾، وَعَهْدُ ⁽⁶⁾ الْفَضْلِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا انْصِرَامُهُ؛ فَهُوَ لُبَابُهُ الْمُتَخَيَّرُ، وَزُلَّالُهُ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ. أَصَالَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَهِمَّةٌ إِلَى الْإِيثَارِ مَصْرُوفَةٌ، وَنُبْلٌ عَنِ السِّنِّ وَالْكِبَرَةِ، وَرُجُولَةٌ خَلِيقَةٌ بِصِلَةِ الْخِدْمَةِ وَالْمَبَرَّةِ. وَالْوَسِيلَةُ لَا تُطْرَحُ، وَالْمَعْنَى الَّذِي لَا يُعْبَرُ لَوْضُوحِهِ وَلَا يُشْرَحُ، هُوَ انْتِمَاؤُهُ إِلَى جَنَابِ ⁽⁷⁾ سَيِّدِي حَدِيثًا وَقَدِيمًا، وَاعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ، مُدِيرًا لَهَا وَخَدِيمًا.

وَاللَّهُ يُوقِّرُ مِنْ إِيثَارِ سَيِّدِي حَظَّهُ، وَيَحَدِّدُ لَدَيْهِ رَعِيَهُ وَلَحْظَهُ، حَتَّى يَعُودَ خَافِقًا عِلْمُ إِقْبَالِهِ، مُعْلِمًا بَرَدَ اهْتِبَالِهِ، مَسْرُورًا بِبُلُوغِ آمَالِهِ. فَلَعَمْرِي إِنَّ مَحَلَّ وَلَايَتِهِ لَكَفِيٌّ، وَإِنَّ عَهْدَ أَمَانَتِهِ لَوْفِيٌّ، وَإِنَّ عَامِلَ جَدِّهِ لَظَاهِرٌ وَخَفِيٌّ. وَمَا يَفْعَلُهُ سَيِّدِي مِنْ رَعِيهِ، وَإِنْجَاحِ سَعْيِهِ، مَحْسُوبٌ فِي جُمْلَةِ مَنَاقِبِهِ ⁽⁸⁾، وَمَعْدُودٌ فِي فَضْلِ مَكَارِمِهِ وَمَوَاهِبِهِ. وَاللَّهُ يُبْقِيهِ، وَيَضَعُ الْبَرَكَهَ فِيهِ. وَالسَّلَامُ.

1- ع: "أهدى". ولعل الصواب ما أثبت.

2- أ، ق، م: "ظهر". والمثبت من ع.

3- م: "أنشر" وهو تحريف.

4- م: "أبشر" وكلاهما صحيح.

5- م: "كرامة" ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.

6- م: "عمد" وهو تحريف.

7- ع: "جانب" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي في رعايته وكنفه.

8- م: "مذاهبه".

[وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبْتُ بِهِ لِلْقَاضِي خَالِدِ بْنِ عِيسَى بْنِ أَبِي خَالِدٍ^(١) فِيمَا يَظْهَرُ

مِنْهَا]^(٢)

وَصَلَ اللَّهُ عِزَّةَ الْفَقِيهِ النَّبِيِّ، الْعَدِيمِ النَّظِيرِ وَالشَّيْبَةِ، وَارِثِ الْعَدَالَةِ عَنْ عَمِّهِ، وَابْنِ عَمِّهِ وَأَبِيهِ،
فِي عِزَّةٍ تُظَلِّلُهُ، وَوَلَايَةٍ تُتَوَجَّحُ جَاهُهُ وَتُكَلِّلُهُ، وَمَعْرِفَةٍ تُسَوِّغُ لَهُ مَا ضَاقَ فِيهِ سَبِيلُ الْمَعَاشِ وَتُحَلِّلُهُ، وَلَا
زَالَ غَاصًّا بِمَثُوبِ اللَّطَائِفِ حَتَّى مِنْ أَحْوَازِ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ^(٣) مَنَزَلُهُ.

أَفَاتِحُ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ الْقَاضِيَّ بِالتَّحِيَّةِ، الْكَفِيلَةَ بِإِنْشَاءِ الْأَرْحِيَّةِ، تَحِيَّةَ الْإِسْلَامِ الْبَرِيَّةِ مِنْ
الْمَلَامِ، وَلَوْلَا الْإِلْتِزَامُ لِلِسُنَّةٍ لَمُدَّتْ إِلَى تَحِيَّةِ كِسْرَى^(٤) أَيْدِي الْمَنَّةِ، وَأَشَاهِدُ بِالتَّخْيِيلِ جَمَالَ تِلْكَ
الْهَمَّةِ، قَبْلَ إِعْمَالِ ذَوَاتِ الْأَرْمَةِ، وَأَتَنَعَّمُ عَلَى الْبُعْدِ بِسَمَاعِ تِلْكَ الْأَلْفَافِ الْمَشْرِقِيَّةِ، قَبْلَ ذَهَابِ الْبَقِيَّةِ.
وَأُلَاحِظُ بِعَيْنِ الْبَصَرِ لَطَافَةَ الْخُطَّةِ، بَعْدَ خَطَوَاتِ كَخَطَوَاتِ الْبَطَّةِ، وَنَزَعَاتِ أَوْدَعْتُهَا فِي ثَرَى الطَّنْبَعِ
النَّبِيلِ، مِيَاهِ النَّيْلِ، وَآدَابِ سَرَتْ فِي الْقَدْرِ الْجَلِيلِ مِنْ بَرَكَاتِ الْمَقْدَسِ وَالْخَلِيلِ^(٥). وَأَسْتَغْفِرُ^(٦) اللَّهَ

^١ - "هو خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي من أهل قنتورية، حج وسجل رحلة ثم قفل إلى الأندلس، وكان قاضيا في زمن تدوين الإحاطة" نفح الطيب: 275 / 3 - 278

^٢ - ق، ع: ساقط.

^٣ - الطائف: "بعد الألف همزة في صورة الباء ثم فاء: بليدة صغيرة على طرف واد وهي محلتان: إحداهما على هذا الجانب يقال لها طائف ثقيف، والأخرى على هذا الجانب يقال لها الوهط" معجم البلدان: 9 / 4

^٤ - هو ملك الفرس، لقب كسرى أنوشروان. ساعد في طرد الاحباشة من اليمن عندما توجه اليه سيف بن ذي يزن. ولكن الفرس استولوا على اليمن وظلوا فيها حتى مجيء الإسلام.

^٥ - الخليل: "اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام" معجم البلدان: 387 / 2

^٦ - أ، ق، ع: "نستغفر" والمثبت من م.

مِنْ أَيَّامٍ أَقْشَعَتْ سَحَابُهَا، وَبُتَّ اسْتِصْحَابُهَا، وَلَمْ تَعْلَمْ بِمُكَاتَبَةِ الْمَجْلِسِ الْقَاضِيَّ بُرُودُهَا، وَلَا حُلِيَّتْ بِحُلِيِّ آدَابِهِ وَوُودُهَا، وَلَا أَقْضِيَّ⁽¹⁾ فِي مَوَارِدِ فَضْلِهِ وَرُودُهَا.

أَمَّا عُذْرِي فِي عَدَمِ اسْتِنْزَالِهِ وَاسْتِسْقَاءِ غَزَالِهِ، فَرَبِّمَا تَبَيَّنَ، وَيُسْفِرُ مِنْهُ الْجَبِينُ، لِمَا اسْتَوَلَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ كَسَلٍ، وَرَاعَهَا لِلشَّيْبِ مِنْ نُصُولِ أَسَلٍ، وَسَامَهَا مِنْ شَرَابِ النَّحْلِ وَمُغْتَسَلٍ. فَمَذُ تَثَبُّتِ الْأَعْنَةِ مِنْ بَعْدِ الْإِغْتِرَابِ لَمْ يُغْرِهَا لَمْعُ السَّرَابِ، وَلَا مُوَاصَلَةُ الْأَثَرَابِ، وَلَا عَوَّلَتْ إِلَّا عَلَى الثَّرَابِ، وَكَفَى بِعَبِيرِ الْقَاضِي عِبْرَةً لَا بَلَّ خِبْرَةً؛ وَهِيَ هَدِيَّةُ الطَّيِّبِ، وَمُدِيلَةُ الْإِبْتِسَامِ مِنَ التَّقْطِيبِ، وَقَدْ تَضَاعَفَ بِاصْطِفَائِهِ إِيَّاهَا الشَّدَى، وَكَفَى فِي مِثْلِهَا مِنْ صَدَقَاتِ الصَّدَقَةِ الْمَنْ وَالْأَذَى⁽²⁾. فَلَوْلَا أَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى مُحَاظَبَتِهِ هَذِهِ حَالٌ غَالِبَةٌ، وَمُقَدِّمَةٌ لِلتَّمَسُّكِ سَالِبَةٌ، لَتَنَازَلَهَا عُمُومُ حُكْمِ الْإِمْسَاكِ، حَتَّى عَنْ مُدَاخَلَةِ النَّسَاكِ.

وَأَمَّا الْقَاضِي -أَعَزَّهُ اللَّهُ- فَمَا الَّذِي يَمْنَعُهُ عَمَّا يَقُولُهُ أَوْ يَصْنَعُهُ. نَفْسٌ نَشِيطَةٌ، وَخُلُقٌ بَيِّنٌ الْجِدِّ الصُّرَاحِ وَالْهَزْلِ الْمُبَاحِ وَسِيطَةٌ⁽³⁾، وَبِرَاعٌ طَائِعٌ، تَسْرُحُ تَحْتَ عَصَاهُ مِنَ الْبَيَانِ فَطَائِعٌ⁽⁴⁾، وَالْعُذْرُ فِي مِثْلِهَا دَعِيٌّ⁽⁵⁾ مَتَى نُسِبَ، وَمُسْتَحَقٌّ مَتَى اكْتُسِبَ. وَلَمَّا رَابَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا حَقُّهُ أَنْ يُرِيبَ، وَيُنْكَرُ مِثْلُهُ مِنْ أَعْمَالِ الْإِسْتِقْرَاءِ وَالتَّجْرِبِ، بَحَنْتُ عَنْ سَبَبِهِ، وَعِلَّةِ مُنْقَلَبِهِ، وَالزُّهْدِ فِيهِ مِنْ بَعْدِ طَلَبِهِ، فَذَكَرَ لِي أَنَّ جَوَّ وَدِّهِ غَيْرُ صَافٍ⁽⁶⁾، وَمِمِيزَانَ عَمَلِهِ لَيْسَ بِذِي اتِّصَافٍ بِإِنْصَافٍ، وَأَنَّهُ

¹ - م: "لا قضي".

² - قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ...} سورة البقرة، الآية: 264

³ - م: "سيطة". وهو تحريف.

⁴ - م: "مطامع". وهو تحريف.

⁵ - م: "أدعي" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي متهم في نسبه.

⁶ - م: "معاف". وهو تحريف.

يَحْقِدُ عَلَى الْمُحِبِّ فَلْتَةً دُعَابَةً وَفُكَاهَةً، لَمْ تُقْضِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَى سَفَاهَةٍ، وَلَا خَلَا طَبْعُهَا مِنْ حَلَاوَةٍ
أَوْ تَفَاهَةٍ. وَأَعْرَضَتْ عَنْ عَرْضٍ تَسْتَبِيحُهُ، أَوْ هَجْوٍ يُنْهَى ⁽¹⁾ عَلَى الْفَضْلَاءِ قَبِيحُهُ. وَوَلَعَتْ بِظَرِيفٍ
مَجَازٍ، وَهَيَاتٍ حِجَازٍ، وَقَرَّرَتْ نَسَبَ الْأَدَبِ، وَوَصَلَتْ السَّبَبَ بِالسَّبَبِ.

ثُمَّ تَوَالَى بَعْدَهَا السَّعْيُ وَالْكَدْحُ، وَاتَّصَلَ الْحَمْدُ وَالْمَدْحُ، وَرَفِعَتْ لِلتَّعَصُّبِ ⁽²⁾ الرَّايَاتُ، وَسَبَّبتِ
الْوَلَايَاتُ وَالْجَرَايَاتُ، وَوَقَعَ التَّوَافُقُ فِي الْأَسْفَارِ ⁽³⁾، وَالتَّجَادُلُ فِي مَيْدَانِ الْإِسْتِغْفَارِ، فَهَبَهَا سَيِّئَةً فَقَدْ
مَحَنَهَا الْحَسَنَاتُ ⁽⁴⁾، أَوْ شُبْهَةً فَقَدْ نَسَخَتْهَا لِلْفُخْرِ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ، أَوْ دَخَلَا فَقَدْ تَحَصَّلَتْ مِنَ الْفَوَائِدِ
الكَثِيرَةِ الدِّيَاتُ ثُمَّ الدِّيَاتُ. وَلَوْ كَانَ الْإِعْتِقَادُ رَدِيًّا، أَوْ نَبَأُ تِلْكَ الْهَيَّاتِ عَادِيًّا، لَأَجْهَرَ اللَّاسِبُ ⁽⁵⁾،
وَأَعْقَبَ السَّيِّرَةَ الْمُنَاسِبُ، فَكَيْفَ وَلَمْ يَبْدُ بَعْدَهَا إِلَّا رِزْقُ دَارٍ، وَعَمَلُ سَارٍ، وَذِكْرُ جَمِيلٍ، وَتَتْمِيمُ
لِلْأَعْرَاضِ وَتَكْمِيلُ، وَدُرُجٌ يُرْتَقَى، وَوَلَايَاتُ تُخْتَارُ وَتُنْتَقَى، وَلِسَانٌ بِالْعِنَايَةِ يُعْلَنُ، وَاعْتِبَاطٌ يُغْنِي
وَيُسْمِنُ ⁽⁶⁾:

وَأِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدٌ فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرْنَ أُلُوفُ ⁽⁷⁾

وَلَمْ يَعْتَبِرْ هَذَا الْمَظْنُونُ ⁽⁸⁾، حَتَّى انْتَشَرَ مِنْ بَعْدِ الْكُمُونِ، وَأَخْبَرَ عَنِ الْقَاضِي بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ

1- م: "نعي" وهو تحريف.

2- م: "المنصب". وهو تحريف.

3- م: "الأسعار".

4- يقول تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} سورة هود، الآية:

114

5- "السب: لَسِبْتُ الْعَسَلَ: لَعَقْتَهُ. وَلَسِبْتَهُ الْعَقْرَبُ" أساس البلاغة / لسب، 167 / 2

6- يقول عز وجل: {لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} سورة الغاشية، الآية: 7

7- ديوان المتنبي، تح الواحدي: 187 / 1

8- أ، ق، ع: "الظنون". والمثبت من م.

بِبَنِّهِ إِيَّاهُ وَالْقَائِهِ، وَإِبْرَارِ يَرْبُوعِ النِّفَاقِ مِنْ نَافِقَائِهِ، فَوَجَبَ اسْتِقْرَاءُ هَذَا الْقُرْءِ، وَتَحْقِيقُ هَذَا⁽¹⁾ أَنْ يَكُرَّ عَلَى الْعَنْبِ بِالْمَحَقِّ، وَيَنْسَخَ نَمْلُهُ بِالصَّحَقِ⁽²⁾. فَالْخَوَاطِرُ مُحْتَاجَةٌ إِلَى إِزَالَةِ الشُّوبِ، وَالْأَعْمَالُ الْفَاسِدَةُ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى التَّوْبِ، وَاللَّهُ غَافِرُ الْحَوْبِ. وَأَهْوَنُ بِهَا مِنْ جِنَايَةٍ لَمْ تَتْلُ مِنْ عَرْشٍ، وَلَا افْتَقَرَتْ إِلَى أَرْضٍ⁽³⁾. وَالْحَقْدُ مِنْ شَيْمِ النُّفُوسِ الْجَاهِلَةِ، وَسَجَايَا الْعُقُولِ السَّاهِيَةِ عَنِ الْحَقِّ الدَّاهِلَةِ.

وَلْيَعْلَمْ الْقَاضِي -أَعَزَّهُ اللَّهُ- أَنِّي لَمْ يَحْمِلْنِي عَلَى اسْتِعْتَابِهِ، وَإِجَابِ مَتَابِي⁽⁴⁾ أَوْ مَتَابِهِ⁽⁵⁾، وَإِصْدَارِ كِتَابِهِ، اسْتِكْثَاراً مِنْ هَذَرِ الْأَقْلَامِ، إِثَاراً لِلَّغْوِ بِالْكَلامِ؛ إِنَّمَا هُوَ تَخْفِيفُ مُنْصَرَفٍ، وَتَجَلَّةٌ مُعْتَرَفٍ، أَوْ هَوَاءٌ أَزْمِنِ خَرَفٍ. وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُطَهَّرَ الْقُلُوبَ، وَيُبْلَغَ الْمَطْلُوبَ، وَيَسْتَأْصِلَ الْهَوَى الْمَغْلُوبَ. وَالسَّلَامُ.

1 - بياض في جميع النسخ.
2 - م: "الصحو". ولعل الصواب ما أثبت؛ فالنمل بمعنى ما تبقى من الماء.
3 - "أَرْضُ الجراحة ديتها" م. م/ أَرْض، ص: 5
4 - م: "مثابة". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي تقرير التوبة.
5 - م: "هذه". ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.

[وَخَاطَبْتُ وَالِي دَرْعَةَ⁽¹⁾ أَبَا مُحَمَّدٍ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ بَنَ مُحَمَّدٍ لَمَّا كُنْتُ مُسْتَوْطِنًا مَدِينَةَ سَلَا

حَرَسَهَا اللَّهُ]

وَالِي الْوَلَاةِ وَوَاحِدَ الزَّمَنِ الَّذِي تَبَايَ الْمُلُوكُ بِمِثْلِهِ وَتَفَاخَرُوا

صَيَّرَتْ "حَاتِمَ طَيِّءٍ يُزْرِي بِهِ زَارٍ وَيَسْخَرُ إِنْ تَذَوَّكِرَ سَاخِرُ

إِنْ كَانَ طَلًّا أَنْتَ جَوْدٌ سَاخِمٌ أَوْ كَانَ نَهْرًا أَنْتَ بَحْرٌ زَاخِرُ

وَإِذَا الزَّمَانُ الْأَوَّلُ اسْتَعْلَى بِأَهْلِيهِ أَنْفَ بِكَ الزَّمَانُ الْآخِرُ⁽²⁾

كَتَبْتُ إِلَى سَيِّدِي، وَالْخَجَلُ قَدْ صَبَغَ وَجْهَ يِرَاعِي، وَعَقَمَ مِيلَادَ إِنْشَائِي وَاخْتِرَاعِي، لِمَكَارِمِهِ
الَّتِي أَعْيَتْ مِنْهُ ذِرَاعِي، وَعَجَزَ فِي خَوْضِ بَحْرِهَا سَفِينَتِي وَشِرَاعِي. فَلَوْ كَانَ فَضْلُهُ فَنًّا مَحْصُورًا،
لَكُنْتُ عَلَى الشُّكْرِ مُعَانِي مَنْصُورًا، أَوْ عَلَى غَرَضٍ مَقْصُورًا، لَزَأْتُ أَسَدًا هَاصُورًا، وَلَمْ يَرْ فِكْرِي
عَنْ عَقَائِلِ الْبَيَانِ حَاصُورًا؛ لَكِنَّهُ مَجْدٌ تَأَلَّقَ بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ، وَمَكَارِمُ رَمَتْ عَنْ كُلِّ حَنِيَّةٍ، وَفَضْلٌ سَبَقَ إِلَى
كُلِّ أُمْنِيَّةٍ، وَأَيَادٍ بَبُلُوغِ غَايَاتِ الْكَمَالِ مُغْنِيَّةٌ.

فَحَسْبِي الْإِلْقَاءُ بِالْيَدِ لِعَلْبَةِ تِلْكَ الْأَيَادِي، وَإِسْلَامُ قِيَادِي إِلَى ذَلِكَ الْمَجْدِ السِّيَادِي، وَإِعْقَاءُ يِرَاعِي
وَمِدَادِي. فَإِنْ كَانَتْ الْعَايَةُ لَا تُدْرِكُ، فَالْأَوَّلَى أَنْ يُلْغَى الْكُلُّ وَيُتْرَكَ، وَلَا يُعْرَجُ عَلَى الْإِدْعَاءِ،
وَيُصْرَفُ الْقَوْلُ مِنْ بَابِ الْخَبَرِ إِلَى بَابِ الدُّعَاءِ.

¹ - دَرْعَةُ: "مدينة صغيرة بالمغرب من جنوب الغرب، بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ، ودرعة غربيها " معجم البلدان: 2/

² - ديوان ابن الخطيب: 387-388. وهي من بحر الكامل.

وَقَدْ وَصَّلَنِي كِتَابُ سَيِّدِي مُخْتَصِرُ الْحَجَمِ، جَامِعاً بَيْنَ الثَّرْيَا وَالنَّجْمِ، قَرِيبُ عَهْدٍ مِنْ يَمِينِهِ
بِمُجَاوِرَةِ الْمَطَرِ النَّجْمِ⁽¹⁾. فَقُلْتُ اللَّهُمَّ كَافِ سَيِّدِي وَاجْزِهِ، [وَمَنْ]⁽²⁾ مَدَّ يَدَهُ بِالضَّرِّ فَاخْزِهِ، وَلِلَّهِ دَرُّ
الْمَثَلِ: (أَشْبَهَ امْرُؤٌ بَعْضَ بَرِّهِ)⁽³⁾ كَمَالَ وَاخْتِصَارًا، وَرِيحَانُ أَنْوَفٍ وَانْمِدُ أَبْصَارٍ. أَعْلَقُ بِالرَّعْيِ الَّذِي
لَا يَقْرُبُ بَعْدُ الدَّارِ مِنْ شِيَمَتِهِ، وَلَا يَقْدَحُ اخْتِلَافُ الْعُرُوضِ وَالْأَقْطَارِ فِي دِيَمَتِهِ. إِنَّمَا نَفْسُهُ الْكَرِيمَةُ -
وَاللَّهُ يَقِيهَا، وَالْيَ مَعَارِجِ السَّعَادَةِ يَرْقِيهَا - قَانُونٌ يُلْحِقُ أَدْنَى الْفَضَائِلِ بِأَفْصَاهَا، وَكِتَابٌ لَا يُغَادِرُ
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا⁽⁴⁾.

وَأَنِّي وَإِنْ عَجَزْتُ عَمَّا خَصَّنِي مِنْ عُمُومِهَا، وَأَحْسَنِي مِنْ جُمُومِهَا، لَمَخْلَدُ ذِكْرِ⁽⁵⁾ يَبْقَى
وَتَذْهَبُ اللَّهُ، وَيُعْلِي مَبَانِي⁽⁶⁾ الْمَجْدِ تُجَاوِزُ دُؤَابَتُهَا السُّهَاءَ، يُذِيعُ بِمَخَائِلِ الْمُلْكِ فَمَا دُونَهَا، مُمَادِحُ
يَهْوَى الْمِسْكَ أَنْ يَكُونَهَا، وَتَعَطِفُ لَهُ الرُّوضُ الْمَجُودُ عُصُونَهَا، وَتُكَحِّلُ بِهِ الْخُورُ الْعَيْنُ عُيُونَهَا،
وَتُؤَدِّي مِنْهُ الْأَيَّامُ الْمُثْرَبَةُ دُيُونَهَا.

وَإِنْ تَشَوَّفَ سَيِّدِي - بَعْدُ عَلَى حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، وَاسْتِنْفَادِ الْوُسْعِ فِي إِطَالَةِ حَمْدِهِ، وَإِطَابَةِ ذِكْرِهِ -
إِلَى الْحَالِ، فَقَلَانٌ - حَفِظَهُ اللَّهُ - يَشْرَحُ مِنْهَا الْمُجْمَلَ، وَيُبَيِّنُ مِنْ عَوَامِلِهَا الْمُتَعْلَى وَالْمُعْمَلِ.

وَأَمَّا اعْتِنَاءُ سَيِّدِي بِالْوَلَدِ الْمَكْفَنِ بِحُرْمَتِهِ، فَلَيْسَ بِبِدْعٍ فِي بُعْدِ صِيتِهِ، وَعُلُوُّ هِمَّتِهِ، عَلَى مَنْ
تَمَسَّكَ بِأَذِمَّتِهِ، وَفَضْلُهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُقَيَّدَ بِقِصَّةٍ، وَبَدْرُ كَمَالِهِ أَجَلُ مِنْ أَنْ يُعْدَلَ بِوَسْطِ أَوْ حِصَّةٍ،

1- م: "النجم". "أثجمت السماء ثم أنجمت: أي أمطرت بسرعة ثم أفلعت" أساس البلاغة / نجم: 105 / 1

2- أ ساقط، والمثبت من م.

3- يضرب مثلا في مماثلة الشيء صاحبه.

4- قال تعالى: {وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَنَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً

إِلَّا أَحْصَاهَا} وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} سورة الكهف، الآية: 49

5- م: "ذكرا" وذلك بتنوين "مخلد"

6- م: "معاني".

وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُ مِنْهُ فِي الْوَلَاءِ وَالْيَ الْقِبْلَةِ، وَوَلِيَّ الْمَكَارِمِ بِالْكَسْبِ وَالْجِبَلَةِ، وَيَجْعَلُ جَيْشَ ثَنَائِهِ لَا يُؤْتَى مِنَ الْقِلَّةِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ. وَكُتِبَ فِي كَذَا مِنْ التَّارِيخِ.

وَكَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِ الْقَصَبَةِ بِمُرَاكَشَ مَسْعُودَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ فَتْحِ اللَّهِ

أَمْسَعُودُ بْنُ يُوسُفَ طَيْرٌ قَلْبِي عَلَى شَجَرِ الْكَرَامِ لَهُ وَقُوعٌ

وَفِي عَلَيَاكَ كَنْزٌ اعْتِقَادٍ عَلَى أَمْثَالِهِ تَطْوَى الضُّلُوعُ

إِذَا نَفْسُ امْرِئٍ وَلَعَتْ بِمَعْنَى فَمَا بِسَوَى كَمَالِكَ لِي وَلُوعٌ⁽¹⁾

سَيِّدِي أَبْقَاكَ اللَّهُ عَالِي الْقَدْرِ، مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ، حَالًا مِنْ مَنَازِلِ السَّعَادَةِ مَنْزِلَةَ الْبَدْرِ، فَخَلَّتِ
الْأَمَاجِدُ، فَوَقَفَ عَلَى تَفْضِيلِكَ اخْتِيَارِي، وَإِنْ لَمْ يَتَّجِهْ لِنَائِي وَلَا قُرْبٍ جَوَارِي، لَكِنَّ السَّمَاعُ، وَمَتَى رُدَّ
حُكْمُ أَصْلُهُ الْإِجْمَاعُ، وَالْإِخْبَارُ⁽²⁾ وَالْإِعْتِبَارُ.

فَلَمَّا أَتَاكَ الدَّهْرُ لِقَاءً عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، وَانْحِفَازٍ فَرِيقٍ، هَمَمْتُ أَنْ أَشُكَّ فِي اعْتِقَادِي،
وَأَنْفُتُ⁽³⁾ بِعَقْدٍ وَدَادِي. فَضَاقَتِ الْوَقْفَةُ، وَلَمْ تَكْمُلِ الصَّفَقَةُ، وَانْصَرَفْتُ انْصِرَافَ الظَّمَانِ شَارِفَ
الْعَذَبِ الزُّلَالِ فَلَمْ يَشْرَبْ، وَالْمُحِبُّ تَمَنَّى سَاعَةَ اللَّقَاءِ فَمَا أَبَانَ وَلَا أَعْرَبَ، وَخِفْتُ أَنْ يُجْرِيهِ سَيِّدِي
مَجْرَى الْهَذَرِ الَّذِي هُوَ صَرَفُ الْأَشْوَاقِ، وَالْمُعَامَلَةُ بِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، حَيْثُ لَا خَلَقَ، بَلْ هُوَ وَاللَّهُ
الْحَقُّ الَّذِي وَضَحَ مُحْيَاهُ، وَالْبَارِقُ الَّذِي أَغْدَقَ سُفْيَاهُ، وَالْحَدِيثُ الَّذِي أَخْجَلَ الْمِسْكَ رِيَّاهُ، لَمْ تُحْمَلْ
عَلَيْهِ الْمَطَامِعُ، وَلَا السَّرَابُ⁽⁴⁾ اللَّامِعُ.

¹ - ديوان ابن الخطيب: 2/ 663. وهي من بحر الوافر.

² - م: الاختيار. وكلاهما صحيح.

³ - م: "أبعث". ولعل الصواب ما أثبت؛ فالنفت هو الرمي.

⁴ - م: "الشراب". وهو تصحيف.

فَلْيُثْنِ سَيِّدِي مِنَ الْمُعْتَدِّ (1) بِمُوجِبِ حَقِّهِ، الْعَلِيمِ بِسَبْقِهِ، وَالْقَائِلِ بِأَنَّهُ وَحِيدُ عَصْرِهِ، وَحَسَنَةُ دَهْرِهِ،
إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِلِقَاءِ الشَّرْحِ الْمُضْمَرِ وَيُبَيِّنَهُ، حَتَّى تَحْقُقَ (2) رَأْيَهُ، وَيَنْتَشِرَ كَمِينُهُ. وَاللَّهُ يُدِيمُ سَعَدَ
سَيِّدِي وَعُلَاهُ، وَيَحْفَظُهُ وَيَتَوَلَّاهُ. وَالسَّلَامُ.

¹- م: "المعتز".
²- أ، ق، ع: "تحقق" والمثبت من م.

[وَخَاطَبْتُ الشَّيْخَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَدِينٍ ⁽¹⁾ أَهْنَهُ بِتَقْلِيدِ الْخُطَّةِ]

تَعُودُ الْأَمَانِيُّ بَعْدَ انْصِرَافِ وَيَعْتَدِلُ الشَّيْءُ بَعْدَ انْحِرَافِ

فَإِنْ كَانَ دَهْرُكَ يَوْمًا جَنَى فَقَدْ جَاءَ ذَا عَجَلٍ وَاعْتِرَافٍ ⁽²⁾

طَلَعَ الْبَشَرُ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - بِقَبُولِ الْخِلَافَةِ الْمَرْيِنِيَّةِ، وَالْإِمَامَةِ السُّنِّيَّةِ، خَصَّهَا اللَّهُ بِنَيْلِ الْأُمْنِيَّةِ عَلَى تِلْكَ الذَّاتِ الَّتِي طَابَتْ أَرْوَمُهَا وَرَكَتْ، وَتَأَوَّهَتْ الْعُلَيَّا لِيَتَذَكَّرَ عَهْدَهَا وَبَكَتْ، وَكَادَ السُّرُورُ يَنْقَطِعُ لَوْلَا أَنَّهَا تَرَكَتْ مِنْهَا الْوَارِثَ الَّذِي تَرَكَتْ، فَلَوْلَا الْعُذْرُ الَّذِي تَأَكَّدَتْ ضَرُورَتُهُ، وَالْمَانِعُ الَّذِي رُبَّمَا تَقَرَّرَتْ لَكُمْ صُورَتُهُ، لَكُنْتُ أَوَّلَ مُشَافِهِ بِالْهَنَاءِ، وَمُصَارِفٍ لِهَذَا الْإِعْتِنَاءِ، الْوَثِيقِ الْبِنَاءِ ⁽³⁾، لِيَتَقَرَّرَ ⁽⁴⁾ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالنَّثَاءُ. وَهِيَ طَوِيلَةٌ.

¹ - "هو أبو محمد عبد الله بن أبي مدين، ولد بقصر كتامة (القصر الكبير) ونشأ بمكناسة وتعلم بها، وتولى الحجابة ورئاسة الكتاب في عهد بني مرين كما كان وزيرا للأشغال في دولة عبد الحليم" نفاضة الجراب، ابن الخطيب: 2 / 136

² - ديوان ابن الخطيب: 2 / 680. (بحر المتقارب)

³ - م: "إلينا".

⁴ - م: "النعود".

وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ الرَّئِيسَ أَبَا زَيْدٍ بَنَ خَلْدُونَ⁽¹⁾ لَمَّا ارْتَحَلَ مِنْ بَحْرِ الْمَرْيَّةِ، وَاسْتَقَرَّ بِبَلَدِهِ
بِسُكْرَةَ⁽²⁾ عِنْدَ رَئِيسِهَا الْعَبَّاسِ بْنِ مُزْنَى صُحْبَةً رِسَالَةً خَطَّهَا أَخُوهُ أَبُو زَكَرِيَاءَ وَقَدْ تَقَلَّدَ
كِتَابَةً صَاحِبِ تِلْمَسَانَ، وَوَصَلَ مِنْهُ مِنْ إِنْشَائِهِ:

بِنَفْسِي وَمَا نَفْسِي عَلَى بِهِيَّةٍ فَيُنْزِلُنِي عَنْهَا الْمِكَّاسُ بِأَثْمَانِ
حَبِيبُ نَأَى عَنِّي وَصَمَّ لِأَنْتِي وَرَاشَ سِهَامَ الْبَيْنِ عَمْدًا فَأَصْمَانِي
وَقَدْ كَانَ هُمُ الشَّيْبُ لَا كَانَ كَافِيًا فَقَدْ أَدْنَى لَمَّا تَرَحَّلَ هَمَّانِ
شَرَعْتُ لَهُ مِنْ دَمْعٍ عَيْنِي مَوْرِدًا فَكَدَّرَ شُرْبِي بِالْفِرَاقِ وَأَظْمَانِي
وَأَزَعَيْتُهُ مِنْ حُسْنِ عَهْدِي جَمِيمُهُ فَأَجْدَبَ آمَالِي وَأَوْحَشَ أَزْمَانِي
حَلَفْتُ عَلَى مَا عِنْدَهُ لِي مِنْ رِضَى قِيَّاسًا بِمَا عِنْدِي فَأَخْنَتُ إِيمَانِي
وَإِنِّي عَلَى مَا نَالَنِي مِنْهُ مِنْ قَلَى لِأَشْتَاقُ مِنْ لُقْيَاهُ نُغْبَةً ظَمَّانِ
سَأَلْتُ جُفُونِي فِيهِ تَقْرِيبَ عَرْشِهِ فَقَسْتُ بِحَنِّ الشَّوْقِ حَنَّ سُلَيْمَانَ

¹ - ابن خلدون، أبو زيد: (732 - 808 هـ = 1332 - 1406 م): "عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وقرطاجنة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس وشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم ينزلي بزّي القضاة محتفظاً بزّي بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة" الأعلام:

² - بسُكْرَةَ: "بكسر الكاف وراء: بلدة بالمغرب من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، ...كذا ضبطها الحازمي وغيره، يقول: بسُكْرَةَ، بفتح أوله وكافه، قال: وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات، وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة" معجم البلدان: 422 / 1

وَتَبْتُ وَمَا اسْتَبْتُ شِيَمَةَ هَيْمَانَ

إِذَا مَا دَعَا دَاعٍ مِنَ الْقَوْمِ بِاسْمِهِ

تَحَامَيْتُهُ حَتَّى ارْعَوَى وَتَحَامَانِي

وَتَاللهِ مَا أَصْغَيْتُ فِيهِ لِعَاذِلٍ

تُظَلِّلُ يَوْمًا مِثْلَهُ "عَبْدَ رَحْمَانَ"

وَلَا اسْتَشْعَرْتُ نَفْسِي بِرَحْمَةِ عَابِدٍ

تَخَلَّلَ مِنْهَا بَيْنَ رُوحٍ وَجُثْمَانٍ⁽¹⁾

وَلَا شَعَرْتُ مِنْ قَبْلِهِ بِتَشْوُقٍ

أَمَّا الشَّوْقُ فَحَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ، وَأَمَّا الصَّبْرُ فَاسْأَلْ بِهِ آيَةَ دَرَجَ، بَعْدَ أَنْ تَجَاوَزَ اللَّوَى
وَالْمُنْعَرَجَ. لَكِنَّ الشَّدَّةَ تَعَشَّقُ الْفَرَجَ، وَالْمُؤْمِنُ يَنْشَقُ⁽²⁾ مِنْ رُوحِ اللَّهِ الْأَرْجَ، وَإِنِّي بِالصَّبْرِ عَلَى إِبْرِ
الدَّبْرِ، لَا بَلِ الضَّرْبِ الْهَبْرِ، وَمُطَاوَلَةِ الْيَوْمِ وَالشَّهْرِ، تَحْتَ حُكْمِ الْقَهْرِ، وَهَلْ لِلْعَيْنِ أَنْ تَسْلُو سُلُوَّ
الْمُقْصِرِ عَنْ إِنْسَانِهَا الْمُبْصِرِ، أَوْ تَذْهَلَ ذُهُولَ الزَّاهِدِ عَنْ سِرِّهَا لِلرَّائِي وَالْمُشَاهِدِ، وَفِي الْجَسَدِ
بِضْعَةٍ تَصْلُحُ إِذَا صَلَحَتْ⁽³⁾، فَكَيْفَ حَالُهُ إِنْ رَحَلَتْ عَنْهُ وَنَزَحَتْ. وَإِذَا كَانَ الْفِرَاقُ هُوَ الْحِمَامُ
الْأَوَّلُ، فَعَلَامَ الْمُعَوَّلُ؟ أَعْيَتْ مُرَاوَضَةُ الْفِرَاقِ عَلَى الرَّاقِ، وَكَادَتْ لَوْعَةُ الْإِسْتِيَاقِ أَنْ تُقْضِيَ إِلَى
السِّيَاقِ:

تَرَكْتُمُونِي بَعْدَ تَشْيِيعِكُمْ أَوْسَعُ أَمْرِ الصَّبْرِ عَصِيَانَا

أَقْرَعُ سِنِّي نَدَمًا تَارَةً وَأَسْتَمِيحُ الدَّمْعَ أَحْيَانَا

¹ - ديوان ابن الخطيب: 2 / 599-600. (بحر الطويل)

² - م: "تنسق" وهو تصحيف.

³ - عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت
صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ
لدينه 1 / 28 [52] ومسلم في كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات 3 / 1219 [1599]

وَرُبَّمَا تَعَلَّلْتُ بِغَشْيَانِ الْمَعَاهِدِ الْخَالِيَةِ، وَجَدَدْتُ رُسُومَ الْأَسَى [بِمُبَاكَرَةِ الرُّسُومِ] ⁽¹⁾ الْبَالِيَةِ، أَسْأَلُ
نُونَ النَّأْيِ عَنْ أَهْلِيهِ، وَمِيمَ الْمَوْقِدِ ⁽²⁾ الْمَهْجُورِ ⁽³⁾ عَنْ مُصْطَلِيهِ، وَثَاءَ الْأَثَا فِي الْمُتَلَنَّةِ عَنْ مَنَازِلِ
الْمُوحِدِينَ، وَأَحَارُ بَيْنَ تِلْكَ الْأَطْلَالِ حَيْرَةَ الْمُحْدِينَ {لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} ⁽⁴⁾،
كَفَلْتُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِسَائِلٍ عَنْ جُفُونِي ⁽⁵⁾ الْمُورَقَّةِ، وَنَائِمٍ عَنْ هُمُومِي الْمُتَجَمِّعَةِ ⁽⁶⁾ الْمُتَقَرِّقَةِ، ظَعَنَ عَنْ
مَلَالٍ ⁽⁷⁾ لَا مُتَبَرِّمًا مِنِّي بِشَرِّ خِلَالٍ:

وَضَرَجُ النَّصْلِ بَعْدَ عَهْدٍ وَفَاتِهِ

وَكَدَرُ الْوَصْلِ بَعْدَ صَفَائِهِ

رَأَيْتُكَ تُصْفِي الْوُدَّ مَنْ لَيْسَ جَارِيًا ⁽⁸⁾

أَقِلَّ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا

فَهَا أَنَا أَبْكِي عَلَيْهِ بِدَمٍ أَسَالَهُ، وَأَنْهَلُ فِيهِ أَسَى لَهُ، وَأُعَلِّلُ ⁽⁹⁾ بِذِكْرِهِ قَلْبًا صَدَعَهُ، وَأُودَعَهُ مِنْ
الْوَجْدِ مَا أُوْدَعَهُ لَمَّا خَدَعَهُ، ثُمَّ قَلَاهُ وَوَدَعَهُ ⁽¹⁰⁾، وَأَنْشَقَ رِيَّاهُ أَنْفَ ارْتِيَا حِ قَدْ جَدَعَهُ، وَأُسْتَعْدِيهِ عَلَى
ظُلْمِ ابْتَدَعَهُ:

قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي ⁽¹¹⁾

خَلِيلِي هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا

1- ق: "ساقط".

2- أ، ق، ع: "الموقر". والمثبت من م.

3- م: "الهجور". ولعل الصواب ما أثبت.

4- يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. سورة الأنعام، الآية: 56.

5- أ، ق، ع: "جنوني". والمثبت من م.

6- أ، ق، م: "المجتمعة". والمثبت من ع.

7- م: "سلال" بالسين بدل الميم.

8- قاله المتنبي في مدح كافور بعد فراقه لسيف الدولة، ديوان المتنبي، ص 473

9- ع: "أهلل" وهو تحريف.

10- قال تعالى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} سورة الضحى، الآية: 3

11- ديوان جميل بثينة، ص 37

فَلَوْلَا عَسَى الرَّجَاءُ [وَلَعَلَّهُ] ⁽¹⁾ لَا بَلْ شَفَاعَةُ [الْمَحَلِّ الَّذِي] ⁽²⁾ حَلَّهٗ، لَمْزَجَتْ [الْحَنِينَ بِالْعَتَبِ] ⁽³⁾
وَبَيَّنَّتْ ⁽⁴⁾ كِتَابَهُ كَمَا ⁽⁵⁾ فِي شِعَابِ الْكُتُبِ، [تَهْزُؤُ] ⁽⁶⁾ مِنَ الْأَلِفَاتِ رِمَاحاً خُزْزَ ⁽⁷⁾ الْأَسِنَّةِ، [وَتَوَثَّرُ] ⁽⁸⁾
مِنَ الثُّنَاتِ أَمْثَالَ [الْقِسِيِّ] ⁽⁹⁾ الْمَرِيَّةِ ⁽¹⁰⁾، وَتَقُودُ مِنْ مَجْمُوعِ الطَّرْسِ وَالنَّفْسِ بُلْقاً تَرْدَى ⁽¹¹⁾ فِي
الْأَعِنَّةِ، لَكِنَّهُ أَدَّى إِلَى الْحَرَمِ [الْأَمِينِ] ⁽¹²⁾ وَتَفَيَّأَ ظِلَالُ الْجَوَارِ الْمُؤَمِّنِ مِنْ مَعَرَّةِ الْغَوَارِ عَنِ الشَّمَالِ
وَالْيَمِينِ، حَرَمَ الْخِلَالِ الْمُزْنِيَّةِ، وَالظَّلَالِ الْبِزْنِيَّةِ، وَالْهَمَمِ السَّنِيَّةِ، وَالشَّيْمِ النَّتِي لَا تَرْضَى بِالْدُّونِ وَلَا
بِالدَّنِيَّةِ، حَيْثُ الرَّفْدُ الْمَمْنُوحُ، [وَالطَّيْرُ] ⁽¹³⁾ الْمَيَّامِ يُزَجَّرُ لَهَا السُّنُوحُ ⁽¹⁴⁾، وَالْمَثْوَى ⁽¹⁵⁾ الَّذِي إِلَيْهِ
مَهْمَا تَقَارَعَ الْكِرَامُ عَلَى الضِّيْفَانِ حَوْلَ جَوَابِي الْجِفَانِ ⁽¹⁶⁾ الْجُنُوحُ، نَسَبُ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ
الضُّحَى نُوراً، وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُوداً. وَمَنْ حَلَّ بِتِلْكَ الْمَتَابَةِ، فَقَدْ اطمأنَّ جَنْبُهُ، وَتُعَمَّدَ بِالْعَفْوِ
دَنْبُهُ. وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

فَوَحَقَّهُ لَقَدْ انْتَدَبَتْ لَوْصِفِهِ بِالْبُخْلِ لَوْلَا أَنَّ حِمصاً دَارُهُ

1- ع: ساقط.

2- ع: ساقط.

3- ع: ساقط.

4- أ، ق، م: "بثنت". والمثبت من ع.

5- أ، ق، م: "كمنا". والمثبت من ع، ولعله الصواب؛ من "كَمَّه يَكُمُّه إِذَا سَتَرَهُ" أساس البلاغة / كم: 146 / 2

6- ع: ساقط.

7- ق: "جزر" وهو تصحيف.

8- ع: ساقط.

9- ع: ساقط.

10- ع: "المزية" وهو تصحيف.

11- ق، ع: "تردي" بدال مهملة. وكلاهما صحيح. "جمل رذي: هالك هزالا لا يطيق براحا" أساس البلاغة / رذي: 350 / 1

12- ع: ساقط.

13- ع: ساقط.

14- مر به الطائر سانحا وسنيحا: عن يمينه وقد سنع له وسنحه" أساس البلاغة / سنع، 476 / 1

15- ع: "المثل". ولعل الصواب ما أثبت.

16- يقول تعالى: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} سورة سبأ، الآية: 13

بَلَدٌ مَتَى أَذْكُرُهُ تَهْتَجُ لَوْعَتِي وَإِذَا قَدَحْتُ الزُّنْدَ طَارَ شَرَارُهُ

اللَّهُمَّ غُفْرًا، وَأَيَّنَ قَرَارُهُ النَّخِيلِ مِنْ مَثْوَى الْأَقْلَبِ⁽¹⁾ الْبَخِيلِ، وَمَكْذَبَةِ الْمَخِيلِ؟ وَأَيَّنَ ثَانِيَةً
سَجَرٍ⁽²⁾ مِنْ مُتَبَوِّأٍ مِنَ الْجِدِّ وَفَجَرٍ:

مَنْ أَنْكَرَ غَيْثًا مَنْشَأُهُ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ بِمُخْلَفِهَا

فَبَنَانٍ "بَنِي مَزْنَى" مُزْنٌ تَهْلُ بِأُطْفٍ مُصْرَفِهَا

شَكَرَتْ حَتَّى بِعِبَارَتِهَا وَبِمَعْنَاهَا وَبِأَحْرَفِهَا

مُزْنٌ مُذْ حَلَّ بِبَسْكَرَةٍ يَوْمًا نَطَقْتُ بِمُصَحَّفِهَا

ضَحِكْتُ "بِأَبِي الْعَبَّاسِ" مِنَ الْأَيَّامِ ثَنَّا يَا رُخْرَفِهَا

وَتَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا حَتَّى عُرِفَتْ مِنْهُ بِمَعْرِفِهَا⁽³⁾

بَلْ نَقُولُ يَا مَحَلَّ⁽⁴⁾ الْوَلَدِ، لَا أَقْسِمُ بِهِذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهِذَا الْبَلَدِ⁽⁵⁾، لَقَدْ حَالَ⁽⁶⁾ بَيْنَكَ⁽⁷⁾ عُرَى

الْجَلَدِ، وَخَلَدَ⁽⁸⁾ الشَّوْقُ بَعْدَكَ، يَا ابْنَ خَلْدُونَ فِي الصَّمِيمِ مِنَ الْخَلَدِ. فَحَيَّا اللَّهَ زَمَنًا شَفِيتَ بِرُقِيٍّ قُرْبِكَ

¹ - أ، م: "الأقلف" والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب؛ "قطع قلب النخلة وقُلْبُهَا: شحمتها وهي الجُمَار" أساس البلاغة / قلب: 2/ 95

² - ع: م: "هجر".

³ - ديوان ابن الخطيب: 2/ 683-684. خاطب بها ابن خلدون. وهي من بحر المتدارك.

⁴ - ق: "مجل" بالجيم بدل الحاء.

⁵ - البلد: 1-2.

⁶ - م: "حل". ولعل الصواب ما أثبت.

⁷ - ق: "بعد".

⁸ - ق، ع: "جال". ولعل الصواب ما أثبت.

زَمَانْتُهُ، وَاجْتَلَيْتَ⁽¹⁾ فِي صَدَفٍ⁽²⁾ مَجْدِكَ جُمَانْتُهُ. وَيَا مَنْ لِمَشُوقٍ لَمْ تُقْضَ مِنْ طُولِ خُلَّتِكَ لُبَانْتُهُ،
وَأَهْلًا بِرَوْضٍ أَظَلَّتْ أَشْنَاتُ مَعَارِفِكَ بَانْتُهُ [فَحَمَائِمُهُ بَعْدَكَ لَا تَنْدُبُ]⁽³⁾ فَيُسَاعِدُهَا الْجُنْدُبُ، وَنَوَاسِمُهُ
تَرِقُ فَتَتَعَاشَى⁽⁴⁾، وَعَشِيَّاتُهُ تَتَخَافَتُ وَتَتَلَاشَى، وَمُزْنُهُ بَالِكٍ، وَدَوْحُهُ [فِي ارْتِبَاكِ، وَحَمَائِمُهُ]⁽⁵⁾ فِي مَاتِمٍ
ذِي اشْتِيَاكِ، كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ قَمَرٌ⁽⁶⁾ هَالَاتِ قِيَابِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَنْسُكَ شَارِعَ بَابِهِ إِلَى صَفْوَةِ الظَّرْفِ وَلُبَابِهِ،
وَلَمْ يَسْبَحْ إِنْسَانٌ عَيْنِكَ فِي مَاءِ شَبَابِهِ.

فَلَهْفِي عَلَيْكَ مِنْ دُرَّةٍ اخْتَلَسَتْهَا يَدُ النَّوَى، وَمَطْلٍ بَرَدَهَا الدَّهْرُ وَلَوَى، وَنَعَقَ⁽⁷⁾ الْغُرَابُ بَيْنَيْهَا فِي رُبُوعِ
الْهَوَى⁽⁸⁾، وَنَطَقَ بِالرَّجْرِ، فَمَا نَطَقَ عَنِ الْهَوَى⁽⁹⁾. وَأَيُّ شَيْءٍ نَعْتَاضُ⁽¹⁰⁾ مِنْكَ أَيْتُهَا الرِّيَاضُ، بَعْدَ
أَنْ طَمَأَ⁽¹¹⁾ نَهْرُكَ الْفَيَاضُ، وَفَهَقَتْ⁽¹²⁾ الْحِيَاضُ، وَلَا كَانَ الشَّانِيُ الْمَشْنُوءُ، وَالْجُرْفُ الْمَهْنُوءُ⁽¹³⁾ مِنْ
قَطْعِ لَيْلٍ أَغَارَ عَلَى الصُّبْحِ فَاحْتَمَلَ، وَشَارَكَ فِي الذَّمِّ النَّاقَةَ وَالْجَمَلَ⁽¹⁴⁾، وَاسْتَأْتَرَ جُنْحُهُ بِنَدَرٍ⁽¹⁵⁾
النَّادِي لَمَّا كَمَلَ نَشْرَ الشَّرَاعِ فَرَاعَ، وَأَعْمَلَ الْإِسْرَاعَ كَأَنَّمَا هُوَ تِمْسَاحُ النَّيْلِ، ضَايِقَ الْأَجْنَابِ⁽¹⁶⁾ فِي

1- ق: "اجتليت". وهو تصحيف.

2- ق: "صادق". وهو تحريف.

3- أ: ساقط، والمثبت من باقي النسخ.

4- م: "تتعاشى" بالعين بدل الغين.

5- أ، ق، ع: "ساقط، والمثبت من م.

6- م: "قمرها".

7- ق: "نقع". وهو تحريف.

8- نَعَقَ الْغُرَابُ بَيْنَ دَاتِ الدُّمْلَجِ لَيْتَ الْغُرَابُ بَيْنَيْهَا لَمْ يُزْعِجِ

ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص: 87-88

9- يقول تعالى: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى } سورة النجم، الآية: 3.

10- أ، ق: "تعتاض" والمثبت من ع، م

11- م: "طما". ولعل الصواب ما أثبت؛ يقال: "طما الفرس إذا أسرع" أساس البلاغة / طمو: 614 / 1

12- ق: "بهنت".

13- ق، ع، م: "المنهوء". "لحم نهيء: نيء وفيه نهوءة" أساس البلاغة / نها: 311 / 2

14- مثل "لا ناقة لي ولا جمل" يضرب عند التبري من الظلم والإساءة. مجمع الأمثال: 153 / 2

15- أ، ع، م: "بيدر". والمثبت من ق. والبندر مرسى السفن في الميناء.

16- أ، م: "الأحباب" والمثبت من ق، ع.

الْبُرْهَةِ، وَاخْتَطَفَ لَهُمْ مِنَ الشَّطِّ نَزْهَةً الْعَيْنِ وَعَيْنَ النُّزْهَةِ، وَنَجَّجَ⁽¹⁾ بِهَا وَالْعُيُونُ تَنْظُرُ، وَالْعَمَرُ عَلَى
الِإِتِّبَاعِ يَحْظُرُ، فَلَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَى الْأَسْفِ، [وَالْتِمَاحَ]⁽²⁾ الْأَثَرِ الْمُتَنَسِّفِ، [وَالرُّجُوعَ]⁽³⁾ بِمِلْءِ الْعَيْبَةِ
مِنَ الْخَيْبَةِ، وَوَقَّرَ الْجَسْرَةَ⁽⁴⁾ مِنَ الْحَسْرَةِ. إِنَّمَا أَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْبَثَّ وَالْحُزْنَ⁽⁵⁾، وَنَسْتَبْطِرُ مِنْ عِبْرَاتِنَا
الْمُزْنَ، وَيَسِيفُ الرَّجَاءُ نَصُولُ، إِذَا شُرِعَتْ لِلْيَأْسِ النُّصُولُ:

مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَ عَلَى شَحَطٍ مَنْ دَارُهُ الْحُزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صَوْلُ

فَإِنْ كَانَ كَلِمُ⁽⁶⁾ الْفِرَاقِ رَغِيْبًا، لَمَّا نَوَيْتَ مَغِيْبًا، وَحَلَلْتَ الْوَقْتَ الْهَنِيَّ تَشْغِيْبًا، فَلَعَلَّ الْمُلتَقَى يَكُونُ
قَرِيْبًا، وَحَدِيثُهُ يُرَوَى صَاحِبًا غَرِيْبًا. إِيْهِ، شِقَّةَ النَّفْسِ، كَيْفَ حَالُ تِلْكَ الشَّمَائِلِ، الْمُزْهَرَةِ الْمَخَائِلِ،
وَالشَّيْمِ الْهَامِيَةِ⁽⁷⁾ الدَّيْمِ؟ هَلْ يَمُرُّ بِبَالِهَا مَنْ رَاعَتْ بِالْبُعْدِ بَالَهُ، وَأَخْمَدَتْ بِعَاصِفِ الْبَيْنِ ذُبَالَهُ؟ أَوْ
تَرْتِي لِشُؤْنِ⁽⁸⁾ شَأْنِهَا، سَكَبٌ لَا يَقْفُرُ، وَشَوْقٌ يَبُتُّ حِبَالَ الْمَشُوقِ وَيَبْتُرُ، وَضَنْى تَقْصُرُ عَنْ حُلِّهِ
الْفَاقِعَةِ⁽⁹⁾ صَنْعَاءُ وَتَسْتُرُ، وَالْأَمْرُ أَعْظَمُ وَاللَّهُ يَسْتُرُ، وَمَا الَّذِي يَضِيرُكَ⁽¹⁰⁾ صَيِّنَ مِنْ لَفْحِ السُّمُومِ
نَضِيرُكَ⁽¹¹⁾، بَعْدَ أَنْ أَضْرَمْتَ [وَأَشْعَلْتَ]⁽¹²⁾ وَأَوْقَدْتَ [وَجَعَلْتَ]⁽¹³⁾، وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ⁽¹⁴⁾،

1- ق: "نجح". نجت القرحة تَنَجُّ بالكسر نجا ونجيجا رشحت وسالت بما فيها.

2- أ، ق، ع: "ساقط، والمثبت من م.

3- ق: ساقط.

4- ق: "الشجرة". وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت؛ "ناقة جَسْرَة: قوية جريئة على السفر" أساس البلاغة / جسر، 1/ 138

5- قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. سورة يوسف، الآية: 86

6- م: "كظم". وهو تحريف.

7- ق: "الماهية". وهو تحريف.

8- ع: "الشؤون".

9- أ، ق: "اليافعة" والمثبت من ع، م.

10- ق، ع: "يضرك". وكلاهما صحيح.

11- ق: "بصرك"، ع: "بصيرك". ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.

12- ق: ساقط.

13- ق: ساقط.

14- سورة الشعراء، الآية: 19.

أَنْ تَتَرَفَّقَ بِدِمَاءٍ ⁽¹⁾، أَوْ تَرُدَّ بِنُغْبَةٍ ⁽²⁾ مَاءٍ أَرْمَاقَ ظِمَاءٍ، وَتَتَعَاهَدَ الْمَعَاهِدَ بِتَحِيَّةٍ عَلَيْهَا شَدَا أَنْفَاسِكَ،
أَوْ تَنْتَظِرُ إِلَيْنَا عَلَى الْبُعْدِ بِمُقْلَةٍ حَوْرَاءَ مِنْ بَيَاضِ قِرطَاسِكَ، وَسَوَادِ أَنْفَاسِكَ، فَرُبَّمَا قَنَعَتْ الْأَنْفُسُ
الْمُحِبَّةُ بِخَيَالِ زُورٍ ⁽³⁾، وَتَعَلَّلَتْ بِنَوَالٍ مَنُورٍ، وَرَضِيَتْ لَمَّا لَمْ تَصِدِ الْعَنْقَاءَ بِرُزُورٍ:

يَا مَنْ تَرَحَّلَ وَالرِّيَّاحُ لِأَجْلِهِ تَشْتَاقُ إِنْ هَبَتْ شَدَا رِيَّاهَا

تَحْيَا النُّفُوسُ إِذَا بَعَثْتَ تَحِيَّةً وَإِذَا عَزَمْتَ أَقْرَأَ وَمَنْ أَحْيَاهَا ⁽⁴⁾

وَلَيْنَ أَحْيَيْتَ بِهَا فِيمَا سَلَفَ نَفُوسُنَا تَقْدِيكَ، وَاللَّهُ إِلَى الْخَيْرِ يَهْدِيكَ، فَحَنُّ نَقُولُ مَعَشَرُ مَوَدِّيكَ،
إِنَّ وَلَا تَجْعَلْهَا بَيِّضَةَ الدِّيكِ ⁽⁵⁾. وَعُذْرًا فَإِنِّي لَمْ أَجْتَرَّ ⁽⁶⁾ عَلَى خِطَابِكَ بِالْفَقْرِ الْفَقِيرَةِ، وَأَذَلْتُ لَدَى
مِحْرَابِكَ بِرَفْعِ الْعَقِيرَةِ، عَنْ نَشَاطٍ بُعِثَ مَرْمُوسُهُ ⁽⁷⁾، وَلَا اغْتِبَاطٍ بِالْأَدَبِ تُغْرِي بِسِيَاسَتِهِ سُوسُهُ،
وَأَنْبِسَاطٍ ⁽⁸⁾ أُوحِيَ إِلَيَّ عَلَى الْفَنَرَةِ نَامُوسُهُ؛ وَإِنَّمَا هُوَ اتِّفَاقُ جَرَّتِهِ ⁽⁹⁾ نَفْثَةُ الْمَصْدُورِ، وَهَنَاءُ الْجَرَبِ
الْمَجْدُورِ، وَخَارِقُ لَا مُخَارِقَ، فَتَمَّ قِيَاسُ فَارِقَ، أَوْ لَحْنُ غَنِي بِهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ مُخَارِقَ، وَالَّذِي سَبَبَهُ،
وَسَوَّغَ مِنْهُ الْمَكْرُوهَ وَحَبَبَهُ، مَا اقْتَضَاهُ الصَّنُو يَحْيَى [مَدَّ] ⁽¹⁰⁾ اللَّهُ حَيَاتَهُ، وَحَرَسَ مِنَ الْحَوَادِثِ ذَاتَهُ،
مِنْ خِطَابٍ ارْتَشَفَ لِهَذِهِ الْقَرِيحَةِ الْعَدِيمَةِ بُلَالَتَهَا، بَعْدَ أَنْ رَضِيَ غَلَالَتَهَا، وَرَشَّحَ إِلَى الصُّهْرِ

1- م: "ذما". وهو تحريف.

2- ع: "بنعمة". ولعل الصواب ما أثبت.

3- ق، ع: "أزور". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي طيف الحبيب.

4- ديوان ابن الخطيب: 2 / 753. وهي من بحر الكامل.

5- ق، ع: ساقط. مثل يضرب لمن يعطي شيئاً ثم يقطعه. ومنها قول بشار بن برد:

قد زرتنا مرة في الدهر واحدة ثني ولا تجعلها بيضة الديك

ديوانه، ص 174

6- ق: "أحث"، م: "أجتز".

7- ق: "مرسمه". وهو تحريف.

8- ق: "انتشاط". "نشط العقدة: شدها، وأنشطها وانتشطها: مدها حتى انحلت" أساس البلاغة / نشط: 2 / 271.

9- ق، ع: "جربته".

10- ق: ساقط.

الْحَضْرَمِيِّ سُلَّالَتَهَا، فَلَمْ يَسَعْ إِلَّا إِسْعَافُهُ بِمَا أَعَافَهُ. فَأَمَلَيْتُ مُجِيبًا مَا لَا يُعَدُّ فِي يَوْمٍ مِنَ الزَّمَانِ نَجِيبًا، وَأَسْمَعْتُ وَجِيبًا، لَمَّا سَاجَلْتُ بِهِذِهِ الثَّرَهَاتِ سِحْرًا عَجِيبًا، حَتَّى أَلَفَ الْقَلَمُ الْعُرْيَانُ سَبْحَهُ، وَجَمَحَ بَرْدُونُ الْغَرَارَةِ فَلَمْ أُطِقْ كَبْحَهُ، لَمْ أَفِقْ مِنْ غَمْرَةِ غُلُوِّهِ، وَمَوْقِفِ مَثْلُوِّهِ، إِلَّا وَقَدْ تَحَيَّرَ إِلَى فِتْنَتِكَ مُقْتِرًا بَلْ مُعْتَرًا⁽¹⁾ وَاسْتَقْبَلَهَا ضَاحِكًا مُفْتَرًا، وَهَشَّ لَهَا [إِيرًا]⁽²⁾ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْوَجَلِ مُصْفَرًا⁽³⁾ وَلَيْسَ بِأَوَّلِ [مَنْ هَجَرَ فِي النِّمَاسِ الْوَصْلِ]⁽⁴⁾ مِمَّنْ هَجَرَ، أَوْ بَعَثَ النَّمْرَ إِلَى هَجَرَ، وَأَبَى نَسَبُ بَيْنِي الْيَوْمَ وَبَيْنَ زُخْرَفِ الْكَلَامِ، وَإِحَالَةِ جِيَادِ الْأَقْلَامِ، فِي مُحَاوَرَةِ الْأَعْلَامِ، بَعْدَ أَنْ حَالَ الْجَرِيضُ دُونَ الْقَرِيضِ⁽⁵⁾، وَشُغِلَ الْمَرِيضُ عَنِ التَّعْرِيصِ. وَاسْتَوَلَى الْكَسَلُ، وَنَصَلَتِ الشَّعْرَاتُ الْبَيْضُ كَأَنَّهَا الْأَسْلُ، تُرَوِّعُ بِرَقِطِ الْحَيَاتِ سِرْبَ الْحَيَاةِ، وَتَطَّرِقُ بِذَوَاتِ الْغُرَرِ وَالشَّيَاطِ عِنْدَ الْبَيَاتِ. وَالشَّيْبُ الْمَوْتُ الْعَاجِلُ، وَإِذَا ابْيَضَّ زَرْعٌ صَبَّحَتْهُ الْمَنَاجِلُ، وَالْمُعْتَبَرُ الْآجِلُ.

وَإِذَا اشْتَغَلَ الشَّيْخُ بِغَيْرِ مَعَادِهِ، حُكِمَ فِي الظَّاهِرِ بِإِبْعَادِهِ، وَأَسْرِهِ⁽⁶⁾ فِي مَلَكَهَ عَادِهِ. فَاغْضُ - أَبْقَاكَ اللهُ - وَاسْمَحْ لِمَنْ قَصَرَ عَنِ الْمَطْمَحِ⁽⁷⁾، وَبِالْعَيْنِ الْكَلِيلَةِ فَالْمَحْ، وَاعْتَنِمِ لِبَاسِ ثَوْبِ النَّوَابِ، وَاشْفِ بَعْضَ الْجَوَى بِالْجَوَابِ. تَوَلَّاكَ اللهُ فِيمَا اسْتَضَفْتَ وَمَلَكَتَ، وَلَا بَعُدْتَ وَلَا هَلَكْتَ، وَكَانَ لَكَ آيَةٌ سَلَكْتَ. وَوَسَمَكَ مِنَ السَّعَادَةِ بِأَوْضَحِ السَّمَاتِ، وَأَتَاخَ لِقَاءَكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ.

1- م : "مفترا". ولعل الصواب ما أثبت.

2- م: ساقط.

3- م: "مفترا" وهو تحريف.

4- ق، ع: ساقط.

5- "قال أبو الدَّقَيْش: الجريض الغصة، والقريض الجرّة، أي منعت الغصة من الاجترار" أساس البلاغة / جرض، 1/ 133

6- ق: "أسوة" ولعل الصواب ما أثبت.

7- ع: "الطمح".

وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَعْتَمِدُ جَلالاً⁽¹⁾ وَلَدِي، وَسَاكِنَ خَلْدِي، بَلْ أَخِي وَإِنْ اتَّقَيْتُ⁽²⁾ عَتَبَهُ وَسَيِّدِي، وَرَحْمَةً
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ [مِنْ مَحَبَّةِ الْمُشْتَأَقِ إِلَيْهِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْخَطِيبِ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ
الثَّانِي مِنْ عَامِ سَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ]⁽³⁾

¹ - م: "خلال".
² - ق: "انتقيت".
³ - أ، ق، ع، ساقط، والمثبت من م.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ الْفَقِيهَ أَبَا زَكَرِيَّا ابْنَ خَلْدُونِ،

لَمَّا وَلِيَ الْكِتَابَةَ عَنِ السُّلْطَانِ أَبِي حَمُو مُوسَى بْنِ زِيَّانٍ ⁽¹⁾ وَافْتَرَنَ

بِذَلِكَ نَصْرَ وَصْنَعٍ غَبَطْتُهُ بِهِ، [وَأَشْرْتُ] ⁽²⁾ قَصْدَ تَنْفِيْقِهِ وَإِنْهَاءٍ ضِدِّ وَلَدِهِ ⁽³⁾

تَخُصُّ ⁽⁴⁾ الْحَبِيبَ الَّذِي هُوَ فِي الْإِسْتِظْهَارِ بِهِ أَخٌ، وَفِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ وَلَدٌ، وَالْوَلِيِّ الَّذِي مَا بَعْدَ
قُرْبٍ مِنْهُ أَمْلٌ وَلَا عَلَى بُعْدِهِ جَلَدٌ، وَالْفَاضِلَ الَّذِي لَا يُخَالِفُ فِي فَضْلِهِ سَاكِنٌ وَلَا بَلَدٌ. أَبْقَاهُ اللَّهُ
وَفَازَةً ⁽⁵⁾ فَوْزِهِ وَعِصْمَتِهِ، لَهَا مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَمْدٌ، وَمَمْرُدُ سَعَادَتِهِ الْمُسَوِّغُ ⁽⁶⁾ لِعَادَتِهِ غَمْرٌ لَا تَمُدُّ،
وَأَمْدٌ ⁽⁷⁾ إِمْدَادِهِ مِنْ خَزَائِنِ إِلْهَامِ اللَّهِ وَسَدَادِهِ لَيْسَ لَهُ أَمْدٌ، وَحِمَى فَرْحِ قَلْبِهِ بِمَوَاهِبِ رَبِّهِ لَا يَطْرُقُهُ ⁽⁸⁾
كَمْدٌ. تَحِيَّةٌ مُجَلَّةٌ ⁽⁹⁾ مِنْ صَمِيمِ قَلْبِهِ بِمَحَلِّهِ الْمُنْشِئِ ⁽¹⁰⁾ رِوَاقَ الشَّفَقَةِ مَرْفُوعاً بِعُمْدِ الْمَحَبَّةِ وَالْمِقَّةِ ⁽¹¹⁾،
فَوْقَ ظَعْنِهِ وَحِلَّةٍ، مُؤَثِّرِهِ وَمُجَلَّةٍ، الْمُعْتَنِي بِدِقِّ أَمْرِهِ وَجِلَّةٍ.

¹ - "عبد الله بن موسى (أبي حمو) بن يوسف الزياني (ت 804هـ): من سلاطين تلمسان المعروفين ببني عبد الواد. كان مواليا لخصومهم "بني مرين" مقيما عندهم بفاس. وبعثه السلطان عثمان المريني بجيش إلى تلمسان، فقاتل أخاه أبا زيان (محمد بن موسى) سنة 802هـ، وقتل أخوه، فدخل تلمسان وتولاها في السنة نفسها. وأقام يؤدي في كل عام خراجا للسلطان المريني. ثم غضب عليه السلطان عثمان المريني فوجه إليه جيشا قبض عليه وأرسل إلى فاس سنة 804هـ" الأعلام: 4 / 141

² - م: ساقط.

³ - ع، م: "لديه" وهو تحريف.

⁴ - ق، ع، م: "نخص" بعودة الضمير على المؤلف.

⁵ - ع، "قارة"، م: "فاز". ولعل الصواب ما أثبت.

⁶ - ع: "المصوغ". وهو تصحيف.

⁷ - أ، ق، م: "مدى". والمثبت من ع.

⁸ - أ، ع: "بطوره"، ق: "يطرده"، والمثبت من م.

⁹ - أ، ع: "محله"، بالحاء بدل الجيم. م: "محلة". والمثبت من ق.

¹⁰ - ق: "المتني". ولعل الصواب ما أثبت.

¹¹ - ع: "المبقة". وهو تحريف.

فُلَانٌ مِنَ الْحَضَرَةِ الْجِهَادِيَّةِ غَرْنَاطَةٌ -صَانَ اللَّهُ خِلَالَهَا، وَوَقَى هَجِيرَ هَجْرِ الْغُيُومِ ظِلَالَهَا، وَعَمَرَ بِأَسْوَدِ اللَّهِ أَغْيَالَهَا⁽¹⁾، كَمَا أَغْرَى مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ صِيَالَهَا⁽²⁾. وَلَا زَائِدَ إِلَّا مِنْ [مِنْ]⁽³⁾ اللَّهُ تَصُوبُ، وَقُوَّةٌ يُسْتَرَدُّ بِهَا الْمَعْصُوبُ، وَتُخْفِضُ الصَّلِيبَ الْمَنْصُوبَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِحَمْدِهِ يُنَالُ الْمَطْلُوبُ، وَبِذِكْرِهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ⁽⁴⁾. وَمَوَدَّتُكُمُ الْمَوَدَّةُ الَّتِي غَذَّتْهَا نَدْيُ الْخُلُوصِ بِلِبَانِهَا، وَأَحْلَتْهَا حَلَائِلَ الْمُحَافَظَةِ بَيْنَ أَعْيُنِهَا وَأَجْفَانِهَا، وَمَهَّدَتْ⁽⁵⁾ مَوَاتَ أُخُوتِهَا الْكُبْرَى أَسَاسِ بُنْيَانِهَا، وَاسْتَحَقَّتْ مِيرَاثَهَا مَعَ اسْتِصْحَابِ حَالِ الْحَيَاةِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- وَاتِّصَالَ زَمَانِهَا، وَاقْتِضَاءِ⁽⁶⁾ عُهُودِ الْأَيَّامِ بِبُيُوتِهَا وَأَمَانِهَا. وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

فَإِنْ لَمْ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهَا فَإِنَّهُ أَخُوهَا غَذَّتْهُ أُمُّهُ بِلِبَانِهَا⁽⁷⁾

وَصَلَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِهِ وَفِي ذَاتِهِ، وَجَعَلَهُ وَسِيلَةً إِلَى مَرْضَاتِهِ، وَفُرِيَّةً تَنْفَعُ عِنْدَ اعْتِبَارِ مَا رُوعِيَ مِنْ سُنَنِ الْجَبَّارِ وَمُفْتَرَضَاتِهِ. وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمْ الَّذِي فَاتَحَ بِالرَّيْحَانِ وَالرَّوْحِ، وَحَلَّ مِنْ مَرْسُومِ الْوَلَاءِ⁽⁸⁾ مَحَلَّ الْبَسْمَلَةِ مِنَ اللَّوْحِ، وَأَذِنَ لِنَوَافِحِ النَّشَاءِ⁽⁹⁾ بِالْفَوْحِ. يَشْهَدُ عَدْلُهُ بِأَنَّ الْبَيَانَ يَا آلَ خَلْدُونَ سَكَنَ مَثْوَاكُمْ دَارَ خُلُودٍ، وَقَدَحَ رَنْدًا غَيْرَ صَلُودٍ. وَاسْتَأْنَرَ مِنْ مَحَابِرِكُمُ السَّيَّالَةَ، وَقُضِبَ⁽¹⁰⁾

¹ - ع: "أغياها" بالعين بدل الغين. "أغالت المرأة ولدها وأغيلته أرضعته وهي حامل، فهو الغيل" المصباح المنير / غيل، ص:

175

² - ع: "حياها" بالحاء بدل الصاد. ولعل الصواب ما أثبت.

³ - م: ساقط.

⁴ - قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ} ١٠ لَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ سورة الرعد، الآية: 28

⁵ - ق، ع: "تمهدت" ولعل الصواب ما أثبت.

⁶ - ق، ع: "اقتضى". ولعل الصواب ما أثبت.

⁷ - ديوان أبو الأسود الذولي، 37/2. وكذا كتاب شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، ص: 259

⁸ - أ، م: "الحيا" والمثبت من ق، ع.

⁹ - م: "السفا".

¹⁰ - ق، ع: "قطب". وهو تحريف.

رِمَاحُكُمْ⁽¹⁾ المِيَادَةَ المِيَالَةَ، بِأَبٍ مُنْجِبٍ وَأُمٍّ وَلُودٍ، يَفْقَهُ شَانَهُ⁽²⁾ غَيْرَ المَشْنُوءِ،⁽³⁾ وَفَصِيلَهُ⁽⁴⁾ غَيْرَ الجَرَبِ وَلَا المَهْنُوءِ، مِنَ الخِطَابِ السُّلْطَانِيِّ سَفِينَةَ سُوحٍ⁽⁵⁾ إِنْ لَمْ نَقُلْ سَفِينَةَ نُوحٍ. مَا شِئْتَ مِنْ أَمَالٍ أَرْوَاجٍ، وَزُمَرٍ مِنَ الفضْلِ أَفْوَاجٍ، وَأَمْوَاجٍ كَرَمٍ يَطْفُو فَوْقَ أَمْوَاجٍ، وَفُنُونٍ بَشَائِرٍ، وَأَهْطَاعٍ قَبَائِلٍ وَعَشَائِرٍ، وَضَرْبٍ لِلْمَسَرَّاتِ أَعْلَى⁽⁶⁾ النَّشَائِرِ⁽⁷⁾.

فَلِلَّهِ مِنْ قَلَمٍ رَاعَى نَسَبَ الغِنَى فَوَصَلَ الرَّحِمَ، وَأَنْجَدَ الوَشِيحَ الْمُلتَحِمَ، وَسَاقَ بَعْصَاهُ مِنَ البَيَانِ الذُّودَ الْمُزْدَحِمَ، وَأَخَافَ مَنْ شَذَّ عَنِ الطَّاعَةِ مَعَ الإِسْتِطَاعَةِ، فَقَالَ: {لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}⁽⁸⁾ وَلَوْ لَمْ يُوجِبِ الحَقُّ بَرْقَهُ وَرَعْدَهُ، وَوَعِيدَهُ وَوَعْدَهُ، لَأَوْجَبَهُ بَيْمُنُهُ وَسَعْدُهُ. فَلَقَدْ ظَهَرَتْ مَخَائِلُ نُجْحِهِ عِلَاوَةً⁽⁹⁾ [عَلَى]⁽¹⁰⁾ نُصْحِهِ، وَوَضَحَتْ مَحَاسِنُ صُبْحِهِ⁽¹¹⁾ فِي وَحْشَةِ المَوْقِفِ الصَّعْبِ وَقُبْحِهِ، وَصَلَ اللَّهُ عَوَائِدَ مَنَحِهِ، وَجَعَلَهُ إِقْلِيدًا كُلَّمَا اسْتَقْبَلَ بَابَ أَمَلٍ وَكَلَّهُ اللَّهُ بِفَتْحِهِ.

أَمَّا مَا قَرَّرَهُ وَلَاوُكُكُمْ مِنْ حُبِّ زَكَا عَنْ حَبَّةِ القَلْبِ حُبُّهُ، وَأَنْبَتَهُ النَّبَاتَ الحَسَنَ رَبُّهُ، وَسَاعَدَهُ مِنَ العَمَامِ سَكْبُهُ، وَمِنْ النَّسِيمِ اللَّذْنِ مَهْبُهُ، فَرَسَمَ ثَبَتَ عِنْدَ الْوَلِيِّ نَظِيرُهُ⁽¹²⁾، مِنْ غَيْرِ مُعَارِضٍ يَضِيرُهُ. وَرَبَّمَا

1- ق، ع: "أقلامكم" ولعل الصواب ما أثبت؛ فقد جمع بين القلم والسيف.

2- م: "شافيه". ولعل الصواب ما أثبت.

3- ق: "المنشور"، ع: "المسنوء". ولعل الصواب ما أثبت؛ والمنشوء هو المبعوض.

4- م: "نصيله" ولعل الصواب ما أثبت؛ والفصيل ولد الناقة.

5- ق: "نوح"، م: "ستوح". "سنح الشيء يسنح سنوحا سهل وتيسر" المصباح المنير / سنح، ص: 110

6- أ، ع، م: "أعيا". والمثبت من ق.

7- ق: "الستائر"، م: "السامر". ولعل الصواب ما أثبت.

8- قال عز وجل: {قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۚ وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} سورة هود، الآية: 43

9- ق: "علامة". وكلاهما صحيح.

10- ع: ساقط.

11- ق: "صحابه" وهو تحريف.

12- ق: "نظيرك". ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.

أَرَى بِتَذِيلٍ مَزِيدٍ، وَشَهَادَةٍ ثَابِتٍ وَيَزِيدٌ⁽¹⁾. وَلَمْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ شَاهِدٌ، وَكَوْنُهَا أَجْنَادًا مُجَنَّدَةً⁽²⁾ لَا يَحْتَاجُ تَقْرِيرُهُ إِلَى مَا هِرٍ أَوْ جُهْدٍ جَاهِدٍ. وَمَوَدَّةُ الْأُخُوَّةِ سَبِيلُهَا لَاحِبٌ، وَدَلِيلُهَا لِلدَّعْوَى الصَّادِقَةِ مُصَاحِبٌ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ فَضْلِ وَلِقَاءٍ، وَمُصَاقَبَةِ سِقَاءٍ، وَاعْتِقَادٍ لَا يُرَاعُ سِرُّهُ بِدَيِّبٍ⁽³⁾ الْإِنْتِقَادِ، وَاجْتِلَاءِ شِهَابٍ وَقَادٍ، لَا يَحُوجُ إِلَى إِيقَادٍ. إِنَّمَا عَاقَ عَنْ مُوَاصَلَةِ ذَلِكَ نَوَى شَطِّ مِنْهُ الشَّطْنُ⁽⁴⁾، وَتَشْدِيدٌ لَمْ يَنْعَيْنَ مَعَهُ الْوَطْنَ، [فَلَمَّا تُعِينَ تَعِينٌ]⁽⁵⁾، وَكَادَ الصُّبْحُ أَنْ يَتَبَيَّنَ، عَادَ الْوَمِيزُ دَنْجُورًا، وَالْمَوَارِدُ⁽⁶⁾ بَحْرًا مَسْجُورًا إِلَى أَنْ أَعْلَقَ اللَّهُ مِنْكُمْ الْيَدَ بِالسَّبَبِ الْوَثِيقِ، وَأَحْلَكَكُمْ بِمَنْجَى نَبِيٍّ لَا يَخَافُ مِنْ مَنْجَنِيْقٍ، وَجَعَلَ يِرَاعَكُمْ لِسَعَادَةِ مُوسَى مُعْجَزَةً تَأْتِي عَلَى الْخَبَرِ بِالْعِيَانِ - فَتَحَرُّ لِنُجْبَانِهَا سَحَرَةَ الْبَيَانِ⁽⁷⁾:

"أَيَحْيَى" سَقَى حَيْثُ لُحْتَ الْحَيَا

فَنِعَمَ الشَّعَابُ، وَنِعَمَ الْوُكُونُ

وَحَيَّ يِرَاعُكَ مِنْ آيَةٍ فَقَدْ حَرَّكَ الْقَوْمَ بَعْدَ السُّكُونِ

دَعَا لِحْدَمَةِ مُوسَى عَصَاهُ فَجَاءَتْ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونُ

¹ - هو ثابت البناني ويزيد بن الأسود. ويشير هنا إلى قول جميل:

إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُنَيْتَهُ قَاتِلِي مِنْ الْحُبِّ قَالَتْ: ثَابِتٌ وَيَزِيدٌ

ديوان جميل، ص 15

² - قال صلى الله عليه وسلم: (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ) رواه مسلم برقم 6376

³ - م: "بذيب". وهو تحريف.

⁴ - الشطن: حبل طويل يستقى به من البئر أو تشد به الدابة.

⁵ - ق، ع: ساقط.

⁶ - أ، م: "المواد". والمثبت من ق، ع.

⁷ - يقول تعالى: {فَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} سورة طه، الآية: 70

فَأَذَعْنَ مَنْ يَدَّعِي السَّحَرَ رَغْمًا وَأَسْلَمَ مِنْ أَجْلِهَا الْمُشْرِكُونَ

وَسَاعَدَكَ السَّعْدُ فِيمَا أَرَدْتَ فَكَانَ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ⁽¹⁾

فَأَنْتُمْ أَوْلَى الْأَصْدِقَاءِ بِصِلَةِ السَّبَبِ، وَرَعِي الْوَسَائِلَ وَالْقُرْبَ. أَبْقَاكُمْ اللَّهُ، وَأَيَّدِي الْغِبْطَةَ بِكُمْ

مَالِيَّةً، وَأَحْوَالُ تِلْكَ الْجِهَاتِ بِدُرَرِكُمْ [الْمُحَمَّاةُ]⁽²⁾ عَالِيَةً⁽³⁾، وَدِيمَ الْمَسَرَّاتِ مِنْ إِنْعَامِكُمْ الْمَبَرَّاتِ⁽⁴⁾

عَلَى مَعْهُودٍ⁽⁵⁾ الْمَبَرَّاتِ مُتَوَالِيَةً.

وَأَمَّا مَا تَشَوَّقْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ حَالٍ وَلَيْكُمُ فَأَمَلٌ مُتَقَلِّصُ الظِّلِّ، وَارْتِقَابٌ لِهُجُومِ جَيْشِ الْأَجَلِ الْمُطِلِّ،

وَمَقَامٌ عَلَى مُسَاوَرَةِ الصَّلِّ، وَعَمَلٌ يُكَذِّبُ الدَّعْوَى، وَطُمَأْنِينَةٌ تَنْتَظِرُ الْغَارَةَ الشَّعْوَى، وَيَدٌ بِالْمَذْخُورِ

تَفْتَحُ، وَأُخْرَى تَجْهَدُ وَتَمْنَحُ⁽⁶⁾، وَمَرَضٌ يَزُورُ فَيُنْقَلُ، وَضَعْفٌ عَنِ الْوَاجِبِ يَعْقِلُ. إِلَّا أَنَّ اللَّطَائِفَ

تَسْتَرُوحُ، وَالْقَلْبَ مِنْ بَابِ الرَّجَاءِ لَا يَبْرَحُ. وَرُبَّمَا ظَفِرَ الْيَأْسُ⁽⁷⁾، وَلَمْ تَطْرِدِ الْمَقَاسِيسُ، تَدَارَكَنَا اللَّهُ

بِعَفْوِهِ، وَأَوْرَدَنَا مِنْ مَنَهِلِ الرِّضَا وَالْقَبُولِ عَلَى صَفْوِهِ، وَأَذِنَ لِهَذَا الْخَرْقِ فِي رَفْوِهِ⁽⁸⁾.

وَأَمَّا مَا طَلَبْتُمْ مِنْ انْتِسَاخِ دِيْوَانٍ، وَإِعْمَالِ بَنَانٍ، فِي الْإِتْحَافِ بَبَيَانٍ؛ فَتِلْكَ عُهْدٌ لَدَيَّ مَهْجُورَةٌ،

وَمُعَاهَدَةٌ لَا مُتَعَهَّدَةً وَلَا مَرْوَرَةً. شَغَلَ عَنْ ذَلِكَ، خَوْضٌ يَعْلُو لَجْبُهُ، وَحَوْصٌ⁽⁹⁾ يَقْضِي مِنْ لَعَطِ

1- ديوان ابن الخطيب: 2/ 601. خاطب بهذه الأبيات يحيى بن خلدون. وهي من بحر المتقارب.

2- أ، م: ساقط، والمثبت من ق، ع.

3- أ، ع، م: "حالية" والمثبت من ق.

4- ق: "الميراث". وهو تحريف.

5- ق: "عهد". ولعل الصواب ما أثبت.

6- أ: "تمنح". والمثبت من باقي النسخ.

7- م: "البائس". ولعل الصواب ما أثبت.

8- أ، ق، ع: "رفده". والمثبت من م، ولعله الصواب؛ "فزع فلان فرفوته إذا أزلت فزعه وسكنته كما يزال الخرق بالرفو" أساس

البلاغة / رفو، 1/ 372

9- أ، م: "خوض"، والمثبت من ق، ع.

الْمَاتِحِ عَجْبُهُ، وَهَوْلُ جِهَادٍ تَسَاوَى جُمَادِيَاهُ وَرَجَبُهُ. فَلَوْلَا التَّمَّاسُ أَجْرٍ، وَتَعَلُّلُ بَرْيَحٍ تُجْرِ، لَقُلْتُ أَهْلًا
بِذَاتِ النَّحِيَّيْنِ⁽¹⁾، فَلَهُنَّ شَكْتُ، وَبَذَلَتْ الْمَصُونُ بِسَبَبِ مَا أَمْسَكْتُ، فَلَقَدْ ضَحِكْتُ فِي الْبَاطِنِ
ضِعْفَ مَا بَكَتْ.

وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ سُوءِ انْتِحَالٍ، وَإِثَارِ الْمِرَاحِ بِكُلِّ حَالٍ. وَمَا الَّذِي يَنْتَظِرُ مِثْلِي مِمَّنْ عَرَفَ
الْمَآخِذَ وَالْمَتَارِكَ، وَجَرَّبَ لَمَّا بَلَى الْمَبَارِكَ، وَخَبَرَ مَسَاءَةَ الدُّنْيَا الْفَارِكَ.
هَذَا أَيُّهَا الْحَبِيبُ مَا وَسِعَهُ الْوَقْتُ الضَّيِّقُ، وَقَدْ ذَهَبَ الشَّبَابُ الرَّيِّقُ. فَلَيْسَمَحَ فِيهِ مَعْهُدُ كَمَالِكَ،
جَعَلَ اللَّهُ مُطَاوَعَةَ آمَالِكَ مُطَاوَعَةَ يَمِينِكَ لِسِمَالِكَ، وَوَطَّأَ لَكَ مَوْطِئَ الْعِزِّ بِبَابِ كُلِّ مَالِكَ، وَقَرَنَ
النُّجْحَ بِأَعْمَالِكَ. وَالسَّلَامُ.

¹ - أ: "النحيين". والمثبت من باقي النسخ. يقال: "أشغل من ذات النحيين. وهي امرأة من بني تميم الله كانت تبيع السمن في الجاهلية فأتاها خوات بن جبير الأنصاري يبتاع منها سمناً فلم ير عندها أحداً وسأومها فحلت نحياً فنظر إليه، ثم قال: أمسكيه حتى أنظر إلى غيره فقالت: حل نحياً آخر ففعل فنظر إليه فقال: أريد غير هذا فأمسكيه ففعلت فلما شغل يديها ساورها فلم تقدر على دفعه حتى قضى ما أراد وهرب" الأمثال، الميداني، 377 / 1

وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ صَاحِبَ الْعَلَامَةِ بِالْمَغْرِبِ

أَبَا الْقَاسِمِ بْنِ رِضْوَانَ⁽¹⁾ بِمَا يَظْهَرُ مِنَ الْغَرَضِ

قَدْ كُنْتُ أَجْهَدُ فِي التِّمَاسِ صَنِيعَةٍ

نَفْسًا شَهَابُ ذِكَائِهَا وَقَادُ

وَأَقُولُ لَوْ كَانَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَكُمْ

عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ⁽²⁾

سَيِّدِي أَبَقَاكُمْ اللَّهُ عِلْمَ فَضْلٍ وَإِنْصَافٍ، وَمَجْمُوعَ كَمَالٍ أَوْصَافٍ، كَلَامَ النِّيَّاتِ قَصِيرٍ، وَاللَّهُ بِحَسَنَاتِ
الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ بَصِيرٌ، وَإِلَيْهِ بَعْدَ هَذَا الْخُبَاطِ⁽³⁾ كُلِّهِ رُجْعِي مِنَّا وَمَصِيرٌ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا هُوَ مَوْلَى
وَلَصِيرٌ.

وَهَذَا الرَّجُلُ -سَيِّدِي- الْخَطِيبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْزُوقٍ -جَبَرَهُ اللَّهُ- بِالْأَمْسِ كُنَّا نَقِفُ بِبَابِهِ،
وَنَتَمَسَّكُ بِأَسْبَابِهِ، وَنَتَوَسَّلُ إِلَى الدُّنْيَا بِهِ. فَإِنْ كُنَّا قَدْ عَرَفْنَا خَيْرًا وَجَبَتِ الْمُشَارَكَةُ، أَوْ كَفَافًا تَعَيَّنَتِ

¹ - هو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري، توفي بالدار البيضاء سنة 783، ودفن بمقبرة الحاج صالح. جذوة
المقتبس، ابن القاضي، ص: 246-247

² - ديوان ابن الخطيب: 1/ 328-329. كتبها ابن الخطيب في صدر رسالة حرض فيها أبا القاسم بن رضوان على شفاعته. وهي
من بحر الكامل.

³ - أ، م: "الحفاظ"، ق: "الخطاب" والمثبت من ع. ولعله الصواب؛ من الخطب والضرب في الحياة.

الْمُتَارِكَةُ، أَوْ شَرًّا [اهْتَبَلَتْ غُرَّةً] ⁽¹⁾ الْهَوَى الْأَنْفُسُ الْمُبَارَكَةُ، وَاتَّصَفَتْ بِصِفَةٍ مَنْ يُعْصَى فَيَسْمَحُ،
وَيُسْأَلُ فَيَمْنَحُ، وَيَعُودُ عَلَى الْقَبِيحِ بِالسُّتْرِ الْجَمِيلِ، وَيَحْسِبُ [يَدًا] ⁽²⁾ التَّامِيلِ.

وَمَعَ هَذَا فَلَمْ نَدْرِ إِلَّا خَيْرًا ⁽³⁾ كَرَّمَ مِنْهُ الْمَوْرِدُ وَالْمَصْرِفُ، وَمَنْ عَرَفَ حُجَّةً عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ.
وَأَنْتُمْ فِي الْوَقْتِ سِرَاجٌ عَلِمَ لَا يَخْبُو سَنَاهُ، وَمَجْمُوعُ [تَخْلُقُ] ⁽⁴⁾ عَرَفْنَا مِنْهُ مَا عَرَفْنَاهُ. وَهَذِهِ هِيَ
الشُّهُرَةُ [الَّتِي] ⁽⁵⁾ تُغْتَنَّمُ إِذَا سَفَرْتَ، وَالْمِنَّةُ الَّتِي تُجْبَرُ عَلَيْهَا دَابَّةُ النَّفْسِ إِذَا نَفَرْتَ، حَتَّى لَا يَجِدَ بَعُونَ
اللَّهِ عَارِضًا يَعُوقُهَا عَنِ الْخَيْرِ [وَسَبِيلِ الْكَلَامِ الْأَخِيرِ] ⁽⁶⁾ وَالْأَجْرِ فِي اسْتِيفَاءِ كِتَابِ الشَّفَاعَةِ،
وَتَحَرِّيِ الْمَقَاصِدِ النَّقَّاعَةِ. وَتَنْفِيْقُ الْبِضَاعَةِ قَدْ ضَمِنَهُ مَنْ وَعَدَ بِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الطَّاعَةِ.
فَكَيْفَ -وَاللَّهُ يَرَى عَمَلَكُمْ وَعَمَلِي- وَالْمَتْرُوكُ حَقِيرٌ، وَالْوُجُودُ إِلَى رَحْمَةٍ مِنْ رَحْمَاتِ اللَّهِ فَقِيرٌ
وَالسَّلَامُ.

¹ - أ: ساقط، والمثبت من باقي النسخ.

² - ق: ساقط.

³ - ع: "جيرا" وهو تصحيف.

⁴ - ق: ساقط.

⁵ - ق: ساقط.

⁶ - أ، م: ساقط، والمثبت من ع.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبْتُ إِلَى الشَّيْخِ الْخَطِيبِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْزُوقٍ⁽¹⁾ جَوَاباً عَنْ كِتَابِهِ

وَقَدْ اسْتَقَرَّ خَطِيبُ السُّلْطَانِ بَثُونَسَ⁽²⁾ حَرَسَهَا اللَّهُ وَأَعَزَّهُ

وَلَمَّا أَنْ نَأَتْ مِنْكُمْ دِيَارٌ وَحَالَ الْبُعْدُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنِي

بَعَثْتُ لَكُمْ سَوَاداً فِي بَيَاضٍ لِأَنْظُرَكُمْ بِشَيْءٍ مِثْلٍ عَيْنِي⁽³⁾

بِمَ أَفَاتِحُكَ يَا سَيِّدِي، وَأَجَلَ عُدْدِي سَلَاماً، فَلَا أَحْذَرُ مَلَاماً، أَوْ أُنْتَحِبُ لَكَ كَلَاماً، فَلَا أَجِدُ لِتَبِعَةٍ
النَّقْصِيرِ فِي حَقِّكَ الْكَبِيرِ إِيْلَاماً. وَإِنْ قُلْتُ تَحِيَّةَ كِسْرَى فِي السَّاءِ وَتَبَعُ، فَكَلِمَةٌ⁽⁴⁾ فِي مَرْبَعِ الْعُجْمَةِ
تَرْبَعُ، وَلَهَا الْمَصِيفُ فِيهِ وَالْمَرْبَعُ، وَالْخَيْمُ⁽⁵⁾ وَالْمَنْبَعُ، فَتُرَوَّى مَتَى شَاءَتْ وَتَشْبَعُ. وَإِنْ قُلْتُ إِذَا
الْعَارِضُ خَطَرَ، وَهَمَى أَوْ قَطَرَ، سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرُ⁽⁶⁾؛ فَهُوَ فِي الشَّرِيعَةِ بَطَرٌ، وَمَرْكَبُهُ خَطَرٌ، وَلَا

¹ - أبو عبد الله بن مرزوق: (710هـ-780هـ) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني الشهير بالخطيب والجد والرئيس، ولاه السلطان أبو الحسن المريني الخطابة بمسجد أبي مدين بالعباد، وحظي عنده فأعلى رتبته في مجلسه، ورافقه إلى الأندلس وحضر معه معركة طريف سنة (٧٤٨هـ) "الأعلام: 3 / 150

² - تونس: "بالضم ثم السكون، والنون تضم وتفتح وتكسر: مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قَرْطاجنة" معجم البلدان: 2 / 60

³ - ديوان ابن الخطيب: 2 / 602. وهي من بحر الوافر.

⁴ - ق: "فكلامه" ولعل الصواب ما أثبت.

⁵ - أ، ع، م: "الحميم" والمثبت من ق.

⁶ - أخذه من قول الأحوص بن عبد الله بن محمد:

سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرُ عَلَيْهَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ

طبقات الشعراء ص 190

يُرْعَى بِهِ وَطَنٌ، وَلَا يُقْتَضَى ⁽¹⁾ بِهِ وَطَرٌ. وَإِنَّمَا الْعُرْفُ الْأَوْشَجُ، وَلَا يَسْتَوِي الْبَانُ وَالْبَنْفَسُجُ،
وَالْعَوْسَجُ ⁽²⁾ وَالْعَرْفَجُ ⁽³⁾ :

سَلَامٌ وَتَسْلِيمٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ عَلَيْكَ وَمَمْدُودٌ مِنَ الظِّلِّ سَجَسَجٌ ⁽⁴⁾ وَمَا
كَانَ فَضْلُكَ لِيَمْنَعَنِي الْكُفْرُ أَنْ أَشْكُرَهُ، وَلَا لِيُنْسِينِي الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ⁽⁵⁾، فَاتَّخِذْ فِي الْبَحْرِ سَبَبًا، أَوْ
أَسْأَلُكَ غَيْرَ الْوَفَاءِ مَذْهَبًا -تَأْتِي ذَلِكَ وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى طِبَاعٌ، لَهَا فِي مَجَالِ الرَّعْيِ بَاعٌ، وَتَحْقِيقٌ
وَإِشْبَاعٌ، وَسَوَائِمُ ⁽⁶⁾ مِنَ الْإِنْصَافِ، تَرَعَى فِي رِيَاضِ الْإِعْتِرَافِ فَلَا يَطْرُقُهَا ارْتِيَاعٌ، وَلَا تُخْفِيهَا سِبَاعٌ.
وَكَيْفَ نَجِدُ تِلْكَ الْحُقُوقَ، وَهِيَ شَمْسُ ظَهِيرَةٍ، وَأَذَانُ عَقِيرَةٍ جَهِيرَةٍ، فَوْقَ مِنْذَنَةِ شَهِيرَةٍ، أَدَّتِ الْأَكْتَادُ
لَهَا دُيُونًا تَسْتَعْرِقُ الدَّمَمَ، [وَتَسْتَرْقُ حَتَّى الرَّمَمِ] ⁽⁷⁾ فَإِنْ قُضِيَتْ فِي الْحَيَاةِ فَهِيَ الْخُطَةُ الَّتِي
تَرْتَضِيهَا، وَلَا نَقْعُ مِنْ عَامِلِ الدَّهْرِ الْمُسَاعِدِ، إِلَّا أَنْ يُنْفِذَ مَرَاثِمَهَا ⁽⁸⁾ وَيُمْضِيهَا. وَإِنْ قُطِعَ الْأَجَلُ،
فَالْغَنَى الْحَمِيدُ مِنْ خَزَائِنِهِ الَّتِي لَا تَبِيدُ يَقْضِيهَا، وَيُرْضِي مَنْ يَقْتَضِيهَا.

وَحَيَّا اللَّهُ [أَيُّهَا] ⁽⁹⁾ الْعَالَمُ ⁽¹⁰⁾ السَّامِي الْجَلَالِ زَمَنًا بِمَعْرِفَتِكَ الْمُبِيرَةِ عَلَى الْأَمَالِ بَرٌّ وَاتَّحَفَ، وَإِنْ
أَسَاءَ بِفِرَاقِكَ وَأَجْحَفَ، وَأَعْرَى بَعْدَمَا أَلْحَفَ، وَأَظْفَرَ بِالْيَتِيمَةِ الْمَذْخُورَةِ لِلشَّدَائِدِ وَالْمَرَائِنِ، ثُمَّ أَوْحَشَ

1- أ، م : "يقتضي"، والمثبت من ق، ع.

2- العوسج: نبات من فصيلة الباذنجيات، من نوع الفرولات، شائك له ثمر مدور يؤكل.

3- عرفج جمع عرفجة: جنس نباتات برية وتزيينية من فصيلة الورديات.

4- البيت لابن الرومي من مرثية في يحيى بن عمر العلوي، ومطلعها:

أَمَامَكَ فَانْظُرْ أَيُّ نَهْجِكَ تَنْهَجُ طَرِيقَانِ شَتَّى مُسْتَقِيمٌ وَأَعْوَجُ

5- قال تعالى: {قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتَ الْخُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ

عَجَبًا { سورة الكهف، الآية 63

6- ق، ع : "سوابق" ولعل الصواب ما أثبت، "سامت الماشية: رعت، وأسامها الراعي وسومها، ولهم سوام وسائمة وسوائم"

أساس البلاغة / سوم، 485 / 1

7- ق، ع : ساقط.

8- أ، ق، م : "مراسيها" والمثبت من ع.

9- ق: ساقط.

10- أ، ع، م: "العلم" والمثبت من ق.

مِنْهَا لِصَوْنِهِ هَذِهِ الْخَزَائِنَ، فَأَبَ حَنِينُ الْأَمَلِ بِخُفْيِهِ⁽¹⁾، وَأَصْبَحَ الْمَغْرِبُ غَرِيباً يُقَلِّبُ كَفِّيهِ⁽²⁾.
نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الْعَقَلَاتِ، [وَنَسْتَهْدِيهِ دَلِيلًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْفَلَوَاتِ]⁽³⁾ وَأَيُّ ذَنْبٍ فِي الْفِرَاقِ
لِلرِّمَنِ أَوْ [الْغُرَابِ الدِّمَنِ]⁽⁴⁾ أَوْ لِلرَّوَاكِحِ الْمُدْلَجَةِ مَا بَيْنَ الشَّامِ إِلَى الْيَمَنِ، وَمَا مِنْهَا إِلَّا عَبْدٌ
مَقْهُورٌ، وَفِي رِمَّةٍ⁽⁵⁾ الْقَدَرِ مَبْهُورٌ، عَقْدٌ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مَشْهُورٌ، وَحُجَّةٌ⁽⁶⁾ لَهَا عَلَى النَّفْسِ اللَّوَامَةِ
ظُهُورٌ. جَعَلَنَا اللَّهُ مِمَّنْ ذَكَرَ الْمُسَبِّبَ فِي الْأَسْبَابِ، وَتَذَكَّرَهُ⁽⁷⁾ وَمَا يَتَذَكَّرُ⁽⁸⁾ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ، [قَبْلَ
غَلْقِ الرَّهْنِ وَسَدِّ الْبَابِ]⁽⁹⁾ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْفِرَاقُ ذَاتِيٌّ، وَوَعْدُهُ مَاتِيٌّ⁽¹⁰⁾، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَكَانَ قُدْماً أَقْرَبَ
الْيَوْمِ مِنَ الْغَدِ. وَالْمَرْءُ فِي الْوُجُودِ غَرِيبٌ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ⁽¹¹⁾، وَمَا مِنْ مَقَامٍ إِلَّا لِزِيَالٍ مِنْ غَيْرِ
اِحْتِيَالٍ⁽¹²⁾ وَالْأَعْمَارُ⁽¹³⁾ مَرَاكِجٌ، وَالْأَيَّامُ أَمْيَالٌ:

نَصِيْبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيْبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالٍ⁽¹⁴⁾

- ¹ - مثل عربي يضرب عند اليأس من إدراك الحاجة والعودة بخيبة الأمل.
- ² - قال تعالى: {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّيهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} سورة الكهف، الآية: 42
- ³ - ع: ساقط
- ⁴ - ق: ساقط
- ⁵ - م: "رقة". ولعل الصواب ما أثبت؛ "وفي رأس الوَدِّ رُمَّةٌ ورِمَّةٌ: قطعة حبيل بال" أساس البلاغة / رمم: 387 / 1
- ⁶ - ق، ع: "جهة" ولعل الصواب ما أثبت.
- ⁷ - ع: "يتزكى ولعل الصواب ما أثبت.
- ⁸ - ع: "يتزكى" ولعل الصواب ما أثبت.
- ⁹ - ق: ساقط.
- ¹⁰ - يقول تعالى: {جَنَّتْ عَدْنُ الْتِي وَعَدَ الرَّحْمَانُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَاتِيًّا} سورة مريم، الآية: 61
- ¹¹ - البيت لابن هانئ الأندلسي:
- أَلَا كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ الْمَدَى وَكُلُّ حَيَاةٍ إِلَى مُنْتَهَى
- ديوانه، ص: 118
- ¹² - ق، ع: "احتمال" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لا حيلة في الحفاظ على المقام.
- ¹³ - م: "الأعمال" ولعل الصواب ما أثبت.
- ¹⁴ - ديوان المتنبي، ص 108

جَعَلَ اللهُ الْأَدَبَ مَعَ الْحَقِّ شَأْنَنَا، وَأَبْعَدَ عَنَّا الْفِرَاقَ⁽¹⁾ الَّذِي شَأْنَنَا. وَإِنِّي لِأُسِرُّ لِسَيِّدِي بِأَنْ رَعَى اللهُ
[فِيهِ صَلَاحَ]⁽²⁾ سَلَفِهِ، وَتَدَارَكَهُ بِالتَّلَافِي فِي تَلَفِهِ، وَخَلَّصَ بَذْرَ سَعَادَتِهِ مِنْ كَلَفِهِ، وَأَحْلَهُ مِنَ الْأَمْنِ
فِي كَنَفِهِ⁽³⁾، وَعَلَى قَدْرِ مَا تُصَابُ الْعُلَيَاءُ، وَأَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ⁽⁴⁾. هَذَا وَالْخَيْرُ
وَالشَّرُّ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْمُؤَسَّسَةِ عَلَى الْأَكْدَارِ، ظِلَانِ مُضْمَحِلَّانِ، فَإِذَا ارْتَفَعَ مَا ضَرَّ أَوْ مَا نَفَعَ
وَفَارَقَ الْمَكَانَ، فَكَأَنَّهُ مَا كَانَ. وَمِنْ كَلِمَاتِ الْمَمْلُوكِ الْبَعِيدَةِ عَنِ السُّلُوكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ مَلِكُ الْمُلُوكِ:

خُذْ مِنْ زَمَانِكَ مَا تَيْسَّرَ وَاتْرُكْ بِجُهِدِكَ مَا تَعَسَّرَ

وَلَرُبَّ مُجْمَلٍ حَالُهُ تَرْضَى بِهِ مَا لَمْ يُفَسِّرَ

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِدَائِمٍ لَا بُدَّ أَنْ سَيَسُوءُ إِنْ سَرَّ

وَأَكْثُكُمْ حَدِيثُكَ جَاهِدًا شَمَتَ الْمُحَدِّثُ أَوْ تَحَسَّرَ

وَالنَّاسُ آيَةُ الزُّجَاجِ إِذَا عَثَرَتْ بِهِ تَكَسَّرَ

لَا تَعْدِمِ التَّقْوَى فَمَنْ عَدِمَ التَّقَى فِي النَّاسِ أَعْسَرَ

وَإِذَا امْرُؤٌ خَسِرَ الْإِلَهَ فَلَيْسَ خُلُقٌ مِنْهُ أَحْسَرُ

1- أ، م: "الفرق" والمثبت من ق، ع.

2- أ، ع: ساقط، والمثبت من ق، م.

3- أ: "كلفه"، والمثبت من باقي النسخ.

4- "أشدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأُمَمُ، فَلِأَمْتَلُ". التِّرْمِذِيُّ فِي الزُّهْدِ مِنْ جَامِعِهِ: مِنْ حَدِيثِ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأُمَمُ، فَلِأَمْتَلُ، فَيَبْتَلِي الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صَلَاحًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرُخُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَبْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 114 وكذا هو عند النسائي في الكبرى، وعند ابن ماجه في الفتن من سننه، والدارمي في الرقاق من مسنده.

وَإِنَّ اللَّهَ فِي رَعِيكَ لَسِرًّا، وَلُطْفًا مُسْتَمِرًّا⁽¹⁾؛ إِذْ أَلْقَاكَ الَيْمُ إِلَى السَّاحِلِ⁽²⁾، فَأَخَذَ بِيَدِكَ مِنْ وَرْطَةِ الْوَاحِلِ، وَحَرَّكَ مِنْكَ عَزِيمَةَ الرَّاحِلِ إِلَى الْمَلِكِ الْحَلَّاحِلِ، فَأَدَاكَ مِنْ إِبْرَاهِيمِيكَ سَمِيًّا لَوْعَرَفَكَ بَعْدَ [الْوَلِيِّ]⁽³⁾ وَسَمِيًّا⁽⁴⁾، وَنَقَّلَكَ مِنْ عِنَايَةٍ إِلَى عِنَايَةٍ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : ﴿مَا نُنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾⁽⁵⁾ الْآيَةِ.

وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُ سَيِّدِي يَحْمَدُ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- الْعَوَاقِبَ، وَيَصِفُ الْمَرَاقِي الَّتِي حَلَّهَا وَالْمَرَاقِبَ، وَيَنْشُرُ الْمَفَاخِرَ الْحَفْصِيَّةَ وَالْمَنَاقِبَ. وَيَذْكُرُ مَا هَيَّاهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ إِقْبَالٍ، وَرَخَاءٍ بَالٍ، وَخِصِيصِي اشْتِمَالٍ، وَنُشُورٍ⁽⁶⁾ آمَالٍ، وَأَنَّهُ اغْتَبَطَ وَارْتَبَطَ، وَأَلْقَى الْعَصَا بَعْدَمَا خَبَطَ.

وَمِثْلُ تِلْكَ الْخِلَافَةِ الْعَلِيَّةِ مَنْ تَزِنُ الذَّوَاتِ الْمَخْصُوصَةَ مِنَ اللَّهِ بِشَرِيفِ الْأَدَوَاتِ، بِمِيزَانٍ تَمَيِّزِهَا⁽⁷⁾، وَتُفَرِّقُ بَيْنَ شَبَهِ الْمَعَادِينِ وَإِبْرِيْزَهَا، وَشَبَهِ الشَّيْءِ مِثْلُ مَعْرُوفٍ، وَلَقَدْ أَخْطَأَ مَنْ قَالَ النَّاسُ ظُرُوفٌ، إِنَّمَا هُمْ شَجَرَاتُ رِيعٍ فِي بُقْعَةٍ مَاحِلَةٍ، وَإِبِلٌ مَائَةٌ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً. وَمَا هُوَ إِلَّا اتِّفَاقٌ، وَنُجْحٌ لِلْمَسْلُوكِ وَإِخْفَاقٌ، وَقَلَمًا كَذَبَ إِجْمَاعٌ وَإِصْفَاقٌ⁽⁸⁾.

وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ لِرَبِّ السِّيَاسَةِ أَمَلٌ مَطْلُوبٌ، وَحَظٌّ إِلَيْهِ مَجْلُوبٌ. وَإِنْ سُئِلَ أَطْرَفَ، وَعَمَرَ الْوَقْتَ بِبِضَاعَةٍ أَشْرَفَ، وَسَرَقَ الطَّبَاعَ، وَمَدَّ فِي الْحَسَنَاتِ الْبَاعَ، وَسَلَا فِي الْخُطُوبِ، وَأَضْحَكَ فِي الْيَوْمِ

1- ع: بزيادة: "فمستقرا".
2- يقول تعالى: {أَنْ أَذْفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَذْفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} سورة طه، الآية: 39
3- أ، م: ساقط، والمثبت من ق.
4- ق: ساقط.
5- قال تعالى: {مَا نُنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا} ۚ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { سورة البقرة، الآية: 106

6- أ، م: "نشوز" والمثبت من ق، ع. ولعله الصواب.

7- ق: "تميزها" ولعل الصواب ما أثبت.

8- "أصفقوا على أمر واحد: اجتمعوا عليه" أساس البلاغة / صفق، 550 / 1

الْقُطُوبِ، وَهَدَى إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ، وَأَعَانَ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، وَزَرَعَ لَهُ الْمَوَدَّةَ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ. زَادَ
اللَّهُ سَيِّدِي لَدَيْهَا قُرْباً أَثِيراً، وَجَعَلَ فِيهِ لِلْجَمِيعِ خَيْراً كَثِيراً، بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

وَلِعَلَّمِي بِأَنَّهُ -أَبْقَاهُ اللَّهُ- يَقْبَلُ نُصْحِي، وَلَا يَرْتَابُ فِي صِدْقِ صُبْحِي، أَغْبِطُهُ بِمَنْوَاهُ، وَأُنْشِدُهُ مَا
حَضَرَ مِنَ الْبَدِيعَةِ فِي مَسَرَّتِهِ هَذِهِ وَتَجَوَّاهُ:

بِمَقَامِ "إِبْرَاهِيمَ" عُدُّ وَاصْرِفْ بِهِ فِكْراً تُورِّقُ عَنْ بَوَاعِثِ تَنْبَرِي

فَجَوَّارُهُ حَرَمٌ وَأَنْتَ حَمَامَةٌ وَرَقَاءُ وَالْأَغْصَانُ عُودُ الْمَنْبَرِ

فَلَقَدْ أَمِنْتَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ وَهُوَ الْمُرَوَّعُ لِلْمُسِيِّ وَاللِّبْرِي⁽¹⁾

¹ - ديوان ابن الخطيب: 422 / 1. خاطب بها ابن مرزوق. وهي من بحر الكامل.

كُتِبَ الدُّعَابَاتِ وَالْفُكَاهَاتِ

فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ أَبَا زَيْدٍ بَنَ خُلْدُونَ

وَقَدْ اشْتَرَى بِكَرًا مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ ⁽¹⁾ مُوَلَّدَةً اسْمُهَا هِنْدٌ وَأَعْرَسَ بِهَا ⁽²⁾

أَوْصِيكَ بِالشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ لَا تَأْمَنْ فِي حَالَةٍ مَكْرَهُ

وَاجْتَنِبِ الشَّاكَّ إِذَا جِئْتَهُ جَنَّبَكَ الرَّحْمَنُ مَا تَكْرَهُ ⁽³⁾

سَيِّدِي، لَا زِلْتُ تَتَّصِفُ بِالْوَالِجِ، بَيْنَ الْخَالِخِ وَالْدَّمَالِجِ، وَتَرْكُضُ فَوْقَهَا رَكُضَ الْهَمَالِجِ ⁽⁴⁾.

أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَتْ الْحَالُ؟ وَهَلْ حَطَّتْ بِالْقَاعِ مِنْ خَيْرِ الْبِقَاعِ الرَّحَالُ، وَأُحْكِمَ بِمِرْوَدِ الْمُرَاوِدَةِ

الْإِكْتِحَالُ، وَارْتَفَعَ بِالسَّقْيَا الْإِمْحَالُ، وَصَحَّ الْإِنْتِحَالُ، وَحَصَّصَ الْحَقُّ، وَذَهَبَ الْمُحَالُ؟

وَقَدْ طُولَعْتُ بِكُلِّ بُشْرَى وَبِشْرٍ، وَرُفَّتْ هِنْدٌ مِنْكَ إِلَى بُشْرٍ ⁽⁵⁾. فَلِلَّهِ مِنْ عَشِيَّةٍ تَمَتَّعَتْ مِنَ الرَّبِيعِ

بِفُرْشٍ مُوشِيَّةٍ، وَابْتَدَلَتْ مِنْهَا إِلَى وَسَادٍ وَحْشِيَّةٍ، وَقَدْ أَقْبَلَ ظَبْيُ الْكِنَاسِ ⁽⁶⁾ مِنَ الدِّيمَاسِ ⁽⁷⁾، وَمُطَوَّقُ

¹ - الروم: "جيل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم، واختلفوا في أصل نسبهم...وأما حدود الروم فمشارقهم وشمالهم الترك والخزر والروس، وجنوبهم الشام والإسكندرية، ومغاربهم البحر والأندلس" معجم البلدان: 99 / 3

² - داعب صديقه ابن خلدون حين ذهب إلى غرناطة وسفر للغني بالله عند ملوك قشتالة لإبرام صلح سنة 765هـ، فاشترى حينها هنداً. مقدمة ابن خلدون، 1 / 60. وذاك يوم 8 ربيع الأول 764هـ. انظر نفاضة الجراب في علالة الاغتراب.

³ - ديوان ابن الخطيب: 427/1. وهي من السريع.

⁴ - "وفرس هملاج وهو يهملج براكبه، وخيل هماليج" أساس البلاغة / همل، 2 / 380

⁵ - البشّر جمع بشري.

⁶ - الكناس: مولج في الشجر يأوي إليه الطيبي ليستتر.

⁷ - "الديماس وهو السجن أو القبر، بالفتح والكسر" أساس البلاغة / دمس، 1 / 298

الْحَمَامِ مِنَ الْحَمَامِ، وَقَدْ حَسَّنَتِ الْوَجْهَ الْجَمِيلَ التَّطْرِيبُ⁽¹⁾، وَأُزِيلَتْ عَنِ الْفَرْعِ الْأَثِيثِ الْأَبْرِيَّةُ⁽²⁾،
وَصُقِلَتْ الْخُدُودُ فَهِيَ كَأَنَّهَا الْأَمْرِيَّةُ⁽³⁾، وَسُلِّطَ الدَّلْكُ عَلَى الْجُلُودِ، وَأَغْرِبَتْ⁽⁴⁾ النُّورَةُ⁽⁵⁾ بِالشَّعْرِ
الْمَوْلُودِ، وَعَادَتْ الْأَعْضَاءُ يَزِلُّ⁽⁶⁾ عَنْهَا اللَّمَسُ، وَلَا تَنَالُهَا الْبَنَانُ الْخَمْسُ، وَالسَّحْنَةُ يَجُولُ فِي
صَفْحَتِهَا الْفِضِيَّةُ مَاءُ النَّعِيمِ، وَالْمِسْوَاكُ⁽⁷⁾ يُلَبِّي مِنْ تَنْيَةِ التَّنْعِيمِ، وَالْقَلْبُ يَرْمِي مِنَ الْكَفِّ الرَّقِيمِ،
بِالْمَقْعَدِ الْمُقِيمِ، وَيَنْظُرُ إِلَى نُجُومِ الْوُسُومِ، فَيَقُولُ إِنِّي سَقِيمٌ⁽⁸⁾.

وَقَدْ تَفَتَّحَ وَرْدُ الْخَفَرِ⁽⁹⁾، وَحُكِمَ لَزْنُجِ الظَّفِيرَةِ⁽¹⁰⁾ بِالظَّفَرِ، وَاتَّصَفَ أَمِيرُ الْحُسْنِ بِالصُّدُودِ
[الْمُعْتَقَرِ، وَرُشَّ بِمَاءِ الطَّيِّبِ، ثُمَّ أُغْلِقَ بِهِ دُخَانُ الْعُودِ]⁽¹¹⁾ الرَّطِيبِ. وَأَقْبَلَتْ الْغَادَةُ يَهْدِيهَا الْيُمْنُ،
وَتَرَفُّهَا السَّعَادَةُ، [فَهِيَ]⁽¹²⁾ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ⁽¹³⁾، وَقَدْ دَاعَ⁽¹⁴⁾ طَيْبُ الرِّيَّا، وَرَاقَ حُسْنُ الْمُحْيَا،
حَتَّى إِذَا نُزِعَ الْخُفُّ، وَقُبِّلَتِ الْأَكْفُ، وَصُحِبَ الْمِرْمَرُ، وَتَجَاوَبَ الدُّفُّ، وَدَاعَ الْأَرْجُ، وَارْتَفَعَ الْحَرْجُ،

1- أ، ع، م: "النظرية" والمثبت من ق. ولعله الصواب؛ "شيء طري وقد طرو، وطريقته تطرية" أساس البلاغة / طري، 1 / 603
2- "أبريت البعير جعلت له البرة. وهي حلقة تجعل في أنف البعير تكون من صُفْر ونحوه" م. م/ برئ، ص 18
3- م: "الأثرية". وكلاهما صحيح.
4- ق: "أغربت". وهو تصحيف.
5- "النورة بضم النون حبر الكلس ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرينيخ وغيره وتستعمل لإزالة الشعر" م. م، نور،
ص 241
6- م: "ينزق". ولعل الصواب ما أثبت.
7- م: "المسراك". وهو تحريف.
8- قال تعالى: {فَنَظَرُ نَظْرَةٍ فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ} سورة الصافات، الآيتان: 88-89
9- "الخفر الحياء والوقار" المصباح المنير / خفر، ص 67
10- م: "الظريقة" وهو تحريف.
11- ق: ساقط.
12- أ، م: ساقط، والمثبت من ق.
13- قال عز وجل: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا...} سورة القصص،
الآية: 25
14- أ، ع: "ضاع" م: "ماع". والمثبت من ق.

وَتَجُورِرُ⁽¹⁾ اللَّوَى وَالْمُنْعَرَجُ، وَنَزَلَ عَلَى بَشَرٍ بِزِيَارَةِ هِنْدِ الْفَرَجِ، اهْتَرَّتِ الْأَرْضُ وَرَبَّتْ⁽²⁾، وَعُوصِيَتْ
الطَّبَاعُ الْبَشَرِيَّةُ فَأَبَتْ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

وَمَرَّتْ فَقَالَتْ مَتَى نَلْتَقِي فَهَشَّ اشْتِيَاقًا إِلَيْهَا الْخَبِيثُ

وَكَادَ يُمَزَّقُ سِرْبَالَهُ فَقُلْتُ إِلَيْكَ يُسَاقُ الْحَدِيثُ⁽³⁾

فَلَمَّا انْسَدَلَ جُنْحُ الظَّلَامِ، وَانْتَصَفَتْ مِنْ غَرِيمِ الْعِشَاءِ الْأَخِيرَةِ فَرِيضَةُ الْإِسْلَامِ، وَخَاطَتْ خُيُوطُ
الْمَنَامِ، عُيُونَ الْأَنَامِ، تَأْتَى دُنُو الْجِلْسَةِ، وَمُسَارَقَةُ الْخِلْسَةِ، ثُمَّ عَضَّ النَّهْدُ، وَقُبِّلَتِ الْفَمُ وَالْخَدُّ،
وَأُرْسِلَ الْيَدُ مِنَ النَّجْدِ⁽⁴⁾ إِلَى الْوَهْدِ، وَكَانَتْ الْإِمَالَةُ الْقَلِيلَةُ قَبْلَ الْمَدِّ، ثُمَّ الْإِفَاضَةُ فِيمَا يُغْبَطُ
وَيُرْغَبُ، ثُمَّ الْإِمَاطَةُ لِمَا يُشَوِّشُ وَيُشْغِبُ، ثُمَّ إِعْمَالُ الْمَسِيرِ إِلَى السَّرِيرِ:

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرَضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالًا⁽⁵⁾

فَاسْتَقَرَّتْ عَلَى مُوطَأٍ مَالِكِهَا⁽⁶⁾، وَأَصْبَهَانِي مَسَالِكِهَا، وَمُقْتَضَى فَذَالِكِهَا⁽⁷⁾ مَا بَعْدَ مُنَازَعَةٍ لِلْأَطْوَاقِ

1- م: "تجوزو" وهو تحريف.

2- قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} سورة فصلت، الآية: 39

3- ديوان بشار بن برد، ص: 289. من المتقارب.

4- "عم النجاد والوهاد وكل نجد ووهد" أساس البلاغة / وهد، 2/ 357. أي من الأعلى إلى الأسفل.

5- ديوان امرئ القيس، ص 32. وهو من الطويل.

6- "مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله (93- 179هـ / 712- 795م): إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. تنسب له المالكية، مولده ووفاته في المدينة... سألته المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف

"الموطأ" الأعلام: 257 / 5

7- أ، ع: "بذلك" والمثبت م ق، م.

يَسِيرَةٍ، يَرَاهَا الْغَيْدُ⁽¹⁾ مِنْ [حُسْنِ]⁽²⁾ السَّيْرِ، ثُمَّ شَرَعَ فِي حَلِّ التَّكَّةِ⁽³⁾، وَنَزَعَ السَّكَّةَ⁽⁴⁾، وَتَهَيَّيْتُ⁽⁵⁾ الْأَرْضُ الْعَزَاقُ⁽⁶⁾ عَمَلَ السَّكَّةِ⁽⁷⁾، ثُمَّ كَوَّعَ الْوَحْيَ وَالْإِسْتِعْجَالَ، وَحَمَى الْوَطِيسُ⁽⁸⁾ وَالْمَجَالَ، وَعَلَا الْجُزْءَ الْخَفِيفُ، وَتَضَافَرَتِ الْخُصُورُ الْهَيْفُ، وَتَشَاطَرَ الطَّبَعُ الْعَفِيفُ، وَتَوَاتَرَ النَّقْبِيلُ، ثُمَّ كَانَ الْأَخْذُ الْوَيْبِلُ، وَامْتَارَ الْأَنْوُكُ⁽⁹⁾ مِنَ النَّبِيلِ، وَمِنْهَا جَائِرٌ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ⁽¹⁰⁾. فَيَا لَهَا مِنْ نِعَمٍ مُتَدَارِكَةٍ، وَنُفُوسٍ فِي سَبِيلِ الْحَقَّةِ⁽¹¹⁾ مُتَهَالِكَةٍ، وَنَفْسٍ يَقْطَعُ حُرُوفَ الْحَقِّ، وَسُبْحَانَ الَّذِي يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ⁽¹²⁾.

وَعَظُمَتِ الْمُمَانَعَةُ، وَكَثُرَتْ بِالْيَدِ عَنِ الْمَوْضِعِ الْمُعْتَمَدِ الْمُصَانَعَةُ، وَطَالَ التَّرَاوُغُ وَالتَّرَاوُرُ⁽¹³⁾، وَشَكَا التَّجَاوُرُ⁽¹⁴⁾ وَاشْتَدَّ الْقَلْقُ وَالتَّضَاوُرُ، فَهَذَاكَ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ، وَتَعَظُمُ الْأَهْوَالُ، وَتُخْسَرُ أَوْ تُزِيحُ الْأَمْوَالُ، فَمِنْ عَصَا عَسْطُوسٍ⁽¹⁵⁾ تَتَقَلَّبُ ثُعْبَانًا مُبِينًا، وَقُوَّتُهُ⁽¹⁶⁾ تَصِيرُ تَنْبِينًا⁽¹⁷⁾، وَبَطْلٌ لَمْ يَهْلُهُ

1- "امرأة غيداء وغادة ناعمة... وهم من النعاس غيد: ميل الأعناق" أساس البلاغة / غيد: 717 / 1

2- أ، م: ساقط، والمثبت من ق.

3- ق: "النكة". وهو تصحيف. والتكة حزام من نسيج يربط به السروال.

4- ق: "الشكة". وهو تصحيف. والسة القالب الذي تصب فيه النقود.

5- ق: "تهممت"، م: "تبينت". ولعل الصواب ما أثبت.

6- أ، ع، م: "العوار". ولعل الصواب ما أثبت؛ "عزقت الأرض عزقا كربتها أي شققها بفأس ونحوه" المصباح المنير / عزق،

ص: 155

7- السكة هي حديدة المحراث التي يحراث بها.

8- "حمي الوطيس: إذا اشتدت الحرب" أساس البلاغة / وطس، 342 / 2

9- "هو أنوك بين النوك والنواكة، واستنوك: استحمق" أساس البلاغة / نوك، 309 / 2

10- يقول تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} سورة النحل، الآية 9

11- أ، ع، م: "الفحة". والمثبت من ق. ولعله الصواب؛ "حققت القيامة تحق أحاطت بالخالق فهي حاقة وحقة" م. م / حقق، ص:

55

12- قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا

يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} سورة فاطر، الآية 1

13- ق: "التراوز". "رُزْتُ فلانا ورُزْتُ ما عنده: جربته وقدرته" أساس البلاغة / روز: 394 / 1

14- ق: "التجاوز". وهو تصحيف.

15- ق: "عيسطوس". "عسطوس: شجرة كالخيزران تكون بالجزيرة، ورأس النصرى بالرومية.

16- ق: "نولة". ولعل الصواب ما أثبت.

17- "التنين حبة عظيمة يزعمون أن السحابة تحملها فتلقبها على يأجوج ومأجوج فيأكلونها" أساس البلاغة / تنن، 98 / 1

المُعْتَرِكُ الهَائِلُ، وَالْوَهْمُ الزَّائِلُ، وَلَا حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَرْنِهِ (1) الْحَائِلُ. فَتَعَدَّى فَتَكَّة السُّلَيْكِ (2) إِلَى فَتَكَّةِ
الْبَرَّاضِ (3)، وَتَقَلَّدَ مَذْهَبَ الْأَزَارِقَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي الْإِعْتِرَاضِ، وَاتَّصَفَ بِصِفَةِ السَّاحِطِ وَهُوَ
الرَّاضِي، وَلَوَّحَ فِي مَيْدَانِ السَّرِيرِ بِالْحُسَامِ الطَّرِيرِ (4)، وَلَعِبَ (5) فِي مَلْعَبِ الْأَوْطَارِ بِالْقَتْنِ (6)
الْخَطَّارِ (7)، ثُمَّ شَقَّ الصَّفَّ، وَقَدْ خَضَبَ الْكَفَّ، بَعْدَمَا كَادَ يُصِيبُ الْبَرَى (8) بِطَعْنَتِهِ، وَيَبُوءُ بِمَقْتِهِ
وَلَعْنَتِهِ:

طَعْنَتْ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفَذَ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاعَهَا (9)

وَهُنَاكَ هَذَا الْقِتَالُ، وَسَكَنَ الْخَيَالُ، وَوَقَعَ الْمُتَوَقَّعُ فَاسْتَرَحَ الْبَالُ، وَتَشَوَّفَ إِلَى مَذْهَبِ التَّنْوِيهِ، مَنْ لَمْ
يَكُنْ لِيَمُرَّ لَهُ التَّوْحِيدُ بِبَالٍ، وَكَثُرَ السُّؤَالُ عَنِ الْمُبَالِ بِهَا فَقَالَ:

وَأِنْ تَعَدَّدَتِ اللَّذَاتُ وَاطَّرَدَتْ فَلَيْسَ يَعْدِلُ شَيْءٌ لَذَّةَ الظَّفَرِ

1- م: "قرية". وهو تصحيف.

2- "أعدى من السليك: هذا من العدو، وسليك تميمي من بني سعد، وسلطة أمه. وكانت سوداء وإليها ينسب" انظر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 1/ 42.

3- م: "الفراض". "أفتك من البراض: هو البراض بن قيس الكنانى، ومن خبر فتكه أنه كان في حيه عياراً فاتكا يجني الجنايات على أهله، فخلعه قومه وتبرؤوا من صنيعه، ففارقهم" مجمع الأمثال، الميداني، 2/ 88

4- "سنان مطرور وطيرير: محدد" أساس البلاغة / طرر، 1/ 600

5- م: "لف". وهو تحريف.

6- "القناة الرمح وقناة الظهر والقناة المحفورة ويجمع الكل على قَنَى" المصباح المنير / قنو، ص 198

7- "خطر الرجل برمحه إذا مشى به بين الصفيين كما يخطر الفحل" أساس البلاغة / خطر، 1/ 255

8- م: "البرين". ولعل الصواب ما أثبت؛ البرى أي الورى.

9- ديوان قيس بن الخطيم، ص: 7. من الطويل.

وَلَمْ يَرِ الْمَجْرُؤُونَ ⁽¹⁾ لِلْحُرُوبِ صَرِيحاً أَشْفَقَ مِنْ صَرِيحِ السَّرِيرِ عَلَى مَنْ صَرَعَهُ، وَنَصَبَ إِلَيْهِ ⁽²⁾ الذَّابِلَ وَشَرَعَهُ حَتَّى أَضْرَعَهُ. فَيَكُنُّرُ مَا يُنْشِدُ، وَنَفْسُهُ قَدْ دَلَّتْ ⁽³⁾، وَقَوَاهُ قَدْ انْحَلَّتْ ⁽⁴⁾، وَنَظَرُهُ عَيْنِيهِ قَدْ اخْتَلَّتْ:

خَلِيلِي هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ مِثْلِي ⁽⁵⁾

وَيَقُولُ وَقَدْ نَظَرَ إِلَى دَمِهِ يَسِيلُ عَلَى قَدَمِهِ:

إِنِّي لَهُ عَنْ دَمِي الْمَسْفُوكِ مُعْتَذِرٌ أَقُولُ حَمَلْتُهُ فِي سَفْحِهِ تَعَباً

وَمِنْ سِنَانٍ عَادَ ⁽⁶⁾ عِنْدَ الْحَاجَةِ عِنَاناً ⁽⁷⁾، وَشُجَاعٍ صَارَ هِدَاناً ⁽⁸⁾ جَبَاناً، كُلَّمَا شَابَتْهُ ⁽⁹⁾ رَائِبَةُ شَيْبِهِ ⁽¹⁰⁾،
أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ⁽¹¹⁾، فَأَنْحَجَرَتِ الْحَيَّةُ، وَمَاتَتِ الْغَرِيزَةُ ⁽¹²⁾ الْحَيَّةُ، [فَكَأَنَّهُ سُلْحَفَاءُ أَغْمَدَتْ، وَرَأْسَهَا
جَدَدَتْ] ⁽¹³⁾ فَكَأَنَّهُ يَزِيغُ الْبَصَرُ، وَيُخْذَلُ الْمُتَنَصِّرُ، وَتُسَلَّمُ الْأَجْرُ، وَيُغْلَبُ الْحَصْرُ، وَيَجِفُّ اللَّعَابُ،
وَيَخْفِقُ الْفُؤَادُ، وَيَكْبُو الْجَوَادُ، وَيَسِيلُ الْعَرَقُ، وَيَجْرِي فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ الْمَرَقُ، وَيَعْظُمُ الْكَرْبُ وَيَشْتَدُّ

1- أ، م: "يجربوا"، والمثبت من ق، ع.

2- م: "ليد". وهو تحريف.

3- م: "خلت". ولعل الصواب ما أثبت.

4- م: "انجلت". ولعل الصواب ما أثبت.

5- ديوان جميل بثينة،

6- م: "غادره". وهو تحريف.

7- "ذل في عنانه منقاد، ونقيضه: شديد العنان" أساس البلاغة / عن، 1/ 682

8- م: "مداناً". والهدان هو الثقل.

9- ق: "أشابهته". ولعل الصواب ما أثبت؛ "شابهه شوبا مثل شوب اللبن بالماء" المصباح المنير/ شوب، ص: 125

10- م: "شبية". ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.

11- يقول تعالى: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} سورة النمل، الآية: 12

12- ق: "الغريزة". وهو تصحيف.

13- أ، ع: ساقط والمثبت من ق، م.

الْأَرْقُ، وَيَنْشَأُ فِي مَحَلِّ الْأَمْنِ الْفَرْقُ، وَيُذْرِكُ فِرْعَوْنَ الْغَرَقُ، وَيَقْوَى اللَّجَاجُ وَتَعْظُمُ الْحُرْقُ. فَلَا يَزِيدُ الْحَالُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا تَعْرِفُ تِلْكَ الْجَارِحَةُ الْمُؤْمِنَةُ إِلَّا رِدَّةً:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى فَأَوَّلُ⁽¹⁾ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ⁽²⁾

فَكَمْ مُعْرِى بَطُولِ اللَّبَثِ، وَهُوَ مِنَ الْكَيْدِ وَالْخُبَثِ، يُؤْمَلُ الْكَرَّةُ لِيُزِيلَ⁽³⁾ الْمَعَرَّةَ، وَيَسْتَنْجِزُ الْوَعْدَ، لِيَسْتَأْنِفَ السَّعْدَ، وَيَسْتَنْفِرَ الْخَيَالَ، [وَيُعَلِّمُ]⁽⁴⁾ بِالْيَدِ الْإِحْتِيَالَ:

إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مُصَمَّتٍ فَاصْبِرْ عَلَى الْحِمْلِ الثَّقِيلِ أَوْ مِتْ

وَمُكْثِرُ اللَّثْمِ وَالضَّمِّ، وَالْعَضِّ وَالشَّمِّ، يَدْعُو فِي خَلْلِ هَامِدٍ، وَيَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنَّ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي⁽⁵⁾

وَكَمْ مُعْتَذِرٍ بِمَرَضٍ أَصَابَهُ، جَرَّعَهُ أَوْصَابُهُ، وَوَجَعَ طَرَقُهُ جَلَبَ أَرْقَهُ، وَمُغْضِبٍ يُقَلِّدُ لِلْمَانِعَةِ⁽⁶⁾

الدَّنْبَ، وَيُطَوِّفُهَا الْعَنْبَ، وَخَطِيبٍ ارْتَجَّ عَلَيْهِ أَحْيَانًا، فَقَالَ سَيُحْدِثُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا⁽⁷⁾، وَبَعْدَ عِيٍّ بَيَانًا.

1- في النسخ: "فأكثر"

2- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 83

3- ق: "ليزول". ولعل الصواب ما أثبت.

4- ق: ساقط

5- البيت لعمر بن معد يكرب.

6- ق: "للممانعة"

7- قال تعالى: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} سورة الطلاق، الآية: 7

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فَضَائِحِ الْفُرُوجِ إِذِ اسْتَغْلَقَتْ أَقْفَالُهَا، وَلَمْ تَنْسِمْ بِالنَّجِيعِ ⁽¹⁾ أَغْفَالُهَا، وَمِنْ مَعَرَّاتِ الْأَقْدَارِ، وَالنُّكُولِ عَنِ الْأَبْكَارِ، وَمِنْ النُّزُولِ عَنِ الْبُطُونِ وَالسُّرَرِ، وَالْجَوَارِحِ الْحِسَانِ الْغُرَرِ ⁽²⁾، قَبْلَ ثَقْبِ الدَّرَرِ، وَمِنْ سَوَادِ الْوَجْهِ إِذَا بَكَرَتْ الْوُجُوهُ، وَنَالَتْ النُّفُوسُ مِنْ إِطْرَاءِ الْعَادِينَ وَالْمُهَيَّئِينَ مَا تَرْجُوهُ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَحْيِي مِنَ الْبِكْرِ بِالْغَدَاةِ، وَيُعْلَمُ مِنْهُ كَلَالُ الْجِدِّ، وَضَعْفُ الْأَدَاةِ. هَذَا مَجَالٌ فَضِيحٌ فِيهِ رِجَالٌ، وَفِرَاشٌ شُكِيَتْ ⁽³⁾ فِيهِ أَوْجَالٌ، وَأُعْمِلَتْ رَوِيَّةٌ وَارْتَحَالَ. فَمِنْ قَائِلٍ:

أَرْفَعُهُ طَوْرًا عَلَى إصْبُعِي وَرَأْسُهُ مُضْطَرِبٌ أَسْفَلَهُ

كَالْحَنْشِ الْمَقْتُولِ يُلْقَى عَلَى عُوْدٍ لَكِي يُطْرَحَ فِي مَرْبَلَةٍ ⁽⁴⁾

وَقَائِلٍ:

عَدِمْتُ مِنْ أَيْرِي قُوَى حِسِّهِ يَا حَسْرَةَ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ

تَرَاهُ قَدْ مَالَ عَلَى أَصْلِهِ كَحَائِطٍ خَرَّ عَلَى أَسِّهِ ⁽⁵⁾

وقائل:

أَيْحَسُ دُنِي إِبْلِيسُ دَاعِيْنَ أَصْبَحَا بِرِجْلِي وَرَأْسِي دُمْلًا وَزُكَامَا

¹ - أ، ع، م: "بالنسيم" والمثبت من ق، ولعله الصواب؛ النجيع دم الجوف" أساس البلاغة / نجع: 252 / 2

² - م: "العزر" وهو تصحيف.

³ - م: "تتكبت". ولعل الصواب ما أثبت.

⁴ - نفح الطيب، 3 / 313. من السريع

⁵ - نفح الطيب، 3 / 313، من السريع.

فَلْيَتَّهَمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ رَخَاوَةً أَفْرِ لَا يُرِيدُ قِيَامًا

إِذَا نَهَضْتُ لِلنِّيكِ أَرْبَابُ مَعْشَرٍ تَوَسَّدَ إِحْدَى خَصِيَّتَيْهِ وَنَامَا⁽¹⁾

وَقَائِلٍ:

أَقُولُ لِأَيِّرِي وَهُوَ يَرْقُبُ فَتَكَةً بِهِ خَبْتُ مِنْ أَيِّرٍ عَالَتُكَ دَاهِيَةً

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْأَيِّرِ بَخْتُ تَعَذَّرْتُ عَلَيْهِ وَجُئُوهُ النِّيكِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ⁽²⁾

وَقَائِلٍ:

تَعَقَّفَ فَوْقَ الْخَصِيَّتَيْنِ كَأَنَّهُ رَشَاءٌ إِلَى جَنْبِ الرِّكْبَةِ مُلْتَفٌّ

كَفَرَّخَ ابْنِ ذِي يَوْمَيْنِ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى أَبَوَيْهِ ثُمَّ يَدْرِكُهُ الضُّعْفُ⁽³⁾

وَقَائِلٍ:

تَكَرَّشَ أَيِّرِي بَعْدَمَا كَانَ أَمْلَسَا وَكَانَ غَنِيًّا مِنْ قَتَوَاهُ فَأَفْلَسَا

وَصَارَ جَوَابِي لِلْمَهَا إِنَّ مَرَزْنَ بِي مَضَى الْوَصْلُ إِلَّا مُنِيَّةً تَبَعْتُ الْأَسَى⁽⁴⁾

وَقَائِلٍ:

¹ - نفح الطيب، 3/ 313. من السريع

² - نفح الطيب، 3/ 313. من الطويل.

³ - نفح الطيب، 3/ 384. من الطويل.

⁴ - نفح الطيب، 3/ 313. من الطويل.

بِنَفْسِي مَن حَيَّيْتُهُ فَاسْتَخَفَّ بِي وَلَمْ يَخْطِرِ الْهَجْرَانُ مِنْهُ عَلَى بَالِي

وَقَابَلَنِي بِالْهَزْءِ وَالنَّجْدِ بَعْدَمَا حَطَّطْتُ بِهِ رَحْلِي وَجَرَدْتُ سِرْبَالِي

وَمَا أَرْتَجِي مِنْ مُوسِرٍ فَوْقَ دَكَّةٍ عَرَضْتُ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْحَشَفِ الْبَالِي (1)

هُمُومٌ لَا تَزَالُ تُبْكِي، وَعِلَّلٌ عَلَى الدَّهْرِ تُشْكِي، وَأَحَادِيثُ تُقْصُّ وَتُحْكِي، فَإِنَّ ذَلِكَ الْعُضْوَ عَلَى شَهْرَتِهِ، وَعِظَمَ قُدْرَتِهِ، يَسْتَمِدُّ مِنَ الْمِيرَةِ (2)، وَحَرَكَتُهُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِالْمُؤْنِ الْكَثِيرَةِ، مِنْ حَيَاءٍ يَرْتَفِعُ، وَبَلَادَةٍ بِهَا فِي الْغَالِبِ يُنْتَفَعُ، وَفِكْرٍ يُعْقَدُ، وَشَبَقٍ عَلَى أَصْلِهِ يُعْقَدُ، وَرِيَّاحٍ تُنْفَخُ، وَرُطُوبَةٍ تَرْضَخُ، وَعَظْلٍ (3) شَدِيدٍ، وَعُمْرٍ جَدِيدٍ، وَمِزَاجٍ فِي عَرْضِ (4) الْجَوِّ طَوِيلٍ مَدِيدٍ، وَهُوَ غَيْرُ مُطَاوِعٍ لِلْإِرَادَةِ، وَلَا مُعْطٍ لِلْقَادَةِ، خَبِيثٌ وَقَاحٌ (5)، شَامِتٌ فَضَّاحٌ، كَمْ نَعَصَ (6) مِنْ وَقْتٍ، وَجَلَبَ مِنْ مَقْتٍ، لَا يُسْتَصْلَحُ بِالنَّعْلِيمِ، وَلَا يُرَدُّ عَنْ مُرْتَكِبِهِ الذَّمِّيمِ بِالْعَذَابِ (7) الْأَلِيمِ، وَلَا يَغْلِبُ إِلَّا بِمَقَامِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ:

حَكَمُوا فَلَا أَخْلَى مِنَ التَّسْلِيمِ وَأَدِرَ رَحِيقَ فُؤَادِي الْمَخْتُومِ

مُبَرَّدٌ بِهِ الْأَحْشَاءُ مِنْ نَارِ الْجَوَى وَانْضَحْ لَهَيْبِ فُؤَادِكَ الْمَكْلُومِ

مَا قَابَلَ التَّسْلِيمَ نَارَ صَبَابَةٍ إِلَّا انْتَنَتْ فِي حَالِ بَرْدِ نَعِيمِ

1- نفح الطيب، 384 / 3. من الطويل.

2- الميرة أي الطعام.

3- "أعضل الأمر: اشتد" أساس البلاغة / عضل، 660 / 1.

4- ق: "غرض". وهو تصحيف.

5- ق: "قداح". ولعل الصواب ما أثبت.

6- م: "نقض". وهو تحريف.

7- م: "القول". وهو تحريف.

فَإِنْ كُنْتَ -أَعَزَّكَ اللَّهُ- مِنَ النَّمَطِ الْأَوَّلِ، فَقَدْ جَنَيْتَ الثَّمَرَ، وَاسْتَطَبْتَ السَّمَرَ، وَتَلَوْتَ أَوَّلَ وَرْدِكَ، اقْتَرَبْتَ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ⁽¹⁾، فَاسْتَدْعِ الْأَبْوَاقَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَاخْرُجْ عَلَى قَوْمِكَ فِي لِبَاسِ الرِّيَّةِ، وَاسْتَعِدْ كُرْسِيَّ الْقُعُودِ، وَالْقَبْقَابِ⁽²⁾ مِنَ الْمَذْهُونِ الْمَشْهُودِ، وَاسْتَبْشِرْ بِالْوُفُودِ، وَعَرِّفِ الْمُسَمَّعَ عَارِفَةَ الْجُودِ، وَتَبَجَّحْ بِصَلَابَةِ الْعُودِ، وَإِنْجَازِ الْوُعُودِ، وَاسْتَمْتِعْ بِالشُّهُودِ، وَاجْنِ رُמَانَ النُّهُودِ، مِنْ أَغْصَانِ الْقُدُودِ، وَانْشُرْ مِنَ الشُّعُورِ السُّودِ عَبَاسِيَّةَ الْبُنُودِ، وَاقْتَطِفْ بِبَنَانِ اللَّثْمِ أَقَاحَ⁽³⁾ الشُّعُورِ وَوَرْدَ الْخُدُودِ.

وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، فَأَخْفِ الْكَمَدَ، وَارْضَ بِالثَّمَدِ، وَانْتَظِرِ الْأَمَدَ، وَأَكْذِبِ التَّوَسُّمَ، وَاسْتَعْمِلِ النَّبَّسُمَ، وَاسْتَكْتِمِ النَّسُوءَ، [وَأَفِضْ فِيهِنَّ الرِّشُوءَ، أَوْ تَقْلِدِ الْمُعَالِطَةَ وَارْتَكِبْ، وَجِيءَ عَلَى قَمِيصِكَ بِدَمٍ كَذِبٍ]⁽⁴⁾ وَاسْتَنْجِدِ الرَّحْمَنَ، وَاسْتَعِنْ عَلَى أَمْرِكَ بِالْكِتْمَانِ:

لَا تُظْهِرَنَّ لِعَاذِلٍ أَوْ عَادِرٍ حَالِيكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

فَلَرَحْمَةُ الْمُتَفَجِّعِينَ مَرَارَةً فِي الْقَلْبِ مِثْلُ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

وَانْشَقَّ الْأَرْجُ، وَانْتَقَبَ مِنْ جَانِبِ الْفَرْجِ الْفَرْجُ؛ فَكَمْ غَمَامٍ طَبَّقَ⁽⁵⁾ وَمَا هَمَى، {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}⁽⁶⁾. وَأَمَّا بَعْدُهَا عِنَانَ نَفْسِكَ حَتَّى تُمَكِّنَكَ الْفُرْصَةُ، وَتُرْفَعَ إِلَيْكَ الْعُصَّةُ، وَنُقَبَّ

1- سورة القمر، الآية: 1

2- "قَبَقَبَ الْفَحْلُ هُوَ صَوْتُ هَدِيرِهِ" أساس البلاغة / قيب: 2 / 46. والقَبْقَابُ حذاء من خشب يكون قطعة أو نعل خشبي سيره من جلد.

3- ق: "أقداح" وهو تحريف.

4- ق: ساقط. قال عز وجل: {وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} سورة يوسف، الآية: 18

5- "وأطبق الغيم السماء وطبقها" أساس البلاغة / طبق، 1 / 595

6- قال تعالى: {قُلْ قَاتِلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} سورة الأنفال، الآية 17

الْفِرْصَةُ⁽¹⁾، وَلَا تَشْرَهُ⁽²⁾ إِلَى عَمَلٍ لَا تَقِيءُ مِنْهُ بِتَمَامٍ، وَخُذْ عَنِ إِمَامٍ. وَلِلَّهِ دَرُّ عُرْوَةِ بَنِي حِزَامٍ:

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى رَمَوْا مُهْرِي بِأَشْقَرٍ مُزِيدٍ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلْ دُونَهُمْ أَقْتُلْ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَفَرَرْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةُ فِيهِمْ ُ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدٍ⁽³⁾

وَاللَّبَانَاتُ تَلِينُ وَتُجْمَعُ، الْمَارِبُ تَدْنُو وَتَنْزَحُ، وَتَخُورُ ثُمَّ تَسْمَحُ. وَكَمْ مِنْ شَجَاعٍ حَامٍ، وَيَقِظُ نَامٍ،
وَدَلِيلٍ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، وَأَضَلَّ الْفَرِيقَ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَجْعَلُهَا خُلَّةً مَوْصُولَةً، وَشَمَلًا⁽⁴⁾ أَكْنَفُهُ بِالْخَيْرِ
مَشْمُولَةً، وَبِنِيَّةٍ أَرْكَانُهَا لِرُكَّابِ الْيَمَنِ مَأْمُولَةً، حَتَّى تَكْثُرَ خَدَمُ سَيِّدِي وَجَوَارِيهِ، وَأُسْرَتُهُ وَسَرَارِيهِ،
وَتَضْفُو⁽⁵⁾ عَلَيْهِ نِعْمَةُ بَارِيهِ، مَا طُورِدَ قَنِيصٌ، وَافْتَحِمَ عَيْصٌ⁽⁶⁾، وَأُدْرِكَ مَرَامٌ عَوِيصٌ، وَأُعْطِيَ زَاهِدٌ
وَحُرْمٌ حَرِيصٌ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

¹ - "الفرصة القطعة من المسك" لسان العرب / فرص 11 / 159

² - "حرص أشد الحرص" المصباح المنير / شره ص 118

³ - "هو من عذرة وهو أحد العشاق الذين قتلهم العشق، وصاحبه عفراء بنت مالك العذرية" الشعر والشعراء، 2 / 607

⁴ - ق: "سما". وهو تحريف.

⁵ - ق، م: "تصفو". وهو تصحيف.

⁶ - العيص: الشجر الكثيف الملتف.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْغَرَضِ (1) مِمَّا خَاطَبْتُ بِهِ أَبَا

إِسْحَاقَ ابْنَ الْحَاجِّ عَلَى لِسَانِ قَاضِي الْحَضْرَةِ أَبِي الْحَسَنِ

سَيِّدِي جَعَلَ اللَّهُ أَكْوَارَ الْعَمَائِمِ تَنْضَاعًا لِكَوْرِ عِمَامَتِكَ، وَالنُّفُوسَ الطَّامِحَةَ الْهَمَمَ عَلَى اخْتِلَافِ
الْأَمَمِ تُقَرُّ بِوُجُوبِ إِمَامَتِكَ، وَسِرِّ الْإِسْلَامِ بِاتِّصَالِ سَلَامَتِكَ، وَتَبَرُّؤِ الْمَلَإِ مِنْ مَلَامَتِكَ.

وَصَلَّتْنِي رِسَالَتُكَ الَّتِي أَخْبَتَ فِي مِيدَانِ الْبَلَاغَةِ وَأَوْضَعْتَ، وَأَخْلَافَ (2) الْفُنُونِ ارْتَضَعْتَ، وَعَلَى
ارْتِفَاعِ الْقَدْرِ انْتَضَعْتَ، وَوَضَعْتَ الْحِكْمَةَ الْمَشْرِقِيَّةَ بِنْتَ سَاعَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ (3)، لَكِنَّهَا
تَنَافَسَتْ الْجَوَارِحُ، لَمَّا (4) غَصَّتْ بِنِعْمِهَا الْمَسَارِحُ، وَتَعَارَضَ السَّانِحُ وَالْبَارِحُ (5)، وَالرَّامِزُ وَالسَّارِحُ،
فَحَصَلَتْ الْأَذُنُ عَلَى الْمَعْنَى، وَأَنْحَتْ (6) مِنَ اللَّفْظِ الْبَدِيعِ بِأَعْدَبِ الْمُئَيَّ، وَاسْتَوَلَتْ الْعَيْنُ مِنَ الْخَطِّ
عَلَى الْحُسْنِ الْبَعِيدِ الشَّطِّ، وَنَتِيجَةً مَا أَوْدَعَ الْبَارِي بَيْنَ مُقَدَّمَتِي الْبَرِّي (7) وَالْقَطِّ، وَعَظُمَتْ حَسْرَةُ
الْخَلْقِ؛ إِذْ بَقِيَ بَابُهُ مَسْدُودًا، وَأَصْبَحَ سِلْكُهُ مِنَ الْمَسَالِكِ الْمُنَافِذَةِ (8) مَعْدُودًا، وَاشْتَدَّ أَسْفُ الضَّرْسِ

1- تضمن هذا النص مفارقة قائمة بين شخصيتي صديقه أبي إسحاق المتصف بالبخل والشح، وصديقه أبي الحسن قاضي
الحضرة صاحب الطمع والإلاحاح. فنون النثر الأدبي، 1/ 209-212. ولسان الدين ابن الخطيب الكاتب الساخر، عبد الله كنون،
مجلة البحث العلمي، ع 2، س 1 (1384هـ-1964م).

2- ق: "اختلاف". ولعل الصواب ما أثبت. "والخلف من ذوات الخف كالنثدي للإنسان والجمع أخلاف مثل حمل وأحمال"
المصباح المنير / خلف ص: 69

3- قال تعالى: {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّي إِنَّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} سورة آل عمران، الآية: 36

4- أ، ع، م: "كما". والمثبت من ق.

5- "وسنح الطائر جرى على يمينك إلى يسارك والعرب تتيمين بذلك" المصباح المنير / سنح، ص 110 "و جرى له البارح أي
الطائر الأشأم" أساس البلاغة/ يرح، 1/ 53

6- م: "أنجبت". ولعل الصواب ما أثبت.

7- ق: "الفرى" وهو تحريف. "قططت القلم قَطًا قطعت رأسه عرضا في بريه" المصباح المنير / قطط، ص: 194

8- "طريق نافذ: عام يسلكه كل واحد" أساس البلاغة / نفذ، 2/ 291

إِذَا أَصْبَحَتْ أَرْضَى طَوَاحِنِهِ⁽¹⁾ عَاطِلَةً، وَسَحَابُ الدِّينِ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاطِلَةٍ، وَمَذَاهِبُهَا بَاطِلَةٌ،
وَمَوَاعِيدُهَا بِالْمَضْنَعِ⁽²⁾ مَاطِلَةٌ.

وَمَا ضَرَّ سَيِّدِي -وَاللَّهُ يَقِيهِ الضَّرَّ، وَيَحْفَظُ مَنْصِبَهُ الحُرَّ، وَبَحْرُهُ الَّذِي يَقْذِفُ الدَّرَّ- أَنْ لَوْ
ضَاعَفَ الطُّولَ، وَجَمَعَ الفِعْلَ وَالْقَوْلَ، فَوَجَّهَ مِنَ الكَثَّانِ، مَا يُثْقَلُ ظَهْرُ الأَتَانِ، وَمِنَ الزَّيْتِ مَا يَمْلَأُ
رُكْنَ البَيْتِ، وَمِنَ الدَّجَاجِ وَالْعَسَلِ المُجَاجِ⁽³⁾، مَا يَتَكَفَّلُ بِصَلَاحِ المِرَاجِ، وَمِنَ الأَثْرَجِ وَاللَّيْمِ⁽⁴⁾، مَا
يُخِلُّ بِحِلْمِ الحَلِيمِ. فَجَانِبُ الوَرَعِ عَنْ هَدِيَّةِ سَيِّدِي لَا يَضِيقُ؛ فَهُوَ الرِّفِيقُ الشَّقِيقُ، وَالْعَدْلُ الَّذِي
وَضَحَّ مِنْ فَضْلِهِ الطَّرِيقُ.

وَأَمَّا أَنْ لَا يَكُونَ حَظٌّ وَلِيَّهِ إِلَّا فَقْرٌ⁽⁵⁾ لَا تَدْفَعُ فَقْرًا، وَأَلْفَاظٌ لَا تُذْهِبُ وَقْرًا، وَجَنَّةٌ⁽⁶⁾ يَجُوعُ مَنْ
حَلَّ بِهَا وَيَعْرَى⁽⁷⁾، وَبَحْرٌ لَا يَجِدُ الغَائِصُ [لَهُ]⁽⁸⁾ قَعْرًا؛ فَأَمْرٌ يُنْكَرُ عَلَى المَجَادَةِ التَّمِيمِيَّةِ، وَالمَثَابَةِ
الحِكْمِيَّةِ، مَعَ [أَنَّ]⁽⁹⁾ الإِقْلِيمَ لَمْ تَزَلْ تُرْفِدُ هَذِهِ الخُطَّةَ كُلَّمَا وَهَنْتَ،⁽¹⁰⁾ وَتُصْلِحُ صَلَاتَهَا إِذَا سَهَتْ،
وَلَوْلَا مِرْفَقُهَا مَا أَمَرْتُ وَلَا نَهَيْتُ⁽¹¹⁾، وَلَا أَكَلْتُ مَا اشْتَهَيْتُ.

1- ق: "طواحينه" ولعل الصواب ما أثبت؛ "والطواحن الأضراس الواحدة الطاحنة" المصباح المنير / طحن، ص: 140

2- ق: "المضغة" ولعل الصواب ما أثبت.

3- "المُجَاج من مَجَّ الشراب من فيه رمى به" أساس البلاغة، مجج، 94/2. والمقصود أن العسل مجاج النحل؛ أي ما يخرج منه النحل.

4- اللِّيم ليمون بلدي مالح.

5- م: "نقر". ولعل الصواب ما أثبت؛ "قيل لآخر بيت من القصيد والخطبة فقرة تشببها بفترة الظهر" المصباح المنير / فقر، ص:

182

6- م: "حلة" ولعل الصواب ما أثبت.

7- قال تعالى: {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى} سورة طه، الآية: 118

8- م: ساقط.

9- أ: ساقط، والمثبت من ق، م.

10- م: "وصلت". ولعل الصواب ما أثبت.

11- م: "نهدت". وهو تحريف.

فَلْيُرَاجِعْ سَيِّدِي عَادَةَ الْكَرَمِ، وَلَا يَحْسِبِ الشَّحْمَ فِي الْوَرَمِ⁽¹⁾، وَاللَّهُ يُطْلِعُ مِنْ تَلْقَائِهِ عَلَى
الْأَدَقَّةِ⁽²⁾، الَّتِي تَضِيقُ⁽³⁾ عَنْ أَحْمَالِهَا عِرَاضُ الْأَزَقَّةِ، وَالْعُسُولِ⁽⁴⁾ الْمُنْكَفَلَةُ بِالسُّوْلِ⁽⁵⁾، وَالزَّيْبِ الَّذِي
يَسُرُّ قَلْبَ الْحَبِيبِ، وَالْأَجْبَانِ الَّتِي تُشَجِّعُ قَلْبَ الْجَبَانِ، وَالْجِرْيَانِ⁽⁶⁾ الَّتِي تُرْدِي⁽⁷⁾ بِالْخَبَرِ عَنِ
الْعِيَانِ، وَالْبَيْضِ الَّذِي تَشْهَدُ بِالْفَيْضِ، وَالزَّيْتِ الَّذِي يُخْلِفُ حَيَاةَ الْمَيِّتِ. وَاللَّهُ يُبْقِي سَيِّدِي لِلْقُضَاةِ
زَيْنًا⁽⁸⁾، وَفِي الْعُلَمَاءِ عَيْنًا، وَيَفْضِي⁽⁹⁾ بِجُودِكَ عَلَى الدَّهْرِ الَّذِي سَمَحَ بِجُودِهِ دَيْنًا، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ مَا
اسْتَمْنَحَ جَوَادًا، وَأُطْرِفَ بِالْفُكَاهَةِ فُؤَادًا، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

1- إشارة إلى قول المتنبي:
أُعِيدُهَا نِظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ
2- الأدقة جمع الدقيق وهو خلاف الغليظ.
3- ق: "يطيق".
4- العسول جمع عسل.
5- السؤل جمع أسول. من سؤل فلان: استرخى بطنه.
6- م: "الجدبان". والجريان لغة في الجريال، وهو صيغ أحمر.
7- م: "ترد".
8- م: "زينا" وهو تصحيف.
9- م: "يفضي" وهو تصحيف.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي مُخَاطَبَتِهِ أَيْضاً

إِذْ هُوَ الْيَوْمَ فَارِسُ الْمَيْدَانِ وَصَدْرُ هَذَا الشَّأْنِ

يَا قَاضِيَ الْعَدْلِ الَّذِي لَمْ تَزَلْ تَمْتَارُ شُهْبُ الْفَضْلِ مِنْ شَمْسِكَ

قَعَدْتَ لِلْإِنْصَافِ بَيْنَ الْوَرَى فَاطْلُبْ لَنَا الْإِنْصَافَ مِنْ نَفْسِكَ⁽¹⁾

مَا لِلْقَاضِي -أَبْقَاهُ اللَّهُ- ضَاقَ ذِرْعُ عَدْلِهِ الرَّحْبِ عَنِ الصَّحْبِ، وَصُمَّ عَنِ الْعَنْبِ، وَضَنَّ عَلَى صَدِيقِهِ حَتَّى بِالْكَتَبِ، أَمِنْ الْمُدَوَّنَةِ الْكُبْرَى⁽²⁾ ارْتَكَبَ هَذَا التَّخْرِيجَ؟ أَمْ مِنَ الْمَبْسُوطَةِ⁽³⁾ ذَهَبَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْمَرِيحِ⁽⁴⁾؟ أَمْ مِنَ الْوَاضِحَةِ⁽⁵⁾ امْتَنَعَ عَنِ الْإِلْمَامِ بِرَفْعِ الْوَفَاءِ وَالتَّعْرِيجِ. وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: إِذَا وَلِيَّ أَخُوكَ فَافْتَنَعَ بِعُشْرِ وُدِّهِ، وَقَدْ قَنَعْنَا نَحْنُ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- بِحَبَّةٍ مِنْ مُدَّةٍ، وَإِثَارَةٍ مِنْ دَرَجَةٍ وَبُدَّةٍ، وَسَاعَةٍ مُعْتَدِلَةٍ مِنْ زَمَانٍ بُلُوغِ أَشَدِّهِ. فَمَا بَالُهُ يُمِطُّ مَعَ الْغِنَى، وَيُحَوِّجُ إِلَى الْعَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الْجَنَى، الْمَرْحَلَةُ مَرْحَلَةُ طَالِعٍ وَجَامِعٍ⁽⁶⁾، وَمَطْمَعٍ طَامِعٍ، وَمَرَأَى رَاءٍ وَسَمْعٍ سَامِعٍ، وَالْكَفُّ وَاسِعٌ، وَالْمَكَانُ لَا

¹ - ديوان ابن الخطيب: 2 / 734. وهي من السريع.

² - يقصد بها المدونة الكبرى التي تضم مجموعة من الأسئلة والأجوبة عن مسائل الفقه وردت للإمام مالك، ورواها عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون.

³ - لعل المؤلف يقصد كتاب "المسائل الملقوطة من الكتب المبسوبة" ليرهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون. أو يقصد كتاب "المبسوط" وهو كتاب في الفقه على المذهب الحنفي للإمام شمس الأئمة السرخسي.

⁴ - المبسوط إشارة إلى أحد كتابين في الفقه المالكي: أولهما ليحيى بن اسحاق الليثي (ت303هـ) وثانيهما لابن حروج (ت562هـ)

⁵ - أي مختلط عليهم وملتبس. قال تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ} سورة ق، الآية 5

⁶ - هو كتاب "الواضحة من السنن والفقه من أصول الفقه المالكي" لعبد الملك بن حبيب الأندلسي المالكي (ت291هـ)

⁶ - أ، ع، م: "خامع"، والمثبت من ق. ولعلها الصواب؛ إذ الخامع "من تَخَمَعُ الضباع أي تعرج في مشيها" أساس البلاغة / خمع:

نَاءٍ وَلَا شَاسِعٍ، وَالضَّرْعُ حَافِلٌ، وَالذَّرْعُ كَافٍ كَافِلٌ، وَالْقَرِيحَةُ وَارِيَةُ الزُّنْدِ، وَالْإِمَامَةُ خَافِقَةُ الْبُنْدِ، وَهَبَ الْبُخْلَ يَقَعُ بِمَا فِي الْخَوَانِ⁽¹⁾ عَلَى الْإِخْوَانِ، فَمَا بَالُهُ يَقَعُ بِالْبَنَانِ؟⁽²⁾

أَعِيدُ سَيِّدِي مِنْ ارْتِكَابِ رَأْيٍ دَمِيمٍ، يُؤَيِّدُ بَيْتَ الْقَطَا فِي تَمِيمٍ⁽³⁾، وَيُعَضِّدُ مَعْنَاهُ بِتَمِيمٍ⁽⁴⁾، وَهَلَّا تَلَا حَامِيمٍ⁽⁵⁾، وَعَهْدِي بِالسِّيَادَةِ الْقَاضِيَّةِ، قَدْ نَامَتْ فِي مِهَادِ التَّرَفِ، نَوْمَ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَلَمْ تُبَلِّ بِمَدَدِ الْوَيْلِ وَاللَّهْفِ، أَوْ شَرِبْتَ لِحِفْظِ الصَّحَّةِ فَجْتَجَا، وَدَقَّتْ لِإِعَادَةِ الشَّيْبَةِ عَفْصًا وَرَدَسَتْجَا، وَغَطَّتْ عَلَى الصُّبْحِ بِاللَّيْلِ إِذَا سَجَى⁽⁶⁾، وَمَدَّتْ عَلَى ضَاحِي الْبَيَاضِ ظِلًّا سَجَسَجًا⁽⁷⁾، وَرَدَّتْ سَوَسَنَ⁽⁸⁾ الْعَارِضِ بِنَفْسَجَا، وَلَيْسَ بَحْرُهَا الزَّاخِرُ ثَوْبًا مِنْ طُحْلِبِ الْبَرِّ مُنْسَجًا⁽⁹⁾ وَأَحْكَمَ الْعِمَامَةَ.

وَصَدِيقُ الْمَرْءِ يَنْصَحُ وَيُرْشِدُ، وَيَنْظُرُ فِي الْمَحَاسِنِ وَيُنْشِدُ، حَتَّى حَسُنَتْ الدَّارَةُ، وَصَحَّتِ الْإِسْتِدَارَةُ، وَأَعْجَبَهُ الْوَجْهُ الْجَمِيلُ، وَالْقَدُّ الَّذِي يَمِيلُ فِي [دَكَّةٍ]⁽¹⁰⁾ الدَّارِ وَيُمِيلُ، فَأَغْرَى بِالسَّوَاكِ التَّثْمِيمَ وَالتَّكْمِيلَ، وَوَلَجَ⁽¹¹⁾ بَيْنَ شِفْرَيْ سَيِّدِي الْمِيلِ] وَقِيلَ لَوْضَاحِ الْيَمَنِ خَابَ فِيكَ التَّائْمِيلُ، وَامْتَدَّ جَنَاحُ بَرْنَسِ الشَّرْقِ، وَاحْتَقَلَ الْغُصْنُ الرَّطِيبُ فِي نَاضِرِ الْوَرَقِ، وَرَشَّ الْوَرْدُ مَاءَهُ عَنْ رَشْحِ الْعَرَقِ، وَتَهَيَّأَ لِلْمُنْطَلَقِ، وَقَرَأَتْ عَلَيْهِ نِسَاءُ أَعْوَانِهِ وَكَتَبَتْ دِيْوَانَهُ سُورَةَ الْعَلَقِ، مِنْ بَعْدِ مَا أَوْقَفَ الْأَمْلِينَ

1- "الخوان ما يؤكل عليه، معرب وفيه ثلاث لغات كسر الخاء وهي الأكثر" م المصباح المنير / خون، ص 70
2- "تنسب قبيلة بني تميم إلى تميم بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية نبي الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام. وكانت مساكنهم قبل الإسلام في نجد والبحرين" جمهرة أنساب العرب: 207 / 1
3- ق: "بالبيان" ولعل الصواب ما أثبت تشكيلا للسجع.
4- م: "بتشميم" وهو تحريف.
5- أي السور المبدوءة بحم وهي سبع: سورة غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.
6- قال تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} سورة الضحى، الآية 2
7- "السجسج الهواء المعتدل بين الحر والبرد" لسان العرب / سجع، 7 / 124
8- "السوسن نبات يشبه الرياحين عريض الورق وليس له رائحة فائحة كالرياحين" المصباح المنير / سوس، ص 112
9- أ، ع: "منتسجا"، م: "منسجا" والمثبت من ق.
10- "الدكة المكان المرتفع يجلس عليه وهو المسطبة معرب" المصباح المنير / دكك، ص 75
11- م: "وشج" ولعل الصواب ما أثبت.

الْحُجَّابَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، وَكَفَّهُمُ الْخِذْلَانُ عَنْ (1) إِقْدَامِهِمْ، فَمَثَلُوا وَاصْطَفُوا، وَتَأَلَّفُوا وَالتَّقُوا، وَدَارُوا وَحَقُّوا، وَمَا تَسَلَّلُوا وَلَا خَفُّوا؛ كَأَنَّمَا أَسْمَعَتْهُمْ صَيْحَةُ النَّشْرِ، أَوْ خَرَجُوا لِأَوَّلِ الْحَشْرِ. فَعُيُونُهُمْ بِمُلْتَقَى الْمِصْرَاعِ مَعْقُودَةٌ، وَأَذْهَانُهُمْ لِمَكَانِ الْهَيْبَةِ [مَعْقُودَةٌ] (2) وَحَقَالَتُهُمْ قَبْلَ الطَّلَبِ بِهَا مَعْقُودَةٌ.

فَعِنْدَمَا فُرِشَ الْوِسَادُ، وَارْتَفَعَ بِالنَّفَاقِ (3) الْكَسَادُ، وَذَاعَ الْكِبَاءُ (4) وَتَأَرَّجَ الْحُسَادُ، وَاسْتَقَامَ الْكَوْنُ وَارْتَفَعَ الْفَسَادُ، وَرَاجَعَتْ (5) أَرْوَاحَهَا (6) الْأَجْسَادُ. جَاءَتِ السِّيَادَةُ فَجَلَسَتْ، وَتَتَعَمَّتِ الْأَحْدَاقُ بِالنَّظَرِ الَّذِي اخْتَلَسَتْ، وَسَمَحَتِ الْأَكْفُ حَتَّى أَفْلَسَتْ، وَرَأَتْ الشَّمْسُ ذَلِكَ الْفَلَكَ، وَجَلَّتِ الْأَنْوَارُ الْحَلَاكَ، فَتَحَّتِ الْأَبْوَابُ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ (7)، وَوَقَفَتِ الْأَعْيَانُ سِمَاطِينَ (8)، وَمَثَلُوا خَطِّينَ (9)، وَتَشَكَّلُوا مَجَرَّةً تَنْتَهِي إِلَى الْبُطَيْنِ، يُعْلِنُونَ بِالتَّفْدِيَةِ وَيَجْهَرُونَ، { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (10)، مِنْ كُلِّ شِهَابٍ (11) ثَاقِبٍ، وَطَائِفٍ غَاسِقٍ وَاقِبٍ، وَمَلَا حِطِّ مُرَاقِبٍ، كَمِيشِ الْإِزَارِ، بَعِيدِ الْمَزَارِ، حَامِلٍ لِلْأُوزَارِ، خَصِيمٍ مُبِينٍ، وَوَارِثٍ سَوْفَسْطَهَا عَنْ رَنِينٍ، مُطَّلِعٍ بِفَقْهِ الْبُرِّ وَحَرِيمِهَا، فَضْلاً عَنْ تَلْقِينِ الْخُصُومِ وَتَعْلِيمِهَا. يُؤَاسِيهِمُ الْعَرِيفُ (12) الْمُقَرَّبُ، وَالْمُقَدَّمُ الْمُدْرَبُ، وَالْمُشَافِهَةُ (13)

1 - ق: "على" ولعل الصواب ما أثبت.

2 - م: "ساقط".

3 - "ونفقت السلعة والمرأة نفاقا بالفتح كثر طلابها وخطابها" المصباح المنير / نفق، ص 236

4 - "الكباء فهو البخور" لسان العرب / كبا، 16 / 13

5 - أ، ق، ع: "راجعت" والمثبت من م.

6 - م: "أرداجها" وهو تحريف.

7 - قال تعالى: {وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا

يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} سورة يوسف، الآية 23

8 - "وخذوا سماطي الطريق: جانبه" أساس البلاغة / سبط، 473 / 1

9 - م: "خفين" ولعل الصواب ما أثبت.

10 - قال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ

مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} سورة التحريم، الآية 6

11 - م: "شهب"

12 - "عريف القوم وهو القيم بأمرهم الذي عرف بذلك وشهر" أساس البلاغة / عرف، 646 / 1

13 - أ، ق، ع: "الشفاهة" والمثبت من م، ولعله الصواب.

المُبَاشِرُ، وَالنَّابِغُ الكَاشِرُ، وَالنَّهْجُ⁽¹⁾ العَاشِرُ⁽²⁾ الَّذِي يَقْتَضِي خَلَاصَ الْعَقْدِ، وَيَقْطَعُ فِي الْكَالِي⁽³⁾ وَالنَّعْدِ⁽⁴⁾، وَيُزَكِّي⁽⁵⁾ وَيَجْرَحُ، وَيُمْسِكُ النَّبْتَ⁽⁶⁾ أَوْ يَطْرَحُ، وَيُجْمِلُ وَيَشْرَحُ، وَالْمُسَيِّطِرُ الَّذِي بِيَدِهِ مِيزَانُ الْوَرَقِ، وَجَمْعُ الْأَجْرِ الْمُفْتَرَقِ، وَكَفَّهُ قَابِلَةُ رَحِمِ الدَّوَاةِ⁽⁷⁾ الْفَاغِرَةِ، وَرِشَاءُ⁽⁸⁾ بُلَالَةِ الصُّدُورِ الْوَاعِرَةِ⁽⁹⁾.

فَإِذَا وَقَفَ الْخَصْمَانِ بِأَفْصَى مَطَرِحِ الشُّعَاعِ، وَأَنَّى مَجْمَعِ الرِّعَاعِ⁽¹⁰⁾، وَأَعْلَنَا النَّدَاءَ، وَطَلَبَ الْأَعْدَاءَ، وَصَاحَا جَعَلَ اللَّهُ أَنْفُسَنَا لَكَ الْفِدَاءَ، وَرَفَعَ الْأَمْرَ، إِلَى مَقْطَعِ الْحَقِّ، وَالْأَوَّلَى بِالْمَثَابَةِ الْأَحَقِّ، أَخَذْنَهُمَا الْأَيْدِي دَفْعاً فِي الْقَفِيِّ، وَرَفَعاً لِسْتِرِ اللَّطْفِ الْخَفِيِّ، وَإِمْسَاكاً بِالْحَجَرِ وَالْأَكْمَامِ، وَمَنْعاً لِلْمُبَاشَرَةِ وَالْإِلْمَامِ، وَاسْتِنْطَاقاً عِنْدَ الْإِذْنِ⁽¹¹⁾ بِالْكَلامِ، وَإِسْكَاتاً عِنْدَ صَرِيهِ الْأَقْلَامِ. فَإِذَا أَدْلَى بِحُجَّتِهِ مَنْ أَدْلَى، وَوَسَّعَهُمَا دِينُهُ عَدْلًا، وَحَقَّ الْقَوْلُ، وَاسْتَقَرَّ الْهَوْلُ، وَوَجَبَتِ الْيَمِينُ أَوْ الْأَدَاءُ الَّذِي يُقَوِّتُ لَهُ الدُّخْرُ الثَّمِينُ، أَوْ الرَّهْنُ أَوْ الضَّمِينُ، أَوْ الْإِعْتِقَالُ الَّذِي هُوَ عَلَى أَحَدِهِمَا الْأَمِينُ، نَهَشُ

1- م: "المنهج" وكلاهما صحيح.

2- "العاشر هو من نصبه الإمام على الطريق ليأخذ الصدقات من التجار، مما يمرون به عليه عند اجتماع شرائط الوجوب" التعريفات الجرجاني، ص: 130

3- م: "الكاي". "كَلَّ السيف كَلًّا وكَلَّة بالكسرة وكُلُّوا فهو كليل وكالٌ أي غير قاطع" المصباح المنير / كلل، ص: 205

4- م: "النقد".

5- من تزكية أنفسهم وتفضيلها.

6- م: "المثبت" وكلاهما صحيح.

7- "الدواة التي يكتب بها جمعها دويات" المصباح المنير / دوي، ص 78

8- "الرشاء الحبل والجمع أرشية" لسان العرب / رشا، 6 / 160

9- "وَوَغَّرَ عليه صدره، وأوغر صدره: غاظه" أساس البلاغة / وغر، 2 / 345

10- "رَعَاع الناس: سَقَّاطُهُمْ وسَقْلُئُهُمْ" لسان العرب / روع، 6 / 176

11- م: "الأخذ".

الصِّل⁽¹⁾، الَّذِي سَلِمُهُ لَا يَبِلُ⁽²⁾، وَلَسَبَتِ⁽³⁾ الْعَقَابُ الَّذِي لَا يُفْلِتُهَا الْهَارِبُ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا الْمُسَارِبُ.

وَكَمْ تَحْتَ الظَّلَامِ مِنْ غَرَارَةٍ يَحْمِلُهَا غُرٌّ، وَصَرَّةٌ⁽⁴⁾ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ، وَسُهِدٍ فِي انْتِظَارِ قُلَّةٍ شَهْدٍ، وَكَبْشٍ يَجُرُّ تَارَةً بِرَوْقِيهِ⁽⁵⁾، وَيَدْفَعُ بَعْدَ رَفْعِ سَاقِيهِ، وَمَعْرَى وَجْدِي، وَقَلَائِدٍ هَدْيٍ، وَسِرْبٍ دَجَاجٍ ذَوَاتٍ لَجَاجٍ، يَفْضَحْنَ⁽⁶⁾ الطَّارِقَ، وَيُشِيعْنَ الْمَفَارِقَ.

فَمَتَى يَسْتَفِيقُ سَيِّدِي مَعَ هَذَا اللَّغَطِ الْعَائِدِ بِالصَّلَةِ، وَاللَّهْيِ الْمُتَّصِلَةِ؟ أَوْ تَفْرُغُ⁽⁷⁾ يَدُهُ الْبَيْضَاءُ لِأَعْمَالِ ارْتِيَاظٍ، وَخَطِّ سَوَادٍ فِي بَيَاضٍ⁽⁸⁾، أَوْ حَنِينٍ لِدُوحٍ أَوْ رِيَاظٍ، أَوْ إِمْتَاعٍ طَرْفٍ، بِاِكْتِتَابِ حَرْفٍ، أَوْ إِعْمَالٍ عَدَلٍ لِرَسُولٍ فِي ظَرْفٍ⁽⁹⁾، أَوْ حَشْوٍ طَرْفٍ يُتَحَفُّهُ ظَرْفٌ، شَأْنُهُ أَشَدُّ اسْتِغْرَاقًا، وَمُيُولُهُ أَكْثَرُ طَوَاقًا⁽¹⁰⁾، مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ⁽¹¹⁾، وَأُمِّ مَعَزِلٍ. وَكَيْفَ يُسْتَخْدَمُ الْقَلَمُ الَّذِي يُصَارِفُ مَاءَ الْحَبْرِ بِذَوِي التَّبَرِّ فِي ثُرَهَاتٍ عُدِمَ جَنَاهَا، وَأَقْطَعَ جَانِبَ الْخَيْبَةِ لَفْظُهَا وَمَعْنَاهَا. اَللَّهُمَّ [إِلَّا]⁽¹²⁾ أَنْ تَحْصُلَ النَّفْسُ عَلَى كِفَايَةٍ تَخْتِمُ لَهَا الصُّرَرَ، وَتُشَامُ مِنْ خِلَالِهَا لِلْجَيْنِ الْغُرُّ، أَوْ تَحِنَّ النَّفْسُ إِلَى الْفُكَاهَةِ وَالْأُنْسِ، وَيَنْفُقُ لَدَيْهَا ذِمَامُ الْإِبْقَاءِ عَلَى الْجِنْسِ.

1- "الصِّل بالكسر الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها" لسان العرب / صلل، 274 / 8

2- من بل يبل أي يبرأ.

3- "لَسَبَتِ العُقْرَب لُسْبًا مِنْ بَابِ ضَرْبٍ مِثْلَ لَسَعَتْهُ وَلَسِبَهُ الزَّنْبُورُ" المصباح المنير / لسب، ص: 211

4- م: "حرة" وهو تحريف. رِيحٍ صِرٍ وَصَرَصِرٍ. وَأَقْبَلُ فِي صَرَّةٍ: فِي شِدَّةِ صِيَاحٍ "أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ / صرر، 544 / 1

5- "الرَّوْقُ: الْقُرْنُ مِنْ كُلِّ ذِي قُرْنٍ" لسان العرب / روق.

6- م: "يقضن" وهو تصحيف.

7- م: "تتفرغ" ولعل الصواب ما أثبت.

8- كناية عن الكتابة والتأليف.

9- م: "صرف" وكلاهما صحيح.

10- م: "طراقا".

11- م: "يذوب". إشارة إلى قول امرئ القيس:

فَقَا نَبَكٌ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِطْرِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَخَوْلِ

12- أ: ساقط، والمثبت من م.

فَرِّمًا تَقَعُ الْمُخَاطَبَةُ الْمَنْزُورَةُ، وَتُبَيِّحَ هَذَا الْمُزْتَكَبَ الصَّعْبَ لِلضَّرُورَةِ. وَالْمَرْغُوبُ مِنْ سَيِّدِي
القَاضِي أَنْ يَذْكَرَ بُؤْسَنَا بِالْإِغْفَالِ عِنْدَ نَعِيمِهِ، وَلَا يُخَيِّبَ آمَالَنَا الْمُتَعَلِّقَةَ بِأَذْيَالِ زَعِيمِهِ، وَيُسْنِهَمَنَا
حَظًّا مِنْ فَوَائِدِ حَظِّهِ، لَا مِنْ فَوَائِدِ خُطَّتِهِ، وَيَجْعَلَ لَنَا كِفْلًا مِنْ فَضْلِ بَرِّيَّتِهِ وَفِطْنَتِهِ، لَا مِنْ فَضْلِ
هَرِّهِ وَقِطَّتِهِ، فَقَدْ غَنِينَا عَنِ الْحَلَاوَاتِ بِحَلَاوَةِ لَفْظِهِ، وَعَنِ الطَّرْفِ الْمَجْمُوعَةِ بِفُنُونِ حِفْظِهِ، وَعَنِ
قَصَبِ السُّكَّرِ بِقَصَبِ أَفْلَامِهِ، وَعَنِ جَنِيِّ الدُّومِ بِدَاوِمِهِ، وَبِهَدْيِهِ عَنْ جَدْيِهِ، وَبِمُحَاجَّتِهِ عَنْ دَجَاجَتِهِ،
وَبَدْرِ لُجَّةٍ عَنْ أُتْرُجَةٍ⁽¹⁾، وَعَنِ الْبَرِّ بِبِرِّهِ، وَعَنِ الْحَبِّ بِحُبِّهِ، وَلَا نَأْمُلُ إِلَّا طُلُوعَ بِطَاقَتِهِ، وَقَدْ رَضِينَا
بِجُهْدِ طَاقَتِهِ، وَإِلَّا فَلَا بُدَّ أَنْ نَحْشُدَ جَيْشَ الْكَلَامِ إِلَى عَتَبِهِ، وَنُوَالِي [عَلَيْهِ]⁽²⁾ الْكَتَائِبَ حَتَّى يَتَّقِيَ
بِضْرِبَةِ كَتَبِهِ وَالسَّلَامَ.

¹ - أُتْرُجٌ: جمع أُتْرُجَةٍ شجر من فصيلة البرتقاليا تعرف بالكَبَاد وتفتح العجم.
² - م : ساقط.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي سَبِيلِ الدُّعَابَةِ فِيمَنْ تَزَوَّجَ قَيْنَتَهُ⁽¹⁾

كَتَبْتُ أُغْبِطُكَ -أَعَزَّكَ اللهُ- بِتَسْوِيعِ اللَّذَاتِ، وَتَمَنِّي⁽²⁾ طِيبِ الْحَيَاةِ، وَلِبَاسِ خُلْعِ الْخَلَاعَةِ، وَلَوْ

قَامَتِ السَّاعَةُ، فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ بِيَوْمِهِ لَا بِقَوْمِهِ، وَبِوَقْتِهِ لَا بِالْمُبَالَاةِ بِمَقْتِهِ. وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُجْزَلَ⁽³⁾

أُجْرَتِكَ، وَيَتَقَبَّلَ هِجْرَتَكَ، وَيُؤَمِّنَ مِنَ الشُّرُوطِ حُجْرَتَكَ، وَيَعْطِفَ عَلَى مَحَلِّكَ قُلُوبَ الْفِتْيَانِ، وَيَدْعُو

بِهِمْ لِلْإِتْيَانِ، وَيَقْطَعَ بِشَهْرَةِ قَيْنَتِكَ حُطُوطَ الْقِيَانِ، وَيَسْلُبَكَ الْغَيْرَةَ الَّتِي تُفْسِدُ الْعِشْرَةَ، وَتَكْشِفُ الْقِشْرَةَ.

وَكَأَنِّي بِكَ -أَعَزَّكَ اللهُ- وَقَدْ ظَهَرَ بِوَجْهِكَ سَعْفَةٌ⁽⁴⁾ النَّبِيذِ، وَتَقَطَّرَ لَهَا وَجْهُكَ تَقَطَّرَ الْجَدْيِ

الْحَنِيزِ⁽⁵⁾، وَأَصَابَتْ أَسْنَانَكَ الْحُقْرُ⁽⁶⁾، وَرِيحَكَ الْبَحْرُ⁽⁷⁾، وَعَيْنَكَ السِّتْرُ، وَشَعْرَكَ الْحَزَارُ⁽⁸⁾، وَيَدَكَ

الْكُزَارُ⁽⁹⁾، وَأَصْبَحْتَ مَخْمُورًا، مِنْهِيًّا عَنْ عِيَالِكَ مَأْمُورًا، وَقَدْ أَغْلَقْتَ عِمَامَتَكَ بِسِرْوَالِكَ، وَسَدَلْتَ

الْقِشْرَةَ الْبَيْضَاءَ عَلَى أَسْمَالِكَ، وَقَعَدْتَ بَرَكَّةً⁽¹⁰⁾ بَابِكَ، تَتَلَقَّفُ الْعِيَارَةَ⁽¹¹⁾، وَتَعْنَرِضُ السَّيَّارَةَ⁽¹²⁾،

وَتُعِينُ لِلْوَقْتِ الزَّيَّارَةَ. فَإِذَا اقْتَضَيْتَ الثُّغَرَ مِنَ الْخَرْجِ، وَدَلَّلْتَ الْفُحُولَ عَلَى الْمَرْجِ، وَخَطَبْتَ لِمُشَاهَدَةِ

¹ - لم يذكر اسمه وتحدث عن زواج غير متكافئ بين شيخ كبير وقينة صغيرة على سبيل الدعابة التي امتزجت بالإحماض في الوصف.

² - م: "تسنى" وهو تحريف.

³ - م: "يجزك" وكلاهما صحيح من الجزاء والإجزال.

⁴ - "السَّعْفَةُ وَالسَّعْفَةُ قُرُوحٌ فِي رَأْسِ الصَّبِيِّ... وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: السَّعْفَةُ يُقَالُ لَهَا دَاءُ الثَّلَبِ ثُورِثُ الْفَرَعِ" لسان العرب / سعف، 7/

190

⁵ - "الحنيذ المشوي عامة" لسان العرب / حنذ، 4/ 245

⁶ - م: "الحضر" وهو تحريف.

⁷ - "بخر الفم بخرا أنتنت ريحه" المصباح المنير / بخر، ص 15

⁸ - "الْحَزَارُ: هِبْرِيَّةٌ فِي الرَّأْسِ كَأَنَّهُ نَخَالَةٌ، وَاحِدَتُهُ حَزَاةٌ" لسان العرب / حزر، 4/ 105

⁹ - "الْكُزَارُ: دَاءٌ يَأْخُذُ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَتَعْتَرِي مِنْهُ رَعْدَةٌ وَهُوَ مَكْزُوزٌ" لسان العرب / كرز، 13/ 61

¹⁰ - الرِّكَّةُ: مَا يَرِصَفُ مِنَ الْحَجَارَةِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضِهَا الْآخَرِ.

¹¹ - م: "العيادة". "الْعِيَارَةُ مِنْ عَارِ الْفَرَسِ يَعِيرُ عِيَارًا أَفْلَتَ وَذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ" المصباح المنير / عير، ص: 167

¹² - م: "السيادة". ولعل الصواب ما أثبت.

الرَّقْصِ وَالذَّرَجِ، نَهَضْتَ لِشِرَاءِ مُوْنٍ⁽¹⁾ فُحُولِكَ، وَمَا يَتَكَفَّلُ⁽²⁾ بِسُؤْلِكَ، مِنْ طَرَاوَةٍ تَصْنَعُ الْبَشْرَةَ⁽³⁾ وَتُنْقِيهَا، وَلَخْلَخَةٍ⁽⁴⁾ تَسْتُرُ رَائِحَةَ الْإِبْطِ وَتُخْفِيهَا، وَسُنُونٍ يُطِيبُ الْقَمَّ، وَيُوَافِقُ الشَّمَّ، وَضِمَادٍ يَشُدُّ النَّدْيَ إِذَا ذُبُلَ، وَبَرْزَجَةٍ تَمْنَعُ الْحَبْلَ⁽⁵⁾، وَحَشَوَتٍ جَبِيكَ أَوْتَارًا، وَأَعْدَدْتَ دَسَنَاتًا ثَانِيًا وَحِمَارًا، وَشَارَكْتَ عَلَى الْمُرَابِحَةِ حِمَارًا، وَبَسَطْتَ نَطْعَ الْقُعُودِ، وَأَعْدَدْتَ لِإِيْدَاعِ الْفُتُوحِ غِشَاءَ الْعُودِ، وَتَرَدَّدْتَ إِلَى الْبَابِ، تَوَقُّعًا لِإِخْلَافِ الْوُعُودِ. فَأُقْسِمُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي أَنْ لَا تُغْفِلُنَا مِنْ بَالِكَ، وَلَا تَنْسَنَا مِنْ حَرَامِكَ الْمُصْنَحِ [أَوْ حَلَالِكَ، وَأُسْهِمْنَا]⁽⁶⁾ فِي فَضْلِ تِجَارَتِكَ، وَعَنْ جِعَالَتِكَ⁽⁷⁾ وَاجَارَتِكَ، وَاضْرِبْ لَنَا بِخَطِّ عِنْدَ قَسَمٍ مَا فِي طِنَجَارَتِكَ وَالسَّلَامَ.

1- المُونُ جمع مُوْنَةٍ وهي لغة في المؤونة.

2- م: "يتكل". وهو تحريف.

3- م: "العشرة". ولعل الصواب ما أثبت.

4- "الخلخة": ضرب من الطيب "لسان العرب / لخخ، 13 / 186

5- م: "الحمل".

6- أ: ساقط، والمثبت من م.

7- "الجعالة والجعالات": ما يتجاعلونه عند البعوث أو الأمر يحزبهم من السلطان "لسان العرب / جعل، 3 / 159

وَمِنْ ذَلِكَ فِي مُخَاطَبَةِ بَعْضِ الْأَطِبَّاءِ بِمَا يَظْهَرُ مِنَ الْغَرَضِ

أَبْنُكَ يَا أَحَبَّ الْأَحِبَّاءِ، أَطْرَفَ الْأَنْبَاءِ، مِنْ حَدِيثِ الْأَطِبَّاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ لِي أَيَّاماً ثَلَاثَةً، أَعَانِي مَا أَعَانِي، مِنَ الْأَلَمِ الَّذِي شَرَنِي⁽¹⁾ وَارْتَعَانِي. فَأَمَّا قُوتِي قَوَاهِيَّةً، فِي دَرَجَاتِ الضُّعْفِ مُتَنَاهِيَّةً، وَأَمَّا أَفْكَارِي فَمُتَبَلِّدَةٌ سَاهِيَّةٌ⁽²⁾، وَأَمَّا آلَامُ الْفُؤَادِ فَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ؟ فَإِذَا دَخَلَ الْقَوْمُ حَيَّوًا وَقَعَدُوا، وَصَوَّبُوا فِي الْهَذَرِ وَصَعَدُوا، وَرُبَّمَا امْتَدُّوا طَوَّعَ تَعَدِّيهِمْ، إِلَى تَتَاوُلِ الرَّقَاقِ وَالْكَرَارِيسِ بِأَيْدِيهِمْ، يَدْرُسُونَ أَسْطَارَهَا سِرًّا، وَيَكْفُونَ وَيُكَبِّونَ عَلَيْهَا إِكْفَافًا مُسْتَمِرًّا، فَإِذَا مَلُّوا نَهَضُوا عَلَى جَادَةٍ أُخْرَى وَاسْتَقَلُّوا، فَأَفَاضُوا فِي الثَّوَرَةِ وَالزَّبُورِ، وَالتَّلْمُودِ⁽³⁾ وَالْعَبُورِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فُصُولِ الْأُمُورِ.

وَلَقَدْ أَتَحَامَلُ الْخَلَاءَ وَالضُّعْفُ ظَاهِرُ الْإِسْتِيْلَاءِ، وَمَجَالِسُ السُّهْدِ مُتَرَادِفَةُ الْوَلَاءِ، فَيَذْهَلُونَ عَمَّا أَلَاقِيهِ مِنَ الْعَقَاءِ، إِلَى أَنْ يَنْتَصِفَ الْيَوْمُ، وَيُرْسِيهِمْ⁽⁴⁾ التَّنَاوُبُ وَالنَّوْمُ، فَحِينَئِذٍ يَتَحَرَّكُ الْقَوْمُ. وَوَاللَّهِ مَا أَعْمَلُوا فِي الْعِلَاجِ قَوْلًا، وَلَا نَظَرُوا خَرًّا وَلَا بَوْلًا، وَلَا قَعَدُوا وَلَا شَعَرُوا هَلْ أَنَا مَرِيضٌ أَمْ لَا؟ وَمَا ضَرَّ لَوْ أَشَارَ مِنْهُمْ الْمُشِيرُ بِعِلَاجٍ، أَوْ أَخَذُوا لِلْمُذَاكِرَةِ فِي نِتَاجٍ، حَتَّى يُقِيمُوا رِسْمَ الصَّنَاعَةِ، وَيَأْنِفُوا لَهَا مِنْ طَرِيقِ الْإِضَاعَةِ، أَوْ يُعَدِّلُوا هَوَاءً، وَيُبَدِّلُوا سَبِيلًا سَوَاءً، أَوْ يَجْلُبَ أَحَدُهُمْ مِنَ الْخِرَازَةِ السُّلْطَانِيَّةِ دَوَاءً. إِنَّمَا هِيَ عَادَةُ الْإِبْرَامِ⁽⁵⁾، وَعَدَمُ الْإِحْتِرَامِ⁽⁶⁾، وَتَعَدِّي طُرُقِ الْكِرَامِ.

¹ - "من شَرَن أي انشق" لسان العرب / شرن، 70 / 8

² - م: "متناهيّة". ولعل الصواب ما أثبت.

³ - التلمود: كلمة عبرية وهي كتاب تعليم الديانة اليهودية.

⁴ - م: "بريهم". ولعل الصواب ما أثبت.

⁵ - م: "الأيام". ولعل الصواب ما أثبت تشكيلا للسجع.

⁶ - م: "الاهتمام". ولعل الصواب ما أثبت؛ فعدم الاحترام أوجع من عدم على الاهتمام.

فَإِذَا وَقَعَتِ الْهَفْوَةُ عَتَبُوا، وَشَافَهُوا [وَكَتَبُوا كَأَنِّي لَسْتُ] ⁽¹⁾ مَوْضُوعًا إِلَّا لَشَكْوَى دَهْرٍ، وَتَعَزِيرٍ
ضَجَرٍ ⁽²⁾ أَوْ قَهْرٍ، ⁽³⁾ أَوْ بُكَاءٍ هَمٍّ، أَوْ السَّبَّاحَةِ لِلْفُضُولِ فِي يَمٍّ. وَإِنْ قَالُوا قَدْرُكَ سَنِيٍّ، وَأَنْتَ عَنْ
نَظَرِنَا غَنِيٍّ، فَأَنَا عَنِ الزِّيَارَةِ مَنِّي إِلَى الْعِلَاجِ، وَعَنِ الْإِطَالَةِ ⁽⁴⁾ الْخَارِقَةِ لِلْسِّيَاحِ مَنِّي لِصَلَاحِ الْمِرَاجِ.
قَدَّرْتُ لَكَ عُذْرِي لَتَقُومَ فِيهِ بِحُجَّتِي، وَإِضَاحِ مَحَجَّتِي، لَا زِلْتُ مُتَحَلِّيًا مِنَ الْإِنْصَافِ بِأَجْمَلِ
الْأَوْصَافِ، وَالسَّلَامُ الْمُتَعَاهِدُ بِالْأَلْطَافِ، وَالرَّحِمَاتِ الدَّانِيَاتِ الْقِطَافِ يَخُصُّكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

¹ - أ: ساقط ، والمثبت من م.

² - م: "صخر". وهو تصحيف.

³ - م: "تمر". وهو تحريف.

⁴ - م: "الأصالة". وهو تصحيف.

[وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي مُخَاطَبَةِ ابْنِ]

جَبُّورِ الْوَالِي بِمَكْنَسَةٍ فِي بَعْضِ الْأَغْرَاضِ]

شَاعَ -أَعَزَّكَ اللَّهُ- عَلَى السِّنَةِ أَصْحَابِكَ مِمَّنْ عُرِفَ نُبْلُهُ وَعَفْلُهُ، وَصَحَّ فِي الْأَخْبَارِ نَقْلُهُ، أَنَّكَ جَوَادُ الْوَقْتِ، الْآمِنُ الْمَقْتِ، وَأَنَّكَ مُجَلِّي التَّخْتِ⁽¹⁾، وَمُفِيدُ الْبَخْتِ، وَمُؤْوِي الضَّيْفِ فِي الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ. وَأَنَا مَا عَلِمْتَ ضَيْفُ الْكَرَامِ حَيْثُ حَلَلْتُ، وَتَزِيلُ الْأَجَوَادِ مَتَى نَزَلْتُ، أَرْحَلُ عَنْهُمْ وَالنِّيَابُ تَضِيقُ بِهَا الْعِيَابُ⁽²⁾، وَالْجِيَادُ يُجَنَّبُهَا الْقِيَادُ، وَالصَّرُرُ قَدْ أَشْرَقَتْ مِنْهَا الْغُرُرُ، حِرْصاً عَلَى ثَنَاءٍ يُخَلَّدُ، وَمَعْنَى يُقَلَّدُ، وَدَوْلَةٌ تُجَلَّى بِالْمَكَارِمِ، وَمَرْوَعَةٌ تَحُلُّ عَلَيْهَا ضَرْبُ الْمَغَارِمِ. فَبِتُّ بِجَوَارِكَ لَيْلَتَيْنِ، أَكَلْتُ فِيهِمَا مِنْ زَادِي، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ الْوَادِي، وَجَعَلْتُ الْأَرْضَ مِهَادِي، وَطَالَ لِأَجَلِ الْبِرَاغِيثِ سُهَادِي.

وَلَقَدْ سَأَلَنِي الْوَزِيرُ -أَبْقَاهُ اللَّهُ- عَنْ طَرِيقِي، وَرَفِيقِي وَفَرِيقِي، فَأَجْمَلْتُ الْمُفَسَّرَ، وَأَلَمَمْتُ مِنَ الْكَذِبِ بِمَا تَبَيَّنَ. وَقُلْتُ عِلْمَ اسْتِدْعَاؤِكَ إِيَّايَ، وَاسْتِغْدَامِي مِنْ مَتَوَايَ، فَسَائِرُ النَّاسِ بِجُمْلَتِهِمْ هَوَايَ. وَأَمَّا فِي الْإِيَابِ، بَعْدَ أَنْ بُوِّئْتُ⁽³⁾ الْبَيْتَ، وَأَوَّلَيْتَ مَا أَوَّلَيْتَ، فَالْأَمْرُ أَكْبَرُ، وَالْخُبْرُ لَا يَفِي بِهِ الْخَبْرُ. فَخَاطَبْتُكَ -أَعَزَّكَ اللَّهُ- مُخَاطَبَةً مِنْ يَغَارٍ عَلَى شُهْرَةِ جُودِكَ، وَالْحُكْمِ لَكَ بِالنَّثَاءِ قَبْلَ وَجُودِكَ. فَاِمَّا

¹ - التَّخْتُ مِنَ الزَّهْرَةِ: مَا يَحْمِلُ أَوْرَاقَهَا.

² - م: "العياب". والعياب: جمع غَيْبَةٍ وهي وعاء من أدم يكون فيها المتاع.

³ - م: "بدأت". ولعل الصواب ما أثبت.

أَنْ يَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى ضَرْبِيهِ قَرِيبَةٍ، وَيَرْتَفَعَ عَنْ وَجْهِ الْمَجَادَةِ نِقَابُ الرِّيبَةِ، أَوْ يُكَذَّبَ النُّقْلُ، وَيَكُونَ قَرَى ضَيْفِكَ الْمَاءُ وَالْبَقْلُ.

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ قَبُولُكَ خَاصًّا بِمَنْ رَاقَ حَدُّهُ، وَحَسَنَ قَدُّهُ، وَتَبَلَّلَتْ نَظَرُهُ، وَأَخْجَلَتْ الْبَدْوُ غُرَّتُهُ، فَحَظَّنَا لَدَيْكَ الْخَيْبَةَ، وَلَوْ قَصَدْنَاكَ مِنْ مَكَّةَ⁽¹⁾ وَطَيْبَةَ، وَمَوْصِلُهُ يُقَرِّرُ الْمَطْلَبَ، وَيَحْسُنُ⁽²⁾ مِنْكَ الْبَارِقُ الْخُلْبُ. وَالْقَصْدُ الْمُشَارَكَةُ فِيمَا أَمَرَ بِشِرَائِهِ، وَمُحَاوَلَةُ نَقْلِهِ، بِمَا يُسْتَخَفُّ مِنْ كِرَائِهِ⁽³⁾، وَأَنَا أَرْتَقِبُ وَصُولَهُ، وَأَنْتَظِرُ حُصُولَهُ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَشُكْرِي لِشُكْرِ الْخَلْقِ فِيكَ تَبَعٌ، وَإِنْ لَمْ يَقَعْ فِي جَوَارِكَ رِيٍّ وَلَا شَبَعٍ، وَتَنَائِي جَمِيلٌ، وَإِنْ لَمْ يُقْضَ مِنْ بَرِّكَ تَأْمِيلٌ. وَمَا أَلَمْتُ بِهِ إِلَّا مَا هُوَ دُعَابَةٌ تَخِفُّ عَلَى أَهْلِ النُّبْلِ، وَمَنْ يَسْأَلُكَ مِنَ النَّظَرِ أَوْضَحَ السُّبُلِ. وَاللَّهُ يُمَتِّعُ بَعْدَ بِلِقَائِكَ، وَيُجَلِّي غُرَرَ الْفَضْلِ مِنْ تَلْقَائِكَ. وَالسَّلَامُ.

¹ - م: "قلة". وهو تحريف.

² - م: "يجبر". ولعل الصواب ما أثبت.

³ - م: "كرايه". كِراب: مصدر كَرَبَ، أي جعل للدلو حبالاً يشد في وسط خشبته. ولعل مقصود المؤلف هو الاهتمام بكل ما هو سهل ويسير قصد إتمامه.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي مِمَّا خَاطَبْتُ بِهِ الْوَزِيرَ أَبَا بَكْرَ بْنَ الْحَكِيمِ

أَلَا أَمْ عَلَى أَخْذِ الْقَلِيلِ وَإِنَّمَا أَعَامِلُ أَقْوَامًا أَقَلَّ مِنَ الذَّرِّ

فَإِنْ أَنَا لَمْ أَخْذْ مِنْهُمْ فَقَدْتُهُ وَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ يُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ

سَيِّدِي أَطْلَقَ اللَّهُ يَدَكَ بِمَا تَمْلِكُ، وَفَتَّرَ عَن مَخْنَقِكَ الْبُخْلَ لِنَلَّا تَهْلِكَ، كُنْتُ قَدْ هَوَّمْتُ⁽¹⁾، وَرَجَرَنِي الْقَلْقُ فَتَلَوَّمْتُ⁽²⁾، وَتَوَمِّي مَا عَلِمْتَ سَنِي الْخِلَالِ⁽³⁾، عَزِيزُ الْوَصَالِ، يُمِطُّ غَرِيمُهُ دَيْنِي، وَيَعَافُهُ طَيْرِي، وَرَدَّ عَن عَيْنِي، وَإِذَا بِالْبَابِ يُدَقُّ بِحَجَرٍ، دَقًّا يُنْبِئُ عَن ضَجَرٍ، وَجَارُ الْجَنْبِ يُؤْخَذُ بِالذَّنْبِ. فَقُمْتُ مُبَادِرًا، وَجَزَعْتُ وَإِنْ كَانَ الْجَزْعُ مِنِّي نَادِرًا، وَاسْتَفْهَمْتُ مِنْ وَرَاءِ الْعَلْقِ⁽⁴⁾ عَن سَبَبِ هَذَا الْقَلْقِ، وَاسْتَعَذْتُ بِرَبِّ الْفَلْقِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ سُكَّانِ السَّوَادِ، وَرَابِطَةُ الْفُؤَادِ: يَا قَوْمُ رَسُولُ خَيْرٍ، بِأَيْمَنَ طَيْرٍ، وَقَرْعُ إِذْلَالٍ لَا قَرْعُ إِذْلَالٍ، حُطُّوا شِعَارَ الْحَرْبِ وَالْجَرِي⁽⁵⁾، وَقَدْ ظَفَرْتُمْ بِبُلُوغِ الْأَرْبِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنِ الْإِقْدَامِ، وَانْهَدْتُ إِلَيْهِ مَجْنُ عُمَرُ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ⁽⁶⁾ مِمَّنْ كَانَ بِالْأَدَارِ مِنَ الْخُدَّامِ، فَاسْفَرَتِ الْوَقِيعَةُ عَن سَلَامٍ وَسَلَمٍ، وَلَمْ يُرْزَأْ أَحَدٌ مِنْهَا بِكَلِمٍ.

وَنَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ قُرْطُبِيِّ الطَّلَعَةِ وَالْأَخْلَاقِ، جَاوٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، تَتَهَدَّى قَبْلَ أَنْ سَلَّمَ، وَارْتَمَضَ لِمَا ذَهَبَ مِنَ الشَّيْبَةِ وَتَأَلَّمَ، شِنْشِينَةً مَعْرُوفَةً⁽⁷⁾، وَعَنْ تِلْكَ الْجِهَةِ -مَعَادَ اللَّهِ- مَصْرُوفَةٌ، وَقَدْ حَمَلَتْهُ

1 - هَوَّمْتُ مِنَ التَّهْوِيمِ وَهُوَ أَوَّلُ النَّوْمِ.

2 - أ، ق، ع: "فهومت". والمثبت من م، ولعله الصواب؛ "وتلوم نفسه استزادها" أساس البلاغة / لوم، 2 / 184

3 - أي يصعب عليه الوصول إليه. وفي هذا إشارة إلى الأرق الذي كان يعاني منه ابن الخطيب؛ لذلك لُقِّبَ بِذِي الْعَمْرَيْنِ.

4 - م: "القلق". ولعل الصواب ما أثبت؛ أي طلب فهم ما استغلق عليه.

5 - م: "الحرب" وهو تصحيف.

6 - عمر بن أبي ربيعة ولد سنة 23هـ-644 م، في مكة، وعاش حياته للغزل الصريح.

7 - "الشَّنْشِينَةُ العادة الغالبة. وفي المثل: "شِنْشِينَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْرَمَ: يضرب في قرب الشبه في الخلق" الأمثال للميداني.

سَيَادْتُكُمْ مِنَ الْمَبَرَّةِ ضُرُوباً شَتَّى، وَتَجَاوَزْتُ فِي السَّرَاوَةِ (1) غَايَةَ حَتَّى، وَلَمْ تَدْعُ عُضُوًّا مِنْ جَسَدِهِ،
فَضْلاً عَنْ مَنَكِبِهِ وَيَدِهِ، إِلَّا أَعْلَقْتُهُ وَعَاءً ثَقِيلاً، وَنَاطَتِ (2) بِهِ زَنْبِيلاً (3)، وَصَيَّرَهُ مُضَاعَفَ الْبَرِّ،
سَفِينَةً مِنْ سُفُنِ الْبَرِّ، فَأَنَاحَ كَالْجَمَلِ إِذَا بَرَكَ، وَاسْتَلْقَى كَالْكَمِيِّ تَرَكَ الْمُعْتَرِكَ، وَعَلَتْ حَوْلَهُ تِلْكَ
الْأَنْقَالُ، وَتَعَاوَرَهَا الْإِنْتِقَالُ، وَكَثُرَ بِالرُّقَاقِ الْقَيْلُ وَالْقَالَ.

فَلَمَّا تَحَصَّلَتْ بِالْأَدَارِ، وَسَتَرْتُ مَعَرَّتَهَا بِالْجِدَارِ، وَتَنَاولَهَا الْإِخْتِيَارُ الْفَاضِحُ، وَبَانَ قُصُورُهَا
الْوَاضِحُ، تَلَاشَتْ بَعْدَ مَا جَاشَتْ، وَاضْمَحَلَّتْ بَعْدَ مَا جَلَّتْ (4)، وَنَظَرْتُ إِلَى قَعْبٍ (5) مِنَ النَّبَنِ
الْمَذُوقِ (6) الَّذِي لَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْبُيُوتِ، وَلَا يُبَاعُ فِي السُّوقِ، أَذْكَرَنِي قَوْلَ الشَّاعِرِ:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدَ أَبْوَالٍ (7)

أَمَّا زَبْدُهُ فَرَفَعَ، وَأَمَّا زَيْتُهُ فَانْتَبَتَ بِهِ وَانْتَفَعَ، وَأَمَّا مَنْ أَنْفَ مِنْ بَعْثِهِ مِنْ فُضْلَاءِ الْخُدَّامِ فَرَفَعَ،
وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ أَلَحَّ فَصَفَعَ. وَانْتَفَتْ إِلَى فُقَّةٍ قَدْ خِيطَتْ، وَبِعُنُقِ ذَلِكَ الْبَائِسِ قَدْ نِيطَتْ، رُؤْسَ فِيهَا
أَفْرَاحُ مِنَ الْحَمَائِمِ، وَقُلْدَتْ بِلَبَّتِهِ كَمَا يُتَقَلَّدُ بِالتَّمَائِمِ (8)، وَشَدَّ حَبْلَهَا بِمَخْنَقِهِ، وَأَلَزَمَ مِنْهَا فِي الْعَاجِلَةِ
طَائِرَهُ فِي عُقْفِهِ (9)، هَذَا بَعْدَ مَا دُبِحَتْ، وَأَمَّا حُسُوتُهَا فَرِيحَتْ. وَلَوْ سَلَكْتُمُ الطَّرِيقَةَ الْمُتْلَى، لَحَفِظْتُمْ
جُبَّتَهَا مِنَ الْعَفَنِ بِمَا تُحَفَظُ بِهِ جُبَّتُ الْقَتْلَى، وَأَطُنُّكُمْ لَمْ تُغْفَلُوا هَذَا الْغَرَضَ،

1- "هو سري من السراة والسروات ومن أهل السن 315 رُو وهو السخاء في مروءة" أساس البلاغة / سرو، 1/ 452

2- أ، ق، ع: "ناطقت". والمثبت من م، ولعله الصواب؛ "نُظِتُ القربة بنياتها نوطاً" أساس البلاغة / نوط، 2/ 308

3- "زنبيلاً وزنبيلاً: القفة الكبيرة"

4- م: "حلت". وهو تصحيف.

5- "القَعْب: قَدَح ضَخْم غليظ. وفي المثل: "أناك ريان بقعب من لبن" أساس البلاغة / قعب: 2/ 90

6- "مذقت اللبن والشراب بالماء مذاً مزجته وخلطته فهو مَذِيق" المصباح المنير / مذق، ص 216

7- البيت لأبي الصلت وهو والد أمية بن أبي الصلت الثقفي، ومنهم من ينسبه للنابغة كما ورد في كتاب "طبقات فحول الشعراء"

1/ 58 وكذا كتاب "المعاني الكبير" 1/ 247. القعب قدح من خشب غليظ جاف.

8- م: "العمائم" ولعل الصواب ما أثبت.

9- قال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً} سورة الإسراء، الآية: 13

وَلَا أَهْمَلْتُمْ هَذَا الْمُهَمَّ الَّذِي عَرَضَ. فَإِنِّي رَمَيْتُ مِنْهَا لِلْبَرِّ رَمِيَّ الْمُخْتَبِرِ، فَكَلِّحَ مِنْ مَرَارَةِ الصَّبْرِ.
وَلَمَّا أَخْرَجْتُهَا مِنْ كَفَنِ الْقَفَّةِ، وَاسْتَدْعَيْتُ لِمُوَارَاتِهَا مَنْ حَضَرَ مِنَ الْأَصْحَابِ أَهْلَ الصُّفَّةِ، تَمَثَّلْتُ
تَمَثَّلَ لَبِيبٍ بِقَوْلِ حَبِيبٍ:

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ⁽¹⁾

وَلَوْلَا أَنَّ أَحَدَ الدَّجَاجَتَيْنِ لَاحَتْ عَلَيْهَا مَخِيلَةٌ سَرَوْ، وَكَانَتْ مِنْ بَقَايَا دُيُوكِ مَرَوْ، بَعَثَ بِهَا جَلَالِكَ
جَلَالَةً، وَأَهْدَى مِنْهَا لِفَسَادِ مِرَاجِي آلَةٍ، لَمْ يَكُنْ فِي الْهَدِيَّةِ مَا يُذَكِّرُ، وَلَكَانَتْ مِمَّا يُنْكَرُ وَاسْتَعْفِرُ اللَّهَ،
فَلَوْ لَمْ تَكُنِ التُّحْفَةُ إِلَّا تِلْكَ الْأَكُولةُ⁽²⁾ الْعَاطِرَةُ، وَالْعِمَامَةُ الْمَاطِرَةُ، حَتَّى أَحْسَبْتَ⁽³⁾ الْأَمَلَ الْأَقْصَى،
وَتَجَاوَزْتَ الْمِنَّةَ الَّتِي لَا تُحْصَى، لِلزِّمِّ الشُّكْرِ وَوَجَبَ، وَبَرَزَ مِنْ حُرِّ الْمَدْحِ مَا تَيَسَّرَ وَاحْتَجَبَ.

فَالْمَكَارِمُ وَإِنْ تَغَيَّرَتْ أَنْسَابُهَا، وَادَّعَى إِرْثُهَا وَاکْتِسَابُهَا، إِلَيْكُمْ تُشِيرُ أَيْدِيهَا، وَلِفَيْتِكُمْ تَمِيلُ
بِهَوَادِيهَا، وَبِسَاحَتِكُمْ يَسِيلُ وَادِيهَا، وَعَلَى أَرْضِكُمْ تَسِحُّ عَوَادِيهَا، وَمِثْلِي -أَعَزَّكُمْ اللَّهُ- لَا يَغْضُ⁽⁴⁾
مِنْ قَدْرِ تُحَفَتِكُمُ الْحَافِلَةِ، وَلَا يَقْعُدُ مِنْ شُكْرِهَا عَنْ فَرِيضَةٍ وَلَا نَافِلَةٍ، وَلَكِنَّهَا دُعَابَةٌ مُعْتَادَةٌ، وَفُكَاهَةٌ
أَصْدَرْتُهَا وَدَادَةٌ، وَلَا أَشْكُ أَنَّكُمْ بِمَا جُبِلْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِي قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَإِيَّارِي الَّذِي صَبَّرْتُمُوهُ
سَمَرًا وَحَدِيثًا، تَهْدِرُونَ جَفَائِي فِي جَنْبِ وَقَائِي وَتَغْضُونَ وَتَتَحَمَّلُونَ⁽⁵⁾، وَبِقَوْلِ الشَّاعِرِ
تَتَمَثَّلُونَ:

1- ديوان أبي تمام، من الكامل.

2- "الأكلة" بالفتح الشاة تسمن وتعزل لتذبح وليست بسائمة فهي من كرائم المال "المصباح المنير / أكل، ص: 7

3- "أحسبني: كفاني" أساس البلاغة / حسب، 188 / 1

4- م: "يفض" وهو تحريف.

5- م: "تتجلون". وهو تحريف.

وَأَسْمَعُ مِنْ أَلْفَاظِهِ اللُّغَةِ الَّتِي يَلِدُ بِهَا سَمْعِي وَإِنْ ضُمِّنَتْ

شَتْمِي⁽¹⁾

وهي طويلة.

¹ - شرح ديوان المتنبي، الواحدي: 67 / 1. يمدح الحسين بن إسحاق التتوخي، شرح ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ص:

وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي مِمَّا خَاطَبْتُ بِهَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْيَتِيمَ بِمَا نَصَّهُ⁽¹⁾

يَا سَيِّدِي الَّذِي إِذَا رَفَعْتُ رَايَةً ثَنَائِهِ⁽²⁾ تَلَقَّيْتُهَا بِالْيَدَيْنِ، وَإِذَا قَسَمْتُ سِهَامَ وِدَادِهِ عَلَى ذَوِي
اعْتِقَادِهِ كُنْتُ صَاحِبَ الْفَرِيضَةِ وَالذِّينِ، دَامَ بَقَاؤُكَ، لَطْرَفَةِ ثُبْدِيهَا، وَغَرِيْبَةِ تُرْدِفُهَا بِأُخْرَى تَلِيهَا،
وَعَقِيلَةِ بَانَ تَجَلِّيَهَا، وَنَفْسٍ أَخَذَ الْحُزْنَ بِكَظْمِهَا، وَكَلَّفَ الدَّهْرُ بِشَتَّ نَظْمِهَا، تُؤْنِسُهَا وَتُسَلِّيَهَا، لَمْ أَزَلْ
-أَعَزَّكَ اللَّهُ- أَشَدُّ عَلَى بَدَائِعِكَ يَدَ الضَّئِنِ، وَأَفْتَتِي دُرَرَ كَلَامِكَ، وَنَفَثَاتِ أَفْلَامِكَ، افْتِتَاءَ الدُّرِّ
النَّمِينِ، وَالْأَيَّامُ بِلِقَاكَ تَعِدُ، وَلَا تُسْعِدُ.

وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ انْتَالَتْ عَلَيَّ سَمَاوُكَ بَعْدَ قَحْطٍ، وَتَوَالَتْ لَدَيَّ الْأَوُكُ عَلَى شَحْطٍ، وَرَارْتَنِي مِنْ
عَقَائِلِ بَنَانِكَ، كُلُّ فَاتِنَةِ الطَّرْفِ، عَاطِرَةِ الْعُرْفِ، [رَافِلَةٍ فِي حُلِّ الْبَيَانِ وَالطَّرْفِ]⁽³⁾ لَوْ ضُرِبَتْ
بُيُوتُهَا بِالْحِجَازِ⁽⁴⁾، لَأَقَرَّتْ لَهَا الْعَرَبُ الْعَارِيَةَ بِالْإِعْجَازِ، مَا شِئْتَ مِنْ رَصْفِ الْمَبْنَى، وَمُطَاوَعَةِ
الْلَفْظِ الْمَعْنَى، وَطِيبِ الْأُسْلُوبِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْقُلُوبِ. غَيْرَ أَنَّ سَيِّدِي أَفْرَطَ فِي التَّنَزُّلِ، وَخَلَطَ الْمُخَاطَبَةَ
بِالتَّعْزُّلِ، وَرَاجَعَ الْإِلْتِقَاتِ، وَرَامَ اسْتِدْرَاكَ مَا فَاتَ. يَرْحَمُ اللَّهُ شَاعِرَ الْمَعَرَّةِ⁽⁵⁾، فَلَقَدْ أَجَادَ فِي قَوْلِهِ،
وَأَنْكَرَ مُنَاجَاةَ الشَّوْقِ بَعْدَ انْصِرَامِ حَوْلِهِ فَقَالَ:

¹ - هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي العبدري المالقي المعروف باليتيم، وقد قام بتحليلها الأستاذ عبد الله كنون، مجلة البحث العلمي، ع 2، س 1، 1964م.

² - أخذ هذا من قول الشماخ بن ضرار في عرابة الأوسي: الوافر
إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاها عَرَابَةً بِالْيَمِينِ

الشعر والشعراء ص: 235

³ - أ، ساقط والمثبت من م.

⁴ - الحجاز: "بالكسر، وآخره زاي، جبل ممتد حال بين العُورِ غُورِ تهامة ونجد فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر" معجم البلدان: 2/ 218

⁵ - أي أبو العلاء المعري.

أَبْعَدَ حَوْلِ تَنَاجِي الشَّوْقِ (1) نَاجِيَةً هَلَّا وَنَحْنُ عَلَى عَشْرِ مِنَ الْعَشْرِ (2)

وَقَدْ تَجَاوَزْتُ فِي الْأَمَدِ، وَأُنْسِيْتُ أَخْبَارَ صَاحِبِكَ عَبْدِ الصَّمَدِ، فَأُقْسِمُ بِالْفَاتِ الْقُدُودِ، وَهَمَزَاتِ
الْجُفُونِ السُّودِ، وَحَامِلِي الْأَرْوَاحِ مَعَ الْأَلْوَاكِ، بِالْغُدُوِّ وَالرَّوَاكِ لَوْلَا بُعْدُ مَزَارِكَ، مَا أَمِنْتُ غَائِلَةَ مَا
تَحْتَ إِزَارِكَ، ثُمَّ إِنِّي حَقَّقْتُ الْغَرَضَ، وَبَحَثْتُ عَنِ الْمَشْكِلِ الَّذِي عَرَضَ، فَقُلْتُ لِلْخَوَاطِرِ انْشِغَالٌ (3)،
وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَتَخْتَلِفُ الْحَوَائِجُ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ، ثُمَّ رَفَعَ اللَّبَسَ خَبِرُ النَّقَاتِ، وَمِنْهَا تَعَرَّفْتُ مَا
كَانَ مِنْ مُرَاجَعَةِ سَيِّدِي لِحِرْفَةِ التَّكْتِيبِ وَالتَّعْلِيمِ، وَالْحَنِينِ إِلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، فَسُرِرْتُ بِاسْتِقَامَةِ حَالِهِ،
وَفَضْلِ مَالِهِ، وَإِنْ لَاحَظَ الْمُلَاحِظُ، مَا قَالَ الْجَاحِظُ فَاعْتِرَاضٌ لَا يُرَدُّ، وَقِيَاسٌ لَا يُطَرَّدُ.

حَبَّذَا - وَاللَّهِ - عَيْشُ أَهْلِ التَّأْدِيبِ، فَلَا بِالضَّنْكِ وَلَا بِالْجَدِيبِ، مُعَاهَدَةُ الْإِحْسَانِ، وَمُشَاهَدَةُ
الصُّورِ الْحِسَانِ. يَمِينًا إِنَّ الْمُعَلِّمِينَ لَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ مِنْهُمْ كُلَّمَا حَضَرْتُ (4) عَلَى
الْمَكَاتِبِ، أَدَاءً (5) فَوْقَ الْمَرَاتِبِ، مِنْ كُلِّ مُبْطِرٍ (6) الدَّرَةِ (7)، مُنْقَطِبِ الْأَسْرَةِ، مُتَمَرِّمٍ لِلْوَارِدِ تَنْمَرُ
الْهَرَّةِ (8)، يَغْدُو إِلَى مَكْتَبِهِ، كَالْأَمِيرِ فِي مَوْكِهِ، حَتَّى إِذَا اسْتَقَرَّ فِي فَرْشِهِ، وَاسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ،
وَتَرْتَمَ بِتِلَاوَةِ قَالُونِهِ وَوَرَشِهِ، أَظْهَرَ لِلْخَلْقِ احْتِقَارًا، وَأَزْرَى بِالْجِبَالِ وَقَارًا، وَرَفَعَتْ إِلَيْهِ الْخُصُومُ،

1- في النسخ: "النفس" وفي ديوان المعري: "الشوق"

2- البيت من قصيدة لأبي العلاء المعري مطلعها:

يَا سَاهِرَ الْبَرْقِ أَيْقِظْ رَافِدَ السَّمْرِ لَعَلَّ بِالْجَزَعِ أَغَوَانَا عَلَى السَّهْرِ

3- م: "انتقال" وكلاهما صحيح.

4- م: "خطرت" وهو تصحيف.

5- م: "الأمرء" ولعل الصواب ما أثبت.

6- م: "مسطر" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت، "البطر هو مجاوزة الحد في المرح وخفة النشاط والزعل" أساس البلاغة /

بطر، 65/1

7- "الدرة بالفتح المرة وبالكسر هيئة الدر (اللبن) وكثرته: المصباح المنير / درر، ص: 73

8- أ، ق، ع: "المبرة". والمثبت من م.

وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ الظَّالِمُ وَالْمَظْلُومُ، فَتَقُولُ كِسْرَى فِي إِيْوَانِهِ وَالرَّشِيدَ فِي زَمَانِهِ، أَوْ الْحَجَّاجَ بَيْنَ أَعْوَانِهِ.

فَإِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْبَدْرِ السَّرَّارُ⁽¹⁾، وَتَبَيَّنَ لِلشَّهْرِ⁽²⁾ الْفِرَارُ، تَحَرَّكَ لِلخَرْجِ تَحَرُّكُ الْمَرِدِ إِلَى الْفَرَجِ. أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَى سَيِّدِي سَمَاعُهُ، وَتَشْمِئُزُ مِنْ ذِكْرِهِ طِبَاعُهُ، شَيْمُ اللِّسَانِ خَلَطُ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْغَفْلَةُ مِنْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ. فَأَيُّ عَيْشٍ كَهَذَا الْعَيْشِ؟ وَكَيْفَ حَالُ أَمِيرِ هَذَا الْجَيْشِ؟ طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ⁽³⁾، وَوُجُوهٌ إِلَيْهِ مَصْرُوفَةٌ. فَإِنْ أَشَارَ بِالْإِنْصَاتِ، لِيَتَحَقَّقِ⁽⁴⁾ الْعُصَّاتِ، فَكَأَنَّمَا طَمَسَ عَلَى الْأَفْوَاهِ، وَلَاءَمَ بَيْنَ الشُّفَاهِ. وَإِنْ أَمَرَ بِالْإِفْصَاحِ وَتِلَاوَةِ الْأَوَاحِ، عَلَا الضَّجِيجُ وَالْعَجِيجُ⁽⁵⁾، وَحَفَّ بِهِ كَمَا حَفَّ بِالْبَيْتِ الْحَجِيجُ، وَكَمْ بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ رَشْوَةٍ تُدَسُّ، وَغَمْرَةٍ⁽⁶⁾ لَا تُحَسُّ، وَوَعْدٍ يُسْتَنْجَرُ، وَحَاجَةٍ تُسْتَعَجَلُ وَتُجَهَّزُ.

هَذَا اللَّهُ سَيِّدِي مَا خَوَّلَهُ، وَأَنَسَاهُ بِطِيبِ أَخْرَاهُ أَوَّلَهُ. وَقَدْ بَعَثْتُ بِدُعَابَتِي هَذِهِ، مَعَ إِجْلَالِ قَدْرِهِ، وَالنَّقَّةِ بِسَعَةِ صَدْرِهِ، فَلْيَتَلَقَّهَا بِبَيْمِينِهِ، وَيَفْسَحْ لَهَا فِي الْمَرْتَبَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَدِينِهِ، وَيُفْرِغْ لِمُرَاجَعَتِهَا وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِهِ، عَمَلًا بِمُقْتَضَى دِينِهِ، وَفَضْلٍ يَقِينِهِ. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

1- "السَّرَّارُ وَالسَّرَّارُ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَسْتَسِرُّ فِيهَا الْقَمَرُ" لِسَانِ الْعَرَبِ / سِرَر، 7 / 166. أَيْ يَخْتَفِي.

2- أ، ق، ع "اللسمر". والمثبت من م. كناية عن انتهاء الشهر.
3- قَالَ تَعَالَى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُؤْمَرَنَّ بِأَمْرٍ لَنُخْرِجَنَّ عَنْ أَهْلِ الْيَمِينِ مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} سُورَةُ النُّورِ، الْآيَةُ: 53

4- م: "التحقيق" ولعل الصواب ما أثبت.

5- "عجا وعجيجا رفع صوته بالتلبية وأفضل الحج العج والشج" المصباح المنير / عجاج، ص: 149

6- م: "غمرة" وهو تصحيف.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ أَحَدَ الْمُنتَحِلِينَ لِصَنْعَةِ الْحِجَامَةِ

يَا أَحْمَدُ، أَتَقَاكَ اللَّهَ لِذِكْرِ نُقْطَةٍ⁽¹⁾ وَوَرَمِ نُبْطَةٍ⁽²⁾، وَدَمِ تُمِيلَةٍ، وَرَأْسٍ سَمَا بِهِ الْكِبَرُ تُمِيلُهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَدَيْكَ حَالُ الثَّرْوَةِ، وَيَجْتَمَعَ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ الشُّعُورِ مِثْلُ مَا يَجْتَمِعُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ⁽³⁾. مَا هَذِهِ الْغَيْبَةُ، الَّتِي أَسَأَلْتُ مِنْ صَبِيئِكَ الْقَوَارِبَ، وَأَطَالَتُ مِنْ مُعَامَلِيكَ اللَّمَمَ وَالشَّوَارِبَ، وَتَرَكْتُ مَنْ كَانَ يَحُومُ عَلَى دُكَّانِكَ، وَيُنْفِقُ سِلْعَتَهُ فِي مَكَانِكَ، كَأَسَدِ السُّوقِ، يُعِيدُ الْعَهْدَ بِالْفُسُوقِ؟ إِنَّ مِنْ عَنَانِكَ، وَالْأَنْ لِمَنْ خَلَقَكَ قَاسِي جَنَانِكَ، وَارِثَ لِحْدُودٍ كُنْتَ حَاصِدَ نَبَاتِهَا، وَمُتَقَيِّئَ جَنَاتِهَا، فَقَدْ طَغَى بِهَا الْأَسُّ عَلَى الْوَرْدِ، وَلَبِسَتْ مِنْ خِلْعَاتِ الْعِدَارِ كُلَّ مُحْكَمَةِ السَّرْدِ.

فَبِلُطَافَةِ شَمَائِلِكَ، وَطِيبِ خَمَائِلِكَ⁽⁴⁾، إِلَّا مَا أَخَذْتَ فِي الْإِيَابِ، وَأَدْلَجْتَ إِدْلَاجَ الذِّيَابِ⁽⁵⁾. فَقَدْ طَالَ الْأَمَدُ، وَعَظُمَ عَلَى حَمَلَتِكَ الْعَاشِقَةِ الْكَمَدُ. وَاسْتَصْحَبَ مَا رَسَمْتُ لَكَ [مِنَ الْفَخَارِ]⁽⁶⁾ وَغَيْرِهِ، وَخُذْ فِي الْقُدُومِ، وَحُثِّ مَنْ سِيرِهِ، وَإِنَّهُ سَلَامِي مَنِ اسْتَسْقَيْتُ سُحْبَ خَيْرِهِ، وَتَيَمَّنْتُ بِسَعَادَةِ طَيْرِهِ، وَصَلَّ اللَّهُ عَلَاءَهُ، وَأَجَزَلَ لَدَيْهِ آلَاءَهُ وَالسَّلَامُ.

1- م: "تعظه". ولعل الصواب ما أثبت، "قَطَّ القلم نحته وسواه" أساس البلاغة / قطط: 87 / 2

2- "بَطَّ الْقَرْحَةُ بِالْمِبْطِ وَهُوَ الْمِبْضَعُ" أساس البلاغة / بطط: 65 / 1

3- الصفا والمروة: "جبلان بين بطحاء مكة والمسجد، أما الصفا فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة" معجم البلدان: 411 / 3

4- م: "حماملك". وهو تصحيف.

5- "الذياب تخفيف للذئاب" المصباح المنير / ذاب، ص: 81

6- أ: ساقط والمثبت من ق.

المَقَامَاتُ

مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ الْمُسَمَّى بِمَعْيَارِ الاختِيَارِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْفَرَدَتْ صِفَاتُهُ بِالإِشْتِمَالِ عَلَى أَشْتَاتِ الْكَمَالِ، وَالِاسْتِقْلَالِ بِأَعْبَاءِ الْجَلَالِ،
الْمُنَزَّهِ عَنِ اخْتِلَالِ الْحَالِ، الْمُتَّصِفَةِ الْخِلَالِ بِالاختِلَالِ، الْمُتَعَمِّدِ بِالسُّؤَالِ، لِصِلَةِ النَّوَالِ، جَاعِلِ
الْأَرْضَ كَسْكَانِهَا مُتَغَايِرَةَ الْأَحْوَالِ، بِاخْتِلَافِ الْعُرُوضِ وَالْأَطْوَالِ، مُتَّصِفَةً بِالْمَحَاسِنِ وَالْمَقَابِحِ، عِنْدَ
اعْتِبَارِ الْهَيْئَاتِ وَالْأَوْضَاعِ [وَالصَّنَائِعِ]¹ وَالْأَعْمَالِ، عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ.

فَمَنْ قَامَ خَيْرُهُ بِشَرِّهِ، دَخَلَ تَحْتَ خَطِّ الْإِعْتِدَالِ، وَمَنْ قَصُرَ خَيْرُهُ عَنْ شَرِّهِ كَانَ أَهْلًا لِلِاسْتِعَاذَةِ
بِهِ وَالِاسْتِنْدَالِ، وَمَنْ أَرَبَى خَيْرُهُ عَلَى شَرِّهِ، وَجَبَ² إِلَيْهِ شَدُّ الرَّحَالِ، وَالتَّمَسُّ بِقَصْدِهِ صَلَاحُ الْحَالِ.
وَكَثِيرًا مَا اغْتَبَطَ النَّاسُ بِأَوْطَانِهِمْ، فَحَصَلُوا فِي الْجِبَالِ عَلَى دَعَةِ الْبَالِ، وَفَازُوا فِي الرَّمَالِ بِالْأَمَالِ،
حِكْمَةً مِنْهُ فِي اعْتِبَارِ رُبْعِ الشَّمَالِ، وَتَفْيُؤِ³ أَكْنَافِهِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ، إِلَى أَنْ يَدْعُو بِأَهْلِ
الْأَرْضِ، لِمَوْقِفِ الْعَرَضِ وَالسُّؤَالِ، وَيُذْهِلُ عَنِ الْأَهْلِ⁴ عِظَمَ الْأَهْوَالِ.
وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، الَّذِي أَنْقَذَ بِدَعْوَتِهِ الْوَارِفَةَ الظَّلَالِ مِنَ الضَّلَالِ، وَجَاءَ
بِرَفْعِ الْأَغْلَالِ، وَتَمْيِيزِ الْحَرَامِ مِنَ الْحَلَالِ، وَالرِّضَا عَمَّنْ لَهُ مِنَ الصَّحْبِ وَالْأَلِ.
أَمَّا بَعْدُ؛ حَمْدُ⁵ السَّعْدِ، وَلَانَ الْجَعْدِ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ اتَّصَفَ بِالْإِحْسَانِ، وَإِبَانَةِ اللِّسَانِ، لَمَّا

- أ، م: ساقط، والزيادة من ع¹

- ع: "وجبت"²

- م: "تضيء" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت.³

- م: "الأمَل" ولعل الصواب ما أثبت.⁴

- أ، ق، م: "ساعدك" والمثبت من ع.⁵

كَانَ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ فَقِيرًا، نَبِيهَا كَانَ أَوْ حَقِيرًا؛ إِذْ مُؤْنُهُ الَّتِي تَصْلُحُ بِهَا حَالُهُ، لَا يَسَعُهَا انْتِحَالُهُ، لَزِمَ اجْتِمَاعُهُ وَاتِّتِلَافُهُ عَلَى سِيَاسَةٍ يُؤْمَنُ مَعَهَا اخْتِلَافُهُ، وَاتَّخَذَ مَدِينَةً يَقَرُّ بِهَا قَرَارُهُ، وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا رُكُونُهُ وَفِرَارُهُ، إِذَا رَابَهُ إِضْرَارُهُ، وَتُخَنَّرُنْ فِيهَا أَقْوَاتُهُ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ، وَيُحَاوِلُ مِنْهَا مَعَاشَهُ، الَّذِي بِهِ انْتِعَاشُهُ. فَإِنْ كَانَ اتَّخَذَهَا جُرَافًا وَاتِّفَاقًا، وَاجْتِرَاءً بِبَعْضِ الْمَرَافِقِ وَارْتِفَاقًا، تَجَاوَلَ¹ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، وَتَعَارَضَ نَفْعُهَا وَضَرُّهَا، وَفَضَّلَهَا فِي الْغَالِبِ غَيْرُهَا، وَإِنْ كَانَ عَنِ اخْتِيَارٍ وَتَحْكِيمٍ مَعْيَارٍ، وَتَأْسِيسٍ حَكِيمٍ، وَتَعْوِيزٍ لِلْعَقْلِ وَتَحْكِيمٍ، تَنَافَرَ إِلَى حُكْمِهَا لِلنَّفَرِ، وَاعْمَالَ السَّفَرِ، وَكَانَتْ مَسَاوِيئُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَحَاسِنِهَا تُعْتَفَرُ²، إِذْ وُجُودُ الْمَالِ فَاضِحٌ لِلْحَالِ³، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ فَضْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ
وَبِحَسَبِ ذَلِكَ، حَدَّثَ مَنْ يُعْنَى بِالْأَخْبَارِ يَنْقُلُهَا، وَالْحَكَمَ يَصْقُلُهَا، وَالْأَسْمَارِ يَنْتَقِبُهَا، وَالْآثَارِ
يُخَلِّدُهَا وَيُبْقِيهَا⁴، وَالْمَجَالِسِ يَأْخُذُ صُدُورَهَا، وَالْآفَاقِ يَشِيمُ⁵ شُمُوسَهَا وَبُدُورَهَا، وَالْحُلَلِ يَعْرِفُ⁶ دُورَهَا،
وَيَأْكُلُ قُدُورَهَا، وَالطَّرَفَ يَهْدِيهَا، وَالْخَفِيَّاتِ يُبْدِيهَا⁷. وَقَدْ جَرَى ذِكْرُ تَفْضِيلِ الْبُلْدَانِ، وَذِكْرُ الْقَاصِي
وَالدَّانِي، وَمَزَايَا الْأَمَاكِينِ، وَخَصَائِصِ الْمَنَازِلِ وَالْمَسَاكِينِ، وَالْمَقَابِحِ وَالْمَحَاسِنِ، وَالطَّيِّبِ وَالْآسَنِ.
قَالَ: "ضَمَنِي اللَّيْلُ، وَقَدْ سَدَلَ الْمِسْحَ⁸ رَاهِبُهُ، وَأَنْتَهَبُ⁹ قُرْصَةَ الشَّمْسِ مِنْ يَدِ الْأَمْسِ نَاهِبُهُ،
وَذَلَفْتُ جُيُوشَهُ الْحَبَشِيَّةَ وَكَتَائِبُهُ، وَفَتَحْتُ الْأَزْهَارَ بِشَطِّ الْمَجَرَّةِ كَوَاكِبُهُ، وَجَنَحْتُ الطُّيُورَ إِلَى وَكُونِهَا،

- "جال الفرس في الميدان جولانا، وجالوا في الحرب جولة" أساس البلاغة / جول، 1 / 157¹

- م: "تفتقر" وهو تحريف.²

- أ، ق، م: "للآمال" والمثبت من ع.³

- م: "يبغيها" وهو تحريف.⁴

- "وشمت السيف: سللته وقربته" أساس البلاغة / شيم، 1 / 531. وفي هذا دلالة على علو المرتبة.⁵

- م: "بصرف"⁶

- م: "يبينها" وكلاهما صحيح.⁷

- م: "المسيح" ولعل الصواب ما أثبت، والمسح هو ثوب الراهب.⁸

- م: "وأشهب"⁹

وَأَنْتَشَرَتِ الطَّوْفَاتُ⁽¹⁾ بَعْدَ سُكُونِهَا، وَعَوِيَتِ الدَّنَابُ فَوْقَ هَضَابِهَا، وَلَوَحَتِ الْبُرُوقُ بِفَيْضِ عِضَابِهَا، وَبَاهَتِ² الْكَفُّ الْخَضِيبُ بِخِضَابِهَا، وَتَسَلَّلَتِ اللَّصُوصُ³ لَانْتِهَازِ فُرْصِهَا، وَخَرَجَتِ اللَّيُوثُ إِلَى قِسْمِهَا وَحَصَصِهَا، فِي مَنَاحٍ رَحْبٍ الْمُنْطَلَقِ، وَثِيقِ الْعَلَقِ، سَامِي السُّورِ، كَفِيلٍ بِحِفْظِ الْمَيْسُورِ، يَأْمَنُ بِهِ الدُّعْرُ خَائِفُهُ، وَتَدْفَعُ مَعَرَّةَ السَّمَاءِ سَقَائِفُهُ⁴. يَشْتَمِلُ عَلَى مَأْوَى الطَّرِيدِ، وَمِحْرَابِ الْمُرِيدِ، وَمَرَابِطِ حَيْلِ الْبَرِيدِ، وَمَكَاسِعِ⁽⁵⁾ الشَّيْطَانِ الْمُرِيدِ. ذِي قَيْمٍ، كَثِيرِ الْبَشَاشَةِ، لَطِيفِ الْحُشَاشَةِ، قَانِعٍ بِالْمُشَاشَةِ⁽⁶⁾. يَرُوحُ وَيَمْشِي، وَيَقِفُ عَلَى رَيْبِ⁷ الْأَعْيَانِ وَأَعْيَانِ الرَّيْبِ فَلَا يَشِي. بَرٌّ فَأَكْثَرُ، وَمَهْدٌ وَوَثَرٌ⁽⁸⁾، وَأَدْفًا وَدَثَرٌ، وَرَقَى بِسُورٍ اسْتَنْزَلَهُ فَأَثَرٌ.

فَلَمَّا أَرَحَتْ⁹ الْكُلْفَةَ¹⁰ وَأَقْضَمَتْ جَوَادِي الْعُلْفَةِ، وَأَعْجَبَتْني مِنْ رُفْقَاءِ الرُّفُقِ¹¹ الْأُلْفَةَ، رَمَقْتُ فِي بَعْضِ السَّقَائِفِ آمِنًا فِي زِيٍّ خَائِفٍ، وَشَيْخًا طَافَ مِنْهُ بِالْأَرْضِ طَائِفٌ، وَسَكَنَ حَتَّى الْيَمَامَةِ وَالطَّائِفِ، [جَنِيبَ عُكَازٍ]¹² وَمُثِيرَ شَيْبٍ أَثَبَتْ¹³ الْوَفْرَةَ، وَقَسِيَّ ضُلُوعٍ تُؤَثِّرُ بِالزَّفْرَةِ، حَكَمَ لَهُ بَيَاضُ الشَّيْبَةِ بِالْهَيْبَةِ، وَقَدْ دَارَ بِذِرَاعِهِ لِلْسُّبْحَةِ الرُّقْطَاءِ حَنْشٌ، كَمَا اخْتَلَطَ رُومٌ وَحَبَشٌ، وَإِلَى يَمِينِهِ دَلُوقٌ فَاهِقٌ¹⁴، وَعَنْ يَسَارِهِ تَلْمِيزٌ مُزَاهِقٌ، وَأَمَامَهُ حِمَارٌ نَاهِقٌ، وَهُوَ يَقُولُ:

- 1- "وامرأة طوافة على بيوت جاراتها" المصباح المنير / طوف، ص 144
- م: "باحث" وهو تحريف.²
- ع: "الصفوف" وهو تحريف.³
- أ، ق: "شقائقه" والمثبت من ع، م.⁴
- 5- "ضربه بيده أو برجله على دبره. وكسع الغلام الدوامة بالمكسع" أساس البلاغة / كسع، 2 / 135
- 6- "وهو في مُشاشة قومه: في مخهم وخيارهم" أساس البلاغة / مشش، 2 / 214
- م: "رتب" وهو تصحيف.⁷
- 8- "فراش وثير: وطيء، وقد وُثِرَ وَثَارَةً" أساس البلاغة / وثر، 2 / 319
- ع، م: "أرحت" وهو تصحيف.⁹
- م: "الكافة" وهو تحريف.¹⁰
- م: "المرفق" ولعل الصواب ما أثبت.¹¹
- أ: بياض، والمثبت من ع، م.¹²
- م: "أثبت"¹³
- م: "فاهق" ولعل الصواب ما أثبت، "فهق الحوض ملآن يفهق" أساس البلاغة / فهق، 2 / 42¹⁴

أَبَوْا أَنْ يَمْلُؤُنَا وَلَوْ أَنْ أُمْنَا تَلَاقي الَّذِي لَاقَوْهُ مِنَّا لَمَلَّتْ

هُمْ أَسْكُنُونَا فِي ظِلَالِ بُيُوتِهِمْ ظِلَالِ بُيُوتِ أَدْفَاتٍ وَأَكْنَتِ¹

حَتَّى إِذَا اطْمَأَنَّ حُلُولُهُ، وَأَصْحَبَ ذُلُولُهُ، وَتَوَدَّدَ إِلَى قِيَمِ الْخَازِنِ غُلُولُهُ²، وَاسْتَكْبَرَ لَمَّا جَاءَهُ بِمَا
يَهْوَاهُ رَسُولُهُ، اسْتَجْمَعَ قُوَّتُهُ وَاسْتَحْشَدَ، وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ وَأَشْدَدَ:

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ ذَهَابَ الشَّبَابِ كَمْ حَسْرَةٍ أَوْرَثَنِي وَاکْتِنَابِ

سَدَّ عَنِ اللَّذَاتِ بَابَ الصَّبَا فزَادَتِ الْأَشْجَانُ مِنْ كُلِّ بَابِ

وَعُرْبَةٌ طَالَتْ فَمَا تَنْتَهِي مَوْصُولَةُ الْيَوْمِ بِيَوْمِ الْحِسَابِ

وَشَرَّ نَفْسٍ كُلَّمَا هَمَلَجَتْ فِي الْغِيِّ لَمْ تَقْبَلْ خَطَامَ الْمَتَابِ

يَا رَبِّ شَفِّعْ فِي شَيْبِي وَلَا تَحْرِمْنِي الزُّلْفَى وَحُسْنَ الْمَاءِ

ثُمَّ أَنَّ، وَاللَّيْلُ قَدْ جَنَّ، فَلَمْ يَبْقَ [فِي الْقَوْمِ]³ إِلَّا مَنْ أَشْفَقَ وَحَنَّ، وَقَدْ هَزَّنَتْهُ أَرْيَحِيَّةٌ، عَلَى الدُّنْيَا

سَلَامٌ وَتَحِيَّةٌ. فَلَقَدْ نَلْنَا الْأَوْطَارَ، وَرَكِبْنَا الْأَخْطَارَ، وَأَبْعَدْنَا الْمَطَارَ، وَاخْتَرَقْنَا الْأَقْطَارَ، وَحَلَبْنَا⁴

الْأَشْطَارَ⁽⁵⁾.

فَقَالَ فَتَاهُ، وَقَدْ افْتَرَّتْ عَنِ الدَّرِّ شَفَنَاهُ مُسْتَثِيرًا لِشُجُونِهِ⁶، وَمُطْلِعًا نُجُومَ هَمِّهِ مِنْ دُجُونِهِ، وَمُدِلًّا

عَلَيْهِ بِمُجُونِهِ: "وَمَاذَا بَلَغَ الشَّيْخُ مِنْ أَمْرِهَا، أَوْ رَفَعَ مِنْ عَمَدِهَا، حَتَّى يُقْضَى مِنْهُ عَجَبٌ، أَوْ يُجَلَّى

- قاله الغنوي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 116 / 13¹

- م: "الحنان زغلولة" ولعل الصواب ما أثبت؛ "غل غلولا خان في المغنم وغيره" المصباح المنير / غل، ص 172²

- ع: ساقط³

- ع: "جلينا" وهو تصحيف.⁴

-⁵ حلب الدهر أشطره: جرب أموره خيرا وشراها.

- ع: "السجونه" وهو تصحيف.⁶

مِنْهُ مُحْتَجَبٌ؟ فَأَخَذَتْهُ حَمِيَّةُ الْحَفَاطِ لِهَذِهِ الْأَلْفَافِ، وَقَالَ: أَيُّ بُنْيٍّ أَوْ مِثْلِي مِنَ الْأَقْطَابِ يُخَاطَبُ
 بِهَذَا الْخِطَابِ؟ وَأَيُّمُ اللَّهِ لَقَدْ عَقَدْتُ الْحِلَقَ، وَلَبِسْتُ مِنَ الدَّهْرِ الْجَدِيدِ وَالْخَلْقَ، وَفَكَكْتُ الْعَلَقَ،
 وَأَبْعَدْتُ فِي الصَّفْوَةِ الطَّلَقَ⁽¹⁾، وَخُضْتُ الْمُثُونِ، وَصِدْتُ الضَّبَّ وَالثُّونَ، وَحَذَقْتُ الْفُنُونَ، وَقَهَرْتُ
 بَعْدَ سُلَيْمَانَ الْجُنُونَ، وَقَضَيْتُ الدُّيُونَ، وَمَرَضْتُ لِمَرَضِ الْعُيُونِ. وَرَكِبْتُ الْهَمَالِجَ، وَتَوَسَّدْتُ الرِّذَائِلَ
 وَالذَّمَالِجَ، وَرَكَّضْتُ الْفَارَهِ⁽²⁾، وَافْتَحَمْتُ الْمَكَارَةَ، وَجُبْتُ الْبِلَادَ، وَحَضَرْتُ الْجِلَادَ، وَأَقَمْتُ الْفِصْحَ⁽³⁾
 وَالْمِيلَادَ.

فَعُدْتُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَالصِّينِ، بِالْعَقْلِ الرَّصِينِ، وَحَذَقْتُ بِدَارِ قَسْطَنْطِينِ⁴ عِلْمَ⁵ اللَّطِينِ⁶،
 وَدُسْتُ مَدَارِسَ أَصْحَابِ الرِّوَاكِ، وَرَأَيْتُ غَارَ الْأَرْوَاحِ وَشَجَرَ الْوُفُوقِ، وَشَرَيْتُ حُلَّ الْيَمَنِ، بِبَخْسِ
 الثَّمَنِ، وَحَلَلْتُ مِنْ عَدَنِ حُلُولِ الرُّوحِ مِنَ الْبَدَنِ، وَنَظَرْتُ إِلَى قَرْنِ الْغَزَالَةِ لَمَّا شَدَنَ⁷، وَأَزْمَعْتُ عَنِ
 الْعِرَاقَيْنِ⁸ بِسُرَى الْفَيْنِ⁹، وَشَرَيْتُ مِنْ مَاءِ الرَّافِدَيْنِ¹⁰ بِالْيَدَيْنِ، وَصَلَّيْتُ بِمِحْرَابِ الدُّمَى¹¹ رَكْعَتَيْنِ،
 وَتَرَكْتُ الْأَثَرَ لِلْعَيْنِ. وَوَقَفْتُ حَيْثُ وَقَفَ الْحَكَمَانِ، وَتَقَابَلَ التُّرْكُمَانِ، وَأَخَذْتُ بِالْقُدْسِ، عَنِ الْحَبْرِ
 النَّدْسِ⁽¹²⁾، وَرَكِبْتُ الْوَلَايَا إِلَى بِلَادِ الْعَلَايَا، بَعْدَ أَنْ طُفْتُ بِالْبَيْتِ الشَّرِيفِ، وَحَصَلْتُ بِطَبِيبَةٍ¹³ عَلَى

1- "الطلق بفتح تين جري الفرس لا تحتبس إلى الغاية" المصباح المنير / طلق، ص 143

2- "الفاره الحاذق بالشيء". ويقال للبرذون والحمار فاره بين الفروهة والفراهة والفراشية" المصباح المنير/ فره، ص 179

3- "وأفصح النصارى أفطوا من الفصح وهو عيد لهم مثل عيد المسلمين وصومهم ثمانية وأربعون يوماً ويوم الأحد الكائن بعد ذلك هو العيد" م. م/ فصح، ص 180

- قسطنطين: "ملك من ملوك الروم، سميت حاضرة ملكه باسمه (القسطنطينية) وهي مدينة قديمة كانت مسورة بأسوار حصينة تبلغ المائة" معجم البلدان: 347 / 15⁴

- ع: "كتاب" ولعل الصواب ما أثبت.⁵

- كتاب اللطين: هو اللاتينية.⁶

- م: "شرق" وهو تحريف.⁷

- "والعراقان: الكوفة والبصرة" معجم البلدان: 93 / 4⁸

- أ، ق، م: "العين" والمثبت من ع.⁹

- "الرافدان: تثنية الرافد، وهو العطية والحباء: دجلة والفرات، وقيل البصرة والكوفة" معجم البلدان: 15 / 3¹⁰

- م: "الدملى"¹¹

¹²- "ورجل ندس: فطن، نقول: فلان عاقل ندس وأخوه غافل ندس" أساس البلاغة / ندس، 2 / 259

- "طبيبة: بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة وهو اسم لمدينة رسول الله، يقال لها طيبة وطابة" معجم البلدان: 53 / 3¹³

الْخَصْبِ وَالرَّيْفِ فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ، وَقَرَأْتُ بِإِخْمِيمٍ¹ عِلْمَ التَّصْرِيفِ، وَأَشْرَعْتُ فِي الْإِنْحِطَاطِ إِلَى
الْفُسْطَاطِ، وَالْمِصْرِ الرَّحِيبِ الْإِخْتِطَاطِ، وَسَكَنْتُ مَدِينَةَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ نَعَرَ الرِّبَاطِ، وَعَجَلْتُ بِالْمُرُورِ
إِلَى التَّكْرُورِ، فَبِعْتُ الظِّلَّ بِالْحَرُورِ

وَوَقَفْتُ بِأَشْبَانِيَّةٍ إِلَى الْهَيْكَلِ الْمُرُورِ، وَحَصَلْتُ بِإِفْرِيقِيَّةٍ عَلَى الرَّفْدِ غَيْرِ الْمَنْزُورِ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى
الْمَغْرِبِ انْحِدَارَ الشَّمْسِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَصَمَّمْتُ تَصْمِيمَ الْحُسَامِ الْمَاضِي الْمَضْرِبِ، وَرَابَطْتُ
بِالْأَنْدُلُسِ نَعَرَ الْإِسْلَامِ، وَأُعْلِمْتُ بِمَا تَحْتَ ظِلَالِ الْأَعْلَامِ، فَأَهَا وَاللَّهِ عَلَى عُمْرٍ مَضَى وَخَلَّفَ
مَضَضًا، وَزَمَنٍ انْقَضَى، وَشَمَلِ قَضَى اللَّهِ مِنْ تَفَرُّقِهِ بِمَا قَضَى. ثُمَّ أَجْهَشَ بِبُكَائِهِ، وَأَعْلَنَ بِاشْتِكَائِهِ،
وَأَنْشَدَ:

لَبِسْنَا فَلَمْ نُبَلِ الزَّمَانَ وَأَبْلَانَا يُتَابِعُ أَخْرَانَا عَلَى الْغِيِّ أُولَانَا
وَنَعْتُرُ بِالْأَمَالِ وَالْعُمْرُ يَنْقُضِي فَمَا كَانَ بِالرُّجْعَى إِلَى اللَّهِ أُولَانَا
وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَنْظُرَ الدَّهْرُ مَا عَسَى فَمَا انْقَادَ بِالزَّجْرِ الْحَثِيثِ وَلَا لَانَا
جَزَيْنَا صَنِيعَ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ فَلَمْ نَزَعْ مَا مِنْ سَابِقِ الْفَضْلِ أُولَانَا
فَيَا رَبِّ عَامِلْنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ الْعَفْوِ وَاجْبُرْ صَدْعَنَا أَنْتَ مَوْلَانَا
ثُمَّ قَالَ:

لَقَدْ مَاتَ إِخْوَانِي الصَّالِحُونَ فَمَا لِي صَدِيقٌ وَلَا لِي عِمَادُ
إِذَا أَقْبَلَ الصُّبْحُ وَلَّى السُّرُورُ وَإِنْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَلَّى الرُّقَادُ²

- ع: "إخميم". إخميم: "بالكسر، ثم السكون، وكسر الميم، وباء ساكنة، وميم أخرى: بلد بالصعيد في الإقليم الثاني، وهوبلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد" معجم البلدان: 1/ 123¹
- جحظة البرمكي، زهر الآداب وثمر الألباب، 1/ 400²

فَتَمَلَّكْتَنِي لَهُ رِقَّةً، وَهَزَّةً لِلتَّمَّاسِكِ مُسْتَرَقَّةً، فَهَجَمْتُ عَلَى مَضْجَعِهِ هُجُومًا أَنْكَرُهُ، وَرَاعَ صَفْوُهُ¹ وَعَكَّرُهُ،
وَعَطَّى بِفَضْلِ رَدْنِهِ⁽²⁾ سَكَّرُهُ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ، نَابٌ⁽³⁾ حَنَّتْ إِلَى حُورٍ⁴، وَعَرِيبٌ أَنْسَ
بِجُورٍ، وَحَائِرٌ اهْتَدَى بِمَنَارٍ⁵، وَمَقْرُورٌ⁽⁶⁾ قَصَدَ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ، وَطَارِقٌ لَا يَفْضَحُ عَيْبًا، وَلَا يَتَلَمَّ⁽⁷⁾
[غَيْبًا]⁸ وَلَا يُهْمِلُ شَيْبًا، وَلَا يَمْنَعُ⁹ سَيْبًا. وَمُنْتَابٌ يَكْسُو الْحُلَّةَ، وَيُحْسِنُ الْخُلَّةَ، وَيُفْرِغُ الْقُلَّةَ، وَيَمْلَأُ
الْعُلَّةَ¹⁰:

أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ⁽¹¹⁾

فَلَمَّا وَقَمَ¹² الْهَوَاجِسَ وَكَبَّتْهَا¹³، وَتَأَمَّلَ الْمَخِيلَةَ وَاسْتَنْبَتَهَا، تَبَسَّمَ لِمَا تَوَهَّمَ وَسَمَحَ،¹⁴ بَعْدَمَا
جَمَحَ، فَهَاجَ عَقِبَ مَا فَتَرَ، وَوَصَلَ مَا بَنَى، وَأَظْهَرَ مَا أَحْبَبَ¹⁵ تَحْتَ ثَوْبِهِ وَسَتَرَ، وَمَاجَ مِنْهُ الْبَحْرُ
الزَّائِحُ، وَأَتَى بِمَا لَا تَسْتَطِيعُهُ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ⁽¹⁶⁾. وَقَالَ: وَقَدْ رَكَّضَ الْفُنُونَ وَأَجَالَهَا، وَعَدَّدَ الْحِكَمَ
وَرَجَالَهَا، وَفَجَّرَ لِلْأَحَادِيثِ أَنْهَارَهَا، وَذَكَرَ الْبُلْدَانَ وَأَخْبَارَهَا:

وَلَقَدْ سَمِئْتُ مَا رِبِي فَكَانَ أَطْيَبَهَا خَبِيثُ

- ع: "شاءه"¹

² - "الردن هو الخز وقيل الحرير" أساس البلاغة / رذن، 1 / 348

³ - "الناب الأنثى المسنة من النوق وجمعها نيب وأنياب" المصباح المنير / نيب، ص 242

- م: "خوار" وهو تصحيف. الحوار ولد الناقة منذ أن يولد إلى أن يفطم.⁴

- م: "بنار" وهو تحريف.⁵

⁶ - "قَرَّ اليوم قرا برد والاسم القُرُّ" المصباح المنير / قرر، ص 189

⁷ - تلم فلانا في عرضه: طعنه فيه وأساء إلى سمعته.

- ع، م: ساقط.⁸

- م: "بمنع" وهو تصحيف.⁹

- أ: "القلة"، والمثبت من ع، م¹⁰

¹¹ - ديوان امرئ القيس.

- ع: "رقم" ولعل الصواب ما أثبت، "وقم الدابة: جذب عنانها ليُقَف منها" أساس البلاغة وقم، 2 / 351¹²

- ع: "كتبها" ولعل الصواب ما أثبت.¹³

- م: "سمع" ولعل الصواب ما أثبت، تشكيلا للسجع.¹⁴

- ع، م: "خبأ" وكلاهما صحيح.¹⁵

¹⁶ - قال المعري:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانَهُ لَا تِ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ
ديوان المعري،

إِلَّا الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثٌ¹

فَلَمَّا² ذَهَبَ الْحَجَلُ وَالْوَجَلُ، وَطَالَ الْمُرُوى وَالْمُرْتَجَلُ، وَتَوَسَّطَ الْوَاقِعُ، وَتَشَوَّفَتْ لِلنُّجُومِ الْمَوَاقِعُ، وَتَوَرَّدَتْ الْخُدُودُ الْفَوَاقِعُ³. قُلْتُ أَيُّهَا الْحَبْرُ، وَاللُّجُ الَّذِي لَا يَنَالُهُ السَّبْرُ: لَا حَبَبَكَ قَبْلَ عُمَرِ النَّهْيَةِ الْقَبْرِ، وَأَعْقَبَ كَسَرَ أَعْدَادِ عُمَرَكَ الْمُقَابَلَةَ بِالْقَبُولِ وَالْجَبْرِ، كَأَنَّ اللَّيْلَ قَدْ أَظْهَرَ لَوْشَكَ الرَّحِيلِ الْهَلْعَ، وَالْعَرَبُ الْجَشْعَ لِنُجُومِهِ قَدْ ابْتَلَعَ، وَمُفَرَّقُ الْأَحْبَابِ وَهُوَ الصُّبْحُ قَدْ طَلَعَ، فَأَوْلَنِي عَارِفَةً مِنْ مَعَارِفِكَ أَقْتَنِيهَا، وَاهْزُرْ لِي أَفْنَانَ حِكْمِكَ أَجْتَنِيهَا.

فَقَالَ: أَمَلٌ مُيسَّرٌ، وَمُجْمَلٌ يَحْتَاجُ أَنْ يُفَسَّرَ، فَأَوْضِحِ الْمُلْغَزَ، وَأَبِنِ الطَّلَا⁴ مِنَ الْبِرْعَزِ⁵، وَسَلِّ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَهُوَ أَجْدَى لَكَ. فَأَقْسِمُ لَا تَسْأَلْنِي عَنْ غَامِضٍ، وَخُلُوٍ أَوْ حَامِضٍ، إِلَّا أَوْسَعْتُهُ عِلْمًا وَبَيَانًا، وَأَرَيْنُكَ الْحَقَّ عِيَانًا.

قُلْتُ: صِفْ لِي الْبِلَادَ وَصِفًا لَا يَظْلُمُ مِثْقَالَ⁶، وَلَا يُعْمَلُ فِي غَيْرِ الصَّدَقِ وَخَدًا⁷ وَلَا إِرْقَالًا⁸، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا⁹، وَمَنْ أَحْسَنُ¹⁰ مِنَ اللَّهِ مَقَالًا.

قُلْتُ: انْفُضْ لِي الْبِلَادَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ مِنْ أَطْرَافِهَا، وَمَيِّزْ بِمِيزَانِ الْحَقِّ بَيْنَ اعْتِدَالِهَا وَانْحِرَافِهَا، ثُمَّ انْثُلْهَا بِالْبِلَادِ الْمَرِينِيَّةِ نَسْقًا، وَاجْلُ بِثُورِ بَيَانِكَ غَسَقًا.

- ديوان ابن الرومي، ص: 18. مجزوء الكامل.¹

م: "فقلت"²

م: "البواقع" وهو باقعة من البواقع: للكيس الداهي من الرجال" أساس البلاغة / بقع، 71 / 1³

- والطلا ولد الظبية والجمع أطلاء" المصباح المنير / طلى، ص 143⁴

- أ، ق، ع: "البرغر" والمثبت من م، ولعله الصواب، وهو ولد البقرة الوحشية.⁵

- قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} سورة النساء، الآية: 40⁶

- "جمل واخذ ووخاد واسع الخطو" أساس البلاغة / وخذ، 324 / 2⁷

- "ناقة مرقال، وأرقلت في سيرها: أسرع" أساس البلاغة / رقل، 377 / 1⁸

- قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ} سورة الأنعام، الآية: 152⁹

- ع: "أصدق". يقول تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} سورة النساء، الآية: 122¹⁰

وَهَاتِ مَا تَقُولُ فِي جَبَلِ الْفَتْحِ؟

قَالَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ مِنْ مُصْحَفِ ذَلِكَ الْإِفْلِيمِ، وَلَطِيفَةُ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، وَقَصَصُ الْمَهَارِقِ، وَأُفُقُ الْبَارِقِ، وَمَتَحَفُ هَذَا الْوَطَنِ الْمُبَايِنِ لِلْأَرْضِ الْمُفَارِقِ، بِأَهْلِ الْعَقِيقِ وَبَارِقِ، وَمَحَطُّ طَارِقِهَا بِالْفَتْحِ طَارِقِ، وَإِرَمَ الْبِلَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِيهَا¹، وَذُو الْمَنَاقِبِ الَّتِي لَا تَحْصُرُهَا الْأَلْسِنَةُ وَلَا تُوفِيهَا.

حَجَرَهُ² الْبَحْرُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا خَصْرٌ³، فَلَا يَنَالُهُ مِنْ غَيْرِ تِلْكَ الْفُرْصَةِ ضَيْقٌ⁴ وَلَا حَصْرٌ، وَأَطْلَ بِأَعْلَاهُ قَصْرٌ، وَأَظْلَهُ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ وَنَصْرٌ. سَاوَقَ سُورَةَ الْبَحْرِ فَأَعْيَاهُ، قَدْ تَهَلَّلَ بِالْكِلسِ مُحْيَاهُ، وَاسْتَقْبَلَ الثَّغَرَ الْغَرِيبَ فَحْيَاهُ، وَاطَّرَدَ صُنْعُ اللَّهِ فِيهِ مِنْ عَدُوٍّ يَكْفِيهِ، وَلُطْفٍ يُخْفِيهِ، وَدَاءٍ عُضَالٍ يَشْفِيهِ.

فَهُوَ خُلُوةُ الْعِبَادِ، وَمَقَامُ الْعَاكِفِ وَالْبَادِ، وَمَسْلَحَةُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَشِقَّةُ الْقُلُوبِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأَكْبَادِ. هَوَاؤُهُ صَحِيحٌ، وَثَرَاهُ بِالْخَزِينِ شَحِيحٌ⁵، وَتُجْرُ⁶ الرِّبَاطِ فِيهِ رَيْحٌ، وَحِمَاهُ لِلْمَالِ وَالْحَرَمِ غَيْرُ مُبِيحٍ، وَوَضْعُهُ الْحَسَنُ لَا يُشَانُ بِتَقْبِيحٍ. إِلَّا أَنَّهُ -وَاللَّهُ يَفْقِيهِ مِمَّا يَتَّقِيهِ- بَعِيدُ الْأَقْطَارِ، هَمَّازٌ⁷ بِالْقِطَارِ، كَثِيرُ الرِّيَّاحِ وَالْأَمْطَارِ. مُكْتَنِفٌ بِالرَّمْلِ الْمُخْلِفِ، وَالْجَوَارِ الْمُتَلَفِ. قَلِيلُ الْمُرَافِقِ، مَعْدُومُ الْمَشَاكِلِ وَالْمَوَاقِفِ⁸. هَزْلُ الْكُرَاعِ، لِعَدَمِ الْإِزْدِرَاعِ⁹، حَاسِرُ الذَّرَاعِ لِلْقِرَاعِ، مَرْتَزِقٌ مِنْ ظِلِّ الشَّرَاعِ.

- يقول تعالى: {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ} سورة الفجر، الآية: 8¹

- أ، ق، م: "حجره" بالراء بدل الزاي، والمثبت من ع.

- ع: "حصر" ولعل الصواب ما أثبت، "وأخذوا حَصْرَ الرمل ومخصره: أسفله وما رق منه" أساس البلاغة / خصر، 1/ 249³

- م: "منيق"⁴

- م: "سحيح" وهو تصحيف.

- م: "نجر" وهو تصحيف، ولعل الصواب ما أثبت.

- ع: "همار"، م: "هماز" ولعل الصواب ما أثبت؛ الهمار هو السحاب السيل.

- م: "المرافق" بالراء بدل الواو. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لا تحدث فيها المواقف التي تثير المشاكل.

- "أزدرع حرث، والمزدرع المزرعة" المصباح المنير/ زرع، 1/ 96⁹

كُورَةُ دَبْرٍ، وَمُعْتَكَفُ أَزَلٍ وَصَبْرٍ، وَسَاكِنُهُ حَيٍّ فِي قَبْرِ:

هُوَ الْبَابُ إِنْ كَانَ التَّزَاوُرُ لِلْقِيَا وَغَوَتْ وَغَيْتُ لِلضَّرِيحِ وَلِلْسُفْيَا

فَإِنْ تَطَرَّقَ الْأَيَّامُ فِيهِ بِحَادِثٍ وَأَعَزَّ بِهِ قُلْنَا السَّلَامَ عَلَى الدُّنْيَا

قُلْتُ: فَاسْطَبُونَةَ¹؟

قَالَ: عَفَا² رَسْمُهَا، وَبَقِيَ اسْمُهَا وَكَانَتْ مَطْنَةً النَّعَمِ الْغَزِيرَةِ، قَبْلَ حَادِثَةِ الْجَزِيرَةِ.

قُلْتُ: فَمَرْبَلَةٌ³؟

قَالَ: بَلَدُ التَّائِدِينَ عَلَى السَّرْدِينَ، وَمَحَلُّ الدُّعَاءِ وَالتَّأْمِينِ، لِمَطْعَمِ الْحَوْتِ السَّمِينِ، وَحَدَقَاتِهَا⁴

مَغْرَسُ الْعِنَبِ الْعَدِيمِ⁵ الْقَرِينِ إِلَى قُبَّةِ أَرِينِ⁶، إِلَّا أَنَّ مَرْسَاهَا غَيْرُ أَمِينٍ، وَعَقَارُهَا غَيْرُ ثَمِينٍ،

وَمَعْقَلُهَا تَرْكَبُهُ الْأَرْضُ مِنْ عَن شِمَالٍ وَيَمِينٍ.

قُلْتُ: فَسُهَيْلٌ⁷؟

قَالَ: حِصْنٌ حَصِينٌ، يَضِيقُ عَنْ مِثْلِهِ هُنْدٌ وَصِينٌ، وَيَقْضِي بِفَضْلِهِ كُلُّ ذِي عَقْلٍ رَصِينٌ،

سَبَبُ عِزِّهِ مَتِينٌ، وَمَادَّةُ قُوَّتِهِ شَعِيرٌ وَتِينٌ. قَدْ عَلِمَ أَهْلُهُ مَشْرَبَهُمْ⁸، وَأَمِنُوا مَهْرَبَهُمْ، وَأُسْهَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ

قُرَاهُ، مَائِلَةٌ بِحَيْثُ يَرَاهُ.

-أسطبونة: بلدة تقع غرب مالقة، على شاطئ البحر المتوسط، معيار الاختيار، ص: 83.¹

-ع: "محا" ولعل الصواب ما أثبت.²

-مربله: مدينة متوسطة، تقع غرب مالقة، على مسافة 60 كم منها، معيار الاختيار، ص: 85.³

-م: "حد ذاتها" ولعل الصواب ما أثبت.⁴

-م: "القديم" ولعل الصواب ما أثبت، أي لا مثيل له.⁵

- "فيه أرْن أي مرح" أساس البلاغة / أرْن، 1/ 25.⁶

- سهيل: "جبل سهيل بالأندلس من أعمال رية، لا يرى سهيل في شيء من أعمال الأندلس إلا فيه. ووادي سهيل أيضا بالأندلس من كورة مالقة فيه قرى، من إحدى هذه القرى عبد الرحمان السهيلي مصنف شرح السيرة المسمى بالروض الأنف" معجم البلدان، 3/ 291.⁷

- قال تعالى: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} سورة البقرة، الآية: 60.⁸

وَجَادَ بِالسَّمَكِ وَادِيهِ، وَبِالْحَبِّ نَرَاهُ، وَعَرِفَ شَأْنَهُ بِأَرْضِ الثُّوبِ¹ وَمِنْهُ يَظْهَرُ سُهَيْلٌ مِنْ كَوَاكِبِ
الْجَنُوبِ، إِلَّا أَنَّ سَوَاحِلَهُ قُلُ الْغَارَةِ الْبَحْرِيَّةِ، وَمَهْبِطُ السَّرِيَّةِ غَيْرِ السَّرِيَّةِ، الْخَلِيقَةُ بِالْحَدَرِ الْحَرِيَّةِ،
مَسْرَحُ السَّائِمَةِ الْأَمِيرِيَّةِ، وَخُدَامُهَا كَمَا عَلِمْتَ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ².

قُلْتُ: فَمَدِينَةُ مَالِقَةَ؟

قَالَ: وَمَا الْقَوْلُ فِي الدَّرَةِ الْوَسِيطَةِ، وَفِرْدَوْسِ هَذِهِ الْبَسِيطَةِ؟ أَشْهَدُ لَوْ كَانَتْ سُورَةٌ لَعَرِقتُ بِهَا
حَدَقَةَ الْإِطْعَامِ، أَوْ يَوْمًا لَكَانَتْ عِيدًا فِي الْعَامِ، تَبْعَتْ لَهَا بِالسَّلَامِ مَدِينَةُ السَّلَامِ، وَتُلْقِي لَهَا يَدَ
الْإِسْتِسْلَامِ مَحَاسِنُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ.

أَيُّ دَارٍ، وَقُطْبُ مَدَارٍ، وَهَالَةُ إِبْدَارٍ، وَكَنْزٌ تَحْتَ جِدَارٍ³، قَصَبَتْهَا مُضَاعَفَةُ الْأَسْوَارِ، مُصَاحِبَةٌ
لِلسَّيْنِ، مُخَالَفَةٌ لِلْأَدْوَارِ. قَدْ بَرَزَتْ فِي أَكْمَلِ الْأَوْضَاعِ، وَأَجْمَلِ الْأَطْوَارِ. كُرْسِيُّ مُلْكٍ عَتِيقٍ، وَمَدْرَجُ
مِسْكِ فَنِيْقٍ، وَإِيْوَانُ أَكَاسِرَةٍ، وَمَرْقَبُ عُقَابٍ كَاسِرَةٍ، وَمَجْلَى فَاتِنَةٍ حَاسِرَةٍ، وَصَفْقَةُ غَيْرِ خَاسِرَةٍ.
فَحِمَاهَا مَنِيْعٌ حَرِيْزٌ، وَدِيْوَانُهَا ذَهَبٌ إِبْرِيْزٌ، وَمَذْهَبٌ فَخَارٌ هَالَهُ عَلَى الْأَمَاكِنِ تَبْرِيزٌ إِلَى مَدِينَةِ
تَبْرِيزٍ⁴، وَحُلُلٌ بَدَائِعُهَا بِالْبَدَائِعِ ذَاتُ تَطْرِيزٍ. اضْطَبَّنَتْ⁵ دَارَ الْأُسْطُولِ، وَسَاوَقَتْ⁶ الْبَحْرَ بِالْطُّوْلِ،
وَأَسْنَدَتْ إِلَى جَبَلِ الرَّحْمَةِ ظَهْرَهَا، وَاسْتَقْبَلَتْ مَلْعَبَهَا وَنَهْرَهَا، وَنَشَقَتْ وَرْدَهَا الْأَرِيْجَ⁷ وَزَهْرَهَا، وَعَرَفَتْ

- م: "النوبة" ¹

- قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} سورة البينة، الآية: 6 ²
- قال تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا
وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} سورة الكهف، الآية: 82 ³
- تبريز: "أشهر مدن أذربيجان، وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة... وكانت تبريز قرية حتى نزلها الرواد الأزدي
المتغلب على أذربيجان في أيام المتوكل، ثم إن الوجناء بن الرواد بنى بها هو وإخوته قصورا وحصنها بسور، فنزلها معه" معجم
البلدان، 13 / 2 ⁴
- اضطبنت أي احتضنت. ⁵

- م: "ساويت" ولعل الصواب ما أثبت؛ "يساوقه يقاوده" أساس البلاغة / سوق، 1 / 484 ⁶
- ع، م: "الأرج" ولعل الصواب ما أثبت، أي وردها ذو الرائحة الطيبة. ⁷

قَدَرَهَا فَأَغْلَتْ مَهْرَهَا، وَفَتَحَتْ جَفْنَهَا عَلَى الْجَفْنِ غَيْرِ الْغَضِيضِ، وَالْعَالَمِ الثَّانِي مَا بَيْنَ الْأَوْجِ إِلَى
الْحَضِيضِ.

دَارُ الْعَجَائِبِ الْمَصْنُوعَةِ، وَالْفَوَاكِهِ غَيْرِ الْمَقْطُوعَةِ وَلَا الْمَمْنُوعَةِ؛ حَيْثُ الْأَوَانِي تُلْقِي لَهَا يَدَ
الْغَلَبِ، صَنَائِعُ¹ حَلَبٍ، وَالْحُلُلُ الَّتِي تُلْحُ² صُنْعًا فِيهَا بِالطَّلَبِ، وَتَدْعُو إِلَى الْجَلَبِ، إِلَى الدَّسْتِ³
الرَّهِيْفِ ذِي الْوَرَقِ الْهَيْفِ. وَكَفَى بِرُمَانِهَا حِقَاقُ⁴ يَاقُوتٍ، وَأَمِيرَ قُوتٍ⁵، وَزَائِرًا غَيْرَ مَمْقُوتٍ، إِلَى
الْمُؤَاسَاةِ، وَتَعَدُّدِ الْأَسَاةِ، وَإِطْعَامِ الْجَائِعِ، وَالْمُسَاهَمَةِ فِي الْفَجَائِعِ.

وَأَيُّ خُلُقٍ أَسْرَى⁶ مِنْ اسْتِخْلَاصِ الْأَسْرَى، تَبَزَّرُ مِنْهُمْ الْمُخَدَّرَةُ⁷ حَسْرَى، سَامِحَةً بِسَوَارِيهَا، وَلَوْ
كَانَا سِوَارِي كِسْرَى، إِلَى الْمَقْبَرَةِ الَّتِي تَسْرُحُ بِهَا الْعَيْنُ، وَيُسْتَهَانُ فِي تَرْوِيضِ رَوْضَاتِهَا الْعَيْنُ⁸، إِلَى
غُلْلِهَا الْمُحْكَمَةِ الْبُنْيَانِ، الْمَاتِلَةِ كُنُجُومِ السَّمَاءِ لِلْعِيَانِ، وَافْتِرَاضُ سَكْنَاهَا -أَوَانَ الْعَصِيرِ⁹ - عَلَى
الْأَعْيَانِ، وَوُفُورُ أُولِي الْمَعَارِفِ وَالْأَدْيَانِ:

وَإِنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا¹⁰

وَعَلَى ذَلِكَ فَطِيبُهَا يَشْفَى بِهِ قَطِيبُهَا، وَأَزْيَالُهَا تَحْيَى بِهَا سِبَالُهَا¹¹، وَسُرُوبُهَا يُسْتَمَدُّ مِنْهَا

- م: "ضائع" وهو تحريف.¹

- م: "تلج" وهو تصحيف.²

- "حسن الدست: أي شطرنجي حاذق" أساس البلاغة / دست، 285/1³

- "الحق بالكسر من الإبل ما طعن في السنة الرابعة والجمع حقاق" المصباح المنير / حقق، ص 56. كناية عن كبر حجمها.⁴

- م: "قوت" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت.⁵

- أ، ق: "انبرى" والمثبت من ع، م. ولعله الصواب، أي تحرير الأسرى من أرفع ما يقوم به المرء.⁶

- "جارية مخدرة، وقد خدرها أهلها وأخدروها وتخدرت" أساس البلاغة / خدر، 233 / 1⁷

- "وفي الميزان عين أي ميل" أساس البلاغة / عين، 691 / 1⁸

- م: "العصر"⁹

- شرح ديوان حسان بن ثابت، عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1410هـ / 1990، ص: 345¹⁰

- "جاؤوني وقد نشروا سبيلهم أي متوعدين" أساس البلاغة / سبل، 436 / 1¹¹

مَشْرُوبُهَا. فَسَحْنُهَا¹ مُتَغَيِّرَةٌ، وَكَوَائِبُ أَذْهَانِهَا² النَّيِّرَةُ مُتَحَيِّرَةٌ، وَأَقْطَارُهَا جِدٌّ شَاسِعَةٌ، وَأَرْقَتُهَا حَرَجَةٌ
غَيْرُ وَاسِعَةٍ، وَأَبَارُهَا تُفْسِدُهَا أَدْبَارُهَا، وَطَعَامُهَا لَا يَقْبَلُ الْإِحْتِرَازَ، وَلَا يَحْفَظُ الْوِزَانَ، وَفَقِيرُهَا لَا يَقَارِقُ
الْأَحْزَانَ، وَجُوعُهَا يُنْفَى بِهِ هُجُوعُهَا. تَحْتُّ عَلَى الْأَمْوَاجِ أَقْوَانُهَا، وَتَعْلُو عَلَى الْمَوَازِينِ غَيْرِ الْقِسْطِ
أَصْوَاتُهَا.

وَأَرْحِيئُهَا تَطَرُّفُهَا النَّوَائِبُ، وَتُصِيبُ أَهْدَافَهَا السَّهَامُ الصَّوَائِبُ، وَتُعَدِّلُهَا الْجَنَائِبُ، وَتُسْتَخْدَمُ فِيهَا
الصَّبَا وَالْجَنَائِبُ. وَدِيَارُهَا الْآهَلَةُ قَدْ صُمَّ بِالْزَّرَائِلِ صَدَاهَا، وَأَصْبَحَتْ بِلَاقِعَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهَا. وَعَيْنُ
أَعْيَانِهَا أَثَرٌ، وَرَسْمُ مَجَادَتِهَا قَدْ دَنَرُ، وَالْدَّهْرُ لَا يَقُولُ لَهَا لِمَنْ عَثَرُ، وَلَا يَنْظُمُ شَمْلًا إِذَا انْتَثَرُ.
وَكَيْفَ لَا يَتَعَلَّقُ الدَّامُ، بِبَلَدٍ يَكْثُرُ بِهِ الْجُدَامُ، مَحَلَّةً³ بِلَوَاهِ آهَلَةٍ، وَالنُّفُوسُ بِمَعَرَّةِ عَدُوَاهِ جَاهِلَةً.

ثُمَّ تَبَسَّمَ عَنِ انْشِرَاحِ صَدْرِ، وَذَكَرَ قِصَّةَ الزُّبَيْرِقَانَ بْنِ بَذْرِ:

تَقُولُ هَذَا مُجَاوِزُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ ذَمَمْتَ فَقُلْ قِيءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحٌ وَذَمٌّ وَعَيْنُ الشَّيْءِ وَاحِدَةٌ إِنَّ الْبَيَانَ يَرَى الظُّلُمَاءَ فِي النُّورِ

قُلْتُ: فَبَلِّشْ⁴؟

قَالَ: جَادَهَا الْمَطَرُ الصَّيِّبُ، فَنِعَمَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ، حُلِيِّ وَنَحْرٍ، وَبَرٍّ وَبَحْرٍ، وَلُوزٍ وَتَيْنٍ، وَسَبَبٌ⁵
مِنَ الْأَمْنِ مَتَيْنٍ، وَبَلَدٌ أَمِينٌ⁶، وَعَقَارٌ ثَمِينٌ، وَفَوَاكِهُ مِنْ عَنِّ شِمَالٍ وَيَمِينٍ، وَفِلَاحَةٌ مُدَّعِي إِنْجَابِهَا

- م: "فسحبها" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ فالسحنة هي الهيئة. أي أحوالها متقلبة لا تثبت. ¹

- م: "أذمانها" وهو تحريف. ²

- م: "علة" وهو تحريف. ³

- بلش: "بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جُبارة البلّشي رجل من أهل الصلاح والعلم؛ ذكره ابن الفرضي "معجم البلدان، 1/

484

- م: "سبت" وهو تصحيف. ⁵

- قال تعالى: {وَالثَّيْنِ وَالزَّيْنُونَ وَطُورِ سِنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} سورة التين، الآيات: 1-2-3 ⁶

لَا يَمِينُ. إِلَّا أَنَّ التَّشَاوُجَ بِهَا أَنْمَى¹ مِنَ الشَّجَرِ، وَالْقُلُوبَ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ، وَنُفُوسَ أَهْلِهَا بَيِّنَةٌ
الْحَسَدِ وَالضَّجَرِ، وَشَأْنَهَا غَيْبَةٌ وَنَمِيمَةٌ، [وَحُبَّتْ مَائِهَا عَلَى مَا سَوَّعَ² اللَّهُ مِنْ آلائِهَا نَمِيمَةٌ³].

قُلْتُ: فَقُمَارِشَ⁴؟

قَالَ: [مَوْدِعُ الْوَفْرِ]⁵ وَمَحَطُّ السَّفَرِ، وَمَزَاجُ الْفَرْقِدِ وَالْقَفْرِ، حَيْثُ الْمَاءُ الْمَعِينُ، وَالْقُوَّةُ
الْمُعِينُ. لَا تُخَامِرُ قَلْبَ النَّائِرِ بِهِ خُطْوَةٌ وَجَلِّهِ إِلَّا مِنْ أَجْلِهِ، طَالَمَا فَرِغَتْ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الْمُلُوكُ
الْأَخَايِرُ بِالذَّخَائِرِ، وَشَقَّتْ عَلَيْهِ أَكْوَاسُ⁶ الْمَرَائِرِ⁷ فِي الضَّرَائِرِ، وَبِهِ الْأَعْنَابُ الَّتِي رَاقَ بِهَا الْجَنَابُ
وَالرِّيَّاتَيْنِ، وَاللُّوزُ وَالْتَيْنِ، وَالْحَزْتُ الَّذِي لَهُ التَّمَكِينُ، وَالْمَكَانُ الْمَكِينُ. إِلَّا أَنَّهُ عَدِمَ سَهْلُهُ، وَعَظُمَ
جَهْلُهُ، فَلَا يَصْلُحُ فِيهِ إِلَّا أَهْلُهُ⁸.

قُلْتُ: فَالْمَنْكَبُ⁹؟

قَالَ: مَرْفَأُ السُّفُنِ وَمَحَطُّهَا، وَمَنْزِلُ عِبَادِ الْمَسِيحِ وَمُخْتَطُّهَا. بَلَدَةٌ مَعْقِلُهَا مَنِيْعٌ، وَبَرْدُهَا صَقِيْعٌ،
وَمَحَاسِنُهَا غَيْرُ ذَاتِ تَقْنِيْعٍ. الْقَصْرُ الْمُفْتَحُ الطِّيْقَانِ¹⁰، الْمُحَكَّمُ الْإِثْقَانِ، وَالْمَسْجِدُ الْمُشْرِفُ الْمَكَانِ،
وَالْأَثَرُ الْمُنْبِيُّ عَنْ كَانَ وَكَائِنٍ، كَأَنَّهُ مَبْرَدٌ وَاقِفٌ، أَوْ عَمُودٌ فِي يَدٍ مُثَاقِفٌ، قَدْ أَخَذَ مِنَ الدَّهْرِ

- أ، م: "أقمى" والمثبت من ع. ولعلها الصواب؛ إذ أقمى الرجل تعني سمن بعد هزال.¹

- م: "سوخ" وهو مصدر ساخ ومن معانيه غاص في الأرض. وما أبعد عن الصواب.²

- أي أن ماءها يدفع به الحسد والعين نظرا لبركته.³

- قمارش: إحدى الحصون الهامة أيام مملكة غرناطة، وتقع قريبا، معيار الاختيار، ص: 92.⁴

- ع: ساقط⁵

- ع: "أكياس"⁶

- "مرَّ يمر فهو مرٌّ والأنثى مرة وجمعها مرائر" المصباح المنير/ مرر، ص 217⁷

- أي لا يصلح أن يعيش فيه إلا أهله لسوء أحواله.⁸

2- المنكب: مرفأ ساحلي مرتفع، يقع جنوب شرق الأندلس بمقاطعة غرناطة، وقد نزل وقد نزل الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية بهذا الميناء عند دخوله الأندلس في ربيع الأول 138 هـ/ سبتمبر 755م، وهذا الأمير هو الذي عرف بعدئذ بلقب "الداخل"، الروض المعطار، للحميري، ص: 186

- "وبنوا طاقا مرتفعا وأطواقا وطيقانا" أساس البلاغة / طوق، 1/ 618¹⁰

الْأَمَانَ، وَتَشَبَّهَ بِصَرْحِ هَامَانَ، وَأُرْهِفَتْ جَوَانِبُهُ بِالصَّخْرِ الْمُنْحَوْتِ، وَكَادَ أَنْ يَصِلَ مَا بَيْنَ الْحُوتِ وَالْحُوتِ.

غَصَّتْ بِقَصَبِ السُّكَّرِ أَرْضُهَا، وَاسْتَوَعَبَ بِهَا طَوْلُهَا وَعَرَضُهَا. زَيَّبُهَا فَائِقٌ، وَجَنَابُهَا رَائِقٌ. وَقَدْ مَتَّ إِلَيْهَا جَبَلُ الشَّوَارِ، بِنَسَبِ الْجَوَارِ، مَنَشَأُ¹ الْأُسْطُولِ، فَوَعَدَهَا غَيْرُ مَمْطُولٍ، وَأَمَدَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الطُّولِ. إِلَّا أَنَّ اسْمَهَا مَظِنَّةٌ طَيَّرَةً تُشْتَنَفُ، فَالْتَنَكَيْبُ عَنْهَا يُؤْتَنَفُ، وَطَرِيفُهَا يَمْنَعُ شَرَّ سُلُوكِهَا، مِنْ تَرَدُّدِ² مُلُوكِهَا. وَهَوَاؤُهَا فَاسِدٌ، وَوَبَاؤُهَا مُسْتَأْسِدٌ، وَجَارُهَا حَاسِدٌ.

فَإِذَا التَّهَبَّتِ السَّمَاءُ، وَتَغَيَّرَتْ بِالسَّمَائِمِ الْمُسَمَّيَاتِ وَالْأَسْمَاءِ؛ فَأَهْلُهَا مِنْ أَجْدَاثِ بُيُوتِهِمْ يَخْرُجُونَ³، وَإِلَى جِبَالِهَا يَعْرُجُونَ، وَالْوَدَكُ⁴ إِلَيْهَا مَجْلُوبٌ، وَالْقَمَحُ بَيْنَ أَهْلِهَا مَقْلُوبٌ، وَالصَّبْرُ إِنْ لَمْ يَبْعَثْهُ الْبَحْرُ مَغْلُوبٌ، وَالْحَرْبَاءُ بَعْدَائِهَا مَصْلُوبٌ، وَالْحُرُّ بِدَمِ الْغَرِيبِ مَطْلُوبٌ.

قُلْتُ: فَشَلُوبِيْنِيَّةٌ⁵

قَالَ: أَخْتَهَا الصُّغْرَى، وَلِدَتْهَا الَّتِي يُشْغَلُ بِهَا الْمُسَافِرُ وَيُغْرَى، حَصَانَةٌ مَعْقِلٍ، وَمَوْقِبٌ⁶ مُتَوَقِّلٌ⁷، وَغَايَةُ طَائِرٍ، وَمُمْتَنِعُ ثَائِرٍ، وَمُتَنَزَّهٌ زَائِرٍ. تَرْكَبُ بَرَّهَا الْجَدَاوِلُ الْمَرْفُوعَةُ، وَتَخْتَرِقُ وَجْهَاتِهَا الْمَدَانِبُ الْمُنْفَرِدَةُ وَالْمَشْفُوعَةُ.

- م: "فنشأ" ولعل الصواب ما أثبت.¹

- أ، ق، م: "تودد" والمثبت من ع.²

- قال تعالى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصَيْبٍ يُوْفِضُونَ} سورة المعارج، الآية: 43³

- "ما فيه وذلك: ما فيه دسم" أساس البلاغة / ودك، 326 / 2⁴

5- شَلُوبِيْنِيَّةٌ: حصن بالأندلس من أعمال كورة إلبيرة على شاطئ البحر كثير الموز وقصب السكر، ينسب إليها أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي النحوي" معجم البلدان، 360 / 3

- "وقب الليل، وظلام واقب" أساس البلاغة / وقب، 348 / 2⁶

- "وقل في الجبل وتوقل...ومن المجاز: توقل فلان في مساعد الشرف" أساس البلاغة / وقل، 350 / 2⁷

فَفِي الْمَصِيفِ، تَلْعَبُ بِالْعَقْلِ الْحَصِيفِ، وَفِي الْخَرِيفِ تُسْفِرُ عَنِ الْخِصْبِ وَالرَّيْفِ. وَحُوتُ هَذِهِ
السَّوَاهِلِ أَغْرَزُ مِنْ رَمْلِهِ، تُغْرِى الْقَوَائِلَ إِلَى الْبِلَادِ بِحَمْلِهِ، إِلَى الْخُضْرِ الْبَاكِرَةِ، وَالنَّعْمِ الْحَامِدَةِ لِلْمَرْءِ
الشَّاكِرَةِ، وَكَفَى بِمُتْرَائِلٍ مِنْ بَسِيطِهَا مَحَلَّةً مَشْهُورَةً، وَعَقِيلَةً مَمْهُورَةً، وَوَادِعَةً فِي غَيْرِ السَّهْلِ مَبْهُورَةً.
جَامِعُهَا حَافِلٌ، وَفِي حُلَّةِ الْحُسْنِ رَافِلٌ.

إِلَّا أَنْ أَرْضَهَا مُسْتَخْلَصُ السُّلْطَانِ بَيْنَ الْأَوْطَانِ، وَرَعِيَّتُهَا عَدِيمَةُ الْأَعْيَانِ، مُرْوَعَةٌ عَلَى
الْأَحْيَانِ. وَتَخْتَصُّ شَلُوبَانِيَّةً بِمَزِيَّةِ الْبُنْيَانِ، لَكِنَّهَا غَابُ الْحَيَاتِ الْحَمِيَّاتِ، غَيْرُ أَمِينَةٍ عَلَى
الْإِفْتِيَّاتِ¹، وَلَا وَسِيمَةِ الْفَتَيَانِ وَالْفَتَيَاتِ.

قُلْتُ: فَبَرَجَةٌ²؟

قَالَ: تَصْحِيفٌ وَتَحْرِيفٌ، وَتَغْيِيرٌ فِي تَعْرِيفٍ. مَا هِيَ إِلَّا بَهْجَةٌ نَاطِرٌ، وَشَرَكٌ خَاطِرٌ،
وَنَتِيجَةٌ عَارِضٌ مَاطِرٌ، وَدَارَةٌ دَارِينَ نَفْسٍ عَاطِرٍ. عَقَارُهَا ثَمِينٌ، وَحَرَمُهَا أَمِينٌ، وَحُسْنُهَا³ بَادٍ
وَكَمِينٌ، عُقُودُ أَعْنَابِهَا قَدْ قَرَطَتْ آذَانَ الْمَيْسِ وَالْحُورِ، وَعَقَائِلُ أَدْوَابِهَا مُبْتَسِمَةٌ عَنْ تُغُورِ النُّورِ،
وَبَسِيطُهَا مُتَوَاضِعٌ عَنِ النَّجْدِ، مُتَرَفِّعٌ عَنِ الْغُورِ، وَعَيْنُهَا سَلْسَالَةٌ، وَسَنَابِكُ الْمَدَانِبِ مِنْهَا مُسَالَةٌ،
تَحْمِلُ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ رِسَالَةً. وَدُورُهَا فِي الْعَرَاءِ مَبْنُوثَةٌ، وَرَكَائِبُ النَّوَاسِمِ بَيْنَهَا مَحْنُوثَةٌ، لَا تَشْكُو
بِضِيقِ الْجَوَارِ، وَاسْتِكْشَافِ الْعَوَارِ، وَتَزَاحُمِ الرُّوَارِ.

- م: "الافتيات" وهو تصحيف.¹

-برجة: "مدينة بالأندلس من أعمال البيرة، ينسب إليها أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الجذامي المقرئ" معجم البلدان، 1/ 374²

- م: "حسها" وهو تحريف.³

مِيَاهَ وَظِلَالٍ، وَشَجَرَ وَحِلَالٍ¹، وَخُلُقٌ دَمَتْ كَنْزَاهَا، وَمَحَاسِنُ مُتَعَدِّدَةٌ كَقُرَاهَا، وَلَطَافَةٌ كَنَوَاسِمِهَا
عِنْدَ مَسَرَاهَا، وَأَعْيَانٌ [وَوُجُوهٌ]² نُجُلُ الْعُيُونِ، بِيضُ الْوُجُوهِ، غُلَّتُهُمُ الْحَرِيرُ، وَمَجَادِنُهُمْ غَنِيَّةٌ عَنِ
النَّقِيرِ؛ إِلَّا أَنَّ مُتَبَوِّأَهَا بَسِيطٌ مَطْرُوقٌ، وَقَاعِدَتُهَا فُرُوقٌ، وَوَتِدُهَا مَفْرُوقٌ³ وَمَعْقِلُهَا خَرِبٌ، كَأَنَّهُ
أَحْدَبٌ جَرِبٌ، إِنْ لَمْ يُنْقَلْ إِلَيْهِ الْمَاءُ بَرَحَ بِهِ الظَّمُّ. وَلِلَّهِ دُرٌّ صَاحِبِنَا إِذْ يَقُولُ:
يَا بَسِيطاً بِمَعَانِي بَرْجَةً أَصْبَحَ الْحُسْنُ بِهَا مُشْتَهَراً
لَا تُحَرِّكُ بِفَخَارٍ مَقُولاً فَلَقَدْ أَلْقَمْتَ مِنْهَا حَجَراً
وَالْبُرُّ بِهَا نَزْرٌ⁴ الْوُجُودِ، وَاللَّحْمُ تَلَوُهُ⁵ وَهُمَا طَيِّبَتَا الْوُجُودِ، وَالْحَرْفُ بِهَا ذَاوِيَةُ الْعُودِ، وَالْمَسْنَكُ إِلَيْهَا
بَعِيدُ الصُّعُودِ.

قُلْتُ: فِدْلَايَةُ⁶؟

قَالَ: خَيْرُ رِعَايَةٍ وَوَلَايَةٍ. حَرِيرٌ تَرَفَّعَ عَنِ النَّمَنِ، وَمِلْحٌ يُسْتَفَادُ عَلَى مَرِّ الزَّمَنِ، وَمَسْرَحٌ
مَعْرُوفٌ، وَأَرْضٌ يَنْبُتُ بِهَا جُبْنٌ وَخُرُوفٌ. إِلَّا أَنَّهَا لِسَرَايَا الْعَدُوِّ الْبَحْرِيِّ، مَجَرُّ الْعَوَالِي، وَمَحَلُّ
الْفَتَكَاتِ عَلَى التَّوَالِي. فَطَرِيفُهَا صَوَى⁷ وَمَشَاهِدُ، وَالْعَارِفُ بِهَا زَاهِدٌ.

- "والحلة بالكسر القوم النازلون، وتطلق الحلة على البيوت مجازاً تسمية للمحل باسم الحال وهي مائة بيت فما فوق والجمع جلال"
م. م/ حل، ص 57¹
- ع: ساقط²
- م: "مطروق" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت، وهو مصطلح عروضي.³
- م: "ندر" وهو تحريف.⁴
- أي تاليه.⁵
- دلالية: "بلد قريب من المرية من سواحل بحر الأندلس" معجم البلدان، 2/ 460⁶
- م: "صور" ولعل الصواب ما أثبت؛ "الصُّوَّة العلم من الحجارة المنصوبة في الطريق والجمع صَوَى" المصباح المنير/ صوو،
ص 135⁷

قُلْتُ: فَمَدِينَةُ الْمَرِيَّةِ؟

قَالَ: الْمَرِيَّةُ [هَنِيَّةٌ]¹ مَرِيَّةٌ، بَحْرِيَّةٌ بَرِيَّةٌ، أَصِيلَةٌ سَرِيَّةٌ. مَعْقِلُ الشُّيُوخِ وَالْإِبَايَةِ، وَمَعْدِنُ الْمَالِ وَعُنْصُرُ الْجَبَايَةِ. وَحَبْوَةٌ² الْأُسْطُولِ غَيْرِ الْمُعَلَّلِ وَلَا الْمَمْطُولِ، وَمَحَطُّ التُّجَّارِ وَكَرْمُ النُّجَّارِ، وَرَعِي الْجَارِ. مَا شِئْتَ مِنْ أَخْلَاقٍ مَعْسُولَةٍ، وَسُيُوفٍ مِنَ الْجُفُونِ السُّودِ مَسْلُولَةٍ، وَتِكَكَ³ مَحْلُولَةٍ، وَحَضَارَةِ تَعَبُقٍ⁴ طَبِيَاءً، وَتَتَأَوَّدُ دَوْحاً رَطِيباً، وَوُجُوهٍ لَا تَعْرِفُ تَقْطِيباً.

لَمْ تَزَلْ مَعَ الظَّرْفِ دَارَ نُسَاكِ، وَخُلُوةٍ [اعْتِكَافٍ]⁵ وَإِمْسَاكِ، أَرْغَمَ أَهْلُهَا أَنْفَ الصَّلِيبِ لَمَّا عَجَمَ مِنْهَا بِالْعُودِ الصَّلِيبِ، وَأَلْفُ لَامِهَا وَأَلْفُهَا حَكَمُ التَّغْلِيبِ، فَأَنْقَلَبَ مِنْهَا آيساً عِنْدَ النَّقْلِيبِ:

يُسَائِلُ عَنْ أَهْلِ الْمَرِيَّةِ سَائِلٌ وَكَيْفَ ثَبَاتُ الْقَوْمِ وَالرَّدْعُ يَاسِرٌ

وَلَهُوَ وَيَوْمَ الرَّفْعِ فَتَحَ كَوَاسِرَ قَطَا دَارِجٍ فِي الرَّمْلِ فِي يَوْمٍ لِدَةٍ

بَحْرُهَا مَرْفَأُ السُّفُنِ الْكِبَارِ، وَكُرْسِيُّهَا هُوَ الْعَزِيزُ عِنْدَ الْإِعْتِبَارِ. وَقَصَبَتْهَا سَلْوَةُ الْحَزِينِ، وَفَلَكَ الْمُتَنَزِّهِينَ. وَهِيَ مَحَلُّ الْغُلْلِ الْمَجْدِيَّةِ، وَالْأَنْدِيَّةِ الْمَشْفُوعَةِ الْأَرْدِيَّةِ، وَلِوَادِيهَا الْمَزِيَّةُ عَلَى الْأَوْدِيَّةِ. حُجَّةُ النَّاطِرِ الْمَفْتُونِ، الْمَكْسُوفُ الْخُصُورِ وَالْمُتُونِ، بِالْأَعْنَابِ وَالزَّيْتُونِ.

بَلَدُ الْحَاِمِ وَالرُّحَاِمِ، وَالذِّمَمِ الضَّحَاِمِ، وَحَمَّتُهَا⁶ بَدِيعَةُ الْوُصْفِ، مُحْكَمَةُ الرَّصْفِ، مَقْصُودَةُ الْعِلَاجِ وَالْقَصْفِ. حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَذِكْرُهَا طَوِيلٌ مَدِيدٌ، وَأَثَرُهَا عَلَى الْبِلَادِ جَدِيدٌ. إِلَّا أَنَّ مَغَارِمَهَا ثَقِيلَةٌ،

- ع: ساقط¹

- م: "جندة" وهو تحريف²

- "تكك": فلان يستتك بالحريير من النكة" أساس البلاغة / تكك، 1/ 95³

- ع: "تعين" ولعل الصواب ما أثبت⁴

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م⁵

- "الحمة العين الحارة" أساس البلاغة / حمم، 1/ 216⁶

وَصَفْحَةً جَوَّهَا فِي الْمُحَوَّلِ¹ صَقِيلَةً، وَسَمَاءَهَا بِخَيْلَةً، وَبُرُوقَهَا لَا تَصْدُقُ مِنْهَا مَخِيلَةً وَبُلَالَةً
النَّطِيئَةَ، مَنْزُورَةً الطَّيَّةَ، وَسِعْرَهَا لَيْسَ مِنَ الْأَسْعَارِ الْوَطِيئَةِ. وَمَعْشُوقَ الْبَرِّ بِهَا قَلِيلُ الْوِصَالِ، وَحَمَلَ
الْبَحْرُ صَعْبُ الْفِصَالِ، وَهِيَ مُتَوَقَّعَةٌ إِلَّا أَنْ يَقِيَ اللَّهُ طُلُوعَ النَّصَالِ، وَعَادَةً² النَّضَالِ.³
قُلْتُ: فَطَبْرُنَشُ⁴ مِنْ شَرْقِهَا؟

قَالَ: حَاضِرَةُ الْبِلَادِ⁵ الشَّرْقِيَّةِ، وَثَنِيَّةُ الْبَارِقَةِ الْأَفْقِيَّةِ، مَا شِنَتْ مِنْ تَنْجِيدٍ [بِنْتِ، وَعَصِيرٍ وَزَيْتِ،
وَإِحْيَاءِ أُنْسٍ مَيِّتِ، وَحَمَامٍ طَيِّبِ، وَشِعَابٍ تُنْثَرُ فِيهِ دَنَانِيرُ أَبِي الطَّيِّبِ⁶، إِلَّا أَنَّهَا]⁷ مُحِيلَةُ الْغُيُوثِ
عَادِيَةُ اللَّيُوثِ، مُتَحَزِّبَةٌ بِالْأَحْزَابِ، شَرِهَةٌ الْأَعْزَابِ، وَلَوْ شَكَرَ الْغَيْثَ شَعِيرُهَا، أَخْصَبَ الْبِلَادَ عِيرُهَا.
قُلْتُ: فَبَيْرَةُ⁸؟

قَالَ: بَلْدَةٌ صَافِيَةُ الْجَوِّ، رَحِيْبَةُ الدَّوْرِ⁹، يَسْرَحُ بِهَا الْبَعِيرُ، وَيُحْجَمُ¹⁰ بِهَا الشَّعِيرُ، وَيَقْصِدُهَا مِنْ
مَرْسِيَةِ وَأَحْوَازِهَا الْعِيرُ. فَسَاكِنُهَا بَيْنَ نَجْرٍ، وَابْتِغَاءِ أَجْرِ. وَوَادِيهَا نَيْلِي الْفَيُوضِ وَالْمُدُودِ، مِصْرِي
التُّخُومِ وَالْحُدُودِ، إِنْ بَلَغَ إِلَى الْحَدِّ الْمَحْدُودِ، فَلَيْسَ رِزْقُهَا بِالْمَحْصُورِ وَلَا بِالْمَعْدُودِ؛ إِلَّا أَنَّهَا قَلِيلَةٌ
الْمَطَرِ، مُقِيمَةٌ عَلَى الْخَطَرِ، مَثْلُومَةٌ الْأَعْرَاضِ وَالْأَسْوَارِ، مُهْطِعَةٌ لِذَاعِي¹¹ الْبَوَارِ، خَلِيقَةُ الْحُسْنِ
الْمَغْلُوبِ، مُعَلَّلَةٌ بِالْمَاءِ الْمَحْلُوبِ، آخِذَةٌ بِأَكْطَامِ الْقُلُوبِ. خَامِلَةٌ الدُّورِ، قَلِيلَةُ الْوُجُوهِ وَالصُّدُورِ، كَثِيرَةُ

- "وامرأة مُحَوَّلٍ: معقاب تحمل مرة ذكرا ومرة أنثى" أساس البلاغة / حول، 1/ 224. كناية عن تقلب جوها وتغيره.¹
- م: "دعاة"²

- ع: "المصال"، م: "النصال"³

- طبرنش: هي مدينة تعني بلاتينية: حوانيت وأكواخ، معيار الاختيار، ص: 103.⁴

- ع: "البادية"⁵

- أي أبو الطيب المتنبي.⁶

- ع: ساقط⁷

7- بيرة: "هي بليدة قريبة من ساحل البحر بالأندلس، ولها مرسى ترسى فيه السفن ما بين مرسية والمرية" معجم البلدان، 1/ 526

- "خرجوا من الدو والدوية والداوية وهي المفازة" أساس البلاغة / دوي، 1/ 304⁹

- "حجم البعير: شد فمه بالحجامة" أساس البلاغة / حجم، 1/ 171¹⁰

- يقول تعالى: {مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} سورة القمر، الآية: 08¹¹

المُشَاجِرَةِ وَالشُّرُورِ، بِرَّهَا أَنْزَرُ¹ مِنْ بَرِّهَا، فِي الْمَعْتَمِ² وَالْبُورِ، وَرُحْدُ أَهْلِهَا فِي الصَّلَاةِ شَائِعٌ فِي

الْجُمْهُورِ، وَسَوْءُ مَلَكَهَ الْأَسْرَى بِهَا مِنْ الدَّائِعِ بِهَا وَالْمَشْهُورِ:

أولى لنا ما قل منك وما كفا ... ما قام خيرك يا زمان بشره³

قُلْتُ: فمحاقر⁴؟

قَالَ: حِصْنٌ جَدِيدٌ، وَخَيْرٌ مَدِيدٌ، وَبَحْرٌ مَا عَلَى إِفَادَتِهِ مَزِيدٌ، وَخِصْبٌ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ. سَاكِنُهُ قَدْ

قَضَى الْحَجَّ أَكْثَرُهُ، وَظَهَرَ عَيْنُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأَثَرُهُ. إِلَّا أَنَّهُ لَا تَلْقَى بِهِ لِلْمَاءِ بُلَالَةً، وَلَا تُسْتَشْفَى لِلْجُودِ
عُلَالَةً⁵.

قُلْتُ: ففتورية⁶؟

قَالَ: يَسَارٌ يَمِينُهَا، وَغُبَارٌ كَمِينُهَا، وَمَعْمُولٌ يَمِينُهَا. يَجُودُ بِهَا الْجُبْنُ وَالْعَسَلُ، وَمِنْ دُونِهَا

الْأَسَلُ. وَأَمَّا الْخُبْرُ فَلَا تَسَلُ، وَإِنْ كَانَتْ أَحْسَنَ شَكْلًا، فَأَقْلُ شُرْبًا وَأَكْلًا، وَأَحْمَى⁷ أَهْلًا، وَأَشَدُّ⁸

جَهْلًا⁹، وَأَعْدَمُ عُلًا وَنَهْلًا. وَأَهْلُهَا شِرَارٌ، أَضْلَعُهُمْ بِالْظَمِّ حِرَارٌ. لَا تَلْقَى بِهَا نُعْبَةً¹⁰ مَاءٍ، وَلَا تَعْدِمُ

مَشَقَّةَ ظَمًا، وَلَا تُتَوَّجُ أَفْقَهَا إِلَّا فِي النُّدْرَةِ قَرْعَةُ سَمَاءٍ.

- م: "أنذر" ولعل الصواب ما أثبت، أي رغم بساطة أرضها وامتدادها إلا أن برها قليل.¹

- م: "المعتمر" وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبت، أي في فترة الظلمة ولا الهلاك لا تجد البر شائعا بها.²

- محاقر: "4"

- "بقية كل شيء: علالته" أساس البلاغة / علل، 1/ 675⁵

- فتورية: تقع جنوب "برشانة" على نهر المنصورة، معيار الاختيار، ص: 105.⁶

- كناية عن شدتهم وجفائهم.⁷

- م: "أسد" وهو تصحيف.⁸

- م: "جملا" وهو تحريف.⁹

- ع: "نبيغة"، م: "نبيعة" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالنبيغة هي الجرعة من الماء.¹⁰

قُلْتُ: فَبِرْشَانَةٌ¹؟

قَالَ: حِصْنٌ مَانِعٌ، وَجَنَابٌ يَانِعٌ. أَهْلُهَا أُولُو عَادَاةٍ لِأَخْلَاقِ الْبَدَاوَةِ، وَعَلَى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةٌ² وَفِي أَيْدِيهِمْ نَدَاوَةٌ، يُدَادُونَ بِالسَّلَافَةِ³ عَلَى الْخِلَافَةِ، وَيُؤْتِرُونَ لَذَّةَ التَّخْلُفِ عَلَى لَذَّةِ الْخِلَافَةِ. فَأَصْبَحَ رَبْعُهُمْ ظَرْفًا قَدْ مَلِئَ ظَرْفًا، فَلِلْمُجُونِ بِهَا بُسُوقٌ، وَلِلْفُسُوقِ⁴ أَلْفُ سُوقٍ، تُشَمَّرُ بِهِ الْأَذْيَالُ عَنْ سُوقٍ⁵.

وَهِيَ تَلِيْنُ بَعْضَ بَيَانٍ عَنْ أَغْيَانٍ، وَعَلَى وُجُوهِ نِسْوَانِهَا طَلَاقَةٌ، وَفِي أَلْسِنَتِهَا ذَلَاقَةٌ⁶، وَلَهُنَّ بِالسَّفَارَةِ مِنَ الْفُقَرَاءِ عِلَاقَةٌ. إِلَّا أَنَّ جَفْنَهَا لَيْسَ بِذِي سُورٍ يَبْقِيهِ مِمَّا يَنْقِيهِ، وَوَعْدَهَا⁷ يَتَكَلَّمُ بِمِلٍّ فِيهِ، وَحَلِيمَهَا يَشْقَى بِالسَّفِيهِ، وَمُحْيَاهَا تَسْكُنُ⁸ حَيَّةُ الْجَوْرِ فِيهِ.

قُلْتُ: فَأَوْرِيَّةٌ⁹؟

قَالَ: الْجُبْنُ وَالْعَسَلُ، وَالْهَوَاءُ الَّذِي يَذْهَبُ بِهِ الْكَسَلُ. وَأَمَّا عَنِ الْمَاءِ الْبُرُودِ فَلَا تَسَلْ، أَدَامَهُ الصَّيْدُ الَّذِي لَا يَتَعَذَّرُ، وَقُوَّتُهُ الشَّعِيرُ الَّذِي يُبَذَّرُ. إِلَّا أَنَّهُ بَادِي الْوَحْشَةِ وَالْإِنْقِطَاعِ، وَالْإِجَابَةِ لِدَاعِي الْمُخَالَفَةِ وَالْإِهْطَاعِ، وَحِيشُ الْجَنَابِ، عَرِيٌّ مِنْ شَجَرَاتِ النَّخْلِ وَالْأَعْنَابِ، حَقِيقٌ لِمَعَرَّةِ الْعَدُوِّ

3-برشانة تقع على نهر المنصورة تتبع ولاية المرية، ويوجد مكان آخر بهذا الاسم بولاية "جيان"، الروض المعطار ص: 52.

- م: "نظرة" ولعل الصواب ما أثبت. أي أن وجوههم مشرقة مضبئة.²

- "شرب السلاف والسلافية وهي أفضل الخمر وأخلصها ما تحلب من غير عصر" أساس البلاغة / سلف، 469 / 1³

- م: "العيون" وهو تحريف.⁴

- جمع ساق.⁵

- "في لسانه ذلاقة وذلّ... وتكلم بلسان طلق ذلق" أساس البلاغة / ذلق، 316 / 1⁶

- أ، ق: "ووعدها"، م: "دعدها" والمثبت من ع. ولعله الصواب، أي حقيرها لا يستحيي من فعله.⁷

- ع: "تمكنها" وهو تحريف.⁸

- أوربة: "مدينة بالاندلس وهي قسبة كورة جيان وتسمى اليوم الحاضرة فيها عيون وينابيع" معجم البلدان، 278 / 1⁹

بِالْإِجْتِنَابِ.

قُلْتُ: فَبَلَّشٌ¹؟

قَالَ: نَعْرُ² قَصِيٍّ، وَقِيَادٌ عَلَى الْأَمَانِ عَصِيٍّ، وَيَتِيمٌ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُ الْعَدُوِّ وَصِيٍّ. مَاؤُهُ مَعِينٌ، وَحُورُهُ³ عَيْنٌ، وَخُلُوتُهُ - عَلَى النُّسْكِ وَسِوَاهُ - تُعِينُ، وَبِهِ الْحَمَامُ، وَالنُّطْفُ⁴ الْجِمَامُ، وَلِأَهْلِهِ بِالصِّيَادَةِ اهْتِمَامٌ، وَعَسَلُهُ إِذَا لَطَفَتِ الْعُسُولُ إِمَامًا. إِلَّا أَنَّهَا بَلْدَةٌ مُنْقَطِعَةٌ بَائِنَةٌ، وَبِأَحْوَارِ الْعَدُوِّ كَائِنَةٌ، وَلِحُدُودِ لُورُقَةٍ⁵ - فَتَحَهَا اللَّهُ - مُشَاهِدَةٌ مُعَايِنَةٌ، وَبَرُّهَا الرَّهِيْدُ الْقَلِيلُ يُتَخَفُ بِهِ الْعَلِيلُ، وَسَبِيلُ الْأَمْنِ⁶ إِلَيْهَا غَيْرُ سَبِيلٍ، وَمَرْعَاهَا لِسُوءِ الْجَوَارِ وَيِيلٌ.

قُلْتُ: فَمَدِينَةٌ بَسْطَةٌ⁷؟

قَالَ: وَمَا بَسْطَةٌ؟ بَلَدٌ خَصِيبٌ، وَمَدِينَةٌ لَهَا مِنْ أَسْمِهَا نَصِيبٌ. دَوْحُهَا مُتَهَدِّلٌ، وَطِيبُ هَوَائِهَا غَيْرُ مُتَبَدِّلٍ. وَنَاهِيكَ مِنْ بَلَدٍ اخْتَصَّ أَهْلُهَا بِالْمِرَانِ فِي مُعَالَجَةِ الزَّعْفَرَانِ، وَامْتَارُوا بِهِ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْجِيرَانِ. عَمَّتْ أَرْضُهَا السُّقْيَا فَلَا تُخْلِفُ، وَشَمَلَتْهَا الْبَرَكَةُ تَخْتَصُّ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ وَيُزْلِفُ. يَتَخَلَّلُ مَدِينَتُهَا الْجَدُولُ الْمُتَدَاغِعُ، وَالنَّاقِعُ⁸ لِلْغَلَالِ النَّافِعُ. ثِيَابُ أَهْلِهَا بِالْعَبِيرِ تَتَأَرَّجُ، وَحُورُهَا تَتَجَلَّى وَتَتَبَرَّجُ، وَوِلْدَانُهَا فِي شَطِّ أَنْهَارِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ تَتَفَرَّجُ، وَلَهَا الْفَحْصُ⁹ الَّذِي يُسَافِرُ فِيهِ الطَّرْفُ

- بلش: "بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جُبارة البلشي رجل من أهل الصلاح والعلم" معجم البلدان، 1/ 484¹

- م: "نفر" وهو تحريف.²

- م: "صوره" ولعل الصواب ما أثبت.³

- م: "العطف" ولعل الصواب ما أثبت، "سقاني نطفة عذبة ونُطْفًا ونُطَافًا عَذَابًا: وهي الماء الصافي قل أو كثر" أساس البلاغة / نطف، 2/ 281⁴

- م: "نفر" وهو تحريف. لُورُقَة: "وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم وأرضها جرز لا يروبوها إلا ما ركد عليها من الماء كأرض مصر" معجم البلدان، 5/ 25⁵

- أ، ق: "الان"، م: "الأن" والمثبت من ع.⁶

- بسطة: "بالفتح مدينة بالأندلس من أعمال جِيَّان ينسب إليها المصلبات البسطية. وبسطة أيضا بمصر: كورة من أسفل الأرض يقال لها بَسْطَة، وبعضهم يقول بَسْطَة بالضم" معجم البلدان، 1/ 422⁷

- م: "الناقح" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت، أي بها تكثر الخيرات.⁸

- "فحصت عن الشيء إذا استقصيت في البحث عنه وتفحصت مثله" المصباح المنير / فحص، ص 176⁹

سَعْيًا، وَلَا تَعْدُمُ السَّائِمَةَ بِهِ رِيًّا وَلَا رَعِيًّا. وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

فِي بَلَدَةٍ عَوَدْتُ نَفْسِي بِهَا إِذْ فِي أَسْمَاطِهِ وَيَاسِينَ

الْجَانِي الدَّهْرُ إِلَى عَالِمٍ يُؤْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمُ وَالِدَيْنُ

إِلَّا أَنْ تُرْبِيهَا تُفْصِحُ الْبِنَاءَ، فَإِنْ صَحِبَهُ الْإِعْتِنَاءُ، فَأَسْوَارُهَا تَسْجُدُ عِنْدَ الْإِقَامَةِ، وَخَنَدُفُهَا
لِإِكْسَارِهَا تُلْقِمُهُ؛ فَهِيَ لِذَلِكَ غَيْرُ دَارِ الْمَقَامَةِ، وَرِيَا حُهَا عَاصِفَةٌ، وَرُعُودُهَا قَاصِفَةٌ، وَحَامِيَتُهَا تَنْظُرُ
إِلَى الْهِجَاجِ مِنْ خَلْفِ سِيَاجٍ. فَالْعَدُوُّ فِيهَا شَدِيدُ الْفَتَكَاتِ، مُعْمِلُ الْحَرَكَاتِ، وَسَاكِنُهَا دَائِمُ الشَّكَاةِ.
وَحَدُّهَا قَلِيلٌ، وَأَعْيَانُهَا قَلِيلٌ، وَعَزِيزُهَا لَتَوْعٍ¹ الْمَكْرُوهِ ذَلِيلٌ.

قُلْتُ: فَأَشْكُرُ²؟

قَالَ: نِعَمَ الْبَسِيطُ الْمَدِيدُ، وَالرَّزْقُ الْجَدِيدُ، وَالسَّقِيُّ الْعَدِيدُ، وَالصَّيْدُ الْقَدِيدُ³. تَرْكَبُ الْجَدَاوِلُ
فَحْصَهَا، وَيَأْبَى الْكَمَالُ نَفْصَهَا، وَيَلَازِمُ ظِلُّ الْخِصْبِ شَخْصَهَا. مَسْرَحٌ لِلْبَهَائِمِ، وَمَعْدِنٌ لِلرَّبِيعِ
الدَّائِمِ. إِلَّا أَنْ مَعْقِلَهَا لَا يُمْنَعُ، وَمَكَانُهَا يَحُومُ عَلَيْهِ الْحَادِثُ الْأَشْنَعُ، وَنُفُوسُ أَهْلِهَا مُسْتَسْلِمَةٌ لِمَا اللَّهُ
يَصْنَعُ.

قُلْتُ: فَأَنْدَرَأَشُ⁴؟

قَالَ: عُنْصُرُ جِبَايَةِ، وَوَطَنُ بُهُمٍ⁵ أُولَى إِبَايَةِ. حَرِيرُهَا ذَهَبٌ، وَتُرْبُهَا تَبَرٌّ مُنْتَهَبٌ. وَمَاؤُهَا
سَلْسَلٌ، وَهَوَاؤُهَا لَا يُلْفَى مَعَهُ كَسَلٌ. إِلَّا أَنَّهَا ضَيِّقَةُ الْأَحْوَازِ وَالْجِهَاتِ، كَثِيرَةُ الْمَعَابِرِ وَالْفُؤْهَاتِ،

- م: "المتوقع" وهو تحريف.¹

2- أَشْكُرُ: "بالفتح وضم الكاف: قرية من قرى مصر بالشرقية" معجم البلدان، 1/ 199

3- "لحم قديد مشروح طولا" المصباح المنير / قدند، ص 187³

4- أَنْدَرَأَشُ: بلدة بالأندلس من كورة البيرة، ينسب إليها الكتان الفائق "معجم البلدان، 1/ 260

- "فلان بُهْمَةٌ من البُهم: للشجاع الذي يستبهم على أقرانه مآتاه" أساس البلاغة / بهم، 1/ 85⁵

عَدِيمَةُ الْفَرْجِ وَالْمُنْتَرِهَاتِ. كَثِيرَةُ الْمَغَارِمِ، مُسْتَبَاحَةُ الْمَحَارِمِ، أَغْرَابُهَا أُولُو اسْتِطَالَةٍ، وَأَبْنَاءُ مُتْرِفِيهَا
كَثِيرُوا الْبِطَالَةِ، فَلَا يَعْدُمُ ذُو الضَّرْعِ وَالزَّرْعِ عُدُونًا، وَلَا يَفْقِدُ عَيْنَ الشَّرِّ نَزْوَانًا¹، وَطَرِيفُهَا غَيْرُ
سَوِيٍّ، وَشَأْنُهَا ضَعِيفٌ يَشْكُو مِنْ قَوِيٍّ.

قُلْتُ: فَشُبَالِشٌ²؟

قَالَ: مَعْدُنُ حَرِيرٍ خُلِصَتْ سَبَائِكُهُ³، وَأَتَرَى بَرَّازَهُ وَحَائِكُهُ⁴، وَتَهَدَّلَتْ حِجَالُهُ، وَتَمَهَّدَتْ أَرَائِكُهُ.
وَجَبَائِثُهُ سَهْلٌ اقْتِضَاوُهَا، وَجَمَّتْ⁵ بِيضَاوُهَا. إِلَّا أَنَّهُ وَطَنٌ عُدِمَ إِدَامُهُ، وَبُلِيَتْ ظُهُرُ اهْتِدَامِهِ، وَفَقِدَتْ
بِهِ حِيلُ التَّعِيشِ وَأَسْبَابُهُ، وَمَحَلٌّ لَا يُقِيمُ فِيهِ إِلَّا أَرْيَابُهُ.

قُلْتُ: فَمَدِينَةُ وَادِي آش⁶؟

قَالَ: مَدِينَةُ الْوَطَنِ، وَمُنَاحُ مَنْ عَبَرَ⁷ أَوْ قَطَنَ، لِلنَّاسِ مَا بَدَا وَلِلَّهِ مَا بَطَنَ. وَضَعُ سَدِيدٍ، وَبَأْسُ
شَدِيدٍ، وَمَعْدُنُ حَدِيدٍ، وَمَحَلُّ عُدَّةٍ وَعَدِيدٍ. وَبَلَدٌ لَا يَعْثُلُ فِيهِ إِلَّا النَّسِيمُ، وَمَرْأَى يَخْجَلُ مِنْهُ الصَّبَاحُ
الْوَسِيمُ. كَثِيرَةُ الْجَدَاوِلِ وَالْمَدَانِبِ، مُخْضَرَّةُ الْجَوَانِبِ، إِلَى الْفَوَاكِهِ الْكَثِيرَةِ وَالْكَرُومِ الْآثِيرَةِ، وَالسَّقِي
الَّذِي يَسُدُّ الْخَلَّةَ، وَيُضَاعِفُ الْغَلَّةَ⁸، وَسَدُّهَا مَعْدُنُ الْحَدِيدِ وَالْحَرِيرِ، وَمَعْقِلُهَا أَهْلُ لِلتَّاجِ وَالسَّرِيرِ.

- م: "نزقانا" وهو تحريف.¹

3-شبالش: موقعها بأطراف جبل الثلج، وكانت عبارة عن حصن في العصور الإسلامية وقد تحدث "سيمونيت" عن هذا الحصن وأهميته في الحروب الأهلية التي كانت تنشب في غرناطة على مر عصورها الإسلامية المختلفة، معيار الاختيار، ص: 111.

- م: "سنايكه" لعل الصواب ما أثبت، من سبائك الفضة، بينما السنايك من "حكت الخيل سنايكها على بلدهم، وأصبحوا تحت سنايك الخيل" أساس البلاغة / سنيك، 1/ 476³

- ع: "حكاككه" ولعل الصواب ما أثبت، أي الذي يحيكه.⁴

- ""استق من جمّة البئر... وهي مجتمع مائها" أساس البلاغة / جمم، 1/ 149⁵

6-وادي آش: تقع شمال شرق غرناطة على نهر فردس وتبعد عن غرناطة بنحو 55 كم. الروض المعطار، ص: 192-193. نشر ليفي بروفنسال.

- م: "غير" وهو تصحيف.⁷

- م: "العة" وهو تصحيف، ولعل الصواب ما أثبت، أي أن الإنتاج يضاعف فيقل الفقر.⁸

وَهِيَ دَارُ أَحْسَابٍ، وَارِثٍ وَاكْتِسَابٍ، وَآدَابٍ وَحِسَابٍ. وَمَاؤُهَا مُجَاجٌ¹ الْجَلِيدِ، وَهَوَاؤُهَا يُذْكَى طَبْعَ الْبَلِيدِ. إِلَّا أَنَّ ضَعِيفَهَا يَضِيقُ عَلَيْهِ الْمَعَاشُ، وَتَافِهُهَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ الْإِنْتِعَاشُ، وَشَيْخَهَا يَسْطُو عَلَى عَصَبِهِ الْإِرْتِعَاشُ.

فَهِيَ ذَاتُ بَرْدٍ، وَعَكْسٍ وَطَرْدٍ، مَا شِئْتَ مِنْ لِحْيٍ رَاعِدٍ²، وَمَقْرُورٍ عَلَى الْجَمْرِ³ قَاعِدٍ، وَنَفْسٍ صَاعِدٍ، وَفِتْنَةٍ يَعْدُ بِهَا وَاعِدٌ. وَشُرُورٍ تَسْلُ الْخَنَاجِرَ، وَفَاجِرٍ⁴ يَسْطُو بِفَاجِرٍ، وَكَلَفٍ بِهَاجِرٍ⁵، وَاغْتِيَامٍ⁶ تَبْلُغُ بِهِ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ، وَزَمْهَرِيرٍ تَجْمُدُ لَهُ الْمِيَاهُ، فِي شَهْرِ نَاجِرٍ⁷. وَعَلَى ذَلِكَ فَدِرَّتْهَا أَسْمَحُ لِلْحَالِبِ، وَنَشِيدَتُهَا أَقْرَبُ لِلطَّالِبِ⁸، وَمَحَاسِنُهَا أَغْلَبُ، وَالْحُكْمُ لِلْغَالِبِ.

قُلْتُ: فَفَنِيَانَةٌ؟⁹

قَالَ: مَدِينَةٌ، وَلِلْخَيْرِ خَدِينَةٌ¹⁰، مَا شِئْتَ مِنْ ظَبْيٍ غَزِيرٍ¹¹، وَعَضْبٍ طَرِيرٍ¹²، وَغَلَّةٍ حَرِيرٍ، وَمَاءٍ نَمِيرٍ، وَدَوَامٍ لِلْحَزِينِ وَتَعْمِيرٍ. إِلَّا أَنَّ بَرْدَهَا كَثِيرٌ، وَوَقُودَهَا نَثِيرٌ، وَشِرَارُهَا لَهُمْ فِي الْخِيَارِ تَأْثِيرٌ.

- "مج الرجل الماء من فيه مجاً رمى به" المصباح المنير / مج، ص 215¹

- كناية عن كبر سن سكانها.²

- م: "الخمير" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت، فالقر هو شدة البرد.³

- م: "فاخر" وهو تصحيف.⁴

- م: "يهاجر" ولعل الصواب ما أثبت؛ "ورماه بالهاجرات والمهجرات: بالفواحش، والهاجرات: الكلمات التي فيها فحش" أساس البلاغة / هجر، 363 / 2⁵

- م: "اغتمام" وكلاهما بمعنى.⁶

- "ونحن في شهر ناجر وهو الشهر الواقع في صميم الحر، من النَّجَر وهو فرط العطش" أساس البلاغة / نجر، 250 / 2⁷

- أي من يناشدها ويقصدها يتحقق طلبه.⁸

- فنيانة: تقع ضمن مقاطعة المرية على مسافة 30 كم. جنوب شرق وادي أش، الروض المعطار، ص: 172⁹

- "خادنته صاحبتة" أساس البلاغة / خدن، 235 / 1¹⁰

- م: "غدير" وهو تحريف.¹¹

- ع: "طريد" ولعل الصواب ما أثبت؛ "يقال للسيف القاطع العضب" المصباح المنير / عضب، ص 157. و "الطريد المحدد" أساس البلاغة / طرر، 600 / 1¹²

قُلْتُ: فَمَدِينَةُ غَرْنَاطَةَ¹؟

قَالَ: حَضْرَةُ سَنِيَّةٌ، وَالشَّمْسُ عَنْ مَدَحِ الْمَادِحِ غَنِيَّةٌ، كَبُرْتُ عَنْ قِيلٍ وَقَالَ، وَجَلَّتْ² عَنْ وَامِقٍ وَقَالَ، وَقَيَّدَتِ الْعَقْلَ بِعَقَالٍ، وَأَمِنْتُ لِحَالِ حُسْنِهَا مِنْ انْتِقَالٍ. لَوْ خُيِّرْتُ فِي حُسْنِ الْوَضْعِ لَمَا زَادَتْ وَصْفًا، وَلَا أَحْكَمْتُ رَصْفًا، وَلَا أَخْرَجْتُ أَرْضُهَا رِيحَانًا وَلَا عَصْفًا، وَلَا أَخَذْتُ بِأَشْتَاتِ الْمَذَاهِبِ وَأَصْنَافِ الْمَوَاهِبِ حَدًّا وَلَا قَصْفًا. كُرْسِيُّهَا ظَاهِرُ الْإِشْرَافِ، مُطْلٌ عَلَى الْأَطْرَافِ، وَدِيَوَانُهَا مَكْتُوبٌ بِآيَاتِ الْأَنْفَالِ وَالْأَعْرَافِ.

وَهَوَاؤُهَا صَافٍ، وَلِلْأَنْفَاسِ مُصَافٍ. حَجَبَتِ الْجُنُوبَ عَنْهَا الْجِبَالُ، فَأَمِنَتِ الْوَبَاءَ وَالْوَبَالَ، وَأَصْبَحَ سَاكِنُهَا غَيْرَ مُبَالٍ، وَفِي جُنَّةٍ مِنَ النَّبَالِ، وَانْفَسَحَتِ لِلشَّمَالِ، وَاسْتَوْفَتْ شُرُوطَ الْكَمَالِ، وَانْحَدَرَ مِنْهَا مُجَاوِزُ الْجَلِيدِ عَلَى الرَّمَالِ.

وَأَنْبَسَطَ بَيْنَ يَدَيْهَا الْمَرْجُ، الَّذِي نَضْرَةُ النَّعِيمِ لَا تُفَارِقُهُ، وَمِدْرَايُ³ النَّسِيمِ تُعْلَنُ بِهَا مَفَارِقُهُ. رِيحٌ مِنْ وَادِيهِ تُعْبَانُ مُبِينٌ، أَنْ لَدَغَ ثُلُولَ شَطِّهِ، تَلَّهَا لِلْجَبِينِ، وَوَلَدَتْ حَيَّاتُ الْمَذَانِبِ عَنِ الشَّمَالِ وَالْيَمِينِ، وَقَلَدَ مِنْهَا اللَّبَّاتِ سُلُوكًا تَأْتِي مِنَ الْحَصْبَاءِ بِكُلِّ دُرٍّ ثَمِينٍ. وَتَرَكَ الْأَرْضَ مُخْضَرَّةً، تُغِيرُ مِنْ خَضْرَاءِ السَّمَاءِ ضَرَّةً. الْأَزْهَارُ مُفْتَرَّةٌ، وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِرُخْرِفِهَا مُعْتَرَّةٌ:

أَيَّ وَادٍ أَفَاضَ مِنْ عَرَفَاتٍ فَوْقَ حَمْرَائِهَا أَتَمَّ إِفَاضَةٍ
ثُمَّ لَمَّا اسْتَقَلَّ بِالسَّهْلِ يَجْرِي شَقٌّ مِنْهَا بِحُلَّةٍ فَضْفَاضَةٍ

9- غرناطة معناها "الرمانة"، وهي شعارها التاريخي، تقع في واد عميق، ينتد من المنحدر الشمالي لغربي لجلال " سيبيرانيفادا" ويحدها من الجنوب نهر شنيل فرع الوادي الكبير، ويخترق فرعه " حدره" المدينة من الوسط، وإلى يمينه يقع حي البيازين، ومعظم المدينة الحديثة، وتقع صقبة الحمراء في الناحية الأخرى. رحلة ابن بطوطة لهذه المدينة
- م: "حلت" وهو تصحيف.²

- م: "مدرار" ولعل الصواب ما أثبت، "ومن المجاز نطحه الثور بالمدرى وهو القرن شبه بمدرى الشعر في حدة طرفه" أساس البلاغة / درى، 1/ 285³

كُلَّمَا انْسَابَ كَانَ غُصْنًا صَقِيلًا وَإِذَا مَا اسْتَدَارَ كَانَ نَفَاضَةً

فَتَعَدَّتِ الْفُرَى وَالْجَنَّاتُ، وَحُقَّتْ بِالْأَمَاتِ مِنْهَا النَّبَاتُ، وَرَفَّ النَّبَاتُ، وَتَدَبَّجَتِ الْجَنَابَاتُ، وَتُقُلَّدَتِ
الْلَّبَّاتُ، وَطَابَتْ بِالنَّوَاسِمِ الْمَهَبَّاتُ¹، وَدَارَتْ بِالْأَسْوَارِ دَوْرَ السَّوَارِ الْمُنَى² وَالْمُسْتَخْلَصَاتُ، وَنُصِبَتْ
[لِعَرَاسِ]³ الرُّوْضِ الْمِنْصَّاتُ، وَقَعَدَ سُلْطَانُ الرَّبِيعِ لِعَرْضِ الْقَصَّاتِ، وَخَطَبَ بُلْبُلُ الدَّوْحِ فَوَجَبَ
الْإِنْصَاتُ، وَتَمَرَّجَتِ الْأَعْنَابُ، وَاسْتَبَحَرَ⁴ بِكُلِّ عَذْبِ الْجَنَى مِنْهَا الْجَنَابُ.

وَرُيِّنَتْ السَّمَاءُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَبْرَاجِ الْعَدِيدَةِ بِأَبْرَاجٍ، ذَوَاتِ دَقَائِقٍ وَأَدْرَاجٍ، وَتَنَفَّسَتْ الرِّيحُ عَنْ أَرَاكِ،
أَذْكَرَتِ الْجَنَّةُ كُلَّ أَمَلٍ عِنْدَ اللَّهِ وَرَاجٍ. وَتَبَرَّجَتْ بِحَمْرَائِهَا الْقُصُورُ مُتَبَسِّمَةً عَنْ بِيضِ الشُّرَفَاتِ،
سَافِرَةً عَنْ صَفَحَاتِ الْقِبَابِ الْمُرْخَرَفَاتِ. تَقْدِفُ بِالْأَنْهَارِ⁵ مِنْ بَعْدِ الْمُرْتَقَى فَيُوضُ بِحَارِهَا الزُّرْقُ،
وَتُنَاغِي أَذْكَارَ الْمَآذِنِ بِأَسْحَارِهَا نَعْمَاتُ الْوُرْقِ⁶.

وَكَمْ أَطْلَقَتْ مِنْ أَفْئَادٍ وَأَهْلَةٍ، وَرَبَّتْ مِنْ مُلُوكٍ جِلَّةٍ، إِلَى بَحْرِ التَّمَذُّنِ الْمُحِيطِ الْإِسْتِدَارَةِ،
الصَّادِعِ عَنِ الْأَحْكَامِ وَالْإِدَارَةِ، ذِي الْمَحَاسِنِ غَيْرِ الْمُعَارَةِ، الْمُعْجَزَةِ لِسَانَ الْكِنَايَةِ وَالِاسْتِعَارَةِ؛ حَيْثُ
الْمَسَاجِدُ الْعَتِيقَةُ الْقَدِيمَةُ، وَالْمِيَازِبُ الْحَافِظَةُ لِلرَّيِّ الْمُدِيمَةِ، وَالْجُسُورُ الْعَرِيضَةُ⁷، وَالْعَوَائِدُ الْمُقَرَّرَةُ
تَقْرِيرِ الْفَرِيضَةِ. وَالْأَسْوَاقُ الْمَرْقُومَةُ الْإِطْرَاقِ، بِنَفَائِسِ الْأَذْوَاقِ، وَالْوُجُوهُ الزُّهْرُ وَالْبَشَرَاتُ الرَّقَاقُ،
وَالزِّيُّ الَّذِي فَاقَ زِيَّ الْآفَاقِ⁸، وَمَلَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِشْفَاقِ:

- أ، ق، م: "الهبات" والمثبت من ع.¹

- م: "المنى"²

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م³

- أ، ق: "استنجز"، م: "اسنجر" والمثبت من ع.⁴

- م: "بالنهار" ولعل الصواب ما أثبت.⁵

- "أورق لونه كلون الرماد وحمامة ورقاء" المصباح المنير/ ورق، ص 251⁶

- م: "العريفة" ولعل الصواب ما أثبت.⁷

- م: "الأوان" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت تشكيلا للسجع.⁸

بَلَدٌ جَلَّلَهَا اللَّهُ سَنَاءً وَسَنَا وَأَجْرُ السَّعْدِ مَنْحِلٌ لَدَيْهَا رَسْنَا
 قَدْ أَجَرَتْ سَكْرًا أَحْمَا وَرَزَقًا حَسَنًا أَعْجَزَتْ عَنْ مُنْتَهَى الْفَخْرِ الْبُعِيدِ اللِّسْنَا
 يَرُوقُكَ فِي إِطْرَاقِهَا حُسْنُ الصُّورَةِ وَجَمَالُهَا، وَظَرْفُ الصَّنَائِعِ وَكَمَالُهَا، وَالْفَعْلَةُ وَأَعْمَالُهَا، حَتَّى
 الْأَطْلَالُ وَأَنْهَمَالُهَا وَالسُّؤَالُ وَأَسْمَالُهَا:

كُلُّ عَلَيْهِ مِنْ الْمَحَاسِنِ لَمَحَةٌ فِي كُلِّ طَوْرِ لِلْوُجُودِ تَطَوُّرًا
 كَالرُّوضِ يَعْجَبُ فِي ابْتِدَاءِ نَبَاتِهِ وَإِذَا اسْتَجَمَّ بِهِ النَّبَاتُ وَنُورًا
 وَإِذَا الْجَمَالُ الْمُطْلَقُ اسْتَشْهَدَتْهُ أَلْغِيَتْ مَا انْتَحَلَ الْخَيَالُ وَزُورًا
 ثُمَّ قَالَ: أَيُّ أَمْنٍ عَرِيٍّ عَنْ مَخَافَةٍ، وَأَيُّ حَصَافَةٍ لَا تُقَابِلُهَا سَخَافَةٌ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ. لَكِنَّهَا وَاللَّهِ
 بَرْدُهَا يُطْفِئُ حَرَّ الْحَيَاةِ، وَيَمْنَعُ الشَّفَاهَ عَنْ رَدِّ التَّحِيَّاتِ، وَأَسْعَارُهَا يَشِيمُ¹ مَعْيَارُهَا بِالتَّرَهَاتِ، وَعَدُوُّهَا
 يُعَاطِي كُؤُوسَ الْحَرْبِ بِهَآكَ وَهَاتِ، إِلَى السَّكَنِ الَّتِي بَانَ خُمُولُهَا، وَلَمْ يَقْبَلِ الْمَوْضُوعَ مَحْمُولُهَا.
 وَالْكَرْبُ الَّذِي يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ فِيهَا صَادَفَ إِضَافَةً أَوْ تَرْفِيهًا، وَالْمُكُوسُ الَّتِي تَطْرُدُ الْبَرَكَةَ
 وَتَتَفِيهًا،² إِلَى سُوءِ الْجَوَارِ، وَجَفَاءِ الزُّوَارِ، وَنَزَالَةِ الدِّيَارِ، وَغَلَاءِ الْخَشَبِ وَالْجِيَارِ، وَكَسَادِ الْمَعَاشِ
 عِنْدَ الْإِضْطِرَارِ، وَاهَانَةِ³ الْمَقَابِرِ وَهِيَ دَارُ الْقَرَارِ، وَقَصْرِ الْأَعْمَارِ، وَاسْتِحْلَالِ الْغَيْبَةِ فِي الْأَسْحَارِ،
 وَاحْتِقَارِ أَوْلِي الْفَضْلِ وَالْوَقَارِ، وَالتَّنَافُسِ فِي الْعَقَارِ، وَالشُّحِّ فِي الدَّرْهِمِ وَالْدِّيْنَارِ، بِالْيَمِّ وَالنَّارِ. ثُمَّ
 قَالَ: اَللَّهُمَّ غُفْرًا، وَإِنْ لَمْ نَقُلْ كُفْرًا، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}⁴

- ع: "يسيم"، م: "يشمر" ولعل الصواب ما أثبت؛ "شيمت الشيف: سلطته وقربته" أساس البلاغة / شيم، 1/ 531. أي أن الأسعار
 تقارب الأباطيل لارتفاعها.¹
 - أ، ق، م: "تلقيا" والمثبت من ع²
 - م: "إمعان" وهو تحريف.³
 - سورة النساء، الآية: 48⁴

وَلِلَّهِ دَرُّ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ إِذْ يَقُولُ:

أَصْبَحَتِ الدِّيَارُ لَنَا فِتْنَةً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ

اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى ذِمِّهَا وَمَا نَرَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكًا

قُلْتُ: فَالْحَمَّةُ¹؟

قَالَ: أَجَلُ الصَّيْدِ وَالْحَجَلِ، وَالصَّحَّةِ وَإِنْ كَانَ الْمُعْتَبَرُ الْأَجَلُ، وَتَوَرَّدَ الْخُدُودِ وَإِنْ لَمْ يَطْرُقْهَا
الْخَجَلُ. وَالْحَصَانَةُ عِنْدَ الْهَرَبِ مِنَ الرَّيْبِ، وَالْبُرُّ كَأَنَّهُ قِطْعُ الذَّهَبِ، وَالْحَامَةُ الَّتِي حَوْضُهَا يَفْهَقُ
بِالنَّعِيمِ، مَبْدُولَةٌ لِلْخَامِلِ وَالزَّرْعِيمِ، تَمَّتْ تَنْبِيئُهَا² بِالنَّسَبِ إِلَى تَنْبِيَةِ التَّنْعِيمِ. قَدْ مَلَأَهَا اللَّهُ اعْتِدَالًا، فَلَا
تَجِدُ الْخَلْقَ اعْتِيَاظًا وَلَا اسْتِبْدَالًا، وَأَنْبَطَ³ صَخْرَتَهَا الصَّمَاءُ عَذْبًا زُلَالًا، قَدْ اعْتَزَلَ الْكَدَرُ⁴ اعْتِرَالًا.
لَكِنَّ مَزَارِعَهَا لَا تَرْوِيهَا الْجَدَاوِلُ، وَلَا يُنْجِدُهَا إِلَّا الْجُودُ الْمَزَاوِلُ.

فَإِنْ أَخْصَبَ الْعَامُ، أَعْيَى الطَّعَامُ، وَإِنْ أَخْلَفَ الْإِنْعَامُ، هَلَكَتِ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ. وَالْفَوَاكِهُ يَطْرُقُ
بِهَا الْجَلْبُ، وَتُنْذِرُ عَلَيْهَا الْحَلْبُ، وَعَصِيرُهَا لَا يَلِيقُ لَا بِالْأَكْلِ وَلَا بِالصَّلْحِ لِلْجَلْبِ⁵، وَبَرْدُهَا شَدِيدٌ، وَإِنْ
لَمْ يَقْضِ بِهِ الْمُتَقَلِّبُ.

- الْحَمَّةُ: "قرية في صصعيد مصر. والحة مدينة بإفريقية من عمل قسطنطينية من نواحي بلاد الجريد" معجم البلدان، 2/ 306¹

- ع: "نبيتها" ولعل الصواب ما أثبت بدليل ما أتى بعدها.²

- ع، م: "أنيط" ولعل الصواب ما أثبت؛ "نبط الماء من البئر نبطا وأنبطوه واستنبطوه" أساس البلاغة نبط، 2/ 243³

- م: "الكور" ولعل الصواب ما أثبت.⁴

- ع، م: "للحلب"⁵

قُلْتُ: فَصَالِحَةٌ¹؟

قَالَ: لَوْلَا أَنَّهَا مُنَاخٌ لَمْ تُذَكَّرْ، فَلَيْسَتْ مِمَّا يُدَّمُ وَلَا يُشْكَرُ. وَإِنْ كَانَ مَأْوَاهَا فَضِيًّا، وَوَجْهُهُ جَوْهَا وَضِيًّا، وَعَصِيرُهَا مُرْضِيًّا، وَرِزْقُهَا أَرْضِيًّا، وَفَضْلُهَا ذَاتِيًّا لَا عَرْضِيًّا، فَهِيَ مَهَبٌ نَسْفٍ، وَدَارٌ خَسْفٍ، وَأَهْلُهَا بُهْمٌ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فَهْمٌ.

قُلْتُ: فَالْبِيرَةُ وَمُنْتَفَرِيدٌ²؟

قَالَ: بَلَدًا ارْتِفَاقٍ، بِإِجْمَاعٍ وَإِصْفَاقٍ. مَعْدِنُ الْبَرِّ الزَّكِيِّ، وَالصَّيْدُ الذَّكِيُّ. وَهُمَا ذَا شَاهِقٍ، وَمَصْرَحٍ نَاهِقٍ، وَمَعْدِنُ بَرٍّ فَائِقٍ، إِنْ لَمْ يُعَقِّ مِنْ عَدُوِّ الْقَلْعَةِ عَائِقٌ. قُلْتُ: فَلَوْشَةٌ³؟

قَالَ: مَرَأَى بَهِيحٍ، وَمَنْظَرٌ يَرُوقُ وَيُهِيجُ، وَنَهْرٌ سَيَّالٌ، وَغُصْنٌ مَيَّادٌ مَيَّالٌ، وَجَنَاتٌ وَعُيُونٌ، وَلَدَّاتٌ لَا تَمُطُّ بِهَا دُيُونٌ، وَجَدَاوِلُ تَنْضَحُ بِهَا الْجَوَانِحُ، وَمَحَاسِنُ يَشْعَلُ بِهَا عَنْ وَكْرِهِ السَّانِحُ، وَنِعَمٌ يُذَكَّرُ بِهَا الْمَانِعُ الْمَانِحُ.

مَا شِئْتُ مِنْ رَحَى تَدُورُ، وَنُطْفٍ⁴ تَشْفَى بِهَا الصُّدُورُ، وَصَيْدٍ وَوَفُودٍ، وَأَعْنَابٍ⁵ كُلَّمَا زَانَتْ

- صالحة: "محلة ببغداد تنسب إلى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين. والصالحية أيضا قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق وفيها قبور جماعة من الصالحين" معجم البلدان، 3/ 390¹
-² البيرة: مقاطعة كبيرة من أرض الأندلس ومدينة في الشرق الجنوبي من قرطبة وقد غلب على هذه المقاطعة بعد ذلك اسم غرناطة وبها دعيت قاعدتها ينسب إليها الشاعر أبو إسحاق بن مسعود الألبيري.
منتفريد: من حصون برجلة غرناطة.

- لوشة: "تعرف اليوم باسم (لوخا) وتبعد عن مدينة غرناطة بنحو 50 كلم من ناحية الجنوب الغربي" الروض المعطار: 173-174³
- "ورأيت في أذانهم النُطْف وهي القِرْطَة. الواحدة: نُطْفَة وَنُطْفَة، وأصلها اللؤلؤة التي صفا مأوها تعلقها الجارية في أذنها" أساس البلاغة / نطف، 2/ 281⁴
- م: "إعنات" هو تصحيف.⁵

اللَّبَاتِ عُقُودٌ، وَأَرَانِبَ تَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ¹، إِلَى مَعْدِنِ الْمَلْحِ، وَمَعَصِرِ الزَّيْتِ، وَالْخُضْرِ الْمُتَكَفِّفَةِ بِخِصْبِ النَّيْتِ، وَالْمَرَافِقِ الَّتِي لَا تُحْصَرُ إِلَّا بَعْدَ الْكِتِ، وَالْخَارِجِ الَّذِي عَضَدَ مُسْحَةَ الْمَلَاخَةِ بِجَدْوَى الْفَلَاخَةِ.

إِلَّا أَنْ دَاخِلَهَا حَرَجُ الْأَرْقَةِ، وَأَحْوَالُ أَهْلِهَا مَائِلَةٌ إِلَى الرِّقَّةِ، وَأَزِقَّتْهَا قَدْرَةٌ، وَأَسْبَابَ التَّصْرِيفِ² فِيهَا مُتَعَدِّرَةٌ، وَمَنَازِلَهَا لِنَزَائِلِ³ الْجُنْدِ نَازِلَةٌ، وَعُيُونُ الْعَدُوِّ لِتَغْرِهَا الشَّنِيبِ⁴ مُعَاذِلَةٌ.

قُلْتُ: فَأَرْجُدُونَهُ؟⁵

قَالَ: شَرُّ دَارٍ، وَطَلَّلَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ جِدَارٍ، وَمَقَامٌ يَرْجِعُ الْبَصَرُ عَنْهُ إِلَيْهِ وَهُوَ حَاسِرٌ⁶، وَعَوْرَةٌ سَاكِنِهَا -لِعَدَمِ الْمَاءِ- مُسْتَأْسِرٌ، وَقَوْمُهَا ذُو بَطَرٍ وَأَشْرٍ، وَشَيْوُخُهَا ثِيُوسٌ فِي مَسَالِخِ⁷ بَشَرٍ، طَعَامٌ⁸ مَنْ يَفُوتُ مِنْهُمْ أَوْ يَعُولُ، الثِّيُوسُ وَالْوُعُولُ، وَحَرْنُهَا مِقْلٌ، وَخُلُقُهَا حَسَدٌ وَغِلٌّ.

قُلْتُ: فَأَنْتَقِيرُهُ؟⁹

قَالَ: مَحَلُّ الْحَرْثِ وَالْإِنْعَامِ، وَمَبْدَرُ الطَّعَامِ، وَالْمِرَاةُ الَّتِي يَتَجَلَّى فِيهَا وَجُوهُ الْعَامِ، الرَّحْبُ وَالسَّهْلُ، وَالنَّبَاتُ¹⁰ وَالطِّفْلُ، وَالْمَنْسِمُ¹¹ وَالْكَهْلُ، وَالْوَطَنُ وَالْأَهْلُ. سَاحَتُهَا الْجَدَاوِلُ فِي فَحْصِهَا

- قال تعالى: {وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ زِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلَمْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا} سورة الكهف، الآية: 18¹

- ع: "التطرف"²

- م: "ترامل" وهو تحريف.³

- "ثغر أشنب وفيه شنب وهو رفته وصفاءه وبرده" أساس البلاغة / شنب، 1/ 523⁴

⁵- أَرْجُدُونَهُ: "مدينة بالأندلس؛ قال ابن حوقل: رية عظيمة بالأندلس مدينتها أَرْجُونَةُ؛ منها كان عمرو بن حفصويه الخارج على بني أمية" معجم البلدان، 1/ 144

- قال تعالى: {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ} سورة الملك، الآية: 04⁶

- م: "مسالح" ولعل الصواب ما أثبت، أي ثيوس في جلود بشر.⁷

- أ، ق، م: "طعام" والمثبت من م.⁸

- أَنْتَقِيرُهُ: "يفتح التاء فوقها نقطتان والقاف وياء ساكنة وراء، حصن بين مالقة وغرناطة" معجم البلدان: 1/ 259⁹

- م: "النبات" وهو تصحيف.¹⁰

- "الْمَنْسِمُ باطن الخف وهو للبعير كالسنبك للفرس" المصباح المنير / نسيم، ص 231¹¹

الْأَفْيَحِ، وَسَالَتْ وَأَنْسَابَتْ حَيَاةُ الْمَذَانِبِ¹، فِي سَفْيِهَا الرَّحْبِ الْجَوَانِبِ. وَأَنْسَالَتْ لَا تَشْكُو مِنْ نُبُوِّ سَاحَةِ، وَلَا تُسْفِرُ إِلَّا عَنْ مَلَاخَةٍ، وَلَا تُضَاهِي فِي جَدْوَى فِلَاحَةٍ.

إِلَّا أَنَّهَا جَرْدَاءُ الْخَارِجِ، بَلْ مَارِدٌ وَمَارِجٌ، وَشِدَّةُ فَرْجِهَا بَارِجٌ، لَا تَصْطَبِئُهَا الْمَسْلَحَةُ لِلِاتِّسَاعِ، وَالذَّرْعُ الْوِسَاعِ، قَلِيلَةُ الْفَوَاكِهِ، عَدِيمَةُ الْمُلاطِفِ وَالْفَاكِهِ، أَهْلُهَا أَوْلُو سُرُورٍ وَغُرُورٍ، وَسِلَاحٌ مَشْهُورٌ، وَقَاهِرٌ وَمَقْهُورٌ، لَا تَقْبَلُ غَرِيبًا، وَلَا تَعْدِمُ مِنَ الْعَدُوِّ تَنْزِيًّا.

قُلْتُ: فَذَكْوَان؟

قَالَ: رَوْضٌ وَعَدِيرٌ، وَفَوَاكِهُ جَلَتْ عَنْ تَقْدِيرٍ، وَخَوَزَنَقٌ وَسَدِيرٌ، وَمَائِدَةٌ لَا تَقُوتُهَا فَائِدَةٌ. دَارَتْ عَلَى الطَّحْنِ الْغَرِيرِ أَحْجَارُهَا، وَالتَّقَتْ أَشْجَارُهَا، وَطَابَ هَوَاؤُهَا، وَخَفَقَ بِالْمَحَاسِنِ لَوَاؤُهَا. إِلَّا أَنَّهَا ضَالَّةٌ سَاقِطَةٌ، وَحَبَّةٌ تَرْتَقِبُ لَاقِطَةً، لَا تَدْفَعُ عَنْ قُرْطِهَا وَسِوَارِهَا بِأَسْوَارِهَا، وَلَا تَمْنَعُ نَزْعَ صِدَارِهَا² بِجِدَارِهَا، قَضَتْ بِقَلَّةِ أَعْيَانِهَا، حَدَاثَةَ بُنْيَانِهَا.

قُلْتُ: فَقَرْطَمَةٌ؟³

قَالَ: الْكُرْكُ⁴ الَّذِي يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الدَّرْكُ، وَإِنْ عَظُمَ الْمُعْتَرِكُ، جَوُّهَا صَافٍ فِي مَشْتَى وَمِصْطَافٍ، وَتُرْبُهَا لِلْبَرِّ مُصَافٍ، وَعَصِيرُهَا بِالْكَثَرَةِ ذُو انِّصَافٍ. إِلَّا أَنَّ الْمَاءَ بِمَعْقِلِهَا مَخْزُونٌ، وَعَتَادٌ مَوْزُونٌ،

- "المذانب جمع مذنب وهو المسيل في الحضيض إذا لم يكن واسعاً" أساس البلاغة / ذنب، 1 / 318¹

- "وأخضل الدمع صدارها وهو ثوب تغطي به الرأس والصدر" أساس البلاغة / صدر، 1 / 540²

³ - قَرْطَمَةٌ: بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الطاء والميم: مدينة بالأندلس غير قرطبة وهذه من أعمال رية صالحة الأهل.

- الْكُرْكُ: رداء ذو فرو. ⁴

وَأَهْلَهَا فِي الشَّدَائِدِ لَا يُجْزُونَ¹، أَيْدِيهِمْ بِالْبُخْلِ مَغْلُولَةٌ، وَسُيُوفُ تَسَاجِرِهِمْ مَسْلُولَةٌ.

قُلْتُ: فَمَدِينَةُ رُنْدَةَ؟²

قَالَ: أُمُّ جَنَابٍ وَحُصُونٍ، وَشَجَرَةٌ ذَاتُ عُصُونٍ، وَجَنَابٌ خَصِيبٌ وَحِمَى مَصُونٌ. بَلَدٌ زَرْعٍ وَضَرْعٍ، وَأَهْلٍ وَفَرْعٍ. مَخَازِنُهَا بِالْبُرِّ مَالِيَّةٌ، وَأَقْوَاتُهَا جَدِيدَةٌ وَبَالِيَّةٌ، وَنِعْمُهَا بِجَوَارِ الْجَبَلِ مُتَوَالِيَّةٌ. وَهُوَ بَلَدٌ أَعْيَانٍ وَصُدُورٍ، وَشُمُوسٍ وَبُدُورٍ، وَدُورٍ أَيْ دُورٍ، وَمَاءٌ وَادِيهَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ فِي حُدُورٍ، بِحُكْمٍ مَقْدُورٍ.

وَفِي أَهْلِهَا فَضَاضَةٌ وَغَضَاضَةٌ، مَا فِي الْكَفِّ بِهَا غَضَاضَةٌ³، تَلْبَسُ نِسَاؤُهَا الْمُوقَ⁴، عَلَى الْأَمَلِ الْمَرْمُوقِ، وَيُسْفِرْنَ عَنِ الْخَدِّ الْمَعْشُوقِ، وَيُنْعِشْنَ قَلْبَ الْمَشُوقِ، بِالطَّيِّبِ الْمُنْشُوقِ. إِلَّا أَنَّ الْعَدُوَّ طَوَى ذَيْلَ بُرُودِهَا، وَغَصَبَ بِنْيَاتِهَا، وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى رَدِّهَا، وَأَضَاقَ خَارِجَهَا، وَخَفَضَ مَعَارِجَهَا، وَأَعْلَى طَائِرَهَا وَدَارِجَهَا.

فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْحَدَّ، قَالَ: هَلِ اكْتَفَيْتُ؟ فَقَدْ شَرَحْتُ صَدْرَكَ وَشَفَيْتُ، وَبِمَا طَلَبْتَ مِنِّي قَدْ وَفَّيْتُ. يَا بُنَيَّ كَأَنِّي بِالصَّبَاحِ السَّافِرِ، وَأَدْهَمُ الظَّلَامِ النَّافِرِ قَدْ أَحْفَلَ أَمَامَ مِقْنَبِهِ⁵

- "بِعِيرٍ مَجْزِيٍّ: قَوِيٍّ سَمِينٍ" أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ/ جُزْءٌ، 136/1. وَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ أَنَّ أَهْلَهَا لَا يَقُودُونَ فِي الشَّدَائِدِ وَلَا يَنْتَبِتُونَ.¹
- رُنْدَةُ: "مَدِينَةٌ مِنْ جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ، شَمَالُ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ وَغَرْبِيَّةُ مَدِينَةِ مَالَقَةَ، مِنْ أَهَمِّ الْحَصُونِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ. وَفِي أَيَّامِ أَبِي الْحَسَنِ كَانَتْ رُنْدَةُ قَاعَةً مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمَرِينِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ. وَقَدْ اسْتَقَرَّ بِهَا مُحَمَّدُ الْغَنِي بِاللهِ أَثْنَاءَ رَجُوعِهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ" رُنْدَةُ فِي الْمَعْلَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: 3/ 1245²

- "غَضَاضَةٌ أَيْ نَقْصٌ وَعَيْبٌ" أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ / غَضَضَ، 1/ 704³

- "الْمُوقُ الْخَفُّ" م. م/ مَوْقٌ، ص 224⁴

2- "خَلَبَ السَّبْعَ فِي مِقْنَبٍ وَقِنَابٍ وَهُوَ كَمَهُ وَغَطَاؤُهُ" أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ / قَنْبٌ، 2/ 103

الوَافِرِ، وَتَرَكَ مِنَ الْهَلَالِ نَعْلَ الْحَافِرِ. وَنَفْسِي مَطِيَّتِي، وَقَدْ بَلَغْتُ اللَّيْلَةَ طَبِيتِي، وَأَجَزَلْتَ عَطِيَّتِي.
فَلُنْجِمَ بِالْحَمْضِ، وَنُلِمَّ بِالْغُمُضِ. وَأَنَا بَعْدُ نَزِيلُكَ، إِنَّ سَرَنِي جَزِيلُكَ، وَعَدِيلُكَ إِنَّ ضَحِكَ إِيَّيْ مَنْدِيلُكَ،
وَسَمِيرُكَ إِنَّ رَوَانِي تَمِيرُكَ. فَبَادَرْتُ الْبَدْرَةَ فَفَضَضْتُهَا، وَالصَّرَّةَ فَافْتَضَضْتُهَا، وَالْعَيْبَةَ فَفَنَضَضْتُهَا،
وَالْمَعَادِينَ فَافْضَضْتُهَا.

فَقَالَ بُورِكْتُ مِنْ مِرَاسٍ، وَأُنْشَدَ قَوْلَ أَبِي نُوَاسٍ:
مَا مِنْ يَدٍ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً ... كَيْدِ أَبُو الْعَبَّاسِ أُولَاهَا
نَامَ الثَّقَاتُ عَلَى مَصَاجِعِهِمْ ... وَسَرَى إِلَى نَفْسِي فَأَحْيَاهَا
ثُمَّ قَالَ: نَمَ فِي أَمَانٍ مِنْ خُطُوبِ الزَّمَانِ، وَثَمَ فِي ضَمَانٍ مِنْ وِقَايَةِ الرَّحْمَنِ. فَلَعَمْرِي، وَمَا
عَمْرِي عَلَيَّ بِهِيْنِ، وَلَا الْحَلْفُ لَدَيَّ بِمُتَعَيِّنٍ، لَوْ كَانَ الْجُودُ ثَمَرًا لَكُنْتُ لُبَابَهُ، أَوْ عُمَرًا لَكُنْتُ شَبَابَهُ،
أَوْ مَنْزِلًا لَكُنْتُ بَابَهُ. فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَحَلْتُ جَفْنِي بِمِيلِ الرُّقَادِ، وَقَدْ سَلِسَ الْمَقَادُ، وَقَامَ قَيْمُ الْخَانَ إِلَى
عَادَةِ الْإِفْتِقَادِ، وَبَادَرَ سِرَاجَهُ الْإِيقَادُ.

وَنَظَرْتُ إِلَى مَضْجَعِ الشَّيْخِ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا زَنْبُرٌ¹ أَطْمَارُهُ، وَرَوْتُ حِمَارَهُ، فَخَرَجْتُ لِإِيثَارِهِ مُقْتَبِيًا
لِإِتَارِهِ، فَكَأَنَّ الْحَلَكَ لَفَهُ فِي مَدَارِهِ، أَوْ خَسَفَتِ الْأَرْضُ بِهِ وَبِدَارِهِ، وَسَرْتُ فِي قَلْبِي -لَبِينِهِ وَذَهَابِ
أَثَرِهِ وَعَيْنِهِ- حُرْقَةً، وَقُلْتُ مُتَأَسِّيًا لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ حَبِيبَيْنِ فُرْقَةً.

- الزنبور: الزغب والوبر الذي يعلو المنسوجات.¹

قَالَ الْمُخْبِرُ: فَلَمَّا انْدَمَلَ جُرْحُ الْفِرَاقِ، بَعْدَ طُولٍ، وَزَمَانٍ مَطُولٍ، وَمَحَا رَسَمَ التَّذَكُّرِ تَكَرَّرُ
فُصُولٍ، وَنُصُولُ خِصَابٍ وَخِصَابُ نَصُولٍ. بَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ أَسْوَاقِ الْعُبَارِ، أُسْرَحُ طَرْفَ
الِإِعْتِبَارِ، فِي أُمِّ تَنْسِلٍ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ¹، وَتَنْتَدِبُ مِنْ كُلِّ مُنْتَدَى وَمُنْتَدَبٍ، مَا بَيْنَ مُشْتَمِلِ الصَّمَاءِ²
يَلْوِيهَا، وَلَا يَثِثُ³ الْعِمَامَةَ لَا يُسَوِّيَهَا. وَصَاعِدٍ مِنْ غَوْرٍ، وَمُنْتَظَلٍّ مِنْ جَوْرٍ، وَمُمْسِكٍ بِذَنْبٍ عَيْرٍ أَوْ
رَوْقٍ⁴ ثَوْرٍ، يَمْوُجُونَ، وَمِنْ الْأَجْدَاثِ يَخْرُجُونَ⁵، كَأَنَّهُمْ التَّمَلُّ نَشْرُهَا.

وَقَدْ بَرَزَتْ إِلَى الشَّمْسِ مِنْ مَنْظَرِ الْأُمْسِ، يُشِيرُونَ بِأَجْنِحَةِ الْأَكْسِيَةِ، وَيَتَسَاقُطُونَ عَلَى ثِمَادِ
الْقُلُوبِ⁶ وَأَسَارِ الْأَحْسِيَةِ⁷. وَقَدْ اصْطَفَى ذَابِحُو الْجُرُورِ، وَبَائِعُو اللَّبُوبِ وَالْبُدُورِ، وَلَصِقَ بِالْأَمْلِيَاءِ⁸
حَلَلَةُ الْعُقَدِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ.

وَنَظَرْتُ فِي ذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ، الْهَائِلِ الْمَرَائِي وَالْمُسْتَمَعِ، إِلَى دَرَسَةِ غِيٍّ، وَطَهَاةِ عِيٍّ، وَرُقَاةِ
جُنُونٍ، بِضُرُوبٍ مِنَ الْقَوْلِ وَفُنُونٍ، وَفِيهِمْ كَهْلٌ قَدْ اسْتَظَلَّ بِقَيْطُونٍ، وَسَلَّ سَيْفَ الْأَطُونِ، وَتَحَدَّى
بِرُفْيَةِ لَدِيغٍ وَمُدَاوَاةِ مَبْطُونٍ⁹، قَدْ اشْتَمَلَ بِمَسَلٍ¹⁰ غِفَارِهِ¹¹، وَبَيْنَ يَدَيْهِ غُبَارٌ¹² فِي جِلْدِ قَارِهِ، وَطَحَنَ
مِنْ إِطْعَامِ كَفَّارَةٍ، وَأَمَامَهُ تَلْمِيذٌ قَدْ شَمَّرَ الْأَكْمَامَ، وَالتَفَتَ الْخَلْفَ وَالْأَمَامَ، وَصَرَفَ لَوْحِي لَحْظِهِ

- قال تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} سورة الأنبياء، الآية: 96¹

- "اشتغال الصماء الالتحاف بالثوب من غير أن يجعل له موضع تخرج منه اليد" المصباح المنير / صمم، ص 133²

- "لاث العمامة على رأسه" أساس البلاغة / لوث، 2/ 182، أي لبسها.³

- م: "رفق" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالروق هو القرن.⁴

- "رايتهم نشرًا: منتشرين" أساس البلاغة / نشر، 2/ 270⁵

- "حفر قليبا وقلبا وهي البئر قبل الطي فإذا طويت فهي الطوي" أساس البلاغة / طوي، 1/ 95. أي ما يتبقى من الماء في البئر.⁶

- "فلان يتأسر: يشرب الأسار... البقية" أساس البلاغة / سار، 1/ 431. أي بقية الحساء في الإناء.⁷

- الأملياء جمع مليء "ورجل مليء مهموز على فعيل غني مقتدر" المصباح المنير / ملل، ص 222⁸

- م: "سطين"⁹

- ع، م: "بسمل"¹⁰

- ع: "غفاره"، م: "غبارهِ"¹¹

- م: "عبار"¹²

الِاهْتِمَامَ. وَهُوَ يَأْسُو وَيَجْرَحُ، وَيَتَكَلَّمُ¹ بِلِسَانِ الْقَوْمِ ثُمَّ يَشْرَحُ، وَيَقِيدُ مَنْ حَضَرَهُ بِقَيْدِ الْعَزِيمَةِ فَلَا يَبْرَحُ، وَيَقُولُ:

أَيُّهَا الْبُهْمُ السَّارِحُ، وَالْحَزْبُ الْمَسْرُورُ بِمَا لَدَيْهِ الْفَارِحُ، وَالسَّرْبُ الَّذِي نَقَاتُهُ² لَوْلَاةِ الْبَغْيِ الْجَوَارِحُ. صَرَفْتُمْ غُرُوبَ اعْتِنَائِكُمْ لِنِسَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ، وَدُهَلْتُمْ عَمَّنْ جَعَلْتُمْ بِفَنَائِكُمْ، وَجَعَلْتُمْ تَطْمَعُونَ وَتَجْمَعُونَ، إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ³. مَنْ وَقَعَتْ عَلَيَّ مِنْكُمْ عَيْنُهُ، فَقَدْ رَأَى فَاتِحَ أَفْقَالِ الْأَسْرَارِ⁴، وَمُثَبَّتِ الْفِرَارِ، وَمُصْنَمَتِ الْآتِكِ⁵ الصَّرَارِ، وَمُقَدَّرِ مِيَاهِ الْآبَارِ بِبَيْسِيرِ الْغُبَارِ، وَمُخْرِجِ الْإِضْمَارِ فِي الْمِضْمَارِ، وَمُذْهَبِ الْمَسِّ وَطَارِدِ الْعُمَارِ⁶.

أَنَا قَاطِعُ الدَّمَاءِ إِذَا نَزَفْتُ، وَكَاشِفُ الْعَمَاءِ إِذَا انْكَشَفْتُ. أَهْنِي الْإِبِلَ فَلَا تَجْرُبُ، وَأَخْطُ حَوْلَ الْحِمَى فَلَا تَدْنُو السَّبَاعُ وَلَا تَقْرُبُ، وَأُدْخِنُ⁷ بِهَا فَلَا تَتَسَلَّلُ الْحَيَّةُ وَلَا تَدِبُ الْعَقْرَبُ. وَإِنْ نَعَيْتُ⁸ الشَّمْسَ لَوْفَتِ مَحْدُودٍ [طُمِسَ فِيهِ نُورُهَا، وَإِنْ وَعَدْتُ الْأَرْضَ بِرِيٍّ مَحْمُودٍ]⁹ فَارَ تَنْوُرُهَا. وَإِنْ كَتَبْتُ لِعَقْدِ النِّكَاحِ انْحَلَّتْ، وَإِنْ عَقَدْتُ خُطَى الضَّالَّةِ وَقَفْتُ حَيْثُ حَلَّتْ، وَإِنْ رَجَرْتُ الْجُنُونَ تَرَكَتْ وَخَلَّتْ، وَإِنْ انْتَبَرَتِ الدَّقَائِنُ أَلْقَتِ الْأَرْضُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ¹⁰.

أَنَا جَرَدْتُ الْبَيْضَةَ الشَّعْرَاءَ، أَنَا رَوَّجْتُ الْفَتَى الشَّرْقِيَّ مِنَ الْجَارِيَةِ الْعُذْرَاءِ. أَنَا صَافَحْتُ الْمَلِكَ، وَرَصَدْتُ الْفَلَكَ، وَمَزَجْتُ بِسِرِّ الْحِكْمَةِ الضِّيَاءَ وَالْحَلَكَ، فَاحْتَقَرْتُ الْمَلِكَ وَمَا مَلَكَ.

- م: "يتحكم" ولعل الصواب ما أثبت.¹

- ع: "نقَاتُهُ"، م: "نقَاتُهُ" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي صوت الطيور.²

- قال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} سورة الأنعام، الآية: 36³

- م: "الأسمار" وهو تحريف.⁴

- م: "الإفك". "الأنك هو الرصاص الخالص ويقال الرصاص الأسود" المصباح المنير / أنك، ص 10⁵

- ع: "الغمار" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ "فلان من عمار الدار أي من جنها" أساس البلاغة / عمر، 1/ 678⁶

- "دَخَنْتُ دَخْنَا إِذَا أَلْقَيْتَ عَلَيْهَا حَطْبًا فَأَفْسَدْتَهَا حَتَّى يَهِيَجَ لَذَلِكَ دَخَانٌ" المصباح المنير / دخن، ص 73⁷

- م: "تغيب"⁸

- ع: ساقط⁹

- قال تعالى: {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} سورة الانشقاق، الآيات: 3-4¹⁰

دَعَوْتُ عِلْمَ الطَّبَّاعِ فَأَطَاعَ، [وَقَطَعْتُ شُكُوكَ الْهَيْئَةِ بِالشَّكْلِ الْقِطَاعِ]¹ وَقُلْتُ بِالْقَدْرِ وَالْإِسْتِطَاعِ،
وَسَبَقْتُ فِي صِنَاعَةِ الْبُرْهَانِ يَوْمَ الرَّهَانِ، وَرَضْتُ صِعَابَ الرِّيَاضِيَّاتِ، حَتَّى ذَلَّ قِيَادُهَا، وَسَهَّلَ
انْقِيَادُهَا، وَعَدَلْتُ الْكَوَاكِبَ، وَاخْتَبَرْتُ الْقُلُوبَ الْبَابَانِيَّةَ وَالْمَنَاكِبَ، وَبَشَّرْتُ عِنْدَ رُجُوعِ خُنْسِهَا²
بِالْغُيُوثِ السَّوَائِبِ.

وَرَتَعْتُ³ بِالِامْتِحَانِ عَلَى صِنَاعَةِ الْأَلْحَانِ، وَقَرَأْتُ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ، وَنَاطَرْتُ قِسِيَّسَ الْبَيْعَةِ،
وَأَعْمَلْتُ فِي الْأُصُولِ مُرَهَفَةَ النُّصُولِ، وَأَحْكَمْتُ أَمْزِجَةَ الطَّبَّاعِ وَطَبَائِعَ الْفُصُولِ. وَامْتَرْتُ بِالْبُرُوعِ
فِي الْفُرُوعِ، وَقُمْتُ فِي الْعَهْدِ الْحَدِيثِ بِالْحَدِيثِ، وَجُزْتُ⁴ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ⁵ دَرَجَةَ الْإِحْسَانِ، وَحَقَّقْتُ
قِسْمَةَ الْفُرُوضِ، وَعَدَلْتُ الشَّعْرَ بِمِيزَانِ الْعُرُوضِ.

وَعَبَرْتُ حُلْمَ النَّوْمِ، وَلَبِسْتُ الْخِرْقَةَ بِشُرُوطِ الْقَوْمِ، وَلَزِمْتُ خُلُوةَ الذِّكْرِ وَمُعْتَكَفَ الصَّوْمِ. وَأَمَّا
مَعْرِفَتِي بِالْأَخْبَارِ وَذَرَعِ الْأَرْضِ بِالْأَشْبَارِ، مَا بَيْنَ جَلِيقَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ⁶، وَأَوْصَافِ الْمُدُنِ الْكِبَارِ، فَقَدْ
ثَبَتَ بِالِاخْتِبَارِ⁷.

قَالَ: فَأَثَارَ قَدِيمِي، وَأَذْكَرَنِي بِنَدِيمِي. فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَوَضَحَ الْخَبْرَ وَالْمَخْبِرُ، فَخُضْتُ إِلَيْهِ،
بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَهُمْ بَحْرٍ زَاخِرٍ، وَأَوَّلَ لَيْسَ لَهُ آخِرُ، وَبُهُمْ يَسْخَرُ مِنْهُ السَّاخِرُ، مَا بَيْنَ كَبْشٍ مُجَبَّرٍ،
وَعَجَلٍ نَاخِرٍ.

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹
- "ومن المجاز: خنس الكوكب رجع" أساس البلاغة / خنس، 1/ 268. ومنه قوله تعالى: {فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُسِ الْجَوَارِ الْكُنُسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} سورة التكوثر، الآيات: 15-19²
- م: "رهبت"³
- م: "حزت"⁴
- ع: ساقط⁵
- ع: ساقط⁶
- م: "الاعتبار"⁷

وَقُلْتُ: أَيُّهَا الْحَبْرُ، ضَالَّتِي قَرِيبٌ أَمَدُهَا، وَمَعْرُوفٌ مُعْتَمِدُهَا، وَعَلَى ذَلِكَ فَالشُّكْرُ مَمْنُوحٌ، وَالرَّفْدُ طُوفَانُ نُوحٍ. فَأَلَانَ الْعَرِيكَةَ، وَسَلَّمَ النَّطْعَ وَالْأَرِيكَةَ. وَقَالَ: أَجُلٌ وَأَعْرِضْ، وَأَنْزِلِ السُّؤَالَ وَأَفْرِضْ. فَقُلْتُ: بِي إِلَى تَعْرِفِ الْبُلْدَانِ جُنُوحٌ وَجُنُونٌ، وَالْجُنُونُ فُنُونٌ. وَقَدْ ظَفَرْتُ قَبْلَكَ بِنِقَابٍ¹، وَعُودٍ اخْتِقَابٍ، وَسَارِبٍ نِقَابٍ²، حَصَلَ بِهِ مِنْ طَلَبِي الشُّكْرُ، وَبِكَ يَتِمُّ السَّطْرُ، وَيَعْظُمُ الْخَطَرُ. فَقَالَ النَّاسُ: مُتَّهَمٌ وَمُنْجَدٌ، وَخَاذِلٌ وَمُنْجَدٌ³، وَلَا تَجُودُ يَدٌ بِمَا تَجِدُ، وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ، وَجَعَلَ يُنْشِدُ:

إِذَا الْمَشْكَلَاتُ تَصَدَّيْنِ لِي كَشَفْتُ غَوَامِضَهَا لِلنَّظَرِ

وَلَسْتُ بِأَمْعَةٍ فِي الرَّجَا لِ أَسَائِلُ هَذَا وَذَا مَا الْخَبَرِ

وَلَكِنِّي مُدْرَهُ الْأَصْغَرِيِّ نِ جَلَابِ خَيْرٍ وَفَرَاغِ شَرٍّ⁴

ثُمَّ قَالَ هَاتِ، أَمِنْ عَقْدِكَ الشُّبُهَاتِ.

قُلْتُ: مَا تَقُولُ فِي بَادِيَسٍ؟⁵

قَالَ: بَدَأْتُ بِحَمْدَةِ الرَّقْعَةِ، وَبَرَكََةِ الْبُقْعَةِ، وَمَدْفَنِ الْوَلِيِّ⁶، وَمُظْهِرِ الثُّورِ الْجَلِيِّ⁷، وَالنَّحْرِ غَيْرِ الْعَاطِلِ وَلَا الْخَلِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ. بَلَدُ السَّرَاوَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالْإِيثَارِ عَلَى فَرَضِ الْجَمَاعَةِ، وَالنَّفُوسِ الْأَوَابَةِ إِلَى اللَّهِ الرَّجَاعَةِ؛ حَيْثُ الْبُرِّ وَالْحَوْتِ، وَالْحَسَبُ الَّذِي يَنْشَأُ مِنْهَا كُلُّ مَنْحُوتٍ، وَالْبَأْسُ وَالْإِفْدَامُ،

- "ورجل نقاب: نافذ في الأمور" أساس البلاغة / نقب، 2/ 296¹
 - "سرب المال سرّبا رعى نهارا بغير راع" المصباح المنير / سرب، ص 103. "وسلكوا النَّقْبَ والمنقب والمنقبة والنقاب والمنقاب وهي طرق الجبال" أساس البلاغة / نقب، 2/ 296²
 - ع: "مبجد" ولعل الصواب ما أثبت؛ "أنجذته أعنته" المصباح المنير / نجد، ص 226³
 - ديوان الإمام الشافعي. من المتقارب.⁴
 -⁵ باديَس: مدينة مغربية قديمة جديدة، تقع في الريف شمال المغرب. كان يومئذ على سواحل حوض الريف مدن عامرة، منها مدينة بادس، مدينة بوسكور، مدينة المزمة، مدينة النكور، مدينة غساسة، مدينة مليلية.
 - ع: ساقط⁶
 - ع: ساقط⁷

وَالْفَاكِهَةُ الطَّيِّبَةُ وَالْإِدَامُ، وَرَبُّ الْجِبَالِ، وَفَضْلُ الْمُدَافَعَةِ لِسُهْبِ السَّبَالِ¹. إِلَّا أَنَّهَا مُوحِشَةُ الْخَارِجِ،
[وَعَزَةُ الْمَعَارِجِ]² مُجَاوِرَةٌ مِنْ غِمَارَةٍ بِالْمَارِدِ الْمَارِجِ. فَهُمْ ذُو دَبِيبٍ فِي مَدَارِجِ تِلْكَ الْغَرَابِيبِ، وَكَيْدُهُمْ
بِبَرَكََةِ الشَّيْخِ فِي تَنْبِيهِ³.

قُلْتُ: فَمَدِينَةُ سَبْتَةٍ؟⁴

قَالَ: عَرُوسُ تِلْكَ الْمَجْلَى، وَثَنِيَّةُ الصَّبَاحِ الْأَجْلَى، تَبَرَّجَتْ تَبَرُّجَ الْعَقِيلَةِ، وَنَظَرَتْ وَجْهَهَا مِنْ
الْبَحْرِ فِي الْمِرَاةِ الصَّقِيلَةِ، وَاخْتَصَّ مِيزَانُ حَسَنَاتِهَا بِالْأَعْمَالِ النَّقِيلَةِ. وَإِذَا قَامَتْ بِيضُ أَسْوَارِهَا مَقَامَ
سِوَارِهَا، وَكَانَ جَبَلُ بَنِيوَتَشَ شَمَامَةً أَزْهَارِهَا، وَالْمَنَارَةُ مَنَارَةً سِوَارِهَا⁵، كَيْفَ لَا تَرْغَبُ النُّفُوسُ فِي
جِوَارِهَا، وَتُخَيِّمُ الْخَوَاطِرُ بَيْنَ أَنْجَادِهَا وَأَغْوَارِهَا، إِلَى الْمِينَاءِ الْفُلُكِيَّةِ⁶، وَالْمَرَاقِي الْفَلَكِيَّةِ، وَالْمَرْكَبَةِ
الزَّكِيَّةِ غَيْرِ الْمَنْزُورَةِ وَلَا الْبَكِيَّةِ؛ حَيْثُ الْوَقُودُ الْجَزَلُ، الْمَعْدُ لِلْأَزَلِ، وَالْقُصُورُ الْمَقْصُورَةُ، عَلَى الْجِدِّ
وَالْهَزَلِ، وَالْوُجُوهُ الزُّهْرُ السُّحْنِ، الْمَضْنُونُ بِهَا عَنِ الْمَحَنِ.

دَارُ النَّاشِئَةِ وَالْحَامِيَةِ، الْمُضْرَمَةِ لِلْحَرْبِ الْمُنَاشِيَةِ، وَالْأُسْطُولِ الْمَرْهُوبِ الْمَحْدُورِ الْأُلْهُوبِ،
وَالسَّلَاحِ الْمَكْتُوبِ الْمَحْسُوبِ، وَالْأَثَرِ الْمَعْرُوفِ الْمُنْسُوبِ.

كُرْسِيُّ الْأُمَرَاءِ وَالْأَشْرَافِ، وَالْوَسِيطَةُ لِخَامِسِ أَقَالِيمِ الْبَسِيطَةِ، فَلَا حَظَّ لَهَا فِي الْإِنْحِرَافِ، بَصَرَةُ
عُلُومِ اللِّسَانِ، وَصَنَعَاءُ الْحُلَلِ الْحِسَانِ، وَثَمَرَةُ قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}⁷ الْأَمِينَةُ عَلَى

- "وجاؤوني وقد نشروا سبيلهم أي متوعدين... وهو أصهب السبلة: عدو، وهم صُهب السبال" أساس البلاغة / سبل، 1/ 436¹

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م²

- "الكتاب الخسران" المصباح المنير / تيب، ص 28³

- سبتة: "بفتح السين وسكون الباء: مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال المغرب الأقصى" مشاهدات لسان الدين ابن

الخطيب، ص: 101-102⁴

- أي سورها⁵

- م: "الغالية" وهو تحريف⁶

- قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} سورة
النحل، الآية: 90⁷

الِاخْتِرَانِ، الْقَوِيْمَةُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، مَحْشَرُ أَنْوَاعِ الْحَيَاتِنِ، وَمَحَطُّ قَوَائِلِ الْعَصِيرِ وَالْحَرِيرِ وَالْكَتَّانِ، وَكَفَاها السُّكْنَى بِنْيُولِشَ فِي فُصُولِ الزَّمَانِ، وَوُجُودَ الْمَسَاكِينِ النَّبِيْهَةِ بِأَرْخَصِ الْأَثْمَانِ، وَالْمَدْفَنَ الْمَوْهُومَ غَيْرَ الْمَرْحُومِ، وَخِزَانَةَ كُتُبِ الْعُلُومِ، وَالْآثَارَ الْمُنبِئَةَ عَنْ أَصَالَةِ الْحُلُومِ. إِلَّا أَنَّهَا فَاعِرَةٌ أَفْوَاهَ الْجَنُوبِ لِلْغَيْثِ الْمَصْبُوبِ، عُرْضَةً لِلرِّيَّاحِ ذَاتِ الْهُبُوبِ، عَدِيْمَةً الْحَرْثِ، فَقِيْرَةً مِنَ الْحُبُوبِ، تَغُرُّ تَنْبُو فِيْهِ الْمَضَاجِعُ بِالْجُنُوبِ.

وَنَاهِيكَ مِنْ حَسَنَةٍ تُعَدُّ مِنَ الذُّنُوبِ، فَأَحْوَالُ أَهْلِهَا رَقِيْقَةٌ، وَتَكْلُفُهُمْ ظَاهِرٌ مَهْمَا عَرَضَتْ وَلِيْمَةٌ أَوْ عَقِيْقَةٌ، وَاقْتِصَادُهُمْ لَا تَلْتَبِسُ مِنْهُ طَرِيْقَةٌ، وَأَنْسَابُ نَفَقَاتِهِمْ فِي تَقْدِيرِ الْأَرْزَاقِ عَرِيْقَةٌ؛ فَهُمْ يَمْصُونُ الْبُلَالَةَ مَصَّ الْمَحَاجِمِ [وَيَجْعَلُونَ الْخُبْرَ فِي الْوَلَائِمِ بَعْدَ الْجَمَاجِمِ، وَفِيْتَنُّهُمْ فِي بَلَدِهِمْ فِتْنَةً الْوَاجِمِ]¹ بِالْبَشِيرِ الْهَاجِمِ، وَرَاعِي الْجَدِيْبِ بِالْمَطَرِ السَّاجِمِ، فَلَا يُفَضِّلُونَ عَلَى مَدِيْنَتِهِمْ مَدِيْنَةً، الشُّكُّ عِنْدِي فِي مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ.

قُلْتُ: فَطَنْجَةٌ؟⁽²⁾

قَالَ: الْمَدِيْنَةُ الْعَادِيَّةُ، وَالْبُقْعَةُ الَّتِي لَيْسَتْ بِالْخَبِيْثَةِ وَلَا بِالرَّدِيَّةِ، إِلَيْهَا بِالْأَنْدَلُسِ كَانَتْ نِسْبَةُ الْمَعَارِبَةِ، وَالْكَتَائِبُ الْمُحَارِبَةُ، وَالرُّفُقُ السَّائِحَةُ فِي الْأَرْضِ الضَّارِبَةُ. سُورُهَا لَيْسَ بِمَثْلُومٍ، وَسَاكِنُهَا غَيْرُ مَلُومٍ، وَفَضْلُهَا مَعْلُومٌ، وَدَارُهَا لَيْسَتْ بِدَارٍ لُومٍ. مِيْدَانُ أَفْرَاسٍ كَبِيْرٍ، وَمَعْدِنُ هِنْدٍ³ وَذَكِيْرٍ.

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹

- طنجة: مدينة مغربية تقع شمال المملكة المغربية على الساحلين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي.

- م: "ضد"³

مَثَلْتُ بَيْنَ الْمَنَارِ وَالْقَالَةِ، وَحَكَمَاهَا فِي التَّفْضِيلِ، فَأُشْكَلَ الْحُكْمُ وَتَعَدَّرَتِ الْمَقَالَةُ، وَلَمْ يَصِحَّ
الْبَيْعُ وَلَا وَجَبَتِ الْإِقَالَةُ. هَذِي سَمَاءُ بُرُوجٍ، وَهَذِي أَزْهَارُ مُرُوجٍ، وَكِلَاهُمَا مَرْكَبُ سُورٍ وَسُرُوجٍ،
وَمَسْمَعُ فُرُوجٍ، وَمَطْعَمُ غَدِيرٍ وَمُرُوجٍ.

وَدَيَارُهَا نَبِيهَةٌ، وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَأَحْوَالُهَا بِأَحْوَالِ جَارَتِهَا شَبِيهَةٌ، لَكِنَّ رَمْلَهَا يَحْشُو الْعَيْنَ بِالدُّرُورِ
عِنْدَ الْمُرُورِ، وَيَدْخُلُ الدُّورَ، وَيُفْسِدُ الْفُورَ، وَرِيَّاحُهَا لَا تَسْكُنُ إِلَّا فِي النُّدُورِ، وَظُلْمَةُ جَوْهَا مُنْسَبِبَةٌ
عَمَّا وَرَاءَهَا مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ وَالْبُدُورِ، وَعَيْنَ فُرْقَانٍ أَعَذَبُ عُيُونِهَا مَشْهُورٌ بِتَوَالِيدِ الْهَوَجِ، قُرَّانٌ
عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ ذِي عَوَجٍ¹. وَيُذَكِّرُ أَنَّ سُلَيْمَانَ اخْتَصَّهَا بِسَجْنٍ² مَرْدَةٍ³ الْجِنِّ، فَيَعْتُرُّ عَلَى أَوَانٍ
مُلِئَتْ رِيحًا ثَمِيرًا تَبْرِيحًا، وَيُسْنِدُونَ لِذَلِكَ إِفْكَاً صَاحِبِهَا.

قُلْتُ: فَقَصْرُ كِتَامَةٍ؟⁴

فَقَالَ: مُعَرَّدٌ عِنْدَلَيْبٍ، وَعُنْصُرٌ بُرٌّ وَحَلِيبٍ، وَمَرْعَى سَائِمَةٍ [غَائِيَةٍ]⁵ وَمَسْرَحٌ بِهِيمَةٍ فِي الْجَمِيمِ⁶
هَائِمَةٍ، وَمَسْقِطٌ مُرْنَةٌ غَائِمَةٍ، وَدِيمَةٌ دَائِمَةٌ. وَبِهِ النُّقَاحُ النَّقَّاحُ، تَرْتَاحُ إِلَى شَمِيمِهِ⁷ الْأَزْوَاحُ، [وَالْفَوَاحِ
قَدْ ثَقُلَتْ بِهَا الْأَدْوَاخُ]⁸ يَفْذِفُ بِهَا الْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ، وَيَتَفَنَّنُ فِيهِ الْحَرَامُ وَالْمُبَاحُ⁹، وَالسَّمَكُ كَمَا جَرَدَتْ

- سورة الزمر، الآية: 28¹

- م: بسخر" وهو تحريف.²

- م: "مودة" وهو تحريف.³

- قصر كتامة أو القصر الصغير، هو ميناء مغربي صغير يقع على مضيق جبل طارق في منتصف المسافة بين سبتة وطنجة، قبالة
غر طريف الإسباني. وقد كان في مناسبات عديدة، منزل الجيوش الزاهية إلى الأندلس والآتية منها). ومعلوم أن قصر كتامة ليس
هو القصر الصغير، فهذا الأخير كان يعرف قديما وتاريخيا بقصر المجاز" الإحاطة: 377 / 3⁴

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م⁵

- ع: "الحميم"، م: "الجحيم" ولعل الصواب ما أثبت؛ "ورعت الماشية الجحيم ما غطى الأرض من النبات" أساس البلاغة / جهم،
149 / 6⁶

- م: "شمه"⁷

- أ، م: ساقط، والزيادة من ع⁸

- أ، ق، ع: "المباح" والمثبت من م.⁹

الصَّفَاحُ¹، إِذَا اسْتُنْجِرَ الْكِفَاحُ، وَطَرِيقُهُ مَسْلُوكُ الْقَافِلَةِ، وَبِبَابِهِ الشُّؤُونُ الْحَافِلَةُ، يَنْسَلُ إِلَيْهَا مِنْ غَمَارَةٍ²، فُرُودٌ وَفُهُودٌ، وَأُمَّةٌ صَالِحٌ وَهُودٌ {ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ}³ إِلَّا أَنَّهُ قَدَّرَ قَدْ تَهْدَمَ، وَدَارُ النَّدْوَةِ لِأَمْرِ تَلَدَّمَ⁴، وَمُثِيرُ الْهَائِجِ الْمَوَارِ وَتَائِرُ الدِّمِّ، جَنَّمَ الْهَوَاءَ الْخَبِيثُ فِي بَطِيحَتِهِ وَرَبَضَ، وَانْبَسَطَ وَمَا انْقَبَضَ، وَجَهَّزَ⁵ لَيْلَهُ عَسْكَرُ الْبَعُوضِ الْهَاجِمِ، دُرْبَةً بِمَصِّ الْمَحَاجِمِ. وَأَمَّا وَحْلُهُ، فَلَا يُعْبَرُ وَلَا يُسَبَّرُ، وَإِنْ أَسْهَبْتَ الْعِبَارَةَ فَلَا أَمْرُ أَكْبَرُ.

قُلْتُ: فَأَصِيلًا؟

قَالَ: كَثِيرَةُ الْمَرَاقِ، رَافِعَةٌ فِي الْخِصْبِ⁶ اللَّوَاءِ الْخَافِقِ، الْعَصِيرُ الْأَثِيرُ، وَالْحُوتُ الْكَثِيرُ، وَالْبُرُّ الْغَزِيرُ، وَالْإِدَامُ الَّذِي يُرْمَى بِهِ مَنْ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالتَّعْزِيرِ، وَالسُّفُنُ الْمُتَرَدِّدَةُ فِيهَا الْمُلْدُ⁷ وَالْأَبَازِيرُ. إِلَّا أَنَّ حِصْنَهَا مِنَ الْمَنَعَةِ بَرِيٌّ، وَسَاكِنُهَا بَرَبْرِيٌّ، وَجَارَهَا مِنْ غَمَارَةٍ جَرِيٌّ.

قُلْتُ: فَمَدِينَةٌ سَلَا؟

قَالَ: الْعَقِيلَةُ الْمُفْضَلَةُ، وَالْبَطِيحَةُ الْمُخْضَلَةُ، [وَالْقَاعِدَةُ الْمُوصِلَةُ، وَالسُّورَةُ⁸ الْمُفْصَلَةُ]⁹ ذَاتُ الْوَسَامَةِ وَالنَّضَارَةِ، وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْبِدَاوَةِ وَالْحَضَارَةِ، مَعْدِنُ الْقُطْنِ وَالْكَتَّانِ، وَالْمَدْرَسَةُ وَالْمِيَارِسْتَانُ

- الصفاح: حجارة رقيقة عريضة.¹

- الغمارة: الجماعة من الناس.²

- سورة هود، الآية: 103³

- "لَدَّمَهُ وَتَلَدَّمَهُ: رَفَعَهُ، وَخَفَ لَدِيمٌ وَمُلْدَمٌ وَمُتَلَدَّمٌ" أساس البلاغة / لدم، 2 / 165⁴

- م: "جبر" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي درب البعوض وجهه.⁵

- أ، ق: "المنصب" والمثبت من ع، م.⁶

- المُلْدُ جمع أُمْلَدَ وهو اللين الطري.⁷

- م: "السدره" وهو تحريف.⁸

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م⁹

وَالرَّأْيَةُ كَأَنَّهَا الْبُسْتَانُ، وَالْوَادِي الْمُتَعَدِّدُ الْأَجْفَانِ، وَالْقَطْرُ الْأَمِينُ الرَّجْفَانِ، وَالْعَصِيرُ الْعَظِيمُ الشَّانِ،
وَالْأَسْوَاقُ الْمُمَارَةُ¹ حَتَّى بَرَقِيْقِ الْحِيَتَانِ.

اِكْتَنَفَهَا الْمَسْرَحُ، وَالْخِصْبُ الَّذِي لَا يَبْرَحُ، وَالْبَحْرُ الَّذِي يَأْسُو وَيَجْرَحُ، وَشَقَّهَا الْوَادِي يُثْمُ
مَحَاسِنَهَا وَيَشْرَحُ. وَقَابَلَهَا الرِّبَاطُ الَّذِي ظَهَرَ بِهِ مِنَ الْمَنْصُورِ² الْإِغْتِبَاطُ، حَيْثُ الْقَصَبَةُ وَالسَّابَاطُ³،
وَوَقَعَ مِنْهُ بِنَظَرَةِ الْإِغْتِبَاطِ، فَاتَّسَعَ الْخَرْقُ، وَعَظُمَ الْإِسْتِطَاطُ، وَبَعْدَ الْكَمَالِ يَكُونُ الْإِنْحِطَاطُ، إِلَى
شَامَةٍ⁴ مَرْعِيِّي الدِّمَمِ، وَنَتِيجَةِ الْهَمَمِ، وَشُمُخِ الْأَنْثُوفِ ذَوَاتِ الشَّمَمِ⁵، وَعُنْوَانِ الدِّمَمِ، حَيْثُ الْحَسَنَاتُ
الْمُكْتَتَبَةُ، وَالْأَرْزَاقُ الْمُرْتَبَةُ، وَالْقَبَابُ كَالْأَزْهَارِ، مُجَوَّدَةٌ بِذِكْرِ اللَّهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَطَلَّلَ
حَسَّانَ⁶ الْمَثَلُ فِي الْإِسْتِهَارِ.

وَهِيَ عَلَى الْجُمْلَةِ مِنْ غَيْرِهَا أَوْفَقُ، وَمَعَارِمُهَا لِاحْتِرَامِ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ أَرْفَقُ، وَمَقْبَرَتُهَا الْمُضَدَّةُ
عَجَبٌ فِي الْإِنْتِظَامِ، مَعْدُودَةٌ فِي الْمَدَافِنِ⁷ الْعِظَامِ، وَتَتَأَتَّى بِهَا لِلْعِبَادِ الْخُلُوءُ، وَيُوجَدُ عِنْدَهَا لِلْهُمُومِ
السُّلُوءُ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ:

فَلَا خَاطَرْتُ لِمَا نَأَى وَانْجَلَى اِنْجَلَا وَصَلْتُ حَيْثُ السَّيْرِ فِيمَنْ فَلَا الْفَلَى

وَلَا نَسَخْتُ كَرْبِي بِقَلْبِي سَلُوءًا فَلَمَّا سَرَى فِيهَا نَسِيمٌ سَلَا سَلَا

وَكَفَى بِالشَّابِلِ رِزْقًا طَرِيًّا، وَسَمَكًا بِالتَّقْضِيلِ حَرِيًّا، يَبْرُزُ عَدَدَ قَطْرِ الدِّيمِ، وَيُبَاعُ بِبَخْسِ الْقِيمِ،

- م: "المحازة"¹

- المقصود أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله.²

- "السبابط وهي سقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ" أساس البلاغة / سبط، 1/ 434³

- يقال: كأنهم شامة في الناس: أي هم ظاهرون.⁴

- الشم هو الارتفاع.⁵

- صومعة حسان التي شيدت في عصر دولة الموحدين بناء على أمر يعقوب المنصور سنة 593هـ.⁶

- م: "المرافق"⁷

وَيَعُمُّ حَتَّى الْمَجَاشِرِ¹ النَّائِيَةِ وَالْدَّيْمِ. إِلَّا أَنَّ مَاءَهَا لَا يُرَوَّى بِهِ وَارِدٌ، لَا كَرِيمٌ وَلَا بَارِدٌ، وَإِنْفَهَا شَارِدٌ،
وَالْخَزِينَ بِهَا فَاسِدٌ، وَبِعُوضَهَا مُسْتَأْسِدٌ رَاضِعٌ غَيْرُ مَقْطُومٍ، [خَالِعُ الْعِدَارِ غَيْرُ مَخْطُومٍ]² وَاسِمٌ لِلْخَدِّ
وَالْخُرْطُومِ، تُصْغِي لِرَتَّتِهِ الْأَذَانُ، وَيَفْتِكُ بَوَخَزِ اللِّسَانِ، كَالْقَوْسِ تُصْمِي الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانُ،
وَدِيَارَهَا فِي الْمَاءِ دَارُ عُثْمَانَ، وَطَوَاحِنُهَا عَالِيَةُ الْأَثْمَانِ، وَكُنْبَانُهَا تَلَوْتُ بِيضَ الثِّيَابِ طَيِّ الْعِيَابِ،
وَعَابِرَ وَاذِيهَا إِلَى مَأْرَبٍ أَكِيدُ فِي تَنْكِيدِ، إِلَى غَلَبَةِ الْإِمْسَاكِ، وَخَوْضِ النُّسَاكِ، وَكَثْرَةِ أَرْيَابِ الْخُطَطِ،
وَالْإِغْيَاءِ⁴ فِي الشَّطْطِ، تَدُودٌ عَنْ جَنَاتِهَا لِلْأُسْدِ جِنَانٌ، فَلَا يَلْتَدُّ بِقَطْفِ الْعُقُودِ مِنْهَا بَنَانٌ، وَفِي أَهْلِهَا
خَفَّةٌ، وَمِيزَانُهَا لَا تَعْتَدِلُ مِنْهَا كَفَّةٌ.

قُلْتُ: فَأَنْفًا؟⁵

قَالَ: جَوْزُ⁶ الْحَطِّ وَالْإِقْلَاعِ، وَمَجْلَبُ السَّلَاحِ، تَهْوِي إِلَيْهَا النَّفْسُ شَارِعَةً، وَتَبْتَدِرُ مُسَارِعَةً،

تُصَارِفُ بَرَهَا الذَّهَبِيَّ بِالذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ، وَتُرَاوِحُ بَرَهَا وَتُقَادِيهِ بِالتَّبْرِيزِ:

يَكْثُرُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَشِرُ الْحَبُّ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرَمَاءِ

وَخَارِجُهَا يَفْضُلُ كُلَّ خَارِجٍ، وَقَنِيصُهَا يَجْمَعُ بَيْنَ طَائِرٍ وَدَارِجٍ، وَفَوَاكِهُهَا طَيِّبَةٌ، وَأَمْطَارُهَا صَيِّبَةٌ،

وَكَيْلُهَا وَافِرٌ، وَسِعْرُهَا عَنْ وَجْهِ الرِّخَاءِ سَافِرٌ، وَمِيرْتُهَا لَا يَنْقَطِعُ لَهَا خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ. لَكِنَّ مَاءَهَا

وَهَوَاءُهَا عَدِيمَا الصَّحَّةِ، وَالْعَرَبَ عَلَيْهَا فِي الْفَتَنِ مُلْحَةً، وَالْأَمْرَاضَ عَلَيْهَا تَعِيْثُ وَتَعَبَتْ، وَالْخَزِينَ لَا

يَلْبَثُ.

- المجاشر جمع مجشَر وهو حوض لا يستقي منه لجشره، أي وسخه وقذره.¹

- "وضع على البعير خطامه وعلى الإبل خُطْمُهَا" أساس البلاغة / خطم، 257 / 1²

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م³

- ع: "الإغياء" ولعل المقصود بلوغ الغاية في الشطط.⁴

- أنفا: الاسم القديم لمدينة الدار البيضاء. وكلمة أنفا كلمة أمازيغية تعني القمة.⁵

- م: "جون"⁶

قُلْتُ: فَأَزْمُورَ؟

قَالَ: جَارُ وَادٍ وَرَيْفٍ، وَعَرْوُسُ رَيْعٍ وَخَرِيفٍ، وَدُو وَضِعٌ شَرِيفٍ. أَطَلَّتْ عَلَى وَادِيهِ الْمَنَارَةُ
وَالْمَرَاقِبُ، كَأَنَّهُمَا النُّجُومُ الثَّوَاقِبُ، وَجَلَّتْ مِنْ خِصْبِهِ الْمَنَاقِبُ، وَضِمْنَ الْمَرَاقِ نَهْرُهُ الْمَجَاوِرُ وَبَحْرُهُ
الْمُصَاقِبُ¹. بَلَدٌ يُخْزِنُ الْأَقْوَاتَ، وَيَمْلَأُ اللَّهَوَاتَ، بَاطِنُهُ الْخَيْرُ، وَأَمَامَهُ اللَّحْمُ وَالطَّيْرُ، وَسَاكِنُهُ رَفِيَةٌ،
وَلِبَاسُهُ يُتَّخَذُ² فِيهِ، وَمَسْكَنُهُ نَبِيَّةٌ، وَصَوْتُهُ الشَّابِلُ لَيْسَ لَهُ شَبِيَّةٌ.

لَكِنَّ أَهْلَهُ إِنَّمَا حَرْنُهُمْ وَحَصَادُهُمْ اقْتِصَادُهُمْ، فَلَا يَعْرِفُونَ إِرْضَاخًا وَلَا وَرْدًا نَضَّاخًا³، يَتَرَامُونَ
عَلَى حَبَّةِ الْخَزْدَلِ بِالْجُنْدِلِ، وَيَتَضَارِيُونَ بِالسُّيُوفِ عَلَى الْأَثْمَانِ الزُّيُوفِ. بَرَزِيٌّ لِسَانُهُمْ، كَثِيرٌ
حِسَانُهُمْ، قَلِيلٌ إِحْسَانُهُمْ، يَكْثُرُ بَيْنَهُمْ بِالْعَرَضِ الْإِفْتِخَارُ، وَيَعْدُمُ بِيْلِدِهِمُ الْمَاءُ وَالْمِلْحُ وَالْفَخَّارُ.
قُلْتُ: فَتَيْطُ؟

قَالَ: مَعْدِنٌ تَقْصِيرٍ، وَبَلَدٌ⁴ بَيْنَ بَحْرَيْنِ⁵ مَاءٍ وَعَصِيرٍ، لِلْأُولِيَاءِ بِهِ اغْتِبَاطٌ، وَمَسْجِدُهَا تَضِيقُ
عَنْهُ الْمَدَائِنُ، مَنَارًا⁶ عَالِيًا، وَبِقِلَادَةِ الْأَحْكَامِ حَالِيًا. إِلَّا أَنَّ خَارِجَهَا يَرْوِقُ عَيْنَ الْمُقِيمِ وَالْمُسَافِرِ، وَلَا
يَشْوِقُ بِحُسْنِ سَافِرٍ، وَمُؤْمِنَةً تَشْقَى بِصُدَاعِ كَافِرٍ، وَحِمَاهُ عَدُوٌّ كُلِّ خُفٍّ وَحَافِرٍ، فَلَوْلَا سَاكِنُهَا لَمْ
يُنْسَ⁷ يَوْمَ فَخْرِ، وَلَمْ يَنْبَتْ إِلَى صَخْرِ.

- "صَاقِبُهُ صِقَابًا: قَارِبُهُ وَوَاجِهُهُ" أساس البلاغة / صقْب، 1/ 552¹

- "تَخَذَتْ زَيْدًا خَلِيلًا جَعَلَتْهُ" المصباح المنير/ تخذ، ص 273²

- ع: "نضاحا" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت: "عين نضاحة: فوارة بالماء، وغيث نضاخ: غزير" أساس البلاغة /
نضخ، 2/ 278³

- ع: "الملك" وكلاهما صحيح.⁴

- م: "مجرى"⁵

- ع: "مثارا" وهو تصحيف.⁶

- أ، ق: "ينيش"، م: "يلبس" والمثبت من ع.⁷

قُلْتُ: فَرِبَاطُ آسَفِي؟¹

قَالَ: لُطْفُ حَفِيٍّ، وَجَنَابُ حَفِيٍّ، وَوَعْدُ وَفِيٍّ، وَدِينُ ظَاهِرُهُ مَالِكِيٍّ، وَبَاطِنُهُ حَنَفِيٍّ. الدَّمَائَةُ
وَالْجَمَالُ، وَالصَّبْرُ وَالْإِحْتِمَالُ، وَالزُّهْدُ وَالْمَالُ وَالْجَمَالُ، [وَالسَّذَاجَةُ وَالْجَلَالُ]² قَلِيلَةُ الْإِخْوَانِ، صَابِرَةٌ
عَلَى الْإِخْتِرَانِ، وَافِيَةُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، رَافِعَةُ اللَّوَاءِ بِصِحَّةِ الْهَوَاءِ.

بَلَدٌ مَوْصُوفٌ بِرَفِيعِ ثِيَابِ الصُّوفِ، وَبِهِ ثُرْبَةُ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ صَالِحٍ، وَهُوَ خَاتِمَةُ الْمَرَاكِحِ،
لِمُسَوَّرَاتٍ³ ذَلِكَ السَّاحِلِ. لَكِنَّ مَاءَهُ قَلِيلٌ، وَعَزِيْزُهُ -لِعَادِيَةٍ مِّنْ يُوَالِيهِ مِنَ الْأَعْرَابِ- ذَلِيلٌ.
قُلْتُ: فَمَدِينَةُ مُرَاكُشٍ؟

قَالَ: فَتَنَّقَسَ الصُّعْدَاءُ، وَأَسْمَعَ الْبُعْدَاءُ. وَقَالَ: دُرُجُ الْحُلِيِّ، وَبُرُجُ النَّيِّرِ الْجَلِيِّ، وَثُرْبَةُ الْوَلِيِّ،
وَحَضْرَةُ الْمَلِكِ الْأَوَّلِيِّ، وَصَرْحُ النَّاصِرِ الْوَلِيِّ، ذَاتُ الْمَقَاصِيرِ⁴ وَالْقُصُورِ، وَغَابَةُ الْأَسَدِ الْهَاصُورِ،
وَسَدَّةُ النَّاصِرِ وَالْمَنْصُورِ.

بَعُدْتُ مِنَ الْمَرْكَزِ دَارَتُهَا، وَسَحَرْتُ الْعُيُونَ شَارَتُهَا، وَتَعَبَّدَ الْإِيْمَاءُ إِشَارَتُهَا، وَخَاضَتِ الْبَحْرُ
الْخِضَمَّ بِدَارَتُهَا وَبِشَارَتُهَا. اقْتَعَدَتِ الْبَسِيطُ الْمَدِيدَ، وَاسْتَنْظَهَتْ بِتَشْيِيدِ الْأَسْوَارِ وَأَبْرَاجِ الْحَدِيدِ، وَبَكَى
الْجَبَلُ مِنْ خَشْيَتِهَا بِعُيُونِ الْعُيُونِ، فَسَالَتِ الْمَدَانِبُ كَصَفَاحٍ⁵ عُيُونٍ⁶ قُيُونٍ، وَقَيَّدَتْ طَرْفَ النَّاطِرِ
الْمَفْتُونِ أَدْوَاخُ الشَّجَرِ بِهَا وَغَابَاتُ الرَّيْتُونِ.

- آسفي: مدينة مغربية، تقع على ساحل المحيط الأطلسي بين مدينتي الجديدة والصويرة، ومعروفة بالسماك والخزف.¹

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م.²

- "مَلِكٌ مُسَوَّرٌ: مُسَوَّدٌ مُمْلَكٌ" أساس البلاغة / سور، 1/ 481³

- مقاصير جمع مقصورة "وهي الحجرة من حجر دار كبيرة محصنة بالحيطان" أساس البلاغة / قصر، 2/ 81⁴

- ع: "الصباح"⁵

- م: "قيول" والعيون جمع غين لغة في الغيم.⁶

مَا شِئْتَ مِنْ انْفِسَاحِ السَّكَكِ، وَامْتِدَادِ الْبَاعِ فِي مِيدَانِ الْإِنْطِبَاعِ، وَتَجْوِيدِ فُنُونِ الْمُجُونِ بِالْمَدِّ
وَالْإِشْبَاعِ، رَبَّنَهَا¹ الزَّمَنُ يُعْصِرُ، وَخَيْرَهَا يُمَدُّ وَلَا يُقْصَرُ، وَفَوَاحِهَا لَا تُحْصَرُ. فَإِذَا تَنَافَسَ² الْحَرُّ
وَالْبَرْدُ وَتَبَسَّمَ الزَّهْرُ، وَخَجَلَ الْوَرْدُ، وَكَسَا عُذْرَانَهَا³ الْحَائِرَةُ الْحَلَقُ السَّرْدُ، قُلْتُ: أَنْجِزْ لِلْمُتَّقِينَ مِنَ
الْجَنَّةِ الْوَعْدَ، وَسَاعِدِ السَّعْدَ، وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ⁴.

وَمَنَارُهَا الْعَلَمُ فِي الْفَلَاةِ، وَمَنْزِلَتُهُ فِي الْمَادِنِ مَنْزِلَةُ وَالِي الْوَلَاةِ. إِلَّا أَنَّ هَوَاءَهَا مُحَكَّمٌ فِي
الْجِبَاهِ، وَالْجُنُوبَ يُحْمَى عَلَيْهَا بِكَيْرِ الْجُنُوبِ، وَحَمِيَّاتِهَا كَلْفَةٌ بِالْجُسُومِ، طَالِبَةٌ دُيُونَهَا بِالرُّسُومِ،
وَعَقَارِبُهَا كَثِيرَةُ الدَّيْبِ، مُنْغَصَّةٌ مَضَاجِعَ الْحَبِيبِ، وَخَرَابِهَا مُوحِشٌ هَائِلٌ، وَبُعْدُ الْأَخْطَارِ عَنْ كَثِيرٍ
مِنَ الْأَوْطَارِ بِهَا حَائِلٌ، وَعَدْوُهَا يَنْتَهَبُ فِي الْفِتَنِ أَقْوَاتَهَا⁵، وَجُرْدَانِ الْمَقَابِرِ تَأْكُلُ أَمْوَاتَهَا. وَكَانَتْ
أُولَى الْمَنَازِلِ بِالْإِغْيَاءِ⁶، لَوْ أَنَّهَا الْيَوْمَ مَعْدُودَةٌ فِي الْأَحْيَاءِ.

قُلْتُ: فَأَغْمَاتُ؟⁷

قَالَ: بَلَدَةٌ لِحُسْنِهَا اشْتِهَارٌ، وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَشَمَامَةٌ تَنْضَوُّعُ مِنْهَا الْأَرْهَارُ،
مُتَعَدِّدَةُ الْبَسَاتِينِ، طَامِيَةٌ⁸ بِحَارِ الزِّيَاتَيْنِ، كَثِيرَةُ الْفَوَاكِهِ وَالْعِنَبِ وَالتِّينِ. خَارِجُهَا فَسِيحٌ، وَالْمَدَانِبُ فِيهِ
تَسِيحٌ، وَهَوَاؤُهَا صَحِيحٌ، وَقَبُولُهَا بِالْغَرِيبِ شَحِيحٌ، وَمَاؤُهَا نَمِيرٌ، وَمَا وَرَدَهَا مُدٌّ لِلْبِلَادِ وَمُمِيرٌ.

- أ، ق: "زِينَهَا" والمثبت من ع، م.¹

- ع: "تَنَاصَفَ"²

- ع: "عَدْوَانَهَا"³

- اقتباس من قول الخطيب: وَنَعْدِلُنِي أَفْنَاءَ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ⁴

- م: "أَقْرَانَهَا"⁵

- ع: "بِالْإِغْيَاءِ"⁶

- أغمات: موقعها قرب مدينة مراكش، وفي هذه الفترة التي يؤرخ لها ابن الخطيب كانت أغمات عبارة عن مدينتين مواجهتين لبعضهما وهما: أغمات عيلان، وأغمات وريكة، وكان بينهما خصام مستحكم، فرق بينهما حتى في دور العبادة، وقد انتهى هذا الخلاف فيما بعد، واندثرت أغمات وريكة وبقيت الأخرى، وذلك في القرن السادس عشر الميلادي "معيار الاختيار، ص: 164⁷

- "طما الأمر طما أيضا علا وغلب" المصباح المنير / طمم، ص 143⁸

إِلَّا أَنْ أَهْلَهَا يُوصَفُونَ بِنُوكٍ وَذُهُولٍ، بَيْنَ شُبَّانٍ وَكُهُولٍ، وَخَرَابِهَا يَهُولُ، وَعَدْوُهَا تَضِيقُ لِكَثْرَتِهِ السُّهُولُ. فَأَمْوَالُهَا لِعَدَمِ الْمَنَعَةِ فِي غَيْرِ ضَمَانٍ، وَنُفُوسُهَا لَا تَعْرِفُ طُعْمَ أَمَانٍ.

قُلْتُ: فَمَدِينَةُ مَكْنَسَةِ؟

قَالَ: مَدِينَةُ أَصِيلَةٍ، وَشَعْبٌ لِلْمَحَاسِنِ وَفَصِيلَةٍ. فَضَلَّهَا اللَّهُ وَرَعَاهَا، وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَاهَا¹، فَجَانِبُهَا مَرِيعٌ، وَخَيْرُهَا سَرِيعٌ، وَوَضَعُهَا لَهُ فِي فِئَةِ الْفَضَائِلِ تَفْرِيعٌ. عَدَلَ فِيهَا الزَّمَانُ، وَانْسَدَلَ الْأَمَانُ، وَفَاقَتِ الْفَوَاكِهَ فَوَاكِهَهَا، وَلَا سِيَّما الرُّمَّانُ، وَحَفِظَتْ أَقْوَاتَهَا الْإِخْتِرَانُ، وَلَطُفَتْ فِيهَا الْأَوَانِي وَالْكِيْرَانُ، وَاعْتَدَلَ لِلْجُسُومِ الْوِزَانُ.

وَدَنَا مِنَ الْحَضَرَةِ جَوَارُهَا، وَكَثُرَ قُصَادُهَا مِنَ الْوُزَرَاءِ وَرُؤَاةِهَا، وَبِهَا الْمَدَارِسُ وَالْفُقَهَاءُ، وَلِقَصَبَتِهَا الْأَبْهَةُ وَالْبَهَاءُ، وَالْمَقَاصِيرُ وَالْأَبْهَاءُ. إِلَّا أَنَّ طِينَهَا ضَخْضَاخٌ، لِذِي الطَّرْفِ فِيهِ افْتِضَاخٌ، وَأَزِقَّتْهَا لَا يُفَارِقُهَا الْقَدَرُ، وَأَسْوَاقُهَا يَكْثُرُ بِهَا الْهَذَرُ، وَعَقَارِبُهَا لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، وَمَقْبَرَتُهَا لَا يُحْتَجُّ عَنْ إِهْمَالِهَا وَلَا يُعْتَذَرُ.

قُلْتُ: فَمَدِينَةُ فَاسٍ؟

قال:

رَعَى اللَّهُ أَرْضًا تُرْبُهَا يُنْبِتُ الْفَنَاءُ وَأَفَاقُهَا ظِلٌّ عَلَى النَّاسِ مَمْدُودٌ

نِعَمَ الْعَرِينُ لِأَسْوَدِ بَنِي مَرِينٍ، وَدَارُ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَشْهَدُ بِهَا مَطْرَحُ² الْجَنَّةِ، وَمَسْجِدُ الصَّابِرِينَ، وَأُمُّ الْقُرَى، وَمَأَمُّ السَّرَى، وَمَوْقِدُ نَارِ الْوَعَى³، وَنَارِ الْقِرَى، وَمَقَرُّ الْعِزِّ الَّذِي لَا يُهْضَمُ، وَكُرْسِيُّ

- سورة النازعات، الآية 30¹

- "المطارح: المفارش، الواحد: مَطْرَحٌ" أساس البلاغة / طرح، 1/ 598²

- م: "الدعا" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي جمعت بين نار الحرب ونار الموقد كناية عن القوة والجود.³

الْخِلَافَةَ الْأَعْظَمَ، وَالْجَرِيَّةُ¹ الَّتِي شَقَّهَا تُعْبَانُ الْوَادِي فَمَا ارْتَاعَتْ، وَالْأَبْيَّةُ الَّتِي مَا أَدْعَنْتُ إِذْ عَانَهَا
لِلْإِيَالَةِ الْمَرِينِيَّةِ وَلَا أَطَاعَتْ، أَيُّ كَافٍ وَكَلِفٍ، وَخَلَفٍ عَنْ سَلَفٍ، وَمُحَابَاةٍ وَزُلْفٍ، وَقَضِيمٍ وَعَلَفٍ،
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ².

سَأَلْتُ عَنِ الْعَالَمِ الثَّانِي، وَمِحْرَابِ السَّبْعِ الْمَثَانِي، وَمَغْنَى الْمَغَانِي، وَمَرْقَصِ النَّادِبِ وَالْغَانِي،
وَارِمِ³ الْمَبَانِي، وَمُصَلَّى الْقَاصِي وَالْدَّانِي. هِيَ الْحَشْرُ الْأَوَّلُ، وَالْقُطْبُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُعْوَلُ، وَالْكِتَابُ
الَّذِي لَا يُتَأَوَّلُ؛ بَلِ الْمَدَارِكُ وَالْمَدَارِسُ، وَالْمَشَايخُ وَالْفَهَارِسُ، وَدِيَوَانُ الرَّاجِلِ وَالْفَارِسِ، وَالْبَابُ الْجَامِعُ
مِنْ مُوْطَأِ الْمَرَاقِقِ، وَلِوَاءِ الْمُلْكِ الْخَافِقِ، وَتَثْوُرُ الْمَاءِ الدَّافِقِ، وَمَحْشَرُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ، وَسُوقُ
الْكَاسِدِ وَالنَّافِقِ؛ حَيْثُ الْبُنَى الَّذِي نَظَرَ إِلَيْهَا عَطَارِدُ فَاسْتَجَفَاهَا، وَخَافَ عَلَيْهَا الْوُجُودُ أَنْ يُصِيبَهَا
بِعَيْنِهِ الْحَسُودِ، فَسَتَرَهَا بِالْغُورِ وَأَخْفَاهَا، وَالْأَسْوَاقُ الَّتِي ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهَا قَدْ جُبِيَتْ⁴، وَالْمَوَارِدُ
الَّتِي اخْتَصَّتْ بِالْخَصْرِ⁵ وَجُبِلَتْ، وَالْمَنَارَةُ الْمَخْطُوبَةُ، وَصَفْحُ الْخُلْجِ⁶ الْمَشْطُوبَةُ⁷ وَالْغُدْرُ الَّتِي مِنْهَا
أَبُو طُوبَةِ:

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقُهَا وَكَسَاهُ حُلَّةٌ رِيَشُهُ الطَّائُوسُ

فَكَانِمَا الْأَنْهَارُ فِيهِ سُلَافَةٌ وَكَأَنَّ سَاحَاتِ الدِّيَارِ كُؤُوسُ⁸

اجْتَمَعَ بِهَا مَا أَوْلَدَهُ سَامٍ وَحَامٍ، وَعَظُمَ الْإِلْتِنَامُ وَالْإِلْتِحَامُ، فَلَا يُعَدُّ فِي مَسَاكِنِهَا رُخَامٌ، فَأَحْجَارُهَا

- أ، ق، م: "الجزية" والمثبت من ع. وجزية الحصان: عدوه.¹
- أبو دلف العجلي قائد عباسي في زمن المأمون والمعتصم وهو شاعر وأديب، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء.²
- إرم اسم بلدة قبيلة عاد، وكانت أبنيبتهم عالية، أو من الخيام ذات العمد.³
- قال تعالى: {وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} سورة القصص، الآية: 57⁴
- الْخَصْرُ هو البرد.⁵
- الخلع جمع خليج.⁶
- ع: "المنطوبة"⁷
- ديوان ابن حمديس، من الكامل.⁸

طَاحِنَةً، وَالسِّنْتَهَا بِاللُّغَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ لَاحِنَةً، وَمَكَاتِبُهَا هَائِجَةً، وَرِحَابُهَا مُتَمَائِجَةً، وَأَوْقَافُهَا جَارِيَةً،
الْهَمُّ فِيهَا إِلَى الْحَسَنَاتِ وَأَضْدَادِهَا مُتَبَارِيَةً.

بَلَدٌ نِكَاحٍ وَأَكْلٍ، وَضَرْبٍ وَرَكْلٍ، وَامْتِيَّازٍ مِنَ النِّسَاءِ بِحُسْنِ زِيٍّ وَشَكْلٍ، يَنْتَبِهُ بِهَا الْبَاهُ، وَتُنْتَلُ
الْجِبَاهُ، وَتُوجَدُ لِلْأَزْوَاجِ الْأَشْبَاهُ. وَفُورُ النَّشْبِ، وَكَثْرَةُ الْخَشَبِ، وَوُجُودُ الرَّقِيقِ، وَطِيبُ الدَّقِيقِ،
وَإِمْكَانُ الْإِدَامِ، وَتَعَدُّدُ الْخُدَامِ، وَعُمُرَانُ الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ، وَإِدَامَةُ ذِكْرِ اللَّهِ فِي الْمَآذِنِ وَالصَّوَامِعِ.

وَأَمَّا مَدِينَةُ الْمَلِكِ فَبَيْضَاءُ كَالصَّبَّاحِ، أَفُقٌ لِلْغُرْرِ الصَّبَّاحِ، يُحْتَقَرُ لِإِيْوَانِهَا إِيْوَانُ كِسْرَى، وَتَرْجَعُ
الْعَيْنُ حَسْرَى، وَمَقَاعِدُ الْحَرَسِ، وَمَلَاعِبُ اللَّيْلِ الْمُفْتَرَسِ، وَمَنَابِتُ الدَّوْحِ الْمُغْتَرَسِ، وَمَدْرَسُ¹ مَنْ
دَرَسَ أَوْ دُرِسَ، وَمَجَالِسُ الْحُكْمِ الْفَصْلِ، وَسَقَائِفُ الثُّرُسِ وَالنَّصْلِ، وَأَهْدَافُ النَّاشِئَةِ أُولَى الْخَصْلِ
وَأَوَاوِينُ الْكُتَّابِ، وَخَزَائِنُ مَحْمُولَاتِ الْأَقْتَابِ، وَكَرَاسِي الْحُجَّابِ، وَعُنْصُرُ الْأَمْرِ الْعُجَابِ، إِلَى
النَّاعُورَةِ النَّيِّ مَثَلَتْ² مِنَ الْفَلَكَ الدَّوَّارِ مِثَالًا، وَأَوْحَى الْمَاءُ إِلَى كُلِّ سَمَاءٍ مِنْهَا أَمْرَهَا³، فَأُبْدَتْ
امْتِنَالًا، وَمَجَّتِ الْبُرُودَ سَلْسَالًا، وَأَلْفَتْ أَكْوَارَهَا التَّرَفُّهُ وَالتَّرَفَ، فَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى⁴:

وَقُورًا مِنْ قَوْسِ الْغَمَامِ ابْتَعَوْا لَهَا مِثَالًا أَدَارُوهَا عَلَيْهِ بِلَا شَكٍّ
قَسِ الثُّرَيَّا وَالثُّرَى سَدَّ جَرْمَهَا وَلِلْبَاكِ الدَّوَّارِ قَدْ أَصْبَحَتْ تَحْكِي
تَصَوُّغُ لُجَيْنِ النَّهْرِ فِي الرَّوْضِ دَائِمًا وَزَاهِمِ نُورٍ قَدْ خَلَصَ مِنَ الشَّكِّ
وَتُرْسِلُ شُهْبَاتُهَا ذَا ذُوَابَةٍ تَبْتَغِي اسْتِرَاقَ السَّمْعِ عَنْ حَوْزَةِ الْمُلْكِ
تَذَكَّرْتُ الْعَهْدَ الَّذِي اخْتَرْتُ بِهِ وَحَنْتُ فَمَا تَنْفَكُ سَاجِدَةً تَبْكِي

- أ، ق: "مدرس"، م: "مدشر" والمثبت من ع.¹

- م: "ملكوت"²

- سورة فصلت، الآية 12.³

- سورة النساء، الآية 142.⁴

إِلَّا أَنْ حَرَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ يُذِيبُ، وَسَاكِنَهَا ذِيبٌ، وَمَسَالِكُهَا وَعُرَّةٌ، وَظَهَائِرُهَا مُسْتَعِرَّةٌ، وَطِينَهَا هَائِلٌ، وَزِحَامُهَا¹ حَرْبٌ وَالْ²، إِنْ نَشَدَ الْجَفَاءَ نَاشِدٌ، فَهِيَ ضَالَّتُهُ الْمَنْشُودَةُ، أَوْ حَشَدَ إِضَافَةً حَاشِدٌ، فَهِيَ كَتِيبَتُهُ الْمَحْشُودَةُ، إِلَى بُعْدِ الْأَفْطَارِ، وَعِيَاثِ³ الْمِيَازِبِ أَوْقَاتِ الْأَمْطَارِ، وَالِاشْتِرَاكِ فِي الْمَسَاكِينِ وَالْدِّيَارِ، عَنِ الْمُوَافَقَةِ وَالِاخْتِيَارِ، وَتَجَهُمُ الْوُجُوهِ لِلْغَرِيبِ ذِي الطَّرْفِ الْمُرِيبِ، وَغَفْلَةِ الْأَمَلْسِ عَنِ الْجَرِيبِ، وَدَبِيبِ الْعَقَارِبِ إِرْسَالًا كَالْقَطَا الْعَارِبِ.

وَأَهْلُهَا يَرَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ مَزِيَّةَ الْفَضْلِ، وَيَبْدِيُونَ فِي مُكَافَأَةِ الصَّنَائِعِ الْبَالِغَةِ بِالْعَضْلِ. يَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا مَثْوَاهُ فَلَا يَدْعُوهُ لِبَيْتِهِ، وَلَا يَسْمَحُ لَهُ بِبَقْلِهِ وَلَا زَيْتِهِ، فَلَا يَطْرُقُ الضَّيْفُ حِمَاهُمْ، وَلَا يُعْرِفُ اسْمُهُمْ وَلَا مُسَمَّاهُمْ، {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ}⁴ وَمَقْبَرَتُهُمْ غَيْرُ نَابِهَةٍ، وَأَحْدَاثُهَا غَيْرُ مُتَشَابِهَةٍ، مَشْرِئَةٌ حَيَوَانٍ، وَمَشْبَعَةٌ جُرْدَانٍ غَيْرِ وَانٍ.

قُلْتُ: فَمَا نَقُولُ فَاقِرُ سَلَوِينَ؟

قَالَ: وَادٌّ عَجِيبٌ، وَبَلَدٌ لِدَاعِي الْإِيْنَاعِ مُجِيبٌ، مُخْضَرُّ الْوَهَادِ وَالْمُتُونِ، كَثِيرُ شَجَرَاتِ الْجَوْرِ وَالزَّيْتُونِ، كَنْفَتُهُ الْجِبَالُ الشَّمُّ، وَحَنَّا عَلَيْهِ الطَّوْدُ كَمَا تَحْنُو عَلَى وَلَدِهَا الْأُمُّ. فَهَوَاؤُهَا مُلَائِمٌ، وَالْعِنَبُ عَلَى الْفُصُولِ دَائِمٌ. إِلَّا أَنَّ الشَّمْسَ لَا تَطْرُقُهُ بِنَوَالٍ⁵، وَلَا تَرْمُقُهُ إِلَّا وَقْتُ زَوَالٍ، فَقَدْ بَاءَ بِالْحَظِّ الْمَوْكُوسِ⁶، وَانْكَمَشَ تَحْتَ إِبْطِ الظِّلِّ الْمَنُكُوسِ، فَجَوَّهُ عَدِيمُ الطَّلَاوَةِ، وَعِنَبُهُ لِلْبَرْدِ قَلِيلُ الْحَلَاوَةِ.

- ع: "رخامها" وهو تصحيف.¹

- الإل هو العهد والذمة.²

- ع: "غياث"³

- قال تعالى: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} سورة ص، الآية: 24⁴

- م: "سمال" وهو تحريف.⁵

- ع: "المدكوس" ولعل الصواب ما أثبت.⁶

قُلْتُ: فَسِجْلُمَاسَّةٌ؟¹

فَقَالَ: تِلْكَ كُورَةٌ²، وَقَاعِدَةٌ مَذْكُورَةٌ، وَمَدِينَةٌ مَحْمُودَةٌ مَشْكُورَةٌ. كَانَتْ ذَاتَ تَقْدِيمٍ، وَدَارَ مُلْكٍ قَدِيمٍ،
وَبَلَدٍ تَبَرٍّ وَأَدِيمٍ، وَمُنْتَهَى تَجَرٍّ وَمَكْسَبٍ عَدِيمٍ. مَعْدِنُ الثَّمَرِ، بِحِكْمَةِ صَاحِبِ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، تَتَعَدَّدُ
أَنْوَاعُهُ، فَتُعْيِي الْحُسَابَ، وَتَجْمُ بِهَا فَوَائِدُهُ، فَتَحْسِبُ الْإِقْتِنَاءَ وَالْإِكْتِسَابَ، قَدْ اسْتَدَارَ بِهَا³ لِحُلُو السُّورِ
الْأَمْرُ الْعُجَابُ، وَالْفُطْرُ الَّذِي تَحَارُّ فِي سَاحَتِهِ النَّجَابُ، فَيُضْرَبُ مِنْهُ عَلَى عِدَارِيهَا الْحِجَابُ، بَاطِنُهُ
فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ⁴، تُحِيطُ بِهَا مَرَحَلَةُ رَاكِبٍ، وَيُصَيِّرُهَا سَمَاءً مُخْضَرَّةً ذَاتَ
كَوَاكِبٍ.

فَمَنَازِلُهَا لَا تَنَالُ بَهْوَانَ، وَفِدْنُهَا وَدِمْنُهَا تَحْتَ صُؤَانٍ، وَنَخْلُهَا تُظِلُّ مِنْ خَلْفِهِ الْجِدَارَ، وَتَتَبَوَّأُ
الْإِيمَانَ وَالْذِّيَارَ⁵، وَحُلُلُهَا مَبْنُوثَةٌ بَيْنَ الدِّمَنِ، وَضِيَاعُهَا تُمْتَلِكُ⁶ عَلَى مَرِّ الزَّمَنِ، وَسَوَائِمُهَا آلِفَةٌ
لِلسَّمَنِ، مَوْجُودَةٌ بِنَزْرِ النَّمَنِ. وَفَوَاكِهُهَا جَمِيمَةٌ، وَنِعْمُهَا عَمِيمَةٌ، وَسُورُهَا يَعْجُزُ عَنْ مِثْلِهِ مُعْتَصِمٌ
وَرَشِيدٌ، وَسَقْفُهَا يَخُصُّ دَارَ الْمُلْكِ بِحِظٍّ مَعْلُومٍ، وَيَرْجِعُ إِلَى وَالٍ يَكْفُ كُلَّ ظُلُومٍ.

وَهِيَ أُمُّ الْبِلَادِ الْمُجَاوِرَةِ لِحُدُودِ السُّودَانِ فَتَقْصِدُهَا بِالتَّبَرِّ الْقَوَافِلُ، وَتُهْدَى إِلَى مِحْرَابِهَا النَّوَافِلُ،
وَالرَّفَاحِيَةُ بِهَا فَاشِيَّةٌ، وَالنِّسَاءُ فِي الْحُلَّةِ نَاشِيَّةٌ. لَكِنَّهَا مَعْرَكَةٌ غُبَارٌ، وَقَتِيلَ عَقْرِبَهَا جَبَّارٌ، وَلِبَاسَهَا
خَامِلٌ، وَالْجَفَاءُ بِهَا شَامِلٌ، وَالْجَوَّ يُسْفِرُ عَنِ الْوَجْهِ الْقَطُوبِ، وَالْمَطَرُ مَعْدُودٌ مِنَ الْخُطُوبِ، لِبِنَاءِ

- سجلماسة مدينة تاريخية كانت تقع وسط واحة كبيرة جنوب الأطلس الكبير. وهي ثاني مدينة إسلامية تشيد بالمغرب الإسلامي بعد مدينة القيروان، وهي عاصمة أول دولة في المغرب الكبير تكون مستقلة عن الخلافة بالشرق وهي إمارة بني مدرار الخارجية الصفيرية.¹

- "الكورة الصُّفْعُ يطلق على المدينة" المصباح المنير/ كور، ص 207²

- ع: "استاربها"³
- قال تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ

بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ} سورة الحديد، الآية: 13⁴

- سورة الحشر، الآية 9.⁵

- ع: "تتملك"⁶

جُدْرَانَهَا بِالطُّوبِ، وَالْقَرَعَ بِرُؤُوسِ أَهْلِهَا عَابِتٌ، وَالْعَمَشَ فِي جُفُونِهِمْ لَابِتٌ، وَالْحَصَى يُصِيبُهُمْ، وَيَتَوَقَّرُ مِنْهُ نَصِيبُهُمْ.

قُلْتُ: فَتَازَةُ؟¹

فَقَالَ: بَلَدٌ امْتِنَاعٍ، وَكَشَفِ قِنَاعٍ، وَمَحَلُّ رَنْعٍ وَإِنَاعٍ. وَوَطْنٌ طَابَ مَاؤُهُ، وَصَحَّ هَوَاؤُهُ، وَبَانَ إِشْرَافُهُ وَاعْتِلَاؤُهُ، وَجَلَّتْ فِيهِ مَوَاهِبُ اللَّهِ وَآلَاؤُهُ. عَصِيرُهُ مَثَلٌ²، وَأَمْرُ الْخِصْبِ بِهِ مُمْتَلٌ، وَقَوَاكِيهُ لَا تُحْصَى، يُمَارِي بِهَا الْبَلَدَ الْأَقْصَى، وَحُبُّوبُهُ³ تَدُومُ عَلَى الْخَزَنِ، وَفَخَّارُهُ آيَةٌ فِي لَطَافَةِ الْجَرَمِ وَخِفَّةِ الْوِزْنِ. إِلَّا أَنَّ رِيحَهُ عَاصِفٌ، وَبَرْدُهُ لَا يَصِفُهُ وَاصِفٌ، وَأَهْلُهُ فِي وَبَالٍ مِنْ مَعَرَّةِ أَهْلِ الْجِبَالِ، وَلُيُوثُهُ مُفْتَرَسَةٌ، وَأَخْلَاقُ أَهْلِهِ شَرِسَةٌ.

قُلْتُ: فَعَسَاسَةٌ؟⁴

قَالَ: فَرِيسَةٌ وَأَكِيلَةٌ، وَحَشَفٌ وَسُوءُ كَيْلَةٍ⁵، إِلَّا أَنَّهَا مَرَسَى مَطْرُوقٍ بِكُلِّ مَا يَرُوقُ، وَمَرْفَأُ جَارِيَةٍ بَحْرِيَّةٍ⁶، وَمَحَطٌ جَبَايَةٍ تُجَرِّيَّةٍ.

ثُمَّ لَمَّا وَصَلَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، نَظَرَ إِلَى حَاجِّ السُّوقِ، وَقَدْ أَقَاضَ، وَمَزَادُهُ أُعْمِلَ فِيهِ الْإِنْفَاضُ، وَعَلُوُّ الْأَصْوَاتِ بِهِ قَدْ صَارَ إِلَى الْإِنْخِفَاضِ. فَقَالَ: وَجَبَ اعْتِنَاءُ بِالرَّحِيلِ وَاهْتِمَامٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَإِلَى تِمَامٍ، وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى الْوِعَاءِ فَخَرَقْتُهُ، وَإِلَى الْعَيْنِ فَأَرَقْتُهُ، فَقُلْتُ: لِأَحْكَمَتَكَ مِنْ كَرَائِمِ بَنِي الْأَصْفَرِ فِي الْعَدَدِ الْأَوْفَرِ، مَائِلَةٌ فِي اللَّبَاسِ الْمُرْعَفَرِ.

- تازة: "تبعد هذه المدينة المغربية عن فاس بنحو 119 كلم، وتبعد عن مدينة وجدة بمسافة 230 كلم، وتتمتع بموقع جغرافي هام، مما جعلها تتخذ على مر العصور قاعدة حربية" معيار الاختيار، ص: 182¹
- أي أن عصيره يضرب به المثل في اللذة.²
- ع: "حبوجه" وهو تحريف.³
- عساسة: مدينة ذات موقع يقرب من مصب نهر ملوية بالبحر المتوسط. العبر لابن خلدون: 6 / 101⁴
- مثل يضرب للرجل الذي يجمع بين خصلتين ذميتين. فالحشف هو التمر الرديء، والكيلة مأخوذة من الكيل وهو الوزن.⁵
- م: "بحرية"⁶

فَلَمَّا خَضَّبَ كَفَّهُ بِجَنَابِهَا، وَحَصَلَتِ النَّفْسُ عَلَى اسْتِغْنَائِهَا، اسْتَدْنَانِي، وَشَبَكَ بَنَانَهُ بِبَنَانِي،
 وَقَالَ: لَا حَبَطَ اللَّهُ عَمَلَكَ، وَلَا خَابَ أَمْلُكَ، وَلَا عَدِمَ الْمَرْعَى الْخِصْبَ هَمْلَكَ. فَلَنِعْمَ مُغْلِي الْبَضَائِعِ،
 وَحَافِظُ الْفَضْلِ الضَّائِعِ وَمُقَنِّتِي الْفَوَائِدِ، وَمُعَوِّدُ الْعَوَائِدِ. وَاسْتَنْبَتَ مُحْيِلَّتُهُ فَإِذَا الشَّيْخُ وَتَلْمِيزُهُ، وَحِمَارُهُ
 وَنَبِيذُهُ، وَقَدْ تَنَكَّرَ بِالْخِضَابِ الْمُمَوَّهِ، وَالزِّيِّ الْمُنَوَّهِ، وَعَاثَ بِخَدِّهِ الشَّعْرَ الْمَشْوَهُ. فَقُلْتُ: هِيه، أَبَتِ
 الْمَعَارِفُ أَنْ تَتَنَكَّرَ، وَالصَّبَاحُ أَنْ يُجْحَدَ أَوْ يُنْكَرَ، كَيْفَ الْحَالُ بَعْدِي، وَمَا اعْتَدَارَكَ عَنْ إِخْلَافِ
 وَعْدِي، فَقَالَ:

خُذْ مِنْ زَمَانِكَ مَا تَيْسَّرُ ... وَاتْرُكْ بِجَهْدِكَ مَا تَعَسَّرَ
 فَلَرَبِّ مُجْمَلٍ حَالَةٌ ... مُوصَى بِهَا مَا لَمْ تُفَسَّرَ
 وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِدَائِمٍ ... لَا بُدَّ أَنْ سَيَسُوءُ إِنْ سَرَّ

وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي السِّيَاسَةِ وَكَانَ إِمْلَؤُهَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ¹

حَدَّثَ مَنْ امْتَارَ بِاعْتِبَارِ الْأَخْبَارِ، وَحَازَ دَرَجَةَ الْإِشْتِهَارِ، بِنَقْلِ حَوَادِثِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَوَلَجَ بَيْنَ الْكَمَائِمِ وَالْأَزْهَارِ، وَتَلَطَّفَ لِحَجَلِ الْوَرْدِ مِنْ تَبَسُّمِ الْبَهَارِ. قَالَ: "سَهَرِ الرَّشِيدُ لَيْلَةً، وَقَدْ مَالَ فِي هَجْرِ النَّبِيذِ مَيْلَةً، وَجَهَدَ نُدْمَاؤُهُ فِي جَلْبِ رَاحَتِهِ، وَالْمَامِ النَّوْمِ بِسَاحَتِهِ، فَشَحَّتْ عُهُودُهُمْ²، وَلَمْ يُغْنِ اجْتِهَادُهُمْ. فَقَالَ: إِذْهَبُوا إِلَى طُرُقِ سَمَاهَا وَرَسَمَاهَا، وَأُمَهَاتٍ³ قَسَمَهَا، فَمَنْ عَثَرْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ طَارِقِ لَيْلٍ، أَوْ غُنَاءِ سَيْلٍ، أَوْ سَاحِبِ ذَيْلٍ، فَبَلَّغُوهُ، وَالْأَمَانَةَ⁴ سَوَّغُوهُ، وَاسْتَدْعُوهُ، وَلَا تَدَعُوهُ.

فَطَارُوا عَجَالًا، وَتَفَرَّقُوا رُكْبَانًا وَرِجَالًا، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا ارْتِدَادُ طَرْفٍ، أَوْ فَوَاقُ حَرْفٍ، وَأَتَوْا بِالْغَنِيمَةِ الَّتِي اكْتَسَحُوهَا، وَالْبِضَاعَةَ الَّتِي رِيحُوهَا، يَتَوَسَّطُهُمُ الْأَشْعَثُ الْأَغْبَرُ، وَاللُّجُ الَّذِي لَا يُعْبِرُ، شَيْخٌ طَوِيلُ الْقَامَةِ، ظَاهِرُ الْإِسْتِقَامَةِ، سُبُلَتُهُ مُشْمَطَةٌ، وَعَلَى أَنْفِهِ مِنَ الْقُبْحِ مَطَّةٌ، وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ مَرْفُوعٌ، [لِطَيْرِ الْخَرَقِ عَلَيْهِ]⁵ وَقُوعٌ، يَهِيمُ بِذِكْرِ مَسْمُوعٍ، وَيُنْبِئُ عَنْ وَقْتِ مَجْمُوعٍ.

فَلَمَّا مَثَلَ سَلَمٌ، وَمَا نَبَسَ⁶ بَعْدَهَا وَلَا تَكَلَّمَ. فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ فَقَعَدَ، بَعْدَ أَنْ انْشَمَرَ وَابْتَعَدَ، وَجَلَسَ، فَمَا اسْتَرَقَ النَّظَرَ وَلَا اخْتَلَسَ، إِنَّمَا حَرَكَةُ فِكْرِهِ، مَعْقُودَةٌ بِزِمَامِ ذِكْرِهِ، وَلَحَظَاتِ اعْتِبَارِهِ، فِي

ق: ساقط¹

-ع، م: "عهادهم"²

-أ، ق، ع: "أمات" والمثبت من م. "وهو من أمهات الخير: من أصوله ومعادنه" أساس البلاغة / أمم، 1/ 34³

-ع، م: "الأمنة"⁴

-أ، ع: ساقط، والزيادة من م⁵

-أ، ق، م: "تنفس" والمثبت من ع، ولعله الصواب.⁶

تَقَاصِيلِ أَخْبَارِهِ. فَابْتَدَرَهُ الرَّشِيدُ سَائِلًا، [وَأَنْحَرَفَ إِلَيْهِ مَائِلًا]¹ وَقَالَ مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: فَارِسِيُّ الْأَصْلِ، أَعْجَمِي الْجِنْسِ، عَرَبِي الْفَصْلِ.

قَالَ: بَلَدُكَ، وَأَهْلُكَ وَوَلَدُكَ؟

قَالَ أُمَّا الْوَلَدُ، فَوَلَدُ الدِّيَّانِ، وَأُمَّا الْبَلَدُ، فَمَدِينَةُ الْإِيَّانِ.

قَالَ: النَّحْلَةُ وَمَا أَعْمَلْتَ إِلَيْهِ الرَّحْلَةُ؟ قَالَ: أُمَّا النَّحْلَةُ فَالْأَمْرُ الْكِبَارُ، وَأُمَّا الرَّحْلَةُ فَالْإِعْتِبَارُ.

قَالَ: فَنُكَ، الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ دُنُكَ؟ فَقَالَ: الْحِكْمَةُ فَنِّي الَّذِي جَعَلْتُهُ أَثِيرًا، وَأَضْجَعْتُ مِنْهُ فِرَاشًا وَثِيرًا، وَسُبْحَانَ الَّذِي يَقُولُ: {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}² وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَتَبَّعْ، وَلِي فِيهِ مِصْطَافٌ وَتَرْبِيعٌ.

قَالَ: فَتَعَاَضَدَ جَذَلَ الرَّشِيدِ وَتَوَفَّرَ، وَكَأَنَّمَا غَشِيَ وَجْهَهُ قِطْعَةٌ مِنَ الصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ³. وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ أَجْمَعَ لِأَمَلٍ شَارِدٍ، وَأَنْعَمَ بِمُؤَانَسَةٍ وَارِدٍ. يَا هَذَا إِنِّي سَائِلُكَ، وَلَنْ تَخِيبَ بَعْدُ وَسَائِلُكَ، فَأَخْبِرْنِي بِمَا عِنْدَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي بُلِينَا بِحَمَلِ أَعْبَائِهِ، وَمُنِينَا بِمُرَاوَضَةِ إِبَائِهِ؟

فَقَالَ: هَذَا الْأَمْرُ قِلَادَةٌ ثَقِيلَةٌ، وَمِنْ خُطَّةِ الْعَجْزِ مُسْتَقِيلَةٌ، وَمُفْتَرَقَةٌ⁴ لِسَعَةِ الذَّرْعِ، وَرَبِطِ السِّيَاسَةِ الْمَدَنِيَّةِ بِالشَّرْعِ، يُفْسِدُهَا الْحِلْمُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، [وَيَكُونُ ذَرِيعَةً إِلَى حَلِّهِ]⁵ وَبُصْلِحُهُ مُقَابَلَةُ الشَّكْلِ بِشَكْلِهِ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سَبْعًا آكِلًا ... تَدَاعَتْ سِبَاعٌ إِلَى أَكْلِهِ

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹
- قال تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ} وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۖ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ { سورة البقرة، الآية: 269

- سورة المدثر، الآية 34. 3

- ع، م: "مفتقرة"⁴

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م⁵

فَقَالَ الْمَلِكُ: أَجَمَلْتُ فَفَصَّلْتُ، وَبَرَيْتُ فَفَنَصَّلْتُ، [كَلِمَاتٌ فَأَوْصِلْتُ، وَأَنْثَرْتُ الْحَبَّ لِمَنْ يُحَوِّصِلُ، وَأَقْسِمُ
السِّيَاسَةَ فَنُونًا، وَاجْعَلْ لِكُلِّ لَقَبٍ قَانُونًا، وَابْدَأْ بِالرَّعِيَّةِ، وَشَرُوطِهَا الْمَرْعِيَّةِ.

فَقَالَ: رَعِيَّتُكَ وَدَائِعُ اللَّهِ قِبْلَتُكَ، وَمِرَاةُ الْعَدْلِ الَّذِي عَلَيْهِ جَبَلُكَ، وَلَا تَصِلْ إِلَى ضَبْطِهِمْ إِلَّا
بِالِإِصَانَةِ¹ الَّتِي وَهَبَ لَكَ. وَأَفْضَلُ مَا اسْتَدْعَيْتَ بِهِ عَوْنَهُ فِيهِمْ، وَكِفَايَتُهُ الَّتِي تَكْفِيهِمْ، تَقْوِيمُ نَفْسِكَ
عِنْدَ قَصْدِ تَقْوِيمِهِمْ، وَرِضَاكَ بِالسَّهْرِ لِتَنْوِيمِهِمْ، [وَحِرَاسَةُ كَهْلِهِمْ وَرَضِيْعِهِمْ، وَالتَّرَفُّعُ عَنْ تَصْنِيعِهِمْ]²،
وَأَخْذُ كُلِّ طَبَقَةٍ بِمَا عَلَيْهَا وَمَا لَهَا، أَخْذًا بِحُطُوظٍ³ كَمَالِهَا، وَبِقَصْرِ -عَنْ غَيْرِ الْوَاجِبِ- آمَالِهَا،
حَتَّى تَسْتَشْعِرَ عَلَيْهَا رَأْفَتَكَ وَحَنَانَكَ، وَتَعْرِفَ أَوْسَاطُهَا فِي النَّصَبِ⁴ امْتِنَانَكَ، وَتَحْدَرَ سَفَلَتُهَا
سِنَانَكَ. وَحَظَرْتُ عَلَى كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْهَا، أَنْ تَتَعَدَّى طَوْرَهَا، أَوْ تُخَالِفَ دَوْرَهَا، أَوْ تُجَاوِزَ بِأَمْرِ طَاعَتِكَ
فَوْرَهَا.

وَسَدَّ فِيهَا سُبُلَ الذَّرِيعَةِ، وَأَقْصَرَ جَمِيعَهَا عَلَى خِدْمَةِ الْمَلِكِ بِمُوجِبِ الشَّرِيعَةِ، وَامْنَعُ أَعْيَانَهَا⁵
مِنَ الْبِطَالَةِ، وَالنَّظَرِ فِي شُبُهَاتِ الدِّينِ بِالنَّشْذِ وَالْإِطَالَةِ. وَلْيَقِلَّ فِيهَا شَجَرُ بَيْنِ السَّلَفِ كَلَامُهَا،
وَيُرْفَضْ مَا يُنْبِزُ بِهِ أَعْلَامُهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُسْقِطُ الْحُقُوقَ، وَيُرِيِّي الْعُقُوقَ. وَامْنَعُهُمْ مِنْ فُحْشِ الْحِرْصِ
وَالشَّرِّهِ، وَتَعَاهَدُهُمْ بِالْمَوَاعِظِ الَّتِي تَجْلُو الْبَصَائِرَ مِنَ الْمَرَّةِ⁶، وَاحْمِلُهُمْ مِنَ الْاجْتِهَادِ فِي الْعِمَارَةِ⁷
عَلَى أَحْسَنِ الْمَذَاهِبِ، وَانْهَهُمْ عَنِ التَّحَاسُدِ عَلَى الْمَوَاهِبِ، وَرُضُّهُمْ عَلَى الْإِنْفَاقِ بِقَدْرِ الْحَالِ،
وَالْتَعَزِّي عَنِ الْفَائِتِ فَرْدُهُ مِنَ الْمُحَالِ.

- ع، م: "إعانتهم"¹

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م²

- ع: "يحوط"³

- ع: "النهب"⁴

- ع، م: "أغنياءها"⁵

- "رجل أمره وممره وهو الذي يترك الاكتحال حتى تبيض بواطن أجفانه، وبه ممره وممره" أساس البلاغة / مره، 2 / 208⁶

- أ، ق: "العماري" والمثبت من ع، م⁷

وَحَذَّرَ¹ الْبُخْلَ عَلَى أَهْلِ الْيَسَارِ، وَالسَّخَاءَ عَلَى أُولِي الْإِعْسَارِ. وَخَذُّهُمْ مِنَ الشَّرِيعَةِ بِالْوَاضِحِ
الظَّاهِرِ، وَامْنَعَهُمْ مِنْ تَأْوِيلِهَا مَنَعَ الْقَاهِرِ. وَلَا تُطْلَقَ لَهُمُ التَّجَمُّعُ عَلَى مَنْ أَنْكَرُوا أَمْرَهُ فِي نَوَادِيهِمْ،
وَكُفَّ عَنْهُمْ أَكْفَ تَعْدِيهِمْ. وَلَا تُبْحَ لَهُمْ تَغْيِيرَ مَا كَرِهُوا بِأَيْدِيهِمْ. وَلَنْ تُكُنَّ غَايَتُهُمْ فِيمَا تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ
إِبَائِيَّتُهُمْ، وَنَكَصَتْ عَنِ الْمُوَافَقَةِ عَلَيْهِ رَأْيَتُهُمْ، إِنَّهَا إِلَى مَنْ وَكَلَتْهُ بِمَصَالِحِهِمْ مِنْ ثِقَاتِكَ،
الْمُحَافِظِينَ عَلَى أَوْقَاتِكَ.

وَقَدَّمَ مِنْهُمْ مَنْ أَمِنْتَ عَلَيْهِمْ مَكْرَهُ، وَحَمَدْتَ [عَلَى الْإِنْصَافِ شُكْرَهُ، وَمَنْ كَثُرَ حَيَاؤُهُ مِنْ
التَّائِبِ، وَقَابَلَ الْهَفْوَةَ بِاسْتِقَالَةِ الْمُنِيبِ²، وَمَنْ لَا يَتَخَطَّى³] عِنْدَكَ مَحَلَّهُ الَّذِي حَلَّه، فَرُبَّمَا عَمَدَ إِلَى
الْمُبْرَمِ فَحَلَّه، وَحَسَّنَ النِّيَّةَ لَهُمْ بِحُسْنِ⁴ الْإِسْتِطَاعَةِ، وَاعْتَقَرَ الْمَكَارَةَ فِي جَنْبِ حُسْنِ الطَّاعَةِ.

وَإِنْ ثَارَ جَرَادُهُمْ، وَاخْتَلَفَ فِي طَاعَتِكَ مُرَادُهُمْ، فَتَحَصَّنْ لِسُورَتِهِمْ، وَاثْبُتْ لِفُورَتِهِمْ. فَإِذَا سَأَلُوا
وَأَسْأَلُوا، وَتَفَرَّقُوا وَأَنْسَلُوا، فَاحْتَفِزْ كَثْرَتَهُمْ، وَلَا تُقِلْ عَثْرَتَهُمْ، وَاجْعَلْهُمْ لِمَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ نَكَالًا⁵،
وَلَا تَتْرُكْ لَهُمْ عَلَى حِلْمِكَ اتِّكَالًا.

قَالَ: وَالْوَزِيرُ الصَّالِحُ أَفْضَلُ عُدَدِكَ، وَأَوْصَلُ مَدَدِكَ؛ فَهُوَ الَّذِي يَصُونُكَ عَنِ الْإِبْتِدَالِ،
وَمُبَاشَرَةِ الْإِنْزَالِ⁶، وَيَثْبُتُ لَكَ عَلَى الْفُرْصَةِ، وَيَنْوُبُ فِي تَجَرُّعِ الْغُصَّةِ، وَاسْتِجْلَاءِ الْقِصَّةِ. وَيَسْتَحْضِرُ
مَا نَسِيَتْهُ مِنْ أُمُورِكَ، وَيَغْلُبُ فِيهِ الرَّأْيُ بِمُوَافَقَةِ مَأْمُورِكَ⁷، وَلَا يَسْعُهُ مَا تَمَكَّنَكَ الْمُسَامَحَةُ فِيهِ، حَتَّى

- أ، ق، ع: "خطر" والمثبت من م. ¹

- أ، ق، ع: "المثيب" والمثبت من م. ²

- ع: ساقط ³

- ع، م: "بجهد" ولعل الصواب ما أثبت. ⁴

- قال تعالى: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} سورة البقرة، الآية 66 ⁵

- ع، م: "الأنزال" وهو تحريف ولعل الصواب ما أثبت. ⁶

- أ: "تامورك" ع: "تامرك"، والمثبت من م. ⁷

يَسْتَوْفِيهِ. وَاحْذَرْ مُصَادَمَةَ تَيَّارِهِ، وَالتَّجَوُّزَ فِي اخْتِيَارِهِ، وَقَدِّمِ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ فِي إِثَارِهِ، وَأَرْسِلْ عُيُونَ
الْمُلَاحَظَةِ عَلَى آثَارِهِ.

وَلْيَكُنْ مَعْرُوفًا بِالْإِخْلَاصِ لِدَوْلَتِكَ، مَعْقُودَ الرِّضَا وَالْغَضَبِ بِرِضَاكَ وَصَوْلَتِكَ، زَاهِدًا عَمَّا فِي
يَدَيْكَ، مُؤَثِّرًا كُلَّ مَا يُزْلِفُ لَدَيْكَ، بَعِيدَ الهمَّةِ، رَاعِيًا لِلْأَذِمَّةِ، كَامِلَ الْآلَةِ، مُحِيطًا بِالْإِيَالَةِ، رَحِيبَ
الصَّدْرِ، رَفِيعَ الْقَدْرِ، مَعْرُوفَ الْبَيْتِ، نَبِيهَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ، مُؤَثِّرًا لِلْعَدْلِ وَالْإِصْلَاحِ، دَرِيًّا بِحِمْلِ
السَّلَاحِ، ذَا خِبْرَةٍ بِدُخُلِ الْمَمْلَكَةِ وَخُرُجِهَا، وَظَهْرَهَا وَسَرَجِهَا، صَحِيحَ الْعَقْدِ، مُتَحَرِّزًا مِنَ النَّقْدِ، جَادًّا
عِنْدَ لَهْوِكَ، مُنْقِظًا فِي حَالِ سَهْوِكَ، يَلِينُ عِنْدَ غَضَبِكَ، وَيَصِلُ الْإِسْهَابَ بِمُقْتَضَبِكَ، قَلِقًا مِنْ شُكْرِ
دُونِكَ وَحَمْدِهِ، نَاصِبًا لَكَ الْإِصَابَةَ بِعَمْدِهِ.

وَأَنْ أَعْيَا عَلَيْكَ وَجُودُ أَكْثَرِ هَذِهِ الْخِلَالِ، وَسَبَقَ إِلَى نَقْضِهَا شَيْءٌ مِنَ الْإِخْتِلَالِ، فَاطْلُبْ مِنْهُ
سُكُونَ النَّفْسِ وَهُدُونَهَا¹، وَأَنْ لَا يَرَى مِنْكَ رُتْبَةً إِلَّا رَأَى قَدْرَهُ دُونَهَا. وَتَقَوَّى اللَّهُ تَفَضُّلُ شَرَفِ
الْإِنْتِسَابِ؛ وَهِيَ لِلْفَضَائِلِ فَذَلَكَةُ الْحِسَابِ. وَسَاوِ فِي حِفْظِ غَيْبِهِ بَيْنَ قُرْبِهِ وَنَأْيِهِ، وَاجْعَلْ حَظَّهُ مِنْ
نِعْمَتِكَ مُوَازِيًا لِحَظِّكَ مِنْ حُسْنِ رَأْيِهِ.

وَاجْتَنِبْ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى فِي نَفْسِهِ إِلَى الْمُلْكِ سَبِيلًا، أَوْ يَقُودُ مِنْ عَيْصِهِ² لِلِاسْتِظْهَارِ عَلَيْكَ
قَبِيلًا، أَوْ مَنْ كَانَتْ مَالِكَ مَالِهِ، أَوْ مَنْ تَقَدَّمَ لِعُدْوَانِكَ³ اسْتِعْمَالُهُ، أَوْ مَنْ سَمَتْ لِسَوَاكَ آمَالُهُ، أَوْ مَنْ

- م: "هدونها" وكلاهما صحيح.¹

- "هو من عيص هاشم أي من أصلهم" أساس البلاغة / عيص، 1/ 689²

- ع، م: "عدوك" ولعل الصواب ما أثبت، أي من أراد معاداتك بفعاله.³

يَعْظُمُ¹ عَلَيْهِ إِعْرَاضُ وَجْهِكَ، وَيَهُمُّهُ نَادِرُ نَهْجِكَ²، أَوْ مَنْ يُدَاخِلُ عَلَيْهِ³ أَحْبَابُكَ، أَوْ مَنْ يُنَافِسُ أَحَدًا⁴ بِبَابِكَ.

وَأَمَّا الْجُنْدُ فَاصْرِفِ التَّقْوِيمَ مِنْهُمْ لِلْمُقَاتَلَةِ، وَالْمُكَايَدَةَ الْمُخَاتَلَةَ، فَاسْتَوْفِ عَلَيْهِمْ شَرَائِطَ الْخِدْمَةِ، وَخُذْهُمْ بِالنَّيِّبَاتِ لِلصَّدْمَةِ، وَوَفِّ مَا أُوجِبَتْ لَهُمْ مِنَ الْجِرَايَةِ وَالنَّعْمَةِ، وَتَعَاهَدْهُمْ عِنْدَ الْغَنَاءِ لِلْعَلْفِ وَالطُّعْمَةِ، وَلَا تُكْرِمْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَكْرَمَهُ غِنَاؤُهُ، وَطَابَ فِي الذَّبِّ عَنْ مِلَّتِكَ ثَنَّاؤُهُ، وَوَلَّ⁴ عَلَيْهِمُ النُّبَهَاءَ مِنْ خِيَارِهِمْ، وَاجْتَهِدْ فِي صَرْفِهِمْ عَنِ الْإِفْتِنَانِ بِأَهْلِهِمْ⁵ وَدِيَارِهِمْ، وَلَا تُوْطِئْهُمْ الدَّعَةَ مِهَادًا، وَقَدِّمَهُمْ عَلَى حِصَصِكَ⁶ وَبُعُوثِكَ مَتَى أَرَدْتَ جِهَادًا، وَلَا تَلِنْ لَهُمْ فِي الْإِغْمَاضِ عَنْ حُسْنِ طَاعَتِكَ قِيَادًا، وَعَوِّدْهُمْ حُسْنَ الْمُوَاسَاةِ بِأَنْفُسِهِمْ اعْتِيَادًا، وَلَا تَسْمَحْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي إِغْفَالِ شَيْءٍ مِنْ سِلَاحِ اسْتِظْهَارِهِ، وَعُدَّةِ اسْتِهَارِهِ.

وَلْيَكُنْ مَا فَضَلَ عَنْ شَبَعِهِمْ وَرِيَّهِمْ مَصْرُوفًا إِلَى سِلَاحِهِمْ وَزِيَّهِمْ، وَالتَّرْيِيدِ فِي مَرَاقِبِهِمْ وَغِلْمَانِهِمْ، مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ لِأَثْمَانِهِمْ. وَامْنَعْهُمْ مِنَ الْمُسْتَعْلَاتِ وَالْمَتَاجِرِ، وَمَا يَكْتَسِبُ مِنْهُ غَيْرُ الْمُسْتَأْجِرِ⁷، وَلْيَكُنْ مِنَ الْعَزْوِ⁸ اكْتِسَابُهُمْ، وَعَلَى الْمَعَانِمِ حِسَابُهُمْ، كَالْجَوَارِحِ الَّتِي تَفْسُدُ بِاعْتِيَادِهَا، أَنْ تَطْعَمَ مِنْ غَيْرِ اصْطِيَادِهَا.

- أ، ق، ع: "يعرض" والمثبت من م.¹

- ع: "نهجك"²

- ع، م: "غير" ولعل الصواب ما أثبت.³

- م: "ودل"⁴

- ع: "بأهليهم"⁵

- م: "حفظك" ولعل الصواب ما أثبت.⁶

- م: "المتاجر"⁷

- أ، ق، ع: "الغوار"⁸ والمثبت من م.

وَأَعْلَمَ أَنَّهَا لَا تَبْدُلُ نَفْسَهَا مِنْ عَالَمِ الْإِنْسَانِ، إِلَّا لِمَنْ يَمْلِكُ قُلُوبَهَا بِالْإِحْسَانِ، وَفَضْلِ
اللسانِ، وَيَمْلِكُ حَرَكَاتِهَا بِالنَّفْقِيمِ، وَزِينَتِهَا بِالْمِيزَانِ، وَمَنْ تَثِقُ بِإِسْفَاقِهَا عَلَى أَوْلَادِهَا، وَتَشْتَرِي رِضَا
اللَّهِ بِصَبْرِهَا فِي طَاعَتِهِ وَجَلَادِهَا.

فَإِذَا اسْتَشْعَرْتَ لَهَا هَذِهِ الْخِلَالَ، تَقَدَّمْتَكَ إِلَى مَوَاقِفِ التَّلَفِ، مُطِيعَةً دَوَاعِيَ الْكَافِ، وَاثِقَةً مِنْكَ
بِحُسْنِ الْخَلْفِ. وَاسْتَبِقْ إِلَى تَمْيِيزِهِمْ اسْتِيقًا، وَطَبَقْهُمْ طَبَاقًا؛ أَعْلَاهَا مَنْ تَأَمَّلْتَ مِنْهُ فِي الْمَحَارَبَةِ
عَنْكَ أخطارًا، وَأَبْعَدُهُمْ فِي مَرْضَاتِكَ مَطَارًا، وَاضْبِطْهُمْ لِمَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ رِجَالِكَ حَزْمًا وَوَقَارًا،
وَاسْتِهَانَةً بِالْعِظَائِمِ وَاحْتِقَارًا، وَأَحْسِنْهُمْ لِمَنْ تُقَلِّدُهُ أَمْرًا مِنَ الرَّعِيَّةِ جَوَارًا، إِذَا أَجَدْتَ اخْتِيَارًا، وَأَشَدَّهُمْ
عَلَى مُمَاطَلَةٍ مِنْ مَارِسِهِ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَيْكَ اصْطِبَارًا، وَمَنْ بَلَى فِي الذَّبِّ عَنْكَ إِحْلَاءً وَإِمْرَارًا،
وَلَحِقَهُ الضَّرُّ فِي مَعَارِكِ الدِّفَاعِ عَنْكَ مِرَارًا.

وَبَعْدَهَا مَنْ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ أَزِيدُ¹ مِنْ نَجْدَتِهِ، وَمَوْقِعٌ رَأْيِهِ أَنْفَعُ² مِنْ مَوْقِعِ صَعْدَتِهِ. وَبَعْدَهَا مَنْ
حَسَنَ انْقِيَادَهُ لِأَمْرَائِكَ، وَاعْتِمَادَهُ³ لِأَرَائِكَ، وَمَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَمْرِ حَيْثُ جَعَلَهُ، وَكَانَ صَبْرُهُ عَلَى
مَا عَرَاهُ أَكْثَرَ مِنْ صَبْرِهِ⁴ بِمَا فَعَلَهُ. وَاحْذَرِ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ عِنْدَ نَفْسِهِ أَكْبَرَ مِنْ مَوْقِعِهِ فِي الْإِنْتِفَاعِ،
وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ التَّرِيدِ بِأَضْعَافٍ مَا بَدَّلَهُ مِنَ الدِّفَاعِ، وَشَكِيَ الْبَخْسَ فِيمَا تَعَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْ فَوَائِدِكَ،
وَقَاسَ بَيْنَ عَوَائِدِ عَدُوِّكَ وَعَوَائِدِكَ، وَتَوَعَّدَ [بِإِنْتِقَالِهِ]⁵ عَنْكَ وَارْتِحَالِهِ، وَأُظْهِرَ الْكَرَاهَةَ لِمَحَالِهِ.

- م: "أكثر" ¹

- م: "أصدق" وكلاهما صحيح. ²

- ع، م: "إحماده" ولعل الصواب ما أثبت. ³

- ع، م: "اعتداده" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي صبره على ما أصابه أكثر من صبره على ما اقترفته يداه. ⁴

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م ⁵

وَأَمَّا الْعَمَالُ فَأِنَّهُمْ يُنْبِئُونَ عَنْ مَذْهَبِكَ، وَحَالُهُمْ فِي الْغَالِبِ شَدِيدٌ¹ الشَّبَهُ بِكَ، فَعَرَفَهُمْ فِي أَمَانَتِكَ السَّعَادَةَ، وَالزَّمَهُمْ فِي رَعِيَّتِكَ الْعَادَةَ، وَأَنْزَلَهُمْ مِنْ كَرَامَتِكَ بِحَسَبِ مَنَازِلِهِمْ فِي الْإِتِّصَافِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، وَحَلَّهُمْ² مِنَ الْحِفَايَةِ، بِنِسْبَةِ مَرَاتِبِهِمْ مِنَ الْأَمَانَةِ وَالْكَفَايَةِ. وَقَفَّهُمْ عِنْدَ تَقْلِيدِ الْأَرْجَاءِ مَوَاقِفَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَقَرَّرَ فِي نُفُوسِهِمْ أَنَّ أَعْظَمَ مَا بِهِ إِلَيْكَ تَقَرُّبُوا، وَفِيهِ تَدَرُّبُوا، وَفِي سَبِيلِهِ أَعْجَمُوا وَأَعْرَبُوا، إِقَامَةً حَقٍّ، وَدَحْضُ بَاطِلٍ، حَتَّى لَا يَشْكُو غَرِيمٌ مَطْلَ مَاطِلٍ؛ وَهُوَ آثَرُ لَدَيْكَ مِنْ كُلِّ رِبَابٍ هَاطِلٍ.

وَكَفَّهُمْ مِنَ الرِّزْقِ الْمُوَافِقِ عَنِ التَّصَدِّي لِذَنبِي الْمَرَافِقِ، وَاصْطَنَعَ مِنْهُمْ مَنْ تَيَسَّرَتْ كُفْلَتُهُ، وَقَوَّيْتُ لِلرَّعَايَا أَلْفَتُهُ، وَمَنْ زَادَ عَلَى تَأْمِيلِهِ صَبْرُهُ، وَأَرَى عَلَى خَبَرِهِ خُبْرُهُ، وَكَانَتْ رَغْبَتُهُ فِي حُسْنِ الذِّكْرِ، تَشِفُّ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ بَنَاتِ الْفِكْرِ. وَاجْتَنَبَ مِنْهُمْ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ [التَّخَرُّقُ]³ فِي الْإِنْفَاقِ، وَعَدِمَ الْإِشْفَاقِ، وَالتَّنَافُسُ فِي الْاِكْتِسَابِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ سُوءَ الْحِسَابِ، وَكَانَتْ ذَرِيعَتُهُ الْمُصَانَعَةَ بِالْإِنْفَايَةِ، دُونَ النَّقْصِ وَالْكَفَايَةِ، وَمَنْ كَانَ مَنُشَوُّهُ خَامِلًا، وَلِأَعْبَاءِ الدَّنَاءَةِ حَامِلًا، وَالْعُ⁴ مَنْ يَكُونُ الْإِعْتِدَارُ فِي أَعْمَالِهِ، أَوْضَحَ مِنَ الْإِعْتِدَارِ فِي أَقْوَالِهِ.

وَلَا يَفْتِنَنَّكَ مَنْ قَلَّدَتْهُ اجْتِلَابَ الْحِظِّ الْمُطْمِعِ، وَالتَّنْفُوقَ بِالسَّعْيِ الْمُسْمِعِ، وَمُخَالَفَةَ السُّنَنِ الْمَرْعِيَّةِ، فَإِنَّهُ قَدْ عَشَّكَ مِنْ حَيْثُ بَلَكَ وَرَشَّكَ، وَجَعَلَ مِنْ يَمِينِكَ فِي شِمَالِكَ، حَاضِرَ مَالِكَ. وَلَا تَضْمَنْ عَامِلًا مَالَ عَمَلُهُ، وَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمَلِهِ، فَإِنَّكَ تُمِيتُ رُسُومَكَ بِمُحْيَاهَا، وَتُخْرِجُهُ مِنْ خِدْمَتِكَ

- ع، م: "شديدة"¹
- ع، م: "أحلمهم" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي حلولهم في المراتب للاحتفاء بهم بحسب كفاءتهم.²
- أ: بياض، والمثبت من م. ع: "التحزن"³
- م: "ابغ" وهو تحريف.⁴

فِيهِ إِلَّا أَنْ تُمْلِكَهُ إِيَّاهُ. وَلَا تَجْمَعْ لَهُ بَيْنَ الْأَعْمَالِ فَيَسْقُطُ اسْتَظْهَارُكَ بَبْلَدٍ عَلَى بَلَدٍ، وَالِاحْتِجَاجُ عَلَى وَالِدٍ بَوَلَدٍ.

وَاحْرِصْ عَلَى أَنْ يَكُونَ فِي الْوَلَايَةِ غَرِيباً، وَمُشْتَغِلاً مِنْكَ قَرِيباً، وَرَهِينَةً لَا يَزَالُ مَعَهَا مُرِيباً، وَلَا تَقْبَلْ مُصَالَحَتَهُ عَلَى شَيْءٍ اخْتَانَهُ، وَلَوْ بِرَغِيْبَةٍ فَتَانِهِ¹، فَتَقْبَلِ الْمُصَانَعَةَ فِي أَمَانَتِكَ، وَتَكُونَ مُشَارِكاً لَهُ فِي خِيَانَتِكَ، وَلَا تُطِلْ مُدَّةَ الْعَمَلِ، وَتَعَاهِدْ كَشْفَ الْأُمُورِ مِمَّنْ يَرَعَى الْهَمَلَ، وَيَبْلُغُ الْأَمَلَ. وَأَمَّا الْوَلَدُ فَأَحْسِنْ آدَابَهُمْ، وَاجْعَلِ الْخَيْرَ دَأْبَهُمْ، وَخَفْ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاقِكَ وَحَنَانِكَ، أَكْثَرَ مِنْ غِلْظَةِ جَنَانِكَ، وَاكْتُمْ عَنْهُمْ مَيْلَكَ، وَأَفِضْ عَلَيْهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ، وَلَا تَسْتَغْرِقْ بِالْكَفِّ بِهِمْ يَوْمَكَ وَلَيْلَكَ، وَأَثْبِتْهُمْ عَلَى حُسْنِ الْجَوَابِ، وَسَبِّقْ إِلَيْهِمْ خَوْفَ الْجَزَاءِ عَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ.

وَعَلِّمُهُمُ الصَّبْرَ عَلَى الضَّرَائِرِ، وَالْمُهَلَّةَ عِنْدَ اسْتِخْفَافِ الْجَرَائِرِ، وَخُذْهُمْ بِحُسْنِ السَّرَائِرِ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الْمِرَاسِ، وَحُسْنَ الْإِصْطِنَاعِ وَالْإِغْتِرَاسِ، وَالِاسْتِكْتَارِ مِنْ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَالْعُلُومِ، وَالسِّيَاسَةِ وَالْحُلُومِ، وَالْمَقَامِ الْمَعْلُومِ. وَكَرِّهِ إِلَيْهِمْ مُجَالَسَةَ الْمُلْهَيْنِ، وَمُصَاحَبَةَ السَّاهِينِ. وَجَاهِدْ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُقُولِهِمْ. وَاحْذَرِ الْكَذِبَ عَلَى [مَقُولِهِمْ²، وَرَشَحِهِمْ]³ إِذَا أُنِسَتْ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هَدْيًا، وَأَرْضِعْهُمْ مِنَ الْمُوَازَرَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ ثَدْيًا، لِثِمَرَتِهِمْ عَلَى الْإِعْتِيَادِ، وَثَحْمَلَتِهِمْ عَلَى الْإِزْدِيَادِ، وَرُضْعَتِهِمْ رِيَاضَةَ الْجِيَادِ، وَاحْذَرِ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فَهِيَ دَاوُؤُهُمْ، وَأَعْدَاؤُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ. وَتَدَارَكَ

- "استغوتهم الفئان أي الشياطين" أساس البلاغة / فتن، 2 / 6. أي ولو فتنه الشيطان كي يخون لا تصالحه.¹

- "وله مقول من المقاول الفصاح: لسان" أساس البلاغة / قول، 2 / 110²

- أ: غير واضح، والمثبت من ع، م³

الْخُلُقَ الذَّمِيمَةَ إِذَا نَجَمَتْ، وَأَقْرَعَهَا¹ إِذَا هَجَمَتْ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضْعِيفُهَا، وَيَقْوَى ضَعِيفُهَا، فَإِنْ أَعْجَزَتْكَ فِي صِغَرِهِمُ الْحِيلُ، عَظُمَ الْمَيْلُ:

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمَتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمَتَهَا الْخُشْبُ

وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْبِيرِ، وَتَسَوَّفُوا لِلْمَحَلِّ الْكَبِيرِ، فَلَا تُوطِئُهُمْ فِي مَكَانِكَ [بِجُهْدِ إِمْكَانِكَ]²، وَفَرَّقَهُمْ

فِي بُلْدَانِكَ، تَفْرِيقَ عَبْدَانِكَ. وَاسْتَعْمِلَهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ، وَالنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ اجْتِهَادِكَ. فَإِنْ

حَضَرَتْكَ تَشْغُلُهُمْ بِالتَّحَاسُدِ، وَالتَّبَارِي وَالتَّفَاسُدِ. وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ النَّقَاتِ، فَإِنَّ عَيْنَ الثَّقَةِ تُبْصِرُ

مَا لَا تُبْصِرُ عَيْنُ الْمَحَبَّةِ وَالْمِقَّةِ.

وَأَمَّا الْخَدَمُ فَإِنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْجَوَارِحِ الَّتِي تُفَرَّقُ بِهَا وَتَجْمَعُ، وَتُبْصِرُ وَتَسْمَعُ، فَرَضُهُمْ بِالْصِّدْقِ

وَالْأَمَانَةِ، وَصُنُّهُمْ صَوْنَ الْجَفَانَةِ، وَخَذُّهُمْ بِحُسْنِ الْإِنْقِيَادِ، إِلَى مَا آثَرْتَهُ، وَالتَّفْقِيلِ مِمَّا اسْتَكْنَرْتَهُ.

وَاحْذَرِ مِنْهُمْ مَنْ قَوَيْتَ شَهَوَاتِهِ، وَضَاقَتْ عَنْ هَوَاهُ لَهَوَاتِهِ؛ فَإِنَّ الشَّهَوَاتِ تُنَازِعُكَ فِي اسْتِرْقَاقِهِ،

وَتُشَارِكُكَ فِي اسْتِحْقَاقِهِ. وَخَيْرُهُمْ مَنْ سَتَرَ ذَلِكَ عَنْكَ بِلُطْفِ حِيلِهِ، وَآدَابِ لِفْسَادِ مُخِيلِهِ، وَأَشْرَبِ

قُلُوبَهُمْ أَنَّ الْحَقَّ فِي كُلِّ مَا حَاوَلْتَهُ وَاسْتَنْزَلْتَهُ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ فِي كُلِّ مَا جَانَبْتَهُ وَاعْتَرَلْتَهُ، وَأَنَّ مَنْ

تَصَفَّحَ³ مِنْهُمْ أُمُورَكَ فَقَدْ أَذْنَبَ، وَبَايَنَ الْأَدَبَ وَتَجَنَّبَ.

وَأَعْطِ مَنْ أَكْدَدْتَهُ⁴، وَأَضَفْتَ مِنْهُمْ مُلْكَهُ وَشَدَدْتَهُ، رَوْحَةً يَسْتَنْغِلُ فِيهَا بِمَا يُغْنِيهِ، عَلَى حَسَبِ

[صُعُوبَةٍ]⁵ مَا يُعَانِيهِ، تُغْبِطُهُمْ فِيهَا بِمَسَارِحِهِمْ، وَتُجِمُّ كَلِيلَةَ جَوَارِحِهِمْ. وَلِتَكُنْ عَطَايَاكَ فِيهِمْ بِالْمِقْدَارِ

- ع، م: "أقزعها" ولعل الصواب ما أثبت؛ "أقزع في كلامه: أفحش" أساس البلاغة قذع، 2/ 62¹

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م²

- م: "تصفح"³

- من الكد وهو التعب.⁴

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م⁵

الَّذِي لَا يُبْطِرُ أَعْلَامَهُمْ، وَلَا يُؤْسِفُ [الْأَصَاغِرَ فَيُفْسِدُ]¹ أَحْلَامَهُمْ، وَلَا تَرِمُ مُحْسِنَهُمْ بِالْغَايَةِ مِنْ
إِحْسَانِكَ، وَاتْرُكْ لِمَزِيدِهِمْ فَضْلَةً مِنْ رِفْدِكَ وَلِسَانِكَ.

وَحَذِّرْ عَلَيْهِمْ مُخَالَفَتَكَ وَلَوْ فِي صَلَاحِكَ بِحَدِّ سِلَاحِكَ، وَامْنَعَهُمْ مِنَ التَّوَاتُبِ وَالتَّشَاوُجِ، وَلَا
تَحْمَدَ لَهُمْ شَيْمَ التَّقَاطُعِ وَالتَّهَاجُرِ، وَاسْتَخْلِصْ مِنْهُمْ لِسِرِّكَ مَنْ قَلَّتْ فِي الْإِفْشَاءِ ذُنُوبُهُ، وَكَانَ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى مَا يَنْوِبُهُ. وَلِوَدَائِعِكَ مَنْ كَانَتْ رَغْبَتُهُ فِي وَظِيفَةِ لِسَانِكَ، أَكْثَرَ مِنْ رَغْبَتِهِ فِي إِحْسَانِكَ،
وَضَبْطُهُ لِمَا تُقْلَدُهُ مِنْ وَدِيعَتِكَ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ حُسْنِ صَنِيعِكَ. وَلِلْسَّفَارَةِ عَنْكَ مَنْ حَلَا الصَّدْقُ فِي
فَمِهِ، وَآثَرُهُ وَلَوْ بِإِخْطَارِ دَمِهِ، وَاسْتَوْفَى لَكَ وَعَلَيْكَ فَهَمَّ مَا تَحْمِلُهُ، وَعَنِي بِلَفْظِهِ حَتَّى لَا يُهْمِلُهُ.

وَلِمَنْ تُودِعُهُ أَعْدَاءَ دَوْلَتِكَ، مَنْ كَانَ مَقْصُورَ الْأَمَلِ، قَلِيلَ الْقَوْلِ، صَادِقَ الْعَمَلِ، وَمَنْ كَانَتْ
قَسْوَتُهُ زَائِدَةً عَلَى رَحْمَتِهِ، وَعَظْمُهُ فِي مَرْضَاتِكَ أَثَرٌ مِنْ شَحْمَتِهِ، وَرَأْيُهُ فِي الْحَذَرِ سَدِيدٌ، وَتَحَرُّرُهُ
مِنَ الْحِيلِ شَدِيدٌ. وَلِخِدْمَتِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ مَنْ لَانَتْ طِبَاعُهُ، وَامْتَدَّتْ فِي حُسْنِ السَّجِيَّةِ بَاعُهُ، وَأَمِنَ
كَيْدُهُ وَغَدْرُهُ، وَسَلِمَ مِنَ الْحِفْدِ صَدْرُهُ، وَرَأَى الْمَطَامِعَ فَمَا طَمِعَ، وَاسْتَنْقَلَ إِعَادَةَ مَا سَمِعَ، وَكَانَ بَرِيئاً
مِنَ الْمَلَالِ، وَالْبِشْرِ عَلَيْهِ أَغْلَبُ الْخِلَالِ.

وَلَا تُؤْنِسْهُمْ مِنْكَ بِقَبِيحِ فِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، وَلَا تُؤَيِّسْهُمْ مِنْ طَوْلٍ، وَمَكَّنْ فِي نُفُوسِهِمْ أَنَّ أَقْوَى
شَفْعَائِهِمْ، وَأَقْرَبَ إِلَى الْإِجَابَةِ مِنْ دُعَائِهِمْ، إِصَابَةُ الْغَرَضِ فِيمَا بِهِ وَكُلُّوا، وَعَلَيْهِ شَكُّلُوا، فَإِنَّكَ لَا
تَعْدُمُ بِهِمْ انْتِفَاعاً، وَلَا يَعْدِمُونَ لَدَيْكَ ارْتِفَاعاً.

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹

وَأَمَّا الْحَرُمُ فَهُمْ مَعَارِسُ الْوَلَدِ، وَرِيَّاحِينُ الْخَلَدِ، وَرَاحَةُ الْقَلْبِ الَّذِي أَجْهَدَتْهُ الْأَفْكَارُ، وَالنَّفْسُ الَّتِي نَفَسَمَهَا الْإِحْمَادُ لِلْمَسَاعِي وَالْإِنْكَارُ. فَاطْلُبْ مِنْهُنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِنَّ مِنْ حُسْنِ الشَّيْمِ، الْمُتَرْفَعَةِ عَنِ الْقِيمِ، مَا لَا يَسُوؤُكَ فِي خَلْدِكَ، أَنْ يَكُونَ فِي وَلَدِكَ. وَاحْذَرْ أَنْ تَجْعَلَ الْفِكَرَ يَشْرُدُ دُونَ بَصَرِ الْيَهْنِ سَبِيلًا، وَانْصِبْ دُونَ ذَلِكَ عَذَابًا وَبَيْلًا. وَارْعَهُنَّ مِنَ النَّسَاءِ الْعُجْزِ مَنْ فَاقَتْ فِي الْأَمَانَةِ وَالِدِيَانَةَ سُبُلَهُ، وَقَوِيَتْ غَيْرَتُهُ وَنُبْلُهُ. وَخُذْهُنَّ بِسَلَامَةِ النَّيَّاتِ، وَالشَّيْمِ السَّنِيَّاتِ، وَحُسْنِ الْإِسْتِزْسَالِ، وَالْخُلُقِ السَّلْسَالِ.

وَاحْذَرْ¹ عَلَيْهِنَّ التَّعَامُزَ وَالتَّغَايِرَ، وَالتَّنَافُسَ وَالتَّخَايِرَ، وَآسِ بَيْنَهُنَّ فِي الْأَعْرَاضِ، وَالتَّصَامُمِ عَنِ الْأَعْرَاضِ، وَالْمَحَابَاةِ بِالْإِعْرَاضِ. وَأَقْلِلْ مِنْ مُخَالَطَتِهِنَّ²، فَهُوَ أَبْقَى لِهِمَّتِكَ، وَأَسْبَلُ³ لِحُرْمَتِكَ. وَلِتَكُنْ عِشْرَتُكَ لَهُنَّ عِنْدَ الْكَلَالِ وَالْمَلَالِ، وَضِيقِ الْإِحْتِمَالِ، بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ، وَعِنْدَ الْغَضَبِ وَالنَّوْمِ، وَالْفَرَاغِ مِنْ نَصَبِ الْيَوْمِ.

وَاجْعَلْ مَبِيتَكَ بَيْنَهُنَّ ثُمَّ⁴ بَرَكَاتِكَ، وَتَسْتُرُ⁵ حَرَكَاتِكَ، وَافْصِلْ مَنْ وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَى مَنْزِلٍ⁶ يُخْتَبَرُ فِيهِ اسْتِقْلَالُهَا، وَيُعْتَبَرُ بِالتَّفَرُّدِ خِلَالُهَا، وَلَا تُطْلَقْ لِحُرْمَةِ شَفَاعَةٍ وَلَا تَدْبِيرًا، وَلَا تُتِطُّ بِهَا مِنَ الْأَمْرِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا. وَاحْذَرْ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى خِدْمَتِهِنَّ فِي خُرُوجِهِنَّ عَنِ الْقُصُورِ، وَبُرُوزِهِنَّ⁷ مِنْ أَجْمَةِ الْأَسَدِ الْهَاصِرِ، زِيٍّ فَارِعٍ، وَلَا طِيبٍ لِلْأَنْوْفِ مُسَارِعٍ. وَاخْصُصْ بِذَلِكَ مَنْ طَعَنَ فِي السَّنِّ،

- ع، م: "حظر" ولعل الصواب ما أثبت.¹

- أ، ق، ع: "مخالاتهن" والمثبت من م، ولعله الصواب، فالمخالاة هي التباعد والاجتناب.²

- ع: "أسل" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي تجنب مخالطتهن أحمى لمكانتك العالية من كثرة التقرب منهم.³

- م: "تتم"⁴

- م: "تستقر"⁵

- م: "مسكن" وكلاهما بمعنى.⁶

- أ، ق، ع: "مروهن" والمثبت من م، ولعله الصواب؛ تشبيها له بالأسد الهصور.⁷

وَيَبْسَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَمَنْ تَوَفَّرَ النُّزُوعُ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَبْلَهُ، وَقَصُرَ عَنْ جَمَالِ الصُّورَةِ وَوُسِمَ بِالْبَلَه.

ثُمَّ لَمَّا بَلَغَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، حَمِيَ وَطِيسُ اسْتِنْفَارِهِ، وَخَتَمَ حِرْبُهُ بِاسْتِغْفَارِهِ، [ثُمَّ صَمَتَ مَلِيًّا]¹ وَاسْتَعَادَ كَلَاماً أَوْلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، -سَدَّدَ اللَّهُ سَهْمَكَ لِأَعْرَاضِ خِلَافَتِهِ، وَعَصَمَكَ مِنَ الزَّمَانِ وَآفَتِهِ، أَنَّكَ فِي مَجْلِسِ الْفَصْلِ، وَمُبَاشَرَةِ الْفَرْعِ مِنْ مُلْكِكَ وَالْأَصْلِ، فِي طَائِفَةِ مَنْ عَزَّ اللَّهُ، تَذَبُّ عَنْكَ حُمَاتُهَا، وَتُدَافِعُ عَنْ حَوَزَتِكَ كُمَاتُهَا، فَاحْذَرْ أَنْ يَعْدِلَ بِكَ غَضَبُكَ عَنْ عَدْلِ تَزْرِي مِنْهُ بِبِضَاعَةٍ، أَوْ يَهْجُمَ بِكَ رِضَاكَ عَلَى إِضَاعَةٍ. وَلِتَكُنْ قُدْرَتُكَ وَفْقاً عَلَى الْإِتِّصَافِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنِّصَافِ، وَاحْكُمْ بِالسَّوِيَّةِ، وَاجْنَحْ بِتَدْبِيرِكَ إِلَى حُسْنِ الرُّوْبَةِ، وَخَفْ أَنْ تَقْعُدَ بِكَ أَنَاثُكَ عَنْ حَرَمِ تَعْيِنٍ، أَوْ تَسْتَفْزِكَ الْعَجَلَةَ فِي أَمْرٍ لَمْ يَتَبَيَّنْ.

وَأَطِعِ الْحُجَّةَ مَا تَوَجَّهَتْ عَلَيْكَ، وَلَا تَحْفَلْ بِهَا إِذَا مَا كَانَتْ إِلَيْكَ، فَاَنْقِيَادُهَا² أَحْسَنُ مِنْ ظَفَرِكَ، وَالْحَقُّ أَجْدَى مِنْ نَفَرِكَ، وَلَا تَرُدَّنِ النَّصِيحَةَ فِي وَجْهِ، وَلَا تُقَابِلْ عَلَيْهَا بِجُحٍّ، فَتُمنَعَهَا إِذَا اسْتَدْعَيْتَهَا، وَتُحَجَّبَ عَنْكَ إِذَا اسْتَوْعَيْتَهَا، وَلَا تَسْتَدْعِهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا، فَتُشْغِيكَ أُولُو الْأَعْرَاضِ بِجَهْلِهَا. وَاحْرِصْ³ عَلَى أَنْ لَا يَنْقُضِي مَجْلِسُ جَلَسَتِهِ، أَوْ زَمَنُ اخْتِلَاسَتِهِ، إِلَّا وَقَدْ أَحْرَزْتَ فَضِيلَةً زَائِدَةً، أَوْ وَثِقْتَ مِنْهُ فِي مَعَادِكَ بِفَائِدَةٍ، وَلَا يُزْهِدَنَّكَ فِي الْمَالِ كَثْرَتُهُ، فَتَقِلَّ فِي نَفْسِكَ أَثَرَتُهُ، وَقِسِ الشَّاهِدَ بِالْغَائِبِ، وَادْكُرْ وَفُوعَ مَا لَا يُحْتَسَبُ مِنَ النَّوَائِبِ، فَالْمَالُ الْمَصُونُ أَمْنَعُ الْحُصُونِ. وَمَنْ قَلَّ مَالُهُ قَصُرَتْ أَمَالُهُ، وَتَهَاوَنَ بِبَيْمِينِهِ شِمَالَهُ.

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹

- ع: "انقيادك إليها"²

- أ، ق: "اعمل" والمثبت من ع، م.³

وَالْمَلِكُ إِذَا قُدِّدَ خَزِينُهُ، أَنْجَى عَلَى [أَهْلٍ]¹ الْجِدَّةَ الَّتِي تُزَيِّنُهُ، [وَعَادَ]² عَلَى رَعِيَّتِهِ بِالْإِجْحَافِ، وَعَلَى جِبَايَتِهِ بِالْإِلْحَافِ، وَسَاءَ مُعْتَادُ عَيْشِهِ، وَصَغُرَ فِي عُيُونِ جَيْشِهِ، وَمَنُّوا عَلَيْهِ بِنَصْرِهِ، وَأَنَفُوا مِنْ الْإِقْتِصَارِ عَلَى قَصْرِهِ. وَفِي الْمَالِ قُوَّةٌ سَمَاقِيَّةٌ، تَصْرِفُهُ النَّاسُ لِصَاحِبِهِ، وَتَرْتَبُ أَمَالَ أَهْلِ السَّلَاحِ بِهِ.

وَالْمَالُ نِعْمَةٌ اللَّهِ، فَلَا تَجْعَلْهُ ذَرِيعَةً إِلَى خِلَافِهِ، فَتَجْمَعَ فِي الشَّهَوَاتِ بَيْنَ إِتْلَافِكَ وَإِتْلَافِهِ. وَاسْتَأْنِسْ بِحُسْنِ جَوَارِهَا، وَاصْرِفْ فِي حُقُوقِ اللَّهِ بَعْضَ أَطْوَارِهَا، فَإِنْ فَضَلَ الْمَالُ³ عَنِ الْأَجَلِ فَاجْلُ، وَلَمْ يَضِرْ مَا تَلَفَ مِنْهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَا يُنْفَقُ فِي سُبُلِ الشَّرِيعَةِ، وَسَدِّ الذَّرِيعَةِ، مَأْمُولٌ خَلْفُهُ، وَمَا سِوَاهُ فَمُسْتَيْقِنٌ تَلَفُهُ. وَاسْتَخْلِصْ لِحُضُورِ نَوَادِيكَ الْغَاصَّةِ، وَمَجَالِسِكَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، مَنْ يَلِيقُ بِوُلُوجِ عَتَبِهَا، وَالْعُرُوجِ لِرُتَبِهَا.

أَمَّا الْعَامِيَّةُ فَمَنْ عَظُمَ عِنْدَ النَّاسِ قَدْرُهُ، وَانْشَرَحَ بِالْعِلْمِ صَدْرُهُ، أَوْ ظَهَرَ بِسَارُهُ، وَكَانَ لِلَّهِ إِخْبَاتُهُ وَانْكِسَارُهُ، وَمَنْ كَانَ لِلْفُتْيَا مُنْتَصِبًا، وَبِتَاجِ الْمَشُورَةِ مُعْتَصِبًا. وَأَمَّا الْخَاصِيَّةُ فَمَنْ رَقَّتْ طِبَاعُهُ، وَامْتَدَّ فِيهَا يَلِيقُ بِتِلْكَ الْمَجَالِسِ بَاغُهُ، وَمَنْ تَبَحَّرَ فِي سِيرِ الْحُكَمَاءِ، وَأَخْلَقَ الْكُرَمَاءِ، وَمَنْ لَهُ فَضْلٌ سَافِرٌ، وَطَبَعَ لِلدُّنْيَةِ مُنَافِرٌ، وَلَدِيهِ مِنْ كُلِّ مَا تَنَسَّرَ بِهِ الْمُلُوكُ عَنِ الْعَوَامِّ حَظٌّ وَافِرٌ. وَصِفَ أَلْبَابَهُمْ بِمَحْصُولِ خَيْرِكَ، وَسَكَّنَ قُلُوبَهُمْ بِيُمْنِ طَيْرِكَ، وَأَغْنَاهُمْ مَا قَدَّرْتَ عَنْ غَيْرِكَ. وَاعْلَمْ بِأَنَّ مَوَاقِعَ الْعُلَمَاءِ مِنْ مُلْكِكَ، مَوَاقِعُ الْمَشَاعِلِ الْمُتَأَلِّفَةِ، وَالْمَصَابِيحِ الْمُتَعَلِّقَةِ، وَعَلَى قَدْرِ

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م²

- أ، ق، ع: "الملك" والمثبت من م.³

تَعَاهُذُكَ¹ تَبْذُلُ مِنَ الضِّيَاءِ، وَتَجْلُو بِنُورِهَا صُورَ الْأَشْيَاءِ. وَفَرَّغَهَا لِتَحْبِيرِ مَا يُزَيِّنُ مَدَّتَكَ، وَيُحْسِنُ مِنْ بَعْدِ الْبَلَى² جِدَّتَكَ. وَبِعِنَايَةِ الْأَوَاخِرِ عُنِيَتْ³ الْأَوَّلُ، وَإِذَا مُحِيتِ الْمَفَاخِرُ خَرِبَتِ الدُّوَلُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ بَقَاءَ الذِّكْرِ مَشْرُوطٌ بِعِمَارَةِ الْبُلْدَانِ، وَتَخْلِيدِ الْأَثَارِ الْبَاقِيَةِ فِي الْقَاصِي مِنْهَا وَالْدَّانِ. فَاحْرِصْ عَلَى مَا يُوضِّحُ فِي الدَّهْرِ سُبُلَكَ، وَيُحْرِزُ الْمَزِيَّةَ لَكَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ، وَأَنْ خَيْرَ الْمُلُوكِ مَنْ يَنْطِقُ بِالْحُجَّةِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْقَهْرِ، وَيَبْذُلُ الْإِنْصَافَ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ، مَعَ التَّمَكُّنِ مِنَ الْمَالِ وَالظَّهْرِ. وَيَسَارُ الرَّعِيَّةِ جَمَالٌ لِلْمَلِكِ وَشَرَفٌ، وَفَاقَتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ طَرَفٌ، فَغَلَبَ أَيْنَقَ الْحَالَتَيْنِ بِمَحَلِّكَ، وَأَوَّلَاهُمَا بِظَعْنِكَ وَحَلِّكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ كَرَامَةَ الْجَوْرِ دَائِرَةٌ، وَكَرَامَةُ الْعَدْلِ مُكَاتِرَةٌ، وَالْغَلَبَةُ بِالْخَيْرِ سِيَادَةٌ، وَبِالشَّرِّ هَوَادَةٌ. وَاعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ الْقِيَامِ بِالشَّرِيعَةِ، يَحْسُمُ عَنْكَ نِكَايَةَ الْخَوَارِجِ، وَيَسْمُو بِكَ إِلَى الْمَعَاجِرِ، فَإِنَّهَا تَقْصِدُ أَنْوَاعَ الْخُدَعِ، وَتُورِي بِتَغْيِيرِ الْبَدَعِ، وَأَطْلُقَ عَلَى عَدُوِّكَ أَيْدِي الْأَقْوِيَاءِ مِنَ الْأَكْفَاءِ، وَالْأَسِنَّةِ اللَّفِيفِ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَاسْتَشْعِرْ عِنْدَ نَكْتِهِ شِعَارَ الْوَفَاءِ، وَلِتَكُنْ تِقَتُّكَ بِاللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ [تِقَتِّكَ بِقُوَّةٍ⁴] تَجِدُهَا، وَكُتَيْبَةٍ تُتَجِدُهَا، فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ [يَمْنَحُكَ]⁵ قُوَى لَا تُكْتَسَبُ، وَيَهْدِيكَ مَعَ الْأَوْقَاتِ نَصْرًا لَا يُحْتَسَبُ.

وَالْتِمَسْ مُسَالَمَةً مَنْ سَالَمَكَ، بِنَفْسٍ مَا فِي يَدِكَ، وَفَضْلٌ حَاصِلٌ يَوْمِكَ عَلَى مُنْتَظَرِ غَدِكَ، فَإِنْ أَبَى وَضَحَتْ مَحَبَّتُكَ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ لِلنَّاسِ حُبَّتُكَ، فَلِلنَّفُوسِ عَلَى الْبَاغِي مَيْلٌ، وَلَهَا مِنْ جَانِبِهِ

- أ، ق: "تعهدك" والمثبت من ع، م.¹

- ع: "البلاء" ولعل الصواب ما أثبت.²

- ع، م: "ذكرت" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أن الاوائل عنوا بخواتيم أعمالهم.³

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م.⁴

- أ: بياض، والمثبت من ع، م.⁵

نَيْلٌ. [وَأَسْتَمِدَّ]¹ كُلَّ يَوْمٍ سِيرَةً مِّنْ يُنَاوِيكَ، وَاجْتَهَدُ أَنْ لَا يُوزَانِكَ² فِي خَيْرٍ وَلَا يُسَاوِيكَ، وَأَكْذِبْ بِالْخَيْرِ مَا يُشْنَعُهُ³ مِنْ مَسَاوِيكَ، وَلَا تَقْبَلْ مِنَ الْإِطْرَاءِ إِلَّا مَا كَانَ فِيكَ، فَضْلٌ عَنْ إِطَالَتِهِ، وَجِدُّ يُزِرِّي عَلَى بَطَالَتِهِ. وَلَا تَلْقَ الْمُذْنِبَ بِحَمِيَّتِكَ وَسَبِّكَ، وَادْكُرْ عِنْدَ حَمِيَّةٍ⁴ الْغَضَبِ ذُنُوبَكَ إِلَى رَبِّكَ، وَلَا تَتَسَّ أَنْ ذَنْبَ الْمُذْنِبِ أَجْلَسَكَ مَجْلِسَ الْفُضْلِ⁵، وَجَعَلَ فِي قَبْضَتِكَ رِيَاشَ النَّصْلِ.

وَتَشَاغَلَ فِي هُدْنَةِ الْأَيَّامِ بِالِاسْتِعْدَادِ، وَاعْلَمْ أَنَّ التَّرَاخِي مُنْذِرٌ بِالِاسْتِدَادِ. وَلَا تُهْمَلْ عَرْضُ⁶ دِيُونَاكَ، وَاخْتِيَارَ أَعْوَانِكَ، وَتَحْصِينَ مَعَاقِلِكَ وَقِلَاعِكَ، وَعَمَّ إِيَالَتَكَ بِحُسْنِ اضْطِلَاعِكَ، وَلَا تَشْغَلْ زَمَنَ الْهُدْنَةِ بِلَذَائِكَ، فَتَجْنِي فِي الشَّدَّةِ عَلَى ذَاتِكَ.

وَلَا تُطْلِقْ فِي دَوْلَتِكَ أَلْسِنَةَ الْكَهَانَةِ وَالْإِرْجَافِ، وَمُطَارِدَةَ الْأَمَالِ الْعِجَافِ، فَإِنَّهُ يَبْعَثُ سُوءَ الْقَوْلِ، [وَيَفْتَحُ بَابَ الْغَوْلِ]⁷ وَحَذِّرْ عَلَى الْمُدَرِّسِينَ وَالْمُعَلِّمِينَ، وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، حَمَلَ الْأَحْدَاثِ عَلَى الشُّكُوكِ الْخَالِجَةِ، وَالْمَزَلَّاتِ الْوَالِجَةِ، فَإِنَّهُ يُفْسِدُ طِبَاعَهُمْ، وَيُغْيِرُ سِبَاعَهُمْ، وَيَمُدُّ فِي مُخَالَفَةِ الْمِلَّةِ بَاعَهُمْ. وَسُدَّ سُبُلَ الشَّفَاعَاتِ، فَإِنَّهَا تُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ الْإِخْتِيَارِ، وَتُفُوسَ الْخِيَارِ.

وَابْذُلْ فِي الْأَسْرَى مَنْ حُسْنِ مَلَكَتِكَ، مَا يُرْضِي مَنْ مَلَكَكَ رِقَابَهَا، وَقَلْدَكَ ثَوْبَهَا وَعِقَابَهَا. وَتَلَقَّ بَدْءَ نَهَارِكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي تَرْفُعِكَ أَوْ ابْتِدَائِكَ، وَاخْتِمِ الْيَوْمَ بِمِثْلِ ذَلِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَعَ كَثْرَةِ حُجَابِكَ، وَكَثَافَةِ حِجَابِكَ، بِمَنْزِلَةِ الظَّاهِرِ لِلْعُيُونِ، الْمُطَالِبِ بِالْذُّيُونِ، لِشِدَّةِ الْبَحْثِ عَنْ أُمُورِكَ، وَتَعَرُّفِ السَّرِّ الْخَفِيِّ بَيْنَ أَمْرِكَ وَمَأْمُورِكَ، فَاعْمَلْ فِي سِرِّكَ مَا لَا تَسْتَفْهِحُ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا، وَلَا تَأْنَفُ أَنْ تَكُونَ بِهِ

- أ: بياض، والمثبت من ع، م ¹

- م: "بياريك" ولعل الصواب ما أثبت. ²

- "شنعت عليه هذا الأمر: قبحته عليه" أساس البلاغة / شنع، 1/ 524 ³

- أ، ق، ع: "حركة" والمثبت من م. ⁴

- أ، ق، ع: "الفضل" والمثبت من م. ⁵

- ع: "غرض" وهو تصحيف. ⁶

- ع: ساقط ⁷

مُجَاهِرًا، وَاحْكُم بَرِيكَ فِي اللَّهِ وَنَحْتِكَ، وَخَفَ مَنْ فَوْقَكَ يَخْفَكَ مَنْ تَحْتَكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ عَدُوَّكَ مِنْ أَنْبَاعِكَ مَنْ تَنَاسَيْتَ حُسْنَ قَرْضِهِ، أَوْ زَادَتْ مُؤُونَتُهُ¹ عَلَى نَصِيبِهِ مِنْكَ وَقَرْضِهِ، فَاصْمُتْ لِلْحَجَجِ، وَتَوَقَّ الْلُجَجِ، وَاسْتَرْبِ بِالْأَمَلِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكَ انْتِظَامُ الْأُمُورِ عَلَى الْإِسْتِهَانَةِ بِالْعَمَلِ. وَلَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَ الْفَسَادِ، فَيَأْخُذُ فِي الْإِسْتِنْسَادِ. وَاحْبِسِ الْأَلْسِنَةَ عَنِ التَّحَالِي بِاغْتِيَابِكَ²، وَالتَّشَبُّثِ بِأَذْيَالِ ثِيَابِكَ، فَإِنَّ سُوءَ الطَّاعَةِ، يَنْتَقِلُ مِنَ الْأَعْيُنِ الْبَاصِرَةِ، [إِلَى الْأَلْسُنِ الْقَاصِرَةِ]³ ثُمَّ إِلَى الْأَيْدِي الْمُتَنَاصِرَةِ. وَلَا تَتَّقْ بِنَفْسِكَ فِي قِتَالِ عَدُوِّ نَاوَاكَ، حَتَّى تَنْظُرَ بَعْدُ غَضَبِكَ وَهَوَاكَ، وَلَيْكُنْ خَوْفُكَ مِنْ سُوءِ تَدْبِيرِكَ، أَكْثَرَ مِنْ عَدُوِّكَ السَّاعِي فِي تَنْبِيرِكَ. وَإِذَا اسْتَنْزَلْتَ نَاجِمًا، أَوْ أَمِنْتَ ثَانِرًا هَاجِمًا، فَلَا تُقْلِدْهُ الْبَلَدَ الَّذِي فِيهِ نَجَمَ، وَهَمَى عَارِضُهُ فِيهِ وَانْسَجَمَ، يَعْظُمُ عَلَيْكَ الْقَدْحُ فِي اخْتِيَارِكَ، وَالْغَضُّ مِنْ إِيثَارِكَ، وَاحْتَرِزْ مِنْ كَيْدِهِ فِي حَوْزِكَ وَمَأْمِكَ، فَإِنَّكَ أَكْبَرُ هَمِّهِ، وَلَيْسَ بِأَكْبَرَ هَمِّكَ. وَجَمِّلِ الْمَمْلَكَةَ بِتَأْمِينِ الْفُلُوتِ وَتَسْهِيلِ الْأَقْوَاتِ، وَتَجْوِيدِ مَا يُتَعَامَلُ بِهِ مِنَ الصَّرْفِ فِي الْبَيَاعَاتِ⁴، وَاجْرَاءِ الْعَوَائِدِ مَعَ الْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ، وَلَا تَبْخَسْ عِيَارَ قِيَمِ الْبِضَاعَاتِ.

وَلْتَكُنْ يَدُكَ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ مَحْجُورَةً، وَفِي اخْتِرَامِهَا إِلَّا عَنِ الثَّلَاثَةِ مَأْجُورَةً؛ مَالُ مَنْ عَدَا طَوْرُهُ وَطَوَّرَ أَهْلُهُ، وَتَجَاوَزَ فِي الْمَلَابِسِ وَالزِّيْنَةِ، وَفُضُولِ الْمَدِينَةِ، يَرُومُ مُعَارَضَتَكَ بِحَمْلِهِ، وَمَنْ بَاطَنَ أَعْدَاءِكَ، وَأَمِنَ اعْتِدَاءَكَ، وَمَنْ أَسَاءَ جَوَارَ رَعِيَّتِكَ بِإِخْسَارِهِ، وَبَدَّلَ الْإِذَايَةَ فِيهِمْ بِيَمِينِهِ وَيَسَارِهِ.

- أ، ق، ع: "مروته" والمثبت من م.¹

- ع: "باعتنائك"²

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م³

- "فعلان بيوع وبياعات كثيرة أي سلع" أساس البلاغة / بيع، 87 / 1⁴

وَأَضُرَّ مَا مُنِّيتَ¹ بِهِ التَّعْدِي² بَيْنَ عَبْدَانِكَ، أَوْ فِي بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِكَ، فَسَدَّ فِيهِ الْبَابَ، وَاسْأَلْ عَنِ
الْأَسْبَابِ، وَانْقُلْهُمْ بِوَسَاطَةِ أُولِي الْأَلْبَابِ، إِلَى حَالَةِ الْأَحْبَابِ. وَلَا تُطَوِّقِ الْأَعْلَامَ أَطْوَاقَ الْمُنُونِ،
بِهَوَاجِسِ الظُّنُونِ؛ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ، وَلَا يَنْتَهِي إِلَى عَدٍّ. وَاجْعَلْ وَلَدَكَ فِي اخْتِرَاسِكَ،
وَصِدْقِ مِرَاسِكَ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ فِي افْتِرَاسِكَ.

ثُمَّ لَمَّا رَأَى اللَّيْلَ قَدْ كَادَ يَنْتَصِفُ، وَعَمُودُهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَصِفَ، وَمَجَالُ الْوَصَاةِ³ أَكْثَرَ مِمَّا
يَصِفُ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بَحْرُ السِّيَاسَةِ زَاخِرٌ، وَعُمْرُ التَّمَتُّعِ بِنَادِيكَ الْعَزِيزِ مُسْتَأْخِرٌ⁴، فَإِنْ
أَدْنَيْتَ فِي فَنِّ مَنْ فُنُونِ الْأُنْسِ يُجْدَبُ بِالْمَقَادِ، إِلَى رَاحَةِ الرُّقَادِ، وَيُعْتَقُ النَّفْسَ بِقُدْرَةِ ذِي الْجَلَالِ، مِنْ
مَلَكَ الْكَالِلِ.

فَقَالَ: أَمَّا وَقَدْ اسْتَحْسَنَّا مَا سَرَدْتَ، فَشَأْنُكَ وَمَا أَرَدْتَ. فَاسْتَدْعَى عُوداً فَأَصْلَحَهُ حَتَّى أَحْمَدَهُ،
وَأَبْعَدَ فِي اخْتِيَارِهِ أَمْدَهُ. ثُمَّ حَرَكَ يَمَّةً⁵، وَأَطَالَ الْحُسْنَ ثَمَّةً، ثُمَّ تَغَنَّى بِصَوْتٍ يَسْتَدْعِي الْإِنْصَاتَ،
وَيَصْدَعُ الْحَصَاةَ، وَيَسْتَقِرُّ الْحَلِيمَ عَنْ وَقَارِهِ، وَيَسْتَوْقِفُ الطَّيْرَ، وَرِزْقُ بَنِيهِ فِي مَنْقَارِهِ، وَقَالَ:

صَاحِ مَا أَعْطَرَ الْقَبُولَ بِنَمِهِ ... أَتَرَاهَا أَطَالَتْ الْبَثَّ ثَمَّهُ
هِيَ دَارُ الْهَوَى مَنَى النَّفْسِ فِيهَا ... أَبَدَ الدَّهْرِ وَالْأَمَانِي جَمَّهُ
إِنْ يَكُنْ مَا تَأَرَّجَ الْجَوُّ مِنْهَا ... وَاسْتَفَادَ الشَّدَا وَالْأَمَانِي فَمَمَّهُ
مَنْ بِطَرْفِي بِنَظْرَةٍ وَلَا نَفِي ... فِي رُبَاهَا وَفِي ثَرَاهَا بِشَمَمِهِ

- "مُنِي بِكَذَا: بُلِي بِهِ" أساس البلاغة / مني، 2 / 231¹

- ع: "التعادي"، م: "التعادي" ولعل الصواب ما أثبت.

- م: "الوصايا"³

- أي يطول عمر التمتع ولا ينتهي.

- م: "فمه"⁵

ذَكَرَ الْعَهْدَ فَانْتَفَضْتُ كَأَنِّي ... طَرَقْتَنِي مِنَ الْمَلَائِكِ لَمَّهِ
 وَطَنٌ قَدْ نَضَيْتُ فِيهِ شَبَابًا ... لَمْ تَدْنَسْ مِنْهُ الْبُرُودُ مَذْمَهُ
 بَنَتْ عَنْهُ وَالنَّفْسُ مِنْ أَجْلِ مَنْ ... خَلَفَتْهُ فِي جَلَالِهِ مُغْتَمَهُ
 كَانَ حُلُمًا فَوَيْحَ مَنْ أَمَلَ ... الدَّهْرُ وَأَعْمَاهُ جَهْلُهُ وَأَصَمَّهُ
 تَأْمَلَ الْعَيْشَ بَعْدَ أَنْ أَخْلَقَ ... الْجِسْمَ وَبُنْيَانَهُ عَسِيرَ الْمَرَمِهِ
 وَغَدَتْ وَفَرَةً الشَّبِيبَةَ بِالشَّيْبِ ... عَلَى رَغَمِ أَنْفِهَا مُغْتَمَهُ
 فَلَقَدْ فَازَ مَالِكٌ جَعَلَ اللَّهُ ... إِلَى اللَّهِ قَصْدَهُ وَمَأْمَهُ
 مَنْ يَبْتَ مِنْ غُرُورِ دُنْيَا بِهِمْ ... يَلْدَغُ الْقَلْبَ أَكْثَرَ اللَّهُ هَمَّهُ
 ثُمَّ أَحَالَ اللَّحْنَ إِلَى لَوْنِ التَّنْوِيمِ، فَأَخَذَ كُلُّ فِي النُّعَاسِ وَالتَّهْوِيمِ، وَأَطَالَ الْجَسَّ¹ فِي الثَّقِيلِ،
 عَاكِفًا عُكُوفَ الضَّاحِي فِي الْمَقِيلِ، فَخَاطَ الْعُيُونَ بِخُيُوطِ النَّوْمِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَمَا عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ وَلَا
 عَرَفَ.

وَلَمَّا أَفَاقَ الرَّشِيدُ جَدَّ فِي طَلَبِهِ، فَلَمْ يَعْلَمْ بِمُنْقَلَبِهِ، فَأَسِيفَ لِلْفِرَاقِ، وَأَمَرَ بِتَخْلِيدِ حِكْمِهِ فِي بُطُونِ
 الْأَوْرَاقِ؛ فَهِيَ إِلَى الْيَوْمِ تُرَوَّى وَتُنْقَلُ، وَتُجَلَّى الْقُلُوبُ بِهَا وَتُنْقَلُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

- ع: "الحسن" ¹

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَدَبِ الْوِزَارَةِ فِي السِّيَاسَةِ

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَلَّ مُلْكُهُ أَنْ يُؤَازِرَهُ الْوَزِيرُ، وَعَزَّ أَمْرُهُ أَنْ يُدَبِّرَهُ الْمُدَبِّرُ، أَوْ يُؤَيِّدَهُ الظَّهِيرُ. وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ عَلَى الْوُظَائِفِ الَّتِي يُضْطَرُّ¹ إِلَيْهَا، وَيُعْتَمَدُ عَلَيْهَا فَهُوَ الْوَلِيُّ النَّصِيرُ. وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، الَّذِي لَهُ الْقَدْرُ الرَّفِيعُ وَالْفَخْرُ الْكَبِيرُ. وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَعَشِيرَتِهِ، فَحَبْدًا آلًا وَعَشِيرًا.

فَإِنَّ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ أَيُّهَا الْوَزِيرُ الصَّالِحُ السَّعِيدُ بِعِصْمَةِ يُضْفَى عَلَيْكَ لِبَاسُهَا، وَعِزَّةٌ يَصْدُقُ عَلَيْكَ قِيَاسُهَا، وَأَيَّامٌ تَرَوْضُ لَدَيْكَ شُمَاهَا²، وَيُدْفَعُ بَيْنَ نَقِيبَتِكَ بِأَسْهَاهَا؛ فَإِنَّمَا دَعَا لِلدَّوْلَةِ بِتَأْيِيدِهَا، وَلِلْمَلَّةِ بِتَمْهِيدِهَا، وَلِلْمَمْلَكَةِ بِتَجْدِيدِهَا. فَقَدْ ظَهَرَ مِنْ عِنَايَتِهِ³ بِكَ اخْتِيَارُكَ، وَمِنْ حُسْنِ أَثَرِهِ فِي نَصْرِكَ وَإِيثَارِكَ، وَهُوَ الْكَفِيلُ لَكَ بِالْمَزِيدِ مِنَ الْآلَاءِ، وَمَوْصُولِ نِعْمَائِهِ.

وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ بَرِّكَ دِينًا يَجِبُ عَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَلَا يَجْمُلُ بِي الْقَاؤُهُ، تَخَيَّرْتُ لَكَ فِي الْهَدَايَا، مَا يَمْلَأُ الْيَدَ، وَيُصَاحِبُ الْأَمَدَ، وَيُنْجِبُ الْعَقَبَ⁴ وَالْوَلَدَ. فَلَمْ أَجِدْ أَجْدَى مِنْ هَدِيَّةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي مَنْ أُوتِيَهَا فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا⁵، وَمَنْ أَمَلَ لِرُبْنَتِهَا السَّامِيَةِ فَقَدْ أَحَلَّ مَحَلًّا أَثِيرًا⁶. وَالْوَصَاةُ الَّتِي تَنْفَعُكَ مِنْ حَيْثُ كُنْتَ وَزِيرًا، وَالْمَوْعِظَةُ الَّتِي تُفِيدُكَ تَنْبِيْهَا مِنَ الْعَقْلَةِ وَتَذَكِيرًا، فَاخْتَرَعْتُ لَكَ وَضْعًا غَرِيبًا،

- ع: "يظهر" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أن الاستعانة تطلب أكثر في الأعمال التي تفرض على الإنسان.¹

- أي يسهل عليك ما ارتفع واشتد من حوادث الأيام.²

- أ، م: "عنايتك"، والمثبت من ع، فعناية الله تعالى ظهرت في اختيار الوزير لمثل هذه المهمات.³

- "فلان موطأ العقب أي كثير الاتباع أساس البلاغة / عقب، 1/ 667⁴

- قال تعالى: {يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} سورة البقرة، الآية: 269⁵

- أ، ق، م: "كبيراً" والمثبت من ع، تشكيلا للسجع.⁶

وَعَرَضاً قَرِيباً، أَنْ لَقِيتُ مَا جَمَحَ مِنْ أَخْلَاقِكَ قَوَاكٍ¹ وَأَلَانَهُ، وَأَنْهَجَ لَكَ الصَّوَابَ وَأَبَانَهُ، جَانِحاً إِلَى
 الْإِخْتِصَارِ، عَادِلاً إِلَى الْإِكْتَارِ، مَنْسُوباً إِلَى بَعْضِ الْحَيَوَانِ، عَلَى عَادَةِ الْأَوَّلِ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي
 السِّيَاسَةِ قَبْلِي، أَوْ ذَهَبَ لِمَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ مِنْ فِعْلِي [فَقُلْتُ وَبِاللَّهِ الْعَوْنُ وَالْقُوَّةُ، وَمِنْهُ نَلْتَمِسُ السَّعَادَةَ
 الْمَرْجُوَّةَ]²

حَكَى مَنْ يُكَفِّ بِرَعِي الْأَدَابِ السَّوَائِمِ⁽³⁾، وَيُعْنَى بِاسْتِنْزَالِ الْحِكَمِ الْحَوَائِمِ، وَيُقَيِّدُ الْمَعَانِي
 الشَّارِدَةَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَهَائِمِ، أَنَّ نَمِراً يُكَنَّى أَبَا فَرَوَةَ، وَيُعْرَفُ بِالْمَرْقَطِ⁴، كَأَنَّهُ بِالنُّجُومِ مُنْقَطٌّ، شَنْ⁵
 الْكَفَّيْنِ، بَعِيدٌ مَا بَعَدَ الْعَيْنَيْنِ، كَأَنَّ [ذُنَابَاهُ]⁶ ذُوَابَهُ⁽⁷⁾ كَوَكَبٍ أَوْ جَدِيلَهُ⁽⁸⁾ مَرْكَبٍ، وَكَأَنَّ الْمَجَرَّةَ أَوْرَثَتْهُ
 غَدِيرَهَا، وَالثُّرَيَّا نَثَرَتْ عَلَيْهِ دَنَانِيرَهَا، عَظِيمُ الثُّوْبِ وَالظُّفُورِ، حَدِيدُ النَّابِ وَالْأُظْفُورِ، جِنْ نَجْدٍ
 وَغَوْرٍ، وَكُورَةُ حَوْرٍ وَكَوْرٍ⁹ وَجِرْمٌ¹⁰ ثَوْرٌ فِي مِسْلَاحِ سِنُورٍ¹¹، اسْتَوَزَرَهُ مَلِكُ الْوُحُوشِ، وَقَلَّدهُ تَدْبِيرَ
 الْمُلْكِ، وَعَرَضَ الْجِيُوشِ. فَحَلَّ مِنْ ذَلِكَ الْأَسَدِ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ، وَكَفَاهُ مَا وَرَاءَ بَابِهِ، وَدَافَعَ
 الْأَعْدَاءَ عَنْ جَنَابِهِ، وَوَفَّرَ مِنْ جِنَائِيَّتِهِ، وَأَجْرَى رُسُومَ عِرِّهِ وَابَائِيَّتِهِ.

وَأَخْلَصَ لِلَّهِ عَقِيدَةَ نُصْحِهِ، وَتَبَرَّأَ مِنْ شَيْنِ الْغِشِّ وَفُجْهِهِ، حَتَّى عَمَّتِ الْهَيْبَةُ وَخَصَّتْ، وَشَرَقَتْ
 الْأَعْدَاءُ وَغَصَّتْ، وَعَرَفَتْ الْوُحُوشُ أَقْدَارَهَا، وَأَلْفَتِ السِّيَاسَةُ مَدَارَهَا، وَأَمِنَتِ السُّبُلُ وَالْمَسَالِكُ، وَخَافَ

- ع، م: "قولك" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي قوى لك أخلاقك وألان الصعب منها.¹

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م²

³ - "السوام والسائمة: كل إبل ترسل ترعى ولا تُعَلَفُ في الأصل، وجمع السائم والسائمة سوائم" لسان العرب / سوم، 308 / 7

- "هو أرقط بين الرُّقْطَةِ والرَّقْطِ وهو نقط صغار من سواد وبياض أو من حمرة وصفرة تكون في الشاء والدجاج والحيات" أساس
 البلاغة / رقط، 375 / 1⁴

- ع، م: "شتن" وهو تحريف. "تشين جلده من الهرم وتشنج" أساس البلاغة / شتن، 524 / 1⁵

- أ: بياض، والزيادة من ع، م. والذئابي هو الذئب.⁶

⁷ - "الذوابة: منبت الناصية من الرأس" لسان العرب / ذاب، 13 / 6

⁸ - "الجديل الزمام المجدول من آدم" لسان العرب / جدل، 97 / 3

- حديث⁹

- "الجرم بالكسر الجسد والجمع أجرام" المصباح المنير / جرم، ص 38¹⁰

- "السنور الهر والأنثى سنورة" المصباح المنير / سنر، ص 111¹¹

الْمَمْلُوكُ سَطْوَةَ الْمَالِكِ، وَحَسُنْتَ الْأَخْبَارُ عَنْ سِيرَتِهِ، وَشَهِدْتَ بِالْعَدْلِ أَلْسُنُ جِيرَتِهِ، لَمَّا أَسَنَ¹ وَاسْتَنَ¹، فَأَنْكَرَ مِنْ قُوَّتِهِ مَا عَرَفَ، وَقَارَبَ مِنْ مَدَى الْعُمْرِ الطَّرْفَ، فَمَالَ مِزَاجُهُ وَانْحَرَفَ، وَكَعَ عَنِ الْمَلَاذِ وَانْصَرَفَ، فَأَصْبَحَ مَثْنُهُ هَزِيلًا، وَجِسْمُهُ ضَنْيِلًا [وَنَشَاطُهُ قَلِيلًا، وَرَأَى عِبَاءَ الْوِزَارَةِ ثَقِيلًا]² إِنَّ الْحَقَّ أَفْوَمُ قِيلًا³.

دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ خُلُوةَ مَشُورَتِهِ، وَخَرَجَ عَنْ ضُرُورَتِهِ، وَأَقَامَ الْحَقَّ فِي صُورَتِهِ.

وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ، عِشْتَ مَا بَدَا لَكَ، وَحَفِظَ⁴ مِيزَانُ الطَّبَائِعِ عَلَيْكَ اعْتِدَالَكَ، وَلَا زِلْتَ مَرْهُوبَ السَّطَا⁵، بَعَيْنِ الْخُطَا، فَإِنَّمَا فِي مِهَادِ الدَّعَةِ أَمِنَ الْقَطَا، وَهَنَ مِنْ عَبْدِكَ الْعَظُمُ⁶، وَضَعُفَ الْإِفْتِرَاسُ وَسَاءَ الْهَضْمُ، وَكَادَ يُنْتَرِ النَّظْمُ. وَبَانَ فِي آلَةِ خِدْمَتِكَ [الْكَلَالُ]⁷، وَاسْتَوَلَى الْهَرَمُ⁸ وَالْإِضْمِحَالُ.

وَارْبَأُ لِمُلْكِكَ عَنْ تَقْصِيرٍ يَجْنِيهِ ضُعْفِي، وَإِنْ عَظُمَ لِفِرَاقِ سَدَّتِكَ لَهْفِي، فَسَوْغَنِي التَّفَرُّغَ لِمَعَادِي، وَالنَّظَرَ فِي بُعْدِ طَرِيقِي وَقِلَّةِ زَادِي، وَاسْتَكْفٍ مَنْ يَقُومُ بِهِمَّتِكَ، وَيَبُوءُ بِعِبَاءِ خِدْمَتِكَ، فَمَا عَلَى اسْتِحْثَاتِ الْأَجَلِ مِنْ قَرَارٍ، وَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عُورٍ:

مَنْ عَاشَ أَخْلَقَتْ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ ... وَخَانَهُ نَقْشَاهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ النَّوَاصِي، وَعِلْمُهُ الْمُحِيطُ بِالْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي، وَسِتْرُهُ قَدْ شَمَلَ الْمُطِيعَ

- "أسن الرجل: كَبَّرَ" لسان العرب/ سنن، 7/ 278. "استن السراب: اضطرب" لسان العرب / سنن، 7/ 281 ¹

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م. ²

- قال تعالى: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَفْوَمُ قِيلاً} سورة المزمل، الآية: 6 ³

- أ، ق، م: "حفظت" والمثبت من ع. ⁴

- ع: "السطا" ولعل الصواب ما أثبت؛ "السطو: القهر بالبطش" لسان العرب/ سطا، 7/ 184 ⁵

- قال تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّي شَقِيحاً} سورة مريم، الآية: 4 ⁶

- أ: بياض، والمثبت من ع، م ⁷

- ع: "البرم"، م: "الهم" ولعل الصواب ما أثبت. ⁸

وَالْعَاصِي، أَنَّنِي مَا خُنْتُ أَمَانَتَهُ بِخَوْنِ أَمَانَتِكَ، وَلَا آلَيْتُ جُهْدًا فِي إِغَاثَتِكَ، وَلَا اقْتَحَمْتُ بِأَمْرِكَ حَدًّا مِنْ حُدُودِ دِيَانَتِكَ، وَلَا تَعَمَّدْتُ جَلْبَ ضُرٍّ، وَلَا خَاطْتُ حُلُوَ النَّصِيحَةِ بِمُرٍّ، وَلَا اسْتَفْسَدْتُ لَكَ قَلْبَ جُرٍّ¹، وَلَا اسْتَأْثَرْتُ لَكَ بِمَالٍ، وَلَا كُنْتُ يَوْمًا لِصِدِّكَ بِمِيَالٍ²، وَلَا تَلَقَّيْتُ مُهِمَّكَ بِإِهْمَالٍ، وَلَا ضَاقَ لِي عَنْ خُلُقِكَ ذِرْعُ احْتِمَالٍ، وَلَا أَعْمَلْتُ فِي غَيْرِ رِضَاكَ وَطَاعَتِكَ حَرَكَةَ يَمِينٍ وَلَا شِمَالٍ.

فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ: أَيُّهَا الْوَزِيرُ الصَّالِحُ حَسَنَ جَزَاؤُكَ، كَمَا وَضَحَ لِلْحَقِّ اعْتِرَازُكَ، وَلَحِقَتْ بِالْعَوَالِمِ الشَّرِيفَةِ مَقُومَاتُكَ الْمُفَضَّلَةُ وَأَجْزَاؤُكَ³. قُلْتَ صَوَابًا وَاسْتَوْجَبْتَ مِنَّا وَمِنَ الْمَعْبُودِ ثَوَابًا، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ فِي وَسْعِ مُلْكِنَا جَبْرُهُ⁴، لَبَدَّلْنَا لَكَ الْعَزِيزَ، وَهَانَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ. لَكِنَّ التَّحْلِيلَ عَلَى عَالَمِ التَّرْكِيبِ مَحْتُومٌ، وَالْمَصِيرَ مَعْلُومٌ، وَالْفِرَاقَ ذَاتِي⁵ الْأَلْقَابِ وَالرُّسُومَ:

إِسْمَعِ فَقَدْ أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ ... إِنْ لَمْ تُبَادِرْ فَهُوَ الْمَوْتُ
نَلْ كُلَّمَا شِنْتَ وَعِشْ نَاعِمًا ... آخِرُ هَذَا كُلُّهُ الْمَوْتُ

وَقَدْ أَمَرْنَا بِعَهْدِكَ لَوْلَدِكَ، وَتَقَلْنَا الْوِزَارَةَ مِنْ يَدِكَ إِلَى يَدِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نَعْدِمَ حُسْنَ مَقْصِدِكَ مِنْ ثِقَةِ نَفْسِكَ، وَسَلِيلِ جَسَدِكَ. وَكَأَنَّ النَّمِرَ جُزْءٌ⁶ [اسْتَكْمَلَ]⁷ سِنَّ الْوُفُوفِ، وَاتَّصَفَ بِالْإِنْقِطَاعِ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالْعُكُوفِ، مُحْتَارُ الْأُمُومَةِ [وَالْفِرَاسَةِ]⁸ صَادِقَةٌ فِيهِ أَحْكَامُ النَّجَامَةِ⁹، وَمَخَايِلُ الْفِرَاسَةِ، كَلِفٌ

- أ، ق ع: "جر" والمثبت من م، ولعله الصواب؛ "الجُر جمع الجُرَّة وهو المَكُوك الذي يثقب أسفله، يكون فيه البذر ويمشي به الأكار والفضان وهو ينهال في الأرض" لسان العرب / جرر، 120 / 3¹
- أ، ق ع: "بمبال" والمثبت من م، ولعله الصواب؛ أي أنه لا يميل إلى أعدائه.²
- م: "أخلاقك"³
- ع: "خبره" وهو تصحيف، ولعل الصواب ما أثبت؛ فالسياق يقصد فيه جبر ما يتحلل.⁴
- م: "داني"⁵
- ع: "جروفه"، م: "جرد"⁶
- أ: ساقط، والزيادة من ع، م⁷
- أ: بياض، والزيادة من ع، م⁸
- م: "النجابة" وهو تحريف. والنجامة علم النجوم أي دراسة أحوال النجوم والبحث في مواقعها ومواقفها ومسافاتهما.⁹

بِالنَّظَرِ وَالدراسةِ، كَرِيمُ الطَّبْعِ رَحِيبُ الذَّرْعِ¹ طَيِّبُ الْأَصْلِ، سَامِي الْفَرْعِ، لَا تُورِدُهُ الْمُعْضِلَاتُ، وَلَا تُؤَاقِفُ فِطْنَتُهُ الْمُشْكِلَاتُ، وَلَا تُجَاذِبُهُ الشَّهَوَاتُ، وَلَا تَطْرُقُ كَمَالُهُ الْهَفَوَاتُ، جَانِ⁽²⁾ عَلَى الرَّعِيَّةِ، حَفَظَتِهِ³ لَشُرُوطِ السِّيَاسَةِ الْمَرْعِيَّةِ، قَدْ أَفْرِغَ فِي قَوَالِبِ الْكَمَالِ جَوْهَرُهُ، وَتَطَابَقَ مَخْبَرُهُ وَمَظْهَرُهُ، وَتَقَتَّقَ عَنِ كَمَالِ الْعَفَافِ، وَحُسْنِ الْأَوْصَافِ زَهْرُهُ.

فَاتَّخَذَ الْمَلِكُ صَنِيعاً نَفَضَ لَهُ الْأَطْرَافَ، وَاسْتَقْدَمَ الْأَشْرَافَ، وَاسْتَدْعَى قَوْمَةَ الْجِهَادِ، وَطَوَائِفَ النُّسَاكِ وَالزُّهَّادِ، وَاحْتَقَلَ الْوَلِيْمَةَ، وَأَفَاضَ النِّعَمَ الْعَمِيْمَةَ، وَاسْتَحْضَرَ النَّمِرَ، وَقَدْ تَحَلَّى بِحِلْيَةِ مُتَمَاسِكِ، [وَبَدَّلَ فَرْوَةَ الْوَزِيرِ بِعُرْوَةِ النَّاسِكِ]⁴ فَأَعْلَنَ فِي الْمَجْتَمَعِ بِرِضَاهُ عَنْ سِيرَتِهِ، وَاعْتَرَفَ بِبُصْنَحِ جَنِيهِ وَفَضْلِ سَرِيرَتِهِ، وَأَعْلَنَ بِتَسْوِيعِ أَوْبَتِهِ، وَقَرَّبَ الْقُرْبَانَ بَيْنَ يَدَيْ تَوْبَتِهِ، وَحَفَّتْ بِهِ أَرْبَابُ الدِّيَانَةِ وَنُسَاكُهَا، وَقَوْمَةُ الشَّرِيعَةِ الَّذِينَ فِي أَيْدِيهِمْ مَلَائِكُهَا، فَرَفَعُوهُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَأَكْتَادِهِمْ حَدَوْ مُعْتَادِهِمْ، وَجَهَّزُوا حَوْلَهُ بِصُحُفِهِمُ الْمَحْفُوظَةِ، وَأَدْعِيَتِهِمُ الْمَلْفُوظَةِ، وَنُسُكِهِمُ الْمَجْدُودَةِ الْمَحْظُوظَةِ، حَتَّى أَتَوْا بِهِ هَيْكَلَ الْعِبَادَةِ، وَمَحَلَّ أَصْلِ النُّسُكِ وَالزُّهَادَةِ، وَخِدْمَةِ الْكَوَاكِبِ السَّادَةِ، وَالْمُنْتَشَوِّقِينَ إِلَى السَّعَادَةِ، وَالْمُنْسَلَخِينَ عَنْ كَذَرَاتِ سُوءِ الْعَادَةِ، وَقَصْدَهُ وَلَدَهُ، يَسْتَفْتِحُ بِدُعَائِهِ الْعَمَلَ، وَيَسْتَدْلِي بِوَصَايَاهُ الْأَمَلَ.

فَلَمَّا فَرَّغَ النَّمِرُ مِنْ اسْتِقْبَالِ مِحْرَابِهِ، وَقَدْ تَجَرَّدَ مِنَ الْعَلَائِقِ تَجَرَّدَ السَّيْفِ مِنْ قَرَابِهِ، جِيءَ الْوَلَدُ لَدَيْهِ، ثُمَّ سَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ بَعْدَ مَا أَطْرَقَ، وَطَرَفُهُ مِنَ الرَّقَّةِ اغْرُورِقْ: أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي فُرِنَتْ

- ع: "الضرع" وهو تحريف. والمراد كرم يده وجوده.¹

-² "جنى عليه: أكب عليه، وقيل هو مهموز، والأصل فيه الهمز من جنأ يجنأ إذا مال عليه وعطف ثم خفف" لسان العرب / جني،

223 /3

- م: "دفعته"³

- ع: ساقط⁴

بِحَقِّ الْبَارِي حُقُوقُهُ، فَمَا فِي الْمُنْعَمِينَ مَنْ يَفُوقُهُ، أَوْضَحْتُ لِعَلَّةِ إِبْجَادِي مَذْهَبًا، وَكُنْتُ لِنَفْسِي
الْجُزْئِيَّةِ⁽¹⁾ بِاتِّصَالِ الْعَقْلِ الْكُلِّيِ⁽²⁾ سَبَبًا. ثُمَّ تَعَلَّيْتُ وَكَفَيْتُ، وَعِنْدَ تَقَاصُرِ الطَّبَاعِ وَفَيْتُ، ثُمَّ دَاوَيْتُ
مِنْ مَرَضِ الْجَهْلِ وَشَفَيْتُ، وَحَمَلْتُ عَلَى أَفْضَلِ الْعَادَةِ، وَأَظْفَرْتُ الْيَدَ بِعُرْوَةِ السَّعَادَةِ.
وَأَنَا إِلَى وَصَاتِكَ الْيَوْمَ فَقِيرٌ، وَرَأْيِي فِي جَنْبِ رَأْيِكَ حَقِيرٌ، وَدُعَاؤُكَ لِي وَلِيٌّ وَنَصِيرٌ،
وَالْحِظُّكَ فِي تَصَرُّفَاتِي الْقَاصِرَةِ نَاقِدٌ وَبَصِيرٌ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِ بَيِّضِهِ الشَّيْبُ وَالنُّسْكُ، وَأَخْلَقَ
تَضَوُّعَ مِنْ أَنْفَاسِهَا الْمِسْكُ، وَتَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ أَخْلَصَهُ السَّبْكُ.
وَقَالَ: يَا وَلَدِي الَّذِي رَجَوْتُهُ لِحَلْفِ شَخْصِي، وَتَتَمِيمِ نَفْصِي، وَنَقْلِ³ الْحِكْمَةِ عَنِّي، وَسِتْرِ
الْجُزْءِ الْأَرْضِيِّ مِنِّي، طَالَمَا ابْتَهَلْتُ إِلَى اللَّهِ فِي سَدَادِكَ، بَعْدَ تَخِيرِ دُعَاءِ وَلَدِكَ⁴، وَاسْتَدْعَيْتُ
حُكَمَاءَ الْهَيَاكِلِ الْمُقَدَّسَةِ لِإِرْشَادِكَ.
فَلَوْ اسْتَعْنَى أَحَدٌ عَنْ مَوْعِظَةٍ تُوقِظُ مِنْ نَوْمٍ، أَوْ سَدَادِ رَأْيٍ يَعْصِمُ مِنْ لَوْمٍ، أَوْ اسْتِشْعَارِ
مُنَاصَحَةٍ تَجُرُّ ثَنَاءَ قَوْمٍ، أَوْ اسْتِعْرَاضِ تَجْرِبَةٍ تُعْلِي مِنْ سَوْمٍ⁵، لَكُنْتَ بِذَلِكَ خَلِيقًا، وَمِنْ أَسْرِ
الْإِفْتِقَارِ طَلِيقًا؛ لَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِمَا يُؤَيِّدُهُ⁶ ذُو فَاقَةٍ، وَمُتَّصِفٌ بِإِفْتِقَارٍ إِلَى غَيْرِهِ وَإِضَاقَةٍ، وَلَيْسَ لَهُ
بِالْإِنْفِرَادِ مَعَ كَوْنِهِ مُدْنِيًّا مِنْ طَاقَةٍ، وَمَتَى ظَنَّ بِنَفْسِهِ غَيْرَ ذَلِكَ فَهِيَ حِمَاقَةٌ. وَبِحَسَبِ مَا يُحَاوِلُهُ أَوْ
يُحَاوِرُهُ يَكُونُ افْتِقَارُهُ لِمَنْ يُفَاوِضُهُ أَوْ يُشَاوِرُهُ.

¹ - ق: ساقط.

² - ق: ساقط.

- م: "فضل" وهو تحريف. والمراد أخذك الحكمة مني بعد وفاتي.³

- أي ولادتك.⁴

- "سام البائع السلعة إذا عرضها للبيع وذكر ثمنها" أساس البلاغة / سوم، 1 / 485.⁵

- م: "نزیده" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت. فالإنسان يحتاج لما يؤيده وينصره.⁶

وَقَدْ نُدِبْتَ مِنَ الْوِزَارَةِ إِلَى مَنْزِلَةٍ لَا تَطْمَئِنُّ بِمَنْ نَبَذَ طَاعَةَ الْحَقِّ وَتَقَوَّاهُ، وَرَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ وَاتَّبَعَ
هَوَاهُ. فَإِنْ قَهَرْتَ مِنَ الشَّهْوَةِ الْمُزْدِيَّةِ عَدُوَّكَ، وَبَلَغْتَ مِنْ مَلَكَةِ¹ الْهَوَى مَرْجُوكَ، وَأَلْفَتْ قَرَارَكَ فِي
ظِلِّ الْحِكْمَةِ وَهَدُوكَ، تَذَلَّلَ لَكَ امْتِطَاؤُهَا، وَتَهَنَّأَ لَكَ عَطَاؤُهَا، وَطَابَ فِيهَا خَبْرُكَ، وَحَسُنَ عَلَيْهَا
أَثْرُكَ، وَاللَّهُ لَا يَذُرُكَ، وَإِلَّا فَلَسْتَ بِأَوَّلَ مَنْ هَوَى، وَرَمَدَ بَعْدَ مَا شَوَى².

وَأَنَا مُوصِيكَ -وَاللَّهُ يُبْعِدُكَ، مِنَ الْخَطْلِ وَيُقْصِيكَ، وَيُبَيِّنُ لَكَ قَدْرَ هَذِهِ الرُّتْبَةِ بَيْنَ الْأَقْدَارِ -
ثُمَّ جَالِبٌ بَعْضَ شُرُوطِ الْإِخْتِيَارِ، ثُمَّ خَلِصَ لِلْوَصَاةِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، فِي سِتَّةِ أَرْكَانٍ. وَأَسْأَلُ الْعَالَمَ
بِفَاقَتِي إِلَى سَدَادِ قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ، الْغَنِيِّ عَنْ قُدْرَتِكَ وَحَوْلِكَ، أَنْ يَجْمَعَ لَكَ مِنْ مَوَاهِبِ تَوْفِيقِهِ الَّتِي لَا
تُحْصَرُ بِالْعَدِّ، وَلَا تُتَالُ بِالْكَدِّ، مَا يَتَكَفَّلُ بِرِضَاهُ عَنْكَ، حَتَّى تُحِبَّ مَا أَحَبَّهُ لَكَ، وَتَكْرَهُ مَا كَرِهَهُ مِنْكَ،
وَأَنْ يَخْتِمَ مَدَّتَكَ الْمُتَتَاهِيَةَ بِأَسْعَدَ مَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ آمَالُكَ، وَتَتَاطَوَّلَ نَحْوُهُ سُؤْلُكَ، فَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ.

- م: "مسكة" وهو تحريف.¹
- "شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد أي أحسن ثم أفسد إحسانه" أساس البلاغة / رمد، 1/ 384²

بَابُ بَيَانِ قَدْرِ رُتْبَةِ الْوِزَارَةِ فِي الْأَقْدَارِ وَبَعْضِ شُرُوطِ الْإِخْتِيَارِ

اعْلَمْ يَا وَلَدِي أَنَّ هَذِهِ الرُّتْبَةَ لِمَنْ فَهَمَ وَعَقَلَ، مُسْتَقَّةٌ مِنَ الْوَزِيرِ، وَهُوَ النَّقْلُ؛ لِأَنَّهَا تَحْمِلُ مِنْ عِبَاءِ الْمُلْكِ وَثِقَلِهِ مَا تَعْجُزُ الْجِبَالُ عَنْ حَمْلِهِ، وَهِيَ [الْآلَةُ]¹ الَّتِي بِهَا يَعْمَلُ، وَبِحَسَبِ تَبَايُنِهَا يَتَّبَايُنُ مِنْهَا الْأَنْقَاصُ وَالْأَكْمَلُ، وَعَصَاهُ الَّتِي بِهَا يَهْشُ⁽²⁾، وَيَحْتَطِبُ وَيَحْشُ، وَيَلْتَقِمُ وَيَمْشُ³، وَيَجْمَعُ وَيَفْشُ، وَمِخْلَبُهُ الَّذِي بِهِ يَرْقُ الْفَرْخُ، وَيَحْرُسُ الْعُشَّ، وَمِنْخَلُهُ⁴ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ مَنْ يُنَاصِحُ وَمَنْ يَعْشُ، وَمِرَاتُهُ [الَّتِي يَرَى بِهَا مَحَاسِنَ وَجْهِهِ وَعُيُوبِهِ، وَسَمْعُهُ]⁵ الَّذِي يَتَوَصَّلُ بِحَاسَّتِهِ لِمَعْرِفَةِ الْأَشْخَاصِ الْمَحْجُوبَةِ.

وَإِذَا فَسَدَ الْمُلْكُ وَصَلَحَ الْوَزِيرُ، رُبَّمَا نَفَعَتِ السِّيَاسَةُ وَاسْتَقَامَ التَّدْبِيرُ، وَصَلَاحُ الْأَمْرِ بِعَكْسِ هَذِهِ الْحَالِ مَحْسُوبٌ مِنَ الْمَحَالِ لِأَنَّ الْوَاسِطَةَ الْقَرِيبَةَ، وَنُكْتَةَ السِّيَاسَةِ الْغَرِيبَةَ، وَمَوْقِعَهُ مِنَ الْمُلْكِ مَوْقِعَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْجَسَدِ، اللَّتَيْنِ فِي الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ عَلَيْهِمَا يَعْتَمِدُ، وَقَالُوا الْمُلْكُ طَبِيبٌ وَالرَّعِيَّةُ مَرَضَى، وَالْوَزِيرُ تُعْرَضُ عَلَيْهِ شِكَايَاتُهُمْ عَرْضًا، وَالنَّجَاحُ مُرْتَبِطٌ بِسَدَادِ عَقْلِهِ، وَصِحَّةُ نَقْلِهِ، فَإِنْ اخْتَلَّ السَّفِيرُ بَطَلَ التَّدْبِيرُ.

وَإِذَا تَقَرَّرَ وَجُوبُ الْإِمَامَةِ وَنَصْبُهَا، وَعَقْدُهَا وَعَصْبُهَا، وَكَانَتْ ضَرُورَتُهَا إِلَى الْوِزَارَةِ هَذِهِ هِيَ، وَمَنْزِلَتُهَا هَذِهِ الصُّورَةُ، وَفِي الْوَاجِبِ شَرْطٌ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ بِغَيْرِهَا ضَبْطٌ؛ كَيْفَ لَا يَكُونُ قَدْرُهَا خَطِيرًا، وَمَحَلُّهَا أَثِيرًا، وَقَوْلُ النَّبِيِّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]⁶ الَّذِي اصْطَفَاهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، وَاخْتَصَّهُ

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹

- ² قال تعالى: { قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى } سورة طه، الآية: 18

- أ، ق، ع: "يمس" والمثبت من م، "مش العظم وتمششه: مصه" أساس البلاغة / مشش، 2 / 214³

- م: "منجله" وهو تصحيف، ولعل الصواب ما أثبت، أي هو كالغربال الذي يظهر به الصالح من الطالح.⁴

- ع: ساقط⁵

- ع: ساقط⁶

بِخَصِيصَتِي إِكْرَامِهِ¹ مَعَ كَوْنِهِ مَعْصُومًا بِعِصْمَةِ رَبِّهِ، غَنِيًّا بِدِفَاعِهِ، مُتَأَنِّسًا بِقُرْبِهِ، وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي⁽²⁾، دَلِيلٌ عَلَى مَحَلَّهَا مِنْ شَدِّ³ الْقَوَاعِدِ، وَاجْزَأِ الْعَوَائِدِ، وَاقَامَةِ الشَّوَاهِدِ، وَاسْتِدْرَارِ الْفَوَائِدِ، وَمُدَافَعَةِ الْمَكَائِدِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ الْمَجْلُوءَةِ، وَالْمَحَاسِنِ الْمَثْلُوءَةِ، وَالْإِشْعَارِ بِأَنَّ الْمَنْصِبَ الْمَنْصِبُ الْأُخُوَّةَ.

فصل: وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَوَّلِينَ مِنْ حُكَمَاءِ يُونَانَ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ، كَانُوا يَعْرِفُونَ فَضْلَ⁴ هَذِهِ [الْمِهْنَةِ الْمَهْنِ]⁵ وَيَجْعَلُونَ تَعْظِيمَهَا مِنَ الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ، وَيَتَحَقَّقُونَ نُجَبَاءَهَا فِي الْمَعَادِنِ الشَّرِيفَةِ، وَالنَّبِیُّوتِ الْعَتِيقَةِ، وَالْأَحْسَابِ الْمُنِيفَةِ. وَيَخْتَارُونَ نُصَبَ الْمَوَالِدِ فِي أَبْنَاءِ أَهْلِ التَّرْشِيحِ، وَيُعْنُونَ فِيهَا بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ.

فَمَنْ قَامَتْ عَلَى صُلُوحِهِ الشَّوَاهِدُ، وَشَهِدَتْ بِأَهْلِيَّتِهِ الْمَوَالِدُ، عُيِّنَ فِي الْأَرْزَاقِ قِسْمُهُ، وَأُثِّبَتْ عِنْدَ النَّقَاتِ اسْمُهُ. ثُمَّ يُؤْخَذُونَ بِالتَّعْلِيمِ وَالدَّرَاسَةِ، وَيَتَعَاهَدُونَ بِالْآدَابِ تَعَاهُدَ الْغَرَاسَةِ⁶، ثُمَّ يُعْرَضُونَ عِنْدَ التَّرْعُرُعِ عَلَى أَهْلِ الْفِرَاسَةِ، فَمَتَى تَأَكَّدَ الْقَوْلُ وَرَجَحَ، وَبَانَ فِي أَحَدِهِمُ الْفَضْلُ وَوَضَحَ، خَرَجَ وَدُرِّبَ، وَمُرِّنَ وَجُرِّبَ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ وَقُرَّبَ.

فصل: وَكَانَ الْوُزَرَاءُ يَخْتَارُونَ مِنَ الْجَوَارِي لِلْمُبَاضَعَةِ، مَنْ ظَهَرَ مِنْهَا فَضْلُ التَّمْيِيزِ، وَأَخْلَصَهَا لِاخْتِيَارِ خُلُوصِ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ، وَلَا يَغْشَوْنَهَا فِي سُكْرِ مُسْقِطٍ، وَلَا فَرَحِ مُفْرِطٍ، وَلَا كَسَلٍ

- م: "الكرامة"¹

²- سورة طه، الآيات: 29-30-31-32

- أ، ق، م: "سد" والمثبت من ع.³

- م: "وصل" وهو تحريف.⁴

- أ: بياض، والمثبت من ع.⁵

- م: "الفراسة" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي يتعاهده تعاهد الغرس.⁶

مُقْعِدٍ، وَلَا حِرْزٍ¹ مُفْسِدٍ، وَلَا غَضَبٍ مُبْرِقٍ مُرْعِدٍ. وَإِذَا هُمْ بِطَلَبِ الْوَلَدِ، اسْتَقْتَى الْكَاهِنَ فِي اخْتِيَارِ
الْوَقْتِ الرَّامِقِ²، فَلَا يُطْلَقُ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْأَوْقَاتِ الْمُخْتَارَةِ، وَالنُّصُبِ الْخَلِيقَةِ بِنْتُكَ الْإِثَارَةِ³. وَبَعْدَ
إِصْلَاحِ الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، وَالْكَوَاكِبِ الْخُمْسِ، وَاسْتِحْضَارِ الْهَيْئَاتِ النَّابِهَةِ، وَالْأَشْكَالِ [الْمُنْتَأَسِبَةِ]⁴
الْمُتَشَابِهَةِ، وَتَقْرِيبِ الْقَرَابِينِ بَيْنَ يَدَيِ الْإِلَهِةِ، ثُمَّ يَلْقَى الْجَارِيَةَ، وَكِلَاهُمَا يَقُولُ قَوْلًا مَقُولًا عَنِ
الصُّحُفِ الْمَوْصُوفَةِ، وَالْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَعْرُوفَةِ، مَعْنَاهُ يَا مَنْ قَصَرْتَ الْأَلْبَابُ عَنْ كُنْهَيْهِ، وَعَنْتِ
الْوُجُوهَ لَوُجْهِهِ، قَدْ اجْتَمَعْنَا عَلَى مَزْجِ مَوَادٍّ لَا نَعْرِفُ مَا تُحْدِثُهُ مِنْهَا، وَلَا مَا تُظْهِرُهُ عَنْهَا، وَتَلْقَيْنَا
تَوْفِيقَكَ مِنْ سَعْيِنَا بِمَقْدَارِ الْمَجْهُودِ، وَأَنْتَ مَلَأْدُ الْوُجُودِ⁵، وَمُفِيضُ الْجُودِ⁶.

وَلَيْسَ تَضَرُّعُنَا لَكَ بِالْمَسْأَلَةِ، وَابْتِهَالُنَا فِي رَحْمَتِكَ الْمُسْتَنْزَلَةِ تَنْبِيهًا لِأَقْدَارِكَ الْمُصِيبَةِ لِلْسَّادِ،
الْجَارِيَةِ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ؛ إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ مَا نُحِرُّ بِهِ فَضْلَ الرِّغْبَةِ⁷ إِلَيْكَ، وَالسُّؤَالِ لِمَا لَدَيْكَ. وَنَحْنُ
بِحُسْنِ اخْتِيَارِكَ أَوْثَقُ⁸ مِنَّا بِآرَائِنَا، وَقَضَائِكَ السَّابِقِ مِنْ وَرَائِنَا، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى قَضَائِكَ، وَالشُّكْرُ
عَلَى نِعْمَائِكَ.

فصل: وَكَانَ الْوَزِيرُ فِيهِمْ، يُشْتَرَطُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ قَدِيمَ النُّعْمَةِ، بَعِيدَ الْهَمَّةِ، مَكِينَ الرَّأْفَةِ
وَالرَّحْمَةِ، كَرِيمَ الْعَيْبِ، نَقِيَّ الْجَنَابِ، مُسَدَّدَ السَّهْمِ، ثَاقِبَ الْفَهْمِ، وَاثِبًا عِنْدَ الْفُرْصَةِ⁹، وَاصِفًا لِلْقِصَّةِ،
مُرِيحًا فِي الْغُصَّةِ، مَوْفُورَ الْأَمَانَةِ، أَصِيلَ الدِّيَانَةِ، قَاهِرًا لِلْهَوَى، مُسْتَشْعِرًا لِلتَّقْوَى، مُشْمِرًا عَنِ

- ع، م: "حزب" ¹

- ع: "المراهن" ²

- م: "الإنارة" ³

- أ: ساقط، والمثبت من ع، م: "المتنافسة" ⁴

- م: "الوجوه" وهو تحريف، ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع. ⁵

- م: "السجود" وهو تحريف. ⁶

- ع: "الرعية" وهو تصحيف. ⁷

- م: "أوفق" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي ثقتهم باختياره أكثر من ثقتهم بآرائهم. ⁸

- أ، ق: "الفرصة" والمثبت من ع، م. ⁹

السَّاعِدِ الْأَفْوَى، جَلِيلَ الْقَدْرِ، رَحِيبَ الصَّدْرِ، مَشْهُورَ الْعِفَّةِ، مُعْتَدِلَ الْكَفَّةِ، حَذِرًا مِنَ النَّقْدِ، صَحِيحَ الْعَقْدِ، رَاعِيًا لِلْهَمَلِ، نَشِيطًا لِلْعَمَلِ. وَاصِلًا لِلذَّمِّ، شَاكِرًا لِلنَّعَمِ، خَبِيرًا بِسِيرِ¹ الْأُمَمِ، ذَا حِنْكَةٍ بِالدَّخْلِ وَالْخُرْجِ، عَفِيفَ اللِّسَانِ وَالْفَرْجِ، غَيْرَ مُعْتَابٍ وَلَا عَيَّابَةٍ، وَلَا مَلَقٍ وَلَا هَيَّابَةٍ، مُجْتَنِبًا بِالْبَلَاغِ، مُشْتَغَلًا عِنْدَ الْفَرَاغِ، مُؤَثِّرًا لِلصَّدَقِ، صَادِعًا بِالْحَقِّ، حَافِظًا لِلْأَسْرَارِ، مُؤَثِّرًا لِلْأَبْرَارِ، مُبَايِنًا بِطَبْعِهِ لِحُلُقِ الْأَسْرَارِ. وَقَدْ فَاقَ² قَدْرَ هَذِهِ الرُّتْبَةِ بَيْنَ الْأَقْرَانِ، وَأَعْطَى وَرَائِهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، حَقُّهُ عِنْدَ الْإِعْتِبَارِ. وَنَحْنُ نَذْكُرُ بَعْدَ أَرْكَانِ الْوَصَاةِ، وَنَفْرُغُ لِذِكْرِ حِكْمِهَا الْمُحْصَاةِ، وَفُصُولِهَا الْمُسْتَقْصَاةِ³

- م: "بسر" ولعل الصواب ما أثبت، أي عالما بأخبار الأمم السابقة.¹

- ع: "بان" وهو تحريف.²

- م: "المستقضاة" وهو تصحيف.³

الرُّكن الأول: وَهُوَ الْعَقْدُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُعْوَلُ، فِيمَا يَسْتَشْعِرُهُ الْوَزِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ،

وَيَجْعَلُهُ هَجِيرَاهُ فِي يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْمَمْلَكَةَ الْبَشَرِيَّةَ، الْخَلِيقَةَ بِالْإِفْتِقَارِ الْحَرِيَّةِ، لَمَّا كَانَ رَاعِيهَا مُرَكَّباً مِنْ أَضْدَادٍ مُتَغَايِرَةٍ، وَأَرْكَانٍ مُتَقَاسِدَةٍ مُتَضَايِرَةٍ، وَيَجْذِبُهُ كُلُّ مِنْهَا إِلَى طَبْعِهِ آخِذاً بِرِجْلِهِ، مُدَافِعاً بِضُبْعِهِ⁽¹⁾، لَمْ يُكْمَلْ حِرَاسَةً مَا وَكَّلَ إِلَيْهِ [بِنَفْسِهِ]² وَلَا وَقَّتْ بِضَمِّ مُنْتَرِّهَا آلَاتِ حِسِّهِ، فَاحْتِاجَ إِلَى وَزِيرٍ مِنْ جَنْسِهِ، يَثُوبُ مَهْمَا غَابَ عَنْ شَخْصِهِ، وَيَضْطَلِعُ بِتَنْمِيمِ نَقْصِهِ، وَيَتَّقِظُ فِي سَهْوِهِ، وَيَجِدُ عِنْدَ لَهْوِهِ. فَيَحْتَاجُ مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، إِلَى كَمَالٍ فِي الْفَضْلِ، وَرَجَاحَةٍ فِي الْمَعْرِفَةِ، يُعَدِّلُ بِهَا مَا عَاصَى الْمَلِكَ مِنْ أُمُورٍ مُلْكِهِ، وَيُوفِي مَا عَجَزَ عَنْهُ مِنْ نَظْمٍ سِلْكِهِ، حَتَّى تَبْرُزَ الْمَمْلَكَةُ فِي أَتَمِّ صُورَتِهَا، وَتَبْلُغَ الْكَمَالَ الْأَخِيرَ بِمُقْتَضَى ضَرُورَتِهَا.

وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوَّلُ³ مَا قَدَّمْتَهُ، ثُمَّ تَذَلِيلُ نِيَّتِكَ لِمَنْ⁴ خَدَمْتَهُ، وَمُقَابَلَةُ تَقْتِهِ بِكَ، بِالْوَفَاءِ الَّذِي سَدَّدْتَ إِنْ التَّرَمَّتْ، وَحَمْلُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ عَلَى حُكْمِ الشَّرْعِ، فَإِنْ لَمْ تَتَّحِ عَلَى ذَلِكَ هَدْمَتَهُ، وَأَفْضَلُ مَا وَهَبَ لَكَ فِيمَا قَلَّدْتَهُ مِنْ قِلَادَةٍ، وَعَوَّدْتَهُ مِنْ عَادَةٍ وَسِيَادَةٍ؛ شُمُولُ الْأَمْنِ، وَعُمُومُ الرِّضَا، وَظُهُورُ الْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ فِي كُلِّ غَرَضٍ مُقْتَضَى، وَحُسْنُ النِّيَّةِ، وَطَهَارَةُ الطَّوْبَةِ، وَرِعَايَةُ الْإِحْسَانِ، وَإِفَاضَةُ الرَّأْفَةِ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ، وَزِيَادَةُ الْكِفَايَةِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَا يَضْبِطُ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَا يَضْبِطُ أَمْرَ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ عَلَى تَبَايُنِ

الْأَغْرَاضِ، وَتَعَدُّدِ الْأَجْنَاسِ. فَارْزَأْ بِنَفْسِكَ عَمَّا تَجَرُّهُ الشَّهَوَاتُ مِنَ النَّفْصِ، وَارْجُرْهَا عَنْ كَلْبِ

1- "وَكُنَّا فِي ضُبْعِ فُلَانٍ وَضُبْعُهُ: فِي كَفِّهِ" أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ / ضَبْعٌ، 574 / 1

2- م: سَاقَطَ

3- ع: "أَوَّلِي" وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتَ.

4- أ، ق: "لَمَّا" وَالْمُثَبِّتُ مِنْ ع، م.

الْحَرَصِ، وَالْإِنْ بِجَانِبِكَ لِمَنْ ظَهَرَ كَمَالُهُ، وَقَصُرَتْ بِهِ عَنْهُ حَالُهُ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ بَقَاءَ النِّعَمِ عَلَى كَتِيدِكَ مَقْرُونٌ بِبَقَائِهَا مِنْ يَدِكَ، وَجَرَيَانِ الْأُمُورِ عَلَى مَذْهَبِكَ، بِحَسَبِ اسْتِقَامَتِهَا بِسَبَبِكَ. وَقُلَّ أَنْ يَتَهَيَّأَ¹ فِي هَذَا الْعَالَمِ عَمَلٌ عَارٍ مِنَ الْمَلَامَةِ، أَوْ سَالِمٌ مِنَ التَّجَاوُزِ² كُلِّ السَّلَامَةِ، فَلْيَكُنْ خَطَاكَ فِي الْإِحْسَانِ [لِلْإِنْسَانِ]³، لَا فِي الْإِسَاءَةِ بِالْفِعْلِ وَاللِّسَانِ، فَقَلِيلُ الْخَيْرِ رُبَّمَا تَمَارَقَتْ⁴ ثَمَرَتُهُ، وَأَنْتَ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ شَجَرَتُهُ⁵.

وَإِذَا هَمَمْتَ بِزَوَالِ نِعْمَةٍ عَنْ جَانٍ، فَادْكُرْ كَمْ تَتَأَلَّ تِلْكَ النِّعْمَةُ مِنْ مَكَانٍ، وَفِيهَا مَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبْ عِقَابًا، وَلَا كَشَفَ فِي شَرٍّ نِقَابًا. وَقَدْ قَالُوا: الْأَشْرَافُ تُعَاقَبُ بِالْهَجْرَانِ، وَلَا تُعَاقَبُ بِالْحَرَمَانِ. وَرُبَّمَا قَالَتْ: حُرًّا رَكَنَ إِلَيْهَا وَلَمْ تَعْلَمْ، ثُمَّ تَأَوَّهَ لِفَقْدِ مَعْرُوفِهَا وَتَأَلَّمَ، فَاجْعَلْ هَذِهِ الذَّرَائِعَ شُفْعَاءَ فِي بَقَائِهَا وَدَوَاعِي لِإِجْرَائِهَا⁶، يَتَكَفَّلُ لَكَ بَارِئُكَ بِإِحْرَارِ السَّلَامَةِ، وَرَفَعِ الْمَلَامَةِ، وَالْمَثُوبَةِ فِي الْقِيَامَةِ. وَاسْتَعْمِلِ التَّوَاضُّعَ فِي هُبُوبِ رِيحِكَ، وَتَجَافَ عَنِ الْخِسَةِ⁷ وَالنَّجْهِ⁸ بِتَعْرِضِكَ وَتَصْرِيحِكَ، قَرِيبًا جَشَرَ⁹ جَوَابٍ لَا يُغْسَلُ طَبْعُهُ، وَلَا يُوجَدُ مَنْ يَرْقَعُهُ، وَلَا يُزِيلُهُ عِقَابٌ قَابِلُهُ وَلَا يَرْقَعُهُ، سِيمَا فِيمَنْ اسْتَحَقَّ الْمَوْتَ أَوْ تَيَقَّنَ الْفُوتَ.

وَاصْبِرْ عَلَى ذَوِي الْفَاقَةِ، وَأَهْلِ الْإِضَاقَةِ بِجَهْدِ الطَّاقَةِ. وَإِيَّاكَ وَالضَّجَرَ، فَإِنَّهُ يُكَدِّرُ الصَّفْوَ، وَيُدْهِبُ الْعَفْوَ، وَيُبْقِي الْفَلْتَةَ الشَّنِيعَةَ، وَيُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ. وَقَدْ رَكَلَ أَبُو عَبَّادَ الْوَزِيرُ رَجُلًا بِرِجْلِهِ، فَرَفَعَ

- م: "يتنهأ" وهو تحريف.¹

- ع: "التجوز" من "تجوز في الصلاة وغيرها: ترخص فيها" أساس البلاغة / جوز، 1/ 156²

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م³

- ع: "تخارقت" ⁴

- قال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَانْتَبَتْ أُكْلُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} سورة البقرة، الآية: 45⁵

- أ، ق، ع: "لأجزائها" والمثبت من م.⁶

- أ: كتب الناسخ في طرتها: "نقلته محكيا إذ الأصل المنتسخ منه كثير التصحيف، وكثير منه نبهت عليه بكذا" ⁷

- م: "النجمة" ولعل الصواب ما أثبت؛ نجه فلانا: رده أقيح رد.⁸

- ع، م: "خشن" ولعل الصواب ما أثبت؛ "جشر الصبح: خرج" أساس البلاغة / جشر، 1/ 140⁹

إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ أَجْلِهِ:

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ اشْكُلْ وَزِيرِكَ إِنَّهُ رَكَّالٌ

أَشْكُلُهُ عَنْ رَكْلِ الرَّجَالِ وَإِنْ تُرِدْ مَا لَا فَعِنْدَ وَزِيرِكَ الْأَمْوَالُ

وَتَرَكَهَا مَثَلًا يُذَكِّرُ، وَفَلْتَةً تُتَكَّرُ.

فصل: وَإِذَا بَاشَرَ عُيُوبًا فَاتَّبِعْ عُيُوبَهُ¹ دُونَ فُضُولِهِ [وَأَبْوَابَهُ دُونَ فُضُولِهِ]²، وَلَا تَشْتَغِلْ بِفُرُوعِهِ

الْمُتَشَعِّبَةِ عَنْ أَصُولِهِ. ثُمَّ اصْنُدْ بَعْدَ إِلَيْهَا، وَاعْطِفْ عَلَيْهَا، وَلَا تُعِنْ بِتَفْضِيلِهِ عَنْ جُمْلَتِهِ، فَيَضِيعَ سَائِرُهُ قَبْلَ أَنَاةِ الْوَقْتِ وَمُهْلَتِهِ.

وَلَا تَرْفُضْ عَمَلًا عَنْ وَقْتٍ يَسْرُدُهُ وَيَنْصُهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَقْتٍ عَمَلًا يَخُصُّهُ، وَأَقْلُ مَا يَلْحَقُ مِنْ زُرْحَامِ الْأَعْمَالِ، تَطَرُّقُ الْفَسَادِ إِلَيْهَا، وَالِاخْتِلَالُ عِنْدَ الْإِسْتِحْثَاتِ إِلَيْهَا، وَالِاسْتِعْجَالِ وَضِيقِ الْمَجَالِ. وَتَهَيِّبُ الْعَمَلَ مُطِيلُ الزَّمَانِ، مُنْبِئٌ عَنْ ضِيقِ الْجَنَانِ. وَلَا تَزَكُنْ فِي الْإِسْتِخْدَامِ إِلَى شَفَاعَةِ غَيْرِ نَفَاعَةٍ، مَا لَمْ تَكُنْ شَفَاعَةَ الْكِفَايَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالرَّعَايَةِ.

وَاعْلَمْ بِأَنَّ مَنْ ظَهَرَ حُسْنَ صَبْرِهِ، عَلَى انْتِظَامِ أَمْرِهِ، حَسُنَ صَبْرُهُ عَلَى شِدَائِدِهِ فِي حَوَادِثِ الدَّهْرِ وَمَكَائِدِهِ، فَالْصَّبْرُ قَدَرٌ مُشْتَرِكٌ فِيمَنْ أَخَذَ وَتَرَكَ، وَالنَّفْسُ لَا تَنْفَكُ عَنْ مُعْتَرَاكِ⁴. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاحَةَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الْحَرَكَةِ، تُهْدِي التَّعَبَ الضَّرُورِيَّ لِمَنْ أَخَذَهُ فِيهَا وَتَرَكَهُ، وَلَا تُغْفِلَنَّ شَيْئًا تَقَلَّدَتْهُ، بَعْدَ مَا حَسِبْتَهُ مِنْ وَظَائِفِكَ وَعَدَدَتَهُ، فَيُظَنُّ بِكَ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ طَبْعِكَ الَّذِي

- ع: "عيونه"¹

- م: "فصوله"²

- ع: ساقط³

- ع: "معترك" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أن النفس من جهادها كأنها في معترك.⁴

جُبِلَتْ عَلَيْهِ، بِمَقْدَارِ مَا خُرِجَ إِلَيْهِ. وَلَا تَحْتَجِبْ عَنِ النَّاسِ، يَفْشُو بُغْضُكَ، وَيَضْعُفُ مِنَ السِّيَاسَةِ
فَرْضُكَ، وَتَكْتُمُكَ النَّصِيحَةُ سَمَاوُكَ وَأَرْضُكَ، وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ:

كَمْ مِنْ فَتَى تُحَمِّدُ أَخْلَاقَهُ وَنَسْكُنُ الْأَحْرَارُ فِي ذِمَّتِهِ

قَدْ كَثُرَ الْحَاجِبُ أَعْدَاءَهُ وَسَلَطَ الذَّمُّ عَلَى نِعْمَتِهِ

وَلَا يُعْجِبَنَّكَ مَا بَطَنَ¹ مِنْ مَسَاوِيكَ، وَلَتَكُنْ مَعْرِفَتُكَ بَعِيبَ نَفْسِكَ أَوْثَقَ عِنْدَكَ مِنْ مَدْحِ أَبْنَاءِ
جَنَسِكَ. وَانْقِصُ عَنِ الْعَامَّةِ وَمَنْ يُلَاسِسُهَا، وَامْتَنِعْ عَنِ التَّكَبُّرِ بِمَنْ يُجَانِسُهَا؛ فَفِي طِبَاعِهَا إِهَانَةُ
الْمُلْتَبِسِ بِأَشْيَاعِهَا، وَتَنْقُصُ مَنْ اتَّصَلَ بِرَعَايَاهَا².

وَاعْلَمْ بِأَنَّ إِحْسَانَكَ لِلْحُرِّ يُحَرِّكُهُ عَلَى الْمُكَافَأَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى الْوَعْدِ يَحْمِلُهُ عَلَى
مُعَاوَدَةِ الْمَسْأَلَةِ. وَضَعِ إِحْسَانَكَ وَلِسَانَكَ حَيْثُ وَضَعَهُمَا الرَّأْيُ الصَّحِيحُ، وَالِاخْتِيَارُ الصَّرِيحُ. هَذِهِ
- أَرْشَدَكَ اللَّهُ - نُقْطَةٌ مِنْ يَمٍّ، وَنَافَةٌ³ مِنْ جَمٍّ، وَحَصَاةٌ مِنْ نَثِيرٍ، وَقَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ. وَالنَّبِيلُ مَنْ قَاسَ
الشَّيْءَ بِنَظِيرِهِ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى الْكَثِيرِ بِبَيْسِيرِهِ، وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

الرُّكْنُ الثَّانِي: فِيمَا يَسْتَشْعِرُهُ الْوَزِيرُ مَعَ الْمَلِكِ، لِيَأْمَنَ عَادِيَةَ الْأَمْرِ الْمُرْتَبِكِ.
وَإِذَا خَدَمْتَ مَلِكًا زَادَ رَأْيُكَ عَلَى رَأْيِهِ، وَفَضْلَ سَعْيِكَ فِي التَّدْبِيرِ حُسْنَ سَعْيِهِ، فَأَرِهِ الْإِسْتِعَانَةَ
بِمَزِيدِكَ⁴، وَأَقْصُرْ مِنْ إِشْرَافِ جِيدِكَ، وَأَظْهِرِ التَّعَجُّبَ مِمَّا فَضَلَ عَلَيْكَ بِهِ، وَسِرْ مِنَ الْحَزْمِ عَلَى
مَذْهَبِهِ، وَلَا تَتَبَجَّحْ بِتَجَاوُزِ مَا لِأَهْلِ طَبَقَتِكَ، وَإِذَا أَنْفَقْتَ عِنْدَهُ الْكِفَايَةَ فَاقْصِدْ فِي نَفَقَتِكَ، فَإِنَّهُ لَا

- م: "بطن" وهو تصحيف.¹

- "الرعاع بالفتح السفلة من الناس الواحد رعاة ويقال هم أخلاط الناس" المصباح المنير / روع، ص 88²

- م: "نافة" وهو تحريف.³

- م: "بمد يدك" وكلاهما صحيح.⁴

يَحْسُنُ مِنْهُ مَوْقِعُ قَوْلِكَ أَوْ عَمَلِكَ، وَيَرَى أَنَّ تَعَزُّزَكَ¹ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ تَحَمُّلِكَ، فَيَشْرَعُ فِي كَسْرِكَ وَيُثِيرُهُ إِلَى قَسْرِكَ².

وَإِذَا تَعَارَضَ عِنْدَكَ الْعَجْزُ فِي مُرُوعَتِكَ وَدِيَانَتِكَ وَكِفَايَتِكَ وَأَمَانَتِكَ، فَتَرَهُ³ الْكِفَايَةَ عِنْدَهُ عَمَّا يُشِيرُ. وَارْضَ بِالنَّقْصِ فِي الْمُرُوءَةِ لَا فِي الدِّينِ فَهُوَ عَلَيْهِ أَسْهَلُ، وَفَرِّقْ مَا بَيْنَ الْحَالَيْنِ لَا يُجْهَلُ⁴. وَإِيَّاكَ أَنْ يَأْنَسَ بِكَ فِيهَا إِخْلَالًا، أَوْ يَرَى مِنْكَ فِيهَا إِهْمَالًا، وَاحْذَرِ الْإِضْرَارَ لَدَيْهِ بِالنَّاسِ فِي سَبِيلِ النَّصِيحَةِ، أَوْ التَّوْفِيرِ عَلَيْهِ كَمَا تُوفِّرُ الْعَامَّةُ عَلَى أَنْفُسِهَا الشَّحِيحَةِ، وَابْتَغِ لَهُ قُلُوبَ الْخَلْقِ بِمُسَامَحَتِهِمْ فِيمَا قَصَرُوا فِيهِ عَنْ يَسِيرِ الْحَقِّ، فَإِنَّكَ تَسْتَخِصُّ لَهُ بِذَلِكَ تَمَلُّكَ الْأَحْرَارِ، وَتَحْسِنُ الْأَثَارَ، وَاتَّزَكَ لِشُؤْنِهِ الْخَاصَّةِ شُؤْنَكَ، وَحَرَّكَ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ عَلَى شُكْرِهِ دُونَكَ، لِيَقِفَ عَلَى أَنَّ سَعْيَكَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ سَعْيِكَ لِنَفْسِكَ، فِي يَوْمِكَ وَأَمْسِكَ، وَلَا حَظَّ لَكَ فِيمَا لَا تُمْسِكُ. وَإِيَّاكَ أَنْ تُحْيَا بِمِثْلِ تَحِيَّتِهِ، أَوْ تُلْقَى بِمِثْلِ مَا يُلْقَى بِهِ عِنْدَ رُؤَيْتِهِ، أَوْ تُرْفَعَ بِالسَّلَامِ عَلَيْكَ الْأَصْوَاتُ، أَوْ يَسْبِقَ النَّاسُ بَابَكَ قَبْلَ بَابِ الْمَلِكِ بِالْغَدَوَاتِ، فَكَمْ جَلَبَ ذَلِكَ مِنَ الْآفَاتِ، وَغَيَّرَ مِنَ الصِّفَاتِ.

وَإِذَا دَعَاكَ إِلَى لَهْوِهِ أَوْ شَرَابِهِ، وَخَصَّكَ بِمَزِيدِ افْتِرَائِهِ فَلْيَكُنِ الْإِعْظَامُ عَلَى الْإِلْتِدَادِ⁵ غَالِبًا، وَالْفِكْرُ لِلْحَذَرِ مُرَاقِبًا، وَاجْعَلِ التَّحَرُّزَ مِنْهُ فِي أَوْقَاتِ انْبِسَاطِهِ إِلَيْكَ وَاجِبًا، وَلَا تَسْتَهْزِئْ مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَيْسَ بِهِيْنِ⁶. وَإِيَّاكَ أَنْ تَنَمَّ بِكَ أَسْرَةً وَجْهِ، أَوْ نَظْرَةً عَيْنٍ. وَاجْتَنِبْ لِبَاسَ ثَوْبِهِ وَرُكُوبَ مَرْكَبِهِ،

- م: "تعزرك" وهو تصحيف.¹

- ع: "قصرك" ولعل الصواب ما أثبت؛ "قصره على الأمر قسرا قهره واقتصره" المصباح المنير/ قسر، ص 192²

- م: "فيزه" وهو تصحيف.³

- م: "يجمل" ولعل الصواب ما أثبت.⁴

- م: "الالتداد" وهو تصحيف.⁵

- م: "ببين" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لا تستهزئ بأمر مهما بدا سهلا.⁶

وَاسْتِخْدَامَ جَمِيعَ مَا يَتَرَيُّنَ بِهِ. فَمَنْ خَدَمَ السُّلْطَانَ لِنَبَاهَةِ الذِّكْرِ، وَلِبَاسِ الْعِزَّةِ، لَمْ يَضُرَّهُ تَقْصِيرُ الرِّيَاشِ، وَلَا فُغُودُ الْبَزَّةِ، وَمَنْ صَحِبَهُ لِلذَّةِ وَالتَّرَفِ، كَانَ سَرِيعَ الْمُنْصَرَفِ، مَسْلُوبَ الشَّرَفِ.

وَإِذَا خَصَّكَ بِمَشُورَتِهِ، وَطَلَبَ رَأْيَكَ لِضُرُورَتِهِ، فَلَا تُخَاطِبُهُ مُحَاطَبَةَ الْمُرْشِدِ لِمَنْ اسْتَهْدَاهُ، وَأَرِهَ حَاجَتَكَ لِمَا أَبْدَاهُ. وَإِذَا اعْتَرَفَ بِخَطَا يُوَاقِعُهُ فِي بَعْضِ أَنْظَارِهِ، أَوْ أَعْلَنَ يَوْمًا بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ، فَاجْلُ فِكْرَكَ فِي التِّمَاسِ عُذْرِهِ وَتَوَجِّهِ عَارِهِ، وَاحْتَلْ¹ بِفِطْنَتِكَ فِي رَمِّهِ.

وَاحْذَرِ أَنْ تُؤَافِقَهُ عَلَى ذَمِّهِ، وَذَلَّلْ نِيَّتَكَ لِكَلَامِكَ، وَاصْرِفْ إِلَى تَرْكِ التَّجَاوُزِ جُلَّ اهْتِمَامِكَ، فَالْكَلَامُ إِذَا طَابَقَ نِيَّةَ الْمُتَكَلِّمِ حَرَّكَ نِيَّةَ السَّامِعِ، وَإِذَا صَدَرَ عَنِ الْقَلْبِ أَخَذَ مِنَ الْقَلْبِ بِالْمَجَامِعِ. وَإِذَا تَوَجَّهَ إِلَيْكَ عَتْبُهُ لِشُبْهَةٍ فِي أَمْرِكَ عَرَضَتْ، أَوْ ظَنَّةٍ² تَعَرَّضَتْ، فَلَا تَقْبَلْ رِضَاهُ عَنْكَ تَمْوِيهَاً، مَا لَمْ تَقُمْ حُجَّتُكَ فِيهَا، وَلَا تُسَامِ الْإِلَاحَةَ³، وَأَرِهْ أَنَّكَ لَا تُؤَثِّرُ الْحَيَاةَ دُونَ بَرَاءَةِ السَّاحَةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الظَّنَّةُ رَأْسًا، وَلَا تَخْشَ مِنْ تَبِعَةِ الْإِحْنَةِ بَأْسًا، وَيَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَهُ شَاهِدًا بِفَضْلِكَ، وَزَائِدًا لَهُ فِي مَحَلِّكَ. وَلِنْ لَهُ إِذَا غَضِبَ، وَاتَّقِ الْكَرِيهَةَ دُونَهُ إِنْ رَهَبَ، وَاصْرِفْ لَحْظَكَ عَنْهُ إِنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ، وَسَدِّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بَابَ الْعِتَابِ بِالْمُشَافَهَةِ أَوْ الْكِتَابِ، وَلَا تَخَفْ مِنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ إِلَّا مَا وَافَقَ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، يَضَعُ اللَّهُ تَجَلَّتْكَ فِي قَلْبِهِ⁴.

وَأَذْكُرْ قَوْلَ الْوَزِيرِ الْمُتَقَدِّمِ، وَقَدْ أَمَرَهُ الْمَلِكُ الْمُسَلِّطُ بِقَتْلِ رَجُلٍ، وَتَلَطَّفَ فِي سُؤَالِهِ⁵ عَنْ ذَنْبِهِ، بِمَا جَرَّ عَظِيمَ انْكَارِهِ وَقَطِيعَ عَتْبِهِ: "أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ لَوْ كُنْتُ مَالِكِي وَحَدَاكَ، لَأَنْفَعْتُ مَنْ غَيْرِ

- م: "اختل" وهو تصحيف.¹

- "وهو ظنني أي موضع تهمتي" أساس البلاغة / ظنن، 1/ 628²

- م: "إلا لامة" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لا تقبل مجرد التلويع برضاه والإشارة إليه ما لم يقم الدليل الواضح.³

- م: "ذاته" ولعل الصواب ما أثبت.⁴

- م: "سبق له" وهو تحريف.⁵

مُهْلَةً أَمْرَكَ، وَشَرَحْتُ بِالْإِمْتِنَالِ صَدْرَكَ، وَلَكِنَّكَ تَمْلِكُ ظَاهِرِي وَحَدَهُ، وَلِي مَنْ يَمْلِكُهُ وَمَا بَعْدَهُ، وَإِذَا
أَنْفَذْتُ عَهْدَكَ، نَكُنْتُ عَهْدَهُ، وَإِذَا خَرَجْتُ مِنْ يَدِكَ، دَخَلْتُ فِي يَدِهِ الَّتِي لَا تُمْنَعُ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ وَلَهُ
الْأَمْرُ أَجْمَعُ؟ وَأَنَا لَكَ فِي طَاعَتِهِ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِكَ أَطْوَعُ. فَبَكَى الْمَلِكُ الْجَاهِلُ لِمُصَدِّقِ حُجَّتِهِ وَحَمَلَ
الرَّجُلَيْنِ مِنَ الْعَفْوِ عَلَى أَوْضَحِ مَحَجَّتِهِ. وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ فِي هَذَا الْبَابِ.

الرُّكْنُ الثَّالِثُ: فِيمَا يَحْدَرُهُ مَنْ تَقَدَّمَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ فِي الْأَمْرِ

الَّذِي أَسْنَدَ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ زِمَامَهُ فِي يَدَيْهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ [الْعَارِ]¹ بَارْتِيَاضِكَ، وَسَدَادِ أَغْرَاضِكَ أَنْ يَتَقَدَّمَكَ الْمَلِكُ بِخُلُقٍ هِيَ أُولَى بِكَ،
وَأَدْخَلَ فِي حِسَابِكَ، مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الْمَلَاهِي، وَالْإِنْقِيَادِ لِلْأَوَامِرِ الدِّينِيَّةِ وَالنَّوَاهِي، وَهَجَرَ الدَّعَةَ فِي
الضِّيقِ وَالسَّعَةِ، وَشِدَّةِ الْيَقِظَةِ، وَالذِّكْرِ الَّذِي يُعْنَى بِهِ الْحَفَظَةُ مِنْ ذِكْرِ إِفْطَاعٍ، أَوْ مِقْدَارِ ارْتِفَاعٍ، أَوْ
اسْمٍ مُرْتَرِقٍ، أَوْ حَصْرِ عَمَلٍ مُفْتَرِقٍ، أَوْ التَّفَكُّرِ فِي مَصْلَحَةِ الْمَمْلَكَةِ. فَإِنَّهُ إِنْ رَاضَ ذَلِكَ دُونَكَ
وَعَلَكَهُ، وَنَهَجَهُ مُنْفَرِداً وَسَلَكَهُ، وَتَمَيَّزَ فِيهِ بِالْمَلَكَةِ، وَسَامَحَكَ فِي التَّقْصِيرِ وَالْبَاعِ الْقَصِيرِ، وَسَرَّهُ
سَبْقُهُ إِيَّاكَ، وَتَقَدَّمَهُ عَلَيْكَ فِيمَا وَلَّاكَ؛ فَهُوَ مِمَّا يَحْطُ لَدَيْهِ أَمْرَكَ، وَيُوْهِنُ قَدْرَكَ، وَإِنْ كَانَ غَرَّكَ وَيَرَى
أَنَّهُ لَا مُوَازَرَ لَهُ فِيمَا نَابَهُ، وَلَا كَافِيَ فِيمَا عَرَا بَابَهُ، وَأَمَّلَ مَنَابَهُ. وَاجْتَهَدُ أَنْ يِرَاكَ شَدِيدَ الْحَرِصِ،
أَنِفًا مِنَ النَّقْصِ، وَلَا يُحِسُّ مِنْكَ فِي وَظِيفَتِكَ بِتَقْصِيرٍ، وَلَا يَشْعُرُ مِنْكَ فِيهِ بِرَأْيٍ قَصِيرٍ.

- أ: بياض، والمثبت من ع، م¹

فصل: وَاخْذَرْ أَنْ تُسَوِّلَ لَكَ قُدْرَةُ الْإِمْكَانِ [وَدَالَةً]¹ السُّلْطَانِ، الرِّيَادَةَ فِي الْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الضِّيَاعِ وَالْعَقَارِ، وَالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ وَالْأَحْجَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْتِجَازِ² وَالْإِحْتِكَارِ، وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ جَلَالُهُ الْمَحَلِّ وَنَبَاهَةُ الْمِقْدَارِ، فَيَنْقَسِمُ فَكْرُكَ وَشُغْلُكَ، وَيَضِيعُ سَعْيُكَ وَفَضْلُكَ، وَيُخْصِيهِ عَلَيْكَ مَنْ يُضْمِرُ لَكَ الْإِفْتِرَاسَ، وَلَا يُمَكِّنُكَ مِنْ كَيْدِهِ الْإِحْتِرَاسَ، مِمَّنْ حُرِمَ حَظُّهُ، أَوْ وَكَسَ مَعْنَاهُ أَوْ لَفْظُهُ، أَوْ مُتَطَلِّعٌ إِلَى أَوْفَى مِنْ وَرَانِهِ، مُتَسَامٍ إِلَى مَا وَرَاءَ إِمْكَانِهِ، أَفْصَرَتْ بِهِ السِّيَاسَةُ عَنْ شَأْنِهِ، فَأَضْرَمَ الْحَسَدُ نَارَهُ، وَأَذَكَّى أَوَارَهُ، وَأَعْظَمَ صَغِيرَكَ وَأَثَارَهُ، وَيَتَشَوَّفُ إِلَى مُنَاهَضَتِكَ مَنْ كَانَ عَنْهَا مُقْصِرًا، وَيَجْهَرُ مَنْ كَانَ مُسْتَتِرًا، وَيَسْتَدْعِي الْإِزْتِيَابَ مَا جَلَبَهُ الْحَظُّ إِلَيْكَ، وَالْإِسْتِظْهَارَ بِهِ عَلَيْكَ، وَطَمَعَ الْحَاسِدُ فِيمَا لَدَيْكَ.

وَأَحْرِزْ مَعَ الْمَلِكِ الْبُلْغَةَ الَّتِي تَقِيكَ، وَتُوسِّدُكَ مِهَادَ الْعَافِيَةِ³ وَتُثَبِّتُكَ، وَتَرْفَعُ كَلَّاكَ، وَتَشْمَلُ أَهْلَكَ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّكَ بِقَلِيلٍ مَا يُجْرِيهِ لَكَ الْعَدْلُ لَدَيْهِ، أَعْنَى مِنْهُ بِالْكَثِيرِ [الَّذِي]⁴ فِي يَدَيْهِ، وَاجْتَنِبِ الْإِنْهَمَاكَ فِي الْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْوَلَدِ وَالْحَشَمِ أُولِي الْعَدَدِ، وَالْأَذْيَالِ الَّتِي ثَبَّتَتْ فِي أَقْطَارِ الْبَلَدِ، فَإِنَّ الْحَاسِدَ يَرَاهُمْ بِذَخًا وَنِعْمَةً؛ وَإِنَّمَا هُمْ مَوْوَنَةٌ وَنِقْمَةٌ، وَدَاعِيَةٌ إِلَى اسْتِهْلَاكِ عَتَادٍ أَوْ تَدْبِيرٍ مُسْتَقَادٍ، وَإِثَارَةَ حُسَادٍ لَهُمْ وَرُدَّ جَاهِكَ وَعَلَيْكَ صَدْرُهُ، وَلَهُمْ نَفْعُ كَدْحِكَ وَعَلَيْكَ ضَرَرُهُ.

وَالْإِقْتِصَادُ فِي أَمْرِكَ أَدْوَمُ لِسَلَامَتِكَ وَأَرْفَعُ لِمَلَامَتِكَ، وَأَعْضُ لَطَرْفِ حَاسِدِكَ، وَأَصْدَقُ لِفَوَائِدِكَ، وَأَرْوَحُ لِقَلْبِكَ، وَأَخْلَصُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ. وَفِيمَا أَعْتَرَتْ عَلَيْهِ التَّجَارِبُ، وَوَضَحَتْ مِنْهُ الْمَذَاهِبُ؛ أَنَّ الْمُتَقَلَّلَ مِنَ الْوُزَرَاءِ، طَوِيلُ عُمُرُهُ، نَاجِحُ أَمْرُهُ، مُظْفَرٌ بِأَعْدَائِهِ وَأَضْدَادِهِ، قَرِيبٌ مِنَ

- أ: بياض، والمثبت من ع، م¹
- ع، م: "الاحتجان" ولعل الصواب ما أثبت؛ "احتجنت الشيء: اجتذبت به المحجن" أساس البلاغة / حجن، 1 / 171²
- أ: "الغفلة"، والمثبت من ع. م: "الفضلة"³
- أ: ساقط، والزيادة من ع.⁴

الْحَالِ الْمُرْضِيَةِ فِي مَعَادِهِ. وَلَتَكُنْ هِمَّتُكَ مَصْرُوفَةً إِلَى اسْتِزْرَاءِ حَالِ الْمَمْلَكَةِ وَاعْتِبَارِهَا، وَتَأْمُلِ أَفْطَارِهَا¹، وَمَا عَلَيْهِ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا، مِنْ سَدَادِ نُغُورِهَا وَدِفَاعِ أَعْدَائِهَا، وَنُقْصَانِ ارْتِفَاعِهَا، وَاخْتِلَالِ أَوْضَاعِهَا، أَوْ تَدْبِيرِ مَصْلَحَةٍ يَبْقَى لَكَ ذِكْرُهَا وَخَبَرُهَا، وَيَحْسُنُ بِكَ أَثَرُهَا. وَخَفْ مَصَارِعَ الدَّالَّةِ²، فَهِيَ أَدْوَأُ دَائِكَ، وَأَكْبَرُ أَعْدَائِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِقْتِصَادَ مَعَ إِمْكَانِ التَّوَسُّعِ، وَالتَّزُّلَ مَعَ الرُّتْبَةِ الْمُرتَفَعَةِ، يُنبِئُ عَنْ قُوَّةِ رَأْيِكَ، وَصِحَّةِ عَزْمِكَ، وَاسْتِقَامَةِ [سَعْيِكَ]³ وَالرَّغْبَةَ فِي التَّرَفِّ، وَالْمَيْلَ إِلَى السَّرَفِ، دَالَّةٌ عَلَى غَلَبَةِ الْهَوَى عَلَى الشَّرَفِ، وَأَجَلَ مَا جَمَلْتَ بِهِ زَمَانِكَ، وَرَفَعْتَ شَأْنَكَ، خِدْمَةُ الشَّرِيعَةِ، وَإِحْيَاءُ رُسُومِهَا، وَقَمْعُ الْبِدْعِ، وَإِزَالَةُ سُوءِهَا، يُدَاعُ⁴ لَكَ الْحَمْدُ، وَيَتَخَلَّدُ لَكَ الْمَجْدُ. وَتَوَلَّ⁵ ذَلِكَ مَتَى أَمْكَنَكَ بِنَفْسِكَ، وَلَا تَكِلْهُ إِلَى غَيْرِكَ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِكَ، حَتَّى إِذَا وَقَفْتَ بِهِ عَلَى غَمِيرَةٍ يَجِبُ تَغْيِيرُهَا، وَبِتَعَيُّنِ نَكِيرِهَا فَارْفَعْ إِلَى الْمَلِكِ عَيْنَهَا، وَقَبِّحْ عِنْدَهُ شَيْنَهَا، ثُمَّ حُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، وَأَظْهِرْ لِلنَّاسِ أَنَّ قَلْقَهُ بِهَا أَهْمَكَ، أَكْثَرَ مِنْ قَلْقِكَ، وَخُلُقَهُ لِإِنْكَارِهَا مُتَقَدِّمَةٌ لِخُلُقِكَ، تَهْدِي إِلَيْهِ بِذَلِكَ مَا يَزِيدُ فِي مَكَانَتِكَ وَيُغْبِطُ بِأَمَانَتِكَ، وَيَشْهَدُ بِمُؤَازَرَتِكَ وَاعَانَتِكَ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

الرُّكْنُ الرَّابِعُ: فِي تَصْنِيفِ أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ، لِلْسَّيْرِ بِمُقْتَضَاهَا وَالسُّلُوكِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْمُلُوكِ أَخْلَاقًا، يَفْطِنُ⁶ الْمَلَاطِفُ مِنْ خُدَامِهَا إِلَى اسْتِعْمَالِهَا، فَيَجْعَلُهَا أَسَاءً لِلْسِّيَاسَةِ وَأَحْكَامِهَا؛ وَهِيَ أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ سَخِيًّا وَبَازِلًا، أَوْ مُمَسِكًا بِأَخْلَاقٍ، وَقَوِيًّا عَلَى تَدْبِيرِهِ أَوْ

- م: "أفكارها" ولعل الصواب ما أثبت.¹

- الدالة: ما تدل به على حميمك وصديقك، ومن له منزلة وفضل.²

- أ: بياض، والمثبت ن ع، م³

- ع: "يدع" وهو تصحيف؛ والمعنى انتشر الحمد.⁴

- ع: "تولى" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالأمر جزم بحذف حرف العلة.⁵

- ع: "المضطر" وهو تحريف.⁶

ضَعِيفًا، يُلْقَى الْمَقَادَةَ إِلَى وَزِيرِهِ، أَوْ سَيِّئًا ظَنُّهُ، أَوْ مِنَ الْإِسْتِرْسَالِ فَتُّهُ، أَوْ حَسَنَ الْبِشْرِ عِنْدَ الْإِفْتِرَاضِ، أَوْ مُنْقَبِضًا عَنِ الْأَعْرَاضِ.

وَإِذَا تَرَكَّبتْ هَذِهِ الْخِلَالُ تَرْكِيبًا طَبِيعِيًّا، وَتَرْتِيبًا تَرْتِيبًا وَضَعِيًّا، وَتَقَابَلَ امْتِرَاجُهَا، بَلَغَ إِلَى سِتَّةِ عَشَرَ اِزْدِوَاغُهَا، وَتَأْتَى لِلْحَكِيمِ مِنَ الْوُزَرَاءِ عِلَاجُهَا، وَرُبَّمَا انْحَرَفَتْ هَذِهِ الْخُلُقُ أَوْ تَوَسَّطَتْ، وَرُبَّمَا أَفْرَطَتْ، وَرُبَّمَا فَرَّطَتْ، وَعَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ ارْتَبَطَتْ. وَإِنْ كَانَ سَخِيًّا أَثَرَ دُرُورِ الشُّكْرِ عَلَى تَوْفِيرِ نَوَافِلِ¹ الْمَالِ، وَكَافَأَ بِحُسْنِ الذِّكْرِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَإِنْ كَانَ بَخِيلًا، فَبِضِدِّ هَذِهِ الْحَالِ، وَإِنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ قُوَّةُ التَّدْبِيرِ، اسْتَدْعَاكَ إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِي سَعْيِكَ، وَأَحْرَزَ بِذَلِكَ عَلَيْكَ الْحُجَّةَ فِي رَعْيِكَ. وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الضَّعْفُ رَكَنَ إِلَى تَدْبِيرِكَ، وَفَوَّضَ إِلَيْكَ الْأَمْرَ فِي قَلِيلِكَ وَكَثِيرِكَ، وَخَلَّكَ وَمَا لَا يُحْمَدُ مِنْ عَوَاقِبِ أُمُورِكَ.

وَإِنْ كَانَ حَسَنَ الظَّنِّ تَمَكَّنَتْ مِنْ إِحْكَامِ تَدْبِيرِكَ لِدَوْلَتِهِ، وَبَلَغَتْ مِنْهَا أَقَاصِي مَصْلَحَتِهِ. وَإِنْ كَانَ سَيِّئَ الظَّنِّ، شَغَلَكَ عَنِ الْإِخْلَاصِ بِكَلْفِ الْخَلَاصِ، وَبِإِحْرَازِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ عَنِ النَّقْرِغِ الْكَثِيرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَإِنْ كَانَ الْبِشْرُ عَلَيْهِ غَالِبًا، كَانَ لِنَشَاطِكَ جَالِبًا، فَاجْعَلْ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ أُصُولًا، وَرَعْيِكَ لَهَا مَوْصُولًا، وَصَاحِبُهُ عَلَى خُلُقِهِ وَعَقْلِهِ، وَانْقُلْ مِنْهَا [بِالْتَّطْفُفِ]² مَا قَدَرْتَ عَلَى تَقْلِهِ. وَأَعْطِ صُورَةَ مَنْ تَخْدُمُهُ مَا يُنَافِسُ تَأْلِيفَهَا، وَيَرْفَعُ تَكْلِيفَهَا، وَأَنْفِقْ مَا يُنْفِقُ عِنْدَهَا، وَجَارِ أَخْلَاقَهُ، وَاجْتَنِبْ ضِدَّهَا، يَحْسُنْ أَنْزَكَ، وَيَعْظُمُ شَأْنُكَ، وَيَنْفُدُ لَكَ سُلْطَانُكَ.

- م: "قوافل" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي تغيير ما فضل من المال.¹
- أ: ساقط، والزيادة من ع، م²

الرُّكْنُ الْخَامِسُ: فِي سِيرَتِهِ مَعَ مَنْ يَتَطَلَّعُ لِهَضْبَتِهِ، وَيَحْسُدُهُ عَلَى رُتْبَتِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مَنْ حَلَّ مَحَلَّكَ مِنْ عُلُوِّ الْقَدْرِ، وَعِزَّةِ الْأَمْرِ، عَنْ قَرِينٍ يُعَانِدُهُ، أَوْ حَاسِدٍ يُكَابِدُهُ، أَوْ مُتَطَلِّعٍ يُمِثُّ إِلَى الْمَلِكِ بِقُرْبَى، أَوْ مُجِلٍّ¹ أَنْفَافٍ فِي اللَّطَافَةِ وَأَرْبَى، يَتَوَهَّمُ أَنَّ وَسِيلَتَهُ تُبْلِغُهُ مَا يُنْطَاوِلُ إِلَيْهِ مِنْ مَنَزَلَتِكَ، وَتُلْبِسُهُ لِبَاسَ تَجَلَّتِكَ، أَوْ ذِي هِمَّةٍ جَامِحَةٍ، وَلِأَعْنَانِ الشَّرَفِ طَامِحَةٍ، يَرَى أَنَّ حَظَّهُ مَنُحُوسًا، وَأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَكُونُ مَرْوُوسًا.

وَأَخْرَ رَاكَ فِيهَا مُفْتَرًّا فِيمَا آثَرَتْ فِيهِ رِضَى مَنْ حَكَمَ بِفَضْلِكَ، وَحَسَنَ الْإِبْقَاءَ فِي الْمَمْلَكَةِ بِعَدْلِكَ، وَاحْتَمَلَ الْمُدَافَعَةَ حُسْنُ مَوْقِعِكَ، وَجَلَالَةُ مَحَلِّكَ، فَظُنَّ تَرَخِيكَ لِإِخْلَالٍ فِي التَّدْبِيرِ، وَإِسَاءَةٍ فِي التَّقْدِيرِ، وَكُلُّهُمْ يَنْظُرُ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ أَصْغَرِ جَوَانِبِهِ، وَيَخْفَى عَلَيْهِ² أَكْثَرُ مِمَّا يُظْهَرُ مَذَاهِبُهُ، وَلُطْفُ الْمَحَلِّ، وَالتَّقَدُّمُ فِي [الْعِلْمِ]³ وَالْفَضْلِ، وَإِنْ كَانَ يُغَيِّرُ مَنْ حَلَّ مَحَلَّكَ، وَنَاهَضَ فَضْلَكَ، لَيْسَ مِنَ الْإِضْطِرَارِ أَنْ يَكُونَ لِمَنْزِلَتِهِ أَسْبَابًا، وَلَا لِطَلْبِهِ أَبْوَابًا.

وَالْحَقُّ أَنْ تُجَاهِدَهُ الْجَمَاعَةُ، وَتُقَمَّعَ مِنْهَا الطَّمَاعَةُ، بِالزِّيَادَةِ فِي فَضَائِلِكَ الدَّائِيَّةِ، وَالتَّحَرُّزِ مِنْ مُلَابَسَةِ الدَّنِيَّةِ، وَالْمُنَاصَحَةِ لِمَنْ خَصَّكَ بِالْمَرْيَةِ. وَلَا تَكْشِفْ فِي الْمَجَادَةِ وَجْهًا، وَلَا تُبْدِ فِيهِمْ غَيْبَةً وَلَا نُجْهًا، وَاحْسِرْ سُورَةَ حَسَدِهِمْ بِإِحْسَانِكَ، وَسَوِّغْهُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ وَجْهِكَ وَلِسَانِكَ، وَاصْطَنِعْ أَضْدَادَهُمْ مِمَّنْ ضَلَعَ عَلَيْهِمْ وَمَثَلُ لَدَيْهِمْ، تَحَرَّسْ مِنْهُمْ غَيْبِكَ، وَتَدَافِعْ غَيْبَكَ، وَتَجَلَّوْا رَبِّكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَسَّ مِنْكَ لِهَذَا الْغَرَضِ بِفَاقَةٍ، وَلَا يَشْعُرَ بِإِضَاقَةٍ، فَإِنَّكَ تَنْشُرُ مَعَايِبَهُمُ الْمَطْوِيَّةَ، وَتَرْمِيهِمْ مِنْ

- ع: "محل"، م: "يمحل" ¹

- ع: "أنه"، م: "عنه" ²

- أ: "المحل"، والمثبت من ع، م ³

أَشْكَالِهِمْ بِالْبَلِيَّةِ، ثُمَّ تَتَلَقَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَوَارِطَهُمْ بِحُسْنِ الْإِقَالَةِ، وَتَتَعَمَّدُ سَقَطَاتِهِمْ بِالْجَلَالَةِ، وَتَكْرُرُ بِكَرَمِ الْعَفْوِ عَلَى سَوَاتِيهِمْ السَّوَالِفِ، وَتُخْلِيهِمْ وَمَا بِقُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَسَائِفِ.

فَإِنَّ تَسَلُّطَ الْجَاهِلِ [عَلَى نَفْسِهِ]¹ فِيمَا قَصَرَ عَنْهُ مِنْ عَدْلٍ، أَوْ أَخْطَأَ نَيْلَهُ مِنْ فَضْلٍ، أَعَزُّ عَلَى حِرْبَائِهِ² مِنْ ظَفَرِ أَعْدَائِهِ، وَلَا تَرَكْنَ إِلَى مَنْ وَتَرْتُهُ، وَلَا إِلَى مَنْ حَرَكْتَ حَسَدَهُ وَأَثَرْتُهُ، وَخُذْ حَاشِيَتَكَ بِتَرْكِ التَّعَالِي، وَالتَّضَامُنِ لِذَوِي الشَّرَفِ الْعَالِي، وَالْإِقْصَارِ مِنَ الْمَدَامِعِ³ وَإِدَالَتِكَ فِي الْمَسَامِعِ. وَلِتَنْتَحِطَّ الْعَدْلُ فِي النَّاسِ إِلَى الْفَضْلِ، وَالْبِشْرَ إِلَى الْبَذْلِ، وَالْقَوْلَ الصَّالِحَ إِلَى الْفِعْلِ، وَاخْتَرِ مَنْ تَصُنِّعُهُ لِحَدَمَتِكَ، وَتُنْصِبُهُ مُظْهِراً لِنِعْمَتِكَ بِنِسْبَةِ مَا شَرِطَ فِي الْإِخْتِيَارِ فِي رُتْبَتِكَ⁴، فَإِنَّ إِحْسَانَ الصَّنِيعَةِ يَرُدُّ عَنْكَ سُوءَ الْقَالَةِ، وَقُبْحَ الْإِدَالَةِ، وَيَصُونُ عِرْضَكَ مِنَ الْإِدَالَةِ.

الرُّكْنُ السَّادِسُ: فِيمَا تُسَاسُ بِهِ الْخَاصَّةُ وَالْبَطَانَةُ، وَذَوُو الدَّالَّةِ وَالْمَكَانَةِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنَ الْخَاصَّةِ مُرَبِضاً لَشِدَائِدِ الدَّوْلَةِ وَمُهِمَّاتِهَا، وَمُتَّسِماً مِنَ أَلْقَابِ الْغِنَاءِ بِأَكْرَمِ سِمَاتِهَا؛ فَهُوَ يَرَى لِنَفْسِهِ الْيَدَ، وَالْيَوْمَ وَالْغَدَ، وَآخِرُ مُتَعَلِّقٍ بِقَرَابَةِ مِنَ الْمَلِكِ وَحَرَمِهِ، أَوْ وَكِيدُ مَيْلٍ وَذِمَّةٍ، وَلَبِستَ حُظُوظَهُمْ مِنَ الْمَلِكِ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ أَسْبَابِهِمْ، وَوَزْنِ مَا فِي حِسَابِهِمْ، فَإِنْ أَطَعْتَ فِيهِمُ الْمَلِكَ، ظَلَمْتَ الْمَمْلَكَةَ حَقَّهَا، وَإِنْ عَدَلْتَ⁵ خَالَفْتَ مُوَافَقَةَ الْمَلِكِ، وَبَايَنْتَ طُرُقَهَا. وَالصَّوَابُ التَّمَسُّكُ بِالنَّزْئِيبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَوَضْعُ النَّاسِ مِنَ الْمَمْلَكَةِ مَوْضِعَ الْإِسْتِحْقَاقِ، وَاسْتِعْمَالُ إِرْضَاءِ

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹

- ع: "حويابه"، م: "حرمانه"²

- م: "المطامع"³

- ع: "مرتبتك"⁴

- ع: "عادلته"⁵

الْمَلِكِ فِي تَفْضِيلِ مَنْ آثَرَهُ بِحُسْنِ الْعَطِيَّةِ، وَبَايَنَ بَيْنَ أَصْنَافِ الشُّفُوفِ، وَأَنْوَاعِ الْمَزِيَّةِ. وَاعْلَمْ أَنَّ مِثْلَ الْأَعْلَامِ إِلَى رِفْعَةِ الْمُنْزِلَةِ، أَعْظَمُ مِنْهَا إِلَى الصَّلَةِ، وَرَاعِ أَمْرَ الْجَمَاعَةِ فَتَمِّمْ مَا وَقَعَ بِالْمُسْتَحَقِّ مِنَ التَّقْصِيرِ، بِكَرَمِ الْمَوَاعِيدِ وَالْغَاءِ الْمَعَاذِيرِ، وَأَصْلِحْ قُلُوبَهُمْ لِلْمَلِكِ بِكُلِّ مَا يَتَكَفَّلُ بِجَبْرِ الْكَسِيرِ، وَاجْذِبْهَا إِلَى طَاعَتِهِ بِحُسْنِ أَوْصَافِكَ، وَصِحَّةِ رَأْيِكَ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَانْحَلِّهِ فَضَائِلَكَ مِنْ غَيْرِ شَوْبٍ بِالْمَنْ¹ وَلَا تَكْذِيرٍ، تَصِفُوا لَكَ سَرِيرَةَ صَدْرِهِ، وَيَأْتِمُنْكَ عَلَى جَمِيعِ أَمْرِهِ. وَاحْذَرِ انْصِبَابَ الْقَوْمِ عَلَيْكَ، وَاخْلَلْهَا بِمَرَكَزِهَا مِنْ دَارِهِ، وَانْصِرَافَهَا إِلَيْكَ، وَالتَّحَامَهَا بِكَ، وَتَمَسُّكَهَا [دُونَ الْمُلْكِ]² بِأَسْبَابِكَ، اعْتِمَادًا عَلَى نُصْرَةِ جَنَابِكَ، وَقِيَامِكَ بِأَمْرِهَا وَحُسْنِ مَنَابِكَ، وَخَفْ وَضْعَهَا إِيَّاكَ مِنْ قُلُوبِهَا وَعُيُونِهَا، وَكَافَّةِ شُؤْنِهَا؛ لَا يُؤْثِرُ الْمَلِكُ رِضَاهُ وَلَا يَحْمَدُ مُقْتَضَاهُ، فَرِيًّا زَرَعَ لَكَ فِي قَلْبِهِ سُوءَ الطَّوِيَّةِ، وَأَثْبَتَ لَكَ الْحَقْدَ وَخُبَّتِ النِّيَّةُ، وَخَبَأَ لَكَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ أَعْظَمَ الْبَلِيَّةِ. وَلْتُمْكِّنِ النَّفُوسَ أَنَّ رِضَاكَ بِرِضَاهُ مَعْفُودٌ، وَأَنَّكَ لَا تَعْمَلُ إِلَّا مَا رَأَى، وَلَا تُؤْثِرُ إِلَّا مَا ارْتَضَاهُ، وَأَنَّ لَكَ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ مَحْمُودَةٌ، وَدَرَجَةٌ مَعْدُودَةٌ³، مَنْ زَادَكَ عَلَيْهَا ظَلَمَكَ، وَجَلَبَ أَلَمَكَ، وَأَنَّ فِي قَبُولِكَ لَهَا وَإِيثَارِكَ، مَا يُزِيْرِي عَلَى فَضْلِ اخْتِيَارِكَ. وَعَامِلِ الْمَلِكَ فِي وَلَدِهِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ، وَالسَّلَامَةِ مِنَ الرَّيْبِ، وَاحْفَظْ لَهُ الرَّسْمَ وَاسْتَبْقِهِ، وَاجْعَلْ حَقَّهُمْ دُونَ حَقِّهِ. وَإِذَا دَعَوْتَ لَهُمْ فَاشْرُطِ السَّعَادَةَ بِخِدْمَتِهِ وَطَاعَتِهِ. وَاجْعَلْ رِضَاهُ مِنَ الْوَلَدِ رَأْسَ بِضَاعَتِهِ، وَاحْذَرِ مِنْ إِهْمَالِ هَذَا الْغَرَضِ⁴ وَإِضَاعَتِهِ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَفْضَلَ وَلَدُكَ وَلَدَهُ، وَلَا عُدَّتَكَ عُدَدَهُ، وَلَا تُتَافِسَهُ⁵ فِي شَيْءٍ قَصَدَهُ، وَلَا تُظْهِرْ حَاشِيَتَكَ عَلَى حَاشِيَتِهِ، وَلَا

- م: "الباطن" وهو تحريف.¹

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م²

- أ، ق، م: "معقودة" والمثبت من ع؛ أي درجة يعتد بها.³

- أ، ق، م: "العرض" والمثبت من ع.⁴

- م: "تناقشه" ولعل الصواب ما أثبت.⁵

تَنْشَبَهُ غَاشِيَتُكَ بِغَاشِيَتِهِ، وَلَا تُتَارِعُهُ تَجَلَّتُهُ، وَلَا تُعَمِّرُ¹ مَنْزِلَتَهُ، وَلَا تَحُلَّ مَحَلَّهُ مِنْ جَيْشِهِ، وَلَا تُغِرَّ عَلَيْهِ فِي نَبَاهَةِ بَنَائِهِ، وَفَضْلِ عَيْشِهِ، وَتَفَقُّدِ نَفْسِكَ، فَاَنْزِلْ عَنِ الرُّقِيِّ اخْتِيَارًا قَبْلَ أَنْ يُنْزَلَكَ اضْطِرَارًا.

فصل: وَإِذَا انْصَرَفْتَ إِلَيْكَ مِنْ إِحْدَى حُرْمِهِ رَغْبَةً، أَوْ تَأَكَّدْتَ فِي مُهِمِّ قُرْبَةٍ، أَوْ بَدَرْتَ إِلَيْكَ شَفَاعَةً، أَوْ تَوَجَّهْتَ فِي حَاجَةٍ طَاعَةً، فَلَا تَسْمَعْ رِسَالَتَهَا، وَلَا تَعْتَبِرْ مَقَالَتَهَا، إِلَّا مِنْ [لِسَانِ]² إِنْسَانٍ مَوْصُوفٍ عِنْدَ الْمَلِكِ بِإِحْسَانٍ، حَالٌّ مِنْ ثِقَتِهِ بِمَكَانٍ، وَاحْتِرَازٍ فِي مُحَاوَرَتِهَا مِنْ فَلَتَاتِ اللِّسَانِ وَهَفَوَاتِهِ، وَرَاجِعٍ خِطَابَهَا مُرَاجَعَةَ الْأَخِ إِلَى أَكْرَمِ أَخَوَاتِهِ، أَوْ الْإِبْنِ الْأَبْرَّ أُمَمَاتِهِ. وَلَا تُصْنَعْ فِي مُخَاطَبَتِهَا إِلَى خُضُوعِ كَلَامٍ، وَرِقَّةِ تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ، وَانْفِرْ مِنْ ذَلِكَ نَفَرَتِكَ مِنَ السُّمُومِ الْوَحِيَّةِ وَالْمَهَالِكِ الرَّدِيَّةِ، وَأَسْدِلْ دُونَ الْوَلَدِ وَالْحَرَمِ جَنَاحَ التَّقِيَّةِ، وَاكْتُمْ سِرَّهُ عَنْ أَبْنَاءِ جَنْسِكَ لَا بَلَّ عَنْ نَفْسِكَ، وَاجْعَلْ قَلْبَكَ لَهُ قَبْرًا، وَأَوْسِعْهُ صِيَانَةً³ وَصَبْرًا.

فَإِنْ تَرَاحَمَ عَلَيْكَ تَرَاحُمًا تَخَافُ عَلَيْهِ مَعَرَّةَ النَّسِيَانِ، وَإِغْفَالِ ذِكْرِهَا عَلَى الْأَحْيَانِ، فَاتَّخِذْ لَهَا رَمَزًا يُفَرِّدُكَ بِعِلْمِهَا، وَلَا تُبَحِّ لِسَوَاكَ شَيْئًا مِنْ حُكْمِهَا، وَلَا تُغْفِلْ مَعَ الْأَحْيَانِ مَا جَرَى بِهِ رَسْمُكَ مِنْ عَرْضِ كِتَابٍ وَارِدٍ، أَوْ خَبَرٍ وَافِدٍ، أَوْ بَرِيدٍ قَاصِدٍ، وَاسْتَأْمِرْهُ فِيمَا جَرَتْ بِهِ الْعَوَائِدُ، وَإِنْ خُصَّتْ لَدَيْهِ مَنْزِلَتُكَ، وَلَطُفَتْ مِنْهُ مَحَلَّتُكَ، فَلَا تَتْرُكْ أَنْ يَمُرَّ ذَلِكَ عَلَى سَمْعِهِ، مُعْتَمًا⁴ لَوْعِيهِ، وَأَذِفْهُ حَلَاوَةَ الْإِسْتِبْدَادِ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَاتْرُكْ لَهُ مَنْفَذًا [يَحْتَاجُ لَهُ]⁵ بَابُهُ عِنْدَ مَغْيِبِكَ، كَمَا تُحِبُّهُ الْعَدْلَ مِنْ نَصِيْبِكَ. وَلَا زِمَ سَدَّتَهُ مَعَ الْأَحْيَانِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْتَمِعَ مَعَهُ عَلَى فَرَاغٍ، فَيَبْقَى الْمُلْكُ مُضِيْعًا بِمِقْدَارِ ذَلِكَ الزَّمَانِ.

- م: "تفخر" وهو تحريف.¹

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م²

- ع: "متانة"³

- ع: "مغثما"، م: "معنتيا"⁴

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م⁵

وَإِذَا انصَرَفْتَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ، فَاخْلُ بِعَمَلِكَ وَكُتَابِكَ، وَذَوِي الرَّأْيِ وَالنَّصِيحَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ، عَلَى أَحْكَامِ حَالِ الْمَلِكِ الَّذِي نَاطَهَا بِكَ، فَإِذَا أَمْسَيْتَ فَاشْغَلْ طَائِفَةً مِنْ لَيْلِكَ بِمُدَارَسَةِ شَيْءٍ مِنْ حُكْمِ الدِّينِ، وَأَخْبَارِ الْفُضَلَاءِ الْمُهْتَدِينَ، وَاجْلُ صَدًّا نَفْسِكَ بِالْبَرَاهِينِ، وَمُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاخْتِمِ سَعْيَكَ بِبَعْضِ صُحُفِ النَّبِيِّينَ، وَأَدْعِيَةِ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُتَأَلِّهِينَ؛ لِتَخْتِمَ يَوْمَكَ بِالطَّهَارَةِ وَالْعِفَّةِ، وَالْحِلْمِ وَالرَّأْفَةِ، وَاعْتِدَالِ الْكَفَّةِ. وَلْتُهَوِّنْ عَلَيْكَ النَّصَبَ وَالْوَصَبَ، وَالْعُمُرَ الْمُغْتَصَبَ، إِنَّكَ مُهْتَدٍ بِهِدْيِ رَبِّكَ الَّذِي يَرْعَاكَ، وَيُنْجِحُ مَسْعَاكَ، وَيُشِيْبُكَ عَلَى مَا إِلَيْهِ دَعَاكَ.

قَالَ: فَلَمَّا اسْتَوْفَى النِّمْرُ مَقَالَهُ، وَأَحْرَزَ الشُّبْلُ سُوْأَلَهُ، وَقَرَّرَ حَالَهُ، انصَرَفَ مُتَّجِهاً إِلَى خِدْمَتِهِ، وَصَرَفَ النِّمْرُ إِلَى الْعِبَادَةِ وَجْهَ هِمَّتِهِ، ثُمَّ لَحِقَ بَعْدَ ذَلِكَ بِجَوَارِ رَبِّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَقَيَّدَ الْحَاكِي مَا أَفَادَتْهُ هَذِهِ الْمُحَاوَرَةُ، لِتُلْفَى رَسْمًا يُقْتَنَى، وَعِلْمًا بِهِ يُهْتَدَى إِذَا ذَهَبَ الْأَثَرُ وَعَفَا. وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي مُفَاخَرَةٍ بَيْنَ مَائِقَةٍ وَسَلَا مَا نَصُّهُ

سَأَلْتَنِي -عَرَفَكَ اللهُ عَوَارِفَ السَّعْدِ الْمُقِيمِ، وَحَمَلَنِي وَإِيَّاكَ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ- الْمُفَاضَلَةَ

بَيْنَ مَدِينَتَيْ مَائِقَةٍ وَسَلَا، -صَانَ اللهُ مَنْ بِهِمَا مِنَ النَّسَمِ، وَحَبَاهُمَا مِنْ فَضْلِهِ بِأَوْفَرِ الْقِسَمِ- بَعْدَ أَنْ

رَضِيتَ بِحُكْمِي قَاضِيًا، وَبِفَضْلِي الْخُطَّةَ سَيْفًا مَاضِيًا، لِاخْتِصَاصِي بِسُكْنَى الْبَلَدَيْنِ، وَتَرْكِي فِيهِمَا

الْأَثَرُ لِلْعَيْنِ. عَلَى أَنَّ التَّفْضِيلَ إِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ مَا تَشَابَهَ وَتَقَارَبَ، أَوْ تَشَاكَلَ وَتَنَاسَبَ، وَإِلَّا فَمَتَى يَقَعُ

التَّفْضِيلُ بَيْنَ النَّاسِ وَالنَّسَنَاسِ⁽¹⁾، وَالْمَلَكِ وَالْخَنَاسِ، وَقِرْدِ الْجِبَالِ وَظَبْيِ الْكِنَاسِ.

مَائِقَةُ، أَرْفَعُ قَدْرًا، وَأَشْهَرُ ذِكْرًا، وَأَجَلُ شَأْنًا [وَأَعَزُّ مَكَانًا]² وَأَكْرَمُ نَاسًا، وَأَبْعَدُ التَّمَاسَا، مِنْ أَنْ

تُقَاخَرَ أَوْ تُطَاوَلَ، أَوْ تُعَارَضَ أَوْ تُصَاوَلَ، أَوْ تُرَاجَعَ أَوْ تُعَادَلَ. وَلَكِنِّي سَأَنْتَهِي إِلَى غَرَضِكَ، وَأُبَيِّنُ

رُبْعَ مُفْتَرَضِكَ، وَأُبَيِّنُ جَوْهَرَكَ وَعَرَضَكَ. فَنَقُولُ: الْأُمُورُ الَّتِي تَتَفَاضَلُ بِهَا الْبُلْدَانُ، وَتَتَقَاخَرُ مِنْهَا بِهِ

الْإِخْوَانُ، وَتَعْرِفُهُ حَتَّى الْوَلَادُ وَالْوِلْدَانُ؛ هِيَ الْمَنَعَةُ وَالصَّنْعَةُ، وَالْبُقْعَةُ وَالشَّنْعَةُ، وَالْمَسَاكِينُ

وَالْحَضَارَةُ، وَالْعِمَارَةُ وَالْإِثَارَةُ وَالنُّضَارَةُ.

فَأَمَّا الْمَنَعَةُ، فَلِمَائِقَةُ -حَرَسَهَا اللهُ- فَضْلُ الْإِرْتِفَاعِ، وَمَزِيَّةُ الْإِمْتِنَاعِ. أَمَّا قَصَبَتُهَا فَافْتَعَدَتْ

الْجَبَلَ كُرْسِيًّا، وَرَفَعَهَا اللهُ مَكَانًا عَلِيًّا³، بَعْدَ أَنْ ضَوْعِفَتْ أَسْوَارُهَا وَأَقْوَارُهَا، وَسَمَا بِسَنَامِ الْجَبَلِ

الْمُبَارَكِ مَنَارُهَا، وَقَرُبَتْ أَبْرَاجُهَا، وَصُوعِدَتْ أَدْرَاجُهَا، وَحُصِّنَتْ أَبْوَابُهَا، وَحَسُنَ جَنَابُهَا، وَدَارَ بِبِلَادِهَا

السُّورُ الْجَسُورُ، وَالْخَنْدَقُ الْمَحْفُورُ، فَقَلْهَرَاتُهَا⁴ مَدَائِنُ بَدَائِهَا، وَأَبْوَابُهَا الْمَعْشَاةُ بِالصَّفَائِحِ شَاهِدَةٌ

¹ - "النَّسَنَاسُ وَالنَّسَنَاسُ: فِيمَا يُقَالُ دَابَّةٌ فِي عِدَادِ الْوَحْشِ تَصَادُ وَتُؤْكَلُ وَهِيَ عَلَى شَكْلِ الْإِنْسَانِ بَعِينَ وَاحِدَةً وَرَجُلٌ وَيدُ تَتَكَلَّمُ مِثْلَ الْإِنْسَانِ" لِسَانُ الْعَرَبِ / نَسَسَ، 14 / 245

- أ: سَاقَطَ، وَالزِّيَادَةُ مِنْ ع، م²

- قَالَ تَعَالَى: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} سُورَةُ مَرْيَمَ، الْآيَتَانِ 56-57³

- الْقَلْهَرَاتُ جَمْعُ قَلْهَرَةٍ بِمَعْنَى الْقَلْعَةِ وَالْحَصَنِ.⁴

بِمَهَارَةٍ بُنَاتِهَا، وَهَمَمَ أُمَرَائُهَا وَوَلَاتِهَا؛ كَانَتْهَا¹ الصَّبَاحَ سِرْبَالًا، أَوْ غَاصَتْ فِي نَهْرِ الْفَلَقِ
بِهَاءً وَجَمَالًا، أَمِنَتْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ النَّقِيَّةِ، وَأَدَارَ بِهَا مِنْ جِهَةِ الْبَرِّ الْحَفِيرِ وَالسَّلُوقِيَّةِ²، لَا تَجِدُ
الْعَيْنُ بِهَا عَوْرَةً تُتَقَّى، وَلَا تَلْمَأُ مِنْهُ يُرْتَقَى، إِلَى الرَّيْضَيْنِ، اللَّذَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَدِينَةٌ حَافِلَةٌ،
[وَعَقِيلَةٌ فِي حُلَى الْمَحَاسِنِ رَافِلَةٌ]³.

وَسَلَا، كَمَا عَلِمْتَ، سُورٌ حَقِيرٌ، وَقَوْرٌ⁴ إِلَى التَّجِيدِ وَالنَّسِيدِ فَقِيرٌ، أَطَامَ خَامِلَةً وَلِلرُّومِ أَمَلَةٌ،
وَقَصَبَتْهَا بِالْبَلَدِ مُتَّصِلَةً. سُورُهَا مُفَرَّدٌ لَا سَلُوقِيَّةَ تَقِيهِ⁵، وَبَابُهَا مُقَصَّدٌ لَا سَاتِرَ يَحْمِيهِ، وَالْمَاءُ بِهَا
مَعْدُومٌ، وَلَيْسَ لَهُ جُبٌّ مَعْلُومٌ، وَلَا يَنْزُ بِالْعُدُوبَةِ مَوْسُومٌ. وَفِي عَهْدٍ قَرِيبٍ اسْتَبَاحَتْهَا الرُّومُ فِي الْيَوْمِ
الشَّامِسِ، وَلَمْ تَرُدَّ يَدَ لَامِسٍ، مِنْ غَيْرِ مَنْجَنِيْقٍ نُصِبَ، وَلَا تَاجٍ مُلْكٍ عَلَيْهِ عُصْبٌ، قِلَّةُ سِلَاحٍ وَعَدَمُ
فَلَاحٍ، وَخُمُولٌ سُورٍ، وَاخْتِلَالٌ أُمُورٍ.

وَقَدْ سَقَطَتْ دَعْوَى الْمَنَعَةِ، فَلُنَزَجَ إِلَى قِسْمٍ⁶ الصَّنْعَةِ فَنَقُولُ: مَالِقَةٌ - حَرَسَهَا اللَّهُ - طِرَازُ الدِّيَابِجِ
الْمُذَهَّبِ، وَمَعْدِنُ صَنَائِعِ الْجِلْدِ الْمُنتَخَبِ، وَمَذْهَبُ الْفَخَّارِ الْمَجْلُوبِ مِنْهَا إِلَى الْأَقْطَارِ، وَمَقْصِرُ
الْمَتَاعِ الْمَشْدُودِ، وَمَضْرِبُ الدَّسْتِ⁷ الْمَضْرُوبِ، وَصَنَعَاءُ صَنَائِعِ الثِّيَابِ، وَمَحَجُّ الثُّجَارِ إِلَى الْإِيَابِ
لِإِفْعَامِ⁸ الْعُبَابِ، بِشَهَادَةِ الْحِسِّ، وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلَا يُنْكَرُ طُلُوعُ الشَّمْسِ.
وَأَيُّ صِنَاعَةٍ فِي سَلَا، يُقْصَدُ إِلَيْهَا وَيُعَوَّلُ عَلَيْهَا، أَوْ يُطَرَفُ⁹ بِهَا قُطْرٌ بَعِيدٌ أَوْ يُتَجَمَّلُ بِهَا فِي عِيدٍ.

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹

- "ويقال: سلوق مدينة الآن تنسب إليها الكلاب السلوقية" لسان العرب / سلق، 237 / 7²

- ع: ساقط³

- م: "ثور" وهو تحريف. "القور هي أصاغر الجبال" أساس البلاغة / قور، 108 / 2⁴

- م: "نقية" ولعل الصواب ما أثبت؛ تشكيلا للسجع.⁵

- م: "قيم"⁶

- "الدست من الثياب ما يلبسه الإنسان ويكفيه لتردده في حوائجه والجمع دسوت" المصباح المنير / دست، ص 74⁷

- "فَعَمَهُ يَفْعُمُهُ وَأَفْعَمَهُ: مَلَأَهُ وَبَالِغٌ فِي مَلْنِهِ" لسان العرب / فعم، 202 / 11⁸

- "طَرَفَهُ إِذَا أَخَذَ بِأَطْرَافِهِ" أساس البلاغة / طرف، 601 / 1⁹

وَمُنْذُ سَقَطَتْ مَزِيَّةُ الصَّنْعَةِ، فَلَنَرْجِعَ إِلَى مَزِيَّةِ الْبُقْعَةِ فَنَقُولُ: خَصَّ اللَّهُ مَالِقَةَ بِمَا افْتَرَقَ فِي سِوَاهَا،
وَنَشَرَ بِهَا الْمَحَاسِنَ الَّتِي طَوَّاهَا، إِذْ جَمَعَتْ بَيْنَ دَمَثِ الرَّمَالِ، وَخِصْبِ الْجِبَالِ، وَقَارَةَ¹ الْفَلَاحَةِ
الْمَخْصُوصَةِ بِالْإِعْتِدَالِ، وَالْبَحْرِ الْعَدِيمِ² الصُّدَاعِ، الْمَيْسَرَةِ مَرَاسِيهِ لِلْحَطِّ وَالْإِقْلَاعِ، وَالصَّيْدِ الْعَمِيمِ
الْإِنْتِفَاعِ. جِبَالُهَا لُوزٌ وَتِينٌ، وَسَهْلُهَا فُصُورٌ وَبَسَاتِينٌ، وَبَحْرُهَا حَيْتَانٌ مَرْتَرِفَةٌ فِي كُلِّ حِينٍ³،
وَمَزَارِعُهَا الْمُغَلَّةُ عِنْدَ اسْتِدَادِ⁴ السَّنِينَ، وَكَفَى بِفَحْصِ قَامَرَةٍ⁵ صَادِعٍ بِالْبُرْهَانِ الْمُبِينِ. وَوَادِيهَا الْكَبِيرُ
عَذْبٌ فُرَاتٌ، وَأَدْوَاخٌ مُثْمِرَاتٌ، وَمِيدَانٌ ارْتِكَاضٍ بَيْنَ بَحْرِ وَرِيَاضٍ.
وَسَلَا، بَلَدُ الرَّجَالِ، وَمَرَاعِي الْجَمَالِ، بَطِيحَةٌ لَا تُحِبُّ السَّنَابِلَ، وَإِنْ عَرَفْتَ الْمَطَرَ الْوَابِلَ، جَرَدُ⁶
الْخَارِجِ، وَبَحْرُهَا مَكْفُوفٌ بِالْعَتَبِ⁷ وَالْمَدَارِجِ، وَوَادِيهَا مِلْحُ الْمَذَاقِ، مُسْتَمِدٌّ مِنَ الْأَجَاكِ الرَّعَاقِ⁸،
قَاطِعٌ بِالرِّفَاقِ مِنَ الْآفَاقِ، إِلَى بُعْدِ الْإِنْفَاقِ، وَتَوَقَّعِ الْإِغْرَاقِ. وَشَابِلُهَا مَقْصُورٌ عَلَى فَصْلٍ، وَكَمْ
الشَّوْكَةُ مِنْ شَبَا نَصْلٍ، عَدِيمَةُ الْفَاكِهَةِ وَالْمُنْتَزَهَاتِ النَّابِهَةِ.
وَإِذْ بَانَ فَضْلُ الْبُقْعَةِ⁹ فَلَنُلْهِمَ بِذِكْرِ الشَّنْعَةِ، وَهُوَ مِمَّا يُحْتَمَلُ فِيهِ النَّزَاعُ، وَلَا تُعْطَى الْأَبْصَارُ وَتُطْمَسُ
الْأَسْمَاعُ؛ إِذْ مَالِقَةُ دَارُ مُلْكٍ فِي الرُّومِ، وَمَثْوَى الْمَصَاعِبِ وَالْفُرُومِ¹⁰، تَشْهَدُ بِذَلِكَ كُتُبُ الْفَتْحِ
الْمَعْلُومِ، وَذَاتُ مُلْكٍ فِي الْإِسْلَامِ عَدِيدِ الْجُيُوشِ، خَافِقِ الْأَعْلَامِ، غَنِيٍّ بِالشَّهْرَةِ عَنِ الْإِعْلَامِ، سَكَنَهَا
مُلُوكُ الْأَدَارِسَةِ الْكَرَامِ، وَالصَّنَاهِجَةِ الْأَعْلَامِ، ثُمَّ بَنُو نَصْرِ؛ أَنْصَارُ الْإِسْلَامِ، وَجِيشُهَا الْيَوْمَ مَشْهُورُ

- ع: "قاصرة" وهو تحريف.¹

- م: "القديم" ولعل الصواب ما أثبت؛ فهو بحر ينعدم فيه الصداق ولا تجد إلا ما ينفع.²

- ع: "وقت وحين" وكلاهما صحيح.³

- أ، ق، م: "استداد" والمثبت من ق، ولعله الصواب؛ أي مزارعها حافلة بالخير عند وقوع الجفاف.⁴

- م: "قافره"⁵

- "ونزلنا في جَرْدٍ في فضاء بلا نبات، وهي تسمية بالمصدر" أساس البلاغة / جرد، 1/ 131⁶

- م: "القتب" ولعل الصواب ما أثبت، واحدها العتبه.⁷

- أ، ق، م: "الزلاق" والمثبت من ع. "ماء زقاق: ملح غليظ لا يطاق شربه" أساس البلاغة / زقق، 1/ 414⁸

- م: "النفعة" وهو تحريف.⁹

- "هو قَرَمٌ من القُروم ومُقَرَّم سيد" أساس البلاغة / قرم، 2/ 72¹⁰

الإقدام، مُتَعَدِّدُ الْمَبْنِيِّ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ. وَتَجَارُهَا تَعَقُّدُ لَوَاءٍ خَافِقًا، وَتَقْيِمُ لِلْجِهَادِ سُوقًا نَافِقًا، وَتُرْكُضُ الْخُيُولَ السَّابِحَةَ¹، وَتُعَامِلُ اللَّهَ عَلَى الصَّفَقَةِ الرَّابِحَةِ، وَكَفَاهَا أَنَّهَا أُمٌّ لِلْعِدَّةِ مِنَ التُّغُورِ وَالْحُصُونِ، وَالْمُدُنِ ذَاتِ الْحِمَى الْمَصُونِ، وَشَجَرَةِ الْفُرُوعِ الْكَثِيرَةِ وَالْعُصُونِ، وَمَا مِنْهَا إِلَّا مَعْقِلٌ سَامٍ، وَبَلَدٌ بِالْخَيْلِ وَالرَّجُلِ مُتَرَامٍ، وَغَيْلٌ² حَامٍ، يَحْتَوِي بِهَا مَلِكٌ بَادِخٌ، وَيُسَقِّ فِيهَا لِلسُّلْطَانِ فَخْرٌ بَادِخٌ.

وَأَيْنَ سَلَا مِنْ هَذِهِ الْمَزِيَّةِ، وَالشَّنْعَةِ الْعَلِيَّةِ؟ أَيْنَ الْجُنُودُ وَالْبُنُودُ، وَالْحُصُونُ تَزُورُ مِنْهَا الْوُفُودُ؟ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْمُلُوكِ اتَّخَذَهَا دَارًا، وَاسْتَنْطَانَهَا مِنْ أَجْلِ الْأَنْدَلُسِ قَرَارًا؛ فَلَقَدْ هَمَّ وَمَا أَتَمَّ، وَطَلَبَهُ تَمَّ، وَنُقِلَ فِي الْحَضَارَةِ بِمُقْتَضَى الشَّوَاهِدِ الْمُخْتَارَةِ، وَلَا كَالْحُلِيِّ وَالطَّيِّبِ، وَالْحُلَلِ الدِّيَابِجِيَّةِ وَالْجَلَالِيَّةِ، وَالْبَسَاتِينِ ذَاتِ الْمَرَايِ الْعَجِيبِ، وَالْقُصُورِ الْمُبْتَنَاءَةِ بِسُفُوحِ الْجِبَالِ، وَالْجَنَّاتِ الْوَارِفَةِ الظَّلَالِ، وَالْبَرَكِ النَّاطِقَةِ بِالْعَذْبِ الزَّلَالِ، وَالْمَلَابِسِ الْمُخْتَالَةِ فِي أَفْنَانِ الْجِبَالِ³، وَالْأَعْرَاسِ الدَّالَّةِ عَلَى سَعَةِ الْأَحْوَالِ، وَالشُّورَاتِ⁴ الْمُقَدَّرَةِ بِالْآلَافِ مِنَ الْأَمْوَالِ.

وَأَمَّا سَلَا، فَأَحْوَالٌ رَقِيقَةٌ، وَثِيَابٌ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ خَلِيقَةٌ، وَذِمَمٌ مُنْحَطَّةٌ فَقِيرَةٌ، [وَنَفَقَاتٌ تَحْصُرُهَا مِنَ التَّقْتِيرِ خُطَّةٌ وَمَسَاجِدُ فَقِيرَةٌ]⁵ وَقِيسَارِيَّةٌ حَقِيرَةٌ، وَزِيٌّ مَجْلُوبٌ، وَحُلِيٌّ غَيْرُ مَعْرُوفٍ وَلَا مَنُوبٌ، تَمَلُّ مَسْجِدَهَا الْفَدَّ الْعَدَدُ الْإِكْسِيَّةُ، وَتَعْدُمُ فِيهَا أَوْ تَقِلُّ الطِّيَالِسُ⁶ وَالْأَرْدِيَّةُ، وَتَنْدُرُ النَّعَالُ، وَتَشْهَدُ⁷ بِالسَّجِيَّةِ الْبَرَبَرِيَّةِ الْأَصْوَاتُ وَاللُّغَاتُ وَالْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ. وَأَمَّا الْعِمَارَةُ فَأَيْنَ يَذْهَبُ رَائِدُهَا، وَعَلَامٌ يُعَوِّلُ شَاهِدُهَا، وَمَا دَارَ عَلَيْهِ السُّورُ مُتَرَكَبٌ مُتَرَكَبٌ،

م: "السانحة" ولعل الصواب ما أثبت؛ "فرس سابح وسبوح، وخيل سوايح وسُيْح" أساس البلاغة / سبوح، 433 / 1

أ، ق، م: "غيد" والمثبت من ع، ولعله الصواب؛ "الغيل الشجر الكثير الملتف" لسان العرب / غيل، 111 / 11

م: "الجمال" ولعل الصواب ما أثبت؛ كناية عن سعة عمران أملكها وعدم فراغها.

"الشارة و الشورة الحسن والهيئة واللباس" لسان العرب / شور، 159 / 8

أ، م: ساقط، والزيادة من ع

ع: "الطياليس" جمع طيلسان "وهو من لباس العجم" المصباح المنير / طلس، ص 142

ع: "الحبشية"

مُنْسَحِبَةً مَبَانِيهِ كَمَا تَفْعُلُ الْعَنَّاكِبُ، بَنَادِيْقُهُ¹ كَثِيرَةٌ، وَمَسَاجِدُهُ أَثِيرَةٌ، وَأَرْيَاضُهُ حَافِلَةٌ، وَفِي حُلِّ الدَّوْحِ رَافِلَةٌ، وَسِكَكُهُ غَاصَّةٌ، وَأَسْوَاقُهُ بِالدَّكَاكِينِ مُتْرَاصَّةٌ. أَقْسِمُ لَرَبِّضٍ مِنْ أَرْيَاضِهَا، أَعْمَرُ مِنْ مَدِينَةِ سَلَا، وَأَبْعُدُ عَنْ وُجُودِ الْخَلَا، وَأَمْلَى مَهْمَا ذُكِرَ الْمَلَا. بَلَدٌ مُنْحَرِقٌ² مُنْقَطِعٌ مُفْتَرِقٌ، ثُلُثُهُ مَقْبَرَةٌ خَالِيَةٌ، وَثُلُثُهُ خُرْبٌ بِأَلِيَّةٍ، وَبَعْضُهُ أَخْصَاصٌ وَأَقْفَاصٌ، وَمَعَاظِنُ وَقِلَاصٌ، وَأَوَارِي بِقَرٍ تُحْلَبُ، وَمَعَاظِنُ سَائِمَةٌ تُجَلَبُ.

وَأَمَّا الْإِمَارَةُ فَلِمَالِقَةُ الْقِدْحِ الْمُعْلَى وَالتَّاجِ الْمُحَلَّى، وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ بِالْفَضْلِ أَوْلَى؛ حَيْثُ مَنَاهِلُ الْمُخْتَصِّ، وَالْخَارِجُ الْأَفِيحُ الْفَحْصِ³. وَسَلَا لَا تَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَرَاةٍ⁴ جَالِبٍ، لَا مِنْ فِلَاحَةٍ⁵ كَاسِبٍ.

وَمَالِقَةُ مُجْتَرِيَّةٌ بِنَفْسِهَا فِي الْغَالِبِ، مُحْسَبَةٌ مِنْ شَرْقِيَّهَا وَعَرْبِيَّهَا بِطَلَبِ الطَّالِبِ. وَأَمَّا النَّضَارَةُ، فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَدِينَةٌ أخطرُ مِنْهَا جَنَابًا، وَلَا أَعَزُّ مِنْهَا غُرُوسًا وَأَعْنَابًا، وَلَا أَرْجُ أَزْهَارًا، وَلَا أَضْوَأُ أَنْهَارًا، لَمْ تَكْذِبْ دَعْوَاهُ، وَلَا أَرَى بِهِ هَوَاهُ؛ إِنَّمَا هِيَ كُلُّهَا رَوْضٌ، وَجَابِيَةٌ وَحَوْضٌ، بَسَاتِينٌ قَدْ رَمَتْهَا⁶ الْأَنْهَارُ، وَتَرَنَّمَتْ لِيْهَا الْأَطْيَارُ.

وَسَلَا بَلَدٌ عَدِيمُ الظَّلَالِ، أَجْرَدُ التَّلَالِ، إِذَا ذَهَبَ زَمَنُ الرَّبِيعِ، وَالْخِصْبِ الْمَرِيعِ، صَارَ هَشِيمًا⁷ وَأَضْحَى مَاؤُهَا حَمِيمًا، وَانْقَلَبَ الْفُصْلُ عَذَابًا أَلِيمًا.

- م: "فناديقه" ¹

- ع: "منحرق"، م: "منحرق" ²

- "الفحص ما استوى من الأرض والجمع فحوص" لسان العرب / فحص، 11 / 135 ³

- "وَعَرَّ الشَّخْصَ يَغَرُّ غَرَارَةً بِالْفَتْحِ فَهُوَ غَارٌ وَغَرَّ بِالْكَسْرِ أَيُّ جَاهِلٌ بِالْأُمُورِ غَافِلٌ عَنْهَا" المصباح المنير / غرر، ص 169 ⁴

- ع: "ملاحة" ولعل الصواب ما أثبت. ⁵

- ع: "قمتها"، م: "رقتها" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي سقتها الأنهار. ⁶

- ع: ساقط ⁷

أَمَّا الْمَسَاكِينُ فَحَسْبُكَ مَا بِمَالِقَةَ مِنْ قُصُورٍ بَيْضٍ، وَمُلْكٍ طَوِيلٍ عَرِيضٍ، جَنَّةُ السَّيِّدِ، وَمَا أَدْرَاكَ
بِهَا مِنْ جَنَّةٍ دَانِيَةِ الْفُطُوفِ، سَامِيَةِ السُّفُوفِ، ظَاهِرَةِ الْمَزِيَّةِ وَالشُّفُوفِ، إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا يَشِدُّ عَنِ
الْحَصْرِ إِلَى هَذَا الْعَصْرِ، وَالْجَنَّاتِ الَّتِي مَلَأَتِ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، وَتَجَاوَزَتِ الْأَمَلَ، بِحَيْثُ لَا أَسَدَ
يَمْنَعُ مِنَ الْإِصْحَارِ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ¹، وَلَا لَصَّ يُسْجَنُ² بِسَبَبِهِ فِي الدِّيَارِ.
وَأَمَّا سَلَا، وَإِنْ كَانَ بِهَا لِلْمَلِكِ دُورٌ وَقُصُورٌ، وَلِأَهْلِ الْخِدْمَةِ بِنَاءٌ مَشْهُورٌ³، فَهُوَ قَلِيلٌ، وَلَيْسَ
لِلْجُمْهُورِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ.

وَأَمَّا السَّاكِنُ [بِمَالِقَةَ]⁴ بَيْنَ رَاضٍ قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَمُنْتَقِلٍ مِنْ جَنَاتِهَا إِلَى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ. فَأَكْبَرُ
بِهِ أَنْ يُفَاضَلَ، أَوْ يُجَادَلَ فِيهِ أَوْ يُنَاضَلَ، وَلَا شَاهِدَ كَالصَّلَاتِ الْبَاقِيَةِ الْمُكْتَتَبَةِ، وَالتَّوَارِيخِ الْمُقَرَّرَةِ
الْمُرْتَبَةِ. فَاسْتَشْهَدْ مَغْرِبَ الْبَيَانِ، وَتَارِيخَ ابْنِ حَيَّانَ، وَتَارِيخَ الزَّمَانِ، وَكِتَابَ ابْنِ الْفَرَضِيِّ وَابْنَ
بَشْكَوَالٍ، وَصِلَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ الْقَاضِي، وَمَنْ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ، وَصِلَةَ ابْنِ الْأَبَّارِ، وَتَارِيخَ ابْنِ
عَسْكَرٍ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَبَادِرَ بِالْإِمَاطَةِ عَنْ وَجْهِ الْإِحَاطَةِ، تَرَى الْأَعْلَامَ سَامِيَةً، وَأَدْوَاخَ
الْفُضَلَاءِ نَامِيَةً. وَأَفْرَادَ الرِّجَالِ يَضِيقُ بِهِمْ رَحْبُ الْمَجَالِ.

وَسَلَا الْمِسْكِينَةَ لَا تَرْجُو لِعِشْرَتِهَا إِلَّا ابْنَ عِشْرَتِهَا، مُهْمَلَةُ الذِّكْرِ وَالْإِشَادَةِ، عَاطِلَةٌ مِنْ حُلِيِّ تِلْكَ
السِّيَادَةِ، وَإِنْ كَانَ بِهَا أَصْلٌ مَجَادَّةٍ، وَسَالِكُو سَبِيلِ زَهَادَةٍ⁵، فَكَمْ بِمَالِقَةَ مِنْ وَلِيٍّ، وَذِي مَكَانٍ عَلِيٍّ،

- ع: "الإيثار" ولعل الصواب ما أثبت؛ فالخوف من الأسد في الظلام أشد من الضوء. ¹

- أ، ق، ع: "يستجن" والمثبت من م. ²

- م: "مستور" وهو تحريف، فالسياق يقتضي الظهور لا التستر. ³

- ع: ساقط ⁴

- م: "زيادة" ولعل الصواب ما أثبت. ⁵

وَمِنْ طَنَجَالِيٍّ وَسَاحِلِيٍّ. وَهَذِهِ حُجَجٌ لَا تُدْفَعُ، وَدَلَالِيلُ انْكَارِهَا لَا يَنْفَعُ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْثِرِ الْإِتِّصَافَ بِالْإِنْصَافِ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْثِرِ الْخِلَافَ وَسَجَايَا الْإِخْلَافِ¹.

فَأَنَا يَعْلَمُ اللَّهُ قَدْ عَدَلْتُ لَمَّا حَكَمْتُ، وَدَفَعْتُ لَمَّا أَلَمْتُ²، وَسَكَتُ عَنْ كَثِيرٍ، وَجَلَبْتُ فَضْلَ أَثِيرٍ؛ إِذْ لَمْ تَخْرُجْ إِلَيْهِ ضَرُورَةُ الْفَخْرِ، وَلَا دَاعِيَةُ الْقَهْرِ. وَلَوْ شِئْتُ لَجَلَبْتُ مِنْ أَدِلَّةِ التَّفْضِيلِ، مَا لَا يُدْفَعُ فِي عَقْدِهِ، وَلَا سَبِيلِ نَفْدِهِ، لَكِنَّ اللَّهَ أَغْنَى عَنِ ذَلِكَ، وَكَفَى بِهِذِهِ الْمَسَالِكِ [بَيَانًا لِلْسَّالِكِ³] وَفَضْلًا بَيْنَ الْمَمْلُوكِ وَالْمَالِكِ. وَاللَّهُ يَشْمَلُ الْجَمِيعَ بِنِعْمَاهُ، وَيَتَعَمَّدُ الْحَيَّ وَالْمَيِّتَ بِرُحْمَاهُ. وَفَضْلُ الْخُطَّةِ أَنَّ لِمَالِقَةَ الْمَرْيَةَ بَجَالِهَا وَكَمَالِهَا، وَحُسْنَ أَشْكَالِهَا [وَوُفُورَ مَالِهَا، وَتَهْدُلَ ظِلَالِهَا، وَشُهْرَةَ رِجَالِهَا، وَطُرُقَ صَنَائِعِهَا وَأَعْمَالِهَا. وَلِسَلَا الْفَضْلِ لَكِنْ عَلَى أَمْثَالِهَا وَتَظَائِرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَأَشْكَالِهَا]⁴ إِذْ لَا يُنْكَرُ فَضْلُ اعْتِدَالِهَا، وَأَمْنُهَا مِنَ الْفِتَنِ وَأَهْوَالِهَا عِنْدَ زِلْزَالِهَا، وَمَدْفَنُ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ بِجِبَالِهَا.

وَمَالِقَةُ قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ، ذَوَاتُ الْأَقْدَارِ وَالْأَخْطَارِ، وَتَحْصِيلِ الْأَوْطَارِ. وَسَلَا مَصَبُّ الْأَمْطَارِ، وَمَرْعَى الْقِطَارِ، وَبَادِيَةٌ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، وَهُنَا تُلْقَى عَصَا التَّسْيِيرِ، وَنَغْضُ⁵ مِنْ عِنَانِ الْإِكْتَارِ. وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

- "الإخلاف أن لا يفي بالعهد وأن يعد الرجل الرجل العدة فلا ينجزها" لسان العرب / خلف، 5 / 137¹

- أي دفعت بالتي هي أحسن عندما تألمت²

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م³

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م⁴

- م: "نفذ" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي نقل من الإكثار في الكلام.⁵

أَوْصَافُ النَّاسِ فِي التَّوَارِيخِ وَالصَّلَاتِ

فَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي مِمَّا ثَبَتَ فِي

" كِتَابِ التَّاجِ الْمُحَلَّى وَمُسَاجَلَةِ الْقِدْحِ الْمُعْلَى "

فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزِّيَّاتِ¹

عَلَّمَ الْأَعْلَامَ، وَخَاتَمَهُ شَيْوُخَ الْإِسْلَامِ، تَجَرَّدَ لِلْعِبَادَةِ فِي رِيعَانِ شَبَابِهِ، وَلَازَمَ جَنَابَ اللَّهِ وَكَثُرَ
الْوُقُوفَ بِبَابِهِ، وَلَمْ تَزَلِ الْفُتُوحَاتُ الْقُدْسِيَّةُ تَعْرِضُ عَلَيْهِ أَدْوَقَهَا، وَالْمَحَبَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ تُطْلِعُ إِلَيْهِ أَشْوَاقَهَا،
وَيُثِيرُ لَدَيْهِ دِهَاقَهَا²، حَتَّى خَلَعَ³ لِبَاسَ الْبُذْنِيَّاتِ⁴ الدَّنِيَّاتِ وَنَزَعَ نِطَاقَهَا، وَبَتَّ⁵ أَسْبَابَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
ذَوَاتِ الْأَلْوَانِ، وَأَزْمَعَ فِرَاقَهَا، فَأَصْبَحَ فَرْدًا تُشِيرُ إِلَيْهِ الْأَبْصَارُ، وَتُنَالُ بِبَرَكَتِهِ الْأَوْطَارُ، وَتُجَدِّي
لِرُؤْيَيْهِ الْأَفْطَارُ. وَدَعَا إِلَى السَّفَارَةِ فِي صَلَاحِ الْمُسْلِمِينَ فَأَجَابَ، وَسَعَى فِي إِحْمَادِ الْفِتْنَةِ فَانْجَلَى
لَيْلُهَا وَانْجَابَ، وَأَعْمَلَ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ الْأَقْتَابَ، وَخَاضَ الْعُبَابَ.

وَكَانَ بِبَلِّشِ بَلَدِهِ مُنْتَجِحَ رَائِدٍ، وَمَعْدِنَ فَرَائِدٍ، وَفَجَّرَ اللَّهُ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ⁶ عَلَى لِسَانِهِ، وَجَعَلَ زِمَامَ
الْفَصَاحَةِ طَوْعَ إِحْسَانِهِ. دَوَّنَ بِالنِّظْمِ فِي شَتَّى الْفُنُونِ، وَجَلَّى أَبْكَارَ الْمَعَارِفِ، فَوَقَّدَ الْمَطَارِفَ

- "أحمد بن الحسن بن علي، أبو جعفر الكلاعي البلشي، ابن الزيات (ت 728هـ): مقرر عارف بالأدب. كان شيخ مدينة بلش (بالأندلس) قال الذهبي: كان ذا فنون وتواضع ومروءة. من كتبه "لذة السمع في القراءات السبع" قصيدة على نمط الشاطبية. وله قصيدة في أصول الدين" الأعلام: 1 / 111¹

- "كأس دِهَاقٍ: مترعة ممتلئة" لسان العرب / دهق: 316 / 5²

- "قلع" وكلاهما صحيح.³

- ع: "البرنيات" "البرنية بفتح الأول إناء معروف والبرني نوع من أجود التمر" المصباح المنير / برن، ص 18.⁴

- م: "بت" بالثاء بدل التاء. "بت عليه القضاء وبت النية: جزمها" أساس البلاغة / بتت، 1 / 43.⁵

- ع: "البلاغة" وكلاهما صحيح.⁶

لِلْعُيُونِ. وَكَانَ يَقْعُدُ بِمَسْجِدِهَا الْجَامِعِ فَيُدْرَسُ وَيُحَلَّقُ، وَيُهَذَّبُ¹ وَيُخَلَّقُ، فَيَأْتِي مِنَ الْإِغْرَابِ بِالْإِغْرَابِ، وَيَتَكَلَّمُ فِي التَّفْسِيرِ بِغَيْرِ التَّيْسِيرِ، وَيُلَمِّعُ مِنَ التَّغْلِيلِ لَا بِالْقَلِيلِ، وَيُشِيرُ إِلَى فَرِيقِهِ بِرُمُوزِ طَرِيقِهِ. وَلَمَّا نَادَى بِهِ مُنَادِي² فِرَاقِهِ، وَغَيَّبَ الدَّهْرُ نُورَ إِشْرَاقِهِ، بَكَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الرُّبُوعُ دَمًا، وَأَصْبَحَ وُجُودُهَا عَدَمًا. وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ آدَابِهِ وَشَعْرِهِ مَا يَشْهَدُ³ بِسِعَةِ صَدْرِهِ، وَيَدُلُّ عَلَى قَدْرِهِ.

وَمَنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ الْقِيْجَاطِيِّ⁴

أَخْطَبُ مَنْ صَعِدَ الْمَنَابِرَ وَارْتَقَاهَا، وَأَفْصَحُ مَنْ هَدَّبَ الْعِبَارَةَ وَالْقَاهَا، وَاسْتَجَادَهَا وَانْتَقَاهَا. نَجَمَ بِبَادِيَةِ⁵ الشَّرْقِ، وَتَأَلَّقَ فِي أَفْقِهَا تَأَلَّقَ الْبَرْقِ. وَلَمْ تَزَلْ رُثْبَتُهُ فِي ارْتِفَاعِ، وَبَدَائِعُهُ نَارٌ عَلَى يَفَاعٍ⁶ حَتَّى اسْتَأَثَرَتِ الْحَضْرَةُ بِهِ عَلَى مَا سِوَاهَا، فَأَحْرَزَ فِيهَا الْغَايَةَ وَحَوَاهَا، وَنَشَرَ مَطَارِفَ الْمَعَارِفِ وَمَا طَوَاهَا، فَفَقَّ لِلْأَدَبِ سُوقًا، بَسَقَتْ فُرُوعُهَا بُسُوقًا، وَقَلَدَ نَحَرَ الْعَصْرِ مِنْ عُقُودِهِ دُرًّا مَنْسُوقًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ خَطِيبًا بِمَسْجِدِهَا الْجَامِعِ⁷، فَقَرَّطَ بِالْفَاظَةِ الرَّائِقَةِ عَاطِلَةَ الْمَسَامِعِ، وَأَسَالَ بِمَوَاعِظِهِ الْبَالِغَةِ دُرَرَ الْمَدَامِعِ. وَهُوَ مُنْجِبُ الْحَلَبَةِ وَمُخْرِجُهَا، وَمَوْقِدُ الْأَذْهَانِ وَمُسَرِّجُهَا.

- أ، ق، م: "يندب" والمثبت من ع.¹

- ع: "مناب" ولعل الصواب ما أثبت.²

- ع: "يدل" ولعل الصواب ما أثبت؛ "دللت على الشيء وإليه" المصباح المنير / دلل، ص 76³

- علي بن عمر بن إبراهيم الكنانى القيجاطي، أبو الحسن، (650هـ - 1152 / 730 هـ / 1330): من العلماء بالعربية. نسبته إلى "قيجاطة" وقد تكتب بالشين "قيشاطة" من أعمال جيان، في الأندلس استدعي إلى غرناطة سنة 712هـ، فولي الخطابة ومات فيها.

له شعر وتصانيف، منها: نزهة المجالس-خ" في خزانة الرباط (38 كناني) "الأعلام: 4 / 316⁴

- ع: "ببداية" وهو تحريف.⁵

- م: "بقاع" "اليفاع ما ارتفع من الأرض" المصباح المنير / يفع، ص 261⁶

- ع: "ملاحة"⁷

خَبَا بِوَفَاتِهِ لِلْعِلْمِ كَوَكْبُهُ النَّاقِبُ، وَوُورِيَتْ بِمُورَاتِهِ الْمَفَاخِرُ وَالْمَنَاقِبُ. وَلَهُ نَظْمٌ تَعَطَّرَتْ¹
 الْمَجَالِسُ بِجَزْيَالِهِ² وَتَعَلَّقَتْ الْمَحَاسِنُ بِأَذْيَالِهِ، وَنَثَرَتْ حَسَدَتْ عُقُودُ الْغَانِيَاتِ دُرَرَهُ، وَغَارَتْ النُّجُومُ
 الزُّهْرُ لَمَّا اجْتَلَتْ غُرُرُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ الْعَاصِي

سَابِقُ حَلَبَةٍ لِلْعِلْمِ وَالِدِّينِ، وَالْمُسْتَوَلِي عَلَى قَصَبِ السَّبْقِ فِي تِلْكَ الْمِيَادِينِ، أَتَتْ طَرِيفُ مِنْهُ
 بِطُرْفَةٍ رَائِقَةٍ، وَأَغْرَبَ مِنْهُ هَذَا الْمَغْرِبُ بِرَوْضِ تَحْسُدِ الرِّيَاضِ حَدَائِقَهُ، وَرَدَّ عَلَى الْحَضْرَةِ، فَقَامَتْ لَهُ
 عَلَى رِجْلٍ، وَأَفْعَمَتْ لَهُ مِنَ الْمَبَرَّةِ كُلِّ سَجَلٍ³، فَاتَّخَذَهَا دَارًا، وَمَلَأَ هَالَاتِهَا أَبْدَارًا.

وَانْتَضَمَ لِأَوَّلِ حُلُولِهِ فِي حَلَبَةِ الْكُتَّابِ وَالْعَهْدُ قَشِيبٌ، وَفُودُ⁴ الْوَقْتِ لَمْ يَرْعُهُ لِلْمَقْتِ مَشِيبٌ، وَالرَّبْعُ
 آهْلٌ، وَالْوَارِدُ⁵ فِي الرَّفْدِ نَاهِلٌ. فَتَمَيَّزَ بِخَصَائِصِهِ الْحُسْنَى، وَتَاهَلَ لِلْمَحَلِّ الْأُسْنَى، وَقَعَدَ⁶ لِلْجُمْلَةِ
 بَعْدَ فَقْدِ صَدْرِهَا، وَأَقُولُ بِدَرْهَا، وَحُلُولِ شَمْسِهَا فِي رَمْسِهَا، فَخَلَفَ أَسْتَاذَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ خَيْرَ خَلَفٍ،
 وَأَصْمَتَ لِسَانَ مَنْ أَنْشَدَ فِيهِ " إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دَلْف "

وَصَعِدَ الْمِنْبَرُ، فَجَلَّتِ الْخُطُوبُ خُطْبُهُ، وَهَزَّ مِنْهُ الْجُدْعَ فَتَسَاقَطَتْ رُطْبُهُ⁷، فَأَبْكَى الْعُيُونَ
 الْجَامِدَةَ، وَأَثَارَ الْعَرَائِمِ الْخَامِدَةَ، وَأَخَذَ بِقُلُوبِ الدَّهْمَاءِ فَاسْتَمَالَهَا، وَبَلَغَ مِنْهُمْ الْغَايَةَ الَّتِي أَرَادَ وَنَالَهَا،

- م: "تقطرت" وهو تحريف.¹

- "الجريال: الخمر الشديدة الحمرة" لسان العرب / جرل: 129 / 3²

- "السجل الدلو الضخمة المملوءة ماء" لسان العرب / سجل، 129 / 7³

- ع: "وفور". "حل الشيب بفوديه وهما جانباً الرأس" أساس البلاغة / فود، 39 / 2.⁴

- م: "الدار" وهو تحريف.⁵

- م: "وفد" ولعل الصواب ما أثبت. "الرفد بالكسر: العطاء والصلة" لسان العرب / رفد، 189 / 6⁶

- قال تعالى: { وَهَرِي إِلَيْكَ بِجُدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا } سورة مريم، الآية: 25⁷

وَحَمَلَ نَفْسَهُ بِأَخْرَةٍ عَلَى الْجُودِ، وَالْإِثْنَانِ بِالْحَاضِرِ الْمَوْجُودِ، فَكَانَ لِلْفُقَرَاءِ شِمَالًا، وَلِلْمُعْتَقِينَ¹ مَالًا² وَلِلْعَصْرِ [وَأَهْلِهِ]³ زِينًا وَجَمَالًا. وَقَضَى⁴ لِسَبِيلِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَقِيدًا أَسَالَ الْغُرُوبَ، وَهَاجَ لِلْأَشْجَانِ الْخُرُوبَ، وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ أَنْيَقُ الشَّارَةِ، حَسَنُ الْإِشَارَةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ جُزَيٍّ⁵

مُجْتَهِدٌ عَاكِفٌ، وَرَوْضُ فُنُونٍ جَادَهُ مِنَ الْعِلْمِ كُلِّ وَاكِفٍ. أَقَامَ رَسْمَ مَجْدِهِ، وَرَفَعَ عُمْدَ بَيْتِهِ فِي قُتَّةٍ⁶ الْعِلْمِ وَنَجْدِهِ، فَأَصْبَحَ صَدْرُ بَلَدِهِ، وَأَنْجَبَ خَلْفَيْنِ كَرِيمَيْنِ مِنْ وَلَدِهِ، وَفَرَعَ لِلْعِلْمِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ، وَتَقَيَّأَ رِيَاضَ دَوَاوِينِهِ مِنْ عَن يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَاقْتَصَرَ عَلَى طَلَبِ كَمَالِهِ مَعَ وَفُورِ ضِيَاعِهِ، وَنُمُوِّ مَالِهِ. فَدَوَّنَ الْكَثِيرَ وَصَنَّفَ، وَقَرَّطَ⁷ الْمَسَامِعَ وَشَنَّفَ، وَتَرَقَّى إِلَى الْمَكَارِمِ.

وَهِيَ مَا هِيَ مِنْ جَلَالَةِ الرُّتْبَةِ، وَسُمُوِّ الْهَضْبَةِ، فَفَرَعَ سَنَامَهَا⁸، وَرَفَعَ أَعْلَامَهَا، وَغُصِّنُ شَبَابِهِ⁹ نَاصِرٌ، وَزَمَنُ فَنَائِهِ¹⁰ حَاضِرٌ، فَوَقَعَ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ، وَانْعَقَدَ عَلَى فَضْلِهِ الْإِجْمَاعُ وَالْإِصْفَاقُ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُكَ طَرِيقَ الْمُجْتَهِدِينَ، فَدَوَّنَ فِي الْفِقْهِ الدَّوَاوِينَ، وَسَفَرَ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ عَنْ وُجُوهِ الْإِحْسَانِ،

- م: "المعتقين" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي كان يأوي إليه من تركهم الزمن وحيدين.¹

- م: "مثالا" أي مثلا يحتذى على مثله في حسن خلقه.²

- م: ساقط³

- م: "مضى" وكلاهما صحيح.⁴

- ابن جُزَيِّ الْكَلْبِيِّ (693-741هـ/1294-1340م) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية" و "تقريب الوصول إلى علم الأصول" و "الفوائد العامة في لحن العامة" الأعلام: 5/ 325⁵

- م: "قبة" أي في قمة الجبل وما ارتفع من الأرض.⁶

- م: "قرط" ولعل الصواب ما أثبت؛ "شَنَّفَ" كلامه وقَرَّطَه: حلاه "أساس البلاغة / شنف، 1/ 524.⁷

- كناية عن صعوده الرتب وارتقائها.⁸

- ع: "شبيبته" وكلاهما صحيح.⁹

- "الفتاء: الشباب" لسان العرب / فتا: 11/ 127¹⁰

وَرَحَلَ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ إِلَى كُلِّ طَيْبَةٍ، وَرَكَضَ فِي أَغْرَاضِهِ كُلِّ مَطِيَّةٍ، حَتَّى أَنْسَى الزَّمْخَشَرِيَّ وَابْنَ عَطِيَّةٍ، وَلَهُ مِنَ الْأَدَبِ حَظٌّ وَافِرٌ، وَمَذْهَبٌ عَنِ الْحُسْنَى¹ سَافِرٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْبَرَكَاتِ الْبَلْفِيْقِي²

وَاحِدُ الْفِتَّةِ، وَصَدَّرَ مِنْ صُدُورِ هَذِهِ الْمِئَةِ، وَرَجُلٌ الْحَقِيقَةُ وَابْنُ رِجَالِهَا، وَعَلِمَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَفَارِسُ مَجَالِهَا، وَتُحَفُّهُ الدَّهْرُ الَّتِي يَقُلُّ لَهَا الْكَفَاءُ، وَبَقِيَّةُ السَّلَفِ الَّتِي يُقَالُ عِنْدَهَا عَلَى آثَارٍ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ، مَا شَبَّتَ مِنْ شَرَفٍ زَاخَمَ الثَّرِيًّا بِمَنَاكِبِهِ، وَمَجْدٍ خَفَقَتْ بُيُودُ الْعِلْمِ فَوْقَ مَوَاكِبِهِ، وَحَسَبَ تَوَارِثُهُ الْكَابِرَ عَنِ الْكَابِرِ، وَأَصَالَةٍ تَأَصَّلَتْ أَدْوَا حُهَا بَيْنَ بُطُونِ الْمَحَارِبِ³ وَظُهُورِ الْمَنَابِرِ، وَنَشَأَةً سَحَبَتْ⁴ مِنَ الْعَفَافِ ذَيْلًا، وَغَضَّتِ الطَّرْفَ حَتَّى عَنِ الطَّيْفِ لَيْلًا، وَمَعْرِفَةٍ لَا تُسَاجِلُ لُجَّتُهَا، وَلَا تُرَاجِعُ حُجَّتُهَا، وَنِعْمَةٌ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، يَخِرُّ لَهَا النَّاسُ عَلَى الْأَذْقَانِ.

وَلَمَّا أُمِعْنَ فِي الْمَعَارِفِ كُلِّ الْإِمْعَانِ، وَمَنْهُوْمَانِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا يَشْبَعَانِ، تَشَوَّفَ إِلَى الرَّحْلَةِ عَنْ بِلَادِهِ، وَزَهَدَ فِي طَرِيفِهِ وَتِلَادِهِ، وَأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْ أَهْلِهِ، وَذَهَبَ مِنَ الْعِلْمِ فِي حَزْنِهِ وَسَهْلِهِ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ، حَتَّى حَطَّ رَحْلُهُ بِبِجَايَةِ، وَبِهَا عَلَّمَ الدِّينَ وَنَاصِرَهُ، وَرَوَّضَ الْعِلْمَ الَّذِي أَخْصَبَ جَانِبُهُ وَهَاصِرُهُ⁵، فَقَارَ بِلِقَائِهِ، وَنَهَلَ فِي سِقَائِهِ، وَصَرَفَ فَهْمُهُ النَّاقِبَ إِلَى إِلْقَائِهِ، وَاقْتَنَى مِنْ كُنُوزِ رَحْلَتِهِ مَا لَا يَخَافُ عَلَيْهِ النَّفَادَ.

-ع: "الحسن" ¹

- هو أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم (بن الحاج) البلفيقي (608- 770) شيخ الفقهاء والأدباء والصوفية في عصره بالأندلس، ومن مشايخ ابن الخطيب. جذوة المقتبس، ص: 148 ²

-ع: "المحارب" ³

-ع: "سبحت" ولعل الصواب ما أثبت. ⁴

-ع: "ماهره"، م: "خاصره" ولعل الصواب ما أثبت؛ هصر الغصن: أماله إليه" أساس البلاغة / هصر، 374 / 2 ⁵

قَدِمَ عَلَى قَرَارَةِ مَجْدِهِ قُدُومَ النَّسِيمِ الْحَجَازِيِّ مِنْ نَجْدِهِ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ الْأَحْدَاقُ، وَاشْرَأَبَتْ إِلَى طُلُوعِهِ الْأَعْنَاقُ، وَلَمْ تَزَلْ بَدَانِعُهُ تَتَقَلَّدُهَا الصُّدُورُ، وَمَحَاسِنُهُ تَغَارُ بِهَا الشُّمُوسُ وَالْبُدُورُ. وَالسَّعَادَةُ تُؤَافِيهِ، وَالْخُطُطُ الشَّرْعِيَّةُ تُنَافِسُ فِيهِ. وَخُطْبَتُهُ الْآنَ خَطَابَةُ قُطْرِهِ، وَهُوَ كُفُوُّهَا وَابْنُ أَكْفَائِهَا، وَمُحْيِي رُسُومِهَا بَعْدَ عَفَائِهَا، فَتَلَقَّى رَايَتَهَا بِيَمِينِهِ، وَاسْتَحَقَّهَا بِسَلْفِهِ وَعِلْمِهِ وَدِينِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ خَمِيسٍ¹

قَرِيعُ بَيْتِ صَلَاحٍ وَعِبَادَةٍ، وَرَضِيعُ نَذْيِ دِينٍ وَمَجَادَةٍ. كَانَ بِالْخَضِرَاءِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- صَدْرُ صُدُورِهَا، وَوَاسِطَةُ شُدُورِهَا، وَخَطِيبَ حَفْلِهَا، وَإِمَامَ فَرَضِهَا وَنَفْلِهَا. وَبَاشَرَ حِصَارَهَا، وَعَانَى عَلَى الْعُصُورِ إِعْصَارَهَا، وَلَهُ دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ، وَخَوَاطِرُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَقِّ حِجَابٌ، وَبَرَكَتٌ تَظْهَرُ عَلَيْهِ سَيِّمَاهَا، وَدِيَانَتُهُ لَا تَقْرُبُ الشُّبُهَاتِ حِمَاهَا، وَبَلَاغَةُ لَا يَشْحُ يَنْبُوعُهَا، وَلَا تَقْفِرُ مِنَ الْمَعَانِي رُبُوعُهَا، يَدْعُو الْفَقْرَ² فَيَذَعُنْ عَاصِيَهَا، وَيُنْزِلُ عِصَمَ الْمَعَانِي مِنْ صِيَاصِيهَا³، وَقَضَى -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَتَغَيَّرَ ذَلِكَ الْفُطْرُ لِدَهَابِهِ، وَأَظْلَمَ ذَلِكَ الْأُفُقُ لِأُفُولِ شِهَابِهِ.

- ابن عمر بن محمد بن عمر بن محمد خميس الحَجَازِيِّ التلمساني، يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن خميس. كتب بتلسمان عن ملوكها من بني زيان، ثم فر عنهم، وقد أوجس منهم خيفة" الإحاطة: 354 / 3¹
 - "زدت في كلامه أو شعره فقرة؛ وهي فصل أو بيت شعر" أساس البلاغة / فقر، 31 / 2²
 - "الصياصي: الحصون. وكل شيء امتنع به وتحصن به فهو صيصَة" لسان العرب / صيص، 315 / 8³

فِي وَصْفِ أَبِي زَكَرِيَّا بْنِ السَّرَّاجِ¹

حَامِلُ فُتُونِ جَمَّةٍ، وَصَاحِبُ نَفْسٍ بِمَعَادِهَا مُهْتَمَّةٍ، شَمَّرَ فِي زَمَانِ الشَّيْبَةِ عَنْ سَاقِهِ،
وَاجْتَنَى ثَمَرَةَ الْعِلْمِ مِنْ بَيْنِ أَوْزَاقِهِ، وَجَمَعَ الْكَثِيرَ مِنْ مُخْتَلِفَاتِهِ عَلَى بُعْدِ شَامِهِ مِنْ عِرَاقِهِ، حَتَّى
انْفَسَحَ فِي الْمَعْرِفَةِ مَجَالَهُ، وَشَهِدَتْ لَهُ بِالْإِجَادَةِ شُيُوخُهُ وَرِجَالُهُ. وَهُوَ الْآنَ خَطِيبُ مَعْقِلِ الْجَبَلِ -
حَرَسَهَا اللَّهُ- عَلَى طَرِيقَةِ غَرِيبَةٍ²، وَحَالُهُ مِنَ اللَّهِ قَرِيبَةً، مُلَازِمٌ لِظِلِّ جِدَارِهِ، مُنْقَبِضٌ فِي كِنِّ دَارِهِ،
ذُو هِمَّةٍ يَحْسُدُهَا النَّجْمُ عَلَى بُعْدِ مَدَارِهِ، وَرِفْعَةِ مِقْدَارِهِ.

لَقِيْتُهُ وَالْحَالَ سَقِيمَةً، وَالْمَحَلَّةُ بِظَاهِرِ جَبَلِ الْفَتْحِ مُقِيمَةً، وَالْعَدُوُّ فِي الْعُدْوَانِ مُسْتَبْصِرٌ، وَالرَّدَى
مُحَلَّقٌ، وَحِزْبُ الْهُدَى مُقَصَّرٌ. فَرَأَيْتُ رَجُلًا بَادِيَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، نَاطِرًا لِلدُّنْيَا بَعَيْنِ الْإِحْتِقَارِ، زَاهِدًا
فِي الْمَالِ وَالْعَقَارِ، صَاحِبَ دَمْعَةٍ مُجِيبَةٍ، وَمُجَالَسَةٍ عَجِيبَةٍ، فَكَانَ لِقَاؤُهُ فَائِدَةً الرَّحْلَةِ الْعَظِيمَةِ
الْغَنَاءِ، وَمُوجِبًا لَهَا حُسْنَ الثَّنَاءِ. وَلَهُ قِسْمٌ مِنَ الْبَلَاعَةِ وَافِرٌ، وَقِسَامٌ فِي الْبَيَانِ³ سَافِرٌ [رَحْمَةُ اللَّهِ
عَلَيْهِ]⁴.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ

سَابِقٌ لَا تُدْرِكُ غَايَتُهُ، وَبَطْلٌ لَا تَحْجُمُ⁵ رَأْيَتُهُ، وَبَلِغٌ تُزْرِي بِالْإِفْصَاحِ كِنَايَتُهُ. طَلَعَ بِذَلِكَ الْأُفُقِ

- "ابن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري من أهل غرناطة؛ ويكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن السراج؛ (654-730هـ) طليطلي الأصل؛ طبيب الدار السلطانية. ألف كتباً كثيرة منها في النبات والرويا، ومنها كتاب سماه "السر المذاع في تفصيل غرناطة على كثير من البقاع" الإحاطة: 3/ 818¹

-م: "عربية" وهو تصحيف.²

-م: "اللسان"³

- أ، م: ساقط، والمثبت من ع⁴

-ع: "تجمع" وكلاهما تدلان على معنى عدم تراجعه واستسلامه.⁵

وَنَجَمَ، وَصَابَ عَارِضُ بَيَانِهِ وَأَنْسَجَمَ، وَعَجَمَ مِنْ عُودِ الْبَلَاغَةِ مَا عَجَمَ، فَأَطَاعَتْهُ الْقَوَافِي
وَالْأَسْجَاعُ، وَأَدَّاهُ إِلَى رَوْضِ الْإِجَادَةِ الْإِنْتِجَاعُ.

وَلَمْ يَزَلْ يَشْحَذُ قَرِيحَتَهُ الْوَقَادَةَ وَيَسْتَنْدِعِيهَا، وَيَسْمَعُ الْحِكَمَ وَيَعِيهَا؛ حَتَّى تَوَفَّرَتْ فِي الْيِرَاعَةِ¹
أَفْسَامُهُ، وَطَبَّقَ مَفَاصِلَ الْخِطَابِ حُسَامُهُ، طَرَّرَ الْمَهَارِقَ وَوَشَّاهَا²، وَفَضَحَ³ أَسْرَارَ الْبَلَاغَةِ
وَأَفْشَاهَا، وَأَتَى مِنَ الرَّسَائِلِ بِالْأَبْيِّ السَّائِلِ، إِلَى الدِّينِ الَّذِي لَا تُغْمَرُ قَنَاتُهُ، وَالْخُلُقِ الَّذِي يُرْضِي اللَّهَ
حِلْمُهُ وَأَنَاتُهُ.

وَهَذَا الْخَطِيبُ وَابْنُ عَمِّهِ فَرَسًا⁴ رِهَانٍ، وَمُقَدِّمَتَا بُرْهَانٍ، وَعِلْمًا بَيَانٍ، وَرَضِيْعًا لَبَانٍ، لَكِنَّ
النَّشْرَ أَغْلَبُ عَلَى لِسَانِهِ، وَالْخَطَابَةَ أَعْرَقُ فِي نَسَبِ إِحْسَانِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ لُبٍ⁵

سَابِقُ رَكْضَ مِلءِ عَنَانِهِ، وَشَارِقُ طَلَعٍ فِي أَفْقِ أَوَانِهِ، أَوْرَى لَهُ زُنْدَ الذِّكَاةِ افْتِدَاحًا⁶، وَأَجَالَ
فِي كُلِّ فَنٍّ قِدَاحًا، فَجَلَّى فِي مَيْدَانِ الْإِجَادَةِ وَبَرَّرَ، وَطَرَّرَ⁷ الْمَجَالِسَ وَطَرَّرَ، فَإِنْ نَقَلَ أَوْضَحَ

- ع، م: "البراعة"¹

- ع: "رشاها" وهو تحريف.²

- م: "نضج" ولعل الصواب ما أثبت.³

- م: "فارسا"⁴

- "محمد بن محمد ابن لب الكناني، من أهل مالقة. كان ذاكرة للعلوم القديمة، متقدما في الرياضيات والطبيعات والإلهيات"
الإحاطة: 645 / 3⁵

- م: "اقتراحا" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أشعل قدح الذكاء.⁶

- م: "طوف" ولعل الصواب ما أثبت؛ "وجارية لها طرة وهي ما تطره من الشعر الموفي على جبهته وتصفه" أساس البلاغة /
طرر، 600 / 1⁷

الْعِبَارَةُ وَصَقَّلَ، وَإِنْ نَظَرَ وَبَحَثَ، نَشَرَ رَمَمَ الْمَعَارِفِ¹ وَبَعَثَ، وَإِنْ بَيَّنَّ وَعَلَّمَ، أَقَرَّ لَهُ الْمُنَازِعُ وَسَلَّم.
إِلَى خُلُقٍ أَطْيَبَ مِنَ الرَّاحِ، وَأَصْفَى مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ².

وَلَهُ فِي فَرِيضَةِ الْأَدَبِ سَهْمٌ، وَفِي مُعَانَاةِ الْمَعَانِي تَحْقِيقٌ لَا يَدْخُلُهُ وَهْمٌ. وَتَقَدَّمَ لِلخَطَابَةِ بِبَعْضِ
أَرْبَاضِ³ الْحَضَرَةِ، فَوْقَى الرُّتْبَةَ حَقَّهَا، وَسَلَكَ مِنَ الدِّيَانَةِ طَوْقَهَا.

فِي وَصْفِ أَبِي يَزِيدَ خَالِدِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ

إِمَامٌ بَادِيَّةٍ، وَصَادِعٌ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ رَائِحَةٍ وَغَادِيَّةٍ. أُنِسَ بِالْوَحْدَةِ وَالْإِنْقِطَاعِ، وَتَعَلَّلَ بِقَلِيلِ
الْمَتَاعِ، وَانْقَبَضَ وَتَقَشَّفَ، وَقَبَّلَ ثَغَرَ الْحَقِيقَةِ وَتَرَشَّفَ. وَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَجْمُوعِ خَصْلِ⁴، وَضَارِبٍ فِي
هَذَا الْفَنِّ⁵ بِنَصْلِ، إِلَى أَخْلَاقٍ بَيِّنَةٍ الْحَلَاوَةِ، وَنِعْمَةٍ طَيِّبَةٍ عِنْدَ التَّلَاوَةِ، وَأَدَبٍ عَطِرِ الْجَرِيَالِ، مُوشَى
الطَّرْرِ⁶ وَالْأَذْيَالِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْيَتِيمِ⁷

مَجْمُوعُ أَدَوَاتِ حِسَانٍ مِنْ خُطْبٍ وَنِعْمَةٍ وَلِسَانٍ، أَخْلَاقُهُ رَوْضٌ تَضَوُّعُ نَسَمَاتِهِ، وَبِشْرُهُ⁸ صُبْحٌ

- أ، ق، ع: "المعالي" والمثبت من م.¹

- "وماء قراح: لا يشوبه شيء من سويق ولا غيره" أساس البلاغة / قرح، 2 / 65²

- ع: "أرباب" وهو تحريف.³

- ع: "خصل" وهو تصحيف.⁴

- ع، م: "القبول" ولعل الصواب ما أثبت.⁵

- م: "الطور" ولعل الصواب ما أثبت؛ كناية عن جمال هيئته ولباسه.⁶

- الشيوخ المكتب أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد العبدري اليتيم.

- أ، ق، م: "نشره" والمثبت من ع.⁸

تَتَأَلَّقُ قَسَمَاتُهُ، وَلَا تَخْفَى سِمَاتُهُ، يُقَرِّطُسُ¹ أَغْرَاضَ الدُّعَابَةِ وَيُصْنِمِيهَا، وَيُفَوِّقُ سِهَامَ الْفُكَاهَةِ إِلَى مَرَامِيهَا، فَكَلَّمَا صَدَرَتْ فِي عَصْرِهِ قَصِيدَةٌ هَازِلَةٌ، أَوْ أَبْيَاتٌ مُنْحَطَّةٌ عَنِ الْإِجَادَةِ نَازِلَةٌ، خَمَسَ² أَبْيَاتَهَا وَدَيَّلَهَا، وَصَرَفَ مَعَانِيَهَا وَسَيَّلَهَا، وَتَرَكَهَا سَمَرَ النُّدْمَانِ وَأُضْحُوكةَ الزَّمَانِ.

وَهُوَ الْآنَ، خَطِيبُ الْمَسْجِدِ الْأَعْلَى مِنْ مَالِقَةٍ، مُتَحَلٍّ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ، حَالٌ مِنْ أَهْلِهَا بِمَكَانَةِ مَكِينَةٍ، لِسُهُولَةِ جَانِبِهِ، وَاتِّصَاحِ³ مَقَاصِدِهِ فِي الْخَيْرِ وَمَذَاهِبِهِ. وَاشْتَغَلَ⁴ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّكْتِيبِ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْوَقَارِ وَالتَّرْتِيبِ، وَالشَّبَابِ لَمْ يُنْصَلْ خِضَابُهُ، وَلَا سَلَّتْ لِلْمَشِيبِ عِضَابُهُ⁵، وَنَفْسُهُ بِالْمَحَاسِنِ كَلِيفَةٌ صَبَّةٌ، وَشَأْنُهُ كُلُّهُ هَوًى وَمَحَبَّةٌ.

فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَزِيرِيِّ الْخَيَّاطِ⁶

أَدِيبٌ عَلَى السُّنَنِ سَالِكٌ، وَبَلِغٌ لِرِمَامِ الْقَوْلِ مَالِكٌ. كَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- خَطِيبًا بَثْغِرٍ وَبِرِهِ⁷، -تَوَلَّى اللَّهُ جَبْرَهُ، وَأَعَادَ إِلَى مَلَكَةِ الْإِسْلَامِ أَمْرَهُ- عَلَى طَرِيقَةٍ مُثْلَى، وَسِيرَةٍ فَضْلُهَا يُثْلَى. أَخَذَ فِي فُنُونٍ، وَمَحَاضِرٍ مِنَ الْأَدَبِ بَعْثُورٍ، وَكَانَ رُصَافِيَّ الْإِنْتِحَاءِ⁸ وَالْحَرْفَةِ، وَكَمْ بَيْنَ الرَّاحِ الْمَشُوبَةِ وَالصَّرْفَةِ. وَلَمْ أَظْفَرْ مِنْ نَظْمِهِ عَلَى كَثْرَتِهِ، وَتَأَلَّقَ أَسْرَتِهِ، إِلَّا بِأَبْيَاتٍ نَسَبَهَا إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الْمُعْتَنِينَ بِنَقْلِ أَدَبِهِ.

- "القرطاس قطعة من أديم تنصب للنضال فإذا أصاب الرامي قيل قرطس قرطسة" المصباح المنير / قرطس، ص 190¹
 - م: "خس" "المُخَمَّس من الشعر: ما كان على خمسة أجزاء، وليس ذلك في وضع العروض. وقال أبو اسحاق: إذا اختلطت القوافي فهو المخمس" لسان العرب / خمس: 155 / 5²
 - أ، ق، م: "إيضاح" والمثبت من ع. من وضع بنفسه واتضح.³
 - أ، ق، ع: "استقل" والمثبت من م.⁴
 - ع، م: "عصابه"⁵
 - ابن الخياط (735هـ/1335م) أحمد بن الحسن بن محمد الدمشقي، مجد الدين ابن الخياط: شاعر، له "ديوان" في عدة مجلدات. مات في دمشق. الأعلام: 1/ 111⁶
 - م: "وبره"⁷
 - ع، م: "انتحال" وهو تحريف؛ أي كان ينحو نحو أهل الرصافة.⁸

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَدَوِيِّ¹

خَطِيبٌ طَلَقَ اللِّسَانَ، وَأَدِيبٌ رَحْبُ الْإِحْسَانِ، تَشَرَّفَ بِالرَّحْلَةِ الْحِجَازِيَّةِ، وَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الْحِجَازِيَّةِ، [ثُمَّ أَسْرَعَ بِبَلَدِهِ حَطَّ الْقَتَادَةَ وَالرَّحْلَ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ إِقْبَالَ الْعِمَامَةِ عَلَى الْمَحَلِّ، فَعَظَّمَ بِهِ الْإِعْتِبَاطُ]² وَتَوَقَّرَ إِلَى تَقْدِيمِهِ فِي الْخَطَابَةِ النَّشَاطُ، وَلَمْ تُنْثِنِ عَنِ الْغَرَضِ فِيهِ الدُّعَابَةُ وَالْإِنْبِسَاطُ. وَهُوَ -الآن- خَطِيبٌ بِهَا، يُحَرِّكُ الْجَامِعَ، وَيُقِرِّطُ الْمَسَامِعَ، وَيُرْسِلُ مِنَ الْجُفُونِ الْمَدَامِعَ. وَلَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ حَظٌّ وَافِرٌ، وَفِي الْأَدَابِ قَسَامٌ سَافِرٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ فَرْكُونَ³

شَيْخُ الْجَمَاعَةِ وَقَاضِيهَا، وَمُنْفِذُ الْأَحْكَامِ وَمُمْضِيهَا، وَشَائِمٌ⁴ سَيُوفِهَا الْمُتَنَاضَاةِ⁵ وَمُنْتَضِيهَا. كَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لُجًّا لَا يُسَاجِلُ مَوْجَهُ، وَفَرِنْدًا⁶ لَا يُنْعَاطَى أَوْجُهُ، تَقَدَّمَ بِدَاتِهِ وَنَفْسِهِ عَلَى أُنْبَاءِ جَنْسِهِ، وَارْتَى فِي الْفَضْلِ يَوْمُهُ عَلَى أَمْسِهِ، فَهَدَرَ هَذَرَةَ الْبَازِلِ⁷، وَتَقَدَّمَ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ وَمَعْرِفَةِ النَّوَازِلِ، [إِلَى]⁸ وَقَارِ تَوَدُّ رِضْوَى رَجَاحَتِهِ، وَصَدْرٍ تَحْسُدُ الْأَرْضُ الْعَرِيضَةَ سَاحَتَهُ، وَنَادِرَةٍ يَدْعُوهَا

- "محمد بن محمد البدوي الخطيب بالربض من بلش، كان حسن التلاوة لكتاب الله، ذا قدم في الفقه، له معرفة بالأصلين، شاعرا مجيدا بصيرا، بليغا في خطبته، حسن الوعظ. توفي ببلش في أخريات عام خمسين وسبعمائة" الإحاطة: 3 / 649¹

- ع: ساقط²

- "أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن فركون يكنى أبا جعفر، ولد في ربيع الآخر من سبع وأربعين وسبعمائة" الإحاطة: 1 / 99³

- "شام السيف شيما: سله وأغمده وهو من الأضداد" لسان العرب / شيم: 8 / 179⁴

- ع: "الماضية" ولعل الصواب ما أثبت؛ "ونضوت السيف من غمده وانتضيته" أساس البلاغة / نضو، 2 / 280⁵

- ع: "برفدا" "فرند السيف: وشيه. والفرند: السيف نفسه" لسان العرب / فرند: 11 / 174⁶

- "بزل تابعير فطر نابيه بدخوله في السنة التاسعة فهو بازل" المصباح المنير / بزل، ص 19⁷

- أ: بياض، والمثبت من ع، م⁸

فَلَا تَتَوَقَّفُ، وَيُلْقِي عَصَاهَا فَتَتَلَقَّفُ. وَكَانَ لَهُ فِي الْأَدَبِ مُشَارَكَةٌ، وَفِي فَرِيضَةِ النَّظْمِ حِصَّةٌ مُبَارَكَةٌ.

فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي حَبَلٍ¹

فَقَدْ تَنَتَّى عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ²، وَصَدَّرَ لَا يَحْصُرُ فَضَائِلُهُ حَاصِرٌ، وَقَاضِي يَرِيشُ سِهَامَ الْأَحْكَامِ وَيَبْرِيهَا، وَيُزِيلُ بِنَظَرِهِ الشُّبُهَةَ الَّتِي تَعْتَرِيهَا، وَيُطَبِّقُ مَفَاصِلَ الْفَضْلِ بِذَهْنِهِ الذَّلِقِ³ النَّصْلِ فَيَبْرِيهَا، تَوَلَّى الْأَقْطَارَ فَازْدَانَتْ، وَتَقَلَّدَ الْأَحْكَامَ فَلَا حَتَّ الْمَعْدِلَةِ⁴ وَبَانَتْ، وَظَهَرَتْ الْحُقُوقُ الشَّرْعِيَّةُ لِأَهْلِهَا حَيْثُ كَانَتْ.

وَأَمَّا الْأَدَبُ فَكَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- سَابِقَ حَلَبَةِ زَمَانِهِ وَمُجَلِّيهَا⁵، وَمُتَنَاطِلَ رَأْيَتِهِ وَمُتَوَلِّيهَا، وَإِنْ كَانَ لَغَيْرِ فَنَّ مِنَ الْأَدَبِ مَصْرُوفًا، وَبِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مَعْرُوفًا.

فِي وَصْفِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ شَبْرِينَ⁶

خَاتِمَةُ الْمُحْسِنِينَ، وَقُدُوءُ الْفُصَحَاءِ⁷ اللَّسَنِيِّينَ. قَرِيعُ بَيْتٍ تُرَحَّمُ النُّجُومُ بِكَاهِلِهِ⁸، وَوَرَدَ مِنَ الْمَجْدِ أَعْدَبَ مَنَاهِلِهِ، مَلَأَ الْعُيُونَ هَدِيًّا وَسَمْتًا، وَسَلَكَ مِنَ الْوَقَارِ طَرِيقَةً لَا تَرَى فِيهَا عَوَجًا وَلَا أَمْتًا⁹، فَمَا

1 - الشيخ القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد بن أبي حبل المعافري.

م: "الخناجر"²

م: "الزلق" "كأنه دَلَقُ سِنَانٍ، وذولق سنان وهو طرفه" أساس البلاغة / ذلق، 1/ 316³

م: "وهو حَكَمٌ ذو مَعْدِلَةٍ وَمَعْدِلَةٍ فِي أَحْكَامِهِ" أساس البلاغة / عدل، 1/ 638⁴

م: "مجلسها" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي مظهر فضل زمانه وحسناته.⁵

م: "الشيخ الكاتب أبو بكر بن أحمد بن محمد بن شبرين... توفي عام 747هـ" الكتيبة الكامنة، ص 166⁶

أ، ق: "الفضلاء" والمثبت من ع، م.⁷

م: أي يطلب أعلام بلده الرحمة عن طريقه.⁸

م: سورة طه، الآية: 107⁹

سُئِلَتْ مِنْ فَضْلِ ذَاتِ وَبَرَاةِ أَدَوَاتٍ. إِنَّ خَطَّ نَزْلِ ابْنِ مُقْلَةٍ عَنْ دَرَجَتِهِ وَانْحَطَّ، وَإِنْ نَظَّمَ وَنَثَرَ تَبِعَتْ
الْبُلْغَاءُ ذَلِكَ الْأَثَرَ، وَإِنْ تَكَلَّمَ نَصَتْ الْحَفْلُ لِاسْتِمَاعِهِ، وَشَرَعَ لِذُرْرِهِ النَّفِيسَةِ صَدَفَ أَسْمَاعِهِ.

وَقَدْ عَلَى الْأَنْدَلُسِ، عِنْدَ كَائِنَةِ سَبْتَةٍ، وَقَدْ طَوَّحَتِ النَّوَى بِرِجَالِهِ¹، وَظَعَنَ عَنْ رَنْعِهِ لِتَوَالِي
إِمْحَالِهِ، وَكَانَ مُصَرِّفَ الدَّوْلَةِ بِبِلَادِهَا، وَالْمُسْتَوَلِيَّ عَلَى طَارِفِهَا وَتِلَادِهَا، وَمُعَرِّسَ² الْأَدَابِ وَمُقِيلَهَا،
وَنَاعِشَ³ الْعَثَرَاتِ وَمُقِيلَهَا. أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْحَكِيمِ -قَدَّسَ اللَّهُ هُدَاهُ، وَسَقَى مُنْتَدَاهُ- فَاهْتَرَّ لِقُدُومِهِ
اهْتِزَّازَ الصَّارِمِ، وَتَلَفَّاهُ تَلَفِّي الْأَكَارِمِ، وَأَنْهَضَ إِلَى الْغَايَةِ آمَالَهُ، [وَأَلْقَى لَهُ قَبْلَ الْوِسَادَةِ مَالَهُ]⁴
وَنَظَّمَهُ فِي سِمَطِ الْكِتَابِ، وَأَسْلَاهُ عَنْ أَعْمَالِ الْأَقْتَادِ وَالْأَقْتَابِ.

وَلَمْ يَزَلْ [زِمَامُهُ يَتَأَكَّدُ فِي هَذِهِ الدُّوَلِ، وَتُرْبِي لَهُ الْآتِيَةُ مِنْهَا]⁵ عَلَى الْأَوَّلِ، فَتَصَرَّفَ فِي
الْقَضَاءِ بِجِهَاتِهَا، وَنَادَتْهُ الْعِنَايَةُ هَاكَ وَهَاتِهَا، فَجَدَّدَ عَهْدَ حُكَّامِهَا الْعُدُولِ مِنْ سَلَفِهِ وَقَضَاتِهَا، وَلَهُ
الْأَدَبُ الَّذِي تَحَلَّتْ⁶ بِقَلَائِدِهِ اللَّبَّاتُ وَالنُّحُورُ، وَقَصُرَتْ عَنْ جَوَاهِرِهِ النُّحُورُ. وَسَيَمُرُّ مِنْ ذَلِكَ فِي
تَضَاعِيفِ هَذَا الْمَجْمُوعِ مَا يَشْهَدُ بِسَعَةِ ذِرْعِهِ، وَيُخْبِرُ بِكَرَمِ عُنُصُرِهِ، وَطِيبِ نَبْعِهِ.

- م: "برحاله" وهو تصحيف.¹

- "عَرَسَ إِذَا نَزَلَ الْمَسَافِرُ لِيَسْتَرِيحَ نَزْلَةً ثُمَّ يَرْتَحِلُ" المصباح المنير / عرس، ص 152²

- "نَعَشَتْهُ فَانْتَعَشَ إِذَا تَدَارَكَتْهُ مِنْ وَرْطَةٍ" أساس البلاغة / نعش، 2/ 285³

- أ: ساقط، والمثبت من ع، م⁴

- أ: غير واضح، والمثبت من ع، م⁵

- ع: "تجلت" وهو تصحيف؛ أي اتخذته كالحلي للزينة.⁶

فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ الْخَضِرِ بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ

فَارِسُ مَيْدَانِ الْبَيَانِ، وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ، وَحَامِلُ لَوَاءِ الْإِحْسَانِ لِأَهْلِ هَذَا اللِّسَانِ. دَخَلَ فِي حُلِّ الْبَدَائِعِ فَسَحَبَ أَذْيَالَهَا، وَشَعَشَعَ أَكْوَاسَ الْعَجَائِبِ، فَأَدَارَ جِرْيَالَهَا، وَاقْتَحَمَ عَلَى الْفُحُولِ أَغْيَالَهَا، وَطَمَحَ إِلَى الْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ فَنَالَهَا، وَتَذَوُّكَرَتِ الْمُخْتَرَعَاتُ فَقَالَ أَنَا لَهَا.

عَكَفَ وَاجْتَهَدَ، وَبَرَزَ إِلَى مُقَارَعَةِ الْمُشْكِلَاتِ وَنَهَدَ، فَعَلِمَ وَحَصَّلَ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ وَتَوَصَّلَ، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ، وَاضْطَلَعَ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ، وَبَرَعَ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ، وَتَمَيَّزَ فِي الْمَسَائِلِ بِطُولِ الْبَاعِ وَسَعَةِ الذَّرَاعِ، فَأَصْبَحَ صَدْرًا فِي مِصْرِهِ، وَغُرَّةً فِي صَفْحَةِ صَدْرِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ جَابِرِ الْوَادِي أَشِي¹

فَحُلُّ هَادِرٍ، وَبَلِيغٌ عَلَى الْكَلَامِ قَادِرٌ، اهْتَزَّ لَهُ الْعَصْرُ عَلَى رَجَاحَةِ أَطْوَادِهِ، وَظَهَرَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَى كَثْرَةِ حُسَادِهِ، وَلَمَّا أَجْلَى فِي مَنْصَةِ الْإِبْدَاعِ بَنَاتِ فِكْرِهِ، وَجَّاسَ² عَقَائِلَ الْحَيِّ الْحَالِ بِبِكْرِهِ، طُولِبَ بِإِثْبَاتِ تِلْكَ النُّبُوَّةِ، وَقِيلَ هَذَا الْجَمْلُ، وَهَذِهِ الْكُوَّةُ. فَخَاصَمَ حَتَّى أَظْهَرَ الْحَقَّ، وَتَمَّمَ فَاسْتَحَقَّ، وَذَيَّلَ وَوَطَّى، وَتَجَاوَزَ الْغَايَةَ الْبَعِيدَةَ وَتَخَطَّى، وَلَمْ تَزَلْ بَدَائِعُهُ فِي اشْتِهَارٍ، وَرَوْضَاتُ آدَابِهِ ذَوَاتُ أَزْهَارٍ.

- "من مشايخ لسان الدين الإمام الرحالة شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن جابر الوادي أشي... له معرفة بالحديث والنحو واللغة والشعر، وله نظم حسن. توفي بتونس سنة 779" نفح الطيب، 3/ 449¹
-ع: "حاش" "جاس جوسا وجوسانا: تردد" لسان العرب / جوس: 3/ 240²

وَتَصَرَّفَ فِي الْكِتَابَةِ فَكَانَ صَدْرَ نَادِيهَا، وَقِلَادَةَ هَادِيهَا. وَوَلَّى خُطَّةَ الْقَضَاءِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَقَدْ نَاهَزَ اكْتِهَالَهُ، وَبَلَغَ أَشَدَّهُ، فَحَسُنَتْ سِيرَتُهُ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ لِكُلِّ أَعْمَالِهِ جِيرَتُهُ، وَلَهُ نَفْسٌ إِلَى الْعِلْمِ مُرْتَاحَةً، وَخَوَاطِرُ تَنْتِجٍ مِنْهُ كُلِّ سَاحَةِ، هَامَ فِيهِ بِكُلِّ مُسْتَحِيلٍ وَجَائِزٍ، وَكَلَّفَ حَتَّى بِعُلُومِ الْعَجَائِزِ. وَشِعْرُهُ جَزُلُ الْأُسْلُوبِ، وَعَذَبٌ فِي الْأَفْوَاهِ وَالْقُلُوبِ.

فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبِ الطَّرِيفِيِّ

طَوِيلُ [الْقُدَامَةِ]¹ الْقَادِمَةِ وَالْخَافِيَةِ، مُحَكَّمٌ لِبِنَاءِ الْبَيْتِ وَتَأْسِيسِ الْقَافِيَةِ، صَاحِبُ طَبَعٍ مُعِينٍ، وَآتٍ مِنَ الْقَصَائِدِ بِحُورٍ عَيْنٍ. عَكَفَ عَلَى النَّظْمِ فِي جِيلِهِ، عُكُوفَ الرَّاهِبِ عَلَى إِنْجِيلِهِ، وَلَمْ يَزَلْ يُفَوِّقُ إِلَى كُلِّ غَرَضٍ سِهَامَهُ، وَيَسْتَنْسِقِي صَبِيئَهُ² وَجَهَامَهُ³، وَيَهْزُ مَاضِيَهُ وَكَهَامَهُ⁴، حَتَّى اسْتَهَرَّتْ أَبْيَاتُهُ، وَحَفِظَتْ بَدَائِعُهُ وَرَوَائِئُهُ.

وَتَصَرَّفَ فِي الْقَضَاءِ فَاسْتَقَامَ أَوْدُهُ، وَأَنْطَلَقَتْ [فِي الْحُكْمِ]⁵ يَدُهُ، وَكَانَتْ لَهُ وَفَادَةٌ عَلَى مُلْكٍ هَذِهِ الدُّوَلِ فِي الْعُصُورِ الْأُولِ. نَظَّمَ فِيهَا وَمَدَحَ، وَقَدَحَ مِنْ قَرِيحَتِهِ مَا قَدَحَ، وَتُوَفِّي بِبِلَدِهِ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ [وَزَمَانَةٍ مُتَوَالِيَةٍ]⁶.

- أ، م: ساقط، والمثبت من ع.¹

- م: "صينته" وهو تحريف. ولعل الصواب ما أثبت.²

- "الجهام: السحاب الذي لا ماء فيه" لسان العرب / جهم: 3 / 229³

- "سيف كهام وكهيم: لا يقطع، كليل عن الضربة" لسان العرب 13 / 127⁴

- أ، م: ساقط، والمثبت من ع.⁵

- أ: غير واضح، والمثبت من ع.⁶

وَلَمَّا شَرَعَ الْمُؤَلَّفُ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]¹ فِي إِنْشَاءِ² هَذَا الْكِتَابِ، بَعَثَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ بَلَدِهِ،
مِمَّنْ غَنِيَ بِحِفْظِ الطُّرُوسِ، وَإِحْيَائِهَا بَعْدَ الدُّرُوسِ، بِمَهَارِقَ أَكَلَ الدَّهْرُ مِنْهَا مَا تَجَسَّم، وَأَنْتَهَبَهَا
الدَّهْرُ مَا شَاءَ وَتَقَسَّم، فَأَثْبَتُ لَهُ مِنْهُ مَا يُنْظَرُ فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْجَقَالَةِ³

صَدَّرَ فِي الْقَضَاةِ، وَيَنْبُوعُ لِلْخِلَالِ الْمُرتَضَاةِ، وَطَابَعَ لِسُيُوفِ الْكَلِمِ الْمُنتَضَاةِ. نَشَأَ بِبَلَدِهِ رُنْدَةً
-حَرَسَهَا اللَّهُ- [صَدَّرَ]⁴ سَكَّانَهَا وَقَضِيْلَةً زَمَانَهَا⁵، وَعَيْنُ أَعْيَانِهَا، وَحَامِلُ لَوَاءِ بَيَانِهَا. وَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُكَ
مِنَ الْفَضْلِ عَلَى السَّنَنِ الْمَأْثُورِ، وَيُرْكِضُ جِيَادَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ، فَأَغْرَبَ الْغَرْبَ بِآدَابِهِ، وَتَعَلَّقَ
الْإِحْسَانَ بِأَهْدَابِهِ.

وَتَوَلَّى الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ فَأَجَالَ قِدَاحَهَا، وَقَرَّرَ مَكْرُوهَهَا وَمُبَاحَهَا، وَتَتَاوَلَ الْمَسَائِلَ فَأَبَانَ
صَبَاحَهَا، حَتَّى خَلُصَتْ⁶ فِيهِ السَّرَائِرُ، وَعُقِدَتْ عَلَى حُبِّهِ الضَّمَائِرُ، وَطَابَتْ فِيهِ الْخَوَاطِرُ، وَتَضَوَّعَ
مِنْ ثَنَائِهِ الْمِسْكُ الْعَاطِرُ، وَأَقْعَدَهُ لِهَذَا الْعَهْدِ الْكِبَرُ، وَحَوَّمَ عَلَيْهِ الْأَجَلَ الْمُنْتَظَرُ، فَتَعَطَّلَتْ لِضُعْفِهِ
تِلْكَ السُّوقُ، وَعُدِمَ لِعَدَمِ بَيَانِهِ الدُّرُ الْمَنْسُوقُ.

- أ، م: ساقط، والمثبت من ع¹

- م: "تأليف" وكلاهما صحيح.²

- "القاضي أبو القاسم محمد بن يوسف المعروف بابن الجقالة. صدر في القضاء، وجمع بين المنظوم والمنثور" الكتيبة الكامنة
فيمن لقيتهم من المائة الثامنة، ابن الخطيب، ص: 109³

- م: ساقط⁴

- ع: "مكانها" ولعل الصواب ما أثبت.⁵

- م: "فاضت" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي كانت النفوس مخلصه له.⁶

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمُتَشَاقِرِي

حَسَنَةُ الدَّهْرِ الْكَثِيرِ الْعُيُوبِ، وَتَوْبَةُ الزَّمَانِ الْجَمِّ الذُّنُوبِ، مَا شِئْتَ مِنْ بَشَرٍ يَتَأَلَّقُ، وَأَدَبٍ
تَتَعَطَّرُ¹ لَهُ السَّمَاتُ وَتَتَخَلَّقُ، وَنَفْسٍ كَرِيمَةٍ الشَّمَائِلِ وَالضَّرَائِبِ، وَقَرِيحَةٍ يَقْذِفُ بِحَرْهَا بِمَاءِ الْغَرَائِبِ،
إِلَى خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى تَحُولُ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَقَرَارِهَا، وَمُرَاقِبَةٍ تُنْثِي النُّفُوسَ عَنِ اغْتِرَارِهَا، وَلِسَانٍ يَبُوحُ
بِأَشْوَاقِهِ²، وَجَفْنٍ يَسْخُو³ بِدُرَرِ آمَاقِهِ.

وَحَرِصَ عَلَى لِقَاءِ⁴ [أَهْلِ الدِّيَانَةِ وَالْأَدَبِ]⁵، وَبَحَثَ عَمَّنْ يُمِثُّ إِلَى⁶ [الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ]⁷ بِسَبَبٍ،
سَبَقَ بِقُطْرِهِ الْحَلَبَةَ، وَنَزَعَ مِنَ الْأَدَبِ الْهَضْبَةَ، وَرَفَعَ الرَّايَةَ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ. فَطَارَتْ قَصَائِدُهُ كُلَّ
الْمَطَارِ، وَتَغَنَّى بِهَا رَاكِبُ الْفُلْكِ وَحَادِي الْقِطَارِ.

وَتَقَلَّدَ خُطَّةَ الْقَضَاءِ بِبَلَدِهِ، وَأَنْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْأَحْكَامِ [بَيْنَ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، فَوَضَحَتِ الْمَذَاهِبُ
بِفَضْلِ مَذْهَبِهِ]⁸، وَحُسْنِ مَقْصِدِهِ، وَلَهُ شِيْمَةٌ فِي الْوَفَاءِ يُعْلَمُ مِنْهَا الْآسُ، [وَمُؤَانَسَةٌ لَا تَسْتَطِيعُهَا
الْأَكْوَاسُ]⁹

-م: "تتفطر" ولعل الصواب ما أثبت.¹

-م: "بأشواقه".²

-أ، ق: "يستحق" والمثبت من ع، م.³

-ع: بزيادة: "كل ذي علم وأدب"⁴

-ع: ساقط⁵

-ع: بزيادة: "أهل الديانة والأدب"⁶

-ع: ساقط⁷

-أ: غير واضح، والمثبت من ع، م⁸

-أ: غير واضح، والمثبت من ع، م⁹

فِي وَصْفِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَطِيَّة¹

فَرَعُ بَيْتِ أَصِيلٍ، وَصَدْرُ مَعْرِفَةٍ وَتَحْصِيلٍ، نَشَأَ عَلَى الْعَفَافِ، وَتَبَلَّغَ بِالْكَفَافِ، وَعَمِلَ عَلَى شَاكِلَةٍ مِنْ لَهُ [كَرَامٌ]² الْأَسْلَافِ، إِلَى نَفْسٍ يُلَابِسُهَا الْحَيَاءُ وَالْوَقَارُ، وَأَدَبٍ تَنَمُّ عَنْهُ أَخْلَاقُهُ كَمَا تَنَمُّ تَحْتَ الزُّجَاجَةِ الْعَقَارُ³، وَحَطَّ تَهِيمٌ بِمَرْقُومِهِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَةَ هَذَبُهَا الْإِخْتِصَارُ، وَمُحَاضَرَةٌ تَتَحَلَّى بِهَا اللَّيَالِي الْقِصَارُ.

تَقَدَّمَ بِفُطْرِهِ إِلَى الْخُطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ، أَطْهَرَ مِنْ مَاءِ الْعَمَامَةِ، وَأَطْيَبُ مِنْ بُنْتِ الْكِمَامَةِ⁴، فَفَرَعَ عَلَى حَدَاثَةِ السِّنِّ أَعْوَادَهَا، وَبَلَغَ آمَادَهَا، وَأَصْبَحَ مِنَ الصُّدُورِ فُؤَادَهَا، وَمِنْ الْعُيُونِ سَوَادَهَا، وَلَا يُنْكِرُ الْعَذْبُ فِي يَنْبُوعِهِ، وَالنُّورُ فِي مَشْرِقِ طُلُوعِهِ. وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ أَدَبِهِ مَا يُعْرِبُ عَنْ مَذْهَبِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ الرَّعِينِيِّ⁵

قَرِيعُ فَضْلٍ وَمَجَادَّةٍ، وَضَارِبُ فِي هَذَا الْأَدَبِ بِسَهْمِ إِجَادَةٍ. كَانَ أَبُوهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- خَطِيبَ مَالِقَةٍ، وَصَدَرَ فَضْلَانِهَا، وَوَاسِطَةُ عَلَائِهَا، وَنَشَأَ هَذَا الْفَاضِلُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- سَالِكاً فِي الْعَفَافِ عَلَى

- ابن عطية (481-542هـ / 1088-1148م) "أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، عارف بالأحكام والحديث وله شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملتزمين" الأعلام: 5/ 165¹

-م: ساقط²

- "العقار الدواء جمع عقاقير" المصباح المنير / عقر، ص 160³

- "الكمامة" وعاء الطلع وغطاء النور" لسان العرب / كم: 13/ 112⁴

- "محمد بن أبي القاسم الرعيني المعروف بابن أبي دينار القيرواني، الأديب الشاعر، وشعره أحسن من نثره، المؤرخ. ولد بالقيروان، وتعلم بها، ثم بتونس" الحلل السندسية في الأخبار التونسية، 2/ 315.⁵

مَسْلَكِهِ، وَمُنْتَقِلًا فِي دَرَجَاتِ فَلَكِهِ. تَوَلَّى الْقَضَاءَ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ، وَجِدَّةِ عُمُرِهِ، ثُمَّ دُعِيَ
لِلْكِتَابَةِ، فَتَنَقَّلَ لِلْحَضْرَةِ وَتَحَوَّلَ، وَعَزَمَ عَلَى الْمَقَامِ بِهَا وَعَوَّلَ، فَأَجَالَ يِرَاعَتَهُ، وَشَهَرَ بِرَاعَتَهُ.

وَلَمَّا غَصَّهُ الْإِغْتِرَابُ، وَبَايَنَ وَطَنَهُ كَمَا بَايَنَ السَّيْفَ الْقِرَابُ، شَاقَهُ الْأَهْلُ وَالْأَتْرَابُ، وَالْمَاءُ
وَالْتُرَابُ، وَحَنَّ إِلَى دَوْحِهِ الَّذِي بِهِ تَأَوَّدَ، وَكَبُرَتْ عَلَيْهِ الْخِدْمَةُ، وَصَعَبَ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يُعَوِّدْ،
فَرَغِبَ فِي الْإِنْصِرَافِ إِلَى بَلَدِهِ، وَاحْتِمَالِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ.

وَهُوَ الْيَوْمَ قَاضِي جِهَاتِهَا الْعَرَبِيَّةِ، وَمُنْفِذُ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ. وَلَهُ أَدَبٌ وَخَطٌّ، وَبَحْرٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
لَيْسَ لَهُ شَطٌّ. وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ شِعْرِهِ مَا يُشِيدُ بِذِكْرِهِ.

فِي وَصْفِ أَبِي يَزِيدَ خَالِدِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ¹

فَائِزٌ مِنَ الْإِبْدَاعِ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ، [وَمُسْتَمِيلٌ]² أَسْمَاعٍ وَقُلُوبٍ، وَفَصِيحٌ بِأَدِيَّةٍ³ وَفِي الْبَدَاوَةِ
حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ. قَدَحَ قَرِيحَتَهُ الْوَقَادَةَ، وَرَاضَ صَعْبَ الْكَلَامِ فَأَعْطَاهُ الْمَقَادَةَ، فَتَأَلَّقَ بِذَلِكَ الْأُفُقِ
تَأَلَّقَ الْبَرْقِ، وَطَلَعَ بِتِلْكَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَلَا يُنْكِرُ الثُّورُ عَلَى الشَّرْقِ. فَشَرَفَ [فِي قَوْمِهِ]⁴، وَأَصْبَحَ
فِيهِ أَمْسُهُ مُنَافِسًا لِيَوْمِهِ، إِلَى بَلَاغَةِ تَتَحَلَّى بِهَا صَفَحَاتُ الْمَهَارِقِ، وَعَفَافٌ حَتَّى عَنِ الْخَيَالِ
الطَّارِقِ.

-م: ساقط¹

-م: "مستهل" ولعل الصواب ما أثبت.²

- م: "بأدبه" ولعل الصواب ما أثبت؛ لتناسيها مع السياق.³

- ع: ساقط⁴

وَرَحَلَ فِي هَذَا الْعَهْدِ الْقَرِيبِ، وَقَدْ أَصْبَحَ يُحْسِنُ ضَرَائِبَهُ عَدِيمُ الضَّرِيبِ. فَاقْتَحَمَ فُرْضَةً¹
 الْمَجَازِ، إِلَى مَثَابَةِ الْحِجَازِ، فَقَضَى وَطَرَهُ مِنْ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ، وَتَبَرَّكَ بِلِقَاءِ مَنْ بِهَا مِنْ عَالِمٍ أَوْ زَاهِدٍ،
 وَقَفَلَ وَقَدْ دَوَّنَ رِحْلَتَهُ سِفْرَهُ، وَزَهَا بِهَا زَهْوَ الْجَفْنِ بِعُجْجِهِ²، وَالْخَدَّ بِجَمْرِهِ³.
 وَاجْتَاَزَ بِالْبِلَادِ الْمُوَحَّدِيَّةِ فَدَعَتْهُ إِلَى خِدْمَةِ بَابِهَا، وَقَلَّدَتْهُ رِئَاسَةَ كُتَّابِهَا، فَأَيَّنَعَ رَوْضَهُ وَأَثْمَرَ،
 وَحَلَّ بِهَا لَتَهَا فَأَضَاءَ وَأَبْدَرَ، فَلَمْ يَكُنِ الْإِكْلَاءُ⁴ حَتَّى جَذَبَ الشَّوْقُ بِرَسَنِهِ⁵، وَطَارَ بِهِ الْوَجْدُ⁶ إِلَى
 وَطْنِهِ، فَاسْرَعَ اللَّحَاقَ، وَآثَرَ عَلَى النُّورِ الْمَحَاقَ. وَعَلَى ذَلِكَ فَقَدْ وَلِيَ لِلْحَيْنِ بِلَدَّتِهِ قَضَاءَهَا، وَتَقَلَّدَ
 إِنْفَازَ الْأَحْكَامِ وَإِمْضَاءَهَا -رَحِمَهُ اللَّهُ-

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدَةَ

مَجْمُوعُ أَذْوَاتٍ، وَقَارِسُ قَلَمٍ وَدَوَاةٍ، وَشَيْخٌ تَقَعُ الْعَيْنُ مِنْهُ عَلَى صُورَةٍ طَرِيفَةٍ، وَهَيْئَةٍ ظَرِيفَةٍ،
 وَقَرِيعُ بَيْتِ نَبِيٍّ، وَأَصَالَةٌ لَيْسَ لَهَا مِنْ شَبِيهِهِ. وَلَهُ خَطٌّ حَسَنٌ، وَبَلَاغَةٌ وَلَسَنٌ، تَصَرَّفَ فِي الْقَضَاءِ،
 فَمَا دَوَّى لِسِيرَتِهِ الْحَمِيدَةِ نَوْرٌ، وَلَا نُسِبَ لَهُ حَيْفٌ وَلَا جَوْرٌ.

- "فرضة النهر الثلثة التي ينحدر منها الماء وتصعد منها السفن" المصباح المنير / فرض، ص 178¹

- م: "بفتحه" وهو تحريف.²

- م: "بخضره" ولعل الصواب ما أثبت؛ كناية عن حمرة.³

- "أكلأ في الطعام وغيره إكلأ: أسلف وسلّم" لسان العرب / كلاً: 95 / 13⁴

- "الرَّسَن: الحبل، وما كان من الأَرَمَةِ على الأنف" لسان العرب / رسن: 155 / 6⁵

- ع: "الوجود" وهو تحريف.⁶

فِي وَصْفِ أَبِي زَكَرِيَّا الْقُبَاعِي

شَاعِرٌ إِذَا نَظَّمَ أَجَادَ، وَإِنْ اسْتَسْقَى طَبْعَهُ أَفَادَ، إِلَى دِيَانَةٍ سَابِغَةِ الْأَنْيَالِ، وَأَخْلَقَ مُعْتَقَةً
الْجُرْيَالِ، وَمَعَالٍ أَلْفَ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ. وَلَمْ أَقِفْ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا عَلَى قَصِيدَةٍ، مُبْدِيَةٍ¹ فِي
الْإِحْسَانِ مُعِيدَةٍ²، يُخَاطِبُ بِهَا الْوَزِيرَ أَبَا بَكْرٍ بْنَ الْحَكِيمِ [رَحِمَهُمَا اللَّهُ]³

فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ السِّيَاسِي

حَسَنُ الْأَعْرَاضِ، نَقِيُّ الْجَوْهَرِ مِنْ مُخَالَطَةِ الْأَعْرَاضِ، ذُو أَدَبٍ غَضَّ كَرْهَرِ الرِّيَاضِ، وَمَعَانٍ
كَمَنْ فِيهَا الْإِبْدَاعُ كُؤُونُ السَّحْرِ فِي الْجُفُونِ الْمِرَاضِ⁴، وَتَقَدَّمَ لِلْقَضَاءِ فِي⁵ تِلْكَ الْجِهَاتِ، فَأَقَامَ
رَسْمَهُ، وَأَنْفَذَ حُكْمَهُ، بِنَزَاهَةٍ مَأْثُورَةٍ وَسِيرَةٍ⁶ مَشْكُورَةٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ

مَجْمُوعُ فَضَائِلٍ وَكَمَالٍ، لَمْ يَدْعُ مَقَالًا لِقَائِلٍ، إِنْ ذُكِرَتِ الْمَعَارِفُ، فَحَيَّ ضَالِعُهُ، أَوْ تُلِيَتْ
سُورَةُ السَّرِّ وَكَانَ ذِكْرُهُ أَمَّ كِتَابِهِ. قَعَدَ بِبَلَدِهِ يُدْرَسُ الْعِلْمُ، وَيُجِيلُ قِدَاحُهُ، وَيُدِيرُ أَكْوَاسَ الْبَيَانِ،

-م: "معيدة"¹

- م: "بعيدة" ولعل الصواب ما أثبت؛ إشارة إلى اشتغالها على الإحسان للممدوح.²

- ع: ساقط³

- المراض ج مريض "لا تأكل هذا الطعام فإنك مريض إن أكلته أي تمرض" لسان العرب / مرض: 56 / 14⁴

-م: "ببعض"⁵

- أ، ق، ع: "صحة" والمثبت من م.⁶

وَيُسَعِّعُ رَاحَهُ، فَأَصْبَحَ فِي [دَهْرِهِ]¹ غُرَّةً، وَبَلَبَةً² عَصْرِهِ دُرَّةً، إِلَى وَقَارِ تَحْسُدِ الْهَضَابِ سُكُونَهُ، وَتَهْوَى أَنْ تَكُونَهُ، وَإِمْتِنَاعٍ يُحَسِّبُ³ كُلَّ سَائِلٍ، وَيُقِيمُ مِنَ الْمُشْكَلَاتِ كُلِّ مَائِلٍ، وَأَدَبٍ لَا تَشِحُّ رَهَامُهُ⁴، وَلَا تَتَعَدَّى الْغَرَضَ سِهَامُهُ، صَدْرُ مُعْظَمِهِ⁵ فِي دَوْلِ دَرْسِهِ، وَاجْتِنَاءِ ثَمَرَةِ الْعِلْمِ مِنْ غَرْسِهِ، عَلَى جِهَةِ التَّعْلِيمِ⁶ وَالتَّدْرِيبِ لِمُنْتَحِلِي الْبَيَانِ الْغَرِيبِ.

فِي وَصْفِ الْحَكِيمِ الْمَغْرِبِيِّ أَبِي عُثْمَانَ بْنِ لِيون⁷

مُجْتَهِدٌ مُشَمَّرٌ، مُنْقَبِضٌ [عَنِ النَّاسِ]⁸ مُنْتَمِرٌ، قَصَرَ عَلَى الْعِلْمِ أَوْقَاتَهُ، وَتَبَلَّغَ بِالْقَلِيلِ فَقَاتَهُ، وَعَكَّفَ عَلَى التَّقْيِيدِ وَالتَّدْوِينِ، وَاکْتَسَبَ مِنَ الْأُمَمَاتِ كُلِّ دُخْرِ ثَمِينٍ، وَهَلُمَّ جَرًّا. فَقَدْ اشتهَرَ بِفَوْدِهِ صَبَاحُ الْمَشِيبِ، وَنَضًا بَرْدُهُ⁹ الزَّمَنُ الْقَشِيبُ، وَمَا فَتَرَ عَنْ مُوَاصَلَةِ اجْتِهَادِهِ، وَإِثَارِ أَرْقِهِ وَسُهَادِهِ. وَمَالَ إِلَى صِنَاعَةِ الطَّبِّ، فَدَوَّنَ فِيهَا، وَشَارَكَ مُنْتَحِلِيهَا، وَجَعَلَهَا مَادَّةَ حَالِهِ، وَمَحَطَّ رَحَالِهِ. وَلَهُ نَظْمٌ حَسَنٌ، وَعَارِضَةٌ وَلَسَنٌ، نَظَمَ بِهِ الْعُلُومَ وَدَوَّنَ، وَتَقَلَّبَ فِي شَتَّى الْمَآخِذِ وَتَلَوَّنَ، وَبِأُخْرَةٍ فَهُوَ رَوْضَةٌ أَنْيَقَةٌ، وَخَمِيلَةٌ وَحْدِيقَةٌ، وَضَارِبٌ بِسَهْمٍ فِي هَدَفٍ كُلِّ طَرِيقَةٍ، وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِهِ يَسِيرًا، جَعَلَتْهُ لِلْمَحَاسِنِ إِكْسِيرًا.

- ع: ساقط¹

- ع: "بلية" وهو تصحيف.²

- "خرجاً يتحسبان الأخبار: يتعرفانها" أساس البلاغة / حسب، 1/ 720³

- أ، ق: "رهانه" والمثبت من ع، م. "أرهمت السماء جاءت بالرهام والرهَم، ووقعت رهمة: مطرة لينة صغيرة القطر" أساس

البلاغة / رهم، 1/ 400⁴

- م: "مفطمه" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي أن معظم وقته في تلقين العلم ونشره.⁵

- ع: "العلم" ولعل الصواب ما أثبت.⁶

- أبو عثمان بن ليون (681-750هـ / 1282-1350م) "سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي، من علماء الأندلس وأديانها المتقدمين، ولد بالمرية وتوفي فيها شهيدا بالطاعون. من مؤلفاته "المح السحر من روح الشعر" و "بغية الموانس من بهجة

المجالس وأنس المجالس" الأعلام: 3/ 83-84⁷

- أ، م: ساقط، والمثبت من ع⁸

- "برد مخه وبردت عظامه إذا هزل وضعف" أساس البلاغة / برد، 1/ 54⁹

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْمَكْتَبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَالِقِيِّ¹

مُجَوِّدٌ مُرْتَلٍّ، وَعَابِدٌ مُتَبَتِّلٌ، مُشْتَغِلٌ بِمَا يَغْنِيهِ، مُثَابِرٌ عَلَى مَا يُزِلُّهُ مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ
وَيُذْنِيهِ. عَكَفَ عَلَى [تَعْلِيمِ]² الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَشَمَرَ فِيهِ عَنْ قَدَمِ التَّبَرُّيزِ، وَارْتَضَاهُ الْوَزِيرُ ابْنُ
الْحَكِيمِ إِمَامًا لِصَلَاتِهِ، وَاعْتَمَرَهُ³ بِجَوَائِزِهِ الْجَزِيلَةِ وَصِلَاتِهِ.

وَلَمْ يَزَلْ يُرْفَعُ بِصُنْعِهِ⁴، حَتَّى عَطَفَ الدَّهْرُ بَرِيْعَهُ، فَضَاعَ ضِيَاعَ مِصْبَاحِ الصَّبَاحِ، وَلَعِبَتْ بِهِ
الْأَيَّامُ كَمَا لَعِبَتْ بِالْهَشِيمِ أَيْدِي الرِّيَّاحِ، وَتَقَلَّبَتْ بِهِ أَيْدِي الزَّمَانِ، وَأُخَوِّجَتِ الثَّمَانُونَ سَمْعَهُ إِلَى
تَرْجُمَانٍ، وَلَهُ أَدَبٌ مُحْتَكَمٌ الْقَوَى، مَنِيعٌ الْهَضَابِ وَالصُّوَى⁵

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّايِغِ⁶ مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةِ

بَحْرٌ مَعْرِفَةٍ لَا يَغِيضُ⁷، وَصَاحِبٌ فُنُونٍ يَأْخُذُ فِيهَا وَيُفِيضُ. نَشَأَ بِبِلَادِهِ مُشَمَّرًا عَنْ سَاعِدِ
اجْتِهَادِهِ، وَسَائِرًا فِي فُنَنِ⁸ الْعِلْمِ وَوَهَادِهِ، وَمُواصِلًا لِأَرْقِهِ وَسُهَادِهِ، حَتَّى أَيْنَعَ رَوْضُهُ، وَفَهَّقَ⁹
حَوْضُهُ، وَأَضَاعَتْ سُرْجُهُ، وَتَعَطَّرَ أَرْجُهُ.

- قاسم بن علي بن محمد، شرف الدين، (743- 811 / 1342- 1408م) أبو القاسم التتلمي الفاسي المغربي المالقي: فقيه مالكي أندلسي. ولد بمالقة، واستقر بفاس. وحج وتوفي بالقاهرة" الأعلام: 5 / 178¹
- أ، م: ساقط، والمثبت من ع²
- م: "اعتمده" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي غمره بهداياه وعطاياه.³
- ع، م: "بضبعه" أي كنفه. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي ارتفع بصنيعه وعمله.⁴
- "الصوى ما غلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا" لسان العرب / صوي: 8 / 310⁵
- "محمد بن عبد الله ابن محمد بن لب الأمي؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الصايغ" الإحاطة: 3 / 115⁶
- م: "يفيض" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي لا يجف بحر معرفته.⁷
- ع: "فنن" وهو تصحيف.⁸
- ع: "وفق" ولعل الصواب ما أثبت. "الحوض ملآن يفهق" أساس البلاغة / فهق، 2 / 42⁹

وَلَمَّا اسْتَكْمَلَ مِنَ الْمَعَارِفِ مَا اسْتَكْمَلَ، وَبَلَغَ مَا أَمَلَ، أَخَذَ فِي إِرَاحَةٍ ذَاتِهِ، وَشَامَ بَوَارِقَ¹ لَذَاتِهِ، ثُمَّ سَارَ فِي الْبِطَالَةِ سَيْرَ الْجَمُوحِ، وَوَاصَلَ الْغُبُوقَ بِالصَّبُوحِ، حَتَّى قَضَى وَطَرَهُ، وَسَيَّمَ بَطَرَهُ، وَرَكِبَ الْفُلُوكَ، وَخَاضَ اللَّجَجَ الْحُلُوكَ، وَاسْتَقَرَّ بِمِصْرَ عَلَى النَّعْمَةِ الْعَرِيضَةِ، بَعْدَ قَضَاءِ الْفَرِيضَةِ. وَهُوَ الْآنَ بِمَدْرَسَتِهَا الصَّالِحِيَّةِ - عَمَرَهَا اللَّهُ بِذِكْرِ - نَبِيهِ الْمَكَانَةِ، مَعْرُوفٌ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِيَّانَةِ، وَصَدَرَتْ عَنْهُ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ قَصِيدَةٌ نَبَوِيَّةٌ، تَعْنَى بِهَا الْحَادِي الْمُطْرِبُ، وَكَفَى بِهَا الْمُصْنَعُ وَالْمُصْنُوبُ، تَذُلُّ عَلَى انْفِسَاحِ طِبَاعِهِ، وَامْتِدَادِ بَاعِهِ.

فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَاجِّ الْبُضِيعَةِ²

مُسَدَّدُ الْمَقَاصِدِ، آخِذٌ لِلْمَعَانِي بِالْمَرَاصِدِ، وَكَاتِبُ شُرُوطٍ لَا يُسَاجِلُ فِي مِضْمَارِهَا، صِحَّةُ فُصُولٍ، وَتَوْقِيعُ فُرُوعٍ عَلَى أُصُولٍ. وَكُلَّمَا طَلَبَ بِالنَّظْمِ الْقَرِيحَةَ، وَأَعْمَلَ فِكْرَتَهُ الصَّرِيحَةَ، أَجَابَتْ وَلَبَّتْ، وَتَسَنَّمَتْ رِيَّاحَ بَيَانِهِ وَهَبَتْ، وَحَفِظَتْ الْعَامَّةُ مِنْ كَلَامِهِ لِقُرْبِهِ مِنْ أَفْهَامِهَا، وَانْتِصَابِ غَرَضِهِ لِسِهَامِهَا.

فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِصَامٍ

مُنْتَمٍ إِلَى حَسَبٍ وَمَجْدٍ، وَفَارِعٌ مِنَ الْأَصَالَةِ كُلِّ نَجْدٍ، وَإِنْ نُوزِعَ فِيهَا بِخِصَامٍ، كَفَاهُ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ عِصَامٍ، وَخَلَفَهُ الَّذِي رَأَسَ مِنْ بَعْدِهِ، وَاسْتَوْفَى بِمُرْسِيَّةٍ حِصَّةَ سَعْدِهِ، حَتَّى أَتَاهُ

- م: "فوارق". "ثُمْتُ البرق شيما رقبته تنظر أين يصوب" المصباح المنير / شيم، ص 126¹
- أبو عبد الله بن الحاج البضيعة: "يكنى أبا عبد الله. من أهل مالقة، تردد كثيرا على الحضرة، مسترفدا ومنشدا" الإحاطة: 2/ 66²

الْأَجَلَ لَوَعْدِهِ، [وَرَاعَهُ الدَّهْرُ بِبَرِّقِهِ وَرَعْدِهِ]¹ وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ عَدْلًا مِنْ عُدُولِ بَلَدِهِ، وَذَاهِبًا مِنَ الْفَضْلِ إِلَى أَقْصَى أَمَدِهِ، لَوْلَا تَهَوُّرُ كَثُرٍ وَأَفْرَطَ، وَطَيْشُ تَخَبُّطٍ فِي شَرِكِهِ وَتَوَرُّطَ. وَلَهُ أَدَبٌ ضَعِيفُ الْمَبْنَى، خَالٍ مِنَ الْمَعْنَى، كَانَ يَسْهَلُ عَلَيْهِ، وَيَنْتَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ غَالِبٍ

مَاطِرٌ جَادَ بِالْوَابِلِ السَّجْمِ²، وَشَاعِرٌ افْتَتَحَ بَيْتَهُ إِلَى النَّجْمِ، وَيَلِغُ قَادَ الْكَلَامِ بِرَسْنِهِ، وَأَيَّقَظَ طَرْفَ الْبَلَاغَةِ مِنْ وَسْنِهِ³، وَطَبَّقَ مَفَاصِلَ فَصْلِ الْخِطَابِ بِلِسْنِهِ. كَانَ وَابِنُ عَمِّهِ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - فَرَسِي سَبَاقٍ، وَمُدِيرِي كَأْسِ اصْطِبَاحٍ لِلْأَدَبِ وَاعْتِبَاقٍ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ أَشَدَّ انْقِبَاضًا، وَأَكْثَرَ اِزْوَرَارًا عَنِ الْخِدْمَةِ وَإِعْرَاضًا. وَابِنُ عَمِّهِ الْقَاضِي أَسَحُ⁴ طِبَاعًا، وَأَفْسَحُ بَاعًا، وَأَوْفَرُ صَاعًا، وَقَدْ انْتَجَعَ وَاسْتَرْفَدَ⁵، وَأَصْلَحَ بِتَعْرِيبِهِ وَأَفْسَدَ، حَسَبَمَا تَضَمَّنَهُ كِتَابِي الْمُسَمَّى بـ "طُرْفَةِ الْعَصْرِ فِي أَخْبَارِ بَنِي نَصْرِ" وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِ أَبِي جَعْفَرٍ هَذَا، مَا يَشْهَدُ بِإِجَادَتِهِ، وَيَنْظُمُهُ فِي فُرْسَانِ الْكَلَامِ وَقَادَتِهِ.

-أ، م: ساقط، والمثبت من ع¹

-أ، ق: "السج" والمثبت من ع، م. ولعله الصواب؛ "مطر وسحاب ساجم وسجّام" أساس البلاغة / سجم، 1/ 440²

-ع: "برسنه" ولعل الصواب ما أثبت³

-م: "أصح" ولعل الصواب ما أثبت؛ "سجج خلقه سجاحة وهو سجيح الخلق" أساس البلاغة / سجم، 1/ 437⁴

-أ، ق، ع: "استوفد" والمثبت من م. ولعله الصواب؛ "استرفدته فأرفدني وارتقدت منه: أصبت من رفده، وارتقدت مالا: اكتسبته" أساس البلاغة / رقد، 1/ 368⁵

فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ الرَّقَّاصِ¹

سَابِقٌ لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ، وَدَوْحُ فُنُونٍ لَا يَغِبُّ² جَنَاهُ، وَلَا تَذْبُلُ أَزْهَارُهُ، تَتَّبَعُ الْغَوَامِضَ بِثَاقِبٍ
فَهْمِهِ، وَأَصْمَى كُلِّ مُشْكِلَةٍ بِسَهْمِهِ، فَشَأْ³ حَلَبَتُهُ وَتَقَدَّمَهَا، وَزَاوَلَ الْمَعَارِفَ وَخَدَمَهَا، فَتَرَشَّفَ مِنْهَا كُلَّ
رَيْقِهِ، وَلَمْ يَفْتَصِرْ عَلَى طَرِيقِهِ، وَتَقَيَّأَ كُلَّ حَقِيقَةٍ مِنْ مَجَازٍ وَحَقِيقَةٍ، وَكُلَّمَا اسْتَمْطَرَتْهُ⁴ صَابَ، أَوْ
رَمَيْتَ بِهِ غَرَضاً أَصَابَ، حَتَّى تَضَوْعَ نَسِيمُهُ، وَتَحْدَثَ بِخَبْرِهِ رَائِدُ الْعِلْمِ وَمُسِيمُهُ⁵، إِلَى نَفْسٍ بَعِيدَةٍ
الْهَمِّ، لَطِيفَةِ الشَّمَائِلِ وَالشَّيْمِ. وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ أَدَبِهِ، الَّذِي خَاطَبَنِي بِهِ، كُلُّ عَطْرِ النَّفْحَةِ، مُشْرِقِ
الصَّفْحَةِ.

فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النَّجَّارِ

مُتَقَنُّ مُشَارِكٍ، وَآخِذٌ فِي الْأَدَبِ غَيْرُ تَارِكٍ، بَرَعَ فِي الْوَثِيقَةِ وَإِحْكَامِهَا، وَنَزَلَ⁶ فُصُولَهَا عَلَى
مُقْتَضَيَاتِ أَحْكَامِهَا، إِلَى نَفْسٍ جُبِلَتْ عَلَى حُسْنِ الْأَخْلَاقِ، وَشَمَائِلِ أَعْدَبَ مِنَ الضَّرْبِ⁷ فِي
الْمَذَاقِ، وَإِينَاسٍ يَسْرِي فِي الْأَرْوَاحِ سُرَى الرِّيَّاحِ، وَمَذَاكِرَ أَشْهَى مِنَ الْعَذَبِ الْقَرَّاحِ. وَهُوَ الْآنَ صَدْرٌ
فِي عُذُولِ بَلَدِهِ، وَسَابِقٌ تَقِفُ الْحَلَبَةُ مِنْهُمْ دُونَ أَمَدِهِ.

- "أبو الحسن علي بن إبراهيم الرقاق المتكلم" الكتيبة الكامنة، ص 94¹
- "غيببت عن القوم أغب غيباً أتيتهم يوماً بعد يوم" المصباح المنير، غيب، ص 168. كناية على أن أدواحه تثمر يوماً بعد يوم ولا
تقف.²
- م: "فساوى". "الفشء: من الفخر من أفشأت ويقال فشأت" لسان العرب / فشأ: 183 / 11³
- ع: "استضمرة" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي كلما قصدته جاد عليك بكرمه.⁴
- "سام البائع السلعة إذا عرضها للبيع وذكر ثمنها" أساس البلاغة / سوم، 485 / 1⁵
- ع: "تنزيل" ولعل الصواب ما أثبت.⁶
- "الضرب بفتحيتين العسل الأبيض" المصباح المنير / ضرب، ص 136⁷

فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْوَقْشِيِّ الزَّيَّارِ

صُنْعُ¹ الْيَدَيْنِ، فَائِزٌ مِنْ سِهَامِ الضَّرْبِ بِالْفَرِيضَةِ وَالْدِّينِ، إِذَا زَيْنَ الطُّرُوسَ، وَنَضَّرَ أَصْبَاغَهَا،
وَأَحْكَمَ فِي قَوَالِبِ السَّحْرِ إِفْرَاغَهَا، حَسَدَ فُرْحٍ تَلَوِينَهَا، وَحَقَرَتِ الرِّيَاضُ بَسَاتِينَهَا، إِلَى حَظٍّ يَقِفُ عِنْدَهُ
الطَّرْفُ، [وَلَا يَتَجَاوَزُهُ الطَّرْفُ]²، وَأَدَبِ كَالرَّوْضِ، رَاقَ مِنْهُ الْمُجْتَلَى، وَتَأَرَّجَ الْعُرْفُ، وَنَفْسٍ أَرْقَ مِنْ
نَسِيمِ الْفَجْرِ، وَأَخْلَقَ أَغْذَبَ مِنَ الْوَصْلِ فِي عَقِبِ الْهَجْرِ، وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ كَلَامِهِ مَا يَعْذُبُ مَوَارِدُهُ،
وَتَرَوْقُ شَوَارِدُهُ.

فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ صَاحِبِ الصَّلَاةِ

مُحْسِنٌ لَا يُنَارِعُ إِحْسَانَهُ، وَبَلِيغٌ لَا يُسَاجِلُ لِسَانَهُ، وَذَكِيٌّ تَوَقَّدُ³ نَارُ فَهْمِهِ، وَمُجِيدٌ يُصِيبُ كُلَّ
غَرَضٍ بِسَهْمِهِ، فَمَا شِئْتَ مِنْ إِدْرَاكِ مَاضِيَةٍ⁴ نُصُولُهُ، وَذَكَاءٍ عَلَتْ فُرُوعُهُ، وَطَابَتْ أُصُولُهُ، وَظَرَفِ
كَالرَّوْضِ لَمَّا اعْتَدَلَتْ فُصُولُهُ، وَأَدَبٍ سُدَّتْ⁵ مَعَاقِدُهُ، فَلَا يَطْمَعُ فِيهِ نَاقِدُهُ.

جَالَسْتُهُ فِي بَعْضِ التَّوَجُّهَاتِ إِلَى مَالِقَةَ -حَرَسَهَا اللَّهُ- فَرُدْتُ⁶ رَوْضاً تَعَطَّرَ وَتَأَرَّجَ، وَمَرَّ بِهِ
نَسِيمُ دَارِينَ فَتَأَرَّجَ. فَلَمَّا ظَفَرْتُ بِجَنَاهُ الطَّيِّبِ، وَقَعْدْتُ تَحْتَ غَمَائِمِهِ الصَّيِّبِ، تَرَكْتُ خَبْرَهُ لِعَيَانِهِ،

- م: "صنيع" ¹

- ع: ساقط ²

- ع: "يتوقد" ³

- م: "ناضية" "نصوت السيف من غمده وانتضيته" المصباح المنير / نضو، ص 233 ⁴

- ع: "شدت" ⁵

- م: "فرايت" "راد رودانا: جاء وذهب" أساس البلاغة / رويد، 1/ 394 ⁶

وَحَطَبْتُ نُبْدَةً مِنْ بَيَانِهِ فَأَنْشَدَنِي مَا يُذَكِّرُ¹.

فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ رَضْوَانَ²

أَدِيبٌ أَحْسَنَ مَا شَاءَ، وَفَتَحَ قَلِيبٌ³ قَلْبِهِ، فَمَلَأَ الدَّلْوَ بِلِ الرِّشَاءِ⁴، وَعَانَى عَلَى حَدَاثَتِهِ الشَّعْرَ
وَالْإِنْشَاءَ. وَلَهُ فِي بَلَدِهِ بَيْتٌ مَعْمُورٌ بِفَضْلِ وَأَمَانَةٍ، وَمَجْدٍ وَدِيَانَةٍ. وَنَشَأَ هَذَا الْفَاضِلُ عَلَى أَتَمِّ
الْعَفَافِ وَالصَّوْنِ، فَمَا مَالَ إِلَى فَسَادٍ بَعْدَ الْكُونِ، [وَلَهُ حَظٌّ بَارِعٌ، وَفَهُمْ إِلَى الْعَوَامِضِ مُسَارِعٌ]⁵ وَقَدْ
ثَبَتَ مِنْ كَلَامِهِ، وَتَفَنَّتْ أَقْلَامُهُ، كُلُّ مُحَكِّمِ الْعُقُودِ، زَارٍ⁶ بِابْنَةِ الْعُقُودِ.

فِي وَصْفِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُقَاتِلٍ⁷

نَابِغَةٌ مَالِقِيَّةٌ، وَخَلَفٌ مِمَّنْ تَرَكَ الْأَدْبَاءُ وَبَقِيَّةً، وَمَغْرِبِيُّ الْوَطَنِ أَخْلَافُهُ مَشْرِقِيَّةٌ. اشتهَرَ بِالْإِجَادَةِ
بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَتَأَلَّقَ تَأَلَّقَ الْبَارِقِ خِلَالَ سَحَابِهِ، حَتَّى اشتهَرَ إِحْسَانُهُ، وَمَضَى عِنْدَ الضَّرِيبَةِ لِسَانُهُ.
ثُمَّ أَرْمَعَ الرَّحِيلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، مَعَ اخْضِرَارِ الْعُودِ، وَسَوَادِ الْمَفْرِقِ، وَسَهُمِ الْقَدَرِ لَا يُخْطِئُ⁸، وَمِنْ
اسْتَحَنَّهُ الْأَجَلُ لَا يُبْطِئُ⁹.

- "الذَّكْرُ الْعَلَاءُ وَالشَّرَفُ" م. م / ذكر، ص 80¹

- "الشيخ الرئيس صاحب العلامة أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري" الكتيبة الكامنة، ص 254²

- "حفر قلبيبا وقلبا وهي البئر قبل الطي فإذا طويت فهي الطوي" أساس البلاغة / قلب، 95 / 2³

- "الرِّشَاءُ: الحبل، والجمع أرشية" لسان العرب / رشا: 160 / 6⁴

- أ. م: ساقط، والمثبت من ع⁵

- "أزريت به: قصرت بح وحقرت" أساس البلاغة / زري، 413 / 1⁶

- "محمد بن عبد الله ابن محمد بن مقاتل؛ من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم؛ أزدي النسب إشبيلي الأصل، من بيت نزاهة ونباهة.
ولي الإشراف بمدينة مالقة، وتقلب في الشهادة المخزنية عمره. توفي بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة وثلاثين
وسبعمائة" الإحاطة: 970-971 / 3⁷

- ع: "استضمرة" ⁸

- ع: "استضمرة" ⁹

وَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّفِينَةُ الْلُجَّ¹، وَقَارَعَتِ التَّيْجَ²، هَالَ عَلَيْهَا الْبَحْرُ، فَسَقَاهَا كَأْسَ الْحِمَامِ، وَأَوْلَدَهَا قَبْلَ التَّمَامِ، وَكَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِيمَنْ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَعْوَادُهَا، وَانْضَمَّ عَلَى نُورِهِ سَوَادُهَا مِنْ الطَّلَبَةِ وَالْأَدْبَاءِ، وَأَبْنَاءِ السَّرَاةِ³ الْحُسَبَاءِ، أَصْبَحَ كُلُّ مِنْهُمْ مُطِيعًا لِدَاعِي الرَّدَى وَسَمِيعًا، وَأُحْيُوا [فِرَادَى]⁴ وَمَاتُوا جَمِيعًا، فَمَلَأُوا الْقُلُوبَ حُزْنًا، وَأُرْسِلَتِ الْعِبَرَاتُ عَلَيْهِمْ مُزْنًا. وَكَانَ الْبَحْرُ لَمَّا طَمَسَ سُبُلَ خَلَاصِهِمْ وَسَدَّهَا، وَأَمَالَ هَضْبَةً سَفِينَتِهِمْ وَهَدَّهَا، غَارَ عَلَى دُرَرِهِمُ النَّفِيسَةَ فَاسْتَرَدَّهَا.

وَالْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ مَعَ إِكْثَارِهِ، وَانْقِيَادِ نِظَامِهِ وَنِتَارِهِ، لَمْ أَظْفَرْ مِنْ أَدَبِهِ إِلَّا بِالْيَسِيرِ التَّافِهِ بَعْدَ وَدَاعِهِ وَانْصِرَافِهِ.

فِي وَصْفِ الْمُؤَذِّنِ أَبِي الْحَجَّاجِ بْنِ مَرْزُوقٍ⁵

خَيْرٌ اسْتَبَقَ إِلَى دَاعِي الْفَلَاحِ اسْتِبَاقًا، وَانْتَمَى إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ فِي الْآخِرَةِ أَطُولُ أَعْنَاقًا، وَإِنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَقَ أَرْزَاقًا. مُرَدِّدٌ أَذْكَارٍ وَمُسَبِّحٌ أَسْحَارٍ، وَعَامِرٌ مُنَدَّنَةٍ وَمَنَارٍ.

كَانَ بِلَدِهِ رُنْدَةً -حَرَسَهَا اللَّهُ- مُؤَدِّنًا بِجَامِعِهَا، وَمُؤَقَّتًا بِأَمِّ صَوَامِعِهَا، وَمُعْتَبِرًا مِمَّنْ كَانَ بِهَا مِنْ فُضَلَاءِ السَّدَنَةِ، وَمِمَّنْ يَشْمَلُهُ قَوْلُهُ "فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ" وَكَانَ لَهُ لِسَانٌ مُخِيفٌ، وَشِعْرٌ سَخِيفٌ، تَوَشَّحَ بِحِلْيَتِهِ، وَجَعَلَهُ وَسِيلَةً كُدَيْتِهِ.

-ع، م: "اللجج" ¹

-م: "اللجج" ²

- "السري الرئيس والجمع سَراة" المصباح المنير / سري، ص 105 ³

- أ: ساقط، والمثبت من ع، م ⁴

- "عبد الدائم بن مرزوق بن خير أبو القاسم، من كبار علماء اللغة ورواة الأدب. ولد بالقيروان، ورحل صغيرا في طلب العلم إلى المشرق، وأخذ بالبصرة عن أبي الحسين بن الحسن وهلال بن المحسن ولقي أبا العلاء المعري بالشام.... ثم رجع إلى بلده مصر بعلم جم... وتوجه إلى الأندلس ونزل بالمرية وإشبيلية ونشر العلم" الحل السندسية، 4/ 302 ⁵

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْجِيَابِ¹

صَدُرَ الصُّدُورِ الْجِلَّةِ، وَعَلِمَ أَعْلَامَ هَذِهِ الْمِلَّةِ، وَشَيْخُ الْكِتَابَةِ وَبَنِيهَا²، وَهَاصِرُ أَفْنَانِ الْبِدَائِعِ وَجَانِيهَا، اعْتَمَدَتْهُ الرَّئَاسَةُ فَنَأَى بِهَا عَلَى حَبْلِ ذِرَاعِهِ، وَاسْتَعَانَتْ بِهِ السِّيَاسَةُ فَدَارَتْ أَفْلَاكُهَا عَلَى قُطْبٍ مِنْ شَبَابَةِ يِرَاعِهِ، فَتَقَيًّا لِلْعِنَايَةِ ظِلًّا ظَلِيلًا.

وَتَعَاقَبَتْهُ الدُّوَلُ فَلَمْ تَرِ بِهِ بَدِيلًا، مِنْ نَدَبٍ³ عَلَى عُلوِّهِ مُتَوَاضِعٍ، وَحَبِيرٍ⁴ لِنُدْيِ الْمَعَارِفِ رَاضِعٍ، لَا تَمُرُّ مُذَاكِرَةٌ فِي فَنٍّ إِلَّا وَلَهُ فِيهِ التَّبَرُّيزُ، وَلَا تُعْرَضُ جَوَاهِرُ الْكَلَامِ عَلَى مِحْكَاتِ الْأَفْهَامِ، إِلَّا وَكَلَامُهُ الْإِبْرِيزُ، حَتَّى أَصْبَحَ الدَّهْرُ رَاوِيَّ إِحْسَانِهِ، وَنَاطِقًا بِلِسَانِهِ.

وَعَرَّبَ ذِكْرُهُ وَشَرَّقَ، وَتَجَاوَزَ الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ وَالْخَلِيجَ الْأَزْرَقَ، إِلَى نَفْسٍ هَذَبَتْ الْأَدَابُ شَمَائِلَهَا، وَجَادَتْ الرِّيَاضَةَ خَمَائِلَهَا، وَمَرَاقِبَةَ لِرَبِّهِ، وَانْتَشَقَّ لِرُوحِ اللَّهِ مِنْ مَهَبِّهِ، وَدِينَ لَا يَعْجُمُ عُودُهُ، وَلَا تُخْلَفُ عُودُهُ.

وَكَلَّمَا ظَهَرَ⁵ عَلَيْنَا مَعْشَرُ بَنِيهِ مِنْ شَارَةِ تُجَلَّى بِهَا الْعَيْنُ، أَوْ إِشَارَةِ كَمَا سُبِكَ اللَّجَيْنُ؛ فَهِيَ إِلَيْهِ مَنُوبَةٌ، وَفِي حَسَنَاتِهِ مَحْسُوبَةٌ، إِنَّمَا هِيَ أَنْفُسُ رَاضِيهَا بِأَدَابِهِ، وَأَعْلَقَهَا بِأَهْدَابِهِ، وَهَذَبَ طِبَاعَهَا كَالشَّمْسِ تُلْقِي عَلَى النُّجُومِ شُعَاعَهَا، وَالصُّوَرِ الْجَمِيلَةَ تَنْتَرِكُ فِي الْأَجْسَامِ الصَّقِيلَةَ انْطِبَاعَهَا، وَمَاذَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي إِمَامِ الْأَيْمَةِ، وَنُورِ الدِّيَاغِي الْمُدْلَهَمَةِ.

- ابن الجياب: (673-749هـ / 1274-1349م): "علي بن محمد بن علي بن سليمان، أبو الحسن ابن الجياب: شاعر أندلسي غرناطي أنصاري، من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب. له ديوان شعر جمعه له ابن الخطيب" الأعلام: 6 / 5¹

-م: "بانيها"²

- "فلان مندوب لأمر عظيم ومندوب له" أساس البلاغة / ندب، 2 / 259³

- ع: "خبر" وهو تصحيف. فهو رغم علمه الكثير ما زال يبحث ويطلب المعارف.⁴

- م: "ظهرت"⁵

وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ عُيُونِ قَصَائِدِهِ [وَأَدْبِهِ]¹ الَّذِي عَلِقَ الْإِحْسَانُ فِي مَصَائِدِهِ، كُلَّ وَثِيقِ الْمَبْنَى،
كَرِيمِ الْمَجْنَى، جَامِعٍ بَيْنَ حَصَافَةِ اللَّفْظِ وَلَطَافَةِ الْمَعْنَى.

فِي وَصْفِ الْكَاتِبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ اللُّوشِي²

شَاعِرٌ مُفْلِقٌ، وَحَسِيبٌ مُعْرِقٌ، طَبَّقَ مَفَاصِلَ الْكَلَامِ بِحُسَامٍ لِسَانِهِ، وَقَلَّدَ نُحُورَ الْمُلُوكِ مَا
يُزْرِي بِجَوَاهِرِ السُّلُوكِ مِنْ إِحْسَانِهِ. وَنَشَأَ فِي حَجَرِ الدُّوَلِ النَّصْرِيَّةِ، رَاضِعاً تَذِيَّ إِنْعَامِهَا، وَمُسْتَظِلاً
بِسَمَائِهَا، وَمُفَضَّلاً عَلَى مَدَاحِهَا، وَحَائِزاً الْمُعَلَّى مِنْ قِدَاحِهَا. وَلِسَلَفِهِ بِخِدْمَتِهَا الْإِخْتِصَاصُ الْقَدِيمُ،
وَالْمَرْيَةُ وَالتَّقْدِيمُ، وَالْمَتَاتُ الَّذِي كَرَّمَ ذِمَامَهُ، وَاسْتَقَرَّ فِي يَدِ الرَّعْيِ زِمَامُهُ، وَنَطَقَ بِالشَّعْرِ قَبْلَ أَنْ
يَنْطِقَ بِالشَّعْرِ خَدُّهُ، فَأَتَى مِنْهُ بِبَحْرِ لَا يَعْرِفُ الْجَزَرَ مَدُّهُ.

وَأَمَّا الطَّرِيقَةُ الْهَزْلِيَّةُ؛ فَهُوَ فَارِسُ مَجَالِهَا، وَإِمَامُ رِجَالِهَا، وَرَبُّ رَوِيَّتِهَا وَارْتِجَالِهَا³. وَلَهُ هِمَّةٌ تَبْدُ
مَنْ يُبَارِيهَا، وَأَخْلَاقٌ تَفْتَقِرُ إِلَى مَنْ يُدَارِيهَا، طُولِبَ فِيمَا فَرَطَ بِالْحُضُورِ مَعَ الْكِتَابِ، وَمُلَازِمَةِ خِدْمَةِ
الْبَابِ، فَتَنَحَّى⁴ عَلَى عَادَتِهِ، وَتَوَعَّدَ بِإِسْقَاطِ مُرْتَبِهِ، فَلَمْ يَرْغَبْ فِي إِعَادَتِهِ، بَلْ كَبَّرَ عَلَى الْخِدْمَةِ
أَرْبَعاً وَسَلَّمْ، وَلَا ارْتَمَضَ لَهَا وَلَا تَأَلَّمَ، وَعَكَفَ عَلَى إِقَامَةِ [أَوْدِهِ بِانْتِجَاعِ غَلَّةٍ بِظَاهِرِ بَلَدِهِ، بِأَشْرَها
بِنَفْسِهِ، وَجَعَلَهَا مَعْنَى رَاحَتِهِ وَمَعْنَى حِسِّهِ، وَاتَّخَذَهَا وَقَايَةً لِمَا وَجْهَهُ⁵ إِلَى أَنْ يَحُلَّ فِي رَمْسِهِ.

- أ: ساقط، والمثبت من ع، م¹

- "محمد بن أحمد ابن الحداد الوادي أشي؛ يكنى أبا عبد الله. شاعر مفلق، وأديب شهير. اشتهر بمدح رؤسائها من بني صُمَادِح له ديوان شعر معروف. وله في العروض تصنيف، مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية، والآراء الجلييلة" الإحاطة: 2/ 864²

- م: "ارتجالها" وهو تصحيف. أي أنه جمع بين التائي في الهزل وبين ارتجاله.³

- ع: "فتجنى" وهو تصحيف.⁴

- أي لما قصده.⁵

وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَحَفِظَ الْعَهْدَ، وَالْمُشَارَكَةَ فِي الرِّخَاءِ وَالْجَهْدِ، وَالْإِنْقِبَاضِ عَنْ هَذَا غَيْرِ
الْعَرَضِ وَالزُّهْدِ، إِلَى حَسَبِ تَطَرُّزَاتِ الدَّقَائِرِ بِأَثَارِهِ، وَتَضَوُّعِ الْحَبْرِ مِسْكَاً بِإِخْبَارِ أَخْبَارِهِ، وَشِعْرِ بَلَّغِ
فِي الْإِجَادَةِ الْغَايَةِ، وَرَفَعَ لِلْمُحْسِنِينَ الرَّايَةَ¹

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْحَكِيمِ²

مَا جِدَّ أَقَامَ رَسْمَ الْمَجْدِ بَعْدَ عَفَائِهِ، وَأَيْقَظَ طَرْفَهُ بَعْدَ إِغْفَائِهِ، ثُمَّ أَحَلَّهُ مَحَلَّ ضَيْفَانٍ، وَمَنْزَعَ
جِفَانٍ، وَمَنْهَلَ وَارِدٍ، وَمَظِنَّةَ ضَالٍّ مِنَ الْعُلَا وَشَارِدٍ، مَثْوَاهُ لَا يَخْلُو عَنْ قِرَى جَزِيلٍ، لِقَاصِدٍ وَنَزِيلٍ،
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّحْلِي بِحُلْيَةِ الْأَدَابِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى اكْتِسَابِ الْمَعْلُوباتِ³ وَالْإِنْتِدَابِ. بَرَزَ فِي حَمْلِ
الْحَدِيثِ وَرِوَايَتِهِ، وَاجْتَنَى ثَمَرَةَ رَحْلَةِ أَبِيهِ وَهُوَ فِي حِجْرِ دَائِيَّتِهِ⁴.

وَدَوَّنَ الْآنَ الْفَهَارِسَ، وَأَحْيَى الْأَثَرَ الدَّارِسَ، وَارْتَقَى مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى الْمَحَلِّ النَّبِيهِ، وَاسْتَحَقَّ
رُتْبَتَهَا مِنْ مَحَلِّ أَبِيهِ، فَأَيَّنَعَ رَوْضَهُ وَتَأَطَّرَ، وَتَأَرَّجَ دَوْحُهُ وَتَعَطَّرَ. وَلَهُ شِعْرٌ أَنْيَقُ الْحُلْيَةِ، جَارٍ فِي
نَمَطِ الْعِلْيَةِ، وَسَيَمُرُّ فِي أَثْنَائِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى قَدْرِهِ، وَيَشْهَدُ بِسَعَةِ صَدْرِهِ⁵

- ع: ساقط¹

- "أبو بكر بن الحكيم: ترجم له لسان الدين في عائد الصلة والتاج والإحاطة: 2/ 199، وقال إنه توفي سنة 750هـ، وعده المقرئ من أشياخ لسان الدين، وترجم له ترجمة استطرد فيها إلى الإسهاب"²

- المعلوات جمع المعللة "بفتح الميم وهو مشتق من قولهم على في المكان يعلى من باب تعب" المصباح المنير / علا، ص: 163³

- م: "دابته" وهو تصحيف.⁴

- ع: ساقط⁵

وَفِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ صَفْوَانَ الْمَالِقِي

فَارِسُ الْبَلَاغَةِ الْمُعَلِّمُ، وَحُجَّةُ الْأَدَبِ الَّتِي تُسَلِّمُ، وَالْبَطْلُ الَّذِي لَا تُرَدُّ شَبَابُهُ نَقْدَهُ، وَلَا تُحُلُّ مُبْزَمَاتُ عَقْدِهِ، مِنْ [جَهْدٍ]¹ رَاضٍ صِعَابَ الْبَيَانِ وَسَاسَهَا، وَمَيَّزَ أَنْوَاعَهَا وَأَجْنَاسَهَا، وَأَحْكَمَ ضُرُوبَ الْعِبَارَةِ وَنَظَّمَ قِيَاسَهَا، إِلَى ذِهْنٍ يَأْتِي الْعَوَامِضَ فَتَنْبَلِجُ، وَيَفْرَعُ أَبْوَابَ الْمُعْجِيَّاتِ فَيَلِجُ، وَهِمَّةٍ يَوَدُّ فَرَقْدُ² السَّمَاءِ وَسُهَاهَا³ أَنْ تَبْلُغَ مُنْتَهَاهَا. أَخَذَ مِنَ الْفُنُونِ بِنَصِيبٍ، وَرَمَى فِي أَغْرَاضِ التَّعَالِيمِ بِسَهْمٍ مُصِيبٍ، فَرَكَّضَ فِي مَجَالِهَا، وَرَحَلَ إِلَى لِقَاءِ رَجَالِهَا.

وَدُعِيَ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ لِلْكِتَابَةِ لَمَّا اشْتَهَرَتْ بَرَاعَتُهُ، وَأَثْمَرَتْ بِالْمَعَانِي الْغَرِيبَةِ يِرَاعَتُهُ، فَأَجَابَ وَامْتَنَّلَ، وَرَاشَ سِهَامَ بَيَانِهِ وَنَتَّلَ⁴، ثُمَّ كَرَّرَ وَالِدَوْلَةَ قَدْ رَجَعَتْ مِنْهَا الْقَوَاعِدُ، وَأُنْجِزَتْ بِإِدَالَتِهَا الْمَوَاعِدُ، فَاصْطَنَعَتْهُ الدَّوْلَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ لِحَبَابِهَا، وَقَلَّدَتْهُ سِرَّ كُتَابِهَا، وَالْهَيْجَاءُ تَدُورُ رَحَاهَا، وَالْأُمُورُ لَا يَتَبَيَّنُ مِنْحَاهَا.

فَلَمَّا وَضَعَتْ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَخَفَضَتْ الْأُمُورُ إِزَارَهَا، آثَرَ الرُّجُوعَ إِلَى وَطَنِهِ، وَأَجْرَى هَوَاهُ فِي ذَلِكَ فَضْلُ رَسَنِهِ، وَضَلَّتِ الْخِدْمَةُ عَنْهُ فَمَا نَشَدَهَا، وَقَصَرَ نَفْسُهُ عَلَى مَا يُقِيمُ أَوْدَهَا، وَلَمْ يُثْنِ بَعْدَ الْكَرِّ عِنَانَهُ، وَلَا أَعْمَلَ فِي خِدْمَةِ مَلِكٍ بَنَانَهُ، وَكُلُّ مَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ نَظْمٍ تَرُوقُ أَسْرَتُهُ، وَتَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ تَبِجَانُ الْمُلْكِ وَأَسْرَتُهُ، فَالْتَّصَوْفُ مَجَالَهُ، وَفِي غَرَضِهِ رَوْبَتُهُ وَارْتِجَالُهُ⁵

أ: ساقط، والمثبت من م¹

- "الفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي، وقيل: هما كوكبان قريبان من القطب، وقيل: هما كوكبان في

بنات نعش الصغرى" لسان العرب / فرقد: 172 / 11²

- "السُّهَا" كويكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى، والناس يمتحنون به أبصارهم" لسان العرب / سها: 291 / 7³

- "نَتَّلَ كِنَانَتَهُ: نَشَرَهَا" أساس البلاغة / نَتَّلَ، 248 / 2⁴

- ع: ساقط⁵

أَوْفِي وَصَفِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ زَكَرِيَّا

حَامِلُ لَوَاءِ الْخَطِّ، وَالْمُنْفَرِدُ بِأَحْكَامِ الْمَشْقِ¹ وَالْغَطِّ²، وَمَنْ تَفَقَّرَ إِلَى بَنَانِهِ الْمُخَاطَبَاتُ
السُّلْطَانِيَّاتِ افْتِقَارَ الْمَشْرُوطِ إِلَى الشَّرْطِ. شَدِيدُ التَّحْفُظِ، مُقَدَّرٌ لِلْكَلامِ حِينَ التَّلَفُّظِ، عَظِيمُ الْبَشَاشَةِ
[وَالْبِرِّ]³، أَمِينٌ عَلَى السِّرِّ، إِلَى نَفْسٍ مَجْبُولَةٍ عَلَى الْخَيْرِ، وَأَخْلَاقٍ حَسَنَةٍ السَّيَرَةِ رَفِيعَةِ السَّيْرِ،
وَحَيَاءٍ كَنَفٍ جَلْبَابُهُ، وَسَدٍّ فِي وَجْهِ الدَّيَّةِ بَابُهُ، وَكَلَفٍ بِالْعِلْمِ وَأَوْضَاعِهِ، وَالتَّطَلُّعِ عَلَى رِقَاعِهِ.
وَيَكْفِيهِ فَضْلًا لَا تَخْبُو آثَارُهُ، وَلَا يَخْفَى مَنَارُهُ، مَا خَلَدَ مِنْ كَلَامِ شَيْخِ الْجَمَاعَةِ، وَعَلِمِ الصَّنَاعَةِ،
فَقَدْ أَوْدَعَهُ بُطُونُ الْأَوْرَاقِ، وَجَمَعَهُ بَعْدَ الْإِفْتِرَاقِ، وَأَطْلَعَ نُورُهُ بَادِي الْإِشْرَاقِ، وَالْبَسَ الْأَيَّامَ بِهِ حُلًّا
أَبْهَى مِنْ حُلِّ صَنْعَاءِ الْعِرَاقِ. وَالشَّعْرُ -وَأِنْ كَانَ- قَلِيلًا مَا يُعْنَى بِإِجَادَةِ صِنَاعَتِهِ، وَمُعَانَاةِ
بِضَاعَتِهِ، فَحَظُّهُ مِنْهُ لَطِيفُ الْهُبُوبِ، حَسَنُ الْأَسْلُوبِ⁴

أَوْ مِنْ ذَلِكَ فِي وَصَفِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ الْحَاجِّ⁵

طَلَعَ شِهَابًا ثَاقِبًا، وَأَصْبَحَ بِشَعْرِهِ لِلشَّعْرَى مُصَاقِبًا⁶، فَجَنَّمَ فَبَرَعَ، وَتَمَّمَ الْمَعَانِي وَاخْتَرَعَ، وَكَلَفَ
بِالْأَدَابِ، وَهُوَ غُلَامٌ يَافِعٌ، وَلَهُ مِنَ الْحُسْنِ لِكُلِّ قَلْبٍ شَافِعٌ. فَأَتَرَعَ كَأَسَهُ، وَنَضَّدَ رِيحَانَهُ وَآسَهُ، وَنَبَّهَ
لِلصَّبُوحِ مِنْ بَعْدِ الذُّكْرِى بِأَسَهُ.

- "المشوق: ما بين الشفرين من حيا المرأة" لسان العرب / شقق: 111 / 8¹

- "الغَطُّ: العصر الشديد والكبس، ومنه الغط في الماء الغوص" لسان العرب / غطط: 62 / 11²

- أ: ساقط، والمثبت من م³

- ع: ساقط⁴

- **ابو اسحاق بن الحاج:** (713-768هـ=1313-1367م) هو ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم النميري المعروف بابن الحاج، من غرناطة، خدم بعض ملوك تونس والمغرب الأقصى، ثم رجع إلى الأندلس، من مؤلفاته راحة سماها: "فيض العباب، وإجالة قداح

الأدب في الحركة إلى قسطنطينية والزاب، حققه د. ابن شقرون. الأعلام ج 1 ص: 49⁵

- "صاقبناهم مصابقة وصقبا: قاربناهم" لسان العرب / صقب: 259 / 8⁶

وَلَمْ يَزَلْ دَوْحُهُ يَتَّارُجُ، وَعَقَائِلُ بَدَائِعِهِ تَتَبَرَّجُ، حَتَّى دُعِيَ لِلْكِتَابَةِ، وَتَرَشَّحَ لِتِلْكَ الْمَنَابَةِ، فَطَرَّرَ
الْمَهَارِقَ بِرُقُومِ أَفْلَامِهِ، وَشَنَّفَ الْمَسَامِعَ بِدُرَرِ كَلَامِهِ، وَأَزْمَعَ لِلرَّحِيلِ، لَمَّا خَافَ عَلَى بَضَائِعِهِ
الضِّيَاعَ، فَرَكِبَ الْفُلُكَ وَشَرَعَ الشَّرَاعَ، فَحَجَّ وَزَارَ، وَشَدَّ لِلطَّوَافِ الْإِزَارَ.

ثُمَّ هَفَا إِلَى الْمَغْرِبِ وَحَوْمَ، وَقَفَلَ قُفُولَ النَّسِيمِ عَلَى الرُّوضِ بَعْدَمَا تَلَّوَمَ، فَاسْتَقَرَّ تَحْتَ ظِلَالِ
الدَّوْلَةِ الْمُوَحِّدِيَّةِ، فَحَطَّ بِهَا عَلَى نَارِ الْقَرَى، وَحُمِدَ عِنْدَهَا صَبَاحُ السَّرَى، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَنَقَّلَ، وَوَجَدَ
الْجَحِيمَ فَعَافَهُ وَتَنَقَّلَ. وَهُوَ الْآنَ فِي جُمْلَةِ كُتَّابِ الْمَغْرِبِ، حُسَامًا فِي الْبَلَاغَةِ دَامِيَ الْمَضْرِبِ¹

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ قُطَيْبَةَ²

سَابِقُ رَكْضٍ مُجَلَّى، وَشَارِقُ طَلَعٍ فَتَجَلَّى، وَفَاضِلٌ تَخَلَّقَ مِنَ الْخِلَالِ الْبَارِعَةِ بِمَا تَحَلَّى، أَتَى
مِنْ أَدَوَاتِهِ بِالْعَجَائِبِ، وَأَصْبَحَ صَدْرًا فِي الْكُتَّابِ وَسَهْمًا فِي الْكُتَائِبِ.

وَكَانَ أَبُوهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بِهَذِهِ الْبِلَادِ قُطْبَ أَفْلَاكِهَا، وَوَاسِطَةَ أَسْلَاقِهَا، وَمُؤْتَمَنَ أَمْلَاكِهَا، وَصَدَرَ
رِجَالُهَا، وَوَلَّى رِيَّاتِ حِجَالِهَا. فَصَدَقَ يَقِينُهُ، وَمُحَافَظَتُهُ عَلَى أَرْكَانِ دِينِهِ، قَدْ نَتَّلَ بَيْنَهُ سَهْمًا سَهْمًا،
فَخَبِرَ بَرَاعَةً وَفَهْمًا، وَأَلْقَاهُ بَيْنَهُمْ مَاضِيًا سَهْمًا، فَدَمَّرَ مِنْهُ نَجِييًّا، وَدَعَاهُ إِلَى الْجِهَادِ، فَأَلْفَى مِنْهُ
سَمِيعًا مُجِييًّا، فَصَحِبَ السَّرَايَا الْمُغِيرَةَ، وَحَضَرَ مِنَ الْمَوَاقِعِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ، وَبَاشَرَ الْحَرْبَ

-ع: ساقط¹

- "محمد بن أحمد ابن محمد الدوسي، من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن قطبة. ناب عن بعض القضاة بغرناطة.
ولد عام 666هـ، وتوفي عام 738هـ" الإحاطة: 3/ 817²

وَبَأْسَهَا، وَنَارَ ذَلِكَ الشَّرْبِ كَأْسَهَا، وَعَلَى مُصَاحَبَةِ الْبُعُوثِ¹ وَجَوْبِ السُّهُولِ وَالْوُعُوثِ²، فَمَا رَفَضَ
الْبِرَاعَةَ لِلْبَاتِرِ، وَلَا تَرَكَ الدَّقَاتِرَ لِلزَّمَانِ الْفَاتِرِ.

وَلَمْ يَزَلْ يُبْهِرُ بِأَدَوَاتِهِ، وَيُبْنِجُ الْبَدَائِعَ بَيْنَ قَلَمِهِ وَدَوَاتِهِ، فَإِنْ خَطَّ، فَأَخَّرَ بِبِرَاعَةِ الْخَطِّ، إِلَى
خُلُقِ سَلِسِ الْمَقَادَةِ، وَنَفْسِ لِمَكَارِمِ مُنْقَادَةِ، وَأَدَبِ بَدِيعِ الْمَقَاصِدِ، قَاعِدِ لِلْمَعَانِي بِالْمَرَاصِدِ. وَاسْتَأَثَّرَتْ
بِهِ الْكِتَابَةُ الرَّفِيعَةُ السُّلْطَانِيَّةُ، فَشَعَّشَعَ أَكْوَاسَهَا وَعَاطَاهَا، وَكَانَ مِنْ تِلْكَ الْقِلَادَةِ الرَّفِيعَةِ وَسْطَاهَا،
وَلَهُ هِمَّةٌ يَحْسُدُهَا فَرْقَدُ الْأَفُقِ وَثَرِيَّاهُ، وَكِتَابَةٌ تُتَارَعُ الرُّوضُ طَيْبُ رِيَّاهُ³

لَوْ مِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي بَكْرٍ الْقُرْشِيِّ⁴

قَرِيعٌ مَجْدٍ وَحَسَبٍ، مُتَقَدِّمٌ عَلَى تَأَخُّرِ زَمَانِهِ بِذَاتٍ وَمُنْتَسَبٍ، مِنْ دَوْحَةِ الشَّرَفِ الَّذِي لَا يَذْوَى
نَظِيرُهَا، وَنَبْعَةِ الرِّيَّانَةِ⁵ الَّتِي لَا يَغِيضُ نَمِيرُهَا. إِذَا ذَكَرَ الصَّالِحُونَ فَحْيَهُ بِلَا نَقَرٍ⁶ وَوَالِدَهُ، وَأَكْرَمَ
بِطَارِفِهِ وَتَالِدِهِ. أَصْبَحَ لِمَهَبَةِ الظَّرْفِ نَاسِمًا، فَلَا تُلْقَاهُ إِلَّا ضَاحِكًا بِاسِمًا، إِلَى حَلَاوَةِ الضَّرَائِبِ
وَالشَّمَائِلِ، وَالْأَدَبِ الْمُزْرِيِّ بِأَزْهَارِ الْخَمَائِلِ. فَمَا شِئْتَ مِنْ مُدَاعَبَةٍ تَمْتَرِجُ بِالنُّفُوسِ، وَمُحَاوَرَةٍ تُذَرِّي⁷
بِالْكُؤُوسِ، وَأَدَبٍ عَذْبٍ مَدَافُهُ، وَاعْتَرَفَ بِهِ فُزْسَانُ الْكَلَامِ وَحَذَافُهُ، وَمَعَانٍ جَاءَتْ مِنَ السُّهُولَةِ بِمَا
تَقْتَضِيهِ أَخْلَاقُهُ، وَعَفَافٍ صَفَتْ أَدْيَالُهُ، وَظَرْفٍ صَفَتْ جَرِيَالُهُ⁸

- أ، ق، ع: "المبعوث" والمثبت من م.¹

- "الوعث الطريق الشاق المسلك والجمع وعوث" المصباح المنير / وعث، ص 255²

- ع: ساقط³

- "محمد بن القاسم ابن أبي بكر القرشي المالقي؛ (730هـ-757م) من أهل مالقة، وسكن غرناطة وتردد إليها. توجه إلى العدو،
وارتسم بها طبيبا، وتولى النضال على المارستان بفاس في ربيع الثاني؛ من عام أربعة وخمسين وسبعمائة." الإحاطة: 323 / 3⁴

- م: "الديانة"⁵

- م: "بعمر"⁶

- م: "تزرري" ولعل الصواب ما أثبت؛ "وقد تذرى السنام وتقرعه: إذا شرف وعلا وارتفع أمره" أساس البلاغة / ذري، 312 / 1⁷

- ع: ساقط⁸

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَزِي¹

فَرَعُ مَجْدٍ سَبَقَ، وَثَاقِبٌ طَلَعَ فَجَلَّى الْغَسَقَ، وَأَدِيبٌ فَرَعَ² مِنَ الْأَدَبِ كُلِّ شَاهِقٍ، وَحَدَّثَ عَمَّا
بَيْنَ عَادٍ وَبَنِيهِ، وَصُدُّعَاهُ فِي خَدَّيْ غُلَامٍ مُرَاهِقٍ، فَبَذَّ أَقْرَانَهُ وَأَتْرَابَهُ، وَأَجَالَ فِي مِيدَانِ الْفُنُونِ
بِجَرَابِهِ، فَأَصْبَحَ نَادِرَةً أَوَانِهِ، وَوَاسِطَةً عَقْدِ إِخْوَانِهِ؛ فَهُوَ النَّبِيُّ، الَّذِي قَلَّ لَهُ الشَّبِيهُ، وَالْوَجِيهُ الَّذِي
قَصُرَ عَنْ لِحَاقِهِ الْوَجِيهُ.

إِذَا ذُكِرَتِ الْعَرَائِبُ قَالَ أَنَا لَهَا، وَلَوْ تَعَلَّقَتِ الْعَوَامِضُ بِالنُّثْرِيَا لَنَالَهَا، إِلَى خُلُقٍ أَعَدَبَ مِنَ
الضَّرْبِ، وَأَشْهَى مِنْ بُلُوغِ الْأَرْبِ، وَنُبْلٍ لَا تَطِيشُ نِبَالُهُ عَنْ غَرَضٍ، وَذَكَاءٍ يَكْشِفُ كُلَّ مُشْكِلٍ مَهْمَا
عَرَضَ، وَلَهُ أَدَبٌ تَوَدُّ الْعُقُولُ مَحَاسِنَ شُدُورِهِ، وَتَقْصُرُ الصُّدُورُ عَنْ أَعْجَازِهِ وَصُدُورِهِ، وَتَتَضَاعَلُ
أَهْلَةُ الْمَعَانِي عِنْدَ طُلُوعِ بُدُورِهِ³

لَوْ مِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْعَلَى بْنِ سَمَاكٍ

كَاتِبٌ مَاشِقٌ⁴، وَأَدِيبٌ لِرِيحِ الْبَيَانِ نَاشِقٌ، ذُو طَبَعٍ سَائِلٍ، وَكَلَفٍ بِالْمَسَائِلِ، فَلَا يَفْتُرُ عَنْ تَقْيِيدِ
وَنَقْلِ، وَجِلَاءٍ لِلْفَوَائِدِ وَصَفْلٍ، كَتَبَ مَعَ الْحَلَبَةِ فَأَحْكَمَ الْخَطَّ وَأَتَقَنَهُ، وَتَلَقَّى السَّجْعَ وَتَلَقَّنَهُ، وَأَنْشَدَ
الشَّعْرَ فَأَجْرَى بِغَيْرِ الْجَلَاءِ⁵، وَجَعَلَ دَلْوُهُ فِي الدَّلَاءِ.

¹ - أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن ابن يوسف بن سعيد بن جزي الكلبي من أهل غرناطة، ويعرف بابن جزي... اشتغل في الكتابة السلطانية لأول دولة السابع من الملوك النصريين "الإحاطة، 170 / 1

- "فرعت الجبل وفيه وتفرعت: سعدت" أساس البلاغة / فرع، 2 / 19²

- ع: ساقط³

- "المشق: السرعة في الطعن والضرب والأكل والكتابة" لسان العرب / مشق: 80 / 14⁴

- م: "الخلا" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي نبغ في قول الشعر دون إجلاء الآخرين.⁵

وَلَهُ بَيْتٌ مَعْمُورٌ فِي الْقَدِيمِ بِصُدُورِ قُضَاةٍ، وَسُيُوفٍ لِلدِّينِ مُنْتَضَاةٍ، وَلَمْ يَزَلْ مُنْتَظِمًا فِي السَّلَكِ،
وَمُرْتَسِمًا فِي كُتَابِ الْمَلِكِ إِلَى أَنْ عَضَهُ الدَّهْرُ بِنَابِ حُطُوبِهِ، وَقَابَلَهُ بَعْدَ الْبَشَاشَةِ بِقُطُوبِهِ، فَتَأَخَّرَتْ
فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ جَرَايئُهُ، وَتَكَصَّتْ عَلَى الْعَقَبِ رَايئُهُ، وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ شِعْرِهِ مَا يَشْهَدُ بِإِجَادَتِهِ، وَيُنْظِمُهُ
فِي فُرْسَانِ الْكَلَامِ وَقَادَتِهِ¹.

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ مُؤَلِّفِ هَذَا الْمَجْمُوعِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ - وَفَّقَهُ اللَّهُ -

إِنْ خَلَطْتُ الْعَذْبَ بِالْأَجَاجِ، وَنَظَّمْتُ مُحَيَّلَتِي بَيْنَ دُرَرِ هَذَا التَّاجِ، فَلَمْ أَبْغِ تَعْرِيفًا وَلَا تَنْبِيهًا،
وَلَا اعْتَمَدْتُ أَنْ أَقْرَظَ نَفْسِي وَأُذَكِّبَهَا، وَلَكِنِّي بَأَوْتُ² بِنَفْسِي عَنْ مُفَارَقَةِ أَبْنَاءِ جِنْسِي، فَرَاخَمْتُهُمْ فِي
أَبْوَابِ هَذِهِ الْأَدَابِ، وَقَنَعْتُ بِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ بِهِمْ وَلَوْ فِي الْكِتَابِ.

وَلَمَّا رَأَيْتُ حُلَلَهُمُ الْمُوشِيَةَ الطَّرِزَ، وَحُلَاهُمْ الْوَاضِحَةَ الشَّيَاتِ وَالْغُرِرَ، نَافَسْتُهُمْ مُنَافَسَةَ الْأَكْفَاءِ
فِي حُلَّةِ تَزْيِينِ مَنَكِبِي، وَرَايَةَ تَتَقَدَّمُ مَوَكِبِي، فَجَلَبْتُ فُضْلَاءَ خَلَانِي بِهِ رَئِيسُ الصَّنَاعَةِ، وَإِمَامُ
الْجَمَاعَةِ فِي بَعْضِ الْمَنْشُورَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، أَلْبَسَنِي بِهِ الشَّرَفَ ضَافِي الْأَرْدَانِ، وَتَرَكَنِي مُعَلِّمُ ذَلِكَ
الْمِيدَانِ.

وَهُوَ أَظْهَرَ لَهُ أَثَرَ اعْتِقَادِهِ الْجَمِيلِ فِيهِ، وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ الْقَبُولِ وَالنَّتَوِيهِ، تُشْرَعُ إِلَى الْعِزِّ
الْوَجِيهِ، وَالْقَدْرِ النَّبِيِّ، وَرَعَى لَهُ وَسَائِلُهُ الَّتِي كَرَمَتْ مَعَانِيَهَا، وَعَدُبَتْ مَبَانِيهَا³، وَتَأَسَّسَتْ عَلَى

-ع: ساقط¹

- "يبأى على أصحابه بأوا شديدا إذا زُهي عليهم وافتخر" أساس البلاغة / بأو، 1/ 43²

- م: "مجانيتها" وهو تحريف.³

قَوَاعِدِ الْبَلَاغَةِ مَبَانِيهَا، فَعَرَفَ مَا لَهُ مِنَ الْأَصَالَةِ، حَتَّى تَمَيَّزَ فِي أَعْيَانِهَا، وَبَرَاعَةِ الْأَدَابِ الَّتِي
أَحْرَزَ خَصْلَ سَبَاقِهَا، وَتَلَقَّى بِالْيَمِينِ رَايَةَ فُرْسَانِهَا.

وَلَمَّا اخْتَصَّهُ بِالتَّقْرِيبِ وَالْإِيثَارِ، وَاعْتَمَدَهُ بِوَلَايَاتِ مُلْكِهِ الْكِبَارِ، وَقَرَّبَهُ فِي بَسَاطِ مُلْكِهِ، حِفَايَةَ
وَعِنَايَةَ، وَأَطْلَعَ مِنْ آيَةٍ¹ سَعْدِهِ² لَهُ آيَةً، وَابْتَدَأَهُ بِالْخُطَطِ الَّتِي هِيَ لِغَيْرِهِ غَايَةٌ؛ رَأَى أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ فِيمَا
هُوَ لَدَيْهِ أَهَمُّ مَوْقِعًا وَأَعَزُّ مَوْضِعًا، وَأَنْ يَجْمَعَ لَهُ بَيْنَ الْكِتَابَتَيْنِ إِنْشَاءً وَدِيَوَانًا، وَيُطْلَعَ لَهُ وَجُوهَ
الرَّعَايَةِ غُرًّا حَسَنًا.

فَحَسْبِي مَا خَلَدَ لِي بِذَلِكَ مِنْ مَجْدٍ، وَقَلَّدَنِي مِنْ فَخْرٍ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى نَجْدٍ. وَأَمَّا شِعْرِي
وَنَثْرِي فَقَدْ أَثْبَتُ مِنْهُ، بَعْدَ سُؤَالِ الْإِعْضَاءِ، وَالنَّظَرِ بَعَيْنِ الرِّضَا، مَا تَعَلَّقَ بِالذِّكْرِ، وَاحْتَجَبَ³ بِحِجَابِ
الضَّمِيرِ مِنْ بَنَاتِ الْفِكْرِ⁴

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ خَاتِمَةَ⁵

نَاطِمُ دُرِّ الْأَلْفَافِ، وَمُقَلَّدُ جَوَاهِرِ الْكَلَامِ نُحُورَ الرُّوَاةِ وَلَبَّاتِ الْحُفَافِ، ذُو الْأَدَبِ الَّتِي أَضَحَتْ
شَوَارِدَهُ حُلْمَ النَّيَامِ وَسَمَرَ الْأَيْقَافِ، وَكَمَنَّ فِي بَيَاضِ طَرْسِهِ وَسَوَادِ نَفْسِهِ سِحْرُ اللَّحَافِ. رَفَعَ بِقُطْرِهِ
رَايَةَ هَذَا الشَّانِ عَلَى وَفُورِ حَلْبَتِهِ، وَفَرَعَ قُنَّةَ الْبَيَانِ عَلَى سُمُومِ هَضْبَتِهِ، وَفَوَّقَ سَهْمَهُ إِلَى نَحْرِ

- م: "آيات" ¹

- م: "السعادة" ²

- م: "احتجبت" ولعل الصواب ما أثبت. ³

- ع: ساقط ⁴

- أحمد بن علي بن محمد بن علي بن خاتمة (ت بعد 770هـ - بعد 1369م) أبو جعفر الأنصاري الأندلسي: طبيب مؤرخ من الأدباء
البلغاء. من أهل المرية بالأندلس. تصدر للإقراء فيها بالجامع الأعظم. وزار غرناطة مرات. من كتبه "مزية المرية على غيرها
من البلاد الأندلسية" الأعلام: 1/ 176 ⁵

الإحسان¹، فَأَثْبَتَهُ فِي لَبَّتِهِ؛ فَإِنْ أَطَالَ أَثَارَ الْأَبْطَالِ، وَكَثَّرَ الْمُنْسَجِمَ² الْهَطَّالَ، وَإِنْ أَوْجَرَ فَصَحَّ³ وَأَعْجَرَ؛ فَمِنْ نَسِيبٍ تَهِيْجُ بِهِ الْأَشْوَاقُ، وَتَضِيقُ عَنْ زَفَرَاتِهِ الْأَطْوَاقُ، وَدُعَابَةِ نُقْلُصِ ذَيْلِ الْوَقَارِ، فَتَنْزِرِي بِأَكْوَاسِ الْعُقَارِ، إِلَى انْتِمَاءٍ لِلْمَعَارِفِ، وَجُنُوحٍ إِلَى ظِلِّهَا الْوَارِفِ.

وَلَمْ تَزَلْ فَضَائِلُهُ بِتِلْكَ الْبُلْدَةِ تَنْفَسِحُ آمَادَهَا، حَتَّى تَتَأَفَسَ فِيهِ قُوَادِمُهَا، فَاتَّخَذُوهُ كَاتِبَ أَسْرَارِهِمْ، وَتُرْجُمَانِ أَخْبَارِهِمْ. وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ مَقْطُوعَاتِ شِعْرِهِ، وَنَفَثَاتِ سِحْرِهِ، مَا يَسْتَقِرُّ السَّمِيعَ، وَيُقَرِّطُ الْمَسَامِعَ⁴

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَقِيٍّ⁵

مُدِيرٍ لِأَكْوَاسِ الْبَيَانِ [الْمُعْتَقِ]⁶ وَلَعُوبٍ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ [الْمُشَقِّقِ]⁷ انْتَحَلَ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ الْهَزْلَ مِنْ أَصْنَافِهِ، فَأَبْرَزَ دُرَرَ مَعَانِيهِ مِنْ أَصْدَافِهِ، وَجَنَى ثَمَرَةَ الْإِبْدَاعِ لِحِينِ قِطَافِهِ، ثُمَّ تَجَاوَزَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَتَخَطَّاهُ، فَأَدَارَ كَأْسَهُ وَعَاطَاهُ، فَأَصْبَحَ لِفَنَائِهِ جَامِعًا، وَفِي فَلَكِيهِ شِهَابًا لَامِعًا، وَلَهُ ذِكَاؤُ يَطِيرُ شَرْرُهُ، وَإِدْرَاكُ تَتَبَلُّجِ غُرْرِهِ، وَذِهْنُ يَكْشِفُ الْعَوَامِضَ، وَيَسْبِقُ الْبَارِقَ الْوَامِضَ. وَعَلَى ذَلَاقَةٍ

-أ، ق، ع: "الإنسان" والمثبت من م.¹

-أ، ق، ع: "المنسجج" والمثبت من م، ولعله الصواب، أي المطر الكثير.²

-م: "فضح" وهو تصحيف. أي إذا تكلم أتى بالفصاحة التي تعجز الآخرين.³

-ع: ساقط⁴

أبو عبد الله بن بقي: "الإمام العلامة المحدث قاضي الجماع، ابن شيخ الأندلس الحافظ بن مخلد، القرطبي المالكي. رأس بالمغربين. وولي القضاء بالعدوتين. وكان عارفا بالإجماع والخلاف، مائلا إلى الترجيح والإنصاف. سير أعلام النبلاء: 277-275⁵

-أ: ساقط، والمثبت من م⁶

-أ: ساقط، والمثبت من م.⁷

لِسَانِهِ، وَانْفِسَاحِ أَمَدِ إِحْسَانِهِ؛ فَشَدِيدُ الضَّنَانَةِ بِشِعْرِهِ، مُغَالٍ لِسِعْرِهِ، أَجَابَ أَحَدَ الْأَحْبَاءِ مِمَّنْ خَطَبَ
أَدَبَهُ، وَاسْتَدْعَاهُ لِلْمُرَاجَعَةِ وَنَدَبَهُ¹

[وَمِنْ ذَلِكَ وَصَفُ أَبِي عَلِيٍّ حَسَنَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ

فَارِسُ بَرَاةٍ بَارِعَةٍ، وَرَبُّ بَدِيعَةٍ مُتَسَارِعَةٍ² لَأَكْ الْكَلَامِ وَعَلَاكُهُ، وَاسْتَحَقَّ الْإِحْسَانَ وَمَلَكُهُ، وَأَدَارَ
عَلَى قُطْبِ الْإِجَادَةِ فَلَكُهُ، وَسَاعَدَهُ الدَّهْرُ فَتَحَدَّى طَرِيقَ السَّرْوِ³ وَسَلَكُهُ، وَلَمْ يَزَلِ الْمِقْدَارُ يُسَاعِدُهُ،
وَالْتَدَبِيرُ يَنْوُءُ بِهِ سَاعِدُهُ، حَتَّى تَحَلَّتْ بِالنُّرِّيَا حَالُهُ، وَعَظُمَ جَاهُهُ وَمَالُهُ.

وَلَمَّا تَغَلَّبَتِ الْفِتْنَةُ بِدَوْلَتِهِ، وَعَجَمَتْ⁴ عُودَ صَوْلَتِهِ؛ آثَرَ الرَّحِيلَ، وَفَارَقَ رُبْعَهُ الْمُحِيلَ، وَاسْتَقَرَّ
بِحَضْرَةِ ثُوْنُسٍ، يَرُومُ الْوَجْهَةَ الْحِجَازِيَّةَ وَقَدْ تَبَرَّأَ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ: " وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ عَزِيَّةٍ " فَاتَّاهُ بِهَا
حِمَامُهُ، وَانْقَضَتْ دُونَ أَمَلِهِ أَيَّامُهُ. وَلَهُ أَدَبٌ غَضُّ الْجَنَى، أَنْيْقُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، عَلَى قِصَرِ بَاعِهِ،
وَقَلَّةِ انْتِجَاعِهِ⁵

-ع: ساقط¹

- م: "مسارعة" وكلاهما صحيح. "يسارعون إلى الخير ويتسارعون إليه" أساس البلاغة / سرع، 1 / 450²

- "السرو: ما ارتفع من الوادي وانحدر عن غَلْظِ الجبل" لسان العرب / سرا: 7 / 178³

- "وفلان صُلْبُ الْمَعْجَم: لمن إذا عجمته الأمور وجدته صليبا" أساس البلاغة / عجم، 1 / 637. أي تعرضه للفتنة أضعف حاله

فقرر السفر.⁴

-ع: ساقط⁵

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ

اللِّسْنُ الْعَارِفُ، وَالنَّاقِذُ لِحَوَاهِرِ الْمَعَانِي كَمَا تَفْصِلُ¹ بِالسَّكَّةِ² الصَّيَّارِفُ، وَالْأَدِيبُ الْمُجِيدُ،
الَّذِي تَحَلَّى بِهِ لِلْعَصْرِ النَّحْرُ وَالْجِيدُ. إِنَّ أَجَالَ حَيَّادَ بَرَاعَتِهِ، فَضَحَ فُرْسَانَ الْمَهَارِقِ، وَأَخْجَلَ مِنْ
بَيَاضِ طَرْسِهِ، وَسَوَادِ نَفْسِهِ الطُّرَرَ تَحْتَ الْمَهَارِقِ.

وَأِنْ جَلَّى أَبْكَارَ أَفْكَارِهِ، وَأَثَارَ طَيْرِ الْبَيَانِ مِنْ أَوْكَارِهِ، سَلَبَ الرَّحِيقُ الْمُقَدَّمُ³ فَضْلَ ابْتِكَارِهِ، إِلَى
نَفْسٍ لَا يُفَارِقُهَا ظَرْفٌ، وَهَمَّةٍ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهَا ظَرْفٌ، وَإِبَاقَةٍ لَهُ لَا يَقْبَلُ⁴ لَهَا غَرْبٌ⁵ وَلَا جَوْفٌ. وَفِي
هَذِهِ الْأَيَّامِ دَعَاهُ شَيْخُ الْغُرَاةِ إِلَى كِتَابَةِ سِرِّهِ، وَقَامَ بِوَاجِبِ بَرِّهِ. وَلَهُ أَدَبٌ غَضٌّ، وَزَهْرٌ عَلَى مُجْتَنِبِيهِ
مُرْفُضٌ⁶ [7]

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ الطَّرَازِ

رَوْضَةُ أَدَبٍ وَظَرْفٍ، كَمَا شَبَّتَ مِنْ حُسْنٍ وَعُرْفٍ، أَشْرَقَتْ ذُكَاؤُ ذَكَائِهِ، وَتَضَوَّعَتْ آدَابُهُ
تَضَوُّعَ الرُّوْضِ غَبَّ سَمَائِهِ، إِلَى حَلَاوَةِ الْخَلَائِقِ وَالضَّرَائِبِ، وَالشَّيْمِ الْحَسَنَةِ وَالْمَعَانِي الْغَرَائِبِ.

- "السكة حديدة منقوشة تطبع بها الدراهم والدنانير والجمع سكة" المصباح المنير / سكة، ص 107¹
-ع: ساقط²

- م: "المعدم" وهو تحريف.³

- أ، ق، ع: "يقبل" والمثبت من م. ولعله الصواب؛ كناية عن قوة نفسه التي لا تكسر، مأخوذة من "فل منه شيء أي كسر" أساس
البلاغة / قلل، 2 / 36.⁴

- "الغرب الدلو العظيمة يستقى بها على السانية" المصباح المنير / غرب، ص 169.⁵

- "ارْفُضْ دمعته ارفضاضا إذا انهل متفرقا" لسان العرب / رفض: 6 / 190⁶
-ع: ساقط⁷

تَزْتَاحُ إِلَى مُجَالَسَتِهِ الْمُحَاضِرُ، وَيَرِفُّ¹ مِنْ أَفْنَانِ فُكَاهَتِهِ الرَّهْرُ النَّاصِرُ، فَمَا شَتَّتَ مِنْ تَوْقِيعِ رَفِيعٍ،
وَتَتَدِيرُ بِالْإِصَابَةِ جَدِيرُ، وَلَطَافَةِ الشَّمَائِلِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْفَضَائِلِ.

وَلَهُ نَفْسٌ تَطْمَحُ إِلَى بُلُوغِ الْمَعَانِي، وَفِكْرٌ يَخْدُو حُلَلَ الْبِدَائِعِ فِي الطَّرَازِ الْعَالِي، وَأَدَبٌ كَالرَّوْضِ
بَاكَرْتُهُ السَّحَائِبُ، وَحَمَلَتْ أَرْجَهُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبُ. وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِهِ كُلِّ عَطْرِ النَّسِيمِ، سَافِرِ
الْمُحَيَّا الْوَسِيمِ²

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ دَاوُدَ الْوَادِي آشِي

شَيْخُ الْعُمَالِ الْمُؤْتَمَنِ عَلَى الْجَبَايَةِ وَالْمَالِ، الْمُسْتَوْفِي شُرُوطِ الْفَضْلِ عَلَى الْكَمَالِ، تَوَاضَعَ
-رَحِمَهُ اللَّهُ- عَلَى الْعُلُوِّ، وَلَبَسَ شِعَارَ السُّكُونِ وَالْهُدُوءِ، وَبَذَلَ الْمُجَامَلَةَ لِلصَّدِيقِ وَالْمُسَالَمَةَ لِلْعَدُوِّ،
وَلَازَمَ مَجَالِسَ الْمَلِكِ بِحَيْثُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، وَيَحُطُّ وَيَرْفَعُ، فَمَا شَابَ بِالْإِسَاءَةِ إِحْسَانًا، وَلَا أَعْمَلَ فِي
غَيْرِ الْمُشَارَكَةِ لِسَانًا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدَبِ الْعَطْرِ النَّسِيمِ، السَّافِرِ عَنِ الْمُحَيَّا الْوَسِيمِ.

وَاشْتَهَرَ بِالْوَفَاءِ اشْتِهَارَ دَارِينَ (أَرِين) بِطِيبِهَا وَأَتَادَ³ بِخَطِيبِهَا، فَكَانَ حَامِلَ رَايَتِهِ، وَمُحَرِّرَ
غَايَتِهِ. وَمَضَى لِسَبِيلِهِ فَقِيرًا⁴ عَمَّ فَقْرُهُ⁵ وَخَصَّ، وَهَاضَ أَجْنَحَةَ الْحَاجَاتِ وَقَصَّ. وَلَهُ أَدَبٌ يُصِيبُ
شَاكِلَةَ الرَّمْيِ بِنِبَالِهِ، وَنَظْمٌ تَضْحَى الْمَعَانِي قَنَائِصَ حِبَالِهِ⁶

-م: "يرقب" ولعل الصواب ما أثبت. ¹

-ع: ساقط ²

-م: "أياد" ³

-م: "فقيدا" وهو تحريف. ⁴

-م: "فقدته" ⁵

-ع: ساقط ⁶

وَمِنْ ذَلِكَ وَصَفُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَّانَ

كَاتِبُ إِنِّشَاءٍ وَدِيَّوَانٍ، وَصَدْرُ حَقْلٍ وَابِيَّوَانٍ، وَفَارِسُ يِرَاعَةٍ، وَرَوْضُ [أَدَبٍ]¹ وَبِرَاعَةٍ، يُمْلِي الرِّسَائِلَ فَلَا يَجِفُّ مِدَادُهَا، وَيَنْظُمُ الْقَصَائِدَ لَا يُعْيِيهِ امْتِدَادُهَا، وَيُحَبِّرُ الرِّقَاعَ وَيُوشِيهَا، وَيُصَوِّرُ الْمَعَانِي وَيُنْشِئُهَا، وَيُدَبِّجُ بُرُودَ الْبَدَائِعِ وَيُطَرِّزُ حَوَاشِيهَا، إِلَى حَظِّ تَهْيِمْ الْأَلْحَاطِ² بِالتَّمَّاحِ سَطُورِهِ، وَتَعَارُ الرِّيَاضِ بِمَمْطُورِهِ، وَأُبُوءَ وَمَجَادَةٍ، وَبَيْتِ أَمْطَرِهِ الْفَضْلُ وَجَادَهُ، وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ أُبُوءُ صَاحِبِ الْأَشْغَالِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- خَلْفًا سَدَّ مَسَدَهُ، وَتَجَاوَزَ فِي السَّرِّ مَا حَدَّهُ.

وَلَمْ تَزَلِ الْأَسْمَاعُ تَخْطُبُ بِدَائِعِهِ، وَأَسْوَاقُ الْأَشْوَاقِ تُغْلِي بِضَائِعِهِ، حَتَّى أَصْبَحَ فَرْدًا فِي أَتْرَابِهِ، وَقَدْ أَوْفَى فِي إِغْرَابِهِ، وَلَهُ نَفْسٌ عُذْرِيَّةُ الشَّمَائِلِ، وَلِسَانٌ هَامٌ بِزَهْرِ الرِّيَاضِ وَظِلُّ الْخَمَائِلِ، وَطَبَعَ إِلَى شَيْمِ الرُّصَافَةِ وَالْحُسْنِ مَائِلٌ³

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصَادِفِ الرُّنْدِيِّ⁴

مِنْ شُيُوخِ الطَّرِيقَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَمُنْتَحَلِي الصَّنَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ

كَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- مَجْمُوعَ ظَرْفٍ، وَمَمْسَحَ كُلِّ طَرْفٍ، مِنْ خَطِّ بَارِعٍ، وَأَدَبٍ إِلَى دَوَاعِي الْإِجَابَةِ مُسَارِعٍ. وَلَمَّا صَارَ أَمْرُ رُنْدَةٍ -كَأَلَّهَا اللَّهُ- عِنْدَ اشْتِعَالِ الْحَرْبِ، وَتَوَالِي الضَّرْبِ إِلَى مَلِكِ الْغَرْبِ⁵ قَلَّدَهُ أَعْمَالَهَا، وَجَعَلَ إِلَى نَظَرِهِ حَالَهَا، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى بَعْضِ الْوِلَايَاتِ بِبَرِّ الْعُدُوءِ، وَبِهَا قَضَى نَحْبَهُ،

-م: ساقط¹

-م: "الألفاظ" وهو تحريف.²

-م: ساقط.³

-⁴ "أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد ابن مصادف بن عبد الله. يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن مصادف؛ من

أهل بسطة، واستوطن غرناطة، وقرأ وأقرأ بها" الكتيبة، ص 94

-م: "المغرب"⁵

وَفَارَقَ صَحْبَهُ، بَعْدَ مُعَانَاةٍ خُطُوبٍ، وَمُبَاشَرَةِ صُرُوفٍ مِنَ الدَّهْرِ وَضُرُوبٍ. وَلَهُ أَدَبٌ طَابَ وَتَأَرَّجٌ،
وَعَطَفَ عَلَى رُسُومِ الْإِجَادَةِ وَعَرَّجَ، وَمَعَانَ تَتَجَلَّى تَجَلَّى الْعِدَارَى وَتَتَبَرَّجُ¹

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ جَعْفَرٍ]

شَيْخٌ تَوْقِيعَةٍ نَادِرَةٍ، وَفُكَاهَةٍ وَارِدَةٍ وَصَادِرَةٍ، وَنَظْمٍ أُنِيقِ الدِّيَابِجَةِ، لَطِيفِ الرُّجَاكِجَةِ، عَطِرِ
النَّفَخَةِ، عَذْبِ الْمُجَاكِجَةِ، وَظَرْفٍ لَا يَذْوَى دَوْحُهُ، وَأَدَبٍ تَأَرَّجَ رَوْحُهُ. وَقَضَى -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَقَدْ تَخَلَّفَ
عَقِيبًا² نَجِيبًا، وَأَلْقَى مِنْ أَبِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ مُسْتَمِعًا لِلْفَضْلِ مُجِيبًا، صَارَ³ فِي الْإِحْسَانِ طَلْفُهُ⁴،
وَحَاسَنَ فَلْفُهُ⁵. وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ شِعْرِهِ مَا يَقْرَأُ بِوُقُورٍ مَادَّتِهِ وَاسْتِقَامَةِ جَادَّتِهِ⁶

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ ابْنِهِ أَبِي جَعْفَرٍ]

كَاتِبٌ حِسَابٍ، وَمُمْتَسِبٌ لِأَدَبٍ أَيْ انْتِسَابٍ، إِنْ فَكَّرَ وَرَوَى، أَنْهَلَ الْخَوَاطِرَ وَرَوَّى، وَإِنْ ابْتَدَرَ
وَارْتَجَلَ، أَوْلَدَ الْبَدَائِعَ وَانْتَحَلَ. وَلَهُ مَنْطِقٌ يُحَاوِلُ الصَّعَابَ فَيُلَيِّنُهَا، وَيَتَنَاولُ الْغَوَامِضَ فَيُبَيِّنُهَا، وَيَجْلُو
كُلَّ سَاحِرَةِ الْأَلْبَابِ يَرُوقُ جَبِينُهَا، وَيُوسِّعُ الْمُحَاضِرَةَ إِمْتَاعًا، وَيَمُدُّ فِيهَا خَطُومًا وَبَاعًا⁷.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ وَقَدْ حَظِيتُ مِنْ بَيَانِهِ بِهَذَا الْمَجْمُوعِ، وَلَمْ أَقِفْ مِنْهُ عِنْدَ خَبَرِهِ الْمَسْمُوعِ، لَكِنِّي

- ع: ساقط

- م: "عقبا"

- م: "حاز" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي انتشر فصاحة اللسان ولم يقتصر على تملكها.

- "ورجل منطلق اللسان وطلقه وطلبه" أساس البلاغة / طلق، 1 / 611⁴

- "وشاعر مُفْلَق يأتي بالفلق وهو العجب" أساس البلاغة / فلق، 2 / 35⁵

- ع: ساقط

- م: "ساعا"

اجْتَرَأَتْ مِنْهُ بِالْيَسِيرِ، وَقَنَعَتْ بِمَا حَضَرَ، وَاکْتَفَيْتُ بِرَائِقَةِ الْأَثِيرِ، وَأَقَمْتُ قَلِيلَهُ مَقَامَ الْكَثِيرِ¹

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَرْبَرِيِّ الْمَالِقِيِّ]

شَاعِرٌ يُنْفِقُ مِنْ سَعَةٍ، وَيَنْطِقُ وَسَطَ الْمَجْمَعَةِ، وَمَطْبُوعٌ لَا يَتَكَفَّفُ، وَمُجِيدٌ إِذَا نَهَضَ الْبُلْعَاءُ
لَا يَتَخَلَّفُ. عَانَى النِّظْمَ وَزَمَنَهُ كَمِثْلِ غَلَامٍ، وَدَهْرَهُ تَحِيَّةً وَسَلَامًا، وَمَدَحَ وَانْتَفَعَ، وَشَفَعَ² شِعْرَهُ لِلْمُلُوكِ
فَشَفَعَ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَصَرَّفُ فِي الْأَعْمَالِ، وَيُقَابِلُ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالَ. وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ شِعْرِهِ كُلِّ مُحْكَمِ
العَقْدِ، شَدِيدِ الْوُطْأَةِ عَلَى النَّفْدِ³

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُقَاتِلِ الْمَالِقِيِّ⁴]

مِنْ حُسْبَاءِ الطَّرِيقَةِ وَصُدُورِهَا، وَالْمَحَاسِنِ لِتَرَائِبِهَا الْعَاطِلَةِ وَتُحُورِهَا. كَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- هَضْبَةً
وَقَارٍ وَسَكِينَةً، وَذَا مَكَانَةٍ فِي الْفَضْلِ مَكِينَةً إِلَى صَدْرِ سَلِيمٍ وَمَجْدٍ صَمِيمٍ⁵، وَخُلُقٍ عَظِيمٍ السُّهُولَةِ،
وَسَمْتٍ خَلِيقٍ بِسْنِ الْكُهُولَةِ، وَلِسَانٍ مُغْرَى بِالذِّكْرِ، مُتَقَلِّبٍ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، وَإِلَى ذَلِكَ فَكَانَتْ لَهُ
دُعَابَةٌ صَائِبَةٌ السَّهْمِ، وَنَادِرَةٌ يَتَنَافَسُ فِيهَا أُولُو الْفَهْمِ، وَمُجَالَسَةٌ طَيِّبَةٌ، وَفُكَاهَةٌ عَمَامَتُهَا صَيِّبَةٌ.
وَاسْتَعْمَلَ فِي الْوَلَايَاتِ النَّفِيسَةِ، فَحُمِدَتْ سِيرَتُهُ، وَحَسُنَ أَثَرُهُ، وَكَرُمَ حُبْرُهُ وَخَبَرُهُ، وَأُنْجَبَ عَقِبًا جَارِيًا

- ع: ساقط¹

- أي جعل شعره شفيعا له عند الملوك للحظوة لديهم.²

- ع: ساقط³

- "وقال في الإكليل في ترجمة أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الله ابن مقاتل المالقي، ما نصه: نابغة مالقية، وخلف وبقية،
ومغربي الوطن أخلاقه مشرقية، أزمع الرحيل إلى المشرق" نفح الطيب، 6/ 4236
- أ، ق، ع: "ضميم" والمثبت من م، ولعله الصواب؛ أي مجده أصيل خالص.⁵

عَلَى سُنَنِهِ، وَمُتَخَلِّقًا مِنَ السُّرُورِ بِأَحْسَنِهِ. وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ غَضُّ الْجَنَى، طَيِّبُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى،
وَمَقْطُوعَاتٌ حَسَنَةُ الْمَقَاطِعِ، سَافِرَةٌ عَنِ الْحُسْنِ السَّاطِعِ¹

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَنْشَتِي

[مِنْ شُيُوخِ طَرِيقَةِ الْعَمَلِ، الْمُتَعَلِّبِينَ مِنْ أَحْوَالِهَا بَيْنَ الصَّخْرِ وَالثَّمَلِ، الْمُتَعَلِّقِينَ بِرُسُومِهَا حِينَ
اخْتَلَطَ الْمَرْعَى بِالْهَمَلِ. وَهُوَ نَاطِمٌ أَرْجَازٍ، وَمُسْتَعْمِلٌ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ. نَظَمَ بِهَا مُخْتَصَرَ السَّيْرِ فِي
الْأَلْفَافِ الْيَسِيرَةِ، وَنَظَمَ جُزْءًا فِي الرَّجْرِ² وَالْفَالِ، فَبَدَّ بِهِ تِلْكَ الطَّرِيقَةَ بَعْدَ الْإِغْفَالِ]

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغِيلِ³ مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةِ]⁴

بَقِيَّةٌ صَالِحَةٌ، وَغُرَّةٌ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ وَاضِحَةٌ، أَرَّخَ وَقَيَّدَ، وَأَحْكَمَ بِنَاءَ الْعِبَارَةِ وَشَيَّدَ، وَرَقَّمَ
الرِّسَائِلَ الْبَدَائِعَ، وَحَقَّقَ بِيْلَدِهِ الْأَخْبَارَ وَكَتَبَ الْوَقَائِعَ. فَمَجَالَسَتْهُ عَظِيمَةُ الْإِمْتِنَاعِ، وَمُحَاضَرَتُهُ مُقَرَّطَةٌ
الْأَذَانِ وَالْأَسْمَاعِ. وَلَهُ شِعْرٌ جَزْلٌ، لَا يَنْتَكِبُ⁵ لِمَعَانِيهِ غَزْلٌ، وَالْأَفَاطَةُ صَقِيلَةٌ، وَمَعَانٍ تَنْبَرِّجُ تَنْبَرِّجُ
الْعَقِيلَةِ، وَأَغْرَاضُ⁶ لَا تَطِيشُ نَبْلُهَا، وَلَا تُطْمَسُ لَاحِبُ سُبُلِهَا. وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْهَا مَا يَشْهَدُ بِإِجَادَتِهِ،
وَيَذُلُّ عَلَى كَرَمِ مَجَادَتِهِ⁷

- ع: ساقط¹

- م: "الرجز"²

- "أحمد بن قاسم بن بد الله الجذامي، من أهل المرية، وأصله من مرسية. انتقل منها أبوه إلى المرية فأوطنها، وكان ينتحل طريقة الفقراء، ويظهر في مظاهر التصوف، ويعد في أهل الخير والديانة، أبو جعفر، ويعرف بابن البغيل، من أدباء المرية وشعرائها وكتابها ونبلائها، وممن له حظ من الطلب. توفي بامرية في الطاعون عام 749" درة الحجال، 1/ 133³

- ع: ساقط⁴

- م: "ينتكب" ولعل الصواب ما أثبت⁵

- م: "أغراضها"⁶

- ع: ساقط⁷

وَفِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ جَعْفَرٍ مِنْ مَالِقَةٍ

[أَدِيبٌ مَجِيدٌ، وَبَطْلٌ فِي الْحِسَابِ نَجِيدٌ¹، تَقَدَّمَ فِي الطَّرِيقَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَبَرَزَ، وَطَوَّرَ طُرُوسَهَا
وَطَرَزَ، وَنَقَدَ وَأَبْرَزَ، وَعَانَى النَّظْمَ فَأَجَادَهُ، وَاسْتَقَى غَمَامَ الْأَدَبِ فَجَادَهُ، وَسَبَكَ الْأَلْفَاظَ وَخَلَصَهَا،
وَاسْتَطَرَدَ الْمَعَانِي وَأَقْنَنَصَهَا، وَمَرَّتْ بِهِ النَّادِرَةُ فَأَعْنَنَمَ فُرْصَهَا. وَلَهُ أَخْلَاقٌ² رَفِيعَةٌ، وَنَفْسٌ لِكُلِّ
عُذْرِيٍّ شَقِيقَةٌ. وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِهِ مَا وَقَعَ بِيَدِي، وَارْتَسَمَ فِي خَلْدِي]³

لَوْ مِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَلِيٍّ حَسَنِ ابْنِ الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ الْقِجَاطِيِّ

حَسَنِي⁴ الْمَذْهَبِ، وَهَائِمٌ بِكُلِّ عِدَارٍ مُوشَى وَخَدٌّ مُذْهَبٍ. نَشَأَ بَيْنَ يَدَيِ أَبِيهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-
وَحَلَقَتْهُ مَكْنَسُ آرَامٍ، وَمُتَارُ صَبَابَةٍ وَعَرَامٍ، وَمَطْلَعُ الشُّمُوسِ الْأَهْلَةِ مِنْ أَبْنَاءِ الْجِلَّةِ، فَرَكَضَ فِي
الْكَافِ مِلءَ عَنَانِهِ، وَمَكَّنَ الْجُفُونَ السُّودَ مِنْ سُؤْيَدَاءِ جَنَانِهِ، وَعَذَّبَ عِنْدَهُ تَعْذِيبُهُ حَتَّى اشْتَهَرَ غَزْلُهُ
وَنَسِيبُهُ. وَلَمَّا نَضَبَ عُودُ تِلْكَ الشَّبِيبَةِ، وَصَوَّحَ⁵ نَبْتُ تِلْكَ الرِّيَاضِ الْعَجِيبَةِ؛ تَعَلَّقَ بِالْخِدْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ،
فَانْتَضَمَ فِي أَهْلِهَا، وَسَارَ فِي حَزَنِهَا وَسَهْلِهَا، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ تَبِعَاتُ عَبَرِ لَهَا اللَّجَّةِ، وَقَطَعَ الْحُجَّةَ.
وَاسْتَقَرَّ بِجَايَةٍ، فَارْتَفَدَ وَارْتَفَقَ، وَعَرَضَ شِعْرُهُ فَعَلَا سِعْرُهُ وَنَفَقَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ إِلَى

- "وَنَجَّدَ الرَّجُلَ فَهُوَ نَجِيدٌ إِذَا كَانَ ذَا نَجْدَةٍ وَهِيَ الْبَاسُ وَالشَّدَةُ" المصباح المنير / نجد، ص 226¹

- م: "أَخْلَافٌ" وهو تصحيف.²

- ع: ساقط³

-⁴

- م: "صَوَّحَ" وهو تصحيف. "تَصَوَّحَ الْبَقْلُ وَصَوَّحَ: تَمَّ يَبْسُهُ" لسان العرب / صوح: 302 / 8⁵

أُمُّ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ¹، وَالْقَائِمَةُ بِحَسَنَاتِ تِلْكَ الْبِلَادِ مَقَامَ الْفَذْلَكَةِ، فَاسْتَدَّتْ إِلَى بَابِهَا، وَارْتَسَمَ فِي سِلْكِ كُتَابِهَا. وَقَدْ أُثْبِتُ مِنْ شِعْرِهِ الْمَطْبُوعِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِهِذِهِ الرُّيُوعِ²

[وَفِي وَصْفِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُرَابِيعِ مِنْ أَهْلِ بَلَشِ³

طَوِيلُ الْقَوَادِمِ وَالْخَوَافِي، كَلِفٌ عَلَى كِبَرِ سِنِّهِ بِعَقَائِلِ الْقَوَافِي، شَابَ فِي الْأَدَبِ وَشَبَّ، وَنَشَقَ رِيحَ الْبَيَانِ لَمَّا هَبَّ، فَجَاوَرَ رَقِيقَهُ وَجَزَلَهُ، وَأَجَادَ جِدَّهُ، وَأَحْكَمَ هَزْلَهُ، فَإِنْ مَدَحَ صَدَحَ، وَإِنْ وَصَفَ أَنْصَفَ، وَإِنْ عَصَفَ قَصَفَ. وَإِنْ أَنْشَأَ وَدَوَّنَ، وَتَقَلَّبَ فِي أَفَانِينَ الْبَلَاغَةِ وَتَقَنَّ، أَفْسَدَ مَا شَاءَ وَكَوَّنَ.

فَهُوَ شَيْخُ الطَّرِيقَةِ الْأَدَبِيَّةِ وَفَتَاهَا، وَخَطِيبُ مَحَافِلِهَا كُلَّمَا أَتَاهَا، لَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ مِنْ أَغْرَاضِهَا غَرَضٌ، وَلَا يَضِيعُ لَدَيْهِ مِنْهَا مُفْتَرَضٌ، وَلَمْ تَزَلْ بُرُوقُهُ تَتَأَلَّقُ، وَمَعَانِيهِ بِأَذْيَالِ الْإِحْسَانِ تَتَعَلَّقُ، حَتَّى بَرَزَ فِي أَبْطَالِ الْكَلَامِ وَفُرْسَانِهِ، وَدَعَرَتِ الْقُلُوبُ لِسَطْوَةِ لِسَانِهِ، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ الصَّنَاعَةُ زِمَامَهَا، وَوَقَّفَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامَهَا، فَشَعَشَعَ مُدَامَهَا، وَنَبَّهَ نُدَامَهَا، وَأَرْسَلَ رُجُومَهَا.

وَعَبَّرَ الْبَحْرَ لِهَذَا الْعَهْدِ مُنْتَجِعاً لَشِعْرِهِ، وَمُنْفِقاً فِي سُوقِ الْكَسَادِ مِنْ سِعْرِهِ⁴، فَأَبْرَقَ وَأَزْعَدَ، وَحَذَّرَ وَتَوَعَّدَ، وَبَلَغَ جُهْدَ إِمْكَانِهِ فِي التَّعْرِيفِ بِمَكَانِهِ، فَمَا حَرَّكَ وَلَا هَزَّ، وَذَلَّ فِي طَلَبِ الرُّفْدِ وَقَدْ عَزَّ، وَمَا بَرَحَ أَنْ رَجَعَ إِلَى وَطَنِهِ الَّذِي اعْتَادَهُ رُجُوعَ الْحَدِيثِ إِلَى قَتَادِهِ.

- ع: ساقط

- ع: ساقط

- ع: ساقط

- م: "سعدته" وهو تحريف.

وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ نَزْعَاتِهِ، وَبَعْضِ مُخْتَرَعَاتِهِ، مَا يَدُلُّ عَلَى سَعَةِ بَاعِهِ، وَنَهْضَةِ ذِرَاعِهِ، وَالْمَعْتُ

بِشَيْءٍ مِنْ سَبَبِ رِحْلَتِهِ وَاعْتِرَابِهِ، وَعَوْدِ مُرْهَفِهِ إِلَى قَرَابِهِ¹

[وَفِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُتَأَهِّلِ² الْمَعْرُوفِ بِعِمَامَتِي مِنْ أَهْلِ وَادِي آش

نَاطِمُ أَبْيَاتٍ، وَمَوْضُحُ غُرَرٍ وَشِيَّاتٍ، وَصَاحِبُ تَوْقِيعَاتٍ، وَإِمَارَاتٍ ذَوَاتِ إِشَارَاتٍ. اشتهر في
بلده اشتهار الشَّيْبِ فِي الْمَفَارِقِ، وَتَأَلَّقَ بِأُفُقِهِ بِأَلْقِ الْبَارِقِ. وَكَانَ شَاعِرًا مِثْلًا، وَجَوَادًا لَا يَخَافُ
عِثَارًا. دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ بَلَدِهِ [الْمَخْلُوعِ عَنْ مُلْكِهِ بَعْدَ انْتِثَارِ سِلْكِهِ، وَخُرُوجِ الْحَضْرَةِ عَنْ مُلْكِهِ،
وَاسْتِقْرَارِهِ بِوَادِي آش]³ مُرَوِّعَ الْمَالِ مُتَعَلِّلًا بِقِصَصَاتِ الْأَمَالِ⁴

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ

إِنْ طَالَ الْكَلَامُ، وَجَمَحَتِ الْأَقْلَامُ، كُنْتُ كَمَا قِيلَ مَادِحُ نَفْسِهِ يُفَرِّئُ السَّلَامَ، وَإِنْ أَحْجَمْتُ فَمَا
أَسْدَيْتُ فِي النَّثَاءِ وَلَا أَفْحَمْتُ، أَضَعْتُ الْحُقُوقَ، وَقَارَبْتُ الْعُقُوقَ. هَذَا وَلَوْ رَجَرْتُ طَيْرَ الْبَلَاغَةِ مِنْ
أُوكَارِهِ، وَحَيِّثُهُ بِعَوْنِ⁵ الْكَلَامِ وَإِبْكَارِهِ؛ لَمَا قَضَيْتُ حَقَّهُ بَعْدُ، وَلَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ⁶، فَقَدْ
كَانَ ذَا حَزْمٍ⁷، وَرَجُلَ رَجَاءٍ وَعَزْمٍ، كَانَ بِبَلَدِهِ قُطْبُهُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَدَارُ، وَرَعِيمُهُ الَّذِي لَهُ الْإِيرَادُ
وَالْإِصْدَارُ، وَلَهُ إِلَى الْمَقَامِ الْعَلِيِّ النَّصْرِيُّ وَسَائِلُ قُرْبَى، وَمُتَاتٌ أَنَافَ وَأَرَبَى.

- ع: ساقط¹

- "محمد بن أحمد ابن المتأهل العبدري؛ من أهل وادي آش؛ يكنى أبا عبد الله.²

- أ: ساقط، والمثبت من م³

- ع: ساقط⁴

- م: "بعيون"⁵

- ع: ساقط⁶

- أ، ق، ع: "عزم" والمثبت من م.⁷

وَلَمَّا حَلَّ الْمَلِكُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ¹ بِذَلِكَ الْفُطْرِ، وَلَاحَ بِأُفْقِهِ لِيَاخَ هَالِلِ الْفِطْرِ؛ نَزَعَ إِلَى فَرِيقِهِ،
وَجَعَلَ تِلْكَ الْإِيَالَةَ قَرَى طَرِيقِهِ، وَصَحِبَ رُكَّابَهُ إِلَى قَرَارَةِ مُلْكِهِ، وَمَحَطَّ فَلَكِهِ، فَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ، وَشَدَّ لَهُ
الْعِزَّ وَبَنَاهُ. وَلَمْ تَزَلْ سَمَاوُهُ تَجُودُهُ، وَرَوْضُهُ يَرُوضُهُ جُودُهُ. وَاصْطَنَعَهُ خَلْفَهُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَنْ دَعَاهُ
الْأَجَلُ لَوَعْدِهِ، فَفَقَدْتُهُ بِكَائِنَةِ طَرِيفٍ -جَبَرَ اللَّهُ عِنَارَهَا، وَعَجَّلَ ثَارَهَا-

حَدَّثَ خَطِيبُ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ²، وَهُوَ مَا هُوَ مِنْ وَفُورِ الْعَقْلِ، وَصِحَّةِ النَّقْلِ، قَالَ: "مَرَرْتُ
بِأَبِيكَ بَعْدَ مَا تَمَّتِ الْكُسْرُ³، وَخُذِلَتْ تِلْكَ [الْأُسْرَةُ وَقَدْ كَبَا]⁴ بِأَخِيكَ الطَّرْفُ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ الْحِمَامُ
الصَّرْفُ، وَالشَّيْخُ لَمْ تَزَلْ قَدَمُهُ، وَلَا رَاعَهُ عَدَمُهُ، وَلَمَّا يَبْسُ مِنَ الْخَلَاصِ وَطِلَابِهِ صَرْفَنِي، وَقَالَ:
أَنَا أَوْلَى بِهِ فَقَضَى سَعِيداً شَهِيداً، لَمْ يَسْتَفِزْهُ الْهَوْلُ وَلَمْ يُثْنِهِ، وَلَا ارْتَضَى عَارَ الْفِرَارِ عَنِ ابْنِهِ.
وَكَانَتْ لَهُ فِي الْأَدَبِ فَرِيضَةٌ، وَفِي النَّادِرَةِ الْعَذْبَةِ مَنَادِحُ عَرِيضَةٌ، مَعَ قَلَّةِ انْتِحَالِهِ، وَاشْتِغَالِهِ بِحَالِهِ"⁵

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي بَكْرِ الْبَلَوِيِّ مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةِ]

مُحْيٍ لِرُسُومِ الْمَكَارِمِ، ذُو هَزَّةٍ لِلْفَضَائِلِ كَهَزَّةِ الصَّارِمِ. كَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بِلَدِهِ فِي الْإِحْسَانِ
مَنْزِلَةَ الْعَيْنِ مِنْ جَسَدِ الْإِنْسَانِ، وَالنُّطْقِ مِنَ اللِّسَانِ، وَالْبَشَاشَةِ مِنَ الصُّورِ الْحَسَنِ. إِنْ ضَلَّ
السَّمَاحُ فَبَيِّتُهُ مَأْوَاهُ، أَوْ أَضَلَّ الضَّيْفُ فَهُوَ أَبُو مَثْوَاهُ، إِلَى نَفْسٍ آخِذَةٍ بِأَقَاصِي الْكَمَالِ وَشَمَائِلِ

- ع: ساقط¹

- ع: ساقط²

- ع: ساقط³

- أ: ساقط، والمثبت من م⁴

- ع: ساقط⁵

الْطَفَ مِنْ أَنْفَاسِ الصَّبَا وَالشَّمَالِ، وَأَدَبٍ انْتَهَى إِلَى الْقُلُوبِ مِنَ الْأَمَالِ. قَدِمَ عَلَى الْحَضْرَةِ بِأَوَّلِ
الدَّوْلَةِ لِإِدَاءِ حَقِّ الطَّاعَةِ وَالْإِنْتِظَامِ فِي الْجَمَاعَةِ¹

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّرَّاجِ²

طَبِيبٌ مَاهِرٌ، وَرَوْضٌ عِلْمٍ تَفَتَّحَتْ فِيهِ لِلْفُنُونِ أَزَاهِرٌ، دَرَجَ مِنَ الشُّطْفِ إِلَى السَّعَةِ، وَتَحَلَّى
بِحِلْيَةِ الْعِلْمِ فَرَفَعَهُ، فَبَلَغَ الْغَايَةَ الَّتِي لَطْفَ مَحَلُّهَا، وَفَاءَ عَلَيْهِ ظِلُّهَا، وَتَقَلَّبَتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ فَاعْتَوَرَتْهُ
صُرُوفُهَا، وَتَنَكَّرَ عِنْدَهُ مَعْرُوفُهَا لَمَّا ذَكَرَتْهُ فِي كِتَابِ "طُرُقَةِ الْعَصْرِ فِي اخْتِبَارِ دُولِ بَنِي نَصْرِ"³.
ثُمَّ تَدَارَكَتْ صَلَاحَ حَالِهِ، وَمُتَعَتَهُ بِطِيبِ الْقَرَارِ بَعْدَ ارْتِحَالِهِ، فَاسْتَقَرَّتْ دَارُهُ، وَاسْتَقَامَ عَلَى قُطْبِ
الْعِنَايَةِ مَدَارُهُ، وَكَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- كَثِيرَ الدُّعَابَةِ، وَمَا شَانَهُ ذَلِكَ وَلَا عَابَهُ، وَلَهُ نَظْمٌ يَنْخَرِطُ فِي سِلْكِ
الْإِنْطِبَاعِ، وَيُخْبِرُ بِطُولِ الْبَاعِ⁴

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ هُذَيْلِ التَّجِيبِيِّ⁵

دُرَّةً بَيْنَ النَّاسِ مُغْفَلَةً، وَخِزَانَةً عَلَى كُلِّ فَائِدَةٍ مُقْفَلَةً، وَهَدِيَّةً مِنَ الدَّهْرِ الضَّئِينِ لِبَنِيهِ مُحْتَفَلَةً.
أَبْرَعُ مَنْ رَتَّبَ التَّعَالِيمَ وَعَلَّمَهَا، وَرَكَّضَ فِي الْأَلْوَاكِ قَلَمَهَا، وَأَثَقَنُ مَنْ صَوَّرَ الْهَيْئَةَ وَمَثَّلَهَا، وَأَسَّسَ
قَوَاعِدَ الْبَرَاهِينِ وَأَنَّلَهَا، وَأَعْرَفَ مَنْ زَاوَلَ شِكَايَةَ، وَدَفَعَ عَنْ جَسَدٍ نِكَايَةَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُشَارَكَةِ

-ع: ساقط¹

-ع: ساقط²

-ع: ساقط³

-ع: ساقط⁴

- "من أشياخ لسان الدين رحمه الله الشيخ الحكيم الشاعر البليغ أعجوبة زمانه في الاطلاع على علوم الأوائل" نفح الطيب،
المقري، 487/5⁵

فِي الْعُلُومِ، وَالْوُصُولِ مِنَ الْمَجْهُولِ إِلَى الْمَعْلُومِ، وَالْمُحَاضَرَةِ الْمُسْتَقَرَّةَ لِلْحُلُومِ، وَالِدُعَابَةِ الَّتِي مَا خَالَعَ الْعِدَارَ فِيهَا بِالْمَلُومِ.

فَمَا شِئْتَ مِنْ نَفْسٍ عَذْبَةِ الشَّيْمِ، وَأَخْلَاقٍ كَالزَّهْرِ مِنْ بَعْدِ الدَّيْمِ، وَمُحَاضَرَةٍ تُتَحَفُّ الْمَجَالِسَ وَالْمُحَاضِرَ، وَمُذَاكَرَةٍ تَرُوقُ النَّوَاطِرَ زَهْرَهَا النَّاصِرَ، وَلَهُ أَدَبٌ ذَهَبَ فِي الْإِجَادَةِ كُلِّ مَذْهَبٍ، وَارْتَدَى مِنَ الْبَلَاغَةِ بِكُلِّ رِدَاءٍ مُذْهَبٍ، وَمَعَانٍ تُرَاوِدُهَا الْخَوَاطِرُ فَتَصُدُّ، وَتُحْيِيهَا النَّفُوسُ فَلَا تَرُدُّ، وَالْأَدَبُ نُقْطَةٌ مِنْ حَوْضِهِ، وَزَهْرَةٌ مِنْ أَزْهَارِ رَوْضِهِ. وَسَيَمُرُّ فِي هَذَا الدِّيْوَانِ مَا يُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَيُحَاسِنُ بَوَاقِيهِ وَرَائِقُ بِهِائِهِ الْفِرْنَدُ¹ الْمَصْفُولُ²

لَوْ مِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عَبَّادٍ³ مِنْ أَهْلِ رَنْدِه

صُوفِيٍّ مُحَقِّقٍ، وَمُرِيدٍ عَنْ صَبُوحِ الْمَحَبَّةِ مُرْفِقٍ. كَانَ بِبَلَدِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عَيْنًا مِنْ أَعْيَانِهَا، وَقَرِيعَ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتَاتِ إِحْسَانِهَا، شَامَ لِلْغَرْبِ بَارِقًا، فَأَصْبَحَ لِدُنْيَاهُ مُفَارِقًا، فَنَزَحَ عَنْ بِلَادِهِ، وَخَرَجَ عَنْ طَرِيفِهِ وَتِلَادِهِ، وَشَمَّرَ لِمُقَارَعَةِ الْهَوَى وَجِلَادِهِ، وَخَاضَ بَحْرَ تِلْكَ الْأَهْوَالِ حَتَّى صَارَ مَعْدُودًا فِي أَهْلِ الْأَحْوَالِ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ سِمَاتُ الْحَضَرَةِ، وَسَطَعَتْ لَهُ أَنْوَارُ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ⁴، وَلَمْ يَزَلْ يُعْبَرُ عَنْ وَجْدِهِ، وَيُكْنَى بِحَاجِرِهِ وَنَجْدِهِ، حَتَّى حُفِظَتْ أَقْوَالُهُ، وَاشْتُهِرَتْ أَحْوَالُهُ⁵

- "السيف بفرنده وإفرنده" أساس البلاغة / فرند 21/2¹

-ع: ساقط²

- ابن عباد (431-488هـ / 1040-1095م) محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل اللخمي، أبو القاسم المعتمد على الله صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما. ولي إشبيلية بعد وفاة أبيه سنة 461هـ، وامتلك قرطبة وكثيرا من المملكة الأندلسية، وكا فصيحا شاعرا وكاتبا مسترسلا. وهو آخر ملوك الدولة العبادية "نفع الطيب: 2 / 1119³

-ع: ساقط⁴

-ع: ساقط⁵

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ هَانِيٍّ¹ مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ

شَاعِرٌ يَنْحَتُ مِنْ طَوْدٍ، وَمَاطِرٌ صَابَ مِنَ الْكَلَامِ بِجَوْدٍ. عَدَلَ عَنِ اللَّفْظِ الْقَرِيبِ إِلَى الْحُوشِيِّ
الْغَرِيبِ، فَإِذَا أَجْهَدَ طَبْعُهُ، وَوَصَفَ حَيَّهٗ وَرَبْعَهُ، وَكَيْفَ ظَعَنَ الْقُطَّانُ، وَتَغَيَّرَتِ الْأَوْطَانُ؛ قُلْتَ
حِجَازِيًّا فَصِيحاً أَوْ تَمِيمِيًّا شَقَّ لِلْبَيَانِ رِيحاً، أَوْ نَجْدِيًّا شَكَا بَنَاءً وَتَبْرِيحاً.

نَشَأَ بِلَدِهِ غَرْنَاطَةَ، مَطْلَعِ نُورِ حَسْبِهِ الْبَاهِرِ، وَرَوْضَةِ بَيْتِهِ الْأَنْبِقِ الْأَزَاهِرِ، فَشَاقَ حَلْبَةَ
الطَّلَبِ، وَفَارَ بِالْغَلَبِ، وَاجْتَهَدَ وَعَكَفَ، وَاسْتَمْطَرَ وَابِلَ الْعِلْمِ لَمَّا وَكَفَ، حَتَّى جَلَّى مِنَ الْمُشْكِلَاتِ
كُلِّ حَالِكٍ، وَاسْتَظْهَرَ مُوطَأَ مَالِكٍ. ثُمَّ رَمَى السَّفَارَ بِعِزْمَتِهِ، وَخَاضَ الْقِفَارَ بِجَرْفِهِ وَجَزْمَتِهِ²، وَاسْتَقَرَّ
بَعْدَ اعْتِسَافِ الْمَجَاهِلِ، وَمُزَاحِمَةِ الْمَنَاهِلِ، وَخَوْضِ الْعَرَارِ³، وَالْبَشَامِ⁴ بِحُمَاةِ الشَّامِ، وَاتَّخَذَهَا دَاراً،
وَارْتَضَاهَا لِفَضْلِهِ مَدَاراً⁵]

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النَّمْرِيِّ الْكَفِيفِ مِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ

صَادِقُ اللَّهْجَةِ، سَلَكَ سَبِيلَ الْفَضْلِ، وَأَنْتَهَجَ نَهْجَهُ، أَذْهَنُ مَنْ رَاوَدَ الْمُشْكِلَاتِ وَافْتَرَعَهَا،
وَصَادَمَ الْعَوَامِضَ فَصَرَعَهَا، وَلَهُ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ [قَدَمٌ رَاسِخَةٌ]⁶ وَفِي أَحْكَامِ الْمَعَانِي آيَةٌ نَاسِخَةٌ،
وَكَانَ مُقَرَّئاً⁷ عَصْرِهِ، وَوَارِثَ عِلْمِهِ الَّذِي يُعْجَزُ عَنْ حَصْرِهِ، وَلَهُ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ ذَوْقٌ، وَإِلَى تِلْكَ

- ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة، وابن كثير في البداية، ولي قضاء المالكية بحماة، وكان نحوياً يحفظ كثيراً من الشواهد،
توفي سنة 771، بغية الوعاة: 199، الإحاطة: 780 / 3¹

- م: "حزمته" وهو تصحيف.²

- م: "المرار"³

- "وتقول ما أهل الشام إلا كشجر البشام: دهنه من أطيب الأفواه وعوده مطيبة الأفواه" أساس البلاغة / بشم، 1 / 62⁴

- ع: ساقط⁵

- أ: ساقط، والمثبت من ع⁶

- م: "معري" وهو تحريف.⁷

الْفُنُونِ شَوْقٌ، نَسَبَتْهُ لِسَبَبِهِ الْأَلْسُنُ، وَاسْتَقْبَحَ مِنْهُ مَا يَحْسُنُ. وَنَظَّمَهُ دُونَ قَدْرِهِ، وَمَعَانِيهِ تَكَثَّرَ عَنْ
نَفَقَاتِ صَدْرِهِ¹

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبِ الْحَاجِّ الرَّحَالِ أَبِي إِسْحَقَ السَّاحِلِيِّ² رَحِمَهُ اللَّهُ

جَوَابُ الْأَفَاقِ، وَمُحَالِفُ الرَّفَاقِ، وَمُنْفِقُ سِعْرِ الشَّعْرِ كُلِّ النَّفَاقِ³. رَفَعَ بِبَلَدِهِ رَايَةً لِلْأَدَبِ لَا
تَحْجُمُ، وَأَصْبَحَ نَسِيحَ وَحْدِهِ فِيمَا يُسْدَى وَيُلْجَمُ⁴، فَإِنْ نَسَبَ، جَزَى كُلَّ قَلْبٍ بِمَا كَسَبَ، وَإِنْ مَدَحَ
وَقَدَحَ، مِنْ أَنْوَارِ فِتْنَتِهِ مَا قَدَحَ، حَرَكَ الْجَامِدَ، وَنَظَّمَ نَظْمَ الْجُمَانِ الْمَحَامِدَ. وَإِنْ أَبْنَى أَوْ رَثَى، غَيَّرَ
فِي وُجُوهِ السَّوَابِقِ وَحَنًا.

وَلَمَّا أَتَى الْكَسَادُ سُوقَهُ، وَضِيَاعَ حُقُوقِهِ، أَخَذَ بِالْعَزْمِ، وَأَدْخَلَ عَلَى تَعَلَّاتِهِ عَامِلَ الْجَزْمِ، وَلَمْ
يَزَلْ يَسْقُطُ عَلَى الدُّوَلِ سُقُوطَ الْغَيْثِ، وَيَخْتَلُّ كِنَاسَ الظُّبْيِ وَغَابَ اللَّيْثُ، وَيُرْكَضُ النَّجَائِبُ، وَيَتَّبِعُ
الْعَجَائِبَ، حَتَّى اسْتَنْصَافَ بِمَصْرَ الْكِرَامِ، وَشَاهَدَ الْبَرَابِي⁵ وَالْأَهْرَامَ، وَرَمَى بِعِزْمَتِهِ الشَّامَ، فَاحْتَلَّ
تُغُورَهَا الْمَحُوطَةَ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ⁶ وَتَقَيَّا الْغُوطَةَ⁷. ثُمَّ عَاجَلَهَا بِالْفِرَاقِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَحَيَّى
بِالسَّلَامِ، مَدِينَةَ السَّلَامِ، وَأُورِدَ بِالرَّافِدَيْنِ رَوَاحِلَهُ، وَرَأَى الْيَمْنَ وَسَوَاحِلَهُ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ عَنِ
الْمَجَازِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى مَثَابَةِ الْحِجَازِ، فَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ وَالْحَجَرَ، وَزَارَ التُّرْبَ الْكَرِيمَ لَمَّا صَدَرَ، وَتَعَرَّفَ

- ع: ساقط¹

- محمد بن محمد ابن عبد الرحمان بن إبراهيم الأنصاري الساحلي (678-754هـ)؛ يكنى أبا عبد الله: ذ، ولي الخطابة بالمسجد
الأعظم بعد أبيه. من كتبه "كتاب التجر الربيع في شرح لجامع الصحيح" و "كتاب بهجة الأنوار" الإحاطة: 888/3²

- "نَفَقَاتُ نَفَقَاتِهِمْ وَنَفَقَاتِهِمْ" أساس البلاغة، نفق، 295/2³
-م: "يلحم" وهو تصحيف.⁴

-ع: ساقط⁵

-ع: ساقط⁶

-ع: ساقط⁷

بِمَجْمَعِ الْوُفُودِ مَلِكِ السُّودِ¹، فَعَمَرَهُ بِإِرْفَادِهِ، وَاسْتَصْحَبَهُ إِلَى بِلَادِهِ، وَاسْتَقَرَّ بِأَوَّلِ أَقَالِيمِ الْأَرْضِ، وَأَفْصَى مَا يُعَمَّرُ مِنْ هَذَا الْعَرْضِ، فَحَلَّ بِهَا مَحَلَّ الْخَمْرِ فِي الْقَارِ، وَالنُّورِ فِي سَوَادِ الْأَبْصَارِ، وَتَقَيَّدَ بِالْإِحْسَانِ، وَإِنْ كَانَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ. وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ شِعْرِهِ مَا يَشْهَدُ بِجَلَالَةِ آدَابِهِ، وَتَعَلَّقَ الْإِحْسَانُ بِأَهْدَابِهِ²

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْقَائِدِ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ خَيْرٍ

قَائِدٌ مَلِيحُ الشَّيْبَةِ، مُمْتَزَجُ الْمُبَاسِطَةِ بِالْهَيْبَةِ، يَجْمَعُ بَيْنَ الدُّعَابَةِ وَالْوَقَارِ، وَيُدِيرُ³ مِنَ الْفُكَاهَةِ كُؤُوساً تُزْرِي بِكُؤُوسِ الْعُقَارِ، وَلَهُ أَصَالَةٌ قَامَتْ عَلَى الْعِلْمِ أَرْكَانُهَا، وَاشْتَهَرَ بِحِمَصٍ -أَعَادَهَا اللَّهُ- مَكَانُهَا، وَوَسَائِلُ إِلَى السَّلَفِ الْكَرِيمِ عَظُمَ دِمَامُهَا، وَتَبَيَّنَتْ أَحْكَامُهَا، وَحُظُوَّةُ ظَفَرٍ مِنْهَا بِالْأَمَلِ، وَارْتَضَعَ أَخْلَافَهَا بَيْنَ الْقِيَادَةِ وَالْعَمَلِ.

تَتَأَوَّلَ خُطَّةَ الْمَدِينَةِ فَأَجْرَاهَا، وَرَاشَ نَبْلَ الْأَحْكَامِ وَبَرَاهَا، وَبَشَّرَ أَبْشَارَ أُولِي الْفَسَادِ⁴ وَقَرَاهَا، وَفَرَّقَ حَتَّى بَيْنَ الْجُفُونِ وَكَرَاهَا، فَكَمَ عَاشِقٌ انْتَجَرَ⁵ لِلْوَصْلِ مِيعَاداً، وَارْتَقَبَ لِلْسَّعْدِ إِسْعَاداً، وَظَفَرَ بِمُثِيرِ غَرَامِهِ، وَمَوْقِدِ ضِرَامِهِ فِي مَجْلِسٍ تَجَلَّتْ فِيهِ عَرُوسُ الْكَأْسِ، عَنْ فُرْشِ الْوَرْدِ وَالْأَسِ، وَعِنْدَ سُجُودِ الْإِبْرِيْقِ، وَمَزَجِ الْمُدَامَةِ بِالرِّيقِ، وَثَبَّ ابْنُ خَيْرٍ⁶ هَذَا وَثُوبَ اللَّيْثِ، وَسَقَطَ عَلَيْهِ سُفُوطُ الْغَيْثِ، فَرَاعَ غَزَالَ ذَلِكَ الْكِنَاسِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ رُوحِ الْمُدَامِ وَجِسْمِ الْكَأْسِ، حَتَّى ذَعَرَتِ الْقُلُوبُ لِسَطَوَاتِهِ،

-ع: ساقط¹

-ع: ساقط²

-م: "يدبر" وهو تصحيف.³

-أق، ع: "القياد" والمثبت من م.⁴

- "من نجز الوعد نجزاً تعجل" المصباح المنير/ نجز، ص: 226⁵

-ع: ساقط⁶

وَتَشَوَّفَتِ الْآذَانُ إِلَى إِحْسَاسِ خُطْوَتِهِ. كُلُّ ذَلِكَ بَعْدَ مِيزَانٍ قَائِمٍ، وَجَزَالَةٍ لَا يُثْنِيهَا فِي الْحَقِّ لَائِمٌ،
وَبَسَالَةٍ تَشْهَدُ الْمَوَاقِعُ بِمَضَائِهَا، وَتُنْتِنِي عَلَيْهِ السُّيُوفُ عِنْدَ انْتِضَائِهَا.

وَاصْطَنَعَهُ هَذَا الْمَقَامُ الْيُوسُفِيُّ، -أَعْلَاهُ اللَّهُ- فَارْتَضَاهُ لِلْأَمَانَةِ الْعُظْمَى، وَقَلَّدَهُ حِفْظَ أَبْوَابِ
مَعْقِلِهِ الْأَسْمَى، فَأَعْطَى الْقَوْسَ بَارِيًّا، وَقَلَّدَ الْخُطَّةَ حُسَامًا فَارِيًّا¹، وَهُوَ لَطِيفُ الْمَحَلِّ لَدَيْهِ، وَحَظِيٌّ
بَيْنَ يَدَيْهِ، يَسْتَظَرُّ نَادِرَتَهُ الْعَذْبَةَ، وَيُبْدِي لَهُ الْقَبُولَ وَالْمَحَبَّةَ. وَلَهُ أَدَبٌ عَذْبُ الْجَانِبِ، سَهْلُ
الْمَدَانِبِ، لَا زَالَ يَنْفُتُ بِضَرْيِهِ²، وَيَسْتَفِزُّ عِنْدَ نَظْمِهِ عَوَائِدَ طَرَبِهِ³

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ غَفْرُونَ مِنَ الْجُنْدِ]

نَبِيرٌ مَا طَلَعَ حَتَّى أَقْلَ، وَمَاجِدٌ فِي حُلِّ الْفَضْلِ رَقْلَ، أَلْفُ النَّاسِ فِي مُعَاشَرَةِ الْأَكْفَاءِ،
وَتَأْنِي السَّمْوَالِ ابْنِ عَادِيَاءَ فِي الْوَفَاءِ، إِلَى حِلْمٍ لَا يَضِيقُ لَهُ صَدْرٌ، وَعَهْدٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ لِحْمَاهُ
نَكْتُ وَلَا غَدْرٌ، وَنَفْسٌ عَظِيمَةُ النَّفَاسَةِ، وَأَخْلَاقٌ مُوَلَعَةٌ بِذِكْرِ الْحَمَاسَةِ.

تَوَجَّهَ مَعَ الْحِصَّةِ إِلَى حِرَاسَةِ ثَغْرِ بَبْرَةٍ⁴، وَقَدْ اشْتَغَلَتْ نِيرَانُهُ، وَكَلَّفَ جِيرَانُهُ، وَكَانَتْ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ جَوْلَةً فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ، مَيَّزَ اللَّهُ بِهَا الْخَالِصَ مِنَ الزَّائِفِ، وَلَمْ يَرْضَ صَاحِبُنَا -رَحِمَهُ
اللَّهُ- عَارَ الْفِرَارِ أَمَامَ الْكُفَّارِ، وَلَمْ يَزَلْ يُقَدِّمُ إِقْدَامَ الْعُضْنَفَرِ، وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفَرِ⁵، فَقَضَى

- م: "واريا"¹

- الضَّرَبُ: العسل الأبيض الغليظ، القطعة منه: ضَرْبَةٌ.²

- ع: ساقط³

- ع: ساقط⁴

- "المغفر بالكسر ما يلبس تحت البيضة" المصباح المنير / غفر، ص 171⁵

سَعِيداً مَقْدَاماً، وَشَرِبَ لِلْحِمَامِ كَأْساً كَانَتْ لَهَا السَّعَادَةُ مُدَاماً، وَلَمْ أَظْفَرْ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا بِنَزْرِ، وَلَا حَصَلْتُ مِنْ مَدِّهِ إِلَّا عَلَى جَزْرِ¹

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ الرَّوِّيِّ مِنْ أَهْلِ بَلَش]²

نَاطِمُ الْفَقْرِ الشَّارِدَةِ، وَمُقْتَنِصُ الْمَعَانِي الصَّادِرَةِ وَالْوَارِدَةِ، وَصَاحِبُ قَرِيحَةٍ مُلْتَهَبَةِ الْوُقُودِ، وَبَدِيهَةٌ مُنْتَظِمَةُ الْعُقُودِ، إِلَى بَيْتٍ تَعَلَّقَ³ إِلَى مَجْدٍ، وَأَصَالَةٍ أَطْيَبَ مِنْ عِرَارٍ نَجْدٍ.

نَشَأَ بِلَدِهِ بَلَشَ⁴ قَرَارَةَ مِيلَادِهِ، مُقْتَصِراً عَلَى انْتِجَاعِ تِلَادِهِ، صَانَ بِذَلِكَ وَجْهَهُ عَنْ إِرَاقَةِ مَائِهِ، وَهَنَكَ حِجَابَ حَيَاتِهِ. وَلَمْ أَظْفَرْ مِنْ شِعْرِهِ عَلَى اسْتِزْسَالِهِ، وَتَدَفَّقَ سَلْسَالِهِ إِلَّا بِقَوْلِهِ يُهَيِّئُ السُّلْطَانَ بِأَحَدِ أَوْلَادِهِ⁵

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْدَرِيِّ الْمَالِقِيِّ⁶

أَدِيبٌ نَارُ ذَكَائِهِ يَتَوَقَّدُ، وَعَارِفٌ لَا يُعْتَرِضُ كَلَامُهُ وَلَا يَنْفُذُ⁷، وَأَمَّا الْهَزْلُ فَهُوَ طَرِيقَتُهُ الْمُثْلَى الَّتِي رَكَّضَ فِي مِيدَانِهَا وَجَلَّى، وَطَلَعَ فِي أَفْقِهَا وَتَجَلَّى فَأَصْبَحَ عِلْمٌ أَعْلَامِهَا، وَعَابَرَ أَحْلَامِهَا، فَإِنْ أَخَذَ بِهَا فِي وَصْفِ الْكَأْسِ، وَذَكَرَ الْوَرْدِ وَالْآسِ، وَالْمَ بِالرَّبِّيعِ وَفَصْلِهِ، وَالْحَبِيبِ وَوَصْلِهِ، وَالرَّوْضِ وَطَيْبِهِ، وَالْغَمَامِ وَتَقْطِيبِهِ، شَقَّ الْجُيُوبَ طَرَباً، وَعَلَّ النَّفُوسَ إِرْباً وَضَرْباً. وَإِنْ أَشْفَقَ لِاعْتِلَالِ الْعَشِيَّةِ

-ع: ساقط¹

-ع: ساقط²

- م: "ينتمي" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي له علاقة وطيدة بالمجد لا مجرد الانتماء.³

-ع: ساقط⁴

-ع: ساقط⁵

- أبو عبد الله العبدري (643 هـ-725 هـ) "هو العلامة الأديب المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن مسعود العبدري الحاحي، المعروف بأبي البركات. من أبرز آثاره رحلته الحافلة بالفوائد العلمية الغزيرة، وله أيضاً فهرسة مفقودة" جذوة الاقتباس: 1/ 288-286⁶

-م: "ينقد" وهو تحريف.⁷

فِي فُرْشِ الرَّبِيعِ الْمُوشِيَّةِ، ثُمَّ تَعَدَّاهَا إِلَى وَصْفِ الصَّبُوحِ، وَأَجْهَرَ عَلَى الْبَرْقِ¹ الْمَجْرُوحِ، وَأَشَارَ إِلَى نَعَمَاتِ الْوُزْقِ يَرْفُلْنَ فِي الْحُلْلِ الزُّرْقِ، وَقَدْ اسْتَعَاثَ² فِي عَنَبِ اللَّيْلِ نَارَ الْبَرْقِ، وَطَلَعَتْ بُنُودُ الصَّبَاحِ فِي شُرَفَاتِ الشَّرْقِ، سَلَبَ الْحَلِيمِ وَقَارَهُ، وَذَكَرَ الْخَلِيعَ كَأْسَهُ وَعُقَارَهُ، وَحَرَّكَ الْأَشْوَاقَ بَعْدَ سُكُونِهَا، وَأَخْرَجَهَا مِنْ وَكُونِهَا، بِلِسَانٍ يَتَزَاوَمُ عَلَى مَوْرِدِ الْخِيَالِ، وَيَتَدَفَّقُ مِنْ حَافَاتِهِ الْأَدَبُ السِّيَالُ، وَبَيَانٍ يُقِيمُ أَوْدَ الْمَعَانِي، وَيُسَيِّدُ مَصَانِعَ اللَّفْظِ مُحْكَمَةَ الْمَبَانِي، وَيَكْسُو حُلَّ الْإِحْسَانِ حُسُومَ³ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي، إِلَى بَادِرَةٍ⁴ لِمِثْلِهَا يُشَارُ، وَمَحَاضِرَةٍ يُجْتَنَى بِهَا الشَّهْدُ وَيُشَارُ.

وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ شِعْرِهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يَتَعَاطَاهُ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا يُجَاوِرُهُ إِلَّا تَغْلِيلًا، أَبْيَاتًا لَا تَخْلُو مِنْ مُسْحَةِ جَمَالٍ عَلَى صَفَحَاتِهَا، وَهَبَّةٍ طَيِّبٍ تَتِمُّ فِي نَفَحَاتِهَا⁵

لَوْ مِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّرِيفِ الْحَسَنِيِّ⁶

مَا شِئْتَ مِنْ قُدْرَةٍ وَأَيْدٍ، لَيْسَ مِنْ عَمْرٍو وَلَا زَيْدٍ، أَكْرَمُ مَنْ عَمَرَ الْبَلَاغَةَ مَجَالًا ، وَأَطْوَعُ مَنْ دَعَا أَبْيَاتَ الْمَعَانِي فَجَاءَتْ عُجَالًا، وَأَبْدَعُ مَنْ أَدَارَ أَكْوَاسَ الْبَيَانِ الْمُعْتَقِ، وَلَعِبَ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقِّقِ، رَوِيَّةً وَارْتِجَالًا، وَأَجَلُّ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ "وَحَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا"⁷

قَدِمَ عَلَى الْحَضْرَةِ هَذَا الْقَاضِي الشَّرِيفُ، وَقَدَفَ بِدُرَّتِهِ النَّفِيسَةِ لَهَا الرَّيْفُ، رَوْضَةً أَدَبٍ وَظَرْفٍ، لِمَا شِئْتَ مِنْ حُسْنٍ وَعُزْفٍ، يُدِيرُ مِنَ الْمُحَاضِرَةِ جَزِيالًا، وَيَسْحَبُ الْبَدَائِعَ الرَّوَائِعَ أَدْيَالًا، ذَا

- م: "الزق" ¹

- م: "اشتعلت" ²

- م: "جسوم" ³

- م: "نادرة" وكلاهما صحيح. ⁴

- ع: ساقط ⁵

- ع: ساقط ⁶

- البيت للفرزدق: وخير الشعر أكرمه رجالا وشعر الشعر ما قال العبيد. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، 1/ 322 ⁷

نَفْسٍ كَرِيمَةٍ، وَأَخْلَقَ كَالرَّوْضِ غِبَّ انْسِكَابٍ دِيمِهِ، وَقَعَدَ بِمَجْلِسِهَا¹ فَدَرَسَ وَحَلَّقَ، وَسَطَعَ نُورُهُ فِي أَفْقِهَا وَتَأَلَّقَ، وَاسْتَأَثَّرَتْ بِهِ الْكِتَابَةُ السُّلْطَانِيَّةُ لِأَوَّلِ وُرُودِهِ، وَسَحَبَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِحْسَانِ سَوَابِغَ بُرُودِهِ. وَتَوَشَّحَ بِخِلَالِهِ الْمُرْتَضَاةَ إِلَى قَضَاءِ الْقَضَاةِ.

وَهُوَ الْآنَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ وَإِمَامُهَا، وَقِيَمُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ زِمَامُهَا، بَلَغَتْ بِهِ تِلْكَ الْمُنَاقِبَةُ² الْعَدْلِيَّةُ أَمَالَهَا، وَاسْتَأْنَفَتْ بَعْدَ الْكِبَرَةِ جَمَالَهَا، وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ³، فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ، وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا، وَأَلْقَتْ لَهُ الْخَطَابَةَ قِيَادَهَا، فَأَنْسَى قُسْطَهَا وَإِيَادَهَا، وَوَسَمَ بَعْدَ الْإِغْفَالِ بِسَمَةِ الْإِحْتِفَالِ جَمْعَهَا وَأَعْيَادَهَا. وَأَمَّا شِعْرُهُ فَيُنَاسِبُ الرِّضَى نَسِيبُهُ، فَخَرُهُ وَنَسِيبُهُ⁴

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّرِيفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ⁵

كَرِيمِ الْإِنْتِمَاءِ، مُسْتَظِلُّ بَاغِصَانِ الشَّجَرَةِ الشَّمَاءِ، الْمُؤَمِّدَةُ الْأَفْيَاءِ، الَّذِي أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ⁶، مِنْ رَجُلٍ سَلِيمِ الضَّمِيرِ، وَنَفْسٍ أَصْفَى مِنَ الْمَاءِ النَّمِيرِ، وَشَهَامَةٍ تُنْثِي عَلَيْهِ الرِّجَالُ إِذَا ضَاقَ الْمَجَالُ، وَتُقَوِّضِيَتِ الْأَجَالُ. وَلَهُ فِي الشَّعْرِ طَبْعٌ يَشْهَدُ بِعُرُوبِيَّةِ أُصُولِهِ، وَمَضَاءٍ نُصُولِهِ. وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ شِعْرِهِ مَا يَنْضَحُ فِي الْبَلَاغَةِ سَبِيلُهُ، وَيَشْهَدُ بِعِتْقِ الْجَوَادِ صَهِيلُهُ⁷

-م: "بمسجدها"¹

-م: "المتابعة"²

-سورة يوسف، الآية: الآية: 23³

-ع: ساقط⁴

-ع: ساقط⁵

- قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} سورة ابراهيم، الآية: 24⁶

-ع: ساقط⁷

[وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ الرَّئِيسِ أَبِي زَكْرِيَاءَ الْعِزْفِيِّ¹

فَرَعٌ تَأَوَّدَ مِنَ الرَّئَاسَةِ فِي دَوْحَةٍ، وَتَرَدَّدَ مَا بَيْنَ غُدْوَةٍ [فِي الْمَجْدِ]² وَرَوْحَةٍ، نَشَأَ وَالرَّئَاسَةُ الْعِزْفِيَّةُ تُعْلَهُ وَتُنْهَلُهُ، وَالذَّهْرُ يُسَهِّلُ أَمْرَهُ الْأَقْصَى وَيُسَهِّلُهُ، حَتَّى اتَّسَقَتْ أَسْبَابُ سَعْدِهِ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ سَلَفِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَلْقَتْ إِلَيْهِ رِحَالَهَا وَحَطَّتْ، وَمَتَّعَتْهُ بِقُرْبِهَا بَعْدَمَا شَحَطَتْ وَشَطَّتْ، ثُمَّ كَلَحَ لَهُ الذَّهْرُ بَعْدَمَا تَبَسَّمَ، وَعَادَ زَعْرَعًا نَسِيمُهُ الَّذِي كَانَ تَنَسَّمَ، وَعَاقَ هِلَالُهُ عَنْ تَمِّهِ، مَا كَانَ مِنْ تَغْلِبِ ابْنِ عَمِّهِ، وَاسْتَقَرَّ بِهِذِهِ الْبِلَادِ نَارِجَ الدَّارِ، بِحُكْمِ الْأَقْدَارِ، وَإِنْ كَانَ نَبِيَهُ الْمَكَانَةِ وَالْمِقْدَارِ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ جِرَايَةٌ وَاسِعَةٌ، وَرِعَايَةٌ مُتَتَابِعَةٌ.

وَلَهُ أَدَبٌ كَالرَّوْضِ بَاكَرْتُهُ الْعَمَائِمُ، وَالزَّهْرُ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الْكَمَائِمُ، رَفَعَ مِنْهُ رَايَةً خَافِقَةً، وَأَقَامَ لَهُ سُوقًا نَافِقَةً، وَعَلَى تَدْفُقِ أَنْهَارِهِ، وَكَثْرَةِ مَائِهِ وَاشْتِهَارِهِ، فَلَمْ أَظْفَرْ مِنْهُ إِلَّا بِالْيَسِيرِ النَّافِهِ بَعْدَ وَدَاعِهِ وَانْصِرَافِهِ³

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّيْخِ الْحَاجِبِ بَثُونَسَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَمْرِو

غَذَقَ⁴ نِعْمَةً هَامِيَةً، وَزَقَى رُبْنَةً سَامِيَةً. تَقَلَّدَ أَبُوهُ حِجَابَةَ الْخِلَافَةِ بِثُونَسَ، وَهِيَ مَا هِيَ مِنْ سُمُوِّ الْمَكَانِ، وَرِفْعَةِ الشَّانِ، فَصُرِفَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ يَخَافُهُ أَوْ يَرْجُوهُ. وَبَلَغَ ابْنُهُ هَذَا

- ع: ساقط¹
- أ: ساقط، والمثبت من م²
- ع: ساقط³
- م: "غدى"⁴

مُدَّةَ ذَلِكَ الشَّرَفِ الْغَايَةِ فِي التَّرَفِ. ثُمَّ قَلَبَ لَهُمُ الدَّهْرُ ظَهَرَ الْمَجْنِّ¹، وَاشْتَدَّ بِهِمُ الْخِمَارُ عِنْدَ فَرَاغِ
الْيَدَيْنِ، وَبَرَزَتْهُمُ الْأَيَّامُ بَرَزَتْهَا، وَاسْتَرْجَعَتْ عِرَّتَهَا.

وَلَحِقَ صَاحِبُنَا هَذَا بِالمَشْرِقِ، بَعْدَ خُطُوبِ مُبِيرَةٍ، وَشِدَّةٍ فِي الْبَحْرِ كَبِيرَةٍ، فَاِمْتَرَجَ بِسُكَّانِهِ
وَقَطَّانِهِ²، وَنَالَ مِنَ اللَّذَاتِ مَا لَمْ يَنْلُهُ فِي أَوْطَانِهِ، وَاکْتَسَبَ الشَّمَائِلَ الْغُرَّةَ الْعِدَابَ، فَكَانَ كَابِنِ
الْجَهَمِ، بُعِثَ إِلَى الرُّصَافَةِ لِيَرِقَّ³ فَذَابَ، ثُمَّ حَوَّمَ إِلَى وَطَنِهِ تَحْوِيمَ [الطَّائِرِ]⁴ وَالْمَ بِهِذِهِ الْبِلَادِ الْإِمَامَ
[الْخِيَالِ الزَّائِرِ]⁵، فَاعْتَمَمَتْ مِنْهُ صَفْقَةٌ وَدَّهِ لِحِينِ وَرُودِهِ، وَخَطَبَتْ مُوَالَاتُهُ عَلَى انْقِبَاضِهِ وَشُرُودِهِ،
فَحَصَلَتْ مِنْهُ عَلَى دُرَّةٍ تُفْتَنِّي، وَحَدِيقَةٍ طَيِّبَةِ الْجَنَى.

فَيَا لَهِ مِنْ سَاعَاتٍ بِالْأُنْسِ قَطَعْنَاهَا، وَلَذَاتٍ أَطَاعَتْنَا وَأَطَعْنَاهَا، مَا كَانَتْ إِلَّا كَأَحْلَامِ نَائِمٍ أَوْ
إِفَاقَةٍ هَائِمٍ، رَحَلْنَ وَمَا أَبْقَيْنَ إِلَّا الْأَسَى وَالنَّعْلَ بَعْسَى. وَالْفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هَذَا ذُو فَهْمٍ حَدِيدٍ،
وَقَصْدٍ سَدِيدٍ، وَبَاعٍ مِنَ الْأَدَبِ⁶ مَدِيدٍ. وَلَوْ تَفَرَّغَ لِلتَّحْصِيلِ بِمُقْتَضَى طَبْعِهِ الْأَصِيلِ لَعَلَّتْ قِدَاحُهُ،
وَكَانَ بَحْرًا لَا يُسَاجَلُ ضَحَضَاحُهُ⁷.

- المجن هو الثُّرس، ويقولون: "قلب له ظهر المجن" أي عاداه من بعد مودة. يضرب لمن كان صاحبه على مودة ورعاية ثم حال
عن العهد.¹

- "قُطَّانُ ج قَاطِن" المصباح المنير / قطن، ص: 194²

- م: "البرى"³

- أ: بياض، والمثبت من ع، م⁴

- أ: بياض، والمثبت من ع، م⁵

- ع: "الأرب"⁶

- "غنم ضحضاح وإبل ضحضاح كثيرة" لسان العرب/ ضحح: 19/9⁷

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَاجِبِ بِتُونُسَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّابِ¹

جَوَادٌ لَا يُتَعَاطَى طَلْقُهُ، وَلَا يُمَاتَلُ بِالْفَجْرِ² فَلَقَهُ. كَانَتْ لِأَبِيهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- مِنَ الدُّوَلِ التُّونُسِيَّةِ
مَنْزِلَةٌ لَطِيفَةٌ الْمَحَلِّ، وَمُفَاوِضَةٌ فِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ، وَلَمْ تَزَلْ تَسْمُو بِهِ قَدَمُ النَّجَابَةِ مِنَ الْعَمَلِ إِلَى
الْحِجَابَةِ.

وَنَشَأَ ابْنُهُ هَذَا مُفْدًى بِالْأَنْفُسِ وَالْعُيُونِ، مَقْضِي الدُّيُونِ، حَالًّا مِنَ الضَّمَائِرِ مَحَلَّ الظُّنُونِ.
وَالدَّهْرُ ذُو أَلْوَانٍ، وَمَازِقُ حَرْبٍ عَوَانٍ، وَالْأَيَّامُ كُرَاتٌ تُنَلَقَّفُ، وَأَحْوَالٌ لَا تَتَوَقَّفُ، فَأَلْوَى بِهِمْ [الدَّهْرُ]³
وَأَنْحَى، [وَأَغَامَ جَوْهَ⁴ تَعَقُّبُ مَا أَضْحَى] وَشَمِلَهُمُ الْإِعْتِقَالُ، وَتَعَاوَرَتْهُمْ الثُّوبُ الثَّقَالُ. وَاسْتَقَرَّتْ بِأُخْرَةٍ
بِالْمَشْرِقِ رِكَابُهُ، وَحَطَّتْ بِهِ أَقْتَابُهُ، فَحَجَّ وَاعْتَمَرَ، وَاسْتَوَظَنَ تِلْكَ الْمَعَاهِدَ وَعَمَرَ، وَعَكَفَ عَلَى كِتَابِ
اللَّهِ، فَجَوَّدَ الْحُرُوفَ، [وَقَرَأَ الْخَلْفَ الْمَعْرُوفَ]⁵ وَقَيَّدَ وَأَسْنَدَ، وَتَكَرَّرَ إِلَى دُورِ الْحَدِيثِ وَتَرَدَّدَ، وَقَدِمَ
عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ قُدُومَ النَّسِيمِ الْبَلِيلِ عَلَى كَبِدِ الْعَلِيلِ.

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهَا قَرَارُهُ، وَاشْتَمَلَ بِجَفْنِهَا غِرَارُهُ، بَادَرَتْ إِلَى مُوَانَسَتِهِ، وَثَابَرَتْ عَلَى مُجَالَسَتِهِ،
فَاجْتَلَيْتُ لِلْسُرُورِ شَخْصًا، وَطَالَعْتُ دِيوَانَ الْوَفَا مُسْتَقْصَى⁶، وَعَلِمْتُ مَعْنَى الْكَلَامِ تَأْوِيلًا وَنَصًّا.
فَحَيَّا اللَّهُ زَمَنَ افْتِرَابِهِ، فَلَقَدْ جَادَ، وَأَجَادَ وَأَفَادَ، مَا لَا أَخَافُ عَلَيْهِ النِّفَادَ. وَأَمَّا شِعْرُهُ فَلَيْسَ بِحَائِدٍ عَنِ
الْإِحْسَانِ، وَلَا غَفْلٍ عَنِ غُرْرِ الْبَيَانِ.

- ع، م: "العشاب" ¹

- ع: "بالفخر" ²

- ع: ساقط ³

- م: "وله غمام جوه" ⁴

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م ⁵

- هو ديوان العارف بالله تعالى قطب العارفين الشيخ الإمام علي وفا ابن سيدي محمد وفا. ⁶

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ صَاحِبِ الْقَلَمِ الْأَعْلَى بِالْمَغْرِبِ

أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُهِمَنِ الْحَضْرَمِيِّ¹

الْفَذُّ الَّذِي يُعَدُّ بِالْأُلُوفِ، وَالْبَطْلُ الْمُعَلَّمُ عِنْدَ مُنَاجَزَةِ الصُّفُوفِ، وَالْمُتَقَدِّمُ بِدَاتِهِ تَقَدُّمَ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْحُرُوفِ. نَشَأَ بِسَبْتَةِ -حَرَسَهَا اللَّهُ- بَيْنَ عِلْمٍ يُفِيدُهُ، [وَمَجْدٍ يُشِيدُهُ]² وَطَهَارَةٍ يَسْحَبُ مَطَارِفَهَا، وَرِئَاسَةٍ يَتَقَيَّأُ وَارِفَهَا، وَأَبُوهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- قُطْبُ مَدَارِهَا، وَمَقَامُ حَجَّهَا وَاعْتِمَارِهَا، فَسَلَكَ الْحُزُونَ مِنْ الْمَعَارِفِ وَالسُّهُولِ، وَبَدَّ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ الْكُهُولِ.

وَلَمَّا تَحَلَّى مِنَ الْفَوَائِدِ الْعِلْمِيَّةِ بِمَا تَحَلَّى، وَبَرَزَ فِي مِيدَانِ الْمَعَارِفِ وَجَلَّى، وَاشْتَهَرَ اشْتِهَارَ الصَّبَاحِ إِذَا تَجَلَّى. تَنَافَسَتْ³ بِهِ هِمَمُ الْمُلُوكِ الْأَخَايِرِ، وَاسْتَأَثَّرَتْ بِهِ الدُّوَلُ عَلَى عَادَتِهَا فِي الْاسْتِثْنَاءِ بِالذَّخَائِرِ، فَاسْتَقَلَّتْ بِسِيَاسَتِهَا ذِرَاعُهُ، وَأَخَذَ⁴ السُّيُوفَ وَالزُّوَابِلَ⁵ يِرَاعُهُ. وَهُوَ الْآنَ عَيْنُهَا الَّذِي بِهِ يُبْصِرُ، وَلِسَانُهَا الَّذِي بِهِ تُسْهَبُ وَتُخْتَصِرُ.

وَقَدْ تَقَدَّمَتْ لَهُ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ الْوَفَادَةُ، وَجَلَتْ بِهِ لَدَيْهَا الْإِفَادَةُ، وَكَتَبَ عَنْ بَعْضِ مُلُوكِهَا، وَانْتَضَمَ فِي سُمُوطِهَا الرَّفِيعَةِ وَسُلُوكِهَا. وَلَهُ فِي الْأَدَبِ الرَّايَةُ الْخَافِقَةُ، وَالْعُقُودُ الْمُتَنَاسِقَةُ، فَمَا شَبَّتَ مِنْ لَفْظٍ طَابَ عُرْفُهُ، وَمَعْنَى سَحَرِ الْأَلْبَابِ طَرْفُهُ. وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ كَلَامِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا تَنَمَّنَاهُ النُّحُورُ بِدَلِّ فَلَائِدِهَا، وَتَجَعَّلُهُ الْحُورُ تَمَائِمَ عَلَى وَلَائِدِهَا.

- محمد عبد المهيمن الحضرمي: "الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى. يكنى أبا محمد. وهو من أهل سبته، وأصل سلفه من الأندلس. من بيت القضاة والعلماء والأمرأء." أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، 1/ 223-226¹
- أ: ساقط، والزيادة من ع، م²
- ع: "شافت"³
- ع: "أخذ"⁴
- م: "الذوابل"⁵

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَشِيدٍ

بَحْرُ مَعَارِفٍ لَا يُسْبَرُ غَوْزُهُ، وَرَوْضُ فُنُونٍ تَضَوَّعَ مَسْرَاهُ، وَأَيْنَعَ نَوْرُهُ، وَفَرِيدُ زَمَانِهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى بِمِثْلِ دُرِّهِ. نَشَأَ بِبَلَدِهِ سَبْتَةً -حَرَسَهَا اللَّهُ- أَصَوْنَ مِنَ الدَّرِّ فِي صَدَفِهِ، وَأَطْهَرَ¹ مِنَ الْمَاءِ الطَّهْوَرِ فِي نُطْفِهِ، لَا يُسْرَّحُ فِي غَيْرِ الْمُطَالَعَةِ طَرْفًا، وَلَا يَنْتَشِقُ لِعَیْرِ الْمَعَارِفِ عُرْفًا، حَتَّى سَمَا مِقْدَارُهُ، وَكَمَلَ فِي وَطَنِهِ إِبْدَارُهُ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ الْعُيُونُ، وَطَمَحَ إِلَى الرَّحْلَةِ وَالزَّمَانِ بِرَجَالِهِ² غَنِيًّا، وَبِكُلِّ فُطْرٍ رَوْضُ جَنِيٍّ، وَعَالَمٍ سَنِيٍّ.

فَرَحَلَ عَنْ بَلَدِهِ [رَحِيلَ الْغَمَامِ بَعْدَمَا أَمْطَرَ، وَأَفْشَعَ إِفْشَاعَ الرَّبِيعِ عَقَبَ مَا أَزْهَرَ. وَلَمْ يَزَلْ]³ يَطْلُعُ بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ، وَيَعْشُو⁴ إِلَى نَارِ كُلِّ فَائِدَةٍ سَنِيَّةٍ، وَكُلَّمَا مَرَّ بِفَائِدَةٍ فِي طَرِيقِهِ، صَرَفَ إِلَيْهَا أَعْنَةً فَرِيقِهِ، حَتَّى عَرَسَ بِالْمَثْوَى الْجَلِيلِ، وَاسْتَنْظَلَ بِالْجِدَارِ الَّذِي رَفَعَتْ قَوَاعِدُهُ أَكْفُ الْخَلِيلِ، وَنَقَعَ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ مُحْتَدِمٍ⁵ الْعَلِيلِ، وَسَنَحَ لَهُ بِالْيُمْنِ طَيْرُهُ، وَأَحْسَبَ رِحْلَتَهُ بِالْحَرَمِ الْأَمِينِ أَبُو الْيُمْنِ وَغَيْرُهُ. ثُمَّ صَرَفَ عَنَانَ أَمَلِهِ وَسُؤْلِهِ، إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ وَرَسُولِهِ، فَصَلَّى بَيْنَ رَوْضَتِهِ الطَّاهِرَةِ وَمِحْرَابِهِ، وَتَمَتَّعَ مَا شَاءَ مِنْ لَثَمِ جِدَارِهِ وَانْتِشَاقِ ثَرَابِهِ.

وَدَخَلَ الشَّامَ فِي مُنْصَرَفِهِ، مُسْتَكْرِئًا مِنْ عُيُونِ الْعِلْمِ وَطَرْفِهِ، وَآبَ إِلَى جِدِّهِ. وَقَدْ دَوَّنَ رِحْلَتَهُ الْعَظِيمَةَ الْإِمْتَاعَ، وَأَتَى مِنْهَا بِقَيْدِ النَّوَظِرِ وَالْأَسْمَاعِ، وَسَمَّاها "بِمَلِّ الْعَيْبَةِ فِيمَا قَبِدَ بِطُولِ الْغَيْبَةِ إِلَى مَكَّةَ وَطِيبَةَ" اسْمًا وَافِقَ مُسَمَّاؤُهَا، وَسَهَّمُ أَصَابَ مَزْمَاؤُهَا.

- ع: "أظهر" وهو تصحيف.¹

- ع، م: "برحاله" وهو تصحيف.²

- أ: بياض، والمثبت من ع، م.³

- "عشيت فلانا بالثقل وعشوته أطعمته العشاء" المصباح المنير/ عشي، ص: 156⁴

- م: "محترم"⁵

وَلَحِقَ بِالْأَنْدَلُسِ، فَتَهَلَّلَتْ لِقُدُومِهِ أَسْرَتُهَا، وَاخْتَلَفَتْ لِقَرَاهُ دِرَّتُهَا¹، وَأَخَذَ عَنْهُ صُدُورُهَا، وَاسْتَمَدَّتْ مِنْ شَمْسِهَا² بُدُورُهَا، وَفَعَمَ³ مَجَالِسُهَا الْعِلْمِيَّةَ طَبِيبًا، وَصَعِدَ مِنْبَرَ الْحَضْرَةِ خَطِيبًا، وَلَطَفَ مِنْ مُدِيرِ الدَّوْلَةِ النَّصْرِيَّةِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي الْحَكِيمِ مَحَلَّهُ، وَفَاءَ عَلَيْهِ ظِلُّهُ، لِمَوَدَّةٍ بَيْنَهُمَا عُقِدَتْ، وَرَسَائِلَ قَبْلَ الرِّئَاسَةِ نُفِدَتْ، فَإِنَّهُ كَانَ رَفِيقَ طَرِيقِهِ، وَمُسَاعِدَهُ عَلَى تَشْرِيقِهِ، فَانْتَفَعَ بِهِ لَدَيْهِ الْكَثِيرُ، وَأَنْجَحَ الْأَمَالَ مَحَلَّهُ الْأَثِيرُ.

وَلَمَّا مَحَقَّتِ النَّكْبَةُ نُورَهُ، وَقَصَرَتْ عَلَى الْعَفَاءِ قُصُورُهُ، ضَاقَ بِالْخَطِيبِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- الْعَطْنُ، وَنَبَا بَعْدَهُ الْوَطَنُ، فَارْتَحَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ رَفِيعَ الْمَكَانَةِ، صَدْرًا فِي أُولَى الْعِلْمِ وَالِدِيَانَةِ، حَتَّى انْصَرَمَ أَجَلُهُ، وَانْقَطَعَ مِنَ الْحَيَاةِ أَمْلُهُ، وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ يَتَكَفَّهُ، وَلَا يَكَادُ لِعَدَمِ شُعُورِهِ بِالْوُزْنِ يَتَأَلَّفُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَأَعْلَمُ أَهْلَ زَمَانِهِ بِالْبَدِيعِ وَالْقَابِهِ، وَالْكَلامِ عَلَى أَبْوَابِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي السَّبْتِيِّ⁴

عَلَّمَ تَشِيرُ إِلَيْهِ الْأَكْفُفُ، وَيَعْمَلُ إِلَى لِقَائِهِ الْحَافِرُ وَالْخُفُّ، عَمَرَ الرَّبْعَ بِبِلَادِهِ سَبْتَةً، وَقَدْ قُوِّضَتْ الرِّحَالُ، وَأَقَامَ رَسْمَ الْعِلْمِ، وَقَدْ حَالَتْ الْحَالُ، وَجَادَ بِالْوَابِلِ السَّجْمِ عِنْدَمَا عَظُمَ [الْإِمْحَالُ]⁵ وَرَفَعَ لِلْعَرَبِيَّةِ رَايَةً لَا تَتَأَخَّرُ، وَمَرَجَ مِنْهَا لُجَّةً تَزْخَرُ، فَاتَّسَعَ⁶ مَجَالُ دَرْسِهِ، وَأَنْثَرَتْ أَدْوَاخُ غَرْسِهِ [فَرَكَصَ

- "ويقال للسوق ديرة وغرار أي تفاق وكساد" أساس البلاغة / غرر، 1 / 698¹

- ع، م: "شمسه"²

- ع: "مقج" ولعل الصواب ما أثبت؛ "إناء مفعم ملآن" أساس البلاغة / فعم، 2 / 29³

- "محمد بن علي ابن هاني اللخمي السبتي؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جده؛ أصلهم من إشبيلية. كان إماما في علم العربية، حافظا للأقوال، قائما على القراءات. من كتبه "كتاب شرح التسهيل لابن مالك" و "الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة" توفي

بجبل الفتح والعدو يحاصره سنة 733هـ "الإحاطة: 3 / 779-799⁴

- أ: بياض، والمثبت من ع، م⁵

- ع: "انفسح"⁶

فِي تِلْكَ الْمَدَائِنِ¹ وَمَرَحَ، وَدَوَّنَ وَشَرَحَ، وَجَلَّى الْمُشْكِلَاتِ، وَدَاوَى الْمُعْضَلَاتِ، إِلَى شَمَائِلَ مَلَكٍ³
الطَّرْفُ زِمَامَهَا، وَنَادِرَةٍ رَاشَتْ الدُّعَابَةَ⁴ سِهَامَهَا.

وَلَمَّا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ فِي مُنَازَلَةِ الْجَبَلِ وَحَصَارِهِ، وَأَصَابُوا الْكُفْرَ مِنْهُ بِجَارِحَةِ أَبْصَارِهِ، وَرَمَوْا
بِالنَّكْلِ مِنْهُ نَارِحَ أُمُصَارِهِ، كَانَ فِيْمِنْ انْتِدَبَ وَتَطَوَّعَ، وَسَمِعَ النَّدَاءَ فَأَهْطَعَ⁵، فَلَازَمَهُ حَتَّى نَفَدَ لِأَهْلِهِ
الْقُوَّةَ، وَبَلَغَ مِنْ فَتْحِهِ الْأَجَلَ الْمَوْقُوتَ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ بِمِحْرَابِهِ وَحَيَّاهُ، وَقَدْ غَيَّرَ طَوْلَ مُحْيَاهُ طَوْلُ
اغْتِرَابِهِ، وَبَادَرَهُ الطَّاعِيَةُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقَرَّ نَصْلُ الْإِسْلَامِ فِي قِرَابِهِ، [أَوْ يَغْلِقَ أَصْلُ الدِّينِ فِي تُرَابِهِ
وَيَبْرَعَ، وَدَعَاهُ]⁶ أَجَلُهُ فَلَبَّى وَأَسْرَعَ.

وَلَمَّا هَدَرَ عَلَيْهِ الْفَنِيقُ، وَرَكَعَتْ إِلَى قِبْلَتِهِ الْمَجَانِيقُ، أُصِيبَ بِحَجَرٍ دَوَّمَ⁽⁷⁾ عَلَيْهِ كَالْجَارِحِ
الْمُحَلَّقِ، وَانْقَضَ عَلَيْهِ انْقِضَاضَ الْبَارِقِ الْمُتَأَلَّقِ، فَاقْتَنَصَهُ وَاخْتَطَفَهُ، وَعَمَدَ إِلَى زَهْرِهِ فَقَطَفَهُ،
فَمَضَى إِلَى اللَّهِ طَوْعَ نِيَّتِهِ، وَصَحْبَتُهُ غَرَابَةُ الْمُنَازِعِ حَتَّى فِي مَنِيَّتِهِ. وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ قَاعِدٌ عَنْ مَدَاهُ،
وَقَاصِرٌ فِي جَنْبِ الْعِلْمِ الَّذِي اشْتَمَلَهُ وَارْتَدَّاهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ ابْنِ تَدَارَاتٍ

دُرَّةٌ تَحْلَى بِهَا الدَّهْرُ الْعَاطِلُ، وَعُدَّةٌ أَنْجَزَهَا لِلزَّمَانِ الْمَاطِلِ، وَغُرَّةٌ أَطْلَعَهَا الْعَصْرُ الْبَهِيمُ، وَفَائِدَةٌ
أَنْجَبَهَا الدَّهْرُ الْعَقِيمُ. مَا شِئْتَ مِنْ خُلُقٍ تَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ مَخَابِلُهُ، وَمَجْدٍ كَرُمْتَ أَوَاخِرُهُ وَأَوَائِلُهُ،

- م: "الميادين" ¹

- أ: بياض، والمثبت من ع، م ²

- ع، م: "تملك" ³

- م: "الدعابة" وهو تصحيف. ⁴

- أ، ق: "فأسطع" والمثبت من ع، م. ⁵

- م: ساقط ⁶

- ⁷ "وَدَوَّمَ الطائر في الهواء وتداوم، وطبور متداومات: خُلُقٌ" أساس البلاغة / دوم، 1 / 303

وَأَدَبٍ تَحَلَّتْ عِذَارَاهُ وَتَبَرَّجَتْ عَقَائِلُهُ. فَإِذَا تَنَاولَ الرَّقَاعَ وَوَشَّاهَا، وَغَشَّى الطُّرُوسَ مِنْ حُلِّ بَنَانِهِ،
وَحَلَّى بَيَانَهُ بِمَا غَشَّاهَا، وَدَّتِ الْخُدُودُ أَنْ تَتَمَثَّلَ طِرْسًا، وَالْجُفُونُ السُّودُ أَنْ تَكُونَ لَهَا نَفْسًا.

وَرَدَ أَبُوهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عَلَى الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، فَرَحَّبَتْ بِمَقْدَمِهِ عَلَيْهَا، وَجَلَّتْ إِفَادَةُ وَفَادَتِهِ إِلَيْهَا،
وَقَاءَتْ بِهَا ظِلَالُ مَعَارِفِهِ الَّتِي اغْتَرَسَ، وَدَرَسَ فِيهَا عِلْمَ الْأُصُولِ بَعْدَمَا دَرَسَ، وَتَصَرَّفَ فِي
الْقَضَاءِ تَصَرُّفَ الْعَدَالَةِ وَالْمَضَاءِ. وَنَشَأَ ابْنُهُ هَذَا كَرِيمَ النَّشْأَةِ وَالْبِدَايَةِ، مَكْنُوفًا بِظِلِّ الْعِنَايَةِ،
وَتَصَرَّفَ فِي الْقَضَاءِ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ، وَغَضَارَةِ عُودِهِ، وَفُزِبَ الْعَهْدَ بِتَأَلُّقِ سُعُودِهِ، ثُمَّ حَتَّ رِكَابَ
ارْتِحَالِهِ، وَبَادَرَ عَزْمَهُ بِحَلِّ عِقَالِهِ، فَسَعِدَ سَعَادَةً شَبِيهَةً الْعُمَرِ¹ عِنْدَ انْتِقَالِهِ.

وَهُوَ الْآنَ بِدَوْلَةِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ -أَيَّدَهُ اللَّهُ- جُمْلَةً مِنْ جُمَلِ الْكَمَالِ، وَمَظْنَةً لِلْأَمَالِ، تُغْرِي
بِشَتَائِهِ الْأَلْسُنَ، وَيُرْوَى مِنْ أَحَادِيثِهِ مَا يَصِحُّ وَيَحْسُنُ، وَوَرَدَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ وَرُودَ الْكَرَى عَلَى مُقَلَّةِ
السَّاهِرِ، وَاخْتَلَّهَا اخْتِلَالُ النَّسِيمِ بَيْنَ الْأَزَاهِرِ، وَجَمَعَنِي وَإِيَّاهُ بَعْضُ الْأَسْفَارِ فِي غَزَوَاتِ الْكُفَّارِ،
فَاجْتَنَيْتُ مِنْهُ الْفَوَائِدَ بَيْنَ فُرَادَى وَمَنْثَى، وَاجْتَلَيْتُ مِنْهُ الْمَحَاسِنَ حِسًّا وَمَعْنَى، وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ أَدَبِهِ مَا
يَسْتَعِيرُ النَّسِيمُ الْعَاطِلُ عُرْقَهُ، وَيَحْسُدُ الرُّوضُ حُسْنَهُ وَظَرْفَهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْقَاضِي أَبِي الْحَجَّاجِ الطَّرُوشِيِّ

رَوْضُ أَدَبٍ لَا تَعْرِفُ الدَّوْيَ أَزْهَارُهُ، وَمَجْمُوعُ فَضْلِ لَا تَخْفَى آثَارُهُ. كَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- صَدْرًا
مِنْ صُدُورِ زَمَانِهِ، وَمِمَّنْ تَرَاهِي² تَرَائِبُ الْمَهَارِقِ بِجُمَانِهِ، وَتَتَحَلَّى لِبَائِهَا بِقَلَائِدِ عِقْيَانِهِ، إِلَى ظَرْفِ

- أ، ق: "العمر"، م: "القمر" والمثبت من ع، ولعله الصواب؛ ومن المجاز: فرس غمر، كما قيل بحر "أساس البلاغة" / غمر، 1/
710. أي سعادته كانت واسعة وكبيرة.¹
- م: "تربى"²

يَسْتَهْوِي النُّفُوسَ وَيَسْتَمِيلُهَا، وَفُكَاهَةً تَهْزُ أَعْطَافَ الْوَقَارِ وَتُجِيلُهَا، وَدُعَابَةً تُرَكِّضُ أَفْرَاسَ الطَّرْفِ¹ وَتُجِيلُهَا، وَمَعْرِفَةً فَسِيحَةً الْمَدَى، انْتَشَحَ بِفَضْلِهَا وَارْتَدَى، وَغَبَّرَ² فِي وَجْهِ مَنْ رَاحَ بِمِيدَانِهَا أَوْ غَدَى. وَكَانَ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ مُطْلَقَ الْأَعِنَّةِ، وَفِي مَغَازِيهِ مَاضِي الضَّبَا وَالْأَسِنَّةِ، فَإِنْ هَزَلَ، وَإِلَى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ اعْتَزَلَ، أَبْرَمَ فِي الْغَزْلِ مَا غَزَلَ، وَبَدَّلَ مِنْ دِنَانِ رَاحَتِهِ مَا بَزَلَ، وَإِنْ صُرِفَ إِلَى الْمَغْرِبِ غَرَبَ³ لِسَانَهُ، وَأَعَارَهُ لَمَحَةً مِنْ لَمَحَاتِ إِحْسَانِهِ، أَطَاعَهُ عَاصِيهِ، وَاسْتَجْمَعَتْ لَدَيْهِ أَقَاصِيهِ.

وَقَدَّ عَلَى الْحَضْرَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، وَالْدُنْيَا شَابَّةً، وَرِيحُ الْقَبُولِ هَابَةً، فَكَتَبَ عَنْ سُلْطَانِهَا، وَاجْتَلَى مَحَاسِنَ أَوْطَانِهَا، وَمَدَحَ بَعْضَ أَمْلَاقِهَا، وَعَشَا إِلَى أَنْوَارِ أَفْلَاقِهَا. ثُمَّ كَرَّرَ إِلَى وَطَنِهِ وَعَطَفَ، وَأَسْرَعَ اللَّحَاقَ بِجَوْهٍ كَالْبَرْقِ إِذَا خَطَفَ، فَوَرَدَ مِنَ الْعِنَايَةِ الْحِيَاضَ الْفَاهِقَةَ⁴ وَالنُّطْفَ⁵، وَحَلَّ رِيَاضَ الْكَرَامَةِ فَبَصُرَ مَا شَاءَ وَقَطَفَ. وَتَصَرَّفَ فِي الْقَضَاءِ بِذَلِكَ الرَّيْفِ سَالِكًا مِنَ الْأَدَبِ عَلَى سَنَنِهِ الطَّرِيفِ [وَمَنْزَعِهِ الظَّرِيفِ]⁶

وَتُوَفِّيَ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ، وَبُرُودٍ مِنَ الْعُمْرِ بَالِيَةٍ، وَقَدْ حَلَبَ أَشْطَرَ الدَّهْرِ وَأَخْلَافَهُ، وَارْتَضَعَ سُلَاقَهُ، حَتَّى أَمَرَ⁷ عِنْدَهُ مِنَ الْعَيْشِ كُلِّ عَذْبِ الْجَنَّا، وَبَدَّلَ مِنَ الشَّطَاطِ بِالْجَنَى، وَبَلَغَ مِنَ الْمَقَامِ بِهِذِهِ الدَّارِ جِدَّهُ، وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

- ع: "الطرب"¹

- "غَبَّرَ فِي وَجْهِهِ: سَبَقَهُ" أساس البلاغة / غبر، 1/ 693²

- أي أتى بالغريب في كلامه.³

- ع: "الباهقة" ولعل الصواب ما أثبت أي الحياض المملوءة.⁴

- "سقاني نطفة عذبة ونطفا ونطافا عذابا: وهي الماء الصافي قل أو كثر: أساس البلاغة / نطف، 2/ 281⁵

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م⁶

- أي جعل من أمارات عيشه كل عذب الجني، كناية عن طيب عيشه.⁷

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْكَاتِبِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ شُعَيْبٍ

مَوْرِدٌ تَرِدُهُ الْهَيْمُ فَتُزَوَّى، وَتَهْوِي إِلَيْهِ النُّفُوسُ فَتَجِدُ عِنْدَهُ مَا تَهْوَى، وَصَدْرٌ لَا يَخْفَى مَكَانُهُ، وَذُخْرٌ أَضَاعَهُ زَمَانُهُ. حَازَ مِنْ كُلِّ فَنٍّ نَصِيباً، وَرَمَى إِلَى كُلِّ غَرَضٍ سَهْماً مُصِيباً، وَاسْتَمَطَرَ كُلَّ عَارِضٍ وَدِيمَةٍ، مِنَ الْعُلُومِ الْحَدِيثَةِ وَالْقَدِيمَةِ، فَبَدَعَ¹ فِي فُنُونِهَا وَبَهَرَ، وَحَذَقَ الطَّبَّ مِنْهَا وَمَهَرَ، وَبَلَغَ فِي صَنْعَةِ النَّبَاتِ دَرَجَةَ الْإِنْبَاتِ، وَرَضِيَ بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَى الْعِلْمِ وَالْإِنْتِسَابِ عَنِ الْاِكْتِسَابِ، فَمَا أَهَمَّهُ الدَّهْرُ بِأَلْوَانِهِ، وَلَا ثَنَاهُ عَنْ شَأْنِهِ، وَعَانَى فِي حَرَكَتِهِ وَانْتِقَالِهِ، مَشَقَّةَ اعْتِقَالِهِ، وَخَلَصَ خُلُوصَ الْحُسَامِ بَعْدَ صِقَالِهِ.

وَهُوَ الْآنَ مِنْ كُتَّابِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ، تُطَوَّى عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ إِذَا عُذُوا، وَيُذْخَرُ لَهُ قَصَبُ السَّبْقِ إِذَا أُحْضِرُوا فِي الْمَحَاضِرَةِ وَاشْتَدُّوا. وَرَدَ عَلَى الْحَضْرَةِ فِي خِدْمَةِ لِبَعْضِ الْوَلَاةِ تَوَلَّاهَا، وَوَجْهَةً فَرَى لَهَا الْفَلَى وَفَدَاهَا، فَرَأَيْتُهُ رُؤْيَةً لَمْ تَنْهَضْ إِلَى الْمُحَاوَرَةِ وَالْكَلامِ، وَالْمُخَاطَبَةِ بِمَا يَجِبُ لِمِثْلِهِ مِنَ الْأَعْلَامِ، لِحُمُودِ هَذَا الْبَاعِثِ عِنْدِي فِي الْعَهْدِ الْمُتَقَدِّمِ.

وَلَمْ أَلْبِثْ أَنْ عَضَضْتُ يَدَ الْمُتَنَدِّمِ أَسْفَاءً عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ لِقَائِهِ، وَاجْتِلَاءِ الْفَوَائِدِ مِنْ تَلْقَائِهِ، وَلَهُ شِعْرٌ تَهْوَى الشَّعْرَى أَنْ تَتَّخِذَهُ شَنْفًا، وَنَشْرٌ تَوَدُّ النَّشْرَةَ لَوْ تَتَحَلَّى بِهِ وَإِنْ شَمَخَتْ أَنْفًا. مِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبَ بِهِ الشَّيْخَ أَبَا جَعْفَرٍ بَنَ صَفْوَانَ، وَقَدْ رَمَى اللَّهُ بِقَاصِيَةِ هَوَاهُ، وَاعْتَدَّهُ فِي رِحْلَةِ أَنْفُسٍ ذُخْرٍ حَوَاهُ.

- أ، ق، م: "ففرع"، والمثبت من ع¹

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ التُّونُسِيِّ

كَاتِبُ الْخِلَافَةِ، وَمُشْعِشُ الْأَدَبِ الْمُرَرَّى بِالسَّلَافَةِ¹. كَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بَطْلَ مَجَالٍ، وَرَبَّ رَوِيَّةٍ وَارْتِجَالٍ، قَدِمَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ وَقَدْ نَبَا وَطَنُهُ، وَضَاقَ بِبَعْضِ الْحَوَادِثِ عَطْنُهُ، فَتَلَوَّمَ بِهَا تَلَوُّمَ النَّسِيمِ بَيْنَ الْخَمَائِلِ، وَحَلَّ فِيهَا مَحَلَّ الطَّيِّبِ مِنَ الْوَسَّاحِ الْجَائِلِ، وَلَبِثَ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ تَحْتَ جِرَايَةِ وَاسِعَةٍ، وَمَبَرَّةٍ يَانِعَةٍ، ثُمَّ أَثَرَ قُطْرُهُ، فَوَلَّى وَجْهَهُ شَطْرَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ دَهْرُهُ بِالْإِنَابَةِ، وَقَلَدَهُ رِئَاسَةَ الْكِتَابَةِ، فَاسْتَقَامَتْ حَالُهُ، وَحُطَّتْ رِحَالُهُ.

حَدَّثَنِي مَنْ عُنِيَ بِأَخْبَارِهِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِرِيِّهِ وَاسْتِقْرَارِهِ، أَنَّهُ لَقِيَ بِبَابِ الْمَلْعَبِ مِنْ أَبْوَابِهَا ذَاتَ لَيْلَةٍ طَبِيبَةً مِنْ طِبَاءِ الْإِنْسِ، وَفَتَنَتْهُ مِنْ فِتَنِ هَذَا الْجِنْسِ، فَخَطَبَ وَصَالَهَا، وَانْقَى بِمُهْجَتِهِ نِصَالَهَا، حَتَّى هَمَّتْ بِالْإِنْقِيَادِ، وَانْعَطَفَتْ انْعِطَافَ الْغُصْنِ الْمَيَّادِ، فَأَبْقَى عَلَى نَفْسِهِ وَأَمْسَكَ، وَأَنَفَ مِنْ خَلْعِ الْعِذَارِ بَعْدَمَا تَنَسَّكَ.

وَفِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ² مِنْ أَهْلِ مُرَّاكُشَ

وَقُورٍ أَفْرَطَ حَتَّى أَثْقَلَ، وَقَرِيعُ مَجْدٍ مَسَّهُ الْإِحْتِيَاجُ فَتَنَّقَلَ، رَحَلَ مِنْ بَلَدِهِ مُرَّاكُشَ لَمَّا جَفَّ حَوْضُهُ، وَصَوَّحَ³ رَوْضُهُ، وَاتَّخَذَ رِيَّهُ دَارًا، وَاخْتَارَهَا قَرَارًا، وَجَرَتْ عَلَيْهِ جِرَايَةُ تَبْلَغِ بِهَا، وَارْتَفَدَ بِسَبَبِهَا، رَغِيًّا لِأَبِيهِ، وَاحْتِرَامًا لِنَيْتِهِ النَّبِيَّةِ.

- "السَّلَافَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَالِصَةٌ" لِسَانُ الْعَرَبِ / سَلَفٌ: 234 / 7¹
- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَوْسِيِّ الْمُرَّاكُشِيِّ (634-703 هـ / 1237-1303 م) "مُؤَرِّخُ أَدِيبٍ مِنَ الْقَضَاءِ، مِنْ أَهْلِ مُرَّاكُشَ، وَلِي الْقَضَاءِ بِهَا مُدَّةً، وَتُوفِيَ بِتَلْمِيزَانٍ. مِنْ كُتُبِهِ "الذَّيْلُ وَالتَّكْمِلَةُ لِكِتَابِ الصَّلَةِ" الْأَعْلَامُ: 67 / 1²
- أ، ق: "صُوحٌ" وَالمُثَبِّتُ مِنْ ع، م. وَهُوَ تَصْحِيفٌ. "صُوحُ الْبَقْلِ وَتَصُوحٌ: تَمَّ يَبْسُهُ" لِسَانُ الْعَرَبِ / صُوحٌ: 303 / 8³

فَقَدْ كَانَ أَبُوهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- قَاضِيًا صَدْرًا فِي عَصْرِهِ، وَبَذْرًا فِي هَالَةِ قُطْرِهِ، رَحْبَ الْمَجَالِ، نَسِيجَ وَحْدِهِ مَعْرِفَةً بِطُرُقِ الْحَدِيثِ وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ، مُتَبَحِّرًا فِي عُلُومِ الْآدَابِ، مُنْتَدِبًا لِإِقَامَةِ رَسْمِ الْمَعَارِفِ كُلِّ الْإِنْتِدَابِ. وَابْنُهُ هَذَا مُتَمَسِّكٌ مِنَ الْآدَابِ بِأَذْيَالِهَا، مُغْرَى¹ بِإِدَارَةِ جُزْيَالِهَا، إِلَى سِرِّهِ عَمِيمٍ، وَوَفَاءٍ يُثْنِي كُلَّ صَدِيقٍ لَهُ وَحَمِيمٍ، وَلَمَّا تَقَلَّدَتْ هَذِهِ الْبِلَادَ بِتَقْيِيدِ أَرْزَاقِ الْأَجْنَادِ بَادَرْتُ إِلَى تَقْدِيمِ وَاجِبِهِ، وَإِثَارِ جَانِبِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ الْحَسَنَانِي مِنْ أَهْلِ تُونَسِ

شَاعِرٌ لَا يَنْضُبُ طَبْعُهُ، وَلَا يَقْفُرُ رُبْعُهُ. قَصَدَ الْمُلُوكَ وَانْتَجَعَ، وَهَدَلَ فِي أَفْنَانِ أَمْدَاحِهَا وَسَجَعَ، وَتَجَرَّأَ عَلَى افْتِحَامِ دُسُوتِهَا، وَوُلُوجِ بَيُوتِهَا. وَقَدِمَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ فَأُعْجِبَ الْأُدَبَاءُ بِإِكْتَارِهِ، وَانْقِيَادِ نِظَامِهِ وَنِثَارِهِ، وَتَنُوفَسَ فِي إِثَارِهِ. ثُمَّ اسْتَرْسَلَ طَوْعًا² لِدَّائِهِ، وَسَعَى فِي جَلْبِ الْمَكْرُوهِ إِلَى ذَاتِهِ، وَنَمَى إِلَيْهِ³ قِيلٌ وَقَالَ، نَالَهُ بِهِ اغْتِقَالٌ.

ثُمَّ تَكَرَّرَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ، وَقَدْ تَبَدَّلَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ، وَخَمَدَتْ تِلْكَ الصَّوْلَةُ، فَتَلَقَّى بِإِقْبَالٍ، وَهَبَّتْ لَهُ رِيحُ اهْتِبَالٍ. ثُمَّ حَرَّكَهُ الشَّوْقُ إِلَى بَلَدِهِ، وَبَلَغَ نَوَاهُ إِلَى أَمَدِهِ. وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِرْسَالِ لِسَانِهِ⁴، وَافْتِدَارِهِ عَلَى الْكَلَامِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ.

- م: "معزى"¹

- ع: "طبع"²

- ع: "عنه"³

- أ، ق، ع: "لهاتهه" والمثبت من م.⁴

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَكُودِي مِنْ أَهْلِ فَاسَ

شَاعِرٌ لَا يُتَعَاطَى مَيْدَانُهُ، وَمَرَعَى بَيَانٍ رَقَّ غَضَاهُ وَأَيْنَعَ سَعْدَانُهُ، يَدْعُو الْكَلَامَ فَيَهْطَعُ لِدَاعِيهِ، وَيَسْعَى فِي اجْتِلَابِ الْمَعَانِي فَتَنْجَحُ مَسَاعِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَفْرَطَ فِي الْإِنْهَمَاكِ، وَهُوَ إِلَى بَطْنِ السَّمَكِ مِنْ أَوْجِ السَّمَكِ¹. قَدِمَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ مُفْلِتًا مِنْ رَهَقِ تِلْمَسَانَ حِينَ الْحَصَارِ، صِفَرِ الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ مِنْ الْيَسَارِ، بَلْ² هَوَى أَنْحَى³ عَلَى طَرِيفِهِ وَتِلَادِهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِهِ.

وَلَمَّا جَدَّ بِهِ النَّبِيُّ وَحَلَّ هَذِهِ الْحَضْرَةَ بِحَالٍ تَفْتَحُمُهَا الْعَيْنُ، وَالسَّيْفُ بِهَزَّتِهِ لَا يُحْسِنُ بَرَّتَهُ، دَعَوْنَاهُ إِلَى مَجْلِسٍ أَعَارَهُ الْبَذْرُ هَالَتَهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْأَصِيلُ⁴ غَلَاتَهُ، وَرَوْضٍ تَفْتَحُ كِمَامَهُ، وَهَمَى عَلَيْهِ غَمَامَهُ، وَكَأْسٍ أَنْسَى تَدُورُ، فَتَتَلَقَّى نُجُومَهَا الْبُذُورُ.

وَلَمَّا ذَهَبَتِ الْمُؤَانَسَةُ بِخَجَلِهِ، وَتَذَاكَرَ هَوَاهُ وَيَوْمَ نَوَاهُ، حَتَّى خَفْنَا حُلُولَ أَجَلِهِ، جَلِينَا⁵ لِلْمُذَاكِرَةِ زِمَامَهُ، وَاسْتَسْقَيْنَا مِنْهَا غَمَامَهُ، فَأَمْتَعَ وَأَحْسَبَ، وَنَظَرَ وَنَسَبَ، وَتَكَلَّمَ فِي الْمَسَائِلِ، وَحَاضَرَ بِطَرْفِ الْأَبْيَاتِ وَعُيُونِ الرِّسَائِلِ، حَتَّى نَشَرَ الصَّبَاحُ رَايَتَهُ، وَأَطْلَعَ النَّهَارُ آيَتَهُ.

- "السَّمَكَ نَجْمٌ مَعْرُوفٌ، وَهُمَا سَمَاكَانٌ: رَامِحٌ وَأَعْزَلٌ، وَالرَّامِحُ لَا نَوْءَ لَهُ وَهُوَ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ، وَالْأَعْزَلُ مِنْ كَوَاكِبِ الْأَنْوَاءِ وَهُوَ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ، وَهُمَا فِي بَرَجِ الْمِيزَانِ" لِسَانُ الْعَرَبِ / سَمَكٌ: 259 / 7¹

- ع، م: "قُلْ"²

- ع: "الْحَي"³

- ع: "الْأَمِيلُ"، م: "الْأَهِيلُ"⁴

- ع: "جَدِينَا"، م: "جَلِينَا"⁵

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبَةِ أُمِّ الْحُسَيْنِ بِنْتِ أَحْمَدَ الطَّنْجَالِيِّ¹ [مِنْ بَلَدٍ] لُوشَةُ

ثَالِثَةُ حَمْدَلَةٍ وَوِلَادَةٍ، وَفَاضِلَةٌ جَمَعَتِ الْأَدَبَ وَالْمَجَادَةَ، وَتَقَلَّدَتِ الْمَحَاسِنَ قَبْلَ الْقِلَادَةِ، وَأُولَدَتْ
أَبْكَارَ الْأَفْكَارِ قَبْلَ سِنِّ الْوِلَادَةِ. نَشَأَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا، لَا يَدْخُرُ عَنْهَا تَدْرِيجاً وَلَا تَنْبِيهاً حَتَّى نَبَضَ
إِدْرَاكُهَا، وَظَهَرَ فِي الْمَعَارِفِ حِرَاكُهَا، وَدَرَسَهَا الطَّبُّ فَفَهِمَتْ أَغْرَاضَهُ، وَعَلِمَتْ أَسْبَابَهُ وَأَعْرَاضَهُ،
وَلَمْ يَزَلْ يَتَعَهَّدُهَا بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّخْرِيجِ، وَيَنْقُلُهَا بِحُسْنِ التَّدْرِيجِ حَتَّى نَظَمَتِ الْكَلِمَ، [وَدَاوَتْ]² بِالسَّبْكِ
الْمَعْنَى الْأَلَمَ.

وَلَمَّا قَدِمَ أَبُوهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، وَتَكَلَّمَ بِخَبَرِهَا الْمَغْرِبِ، تَوَجَّهَ بَعْضُ الصُّدُورِ إِلَى اخْتِبَارِهَا،
وَمُطَالَعَةِ أَخْبَارِهَا، فَاسْتَنْبَلَ أَغْرَاضَهَا وَاسْتَحْسَنَهَا، وَاسْتَنْظَرَ لَسَنَهَا³، وَسَأَلَهَا عَنِ الْخَطِّ، وَهُوَ أَكْسَدُ
بِضَاعَةٍ جُلِبَتْ، وَأَشْحُ دِرَّةٍ حُلِبَتْ، فَأَنْشَدَتْهُ مِنْ نَظْمِهَا مَا ثَبَتَ فِي النَّاجِ.

- "أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي، من أهل لوشة، تجود القرآن، وتشارك في فنون من الطلب من مبادئ عربية، ومسائل الطب، وتنظم أبياتاً من الشعر" الإحاطة: 265 / 1¹
- أ: بياض، والمثبت من ع، م²
- ع: "لسانها"³

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ثَبَتَ فِي "الإِكْلِيلِ الزَّاهِرِ فِيمَنْ فَضَّلَ عِنْدَ نَظْمِ التَّاجِ مِنَ الْجَوَاهِرِ" فِي وَصْفِ

الْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ السَّاحِلِيِّ الْمَالِقِيِّ الْوَلِيِّ، نَفَعَ اللَّهُ بِهِ

عَابِدٌ لَا يَفْتُرُ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَوَلِيٌّ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُ سَعَادَتِهِ. لَمْ يَدَعْ وَقْتًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا عَمَرَهُ،
وَلَا دَوْحًا مِنَ الذِّكْرِ إِلَّا جَنَى ثَمَرَهُ، فَضَرَبَتْ عَلَيْهِ الرِّكَائِبُ أَرْيَابُ السُّلُوكِ، وَعَظُمَ فِي قُلُوبِ الْأُمَرَاءِ
وَالْمُلُوكِ، وَخَطَبَ لِلِسَفَارَةِ فِي صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَاتَّصَلَ أَهْلُ الْعُدُوتَيْنِ.

وَأَمَّا الْخَطَابَةُ فَكَانَ مِنْ فُرْسَانِهَا وَدَوِي إِحْسَانِهَا، يُعَبِّرُ عَنِ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ بِمُخْتَلَفَاتِ الْأَقْوَالِ
فِي أُسْلُوبِ جَهِيرٍ، وَمَقَامِ شَهِيرٍ. وَلَهُ خَلْفٌ مُتَّسِمٌ بِالْخَيْرِ وَالْعَفَافِ، مُتَّصِفٌ مِنَ الدِّيَانَةِ بِأَحْسَنِ
الْأَوْصَافِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ الشَّاطِئِيِّ

الشَّيْخُ الْقَاضِي أَبُو جَعْفَرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- شَيْخٌ طَالَتْ مُصَاحَبَتُهُ لِلنِّسَاءِ، وَمُصَاحَبَتُهُ لِلْإِصْبَاحِ
وَالْإِمْسَاءِ، طَالَمَا نَظَرَ بَيْنَ قَوِيٍّ وَمُسْكِينٍ، وَدَبَحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ. يَقْضِي عُمُرَهُ فِي الْحُقُوقِ، وَيَهْبُ بَيْنَ
الرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ، قَطَعَ فِي ذَلِكَ زَمَانَهُ، وَبَدَأَ أَقْرَانَهُ، وَاكْتَسَبَ مَالًا، وَبَلَغَ فِي الدَّهْرِ آمَالًا. ثُمَّ أَوْبَقَتْهُ
أَشْرَاكُ الْحِمَامِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَالَى تَمَامٍ. وَلَهُ شِعْرٌ تَلُوحُ عَلَيْهِ مِنَ الْحُسْنِ مُسْحَةً، وَتَنِمُّ عَنْهُ لِلطَّرْفِ
نَفْحَةٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْخَطِيبِ أَبِي عَلِيٍّ الْقُرَشِيِّ

شَهَابٌ فِي أَفْقِ الدِّينِ مُتَأَلِّقٌ، وَسَهْمٌ عَلَى فَرِيَسَةِ النَّجَاةِ مُحَلَّقٌ، وَعَارِفٌ بِأَخْلَاقِ الرَّجَالِ مُتَخَلِّقٌ، كَثِيرُ الْإِنْتِبَاضِ، مُعْرِضٌ عَنِ الْأَعْرَاضِ، كَلِفٌ بِمَا لِلْقَوْمِ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْأَغْرَاضِ، مُلَازِمٌ كَسَرَ بَيْتِهِ عَلَى ذِكْرِهِ يُرَدِّدُهُ، وَلِبَاسٌ إِخْلَاصٍ عَلَى الْأَحْيَانِ يُجَدِّدُهُ، وَسَهْمٌ يُحِثُّ إِلَى هَدَفِ تِلْكَ الْأَسْرَارِ يُسَدِّدُهُ، فَإِذَا تَرَدَّدَ إِلَى الْمَسْجِدِ [الْأَعْظَمِ مَحَلِّ إِمَامَتِهِ وَمَسْحَبِ غَمَامَتِهِ، انْتَالَ النَّاسُ عَلَى أَطْرَافِهِ]¹ فِي قَصْدِهِ وَانْصِرَافِهِ، فَتَسَعُّهُمْ بِشَاشَةِ لِقَائِهِ، وَتُحْيِيهِمْ بِرَكَّةِ دُعَائِهِ.

وَمَضَى لِسَبِيلِهِ صَدْرًا مِنْ صُدُورِ الصَّالِحِينَ، وَعَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُفْلِحِينَ. وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ مَثَلًا فِي الْإِحْتِشَادِ لَهَا وَالْإِحْتِفَالِ، وَعُنْوَانًا عَلَى الْعِنَايَةِ مِنْ ذِي الْجَلَالِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْقَاضِي أَبِي عَمْرٍو بْنِ مَنْظُورٍ

صَاحِبُ نَظَرٍ وَبَحْثٍ، وَمُعَاطَاةٍ لِأَكْوَاسِ الْفُنُونِ وَحَثٍّ، لَا يَزَالُ يَفْرِي أُدِيمَهَا، وَيَجْمَعُ حَدِيثَهَا وَقَدِيمَهَا، وَهُوَ أَحَدُ أَعْلَامِ هَذَا الْقَطْرِ، أُولِي الْمَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْخَطَرِ. وَلِي قَضَاءٌ رِيَّ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ فَسَاسَ وَسَدَّدَ، وَأَسَّسَ وَمَهَّدَ، وَجَدَّدَ مِنْ سُنَنِ الْفَضْلَاءِ مَا جَدَّدَ، إِلَى مَجْلِسٍ مُتَمِّعٍ²، وَفَهَّمِ إِلَى الْعَوَامِضِ وَالْعُلُومِ مُتَسَرِّعٍ³، [وَدَرَسَ بِمَا يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ طَالِبُ الْعِلْمِ مُتَبَرِّعٌ، وَدُعَابَةً تَنْقَلِبُ مِنْ خِلَالِ

- ع: ساقط ¹
- ع: "ممنع" ²
- م: "مسرّع" ³

وَقَارِهِ، وَتَغَالِبُ عَلَى مِقْدَارِهِ¹ وَشَعْرُهُ قَلِيلٌ جِدًّا، لَمْ يُغْرِهِ² هَزَلًا وَلَا جِدًّا، إِلَّا أَنَّنِي رَأَيْتُ بِخَطِّهِ أَبْيَاتًا
مِنْ نَظْمِهِ عَلَى ظَهْرِ فَهْرَسَةِ الْوَزِيرِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْحَكِيمِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْخَطِيبِ أَبِي الطَّاهِرِ بْنِ صَفْوَانَ الْمَالِقِيِّ³

عَلَّمَ مِنْ أَعْلَامِ هَذِهِ الْبُقْعَةِ، وَرُخٍّ مِنْ رِخَاخِ⁴ هَذِهِ الرُّقْعَةِ، اقْتَفَى أَثَرَ الصَّالِحِينَ وَاقْتَصَّه،
[وَأَقْتَدَى مَنْ تَوَلَّاهُ اللَّهُ وَاخْتَصَّه]⁵ فَلَوْ تَمَثَّلَ الْخَيْرُ لَكَانَ شَخْصَهُ، ظَهَرَتْ عَلَيْهِ بَرَكَاتُ مَكَّةَ
وَالْمَدِينَةِ، فَلَبَسَ شِعَارَ السَّكِينَةِ، وَتَوَاضَعَ عَلَى الرُّتْبَةِ الْمَكِينَةِ، وَحَصَلَ مِنْ أَسْرَارِ الْقَوْمِ عَلَى الدَّرَةِ⁶
النَّمِينَةِ، فَكَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى مُصَنَّفَاتِهِمْ، وَيَتَّصِفُ بِصِفَاتِهِمْ، فَيَأْتِي بِالْعُجَابِ فِي فَكِّ الرُّمُوزِ وَإِبْضَاحِهَا،
وَيُنْحِفُ مِنْهَا الصُّدْرَ بِإِنْشِرَاحِهَا، حَضَرَتْ مَعَهُ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ، فَرَأَيْتُ مَحْضَرَهُ، وَبَهَرَ فِي تِلْكَ الْمَعَانِي
نَظْرَهُ، وَمَنْ نَظَّمَهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ لَا يَنْتَحِلُ النَّظْمَ وَلَا يَتَعَاطَاهُ، وَلَا يَحُثُّ فِيهِ خُطَاهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّرطُوشِيِّ

مَعْدُودٌ فِي الصُّدُورِ، وَمَنْظُومٌ فِي الشُّدُورِ، وَمَحْسُوبٌ فِيْمَنْ أَطْلَعَتْهُ آفَاقُ هَذِهِ الدُّورِ، مِنْ
النُّجُومِ الْمُسْرِقَةِ وَالْبُدُورِ، يَنْظُرُ فِي مَعْقُولٍ وَمَنْقُولٍ، وَيَسْتَظْهَرُ عَلَى الْمُشْكِلَاتِ بِفِرْنِدِ ذِهْنٍ مَصْقُولٍ،
إِلَى خَطٍّ وَظَرْفٍ، وَفُكَاهَةٍ كَالرَّوْضِ فِي مَرَاى وَعُزْفٍ.

- ع: ساقط ¹

- ع: "يغربه"، م: "يضره" ²

- "محمد بن أحمد بن صفوان القيسي، وبيته شهير بمالقة؛ يكنى أبا الطاهر، ويعرف بابن صفوان. ولي الخطابة بالمسجد الأعظم من الرض الشرفي. وكان له مشاركة في الفقه. ألف بإشارة السلطان علي عهده، أمير المسلمين أبي الحجاج كتابا في التصوف والكلام على اصطلاح القوم. توفي بمالقة سنة 749هـ" الإحاطة: 3 / 995 ³

- الرُّخُّ من أداة الشطرنج والجمع رخاخ "لسان العرب / رخخ: 6 / 128 ⁴

- ع: ساقط ⁵

- ع: "الدرر" ⁶

تَرَقَّى مِنَ الْبِرِّ سَنَامًا، وَلَقِيَ مِنَ الدَّوْلَةِ النَّصْرِيَّةِ إِكْرَامًا، إِلَى أَنْ فَسَدَ مَا بَيْنَ مُدَبِّرِهَا ابْنِ
 الْمَحْرُوقِ وَبَيْنَهُ، وَنُحِيتَ لَهُ عَنْهُ هَنَاتٌ أَوْغَرَتْ صَدْرَهُ، وَأَقْدَتِ¹ عَيْنَهُ، فَعَرَّبَهُ بَعْدَ مَا قَرَّبَهُ، وَجَفَّاهُ مِنْ
 بَعْدِ مَا اصْطَفَاهُ، فَجَمَّ² فِي الْإِغْتِرَابِ حَيْثُ³، وَاقْتَضَى فِي بَعْضِ الْبِلَادِ الْإِفْرِيقِيَّةِ دَيْنَهُ، وَكَانَ لَا
 يَنْتَحِلُ الشَّعْرَ بِضَاعَةً، وَلَا يُعَوِّلُ عَلَيْهِ صِنَاعَةً، وَرُبَّمَا رَمَى غَرَضَهُ فَأَصَابَ، وَاسْتَمَطَرَ لَهُ غَمَامٌ
 مَعَارِفِهِ فَأَصَابَ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْفَقِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَاجِّ [مِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ]⁴

شَاعِرٌ اتَّخَذَ النُّظْمَ بِضَاعَةً، وَمَا تَرَكَ السَّعْيَ فِي مَذَاهِبِهِ سَاعَةً، أَجْرَى فِي الْمَلَا⁵ إِلَّا فِي
 الْخَلَاءِ، وَجَعَلَ دَلْوَهُ فِي الدَّلَاءِ، وَرَكَضَ فِي حَلَبَةِ النُّجَبَاءِ وَالنَّجَائِبِ، وَرَمَى بَيْنَ الْخَوَاطِرِ بِسَهْمِ
 صَائِبٍ، فَخَرَجَ بِهِرْجُهُ وَنَفَقَ، وَارْتَفَدَ بِسَبَبِهِ وَارْتَفَقَ.
 وَهُوَ الْآنَ قَدْ سَالَمَتْهُ السُّنُونُ، وَكَأَنَّمَا أَمِنَ الْمُنُونُ، وَهُوَ رَجُلٌ مَكْفُوفُ الْأَدَى، حَسَنُ الْحَالَةِ إِلَّا
 إِذَا هَدَى.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّيْخِ الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ غَفْرُونَ

شَيْخٌ خَدِمَ، فَأَمَّ لَهُ الدَّهْرُ فِيهَا عَلَى قَدَمٍ، وَصَاحِبُ تَعْرِيضٍ وَدَهَاءٍ عَرِيضٍ. [أَصْلُهُ مِنْ حِصْنِ
 مَنَنْفَرِيدٍ - حَرَسَهُ اللَّهُ - خَدَمَ]⁶ الدَّوْلَةَ النَّصْرِيَّةَ عِنْدَ انْتِزَاعِ أَهْلِهِ، وَكَانَ مِمَّنِ اسْتَنْزَلَهُمْ مِنْ حَزَنِهِ إِلَى

- ع: "أَقْدَتِ"، م: "أَقْدَتِ"¹

- "جَمَّ: علا" لسان العرب / جم: 204 / 3²

- "الحَيْن: الهلاك" لسان العرب / حين: 292 / 4³

- ع: ساقط⁴

- م: "لا"⁵

- ع: ساقط⁶

سَهْلِهِ، وَحَكَمَ الْأَمْرَ الْعَلِيِّ فِي يَافِعِهِ وَكَهْلِهِ، فَانْتَسَبَ حُظْوَةً أَرْضَتْهُ، وَوَسِيلَةً أَرْهَفَتْهُ وَأَمَضَتْهُ، حَتَّى عَظُمَ جَاهُهُ وَمَالُهُ، وَبَسَقَتْ أَمَالُهُ. ثُمَّ دَالَتِ الدُّوْلُ، وَتَكَثَّرَتْ أَيَّامُهُ الْأَوَّلُ، وَتَغَلَّبَ مَنْ يُجَانِسُهُ، وَشَقِيَ بِمَنْ كَانَ يُنَافِسُهُ، فَجَفَّ عُوْدُهُ، وَالتَّائَتْ سُعُوْدُهُ، وَهَلَكَ وَالْحُمُولُ يُعْلُهُ، وَالْدَّهْرُ يَقُوْتُهُ مِنْ صَبَابَةٍ حَزَتْ كَانَ يَسْتَعْلُهُ.

وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ لَمْ يَقْفَهُ النَّظَرُ، وَلَا وَضَحَتْ مِنْهُ الْغُرُ، كَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مُنْفِقِ سُوْقِ خِدْمَتِهِ، وَمُتَعَهِّدِهِ بِنِعْمَتِهِ، يَطْلُبُ تَجْدِيدَ بَعْضِ عِنَايَاتِهِ. [فَأَنْبَتُ فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ]¹

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى

مِنْ أَعْلَامِ هَذَا الْفَنِّ، وَمُشْعَشِعِي رَاحِ هَذَا الدَّنِّ. مَجْمُوعُ أَدَوَاتٍ، وَفَارِسُ قَلَمٍ وَدَوَاةٍ، ظَرِيفُ الْمَنْزَعِ، أَنْيَقُ الْمَرَأَى وَالْمَسْمَعِ. اقْتَنَصَ الرِّئَاسَةَ، فَأَدَارَ فَلَكَ إِمَارَتِهَا، وَاتَّسَمَ بِاسْمِ كِتَابَتِهَا وَوِزَارَتِهَا، نَاهِضًا بِالْأَعْبَاءِ، رَاقِيًا فِي دُرَجِ التَّقْرِيبِ وَالْإِجْتِبَاءِ، مُصَانِعَ دَهْرِهِ فِي رَاحٍ وَرَاحَةٍ، أَوِيًّا إِلَى فَضْلِ وَسَمَاحَةٍ، وَخِصْبِ سَاحَةِ، فَكَلَّمَا فَرَعَ مِنْ شَأْنِ خِدْمَتِهِ، وَأَنْصَرَفَ عَنْ رَبِّ نِعْمَتِهِ، عَقَدَ شُرْبًا، وَأَطْفَأَ مِنَ الْإِهْتِمَامِ بَغِيرِ الْأَيَّامِ حَزْبًا، وَعَكَفَ عَلَى صَوْتٍ يَسْتَعِيدُهُ، وَظَرَفَ يَبْدِيهِ وَيُعِيدُهُ.

فَلَمَّا تَقَلَّبَتْ بِالرِّئَاسَةِ الْحَالُ، وَقُوِّضَتْ مِنْهَا الرِّحَالُ، اسْتَقَرَّ بِالْمَغْرِبِ غَرِيبًا، يَقْلِبُ طَرْفًا مُسْتَرِيبًا، وَتَلَحَّظُهُ الدُّنْيَا تَبِعَةً عَلَيْهِ وَتَنْزِيبًا، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَعِدِمِ مِنْ أَمْرَائِهَا حُظْوَةً وَتَقْرِيبًا. وَمَا بَرَحَ يَنْوُحُ بِشَجْنِهِ، وَيَرْتَاخُ إِلَى عُهْدِ وَطْنِهِ.

- أ، م: ساقط، والزيادة من ع¹

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْكَاتِبِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرِيفِ

بَقِيَّةُ الظَّرْفِ مِنْ كُتَّابِ دِيْوَانِ الْحِسَابِ، إِلَى نَفْسٍ صَافِيَةٍ مِنَ الْكَدْرِ، وَصَدْرٍ طَيِّبِ الْوَرْدِ
وَالصَّدْرِ، وَدَوْحَةٍ عَهْدٍ تَنْدَى أَوْزَاقُهَا، وَمِشْكَاةٍ فَضْلٍ يَسْطَعُ إِشْرَاقُهَا. تَمَسَّكَ بِرُضَاعِ الْكَأْسِ، يَرَى
ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ عَهْدِهِ، وَقَسَمَ لِحَظَاتِهِ بَيْنَ آسِ الرِّيَاضِ وَوَرْدِهِ.

فَلَمَّا حَوَّمَ حِمَامَهُ لِلْوُفُوعِ، وَكَادَ يُقَوِّضُ رَحْلَهُ عَنِ الرُّبُوعِ، وَشَعَرَ بِحَبَائِلِ الْمَنِيَّةِ تَعَلَّقَهُ، وَسُرْعَانَ
خَيْلِ الْأَجَلِ تُزْهِفُهُ، أَقْلَعَ عَنْ فَنِّهِ، وَأَمَرَ بِسَفْكِ دَنِّهِ، وَلَجَأَ إِلَى اللَّهِ بِأَوْيَتِهِ، وَعُفْرَانِ حَوْبَتِهِ. فَكَانَ ذَلِكَ
عُنْوَانَ الرِّضَا، وَعَلَامَةً عَفْوِ اللَّهِ عَمَّا مَضَى.

دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ، وَأَشْرْتُ بِاسْتِعْمَالِ الدَّوَاءِ الْمُسَمَّى بِلَحِيَةِ النَّيْسِ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ،
وَاسْتَعْمَلَهُ فَوَجَدَ بَعْضَ خِفَّةٍ، فَأَنْشَدَنِي فِي ذَلِكَ مِنْ نَظْمِهِ مَا ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَتَاهِلِ

كَثِيفُ الْحَاشِيَةِ، مَعْدُودٌ فِي جِنْسِ السَّائِمَةِ وَالْمَاشِيَةِ، ثَلَيْتٌ عَلَى الْعُمَالِ بِهِ سُورَةُ الْغَاشِيَةِ، تَوَلَّى
الْأَشْغَالَ السُّلْطَانِيَّةَ، فَدَعَرَتِ الْجُبَاةُ لَوْلَايَتِهِ، وَقَامَتِ قِيَامَتُهُمْ لِطُلُوعِ آيَتِهِ، وَقَنَطُوا كُلَّ الْقُنُوطِ، وَقَالُوا
جَاءَتِ الدَّابَّةُ تُكَلِّمُنَا، وَهِيَ إِحْدَى الشُّرُوطِ مِنْ رَجُلٍ هَائِمِ الْحَشْوَةِ¹، بَعِيدٍ عَنِ الْمُصَانَعَةِ وَالرَّشْوَةِ،

- م: "الجفوة" ¹

يَتَجَنَّبُ النَّاسَ، وَيَقُولُ عِنْدَ الْمُخَاطَبَةِ لَا مِسَاسَ¹، وَعَلَى مِسَاحَتِهِ وَنَجْهِهِ، وَتَجَهُّمِ وَجْهِهِ، فَكَانَ خَالِطاً إِسَاءَتَهُ بِإِحْسَانِهِ، مُشْتَغِلاً بِشَأْنِهِ، غَاضاً مِنْ عِنَانِ لِسَانِهِ، عَهْدِي بِهِ فِي الْأَعْمَالِ يُقَدَّرُ فِيهَا وَيُدَبَّرُ، وَيُتَرْجَمُ وَيُعَبَّرُ، وَيَخْبِطُ² وَيَبْنِثُ، وَمَعَ ذَلِكَ يَكْبُرُ، وَيَحْسُنُ مِنَ الْأَزْمَةِ وَيَقْبُحُ، وَهُوَ يَسْبَحُ. وَلَمَّا شَرَعَ فِي الْبَحْثِ وَالنَّقِيرِ، وَالْمُحَاسَبَةِ عَلَى الْقِطْمِيرِ وَالنَّقِيرِ، أَتَاهُ قَاطِعُ الْأَجَلِ يَحُثُّ رِكَابَهُ، بِأَفْصَى الْعَجَلِ. وَصَدَرَتْ عَنْهُ أَبْيَاتٌ خَضَمَ فِيهَا وَقْضَمَ، وَحَصَلَ تَحْتَ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ مَعَ مَنْ نَظَمَ.

وَفِي وَصْفِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَرْدٍ

كَوْدُنُ³ حَلَبَةِ الْأَدَابِ، وَسَنَوْرُ⁴ عَبْدِ اللَّهِ بَيْعَ بَقِيرَاطٍ لَمَّا شَابَ. هَامَ بِوَادِي الشَّعْرِ مَعَ مَنْ هَامَ، وَاسْتَمْتَرَ مِنْهُ الْجَهَامَ، فَجَاءَ بِأَبْيَاتٍ أَوْهَنَ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ نَسْجاً⁵، وَمَقَاصِدَ لَا تُبِينُ قَصْداً وَلَا نَهْجاً. وَلَهُ بَيْتٌ مَعْمُورٌ بِقُضَاةٍ أَكَابِرَ، فُرْسَانِ أَفْلَامٍ وَمَحَابِرِ⁶، وَعُمَالٍ قَادُوا الدَّهْرَ بِأَزْمَةِ أَرِمَتِهِمْ، وَقَرَعُوا الزَّهْرَ بِهَمَّتِهِمْ.

- قال تعالى: {قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا} سورة طه، الآية: 97¹
 - ع، م: "يحيط"²
 - "الكودن: البرذون" لسان العرب / كدن: 35 / 13³
 - "السنور: جملة السلاح، وخص بعضهم به الدروع" لسان العرب / سنر: 274 / 7⁴
 - قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} سورة العنكبوت، الآية: 41⁵
 - ع: "مقاصد"⁶

وَتَكَاثَرَتْ عَلَيْهِ رَحِمَةُ اللَّهِ - الإِجْنُ¹ وَتَعَاوَرَتْهُ الْمِحْنُ، وَتَصَرَّفَ آخِرَ عُمْرِهِ فِي بَعْضِ
الْأَعْمَالِ الْمَخْزَنِيَّةِ، فَتَعَلَّلَ بِنَزْرِ الْقُوْتِ إِلَى الْأَجَلِ الْمَوْفُوتِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعِرَاقِيِّ الْوَادِي أَشِي

مَعْدُودٌ فِي وَقْتِهِ مِنْ أَدْبَائِهِ، وَمَحْسُوبٌ فِي أَعْيَانِ بَلَدِهِ وَحُسَبَائِهِ. كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْ أَهْلِ
الْعَدَالَةِ [وَالْخَيْرِ]²، سَائِرًا عَلَى مَنَهِجِ الاسْتِقَامَةِ أَحْسَنَ السَّيْرِ، وَلَهُ أَدَبٌ لَا يَقْصُرُ عَنِ السَّدَادِ، وَإِنْ
لَمْ يَكُنْ بَطْلًا فَمِمَّنْ يَكْثُرُ السَّوَادُ. وَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ مَا عَثَرْتُ عَلَيْهِ، مِمَّا يُنْسَبُ النَّاسُ إِلَيْهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ الْجَوَالِ الْمَالِقِيِّ

مُفْتَرٍ³ غَيْرُ قَانِعٍ، وَمُنْتَجِعٌ كُلَّ هَشِيمٍ وَيَانِعٍ. نَشَأَ بِبَلَدِهِ مَالِقَةَ، أَبْرَعُ مَنْ أُوْرَدَ الْبِرَاعَةُ فِي نَفْسٍ،
وَهَزَّ غُصْنَهَا فِي رَوْضَةِ طَرْسٍ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سَخَافَةِ عَقْلِهِ، وَفُغُودِهِ تَحْتَ الْمَثَلِ أَخْبَرَ تَقْلَهُ، لَا
يَرْتَبِطُ إِلَى رُتْبَةٍ، وَلَا يَنْتَمِي إِلَى عُصْبَةٍ، وَلَا يَتَلَبَّسُ بِسَمْتٍ، وَلَا يَسْتَقِيمُ مِنْ أُمْتٍ.

أَخْبَرَنِي مَنْ عُنِيَ بِخَبْرِهِ، وَذَكَرَ عِبْرَهُ مِنْ صِبَاهُ إِلَى كِبَرِهِ، أَنَّهُ رُشَّحَ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ، وَعُرِضَ
لَاكْتِسَابِ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ، وَخُلِعَتْ عَلَيْهِ كِسْوَةٌ فَاخِرَةٌ، وَشَارَةُ بَرْهَرِ الرِّيَاضِ سَاخِرَةٌ، فَانْقَادَ طَوْعَ
حِرْمَانِهِ، وَنَبَذَ صَفْقَةَ زَمَانِهِ، وَحَمَلَهُ فَرَطُ النَّهْمِ عَلَى أَنْ ابْتِغَاةً فِي حَجْرِهَا طَعَامًا كَثِيرَ الدَّسَمِ، وَأَقْبَلَ
وَأَذْيَالُهُ مِنْهُ تَقْطُرُ بِاللَّبَنِ الْأَشْطَرِ، فَطُرِدَ وَنُبِذَ، وَطُرِحَ بَعْدَمَا جُبِدَ. لَقِيْتُهُ بِمَالِقَةَ، وَقَدْ تَغَلَّبَتْ عَلَيْهِ
زَمَانَةُ عَيْنِيَّةٍ، وَسَقَطَ فِي يَدَيْهِ، فَانْتَابَنِي بِأَمْدَاحِهِ، وَتَعَاوَرَنِي بِأَجَاجِهِ وَقَرَّاجِهِ.

- ع: "الإِجْن" ¹

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م ²

- ع، م: "معتَر" ³

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ الْوَرَّادِ الْمَالِقِيِّ

أَدِيبٌ نَارُ فِكْرِهِ يَتَوَقَّدُ، وَأَرِيبٌ لَا يُعْتَرِضُ كَلَامُهُ وَلَا يُنْقَدُ. أَمَّا الْهَزْلُ فَهُوَ طَرِيقَتُهُ الْمُتَلَى، رَكَضَ فِي مِيدَانِهَا وَجَلَّى، وَطَلَعَ فِي أَفْقِهَا وَتَجَلَّى، فَأَصْبَحَ عِلْمٌ أَعْلَامِهَا، وَعَابَرَ أَخْلَامِهَا. إِنَّ أَخَذَ بِهَا فِي وَصْفِ الْكَاسِ، وَذَكَرَ الْوَرْدِ وَالْآسِ، وَالْمَ بِالرَّبِيعِ وَفَصْلِهِ، وَالْحَبِيبِ وَوَصْلِهِ، وَالرَّوْضِ وَطَيْبِهِ، وَالْعَمَامِ وَتَقْطِيبِهِ، شَقَّ الْجُيُوبَ طَرَبًا، وَعَلَّ النَّفُوسَ إِرْبًا وَضَرْبًا، وَإِنْ أَشْفَقَ لِاعْتِلَالِ الْعَشِيَّةِ، فِي فُرْشِ الرَّبِيعِ الْمُوشِيَّةِ، ثُمَّ تَعَدَّاهَا إِلَى وَصْفِ الصَّبُوحِ، وَأَجْهَزَ عَلَى الزُّقِ¹ الْمَجْرُوحِ، وَأَشَارَ إِلَى نَعَمَاتِ الْوَرَقِ [يَرْفُلْنَ فِي الْحُلَلِ الزُّرْقِ]² وَقَدْ اشْتَعَلَتْ فِي غَيْرِ اللَّيْلِ نَارُ الْبَرْقِ، وَطَلَعَتْ بُنُودُ الصَّبَاحِ فِي شُرَفَاتِ الشَّرْقِ.

سَلَبَ الْحَلِيمَ وَقَارَهُ، وَذَكَرَ الْخَلِيعَ كَأَسَهُ وَعَقَارَهُ، وَحَرَّكَ الْأَشْوَاقَ بَعْدَ سُكُونِهَا، وَأَخْرَجَهَا مِنْ وَكُونِهَا بِلِسَانٍ يَتَزَاوَحُ عَلَى مَوْرِدِ الْخِيَالِ، وَيَتَدَفَّقُ مِنْ حَافَاتِهِ الْأَدَبُ السِّيَالُ، وَيَبَيِّنُ يُقِيمُ أَوَدَ الْمَعَانِي، وَيُشِيدُ مَصَانِعَ اللَّفْظَةِ مُحْكَمَةَ الْمَبَانِي، وَيَكْسُو حُلَّ الْإِحْسَانِ جُسُومَ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي، إِلَى نَادِرَةٍ لِمِثْلِهَا يُشَارُ، وَمُحَاضِرَةٍ يُجْنَى بِهَا الشَّهْدُ وَيُنَارُ.

وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ شِعْرِهِ الْمُغْرِبِ، وَإِنْ كَانَ لَا يَتَعَاطَاهُ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا يُجَاوِرُهُ إِلَّا تَعْلِيلًا، أُنْبَيَاتًا لَا تَخْلُو مِنْ مُسْحَةِ جَمَالٍ عَلَى صَفَحَاتِهَا، وَهَبَّةٍ طِيبٍ تَنُمُ فِي نَفَحَاتِهَا.

- "الزُّق: طائر صغير من طير الماء يمكن حتى يكاد يقبض عليه ثم يغوص فيخرج يعيدا" لسان العرب/ زقق: 43 / 7¹
- أ: ساقط، والزيادة من ع، م²

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبِ أَبِي الْأَصْبُعِ عَزِيزِ بْنِ مَطْرِفٍ

طَرِيفُ السَّجِيَّةِ، كَثِيرُ الْأَرِيحِيَّةِ، ارْتَحَلَ مِنْ لَوْقَةٍ -فَتَحَهَا اللَّهُ- وَاتَّخَذَ الْمَرِيَّةَ دَارًا، وَلِيفَ بِهَا اسْتَقْرَارًا إِلَى أَنْ دَعَاهُ بِهَا دَاعِيهِ، وَقَامَ فِيهَا نَاعِيهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنْشَدَنَا الْحَكِيمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حُبَيْشٍ مِنْ شِعْرِهِ، قَالَ أَخَذْتُهُ عَنْ مُعَنَّ يُنْشِدُهُ، فَقُلْتُ بِهِ النَّقَّةُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضِيلَةَ

شَيْخُ أَخْلَاقِهِ لَيِّنَةٌ، وَنَفْسُهُ كَمَا قِيلَ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ هَيِّنَةٌ، يَنْظُمُ الشَّعْرَ عَذْبًا مَسَافُهُ، مُحْكَمًا اتِّسَافُهُ، عَلَى فَاقَةٍ، وَحَالٍ مَا لَهَا مِنْ إِفَاقَةٍ. أَنْشَدَ الْمَقَامَ الْكَرِيمَ يَظَاهِرُ بِلَدِهِ قَصِيدَةً، اسْتَغْرَبَ مِنْهَا مُنْزَعُهَا، وَاسْتَعَذَّبَ مِنْ مِثْلِهِ مُشْرِعُهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ الْوَرَشِيدِي

مِنْ أَيْمَةِ أَهْلِ الزَّمَامِ، خَلِيقٌ بَرَعِي الْمَتَاتِ وَالذَّمَامِ، [ذُو حَظٍّ كَمَا تَفْتَحُ زَهْرُ الْكِمَامِ] وَأَخْلَاقٌ أَعَذَّبُ مِنْ مَاءِ الْعَمَامِ، كَانَ بِبَلَدِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بِدَارٍ إِشْرَافِهِ مُحَاسِبًا، وَدُرًّا فِي لُجَّةِ الْإِغْفَالِ رَاسِبًا، صَاحِبِ الْعَمَلِ، [يَلْبَسُ الطُّرُوسَ مِنْ بَرَاعَتِهِ أَسْنَى الْحُلَلِ]. وَلَهُ شِعْرٌ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا خَفَاءَ بِفَضْلِ مَذْهَبِهِ¹

- ع: ساقط¹

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَنْظُورٍ¹

عَظِيمُ الْهَشَّةِ حَسَنُ اللَّقَاءِ، أَغْرَبُ فِي حُسْنِ الْمُدَارَةِ مِنَ الْعَقَائِ، اسْتَمَرَّ عُمُرُهُ بِتَسْدِيدِ الْحُكْمِ،
وَصَبِرَ عَلَى حُجَجِ الصُّمِّ وَالْبُكْمِ، وَأَفْرَطَ فِي هَشْتِهِ وَهَزَّتِهِ، وَتَنَزَّلَ عَنْ نَخْوَةِ الْقَضَاءِ وَعِزَّتِهِ. وَلَهُ
سَلَفٌ فِي الْقَضَاءِ عَالِي الْمَرَاقِبِ، مُزَاحِمُ النَّجْمِ النَّاقِبِ. وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ شِعْرِهِ مَا تَيَسَّرَ إِنْبَاتُهُ، وَنَجَمَ
بِرَوْضِ هَذَا الْمَجْمُوعِ نَبَاتُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْقَاضِي أَبِي جَعْفَرِ بْنِ بَرْطَالٍ²

قَاضٍ تَوَارَثَ كُلَّ جَلَالَةٍ، لَا عَنْ كَلَالَةٍ، وَجَمَعَ فِي الْعِلْمِ وَالْحَسَبِ، بَيْنَ الْمَوْزُونِ وَالْمُكْتَسَبِ.
أَشْرَفَ بِجِدِّ مُعَمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُحُولٍ، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا مِنْ مَنُفُولٍ وَمُنَاقِلٍ، إِلَى نَزَاهَةٍ لَا تَغُرُّهَا³
الْبَيْضَاءُ وَلَا الصَّفَرَاءُ، وَحِلْمٍ لَا تَسْتَهْوِيهِ السَّعَايَةُ، وَلَا يَسْتَفِزُّهُ الْإِغْوَاءُ، وَوَقَارٍ يَسْتَخِفُّ الْجِبَالَ
الرَّاسِيَةَ، وَنَظَرَ يَكْشِفُ الظُّلَمَ الْعَاشِيَةَ.

- "محمد بن عبد الله بن منظور القيسي من أهل مالقة يكنى أبا بكر، أصله من إشبيلية، من البيت المشهور بالتعيين والتقدم، والأصالة، تشهد بذلك جملة أوضاع، منها الروض المحظور ي أوصاف بني منظور. وغيره" الإحاطة، 2/ 56

- "أبو جعفر بن برطال - هو أحمد بن محمد بن علي الأموي يكنى أبا جعفر ويعرف بابن برطال، كان من أهل الخير والانقباض والعفة والوقار يتكسب بصناعة التوثيق، ثم أصبح قاضيا لغرناطة وإماما بمسجدها الأعظم حتى عام 741 وتوفي بمالقة سنة 750" نفح الطيب، 3/ 449

- م: "تعزها"³

تَوَلَّى قَضَاءَ الْحَضْرَةِ، فَأَنْفَذَ الْأَحْكَامَ وَأَمْضَاهَا، وَشَامَ سُيُوفَ الْجَزَالَةِ وَانْتَضَاهَا¹، وَلَبَسَ أَثْوَابَ
النِّزَاهَةِ وَالْإِنْقِبَاضِ فَمَا نَضَاهَا. وَسَلَكَ الطَّرِيقَ الَّذِي اخْتَارَهَا السَّلَفُ وَارْتَضَاهَا، فَاجْتَمَعَتِ الْأَهْوَاءُ
الْمُفْتَرِقَةُ عَلَيْهِ، وَصَرَفَ النَّاءُ أَعِنَّةَ الْأَلْسُنِ إِلَيْهِ، ثُمَّ كَرَّ إِلَى بَلَدِهِ، وَاسْتَقَرَّ حَظِيْبًا بِقَرَارَةِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْفَقِيهِ أَبِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ

مُنْتَمٍ إِلَى مَعْرِفَةٍ، مُتَّصِفٌ مِنَ الذِّكَاةِ بِأَحْسَنِ صِفَةٍ، أَفْرَأُ بِبَلَدِهِ عِلْمَ اللِّسَانِ، وَمَا حَادَ عَنْ
الْإِحْسَانِ، وَعَانَى الشَّعْرَ فَنَظَّمَ قَوَافِيَهُ، وَمَا تَكَلَّفَ فِيهِ، وَعَلَى غَرَارَةِ مَادَّتِهِ، وَوُضُوحِ جَادَّتِهِ، فَشِعْرُهُ
قَلِيلُ الْبَشَاشَةِ، ذَاهِبُ الْحُشَاشَةِ، وَذُو الْإِكْثَارِ، كَثِيرُ الْعِثَارِ. وَلَهُ سَلَفٌ يَخُوضُ فِي الْحَقَائِقِ، وَيَنْتَحِلُ
بَعْضَ الْكَلَامِ الرَّائِقِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عُثْمَانَ الْغُلُقِيِّ²

مُنْتَمٍ بِدِينٍ وَعِفَّةٍ، أَوْ إِلَى نَفْسٍ بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى مُسْتَخِفَّةٍ، مِمَّنْ يَنْزِعُ إِلَى سُلُوكِ وَرِيَاظَةِ،

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عُثْمَانَ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ

مِمَّنْ يَتَشَوَّفُ إِلَى الْمَعَارِفِ وَالْمَقَالَاتِ، وَيَرْتَاحُ إِلَى الْحَقَائِقِ وَالْمُحَالَاتِ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى نَفْسٍ
رَقِيقَةٍ، وَيَسِيرُ مِنْ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ عَلَى خَيْرِ طَرِيقَةٍ، وَيُعَانِي مِنَ الشَّعْرِ مَا يَشْهَدُ بِنُبُلِهِ، وَيُسْتَظَرَفُ³
مِنْ مِثْلِهِ.

-م: "امتضاها" ¹

-ع: ساقط ²

-ع: "يستظرف" ³

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْمُقَرِّي أَبِي الْقَاسِمِ الْحَرَالِيِّ¹

مُشَمَّرٌ فِي الطَّلَبِ عَنْ سَاقٍ، مُثَابِرٌ عَلَى اللَّحَاقِ بِدَرَجَاتِ الْحِذَاقِ، مُنْتَحِلٌ لِلْعَرَبِيَّةِ جَادٌ فِي
إِحْصَاءِ خِلَافِهَا، وَمُعَاطَاةِ سُلَافِهَا. وَرُبَّمَا شَرَسَتْ فِي الْمَذَاكِرَةِ أَخْلَافُهُ، إِذَا بَهَرَجَتْ أَعْلَافُهُ، وَتُوزَعُ
تَمَسُّكُهُ بِالْحُجَّةِ وَاعْتِلَافُهُ، وَرَحَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَاسْتَجْدَى بِالشَّعْرِ سُلْطَانَهُ، ثُمَّ رَاجَعَ أَوْطَانَهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْفَقِيهِ الصُّوفِيِّ أَبِي جَعْفَرِ الْعَاشِقِ²

مُنْتَمٍ إِلَى زُهْدٍ، بَازِلٌ فِي التَّمَاسِ الْخَيْرِ كُلِّ جُهْدٍ. نَظْمُهُ لَا يَخْلُو مِنْ حَلَاوَةٍ، وَمَعَانِيهِ فِي
طَرِيقَتِهِ عَلَيْهَا بَعْضُ طَلَاوَةٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ السَّاحِلِيِّ³

كَاتِبُ سِجَلَاتٍ لَا يُسَاجَلُ فِي صِحَّةِ فُصُولِهَا، وَتَوْقِيعِ فُرُوعِهَا عَلَى أُصُولِهَا، وَكُلَّمَا طَلَبَ بِالنَّظْمِ
الْقَرِيحَةَ، وَأَعْمَلَ الْفِكْرَةَ الصَّرِيحَةَ، مَعَ إِقْلَالِهِ، وَعَدَمِ اسْتِعْجَالِهِ، أَجَابَتْ وَلَبَّتْ، وَتَنَسَّمتْ رِيَاحُهَا
وَهَبَّتْ.

- أبو القاسم الحرالي: حذق اللغة العربية وخلافها، توفي بالطاعون عام خمسين وسبع مائة "نفح الطيب"، 6/ 135¹
- "أحمد بن محمد التجيبي. من أهل المرية، وسكن أندرش، أبو جعفر، ويعرف بالعاشق، وكان يتسبب بالخرابة على حالة من
الاقتصاد. وكانت له مشاركة في علم العدد وصناعة التكسير، وتوفي رحمة الله علينا وعليه، بالمرية قبل 730" درة الحجال، 1/

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّبِيخِ

عَدْلٌ، وَمِمَّنْ لَهُ وَقَارٌ وَفَضْلٌ، مُتَّسِمٌ بِخَيْرِيَّةٍ، مُشْتَمِلٌ بِصِفَاتٍ مَرْعِيَّةٍ، يُلَمُّ بِالنَّظْمِ فِي الطَّرِيقَةِ

الصُّوفِيَّةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ قَيْسٍ

مِمَّنْ يَرْكُضُ مَرْكَبَ الطَّيِّشِ، وَيَأْوِي بَعْدَ الْجُهْدِ إِلَى شَطَفِ الْعَيْشِ، مُنْقَبِضٌ عَنِ الْخَلْقِ، سَالِكٌ

مِنَ التَّمَعُّشِ بِالتَّعْلِيمِ أَفْضَلَ الطَّرِيقِ، لَا يَعْدُمُ مَعَ ذَلِكَ حَمَلًا عَلَيْهِ، وَتَسَبُّبًا فِي مُوَاجَدَتِهِ إِلَيْهِ. قَصَدَنِي

وَقَدْ نَبَا بِهِ الْوَطَنُ، وَضَاقَ مِنْهُ لِلتَّغَرُّبِ الْعَطَنُ، يَطْلُبُ مِنِّي شَفَاعَةً إِلَى بَعْضِ الْقُضَاةِ مِمَّنْ كَانَ

يَطْلُبُهُ، وَيَقْبَلُ فِيهِ شَهَادَةً مَنْ يَتْلُبُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ السَّكَّاكِ الْغَرْنَاطِيِّ

مُتَسَوِّرٌ عَلَى بُيُوتِ الْقَرِيضِ، فِي الطَّوِيلِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْعَرِيضِ، جَامِعٌ مِنْهَا بَيْنَ الصَّحِيحِ

وَالْمَرِيضِ، مِمَّنْ أَطَاعَتْهُ بَرَاعَةُ الْخَطِّ، وَسَلَمَتْ لِفُضْبِ أَقْلَامِهِ رِمَاحُ الْخَطِّ. عَانَى كِتَابَةَ الشُّرُوطِ

لِأَوَّلِ أَمْرِهِ، وَلَحِقَتْهُ مِحْنَةٌ مِنْ مَحَنِ دَهْرِهِ. وَهُوَ الْآنَ يَشْهَدُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَخْزَنِيَّةِ فِي بَعْضِ الْأَلْقَابِ،

وَيُلَازِمُ دَارَ الْحِسَابِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْوَزِيرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْخَزَائِي¹

صَاحِبُ طَبْعٍ يَحْتَهُ، وَشَجْوٍ لَا يَزَالُ يَبْنُهُ، وَنَاطِقٌ مُتَوَقِّدٌ، وَفِكْرٌ لِرَوَايَا الظُّنُونِ مُتَوَقِّدٌ. خَدَمَ فِي كِبَارِ الْأَعْمَالِ، وَقَادَ أَرْمَةَ الْأَمْوَالِ، وَتَرَقَّى فِي الْبَسَاطِ السُّلْطَانِي رُتْباً رَفِيعَةً الْمَنَالِ، وَلِسَلَفِهِ فِي الْخِدْمِ الْعَلِيَّةِ الْإِسْتِهَارُ، وَالْبَرَاةُ الْوَاضِحَةُ كَمَا وَضَحَ النَّهَارُ، وَالظَّرْفُ الَّذِي تَحْسُدُهُ الْأَزْهَارُ، وَشِعْرُهُ وَاضِحٌ السُّهُولَةِ، جَارٍ عَلَى الْمَآخِذِ الْمَقْبُولَةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْحَاجِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْخِ

شَاعِرٌ مُجِيدٌ حَوْكَ الْكَلَامِ، وَلَا يَقْصُرُ عَنْ دَرَجَاتِ الْأَعْلَامِ. رَحَلَ إِلَى الْحِجَازِ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ، وَجَدَّةَ عُمْرِهِ، فَطَالَ بِالْبِلَادِ الْمَشْرِقِيَّةِ ثَوَاؤُهُ، وَعَمِيَتْ أَنْبَاؤُهُ. وَعَلَى هَذَا الْعَهْدِ وَقَعْتُ عَلَى قَصِيدَةٍ بِخَطِّهِ غَرَضُهَا نَبِيلٌ، وَمَرْعَاهَا غَيْرُ وَبِيلٍ، تَدُلُّ عَلَى نَفْسٍ وَنَفْسٍ، وَإِضَاءَةٍ قَبَسٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ الرَّعِينِي

يَخُوضُ فِي الْأَدَبِ، وَيَتَمَسَّكُ مِنْهُ بِبَعْضِ السَّبَبِ، وَعُذْرٌ مِثْلُهُ وَاضِحُ الْمَذْهَبِ وَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَذْهَبٌ فِي الْفَضْلِ وَاضِحٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْفَقِيهِ الْخَيْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ السَّكَنِ الْأَنْدَرَشِيِّ

لَيْقٌ ذَكِيٌّ، طَبْعُهُ غَيْرُ بَكِيٍّ، سَكَنَ الْبَادِيَّةَ إِمَامًا، وَأَقَامَ بِهَا أَعْوَامًا، وَلَهُ فِي ذَلِكَ مَقَامَةٌ جَلَّتْ مِنَ الظَّرْفِ مَقَامًا، وَاسْتَوَفَتْ مِنَ الذِّكَاةِ أَفْسَامًا.

- ع، م: "المراني" ¹

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْعَدْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُطَّانِ

مِمَّنْ نَبَغَ وَنَجَبَ، وَحَقَّ لَهُ الْفَضْلُ بِذَاتِهِ وَوَجَبَ. تَحَلَّى بِوَقَارٍ، وَشَعَشَعَ لِلْأَدَبِ كَأَسْ عُقَارٍ، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَرَمَ فِي اقْتِبَالٍ، وَأُصِيبَ لِلْأَجَلِ بِنِبَالٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَلْبُطُورٍ¹

مَجْمُوعُ شِعْرِ وَحَظٌّ، وَذَكَاءٌ عَنِ دَرَجَةِ الظُّرْفَاءِ غَيْرِ مُنْحَطٍّ، إِلَى مَجَادَةِ أَثِيلَةِ الْبَيْتِ، شَهِيرَةِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ. نَشَأَ فِي حَجَرِ الشَّرَفِ وَالنُّعْمَةِ، مَخْفُوفًا بِالْمَالِيَةِ الْجَمَّةِ، فَلَمَّا عَقَلَ عَنْ ذَاتِهِ، وَتَرَعَرَ بَيْنَ لِدَاتِهِ، رَكَّضَ خُيُولَ لِدَاتِهِ، فَلَمْ يَدَعْ مِنْهَا رُبْعًا إِلَّا أَفْقَرَهُ، وَلَا عَقَارًا إِلَّا عَقَرَهُ، حَتَّى حَطَّ بِسَاحِلِهَا، وَاسْتَوَلَى بِسَفَرِ الْأَنْفَاقِ عَلَى جَمِيعِ مَرَاحِلِهَا، إِلَّا أَنَّهُ خُلِصَ بِنَفْسٍ طَيِّبَةٍ، وَسَرَاوَةٍ سَمَاوُهَا صَيِّبَةٌ، وَتَمَتَّعَ مَا شَاءَ مِنْ زِيرٍ² وَبِمٍّ، وَأُنْسٍ لَا يُعْطِي الْقِيَادَ لَهُمْ، وَفِي عَفْوِ اللَّهِ سَعَةً، وَلَيْسَرٍ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ضَعَةً.

- ع: "شَلْبُطُور" أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي يكنى أبا جعفر ويعرف بابن شَلْبُطُور، من أهل المرية وأعيانها، كان من صدور أهل الأدب، ومهرة الشعراء والكتاب، مع حظ وافر من صناعة الطب، ومشاركة في العربية واللغة. أخذ عن الأستاذ أبي القاسم بن محمد بن الأصغر الحارثي وفي الطب عن هارون اليهودي طبيب ابن الرميحي. وله نظم. توفي في صفر سنة 704 وسنه ست وتسعون سنة "درة الحجال"، 1/ 125

1

- "الزَّيْر: الدَّن" لسان العرب / زير: 87 / 7²

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْعَدْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُشْتَمِلِ الْبُلْبَاتِي¹

مِمَّنْ يُعَدُّ وَيُحْسَبُ، وَيُمْنَى² إِلَى الْفَضْلِ وَيُنْسَبُ. أَدَوَاتُهُ بَارِعَةٌ، وَخِصَالُهُ فَارِعَةٌ، مِنْ خَطِّ ظَرِيفٍ³ وَأَدَبٍ وَتَأْلِيفٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْمُؤَلِّفِ

سَلْمَانُ انْتِسَابِي، وَبِالْمَعَارِفِ الْأَدَبِيَّةِ اكْتِسَابِي، وَالْإِلَى الْعُلُومِ مُنْذُ نَشَأْتُ ارْتِيَا حِي، وَفِي حَلْبَةِ أَرْبَابِ النَّظَرِ مَغْدَايَ وَمِرَاجِي، عَلَى نِهَائِيَّةٍ مِنْ تَرْفِ النَّشْأَةِ وَعِرِّ الْبَدَاةِ، إِلَى أَنْ اشْتَمَلْتُ عَلَى الدَّوْلَةِ النَّصْرِيَّةِ اشْتِمَالًا، وَنَظَّمْتَنِي بَيْنَ بُدُورِهَا الْكَوَامِلِ هَلَالًا، فَسَمَوْتُ فِي رُتَبِ اعْتِنَائِهَا حَالًا فَحَالًا، وَتَأَلَّلْتُ مَا شِئْتُ جَاهًا وَمَالًا، وَجَعَلْتُ مُشَارَكَةَ الْخَلْقِ ثِمَالًا.

فَأَنَا الْيَوْمَ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ لَهَا- عُطَارِدُ فَلَكِيهَا، وَزِيرِقَانُ حَلَكِيهَا، وَدَلِيلُ مَسْلَكِيهَا، أَقُومُ بَيْنَ يَدَيِ سَرِيرِهَا وَالْوُفُودُ قُعُودٌ، وَأَجْلُو الْغَيْمِ عَنْ شَمْسِيهَا، وَالْجَوُّ بُرُوقٌ وَرُعُودٌ، وَأُبَادِرُ نِدَاءَهَا إِنْ كَانَتْ هَيْعَةً، وَأُمْسِكُ مِنْهَا الْيَمِينَ إِنْ هَمَّتْ بِتَجْدِيدِ بَيْعَةٍ. فَمِنْ اخْتَالٍ فِي حُلِّ هَذَا التَّشْرِيفِ، غَنِي عَنِ التَّعْرِيفِ.

وَأَمَّا شِعْرِي فِي امْتِدَاحِهَا فَمَثَلُ سَائِرٍ، وَطَائِرٌ فِي الْآفَاقِ مَيْمُونُ الطَّائِرِ. وَأَمَّا كِتَابَتِي عَنْهَا فَأَبْهَى مِنْ وُجُوهِ الْبَشَائِرِ، وَأَحْلَى مِنَ الشَّهَدِ فِي يَدِ السَّائِرِ. نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فَهَذَا مَقَامُ مَنْ نَأَى عَنِ

- "أبو عبد الله بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي البلباتي: ولي قضاء غربي مالقة وناب في شريقيها، توفي سنة 736هـ" الكتيبة، ص: 65¹

- ع: "ينمي"²

- م: "طريف"³

جَنَسِهِ، وَرَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ، كَمْ دُونَ ذَلِكَ مِنْ تَقْصِيرٍ، يَبْدُو لِعَيْنِ نَاقِدٍ وَبَصِيرٍ. سَتَرَ اللَّهُ عُيُوبَنَا، وَبَلَّغَنَا مِنْ كَمَالِ السَّعَادَةِ الْأَدْبِيَّةِ مَطْلُوبَنَا بِمَنَّهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ الْكَاتِبِ

فَارِسُ خِصَالِ حَمِيدَةٍ، وَرَاشِقٌ إِلَى هَدَفِ الْإِصَابَةِ بِسِهَامِ سَدِيدَةٍ، فَإِنْ جَلَا فِي الْمَهَارِقِ إِحْسَانُهُ، وَأَعْمَلَ فِي الرِّقَاعِ بَنَانُهُ، حَسَدَ عُطَارِدُ طَرْفِهِ، وَحَدَقَ الْمُشْتَرِي إِلَى تِلْكَ الْبِضَاعَةِ طَرْفُهُ. دُعِيَ إِلَى الْكِتَابَةِ فَافْتَعَدَ مَطَاهَا، وَأَدَارَ كُؤُوسَهَا وَعَاطَاهَا. وَلَمْ يَزَلْ يُجِيلُ جِيَادَهُ فِي كُلِّ مِيدَانٍ، وَيُبْدِي مِنْ بَرَاعَتِهِ مَا لَيْسَ لِسِوَاهُ بِمِثْلِهِ يَدَانِ، حَتَّى تَأْوَدَ دَوْحُهُ، وَتَعَطَّرَ رَوْحُهُ.

ثُمَّ رَمَدَ بَعْدَمَا شَوَى، وَأَحْدَثَ عَقِبَهُ مَا نَوَى. وَجَبَحَ إِلَى خُطَّةِ الْأَشْرَافِ، فَجَمَلَ وَمَا أَجْمَلَ، وَأَغْفَلَ الْحَزَمَ وَمَا تَأَمَّلَ، وَأَهْمَلَ سُنَنَ الْأَشْرَافِ فِيمَا أَهْمَلَ. وَالْجَاهُ ضَيِّقٌ عَطْنُهُ، إِلَى فِرَاقِ وَطْنِهِ، وَيَنْتَحِلُ شِعْرًا يَسْطَعُ أَرْجُهُ، وَيَسْمُو مُنْعَرَجُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّرِيشِيِّ¹

طَالِبٌ نَبِيلٌ، لَا يَلْتَبِسُ مِنْ مَذَاهِبِهِ سَبِيلٌ. أَبُوهُ وَرَاقٌ هَذِهِ الْأَقْطَارِ، الَّذِي طَارَ اشْتِهَارُهُ كُلَّ الْمَطَارِ، فَقَلَّمَا تَجَدُّ بَلَدًا مَذْكُورًا، بَلْ بَيْتًا مَعْمُورًا إِلَّا وَبِهِ مِنْ خَطِّهِ شَيْءٌ مَعْرُوفٌ، إِنْ لَمْ تُلَفْ مِنْهُ صُنُوفٌ أَوْ أُلُوفٌ. وَنَشَأَ ابْنُهُ طَالِبًا ذَكِيًّا، وَقَطِنًا لَوْدَعِيًّا، وَفَاضِلًا سَرِيًّا.

- "محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني، أبو عبد الله الشريشي، أحد تلامذة ابن الخطيب، وهو الذي جمع الإحاطة، كان حيا سنة 773هـ/ 1375 م". الكتيبة، ص: 213.¹

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ اللُّلُؤَةُ¹

فَاضِلٌ مُنْقَبِضٌ، مُضْطَلَعٌ بِجَبَلِ الرَّوَايَةِ مُنْتَهِضٌ. رَحَلَ إِلَى الْحَجَّازِ الشَّرِيفِ، وَهُوَ اللُّلُؤَةُ لَفْظاً وَمَعْنًى، وَتَحَمَّلَ² فِي الْعِنَايَةِ بِالرَّوَايَةِ وَتَعَنَّى، وَكَلَفَ بِهَا كَلَفَ قَيْسٍ بِلُبْنَى، حَتَّى هَصَرَ مِنْهَا كُلَّ عَذْبِ الْمَجْنَى، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ بَرَكَةٌ مَقْصِدِهَا الْأَسْنَى.

وَأَبَ إِلَى بِلَادِهِ، وَهُوَ خَلَقٌ جَدِيدٌ، وَظِلُّ عَفَافُهُ عَرِيضٌ مَدِيدٌ، فَاجْتَلَبَ مِنَ الْفَوَائِدِ الْمَشْرِقِيَّةِ وَالطَّرَفِ الْمَأْثُورَةِ عَمَّنْ لَقِيَ مِنَ الْبَقِيَّةِ، مَا أُوجِبَ لَهُ نَيْلَ الْمَزِيَّةِ، وَنُبُلَ الرَّحَلَةِ الْحَجَّازِيَّةِ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ هَلَكَ بِحِصْنِ قُمَارِشَ بَلَدِ أَهْلِهِ، وَخَبَتْ أَنْوَارُ فَضْلِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَاتِمَةَ³

حَسَنُ السِّمَةِ ظَرِيفُهَا، مَقْبُولُ النَّزَاعَةِ طَرِيفُهَا. لَبِيتُهُ فِي خِدَامِ الْجَبَايَةِ شُهْرَةً دَائِعَةً، وَنَبَاهَةً شَائِعَةً، فَهُمْ فُرْسَانُ الْأَزِمَّةِ، وَقَوَامُ تِلْكَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ، حَادَ عَنْ طَرِيقِهِمْ، وَمَالَ عَنْ مُرَافَقَةِ فَرِيقِهِمْ، وَجَنَحَ إِلَى الْعَدَالَةِ، وَأَنْفَ مِنَ الْإِدَالَةِ، فَتَحَلَّى بِالْخَيْرِيَّةِ وَتَوَشَّحَ، وَتَرَفَّقَى بِسَبَبِهَا وَتَرَشَّحَ. وَلَهُ أَدَبٌ نَبِيلٌ، وَسَمْتُ وَضَحَ مِنْهُ فِي النَّزَاهَةِ سَبِيلٌ.

- "يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن اللؤلؤة، أصله من جهة قمارش... توفي معتبطاً في وقعة الطاعون عام خمسين وسبعماية، خطيباً بحصن قمارش" الإحاطة في أخبار غرناطة، 885/3¹

- ع: "تجمل"²

- محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري: "ضمن أهل المرية، يكنى أبا عبد الله. الإحاطة في أخبار غرناطة: 252/3³

وَفِي وَصْفِ أَبِي يَحْيَى بْنِ دَاوُدَ

مُتَحَلٍّ مِنَ الْحَيَادِ وَالْعَفَافِ، بِأَحْسَنِ الْحُلِيِّ وَالْأَوْصَافِ، مُسْتَظِلٌّ مِنْ فَضْلِ سَلَفِهِ بِرُوحِ دَانِي الْقِطَافِ. أَبُوهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- شَيْخُ الْعُمَالِ الَّذِي لَا يُدَافِعُ عَنْ مَنَقَبَةٍ جَلِيلَةٍ، وَلَا يُزَاحِمُ فِي بَابِ مَأْثَرَةٍ جَمِيلَةٍ. وَجَاءَ وَلَدُهُ هَذَا، جَارِيًّا عَلَى عَقِبِهِ، سَالِكًا عَلَى السَّبِيلِ الْأَلْيَقِ بِهِ، لَوْلَا أَنَّ الْحِمَامَ اخْتَرَمَهُ سَرِيعًا، وَأَذْبَلَ مِنْهُ غُصْنًا مَرِيعًا.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْبَقَاءِ

هَشُوشٌ مَقْبُولٌ، مُتَخَلِّقٌ حُمُولٌ، وَوَعْدُهُ بِالْمُشَارَكَةِ مَفْعُولٌ، تَعَرَّضَ بِالْبَابِ الْعَلِيِّ وَاقْتَحَمَ، وَتَقَدَّمَ فَمَا أَحْجَمَ، وَأَنْشَدَ قَصِيدَةً أَحْكَمَ إِيرَادَهَا، بِصَوْتٍ شَجٍّ، وَنِعْمَةٍ لِبَاسٍ حُسْنَهَا غَيْرُ رَثٍّ¹ وَلَا مُنْهَجٍ²، فَوَقَعَ عَلَيْهِ الْقَبُولُ، وَتَسَنَّى لَهُ مِنَ النِّعْمَةِ الْمَأْمُولُ.

وَاتَّصَلَ لَهُ ذَلِكَ فَصَلَحَتْ حَالُهُ، وَنَجَحَتْ أَمَالُهُ، وَعَلَا كَوْنُهُ، لَوْ كَانَ شَاعِرًا لَكَانَ مِنْ شَوَاهِدِ بَيْتِ الْخَفِيفِ، أَوْ مَثَلًا لَكَانَ حُجَّةَ الْأَهْوَجِ عَلَى الْحَصِيفِ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الذِّكَاةِ مَعْدُودٌ، وَلَهُ فِي السَّرَاوَةِ³ وَالْمُشَارَكَةِ مَذْهَبٌ مَحْمُودٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْيَشْكُرِي

كَهَامُ الْحَدِّ، مُلَغَى عِنْدَ الْمَعَدِّ، جَهْدٌ أَنْ يُلْحَقَ فَقْصَرُ بَاعُهُ، وَنَضَبَتْ طِبَاعُهُ، وَلَا يَخْلُو مَعَ ذَلِكَ مِنْ نُبُلٍ وَانْقِبَاضٍ، وَذِكَاةٍ فِي بَعْضِ الْأَغْرَاضِ.

- م: "رشا"¹

- م: "منهجهج"²

- م: "السراوة"³

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَشْرِفٍ

مِمَّنْ يَمُتُّ بِحَسَبٍ، وَيَرْجِعُ إِلَى نَظْمٍ وَأَدَبٍ، وَيَنْتَحِلُ عَلَى ضَعْفِ الْأَدَوَاتِ شِعْرًا رَائِقًا، وَبِالطَّلَبَةِ
الْغُرِّ لَائِقًا.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ رِضْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ

شَاعِرٌ بِطَبْعٍ، وَعَامِرٌ حِمَى مِنَ الْأَدَبِ وَرَبْعٍ، حُجَّةٌ مِنْ حُجَجِ الْعَرَائِزِ فِي الْعَالَمِ الْجَائِرِ¹،
يَتَدَفَّقُ تَدَفُّقَ الْفُرَاتِ، وَيَتَّبَعُ الْمَعَانِي كَأَنَّمَا يَطْلُبُهَا بِالثَّرَاتِ²، فَيَأْتِي بِكُلِّ عَجِيبَةٍ، وَيُنْتِجُ الْبَدَائِعَ بَيْنَ
طَبْعِ فَحْلٍ وَفِكْرَةِ نَجِيبَةٍ، وَيَتَلَقَّى دَاعِيَ الْبَيَانِ بِنَفْسٍ سَمِيعَةٍ مُجِيبَةٍ، مِنْ غَيْرِ افْتِنَاءٍ لِأَدَوَاتِهِ، وَلَا
اعْتِنَاءٍ بِذَاتِهِ، إِلَّا أَنَّهُ يُلَابِسُ أَرْبَابَ الطَّلَبِ، فَرُبَّمَا حَصَلَ مِمَّا يُرِيدُهُ عَلَى الْأَرْبِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي³

جُمْلَةً حَسَبٍ وَوَقَارٍ، وَبِرَاعَةً تَمُدُّ إِلَيْهَا الْمَهَارِقُ أَكْفَ افْتِقَارٍ. نَظَمَتْهُ الدَّوْلَةُ الْيُوسُفِيَّةُ فِي سِمَطِ
كُتَابِهَا، وَأَظْلَنَتْهُ بِظِلِّ جَنَابِهَا، وَطَلَبَ لِهَذَا الْعَهْدِ نَفْسَهُ بِالْأَدَبِ، وَتَمَسَّكَ مِنْهُ بِالسَّبَبِ، فَصَدَرَ عَنْهُ مِنْ
ذَلِكَ مَا يُسْتَطَرَفُ عَلَى الْبِدَايَةِ، وَيَدُلُّ إِنْ اسْتَتَبَّ عَلَى فَضْلِ النِّهَايَةِ⁴.

- ع: "الحائر"¹

- م: "التراث"²

3- "محمد بن علي بن هاني اللّخمي السّبّتي يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جدّه، أصلهم من إشبيلية. كان، رحمه الله، فريد دهره
في سموّ الهمة، وإيثار الاقتصاد والتّحلي بالقناعة، وشموخ الأنف على أهل الرّئاسة... توفي بجبل الفتح والعدو يحاصره، أصابه
حجر المنجنيق في رأسه، فذهب به، تقبل الله شهادته ونفعه، في أواخر ذي قعدة، من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة" الكتبية، ص:

200

- م: "الهداية"⁴

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْكَاتِبِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ زَكَرِيَاءَ

يَتَوَسَّلُ فِي الْكِتَابَةِ بِحَدِيثَيْنِ، وَيُكَافِحُ مِنْهَا بِحَدِيثَيْنِ، وَيَسْتَنِدُّ مِنَ الْجِهَتَيْنِ الثُّلُوثِيَّةِ وَالْمُرَابِطِيَّةِ إِلَى مَجْدَيْنِ. وَأَمَّا أَبُوهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَحُطُّهُ¹ زَيْنُ الزَّيْنِ، بِطُرْفَةِ النَّفْسِ وَقُرَّةِ الْعَيْنِ، فَإِنْ نَجَبَ وَنَهَضَ، فَهُوَ عِرْقٌ نَبَضَ، وَإِنْ جَنَحَ إِلَى قُصُورٍ، فَغَيْرُ مَعْدُورٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْحَاجِّ أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَرَّاقِ

لِسَانٌ بِالشَّعْرِ يَهْتَفُ، وَيَدٌ بِالْكُدْيَةِ تَنْتَفُ، لَا يُبَالِي أَلْسَ مِنَ الْقَوْلِ جَدِيداً أَوْ رَثّاً، أَوْ كَانَ سَمِيناً مِنَ الشَّعْرِ أَوْ غَنّاً، أَوْ نَظَمَ بَسِيطاً أَوْ مُجْتَنّاً. إِنَّمَا هِمَّتُهُ فِي قَافِيَةٍ حَاضِرَةٍ، وَخَوَاطِرُ مِنْهُ خَاطِرَةٌ، وَسَمَاءٌ نَوَالٍ مَاطِرَةٌ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَخَفِيفُ الْجَانِبِ، سَهْلُ الْمَذَانِبِ، يَخُوضُ مِنْ فُرُوعِ الْفِقْهِ لُجَّةً، وَيُوضِّحُ مِنْهَا حُجَّةً. مَدَحَ بِهِذِهِ الْأَبْوَابِ وَكَدَّ، وَتَعَرَّضَ وَتَصَدَّى، وَكَتَبَ عَنِ الْأَمْرَاءِ فَمَا حَادَ عَنِ السَّنَنِ الْحَسَنِ وَلَا تَعَدَّى.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْكَاتِبِ أَبِي الْحَسَنِ الْمُليَانِي صَاحِبِ الْعَلَمَةِ بِالْمَغْرِبِ

الْكَاتِبُ الْفَاتِكُ، وَالصَّارِمُ الْبَاتِكُ، إِلَى اضْطِرَابٍ وَوَقَارٍ، وَاهْتِصَامٍ لِلْعِظَائِمِ وَاحْتِقَارٍ، وَغْنَى فِي افْتِقَارٍ، وَتَجَهُّمٌ تَحْتَهُ أَنْسُ الْعَقَارِ، اتَّخَذَهُ مَلِكُ الْمَغْرِبِ صَاحِبَ عَلَامَتِهِ، وَتَوَجَّهَ بِتَاجِ كَرَامَتِهِ. وَكَانَ يُطَالِبُ جُمْلَةً مِنْ أَشْيَاحِ مُرَاكَشَ بِنَّارِ عَمِّهِ [وَيُطَوِّفُهُمْ دَمَهُ بِرَعْمِهِمْ، وَيُفَصِّرُ عَلَى الْإِنْتِصَارِ مِنْهُمْ

- م: "فحطه"¹

بَنَاتِ هَمِّهِ إِذْ سَعَوْا بِهِ¹ حَتَّى اعْتَقِلَ، ثُمَّ جَدُّوا فِي أَمْرِهِ حَتَّى قُتِلَ، فَتَرَصَّدَ كِتَابًا إِلَى مُرَاكُشٍ يَتَضَمَّنُ
أَمْرًا جَزْمًا، وَيَشْمَلُ مِنْ أُمُورِ الْمُلْكِ عَزْمًا، جَعَلَ فِيهِ الْأَمْرَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ، وَسَبْيِ أَسْبَابِهِمْ.

وَلَمَّا أَكَّدَ عَلَى حَامِلِهِ فِي الْعَجَلِ، وَضَايِقَهُ تَقْدِيرُ الْأَجَلِ، تَأَنَّى حَتَّى عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ،
وَعَرَضُهُ قَدْ حَصَلَ. وَفَرَّ إِلَى تِلْمَسَانَ، وَهِيَ بِحَالٍ حِصَارِهَا، وَاتَّصَلَ بِأَنْصَارِهَا حَالًا بَيْنَ أَنْوْفِهَا
وَأَبْصَارِهَا، وَتَعَجَّبَ مِنْ فِرَارِهِ، وَسَوَّرَ² اغْتِرَارِهِ.

ثُمَّ اتَّصَلَتِ الْأَخْبَارُ بِتِمَامِ الْحِيلَةِ، وَاسْتِيْلَاءِ الْقَتْلِ عَلَى أَعْلَامِ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ، فَتَرَكَهَا شَنِيعَةً عَلَى
الْأَيَّامِ، وَعَارًا فِي الْأَقَالِيمِ عَلَى حَمَلَةِ الْأَقْلَامِ، وَأَقَامَ بِتِلْمَسَانَ إِلَى أَنْ حُلَّ مَخْنِقُ حَصْرِهَا، وَأُزِيلَ
هَمَيَانُ الضَّيْقَةِ عَنْ خَصْرِهَا، فَلَحِقَ بِالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَعُدْ بِرَأً، وَرَعِيًا مُسْتَمِرًّا حَتَّى أَتَاهُ حِمَامُهُ،
وَأَنْصَرَمَتْ أَيَّامُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ سَعْدٍ

مَقْدُورٌ عَلَيْهِ، مَخْشُوفٌ بِالْحَاجَةِ مِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِنْ رَجُلٍ يَهْتَفُ بِاضْطِلَاعِ الْعُلُومِ،
وَيَهْزِرُ بِالشَّعْرِ هَذِرَ الْمَحْمُومِ. ثَقُلَ حَتَّى خَفَّ، وَكَثَّفَ حَتَّى شَفَّ. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقَبِضُ مِنْ بَسْطٍ، وَلَا
يُلْقَى جَعْدَ الْمِرَاجِ إِلَّا بِخُلُقٍ سَبْطٍ، وَلَمْ يَكُنْ خُلُوعًا مِنْ فَائِدَةٍ يُلْقِيهَا، وَطُرْفَةٍ يَنْتَقِيهَا. وَأَفَادَتْهُ الرَّحْلَةُ
الْحِجَازِيَّةُ لِقَاءَ أَعْلَامٍ، وَمَصَابِيحِ إِظْلَامٍ، كَانَ يُطَرِّزُ بِمَحَاسِنِهِمُ الْمَجَالِسَ، وَيَفْضَحُ بِأَنْوَارِهِمُ النَّهَارَ
الشَّامِسَ، وَلَهُ سَلَفٌ صَالِحٌ، وَأَدَبٌ ضَعْفُهُ وَاضِحٌ.

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹
- م: "سوء"²

وَلَهُ فِي وَصْفِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ

قَدِمَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ عَرَبِيٌّ الْمَرْمَى، بَادِسِيٌّ الْمُنتَمَى، يَتَعَاطَى الْأَدَبَ وَالتَّدْوِينَ، وَيَسْتَرْفِدُ الْأُمَرَاءَ
وَالسَّلَاطِينَ، وَقَصَدَنِي لِأَرِيَشَ جَنَاحَ أَمَلِهِ، وَأَكُونُ ذَرِيعَةً إِلَى نُجْحِ عَمَلِهِ، وَرَفَعَ لِي كِتَابًا فِي السِّيَاسَةِ
لَا يَخْلُو مِنْ نُبْلِ، وَسُلُوكِ طُرُقٍ لِلِاتِّقَانِ وَسُبُلٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّرِيفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرَانِي

كَرِيمُ الْإِنْتِمَاءِ، مُسْتَظِلُّ بِأَغْصَانِ الشَّجَرَةِ الشَّمَاءِ، مِنْ رَجُلٍ سَلِيمِ الضَّمِيرِ، ذُو بَاطِنٍ أَصْفَى
مِنَ الْمَاءِ النَّمِيرِ. لَهُ فِي الشَّعْرِ طَبَعٌ يَشْهَدُ بِعُرُوبِيَّةِ أَصُولِهِ، وَمَضَاءِ نُصُولِهِ. وَقَدْ أَثْبَتُ مِنْ شِعْرِهِ
مَا يَتَّضِحُ فِي الْبَلَاغَةِ سَبِيلُهُ، وَيَشْهَدُ بِعِثْقِ الْجَوَادِ صَهِيلُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرِ الْكَافِي

مَحْسُوبٌ فِي طَلَبَتِهَا الْجَلَّةِ، وَمَعْدُودٌ فِيْمَنْ طَلَعَ بِأَفْقِهَا مِنَ الْأَهْلَةِ. رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَقَدْ
أُصِيبَ بِبَصَرِهِ، وَاسْتَهَانَ فِي جَنْبِ الْإِسْتِفَادَةِ بِمَشَقَّةِ سَفَرِهِ. وَشِعْرُهُ كَثِيرٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ الْحَاجِّ

مِنْ أَدْبَاءِ الْمُؤَدِّبِينَ، وَنُبَلَاءِ الْمُتَسَرِّعِينَ، إِلَى النَّظْمِ الْمُتَنَدِّبِينَ. لَوْ أَدْرَكَهُ الْحَافِظُ¹ فِي أَوَانِهِ،
لَكَانَ طُرْفَةً مِنْ طُرْفِ دِيَوَانِهِ. غَرِيبٌ فِي أَحْكَامِهِ، مُعْتَنٍ بِمَدِّهِ وَقَصْرِهِ، وَرُومِهِ وَإِشْمَامِهِ، جَهِيرٌ

- ع: "الجاحظ"¹

النَّعْمَةُ عِنْدَ رَدِّ سَلَامِهِ، مُحْسِنُ الظَّنِّ بِمَا يَصْنُدُ عَنْهُ مِنْ كَلَامِهِ، وَشِعْرُهُ مِنَ النَّمَطِ الَّذِي يُؤْنِسُ فِي
الْأَسْمَارِ، وَيَجْرِي مِنَ الْفُكَاهَةِ عَلَى مِضْمَارٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبِ ابْنِ حِزْبِ اللَّهِ

رَاقِمٌ وَاشِيٍّ، رَقِيقُ الْجَوَانِبِ وَالْحَوَاشِيِّ، تَزْهَى بِخَطِّهِ الْمَهَارِقُ وَالطُّرُوسُ، وَتَتَجَلَّى¹ فِي حُلِيِّ
إِبْدَاعِهِ كَمَا تَجَلَّتِ الْعُرُوسُ، إِلَى خُلُقٍ كَثِيرِ التَّجَمُّلِ، وَنَفْسٍ عَظِيمَةِ التَّحَمُّلِ، وَوُدٍّ سَهْلِ الْجَانِبِ،
عَذْبِ الْمَشَارِبِ.

لَمَّا فَضِيَّتِ الْوَقِيعَةُ الْعُظْمَى بِظَاهِرِ طَرِيفٍ -أَقَالَ اللَّهُ عِثَارَهَا، وَعَجَلَ ثَأْرَهَا- قَدَفَ بِهِ مَوْجُ
ذَلِكَ الْبَحْرِ، وَأَفْلَتَ إِفْلَاتَ الْهَدْيِ الْمُقَرَّبِ لِلنَّحْرِ، وَرَمَى بِهِ إِلَى رُبْدَةِ الْفِرَارِ، وَقَدْ عَرِيَ مِنْ أَثْوَابِهِ كَمَا
عَرِيَ الْعِرَارُ. فَتَعَرَّفَ لِلْحَيْنِ بِأَدِيبِهَا الْمُفْلِقِ وَبَارِقِهَا الْمُتَأَلِّقِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمُتَشَاقِرِيِّ²، فَرَأَاهُ بِشْرُ³
لِقَائِهِ، وَنَهَلَ عَلَى الظَّمَا فِي سِقَائِهِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مُحَاطَبَاتٌ أَنْشَدْنِيهَا بَعْدَ إِيَابِهِ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ نَسِيَ
بِهَا مَا كَانَ مِنْ ذَهَابٍ زَادِهِ، وَسَلَبٍ ثِيَابِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَحَدِ الْفَضَلَاءِ

فُلَانٌ وَإِنْ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عِنَايَةً بِعِمَامَةٍ تُلَوَّى، وَطَيْلَسَانٍ يُسَوَّى، وَتَاجٍ وَإِكْلِيلٍ، وَزِيٍّ جَمِيلٍ،
وَكُمٍّ يَبَالُ الْأَرْضَ كَرْلُومَةً⁴ فِيلٍ؛ فَجَاهُهُ فِي عَدَمِ الْجَنِيِّ حَوْرَةٌ⁵، وَجَانِبُهُ مَعَ الْعِزِّ شَوْكَةٌ، وَنَادِرَتُهُ

- ع: "تتجلي" ¹

- م: "المنتشافي" ²

- م: "يشر" ³

- زلومة الفيل أي خرطومه. ⁴

- الحورة: عنب ليس بعظيم الحب. ⁵

عَلَى الْبَاوِ عَصْفَةً¹ فَجَّةٌ. لَوْ دَخَلَ كَوْرَةَ النَّحْلِ، أَوْ سَكَنَ قَرْيَةَ النَّمْلِ، مُسْتَأْثِرًا مِنْ أَمِيرِهَا بِتَقَرُّبٍ، أَوْ حَاصِلًا مِنْ رَيْسِهَا عَلَى حَظٍّ رَغِيبٍ، لَنَلَّوْنَ لِأَخِيهِ، وَشَمَخَ بِأَنْفِ النَّيِّهِ، عَلَى فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، سُكْرًا مِنْ شَرَابٍ لَمَعَ السَّرَابِ، وَأَهْنَأَ بِزُورِ الْحَظِّ الْمُنْزُورِ.

فَإِذَا أَدَالَ الصَّحُو مِنَ النَّمْلَةِ، أَوْ عُدِمَ قَبُولُ النَّمْلَةِ، أَوْ طَوَّقَ الدِّيَوَانُ، تَمَتَّعَ² بِأُنْسِهِ الْإِخْوَانُ، فَمَا أَوْلَاهُ بِاسْتِكْتَابِ الْقَائِلِ مَنْ أَمَرَ رِيحَ الْجَنُوبِ بِالْهُبُوبِ، وَمَنْ أَذِنَ لِلْغَمَامِ الْهَتَّانِ، وَمَنْ يَنْظُرُنَا بِعَيْنِهِ الزَّرْقَاءِ يُهَيِّئُ نَوَارَ الْكَتَّانِ.

رِفْقًا بِكَ سَيِّدِي رِفْقًا ... فَالظَّنُّ إِنْ تَبَرَا وَإِنْ تَشْفَى

أَمَّا مِرَاجُكَ فَهُوَ مُعْتَدِلٌ ... لَكِنْ أَظُنُّ خَيَالَكَ اسْتَسْقَى

وَمَعَ ذَلِكَ فَمُحَاضَرَتُهُ بَحْرٌ لَا تُحْصَرُ أَجْنَاسُ لَآلِيهِ، وَزَهْرٌ لَا يَمِلُّ مُنْتَشِفُهُ وَمُجْتَلِيهِ، إِلَى طَلْعَةٍ لَا تُقْتَحَمُ وَلَا تُزْدَرَى، وَأُبْهَةٌ مَا كَانَ حَدِيثُهَا يُفْتَرَى³

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا ... كَفَى الْمَرْءَ فَضْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

- م: "عصبة"¹

- م: "تمنع"²

- م: "يعتري"³

كُتِبَ الزَّوْجِرِ وَالْعِظَاتِ¹

فَمِنْ ذَلِكَ فِي مُخَاطَبَةِ ابْنِ مَرْزُوقَ

سَيِّدِي الَّذِي يَدُهُ الْبَيْضَاءُ لَمْ تَذْهَبْ بِشُهْرَتِهَا الْمُكَافَأَةُ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَدْحِهَا الْأَفْعَالُ، وَلَا تَغَايَرَتْ فِي حَمْدِهَا الصِّفَاتُ، وَلَا تَزَالُ تَعْتَرِفُ بِهَا الْعِظَامُ الرُّفَاتُ. أَطْلَقَكَ اللَّهُ مِنْ أَسْرِ الْكُونِ، كَمَا أَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ بَعْضِهِ، وَزَهَّدَكَ فِي سَمَائِهِ الْفَانِيَةِ² وَأَرْضِهِ، وَحَقَّرَ الْحِظَّ فِي عَيْنِ بَصِيرَتِكَ بِمَا يَحْمِلُكَ عَلَى رَفْضِهِ³.

اتَّصَلَ بِي الْخَبَرُ السَّارُّ مِنْ تَرْكِكَ لِشَأْنِكَ، وَاجْتِنَاءِ اللَّهِ إِيَّاكَ ثَمَرَةَ إِحْسَانِكَ، وَانْجِيَابِ ظِلَامِ الشَّدَّةِ الْحَالِكِ عَنْ أَفْقِ حَالِكَ⁴، فَكَبَّرْتُ ارْتِيَاحاً لِانْتِشَاقِ رِضَا اللَّهِ الطَّيِّبِ الْأَرْجِ، وَاسْتَعْبَرْتُ لِتَضَاوُلِ الشَّدَّةِ بَيْنَ يَدَيِ الْفَرَجِ، لَا بِسَوَى ذَلِكَ مِنْ رِضَا مَخْلُوقٍ يُؤْمَرُ فَيَأْتِمُرُ، وَيَدْعُوهُ الْقَضَاءُ فَيَبْتَدِرُ؛ إِنَّمَا هُوَ فِيَّءٌ، وَظِلُّ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.

وَسَأَلَهُ جَلَّ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا آخِرَ عَهْدِكَ بِالدُّنْيَا وَبَنِيهَا، وَأَوَّلَ مَعَارِجِ نَفْسِكَ الَّتِي تُقَرِّبُهَا مِنْ الْحَقِّ وَتُدْنِيهَا، وَكَأَنَّيَ وَاللَّهِ أَحْسُ بِثِقَلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ عَلَى سَمْعِكَ، وَمُضَادَّتِهَا -وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ- لِطَبْعِكَ. وَأَنَا أَنُفِرُكَ إِلَى الْعَقْلِ الَّذِي هُوَ قُسْطَاسُ [اللَّهِ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ، وَالْآلَةِ لِبِتٍّ]⁵ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْمُلْكُ الَّذِي يُبَيِّنُ عَنْهُ تَرْجُمَانُ اللِّسَانِ.

- ق: ساقط¹

-م: "العائية" ولعل الصواب ما أثبت.²

-ع: "فرضه"³

-م: "جلالك"⁴

-ع: ساقط⁵

فَأَقُولُ: لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي غَبَطَكَ سَيِّدِي بِالدُّنْيَا، وَإِنْ بَلَغَ مِنْ زِيرِجِهَا¹ الرُّتْبَةَ الْعُلْيَا، وَأَفْرَضَ
الْمِثَالَ بِحَالِ² إِقْبَالِهَا، وَوَصَلَ حِبَالِهَا، وَخَشُوعِ حِبَالِهَا، وَضَرَاعَةِ سِبَالِهَا³؟ التَّوَقُّعُ الْمَكْرُوهُ صَبَاحَ
مَسَاءٍ، وَارْتِقَابُ الْحَوَالَةِ⁴ الَّتِي تُدِيلُ مِنَ النِّعَمِ الْبَاسَاءِ، وَلُزُومُ الْمُنَافَسَةِ الَّتِي تُعَادِي الْأَشْرَافَ
وَالرُّؤُسَاءِ، وَالتَّرْتُّبُ الْعَدْلُ حَتَّى عَلَى التَّقْصِيرِ فِي الْكُتُبِ، وَضَعِيَّةُ جَارِ الْجَنْبِ، وَوُلُوعُ الصَّدِيقِ
بِإِحْصَاءِ الذَّنْبِ.

النِّسْبَةُ وَقَائِعِ الدَّوْلَةِ إِلَيْكَ، وَأَنْتَ مِنْهَا عَرِيٌّ؟ أَلَا سَتَهْدَأُكَ لِلْمِضْمَارِ الَّتِي تُتَجِّهُهَا غَيْرَةُ الْفُرُوجِ،
وَالْأَحْقَادُ الَّتِي تَضْطَبِّئُهَا⁵ رَكْبَةُ السُّرُوجِ، وَسَرَجَةُ الْمُرُوجِ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ⁶؟ التَّقْلِيدُ
التَّقْصِيرُ فِيمَا ضَاقَتْ عَنْهُ طَاقَتُكَ، وَصَحَّتْ إِلَيْهِ فَاقَتُكَ، مِنْ حَاجَةٍ لَا يَقْتَضِي⁷ قَضَاءَهَا الْوُجُودُ،
وَلَا يَكْفِيهَا الرُّكُوعُ لِلْمَلِكِ وَالسُّجُودُ؟ أَلْقَطِ الزَّمَانَ بَيْنَ سُلْطَانٍ يُعْبَدُ، وَأَفْكَارٍ لِلْغُيُوبِ تُكَبَّدُ، وَعَجَاجَةٍ
شَرٌّ تَلَبَّدُ، وَأَقْبُوحَةٍ تُخَلَّدُ وَتُؤَيَّدُ، وَالْوَزِيرُ يُصَانِعُ وَيُدَارِي، وَذُو حُجَّةٍ صَحِيحَةٍ يُجَادِلُ فِي مَرْضَاةِ
السُّلْطَانِ وَيُمَارِي، وَعَوْرَةٍ لَا تُوَارِي؟ أَلَمْ بَاكَرَةَ كُلِّ عَائِبٍ حَاسِدٍ، وَعَدُوٍّ مُسْتَأْسِدٍ، وَسُوقٍ لِلْإِنْصَافِ
وَالشَّفَقَةِ كَاسِدٍ، وَحَالٍ فَاسِدٍ؟ أَلِلْوُفُودِ تَتَرَاخَمُ بِسُدَّتِكَ، مُكَافَّةً لَكَ غَيْرَ مَا فِي طَوْفِكَ، فَإِنْ لَمْ يَقَعْ
الْإِسْعَافُ، قُلِبَتْ عَلَيْكَ السَّمَاءُ مِنْ فَوْقِكَ؟ أَلِلْجُلُسَاءِ بِبَابِكَ لَا يَقْطَعُونَ زَمَنَ رُجُوعِكَ وَإِيَابِكَ إِلَّا بِقَبِيحِ
اغْتِيَابِكَ.

- "الرَّيْرُجُ: السحاب الرقيق" لسان العرب / زبرج: 10 / 7¹

- م: "بجلال"²

- "السِّبَالُ جمع السِّبَلَةِ وهو الشارب" لسان العرب / سبل: 118 / 7³

- "الحوالة: إحالتك غريما وتحول ماء من نهر إلى نهر" لسان العرب / حول: 288 / 4⁴

- "اضطبن الشيء: حمله في ضيقه أو عليه، والضُّبْنُ بالكسر ما بين الإبط والكشح" لسان العرب / ضبن: 14 / 9⁵

- سورة البروج، الآية 1.⁶

- أ، ق: "تقتضى" والمثبت من ع، م.⁷

فَالْتَّصِرْفَاتُ تُمَقَّتْ، وَالْفَوَاطِغُ التُّجُومِيَّةُ تُوقَّتْ، وَالْأَلَاقي¹ تُبَثُّ، وَالسَّعَايَاتُ تُحَثُّ، وَالْمَسَاجِدُ يُسْتَكَى فِيهَا الْبَثُّ. يَعْتَقِدُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي يَدِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِمَارِ الْمَدْبُورِ، وَالْيَتِيمِ الْمَحْجُورِ، وَالْأَمِيرِ الْمَأْمُورِ، لَيْسَ لَهُ شَهْوَةٌ وَلَا غَضَبٌ، وَلَا أَمَلٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَرْبٌ، وَلَا مَوْجِدَةٌ لِأَحَدٍ كَامِنَةٌ، وَلِلْسَرِّ ضَامِنَةٌ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِهِ عَن رَأْيٍ نَفَرَةٌ²، وَلَا بِإِزَاءِ مَا لَا يَقْبَلُهُ قُدْرَةٌ وَظَفَرَةٌ؛ إِنَّمَا هُوَ جَارِحَةٌ لِصَيْدِكَ، وَعَانٍ فِي قَيْدِكَ، وَآلَةٌ لِتَصْرِفِ كَيْدِكَ. وَإِنَّكَ عَلَّةٌ حَيْفِيَّةٌ، وَمُسَلِّطٌ سَيْفِيَّةٌ. أَلِلْشَّرَارِ يَسْمُلُونَ عُيُونَ النَّاسِ بِاسْمِكَ، ثُمَّ يُمَرِّقُونَ بِالْغَيْبَةِ مَرَقٌ³ جِسْمِكَ، قَدْ تَنَخَّلَهُمُ الْوُجُودُ أَحَبَّتْ مَا فِيهِ، وَاخْتَارَهُمُ السَّفِيهُ فَالسَّفِيهُ؛ إِذِ الْخَيْرُ يَسْتُرُهُ اللَّهُ عَنِ الزَّوْلِ⁴ وَيُخْفِيهِ، وَيُمَتِّعُهُ⁵ بِالْقَلِيلِ وَيَكْفِيهِ؛ فَهُمْ يَمْتَحُونَ بِكَ، وَيُولُونَاكَ الْمَلَامَةَ، وَيَفْتَحُونَ عَلَيْكَ أَبْوَابَ الْقَوْلِ، وَيَسُدُّونَ طُرُقَ السَّلَامَةِ، وَلَيْسَ لَكَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ إِلَّا مَا يُعْزُوكَ مَعَ ارْتِفَاعِهِ، وَلَا يَفُوتُكَ مَعَ انْقِشَاعِهِ، وَذَهَابِ صُدَاعِهِ⁶، مِنْ غِذَاءٍ يُشْبِعُ، وَتَوْبٍ يُقْنِعُ، وَفِرَاشٍ يُنِيْمُ، وَقَدِيمٍ يُفْعَدُ وَيُقِيمُ. وَمَا الْفَائِدَةُ فِي فُرْشٍ تَحْتَهَا جَمْرُ الْعَضَى، وَمَالٍ مِنْ وَرَائِهِ سُوءُ الْقَضَا، وَجَاهٍ يُحَلِّقُ عَلَيْهِ سَيْفٌ مُنْتَضَى.

وَإِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ إِلَى الْإِلْتِذَاذِ بِمَا لَا تَمْلِكُ، وَاللَّجَاجِ حَوْلَ الْمَسْقِطِ الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّهَا فِيهِ تَهْلِكُ، فَكَيْفَ تُنْسَبُ إِلَى نُبْلِ، أَوْ تَسِيرُ مِنَ السَّعَادَةِ فِي سُبُلٍ. وَإِنْ وَجَدَتْ فِي الْقُعُودِ بِمَجْلِسِ التَّحِيَّةِ بَعْضَ الْأَرْزِخِيَّةِ، فَلَيْتَ شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ زَادَهَا، أَوْ مَعْنَى أَفَادَهَا؛ إِلَّا مُبَاكَرَةً وَجْهَ الْحَاسِدِ، وَذِي الْقَلْبِ

- "الألاقي: الشدائد" لسان العرب / لقا: 13 / 226¹

- م: "يقره"²

- "المرق: الإهاب الذي عُطِنَ في الدباغ وترك حتى أنتن وامرط عنه صوفه" لسان العرب / مرق: 14 / 60³

- أ، ق، م: "الدول" والمثبت من ع.⁴

- ع: "يقنعه"⁵

- م: "صواعه" أي صاعه وهو السقاية، ومنه قوله تعالى: {قَالُوا نَفَقْتُمْ صُوعًا الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} سورة يوسف، الآية: 72⁶

الْفَاسِدِ، وَمُوَاجَهَةِ الْعَدُوِّ الْمُسْتَأْسِدِ، أَوْ شَعَرْتُ بِبَعْضِ الْإِيْنَسِ فِي الرُّكُوبِ بَيْنَ النَّاسِ، هَلِ التَّدَّتْ
إِلَّا بِحُلْمٍ كَاذِبٍ، أَوْ جَدَّبَهَا غَيْرُ الْغُرُورِ مُجَادِبٌ؟ إِنَّمَا رَاكِبُكَ مَنْ يُحَدِّقُ إِلَى الْحَلِيَّةِ وَالْبَرَّةِ، وَيَسْتَظِلُّ
مُدَّةَ الْعِرَّةِ، وَيَرْتَابُ إِذَا تَحَدَّثْتُ بِخَبْرِكَ، وَيَنْبُعُ بِالتَّقْدِ والتَّجَسُّسِ مَوَاقِعَ نَظْرِكَ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ مُسَايَرَةِ
أَنْيَسِكَ، وَيَحْتَالُ عَلَى فَرَاغِ كَيْسِكَ، وَيُضْمِرُ الشَّرَّ لَكَ وَلِرِئْسِكَ. وَأَيُّ رَاحَةٍ لِمَنْ لَا يُبَاشِرُ قَصْدَهُ،
وَيَسِيرُ مَتَى شَاءَ وَحْدَهُ.

وَلَوْ صَحَّ فِي هَذَا¹ الْحَالِ² اللَّهُ حَظُّ³ وَهَبَهُ زَهِيدًا، أَوْ عَيْنَ لِلرُّشْدِ عَمَلًا حَمِيدًا، لَسَاعَ⁴
الصَّابُ⁵، وَخَفَّتِ الْأَوْصَابُ، وَسَهَّلَ الْمُصَابُ، لَكِنَّ الْوَقْتَ أَشْغَلَ، وَالْفِكْرَ أَوْغَلَ، وَالزَّمْنَ قَدْ عَمَرْتُهُ
الْحِصَصُ الْوَهْمِيَّةُ، وَاسْتَنْفَذْتُ⁶ مِنْهُ الْكَمِّيَّةُ. أَمَّا لَيْلُهُ فَفَكَّرَ أَوْ نَوَّمَ وَعَتَبَ، يَجُرُّ⁷ الضَّرَائِرَ⁸ وَأَمَّا
يَوْمُهُ فَتَدَبَّرَ، وَقَبِيلٌ وَدَبِيرٌ، وَأُمُورٌ يَعْنِي بِهَا تَبِيرٌ⁹، وَلَفْظٌ لَا يَدْخُلُ فِيهِ حَكِيمٌ كَبِيرٌ، وَبَلَاءٌ مُبِيرٌ،
وَأَنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ خَبِيرٌ.

وَوَاللَّهِ يَا سَيِّدِي، وَمَنْ فَلَقَ الْحَبَّ، وَأَخْرَجَ الْأَبَّ¹⁰، وَدَرَأَ مَا مَشَى وَمَا دَبَّ، وَهَدَى وَأَكَبَّ،
وَسَمَّى نَفْسَهُ الرَّبَّ، لَوْ تَعَلَّقُ الْمَالُ الَّذِي يَجْرُهُ هَذَا الْكَدْحُ، وَيُورِي¹¹ سَقِيطُهُ هَذَا الْقِدْحُ، بِأَذْيَالِ

- ع: "هذه" وكلاهما صحيح.¹

- "الحال يذكر ويؤنث، فمن ذكر الحال جمعه أحوالا، ومن أنثها جمعه حالات" لسان العرب / حول: 288 / 4²

- ع: "حط"³

- ع: "لضاع"⁴

- "الصَّابُ: شجر مر، واحده صابة. وقيل: هو عصارة الصَّير" لسان العرب / صوب: 301 / 8⁵

- م: "استنفذت"⁶

- م: "بحر"⁷

- م: "الضراس"⁸

- "تبير: جبل بمكة" لسان العرب / ثبر: 8 / 3⁹

- "فلان راع له الحَبَّ وطاع له الأبُّ، أي زكا زرعه واتسع مرعاه" أساس البلاغة / أبب، 17 / 1¹⁰

- ع: "يورب" وهو تصحيف.¹¹

الْكَوَاكِبِ، وَزَاخَمَتِ الْبُدُرُ بَذَرَهُ بِالْمَنَاقِبِ، لَا وَرِثَهُ¹ عَقِبٌ، وَلَا خُلِصَ فِيهِ مُحْتَقِبٌ، وَلَا فَازَ بِهِ سَافِرٌ وَلَا مُنْتَقِبٌ، وَالشَّاهِدُ الدُّوْلُ، وَالْمَشَائِمُ الْأَوَّلُ، فَأَيْنَ الرَّبَاعُ الْمُفْتَتَاةُ؟ وَأَيْنَ الدِّيَارُ الْمُبْتَنَاءَةُ؟ وَأَيْنَ الْحَوَائِطُ الْمُغْتَرَسَاتُ؟ وَأَيْنَ الذَّخَائِرُ الْمُخْتَلَسَاتُ؟ وَأَيْنَ الْوَدَائِعُ الْمُؤَمَّلَةُ، وَالْأَمَانَاتُ الْمُحَمَّلَةُ؟ تَأَذَّنَ اللَّهُ بِتَنْبِيهِهَا، وَإِذْنَاءِ نَارِ التَّبَارِ مِنْ دَنَائِيرِهَا، فَقَلَمًا تَلْقَى أَعْقَابَهُمْ إِلَّا عَرَى الظُّهُورِ، مُتَرْفِقِينَ بِجَرَيَاتِ الشُّهُورِ، مُتَعَلِّلِينَ بِالْهَبَاءِ الْمَنْشُورِ، يُطْرَدُونَ مِنَ الْأَبْوَابِ، الَّتِي حُجِبَ عَنْهَا آبَاؤُهُمْ، وَعُرِفَ مِنْهَا إِبَاؤُهُمْ، وَشَمَّ مِنْ مَقَاصِيرِهَا عَنْبَرُهُمْ² وَكِبَاؤُهُمْ³، لَمْ تُسَامِحْهُمْ الْآيَامُ إِلَّا فِي إِرْثٍ مُحَرَّرٍ، أَوْ حَالٍ مُقَرَّرٍ، وَزَيْمًا مَحَقَّهُ الْحَرَامُ، وَتَعَذَّرَ مِنْهُ الْمَرَامُ.

هَذِهِ -أَعَرَكَ اللَّهُ- حَالٌ قَبُولُهَا الْمَرْغُوبُ فِيهِ، وَمَا لَهَا مَعَ التَّرْفِيهِ، وَعَلَى فَرَضٍ أَنْ يَسْتَوْفِيَ الْعُمْرُ فِي الْعِزِّ مُسْتَوْفِيَةً. وَأَمَّا هَذِهِ مِنْ عَدُوٍّ يَتَحَكَّمُ وَيَنْتَقِمُ، وَحُوتٍ بَغِيٍّ يَبْتَلَعُ وَيَلْتَقِمُ، وَطَبَقٍ يَحْجُبُ الْهَوَى، وَيُطِيلُ فِي التُّرْبِ النَّوَى، وَتُعْبَانِ قَيْدَ يَعْضُ السَّاقِ، وَشُؤْبُوبِ عَذَابٍ يُمَرِّقُ الْأَبْشَارَ الرَّقَاقَ، وَغِيْلَةً يَهْدِيهَا الْوَاقِبُ الْغَاسِقُ⁴، وَيَجْرَعُهَا الْعَدُوُّ الْفَاسِقُ، فَصَرَفَ السُّوقَ، وَسَلَعْتُهُ الْمُعْتَادَةُ الطُّرُوقَ، مَعَ الْأَفْوَلِ وَالشُّرُوقِ. فَهَلْ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا مُغْتَبِطٌ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ، أَوْ مَا يُسَاوِي جُرْعَةَ مَاءٍ مُرَّةٍ. وَاحْسَرَتَا لِلْأَحْلَامِ ضَلَّتْ، وَلِلْأَقْدَامِ زَلَّتْ، وَيَا لَهَا مُصِيبَةٌ جَلَّتْ.

- أ، ق، م: "وارثه" والمثبت من ع.¹

- ع: "غيرهم"²

- "الكباء: هو العود المتبخر به" لسان العرب / كبا: 16 / 13³

- قال تعالى: {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} سورة الفلق، الآية 3. الغاسق هو الليل، ووقب إذا دخل ظلامه في كل شيء.⁴

وَلِسَيِّدِي أَنْ يَقُولَ: "حَكَمْتُ عَلَىٰ بِاسْتِنْقَالِ الْمَوْعِظَةِ وَاسْتِغْفَائِهَا"¹، وَمُرَاوَدَةِ الدُّنْيَا بَيْنَ خِلَانِهَا
وَأَكْفَائِهَا، وَتَنَاسِي عَدَمِ وَقَائِهَا".

فَأَقُولُ: "الطَّبِيبُ بِالْعِلَلِ أَدْرَى، وَالشَّفِيقُ بِسُوءِ الظَّنِّ مُغْرَى. وَكَيْفَ وَأَنَا أَقِفُ عَلَى السَّحَاءَةِ
بِحِطِّ يَدِ سَيِّدِي مِنْ مَطَارِحِ الْإِعْتِقَالِ، وَمَنَاقِبِ الثُّوبِ النَّقَالِ، وَخَلَوَاتِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلِقَاءِ الْخُطُوبِ
الشَّدَادِ، وَنُوشِ الْأَسِنَّةِ الْحِدَادِ، وَحَيْثُ يَجْمَلُ بِمِثْلِهِ أَنْ لَا يَصْرِفَ فِي غَيْرِ الْخُضُوعِ لِلَّهِ بَنَانًا، وَلَا
يُنْتَبِي لِمَخْلُوقٍ عِنَانًا، وَاتَّعَرَفُ أَنَّهَا قَدْ مَلَأَتْ الْجَوَّ وَالْدَّوَّ"²، وَقَصَدَتْ الْجَمَادَ وَالْبَوَّ"³، تَقْتَحِمُ أَكْفَ أُولِي
الشَّمَمَاتِ"⁴، وَحَفَظَةَ الْمَذَمَّاتِ، وَأَعْوَانَ الثُّوبِ الْمُئَلَّمَاتِ، زِيَادَةَ فِي الشَّقَاءِ، وَقَصْدًا بَرِيئًا مِنَ الْإِخْتِيَارِ
وَالِإِنْتِقَاءِ، مُشْتَمَلَةً مِنَ التَّجَاوُزِ عَلَى أَغْرَبِ مِنَ الْعِنَقَاءِ"⁵، وَمِنَ النَّفَاقِ عَلَى أَشْهَرِ مِنَ الْبَلْقَاءِ.

فَهَذَا يُوصَفُ بِالْإِمَامَةِ، وَهَذَا يُنْسَبُ فِي الْجُودِ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَامَةَ"⁶، وَهَذَا يُجْعَلُ مِنْ أَهْلِ
الْكَرَامَةِ، وَهَذَا يُكَفَّفُ الدُّعَاءَ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، وَهَذَا يُطْلَبُ مِنْهُ لِقَاءُ الصَّالِحِينَ وَلَيْسُوا مِنْ شَكْلِهِ، إِلَى
مَا أَحْفَظَنِي وَاللَّهُ مِنَ الْبَحْثِ عَنِ السُّمُومِ، وَكُتُبِ النُّجُومِ، وَالْمَذْمُومِ مِنَ الْمَعْلُومِ، هَلَا كَانَ مَنْ يَنْظُرُ
فِي ذَلِكَ قَدْ قُوطِعَ بَتَاتًا، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِيقَاتًا، وَإِنَّا لَا نَمْلِكُ مَوْتًا وَلَا
نُشُورًا وَلَا حَيَاةً"⁷، وَأَنَّ اللَّوْحَ قَدْ حَصَرَ الْأَشْيَاءَ، مَحَوًّا وَإِنْبَاتًا، فَكَيْفَ نَرْجُو لِمَا مَنَعَ اللَّهُ مَنَالًا، أَوْ

- ع: "استغفائها"¹

- "الدَّوَّ وَالْدَّوِّي: المفازة" أساس البلاغة / دوي: 304 / 1

- البو: ولد الناقة.³

- "الشَّمَمَات: الخيبة" لسان العرب / شمت: 127 / 8

- العنقاء "هو الهباء الذي فتح الله فيه أجساد العالم، مع أنه لا عين له في الوجود إلا بالصورة التي فتحت فيه، وإنما سمي بالعنقاء لأنه يسمع بذكره ويعقل ولا وجود له في عينه" التعريفات الجرجاني، ص: 141.⁵

- يضرب به المثل في الجود، فيقال: أجود من كعب بن مامة.⁶

- قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا} سورة الفرقان، الآية 3⁷

نَسْتَطِيعُ مِمَّا قَدَّرَ اللهُ إِفْلَاتًا، أَفِيدُونَا مَا يُرْجِحُ الْعَقِيدَةَ الْمُتَقَرَّرَةَ نَتَّحَوَّلُ إِلَيْهِ، وَبَيِّنُوا لَنَا الْحَقَّ نَعُولُ عَلَيْهِ.

اللهُ اللهُ يَا سَيِّدِي فِي النَّفْسِ الْمُرْشَحَةِ، وَالذَّاتِ الْمُحَلَّاةِ بِالْفَضَائِلِ الْمُوشَّحَةِ، وَالسَّلَفِ الشَّهِيرِ الْخَيْرِ، وَالْعُمَرِ الْمُشْرِفِ عَلَى الْمَرْحَلَةِ بَعْدَ حَتِّ السَّيْرِ، وَدَعِ الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا فَمَا أَوْكَسَ حُطُوطَهُمْ، وَأَخْسَ لُحُوطَهُمْ، وَأَقَلَّ مَتَاعَهُمْ، وَأَعْجَلَ إِسْرَاعَهُمْ، وَأَكْثَرَ عَنَاءَهُمْ، وَأَقْصَرَ إِنَاءَهُمْ:

مَا نَمَّ إِلَّا مَا رَأَى ثُ وَرُبَّمَا تَغْنَى السَّلَامَةُ

وَالنَّاسُ إِمَّا جَائِرٌ أَوْ حَائِرٌ يَشْكُو ظُلَامَةَ

وَإِذَا أَرَدْتَ الْعِزَّ لَا تَرْزَأْ بَنِي الدُّنْيَا قُلَامَةَ

وَاللهِ مَا اخْتَقَبَ الْحَرِي صُ سِوَى الذُّنُوبِ أَوْ الْمَلَامَةِ

هَلْ نَمَّ شَكٌّ فِي الْمَعَا دِ الْحَقِّ أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

قُولُوا لَنَا مَا عِنْدَكُمْ أَهْلَ الْخَطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ¹

فَإِنْ رَمَيْتُ بِأَحْجَارِي، وَأَوْجَرْتُ² الْمُرَّ مِنْ أَشْجَارِي، فَوَاللَّهِ مَا تَلَبَّسْتُ مِنْهَا الْيَوْمَ بِشَيْءٍ قَدِيمٍ وَلَا

حَدِيثٍ، وَلَا اسْتَأْثَرْتُ بِطَيِّبٍ فَضْلًا عَنْ خَبِيثٍ، وَمَا أَنَا إِلَّا عَابِرُ سَبِيلٍ، وَهَاجِرُ مَرْعَى وَبَيْلٍ،

وَمُرْتَقِبٌ وَعَدَا قُدَّرَ فِيهِ الْإِنْجَارُ، وَعَاكِفٌ عَلَى حَقِيقَةٍ لَا تَعْرِفُ الْمَجَازَ.

- ابن الخطيب، مجزوء الكامل.¹

- "الوجور الدواء يصب في الحلق وأوجرت المريض إيجارا فعلت به ذلك" المصباح المنير / وجر، ص: 248²

وَقَدْ فَرَزْتُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يُفَرُّ مِنَ الْأَسَدِ، وَحَاوَلْتُ قَطْعَ الْمُدَاخَلَةِ حَتَّى بَيَّنَّ رُوحِي وَالْجَسَدُ،
وَعَسَلَ اللَّهُ قَلْبِي - وَلَهُ الْحَمْدُ - مِنَ الطَّمَعِ وَالْحَسَدِ، فَلَمْ أَبْقِ عَادَةً إِلَّا قَطَعْتُهَا، وَلَا جُنَّةً لِلصَّبْرِ إِلَّا
ادَّرَعْتُهَا. أَمَّا اللِّبَاسُ فَالْصُّوفُ، وَأَمَّا الزُّهْدُ فِيمَا بَأْيَدِي النَّاسِ فَمَعْرُوفٌ، وَأَمَّا الْمَالُ الْعَبِيطُ¹ فَعَلَى
الصَّدَقَةِ مَصْرُوفٌ، وَوَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ حَالِي هَذِهِ تَنْصِلُ، وَعَرَاهَا لَا تَنْفَصِلُ، وَتَرْتِيبِي هَذَا يَدُومُ،
وَلَا يُجِيرُنِي الْوَعْدُ الْمَحْتُومُ، وَالْوَقْتُ الْمَعْلُومُ، لَمِتُ أَسْفَاءً، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى.

وَمَعَ هَذَا يَا سَيِّدِي، فَالْمَوْعِظَةُ تَتَلَقَّى مِنْ لِسَانِ الْوُجُودِ، وَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ² يَبْدُلُ
الْمَجْهُودِ. وَيَأْخُذُهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِمَحَلِّهَا الْمَذْمُومِ وَلَا الْمَحْمُودِ، وَلَقَدْ أَعْمَلْتُ نَظْرِي فِيمَا يُكَافِي
عَنِّي بَعْضَ يَدِكَ، أَوْ يَنْتَهِي فِي الْفَضْلِ إِلَى أَمْدِكَ. فَلَمْ أَرْ لَكَ الدُّنْيَا كِفَاءً لَوْ كُنْتُ صَاحِبَ دُنْيَا،
وَوَجَدْتُ بَدَلَ النَّفْسِ قَلِيلًا مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا تَنْبِإٍ³.

فَلَمَّا أَلْهَمَنِي اللَّهُ -جَلَّ جَلَالُهُ- إِلَى مُخَاطَبَتِكَ بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ الْمُفْرَعَةِ فِي قَوْلِ الْجَفَاءِ، لِمَنْ
لَا يُنْبِتُ عَيْنَ الصَّفَاءِ، وَلَا يَشِيمُ بَارِقَةَ الْوَفَاءِ، وَلَا يَعْرِفُ قَادُورَةَ الدُّنْيَا مَعْرِفَةً مِثْلِي مِنَ الْمُتَدَنِّسِينَ بِهَا
الْمُنْهَمَكِينَ، وَيَنْظُرُ فِي عَوَارِهَا⁴ الْفَادِحِ بَعَيْنِ الْيَقِينِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا الْمُؤِمَّسَةُ، الَّتِي حُسْنُهَا زُورٌ،
وَعَاشِفُهَا مَغْرُورٌ⁵، وَسُرُورُهَا سُرُورٌ، تَبَيَّنَ لِي أَنِّي قَدْ كَافَأْتُ صَنِيعَتَكَ الْمُتَقَدِّمَةَ، وَخَرَجْتُ عَنْ
عَهْدَتِكَ الْمُلتَزِمَةِ، وَأَمَحَضْتُ لَكَ النُّصَحَ الَّذِي يُعِزُّ بِعِزِّ اللَّهِ ذَاتَكَ، وَيُطِيبُ حَيَاتَكَ، وَيُحْيِي مَوَاتَكَ،
وَيُبْرِحُ جَوَارِحَكَ مِنَ الْوَصَبِ، وَقَلْبَكَ مِنَ النَّصَبِ، وَيُحَقِّرُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا فِي عَيْنِكَ إِذَا اعْتَبَرْتَ،

- "لحم عبيط أي صحيح طري، ودم عبيط طري خالص لا خلط فيه" المصباح المنير / عبط، ص: 148¹

- قال صلى الله عليه وسلم: (الحكمة ضالة المؤمن²)

- "الثنيا بضم الثاء مع الياء والثنوى بالفتح مع الواو اسم من الاستثناء وفي الحديث (من استثنى فله ثنياه)" المصباح المنير / ثنى،
ص: 33³

- ع: "غوارها"⁴

- م: "معزور"⁵

وَيَلَاشِي عَظَائِمَهَا لَدَيْكَ إِذَا اخْتَبَرْتَ. كُلُّ مَنْ تَقَعَّ عَلَيْهِ عَيْنُكَ حَقِيرٌ قَلِيلٌ، وَفَقِيرٌ ذَلِيلٌ، لَا يَفْضُلُكَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِاقْتِفَاءِ رُشْدٍ أَوْ تَرْكِ غَيٍّ. أَنْوَابُهُ النَّبِيهَةُ يُجَرِّدُهَا الْعَاسِلُ، وَعُرْوَتُهُ يُفْصِلُهَا الْفَاصِلُ، وَمَالُهُ الْحَاضِرُ الْحَاصِلُ، يَعْثُ فِيهِ الْحُسَامُ النَّاصِلُ، وَاللَّهُ يُعَيِّنُ لِلْخَلْفِ إِلَّا مَا تَعَيَّنَ لِلْسَلَفِ، وَلَا يَصِيرُ الْمَجْمُوعُ إِلَّا لِلتَّلَفِ. وَلَا صَحَّ مِنَ الْهَيَاطِ وَالْمِيَاطِ¹ وَالصِّيَاحِ وَالْعِيَاطِ، وَجَمَعَ الْقِيرَاطِ إِلَى الْقِيرَاطِ، وَالِاسْتِظْهَارِ بِالْوَرَعَةِ² وَالْأَشْرَاطِ³، وَالْخَبْطِ وَالْخُبَاطِ، وَالِاسْتِكْنَارِ وَالِاغْتِبَاطِ، وَالْعُلُوَّ وَالِاسْتِطِاطِ، وَبِنَاءِ الصَّرْحِ وَعَمَلِ السَّابَاطِ⁴، وَرَفْعِ الْعِمَادِ وَإِدَارَةِ الْفُسْطَاطِ⁵؛ إِلَّا أَلَمْ يَذْهَبِ الْقُوَّةُ، وَيُنْسِيَ الْآمَالَ الْمَرْجُوءَةَ، ثُمَّ نَفْسٌ يَصْعَدُ، وَسَكَرَاتٌ تَتَرَدَّدُ، وَحَسَرَاتٌ لِفِرَاقِ الدُّنْيَا تَتَجَدَّدُ، وَلِسَانٌ يَتَّقُلُ، وَعَيْنٌ تُبْصِرُ الْفِرَاقَ الْحَقَّ وَتَمَقُّلُ⁶، قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ⁷. ثُمَّ الْقَبْرُ وَمَا بَعْدَهُ، وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعَدَهُ، فَالِإِضْرَابَ الْإِضْرَابَ وَالتُّرَابَ التُّرَابَ.

وَإِنْ اعْتَدَرَ سَيِّدِي بِقَلَّةِ الْجَلَدِ، وَكَثْرَةِ الْوَلَدِ، فَهُوَ ابْنُ مَرْزُوقٍ لَا ابْنُ رَزَاقٍ، وَبَيِّدِهِ مِنَ التَّسَبُّبِ مَا يَتَكَفَّلُ بِإِمْسَاكِ أَرْمَاقٍ. أَيْنَ النَّسْخُ الَّذِي يَبْلُغُ⁸ الْإِنْسَانُ بِأَجْرَتِهِ فِي كِنِّ حُجْرَتِهِ، لَا بَلِ السُّؤَالُ الَّذِي لَا عَارَ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِمَعَرَّةِ السُّؤَالِ، وَاللَّهُ أَفْقَوْمٌ طَرِيقًا، وَالزَّمُّ فَرِيقًا مِنْ يَدٍ تَمْتَدُّ إِلَى حَرَامٍ، لَا يَقُومُ بِمَرَامٍ، وَلَا يُؤَمِّنُ مِنْ ضِرَامٍ، أُخْرِيتُ فِيهِ⁹ الْحُلُّ¹⁰، وَقَلْبَتِ الْأَدْيَانُ وَالْمِلَلُ، وَضُرِبَتِ الْأَبْشَارُ،

- "هم في هياط ومياط: في اضطراب ومجيء وذهاب، والهياط: السوق في الورد، والمياط: السوق في الصدر: أساس البلاغة / هيط، 385/2¹

- "ولا بد للناس من وزعة: من كلفة عن الشر والبعي" أساس البلاغة / وزع، 331/2²

- "ومن ثم قيل لأوائل كل شيء أشراطه، ومنه أشراط الساعة" أساس البلاغة / شرط، 502/1³

- "الساباط: سقيفة تحتها ممر نافذ والجمع سوابيط" المصباح المنير / سبط، ص: 100⁴

- "يد الله على الفسطاط وهو الجماعة" أساس البلاغة / فسط، 22/2⁵

- "مقله الماء: غطه" أ. ب/ مقل، 222/2⁶

- سورة ص، الآية 67⁷

- ع، م: "يتبلغ"⁸

- أ، ق: "قبة" والمثبت من ع، م.⁹

- م: "الحال"¹⁰

وَنُحِرَتِ الْعِشَارُ، وَلَمْ يَصِلْ مِنْهُ عَلَى يَدِ وَاسِطَةِ السُّوءِ الْمِعْشَارُ، ثُمَّ طُلِبَ عِنْدَ الشَّدَّةِ فَفُضِحَ، وَبَانَ شُؤْمُهُ وَوَضَحَ.

اللَّهُمَّ طَهِّرْ مِنَّا أَيْدِينَا وَقُلُوبَنَا، وَبَلِّغْنَا مِنَ الْإِنْصِرَافِ إِلَيْكَ مَطْلُوبَنَا، وَعَرِّفْنَا بِمَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَكَ، وَلَا يَسْتَرْفِدُ إِلَّا خَيْرَكَ، يَا اللَّهُ.

وَحَقِيقٌ عَلَى الْفَضْلَاءِ إِنْ جَنَحَ سَيِّدِي مِنْهَا إِلَى إِشَارَةٍ، وَأَعْمَلَ فِي اجْتِلَابِهَا إِضْبَارَةً¹، أَوْ لَيْسَ مِنْهَا شَارَةً، أَوْ تَشَوَّفَ لَخِدْمَةِ إِمَارَةٍ، أَنْ لَا يُحْسِنُوا ظُنُونَهُمْ بَعْدَهَا بِأَبْنِ نَاسٍ²، وَلَا يَغْتَرُّوا بِسَمَةِ وَلَا خَلْقٍ³ لِفَاءٍ⁴ لِبَاسٍ، فَمَا عَدَا عَمَّا بَدَا تَقْضِي الْعُمَرُ فِي سَجْنٍ وَقَيْدٍ، وَعَمَرُوا وَزَيْدٍ، وَضُرَّ وَكَيْدٍ، وَطَرَادِ صَيْدٍ، وَسَعْدٍ وَسُعَيْدٍ، وَعَبْدٍ وَعَبِيدٍ.

فَمَتَى تَظْهَرُ الْأَبْكَارُ، وَيَقَرُّ الْقَرَارُ، وَتُلَازِمُ الْأَذْكَارُ، وَتُشَامُ الْأَنْوَارُ، وَتَتَجَلَّى الْأَسْرَارُ، ثُمَّ يَقَعُ الشُّهُودُ الَّذِي يَذْهَبُ مَعَهُ الْإِخْبَارُ، ثُمَّ يَحِقُّ الْوُصُولُ الَّذِي إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ الْفِرَارِ، وَعَلَيْهِ الْمَدَارُ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي مَا سِوَاهُ فَبَاطِلٌ، وَالْفَيْضُ الرَّحْمَانِيُّ الَّذِي رَبَابُهُ لَا بُدَّ هَاطِلٌ، مَا شَابَتْ مُخَاطَبَتِي هَذِهِ شَائِبَةً تَرْيِبُ.

وَلَقَدْ مَحَضْتُ لَكَ مَا يَمَحُضُهُ الْحَبِيبُ لِلْحَبِيبِ، فَتَحَمَّلَ الَّذِي حَمَلَتْ عَلَيْهِ الْغَيْرَةُ، وَلَا تَظُنُّ بِي غَيْرُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدَرِي مُكَاشَفَةُ سَيَادَتِكَ بِهَذَا الْبَثِّ، فِي الْأُسْلُوبِ الْعَثِّ، فَالْحَقُّ أَقْدَمُ، وَبِنَاؤُهُ لَا يُهْدَمُ، وَشَأْنِي مَعْرُوفٌ فِي مُوَاجَهَةِ الْجَبَابِرَةِ عَلَى حِينِ يَدِي إِلَى رِفْدِهِمْ مَمْدُودَةٌ، وَنَفْسِي مِنَ النَّفُوسِ

- "إضبارة من كتب أي جماعة، وهي الحزمة، والجمع أضيابير" المصباح المنير / ضير، ص: 135 ¹

- أ، ق: "بارتاس" والمثبت من ع، م. ²

- "خلق الثوب بالضم إذا بلي فهو خلق بفتحيتين" م. م/ خلق، ص: 69 ³

- "اللفاء وهو ما على وجه الأرض من القماش والتراب" أساس البلاغة / لفاء، 2/ 671 ⁴

الْمُتَهَافِتَةِ عَلَيْهِمْ مَعْدُودَةً، وَشَبَابِي فَاحِمٌ، وَعَلَى الشَّهَوَاتِ مُزَاحِمٌ، فَكَيْفَ الْيَوْمَ مَعَ الشَّيْبِ، وَنَصَحِ
 الْجَيْبِ، وَاسْتِكْشَافِ الْعَيْبِ؛ إِنَّمَا أَنَا الْيَوْمَ عَلَى مَنْ عَرَفَنِي كُلُّ ثَقِيلٍ، وَسَيْفُ الْعَدْلِ فِي كَفِّي صَقِيلٌ،
 أَغْزِلُ أَرْيَابَ الْهَوَى وَلَيْسَتْ النُّفُوسُ فِي الْقَبُولِ سَوَاءً، وَلَا لِكُلِّ مَرَضٍ دَوَاءٌ، وَقَدْ شَفِيتَ صَدْرِي، وَإِنْ
 جَهَلْتَ قَدْرِي، فَاحْمِلْنِي -حَمَلَكَ اللَّهُ عَلَى الْجَادَّةِ الْوَاضِحَةِ، وَسَحَبَ عَلَيْكَ سِتْرَ الْأُبُوءِ الصَّالِحَةِ-
 [وَالسَّلَامُ]¹

وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي هَذَا الْغَرَضِ بِمَا نَصُّهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ، الْمُبْدِيِّ الْمُعِيدِ، الْبَعِيدِ فِي قُرْبِهِ مِنَ الْعَبْدِ، الْقَرِيبِ فِي بُعْدِهِ، فَهُوَ
 أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ²، مُحْيِي رُبُوعِ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ بِتَحِيَّاتِ حَيَاةِ التَّوْحِيدِ، وَمُغْنِي نُفُوسَ الزَّاهِدِينَ
 بِكُنُوزِ اخْتِقَارِ الْإِفْتِقَارِ إِلَى الْغَرَضِ³ الزَّهِيدِ، وَمَخْلَصِ خَوَاطِرِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ سُجُونِ دُجُونِ النَّقْيِدِ،
 إِلَى فُسْحِ التَّجْرِيدِ⁴.

نَحْمَدُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ الْمُنْتَظِمَةُ دُرُّهُ فِي سُلُوكِ الدَّوَامِ وَسُمُوطِ التَّائِبِ، حَمْدَ مَنْ نَزَّهَ أَحْكَامَ وَحْدَانِيَّتِهِ
 وَأَعْلَامَ فَرْدَانِيَّتِهِ عَنْ مَرَابِطِ التَّقْلِيدِ فِي مَخَابِطِ الطَّبْعِ الْبَلِيدِ، وَتَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ افْتَتَحَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ
 الْمَزِيدِ.

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م¹

- قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} سورة ق، الآية 16²

- ع: "العرض"³

- التجريد أن يميظ الصوفي من ضميره وقلبه ما سوى الله فلا يرى إلا الحق المعبود، وهو مقام الإحسان "روضة التعريف بالحب الشريف، ص: 47"⁴

وَنَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، شَهَادَةً نَّتَخَطَّى بِهَا مَعَالِمَ الْخَلْقِ إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ عَلَى كِتَابِ التَّفْرِيدِ¹، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قِلَادَةُ الْجُودِ الْمَجِيدِ، وَهَالِلُ الْعِيدِ، وَقَدْ لَكَةُ الْحِسَابِ²، وَبَيَّتُ الْقَصِيدِ، الْمَخْصُوصُ بِمَنْشُورِ الْإِذْلَالِ، وَأَقْطَاعِ الْكَمَالِ، مَا بَيْنَ مَقَامِ الْمُرَادِ، وَمَقَامِ الْمُرِيدِ، الَّذِي جَعَلَهُ السَّبَبَ الْأَوْصَلَ فِي نَجَاةِ النَّاجِي وَسَعَادَةِ السَّعِيدِ، وَخَاطَبَ الْخَلَائِقَ عَلَى لِسَانِهِ الصَّادِقِ، بِحُجَّتِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، فَكَانَ مِمَّا أُوْحِيَ بِهِ إِلَيْهِ، وَأَنْزَلَ الْمَلَكَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ الْحَمِيدِ لِيَأْخُذَ بِالْحَجَرِ³ وَالْأَطْوَاقِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ. {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ، وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ، وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا، فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}⁴ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ صَلَاةً تَقُومُ بِبَعْضِ حَقِّهِ الْأَكِيدِ، وَتَسْرِي إِلَى تَرْبَتِهِ⁵ الزَّكِيَّةِ مِنْ ظُهُورِ الْمَوَاجِدِ الْخَفِيَّةِ عَلَى الْبَرِيدِ:

قَعَدْتُ لِتَذْكَيرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُنْصِيفًا ... لَذَكَّرْتُ نَفْسِي فَهِيَ أَحْوَجُ لِلذِّكْرِ

إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنِّي لِنَفْسِي وَاعِظٌ ... فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تَفْعَلُ فِي أُخْرَى⁶

- التفريد: هو كالتجريد وكالتوحيد، فهي ألفاظ مختلفة لمعان متفقة، وتفصيلها على مقدار حقائق الواجدين " روضة التعريف بالحب الشريف، ص 147¹

- "فذلكلة الحساب: خلاصة تفصيله، والكلمة منحوتة من قولك: فذلك كذا وكذا. والفذلكة حاصل الشيء ونتيجته" روضة التعريف بالحب الشريف، ص 147²

- أي يوظف ليه وعقله لاختيار الطريق المستقيم.³

- سورة ق، الآيات: 16-17-18-19-20-21-22⁴

- أ، ق: "رتبته"، والمثبت من ع، م.⁵

- ديوان ابن الخطيب، 1/ 408. من الطويل.⁶

آه، آه، أَيُّ وَعْظِ اللَّهِ يَا أَحْبَابَنَا يُسْمَعُ، وَفِيمَاذَا وَقَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ يُطْمَعُ، يَا مَنْ يُعْطِي وَيَمْنَعُ، إِنْ لَمْ تَتِمَّ الصَّنِيعَةُ فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ اجْمَعْنَا بِقُلُوبِنَا، يَا مَنْ يَعْرِفُ الْقُلُوبَ وَيَجْمَعُ، وَلَيِّنْ حَدِيدَهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ؛ فَقَدْ اسْتَعَاذَ نَبِيُّكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ¹.

اعْلَمُوا -يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ- أَنَّ الْحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، يَأْخُذُهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ، وَمِنْ الْجَمَادِ وَالْحَيَوَانِ، وَالسِّنَةِ الْمَلَوَانِ²، فَإِنَّ الْحَقَّ نُورٌ لَا يَضُرُّهُ أَنْ يَصْدُرَ مِنَ الْخَامِلِ، وَلَا يَقْصُرُ بِمَحْمُولِهِ احْتِقَارُ³ الْحَامِلِ، وَأَنْتُمْ تَذُرُونَ أَنْتُمْ فِي أَطْوَارِ سَفَرٍ لَا تَسْتَقِرُّ لَهَا دُونَ الْغَايَةِ رِحْلَةٌ، وَلَا تَتَأْتَى مَعَهَا إِقَامَةٌ وَلَا مَهْلَةٌ، مِنَ الْأَصْلَابِ إِلَى الْأَرْحَامِ إِلَى الْوُجُودِ، إِلَى الْقُبُورِ، إِلَى النُّشُورِ، إِلَى إِحْدَى دَارِ الْبَقَاءِ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ⁴؟

فَلَوْ أَبْصَرْتُمْ مُسَافِرًا فِي الْبَرِّيَّةِ يَبْنِي وَيَعْرِشُ، وَيُمَهِّدُ وَيَفْرِشُ، أَلَمْ تَكُونُوا تَضْحَكُونَ مِنْ جَهْلِهِ، وَتَعْجَبُونَ مِنْ رَكَكَةِ عَقْلِهِ؟ وَوَاللَّهِ، مَا أَوْلَادُكُمْ وَشَوَاعِلُكُمْ عَنِ اللَّهِ الَّتِي فِيهَا اجْتِهَادُكُمْ، الْأَبْنَاءُ سَفَرٌ فِي قَفْرِ⁵، وَأَعْرَاسٌ فِي لَيْلَةٍ نَفَرٍ، كَأَنَّكُمْ بِهَا مُطْرَحَةٌ، تَعْتَرُّ فِيهَا الْمَوَاشِي، وَتَنْبُو الْعُيُونُ عَنْ حَقِيرِهَا الْمُتَلَاشِي، {وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}⁶، مَا بَعْدَ الْمَقِيلِ إِلَّا الرَّحِيلُ، وَمَا بَعْدَ الرَّحِيلِ إِلَّا الْمَنْزِلُ الْكَرِيمُ أَوْ الْمَنْزِلُ الْوَبِيلُ، وَأَنْتُمْ تَسْتَقْبِلُونَ أَهْوَالًا: سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، بَوَاكِرَ حِسَابِهَا، وَعَتَبَ أَبْوَابِهَا، فَلَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مِنْهَا عَنْ ذَرَّةٍ لَذَهَبَتِ الْعُقُولُ، وَطَاشَتِ

- الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا أبو كريب، برقم 3482، وأبو داود، كتاب الوتر، باب الاسعاذة من الشقاق والنفاق برقم

5470، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم 1384-1385، وفي صحيح الجامع، برقم 1297.¹

- "الملوان: الليل والنهار" أساس البلاغة / ملو: 228 / 2²

- م: "اقتصار"³

- قال تعالى: "أفي الله شك" ⁴

- ع، م: "قبر"⁵

- سورة الأنفال، الآية: 28⁶

الْأَحْلَامَ، وَمَا كُلُّ حَقِيقَةٍ يَشْرَحُهَا الْكَلَامُ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ}¹ أَفَلَا أَعَدَدْتُمْ لِهَذِهِ الْوَرْطَةِ حِيلَةً، أَوْ أَظْهَرْتُمْ لِلْإِهْتِمَامِ بِهَا مَخِيلَةً؟ أَتَعْوِيلًا عَلَى عَفْوِهِ مَعَ الْمُقَاتِلَةِ، وَهُوَ الْقَائِلُ {إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}²؟ أَلَمَّا مِنْ مَكْرِهِ مَعَ الْمُنَابَذَةِ، {وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}³ أَطْمَعًا فِي رَحْمَتِهِ مَعَ الْمُخَالَفَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: {فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}⁴ أَوْ مَشَاقَّةً وَمُعَانَدَةً، {وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}⁵؟ أَشَكَّا فِيهِ، فَتَعَالَوْا نَعُدُّ الْحِسَابَ، وَنُقَرِّرُ الْعَقْدَ، وَنَنْصِفُ⁶ بِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْيَوْمِ، فَتَفْقَدُوا عَقْدَ الْعَقَائِدِ عِنْدَ التَّسَاهُلِ بِالْوَعِيدِ:

وَالْعَامِيُّ يَذْهَبُ الْأَصْبَحَ الْوَجْعَةَ⁷ وَالْعَارِفُ يُضْمِرُ بِهَا مَبْدَأَ الْعَصَبِ

هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ التَّعَامِي، هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ الْغُرُورُ {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}⁸ وَمَا عَدَا عَمَّا بَدَأَ، وَرَسُولُكُمْ الْحَرِيصُ عَلَيْكُمْ، الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، يَقُولُ لَكُمْ: (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي) فَعَلَّامَ بَعْدَ هَذَا الْمُعَوَّلِ؟ وَمَاذَا يُتَأَوَّلُ؟ اتَّقُوا اللَّهَ فِي نَفْسِكُمْ وَأَنْصَحُوا، وَاعْتَمِمُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ وَارْبَحُوهَا، {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ

- سورة فاطر، الآية: 5¹

- قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} سورة إبراهيم، الآية: 7²

- قال تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} سورة الأعراف، الآية 99³

- سورة الأعراف، الآية 156⁴

- قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} سورة الأنفال، الآية 13⁵

- أ، ق: "ننصف" والمثبت من ع، م.⁶

- م: "الوحيد"⁷

- سورة يس، الآية 30⁸

السَّاحِرِينَ} وَتُنَادِي أُخْرَى: {يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ **فَنَعْمَلُ** غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}¹ وَتَقُولُ أُخْرَى: {رَبِّ ارْجِعُونِ}² وَتَسْتَغِيثُ أُخْرَى: {هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ}³ فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ نَظَرَ لِنَفْسِهِ، قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِهِ، وَقَدَّمَ لِعَدِهِ مِنْ أَمْسِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ تَجُرُّ إِلَى الْمَوْتِ، وَالْعَقْلَةَ تَقُودُ إِلَى الْفَوْتِ، وَالصِّحَّةَ مَرْكَبُ الْأَلَمِ، وَالشَّيْبَةَ سَفِينَةٌ تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ الْهَرَمِ.

وَإِنْ شَاءَ قَالَ بَعْدَ الْخُطْبَةِ

إِخْوَانِي مَا هَذَا التَّوَانِي، وَالْكَفُّ بِالْوُجُودِ الْفَانِي، عَنِ الدَّائِمِ الثَّانِي، وَالذَّهْرُ يُفْطَعُ بِالْأَمَانِي، وَهَادِمُ اللَّذَاتِ قَدْ شَرَعَ فِي نَقْضِ الْمَبَانِي. أَلَا مُعْتَبِرٌ فِي مَعَالِمِ هَذِهِ الْمَعَانِي، أَلَا مُرْتَحِلٌ عَنْ مَعَابِنِ⁴ هَذِهِ الْمَعَانِي:

أَلَا أَذُنٌ تُصْنَعِي إِلَيَّ سَمِيعَةً ... أَحَدَّثَهَا بِالصَّدَقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ

مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي بِأَوَاهِ حَسْرَةٍ ... عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ

هُوَ الْغَرِيبُ الْآتِي عَلَى كُلِّ دِمْنَةٍ ... فَتَوَلَّوْا سِرَاعًا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الْفَوْتُ⁵

يَا كَلِفًا بِمَا لَا يَدُومُ، يَا مَفْتُونًا بِغُرُورِ الْمَوْجُودِ الْمَعْدُومِ، يَا صَرِيعَ جِدَارِ الْأَجَلِ الْمَهْدُومِ، يَا مُشْتَغَلًا بِبِنْيَاتِ الطَّرِيقِ، قَدْ ظَهَرَ الْمُنَاخُ، وَقَرُبَ الْقُدُومُ، يَا غَرِيقًا فِي بَحَارِ الْأَمَلِ مَا عَسَاكَ تَرُومُ،

- سورة الأعراف، الآية 53¹

- قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ} سورة المومنون، الآية 99²

- سورة الشورى، الآية 44³

- م: "مقابر"⁴

- ديوان ابن الخطيب، 1/ 186.⁵

يَا مُعَلَّلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَمَعَ السَّرَابِ لَا بُدَّ أَنْ يُهَجَرَ الْمَشْرُوبُ، وَيُتْرَكَ الْمَطْعُومُ، دَخَلَ سَارِقُ
الْأَجَلِ بَيْتَ عُمْرِكَ، فَسَلَبَ النَّشَاطَ، وَأَنْتَ تَنْتَظِرُ، وَطَوَى الْبَسَاطَ وَأَنْتَ تَكْذِبُ. وَافْتَلَعَ جَوَاهِرَ
الْجَوَارِحِ، وَقَدْ وَقَعَ بِكَ الْبُهْتُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ الْوِسَادَةَ عَلَى أَنْفِكَ وَيَفْعَلَ:

لَوْ خَفَّفَ الْوُجْدُ عَنِّي دَعَوْتُ طَالِبَ ثَارِي¹

كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا² كَيْفَ التَّرَاخِي وَالْمَوْتُ³ مَعَ الْأَنْفَاسِ يُرْتَقَبُ وَيُنْتَظَرُ؟ كَيْفَ الْأَمَانُ، وَهَادِمُ
اللَّذَاتِ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ؟ كَيْفَ الرُّكُونُ إِلَى الطَّمَعِ الْفَاضِحِ، وَقَدْ صَحَّ الْخَبَرُ؟ مَنْ فَكَّرَ فِي كُرْبِ
الْحَمَارِ، تَنَغَّصَتْ عِنْدَهُ لَذَّةُ النَّبِيذِ، مَنْ أَحَسَّ بِلَغَطِ الْحَرَسِ فَوْقَ جِدَارِهِ لَمْ يُصْنَعْ بِسَمْعِهِ إِلَى نِعْمَةِ
الْعُودِ، مَنْ تَيَقَّنَ بِذُلِّ الْعُزْلَةِ هَانَ عِنْدَهُ عِزُّ الْوَلَايَةِ:

مَا قَامَ خَيْرُكَ يَا زَمَانُ بِشَرِّهِ ... أَوْلَى لَنَا مَا قَلَّ مِنْكَ وَمَا كَفَى⁴

أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَنْ ضَعْ يَدَكَ عَلَى مَثْنِ ثَوْرٍ، فَيَقْدِرَ مَا حَازَتْهُ مِنْ
شَعْرِهِ تَعِيشُ سِنِينَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَبَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: تَمُوتُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، فَأَلَانَ:

رَأَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَى آخِرٍ ... فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا⁵

- ديوان ابن الخطيب من المجتث¹
- قال تعالى: {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} سورة المؤمنون، الآية:
100²

- ع، م: "الفوت"³

- من الكامل.⁴

- ديوان الإمام علي، من المتقارب.⁵

إِذَا شَعَرْتَ نَفْسُكَ بِالْمَيْلِ إِلَى شَيْءٍ مَا إِعْرِضْ عَلَيْهَا غُصَّةَ فِرَاقِهِ **إِلَيْهِلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ**
وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ {فَالْمَفْرُوحُ بِهِ، هُوَ الْمَحْزُونُ عَلَيْهِ، أَيْنَ الْأَحْبَابُ؟ مَرُّوا فَيَا لَيْتَ شِعْرِي
 أَيْنَ اسْتَقَرُّوا، وَاسْتَكَانُوا لِلَّهِ وَاضْطَرُّوا، وَاسْتَغَانُوا بِأَوْلِيَائِهِمْ فَفَرُّوا؟ وَلَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَنْفَعُوا مَا ضَرُّوا،
 فَالْمَنَازِلُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَالِيَةٌ خَاوِيَةٌ، وَالْغُرُوسُ ذَابِلَةٌ ذَاوِيَةٌ، وَالْعِظَامُ مِنْ بَعْدِ التَّقَاضِلِ مُتَشَابِهَةٌ
 مُتَسَاوِيَةٌ، وَالْمَسَاكِينُ تَنْدُبُ فِي أَطْلَالِهَا **الدُّنَابُ** العَاوِيَةُ¹:

صَحْتُ بِالرَّيْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا ... لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمْضِي الْغَرِيبُ؟

وَبِجَنِّبِ الدَّارِ قَبْرَ خَصِيبٍ ... مِنْهُ يَسْتَسْقِي الْمَكَانُ الْجَدِيبُ

غَابَ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التِّمَاحِي ... قُلْتُ: هَذَا الْقَبْرُ، فِيهِ، الْحَبِيبُ

لَا تَسَلْ عَنْ رَجْعَتِي كَيْفَ كَانَتْ؟ ... إِنَّ يَوْمَ الْبَيْنِ يَوْمٌ عَصِيبُ

بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّتُ نَفْسِي ... بَعْدَ الْفِي كُلِّ آتٍ قَرِيبُ²

أَيْنَ الْمُعَمَّرُ الْخَالِدُ؟ أَيْنَ الْوَلَدُ؟ أَيْنَ الْوَالِدُ؟ أَيْنَ الطَّارِفُ؟ أَيْنَ التَّالِدُ؟ أَيْنَ الْمُجَادِلُ؟ أَيْنَ

الْمُجَالِدُ؟ {هَلْ تُحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا}³ وَجُوهٌ عَلَاهَا الثَّرَى، وَصَحَائِفُ تُقْصُ⁴

وَأَعْمَالٌ عَلَى اللَّهِ تُعْرَضُ، بَحَثَ الزُّهَادُ وَالْعِبَادُ، وَالْعَارِفُونَ وَالْأَوْتَادُ، وَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ هُدِيَ بِهِمُ الْعِبَادُ،

- م: "العادية"¹

- ديوان لسان الدين ابن الخطيب، 1/ 154. وهي من المديد.²

- سورة مريم، الآية: 98³

- م: "نقض" وهو تصحيف.⁴

عَنْ سَبَبِ الشَّقَاءِ الَّذِي لَا سَعَادَةَ بَعْدَهُ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْبُعْدَ عَنِ اللَّهِ، وَسَبَبُهُ حُبُّ الدُّنْيَا، لَنْ تَجْتَمَعَ
أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ¹:

هَجَرْتُ حَبَائِي مِنْ أَجْلِ لَيْلَى ... فَمَا لِي بَعْدَ لَيْلَى مِنْ حَبِيبٍ

وَمَاذَا أَرْتَجِي مِنْ حُبِّ لَيْلَى ... **سَتَجَزِي** بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبٍ²

وَقَالُوا مَا أَوْرَدَ النَّفْسَ الْمَوَارِدَ، وَفَتَحَ لَهَا بَابَ الْحَنْفِ إِلَّا الْأَمَلُ، كُلَّمَا قَوَّمتُهَا مَنَاقِفُ الْحُدُودِ
فَسَحَ لَهَا أَرْكَانَ الرُّخَصِ، كُلَّمَا عَقَدَتْ صَوْمَ الْعَزِيمَةِ، أَهْدَاهَا طُرْفَ الْغُرُورِ فِي أَطْبَاقٍ، حَتَّى إِذَا،
وَلَكِنْ، وَرُبَّمَا، فَأَفْرَطَ الْقَلْبُ فِي تَقْلِيلِهَا حَتَّى أَبْطَرَ:

مَا أَوْبَقَ الْأَنْفُسَ إِلَّا الْأَمَلُ ... وَهُوَ غُرُورٌ مَا عَلَيْهِ عَمَلٌ

يَفْرِضُ مِنْهُ الشَّخْصُ وَهَمًّا مَا لَهُ ... حَالٌ وَلَا مَاضٍ وَلَا مُسْتَقْبَلٌ

مَا فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ نَفْسٌ حَيَّةٌ ... إِلَّا قَدْ انْقَضَى عَلَيْهَا أَجَلٌ

لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِهَا قَدْ كُونُوا ... لَا مَمْتَلَأَ السَّهْلُ بِهِمْ وَالْجَبَلُ

مَا تَمَّ إِلَّا لُقْمَةً قَدْ هُيِّئَتْ لِلْمَوْتِ وَهُوَ الْآكِلُ الْمُسْتَعْجِلُ

وَالْوَعْدُ حَقٌّ وَالْوَرَى فِي غَفْلَةٍ ... قَدْ خُودِعُوا بِعَاجِلٍ وَضَلُّوا

أَيْنَ الَّذِينَ شَيَّدُوا وَاعْتَرَسُوا ... وَمَهْدُوا وَافْتَرَشُوا وَظَلَّلُوا

- قال الشيخ الألباني عنه في ضعيف ابن ماجة: ضعيف جدا. المشكاة 173- 174، السلسلة الضعيفة 2896، صحيح الجامع 1848.¹

- ديوان قيس بن الملوح. من الوافر.²

أَيْنَ دَوُوا الرَّاحَاتِ زَادَتْ حَسْرَةً ... إِذْ جُنِبُوا إِلَى الثَّرَى وَانْتَقَلُوا

لَمْ تَدْفَعِ الْأَحْبَابُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنْ ... بَكُوا عَلَى فِرَاقِهِمْ وَأَعْوَلُوا

اللَّهُ فِي نَفْسِكَ أَوْلَى مَنْ لَهُ ... ذَخَرْتَ نَصْحًا وَعِتَابًا يَقْبَلُ

لَا تَتْرُكْنَهَا فِي عَمَى وَحَيْرَةٍ ... عَنْ هَوْلٍ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا تَغْفُلُ

حَقَّرَ لَهَا الْفَانِي وَحَاوَلَ زُهْدَهَا وَشَوَّقَهَا إِلَى الَّذِي تَسْتَقْبِلُ

وَفِدَ إِلَى اللَّهِ بِهَا مُضْطَرَّةً ... حَتَّى تَرَى السَّيْرَ عَلَيْهَا يَسْهَلُ

هُوَ الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ بَعْدَهُ ... وَاللَّهُ عَنْ حِكْمَتِهِ لَا يُسْأَلُ

يَا فَرَّةَ الْعَيْنِ وَيَا حَسْرَتَهَا ... يَوْمَ يُوفَى النَّاسُ مَا قَدْ عَمِلُوا¹

يَا طُرْدَاءَ الْمُخَالَفَةِ إِنَّكُمْ مُدْرِكُونَ² ، فَاسْتَبِقُوا بَابَ التَّوْبَةِ، فَإِنَّ رَبَّ تِلْكَ الدَّارِ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ

عَلَيْهِ³، فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا هَدَاكُمْ⁴. يَا طُفَيْلِيَّةَ الْهِمَّةِ دُسُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي زَمْرِ التَّائِبِينَ، وَقَدْ

دُعُوا إِلَى دَعْوَةِ الْحَبِيبِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْلٌ، فَلَا أَقْلٌ مِنْ طِيبِ الْوَلِيمَةِ.

- ديوان لسان الدين ابن الخطيب، 2/ 513. وهي من الرجز.¹

- قال تعالى: {فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} سوري الشعراء، الآية: 61²

- سورة المؤمنون، الآية: 88³

- قال تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} سورة البقرة، الآية: 239.⁴

قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: "إِذَا عَقَدَ التَّائِبُونَ الصُّلْحَ مَعَ اللَّهِ انْتَشَرَتْ رَعَايَا الطَّاعَةِ فِي عَمَالَةِ الْأَعْمَالِ، {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا، وَوُضِعَ الْكِتَابُ} ¹، مَعَانِي هَذَا الْمَجْلَسِ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- نَسِيمٌ سَحَرٍ، إِذَا انْتَشَقَهُ مَحْمُورُ الْغَفْلَةِ أَفَاقَ، سَعُوطُ ² هَذَا الْوَعْظِ يَنْفُضُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- رُكْمَةَ الْبِطَالَةِ.

إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ، أَنْزَلَ الدَّوَاءَ، إِكْسِيرُ هَذَا الْعِتَابِ، يَغْلِبُ بِحِكْمَةِ جَابِرِ الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ.

عَمَّنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ، {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} ³ إِلَهِي ⁴ دُلَّهَا مِنْ حَيْرَةٍ يَضِلُّ فِيهَا إِلَّا أَنْ هَدَيْتَ الدَّلِيلَ، وَاجْلُهَا مِنْ غَمْرَةٍ، وَكَيْفَ -إِلَّا بِإِعَانَتِكَ- السَّبِيلُ. نُفُوسٌ صَدَى عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ، مِنْهَا الصَّقِيلُ، وَنَبَا بِجُنُوبِهَا عَنِ الْحَقِّ الْمَقِيلُ، وَآذَانٌ أَبْهَضَهَا ⁵ الْقَوْلُ الثَّقِيلُ، وَعَثَرَاتٌ لَا يُقِيلُهَا إِلَّا أَنْتَ يَا مُقِيلُ، حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

- سورة الزمر، الآية: 69 ¹
 - ع: "سقوط"، م: "بسقوط" و "السعوط دواء يصب في الأنف" المصباح المنير/ سعط، ص 105 ²
 - سورة الأنعام، الآية: 36. ³
 - م: "إلا هي" ⁴
 - م: "أبهظها" ⁵

وَمِنْ ذَلِكَ

إِخْوَانِي، صُمَّتِ الْأَذَانُ وَالنَّدَاءُ جَهِيرٌ، وَكُذِّبَ الْعِيَانُ وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ شَهِيرٌ، أَيْنَ الْمَلِكُ؟ وَأَيْنَ
الظَّهِيرُ؟ أَيْنَ الْخَاصَّةُ وَأَيْنَ الْجَمَاهِيرُ؟ أَيْنَ الْقَبِيلُ وَأَيْنَ الْعَشِيرُ؟ أَيْنَ كِسْرَى وَأَيْنَ أَرْدَشِيرُ؟ صَدَقَ
اللَّهُ النَّاعِي، وَكُذِّبَ الْبَشِيرُ، وَعَزَّ الْمُسْتَشَارُ وَاتَّهَمَ الْمُسْتَشِيرُ¹، وَسُئِلَ عَنِ الْكُلِّ فَأَشَارَ إِلَى التُّرَابِ
الْمُشِيرُ:

خُذْ مِنْ حَيَاتِكَ لِلْمَمَاتِ الْآتِي ... وَبَدَارِ مَا دَامَ الزَّمَانُ مُوَاتِي

لَا تَغْتَرِرْ فَهُوَ السَّرَابُ بِقِيعَةٍ ... قَدْ خُودِعَ الْمَاضِي بِهِ وَالْآتِي

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ وَاعِظًا وَمُذَكِّرًا ... يَوْمًا لِيُوقِظَهُ مِنَ الْغَفَلَاتِ

هَلَّا اعْتَبَرْتَ وَيَا لَهَا مِنْ عِبْرَةٍ ... بِمَدَافِنِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ

قِفْ بِالْبَقِيعِ وَنَادِ فِي عَرَصَاتِهِ ... فَلَكُمْ بِهِ مِنْ جِيرَةٍ وَلِدَاتِ

دَرْجُوا وَلَسْتَ بِخَالِدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ ... مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ بِوَصْفِ حَيَاةِ

وَاللَّهِ مَا اسْتَهْلَلْتَ حَيًّا صَارِحًا ... إِلَّا وَأَنْتَ تُعَدُّ فِي الْأَمْوَاتِ

لَا قُوَّةَ عَنْ دَرْكِ الْحِمَامِ لِهَارِبٍ ... وَالنَّاسُ صَرَعَى مَعْرَكِ الْآفَاتِ

كَيْفَ الْحَيَاةُ لِدَارِجٍ مُتَكَلِّفٍ ... سِنَّةَ الْكَرَى بِمَدَارِجِ الْحَيَاتِ

- أ، م: "المشير"، والمثبت من ع¹

أَسْفَا عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْأَمْوَاتِ لَا ... نُنْفَكُ عَنْ شُغْلِ بَهَاكَ وَهَاتِ

وَيَغْرُبَا لَمْعُ السَّرَابِ فَنَغْتَدِي ... فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَادِمِ اللَّذَاتِ

وَاللَّهُ مَا نَصَحَ امْرَأً مِنْ غَشَّهٖ ... وَالْحَقُّ لَيْسَ بِخَافِتِ الْمَشْكَاةِ¹

يَا مَنْ غَدَا وَرَاحَ، وَأَلْفَ الْمَرَّاحِ، يَا مَنْ شَرِبَ الرَّاحَ، مَمْرُوجَةً بِالْعَذْبِ الْقَرَّاحِ، وَقَعَدَ لِقِيَانِ
صُرُوفِ الزَّمَانِ، مَفْعَدَ الْإِفْتِرَاحِ، كَأَنَّكَ وَاللَّهِ بِاخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ، وَسَمَاعِ الصِّيَّاحِ، وَهُجُومِ غَارَةِ
الْاجْتِيَّاحِ، فَأَدِيلَ الْخُفُوتِ مِنَ الْأَرْتِيَّاحِ، وَنُسَيْتِ أَصْوَاتِ الْغِنَاءِ بِرَنَاتِ النَّيَّاحِ، وَعَوَّضْتَ غُرْرَ النَّوْبِ
بِالْقِيَّاحِ، مِنْ غُرْرِ الْوُجُوهِ الصَّبَّاحِ، وَتَتَاوَلَتِ الْجُسُومَ النَّاعِمَةَ أَيْدِي الرِّيَّاحِ، وَتَنُوسِيَّتِ الْعُهُودَ الْوَثِيقَةَ
الْإِطْرَاحِ، بَكَرَ الْمَسَاءِ عَلَيْهَا وَالصَّبَّاحِ، وَأَصْبَحَتْ كَمَاءُ النَّطَاحِ مِنْ تَحْتِ الْبُطَاحِ، وَحَمَلَتِ الْمُهَنَّدَةَ
وَالرَّمَّاحِ، ذَلِيلَةً بَعْدَ الْجِمَاحِ:

وَلَوْ كَانَ هَوْلُ الْمَوْتِ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ ... لَهَانَ **عَلَيْهَا** الْأَمْرُ وَاحْتَقِرَ الْهَوْلُ

وَلَكِنَّهُ حَشْرٌ وَنَشْرٌ وَجَنَّةٌ وَنَارٌ وَمَا لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ الْقَوْلُ²

يَا مُشْتَعِلًا بِدَارِهِ وَرَمَّ جِدَارِهِ، عَنْ إِسْرَاعِهِ³ إِلَى النَّجَاةِ وَبِدَارِهِ، يَا مَنْ صَاحَ بِإِنْذَارِهِ، شَيْبُ عِدَارِهِ،
يَا مَنْ صَرَفَ عَنِ اعْتِدَارِهِ بِإِقْدَانِهِ وَإِقْدَارِهِ. يَا مَنْ قَطَعَهُ بُعْدُ مَرَارِهِ، وَثَقَلَ أَوْزَارِهِ، يَا مُعْتَلِفًا⁴ يَنْتَظِرُ
هُجُومَ جَزَارِهِ، يَا مُخْتَلِسًا لِلْأَمَانَةِ يَرْتَقِبُ مُفْتَشٍ مَا تَحْتَ إِزَارِهِ.

- ديوان لسان الدين ابن الخطيب، 187/1. وهي من الكامل.

- روضة التعريف بالحب الشريف، ص: 106²

- ع: "إسراحه" وهو تصحيف.

- ع: "معتلفا"، م: "متعلفا" ولعل الصواب ما أثبت.

يَا مَنْ أَمَعَنَ فِي خَمْرِ الْهَوَى خَفَ مِنْ إِسْكَارِهِ، يَا مَنْ خَالَفَ مَوْلَى رِقِّهِ، تَوَقَّ مِنْ إِنْكَارِهِ. يَا
كَلِفًا بِعَارِيَةِ تُرْدُ، يَا مَفْتُونًا بِأَنْفَاسِ نُعْدُ، يَا مُعَوَّلًا عَلَى الْإِقَامَةِ وَالرَّحَالِ تُشَدُّ، كَأَنَّنِي بِكَ وَقَدْ أُوثِقَ
الشَّدُّ، وَالْصِّقَ بِالْوِسَادَةِ الْخَدُّ، وَالرَّجُلُ تُقْبَضُ وَالْأُخْرَى تُمَدُّ، وَاللِّسَانُ يَقُولُ يَا لَيْتَنَّا نُرْدُ¹:

إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَإِنَّا لَهُ ... مَا أَشْغَلَ الْإِنْسَانَ عَنْ شَانِهِ

يَرْتَاخُ لِلْأَثْوَابِ يُزْهِى بِهَا ... وَالْخَيْطُ مَغْزُولٌ لِأَكْفَانِهِ

وَيَخْزُنُ الْفَلَسَ لَوَارِثِهِ ... مُسْتَنْفِدًا مَبْلَغَ أَكْوَانِهِ

قَوَّضَ عَنِ الْفَانِي رِحَالَ أَمْرِي ... مَدَّ إِلَيْهِ كَفَّ عِرْفَانِهِ

مَا نَمَّ إِلَّا مَوْقِفَ رَاهِنٍ ... قَدْ وُكِّلَ الْعَدْلُ بِمِيزَانِهِ

مُفَرِّطٌ يَشْقَى بِتَفْرِيطِهِ ... وَمُحْسِنٌ يُجْزَى بِإِحْسَانِهِ²

يَا هَذَا خَفِيَ عَلَيْكَ فَرَضُ اعْتِقَادِكَ، فَالْتَبَسَ الشَّحْمُ بِالْوَرَمِ. جَهَلْتَ قِيَمَ الْمَعَادِنِ فَبِعْتَ الشَّبَّةَ
بِالذَّهَبِ، فَسَدَ حِسُّ دَوَقِكَ، فَتَفَكَّهْتَ بِحَنْظَلِهِ، أَتَيْنَ حِرْصُكَ مِنْ أَجْلِكَ؟ أَتَيْنَ قَوْلُكَ مِنْ عَمَلِكَ؟ يُدْرِكُكَ
الْحَيَاءُ مِنَ الطُّفْلِ، فَتَنْتَحِمَى حِمَى الْفَاحِشَةِ فِي الْبَيْتِ بِسَبَبِهِ، ثُمَّ تُوَاقِعُهَا بِعَيْنِ خَالِقِ الْعَيْنِ، وَمُقَدَّرِ
الْكَيْفِ وَالْأَيْنِ، تَاللهِ مَا فَعَلَ فِعْلَكَ بِمَعْبُودِهِ مَنْ قَطَعَ بِوُجُودِهِ { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ... الْآيَةُ
"، تَعُودُ عَلَيْكَ مَسَاعِي الْجَوَارِحِ الَّتِي سَخَّرَهَا لَكَ بِالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَتَبْخُلُ

- قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَّا نُرْدُّ وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} سورة الأنعام، الآية: 27¹
- ديوان لسان الدين ابن الخطيب، 2/ 627. وهي من السريع.²

مِنْهَا فِي [سَبِيلِهِ]¹ بَفْلَسٍ، وَأَحَدُ الْأَمْرَيْنِ لَازِمٌ؛ إِمَّا التَّكْذِيبُ وَإِمَّا الْحَمَاقَةُ. وَجَمْعُكَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ عَجِيبٌ، يَزُرُّكَ السَّنِينَ الْعَدِيدَةَ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ وَجَبَ لَكَ، وَتُسِيءُ الظَّنَّ بِهِ يَوْمَ تُوجِبُ الْحَقَّ، وَتَعْتَذِرُ بِالْغَفْلَةِ، فَمَا بِالْتَّمَادِي؟ تَعْتَرِفُ بِالذَّنْبِ فَمَا الْحُجَّةُ مَعَ الْإِصْرَارِ؟ {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَجِدًا}²

يَا مُدَّعِي النَّسِيَانِ مَاذَا فَعَلْتَ مِنْ بَعْدِ التَّذْكِيرِ³؟ يَا مُعْتَذِرًا بِالْغَفْلَةِ أَيْنَ نُصْرَةُ التَّنْبِيهِ؟ يَا مَنْ قَطَعَ بِالرَّحِيلِ أَيْنَ الزَّادُ؟ يَا دُبَابَةَ⁴ الْحَرَصِ إِلَى كَمْ تُلْجَحُ⁵ فِي وَرْطَةِ الشَّهْدِ؟ يَا نَائِمًا مِلءَ عَيْنَيْهِ جِدَارُ الْأَجَلِ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ، يَا ثَمَلِ الْأَعْتِرَارِ قُرْبَ خَمَارِ النَّدَمِ. تَدَّعِي الْحِذْقَ بِالصَّنَائِعِ، وَتَجْهَلُ هَذَا الْقَدْرَ. تَبْذُلُ النَّصْحَ لِغَيْرِكَ، وَتَعُشُّ نَفْسَكَ هَذَا الْغِشَّ. انْدَمَلْ جُرْحُ تَوْبَتِكَ عَلَى عَظْمٍ، قَامَ بِنَاءُ عَزِيمَتِكَ عَلَى رَمَلٍ، نَبَتَتْ خَضِرَاءُ دَعْوَتِكَ عَلَى دِمْنِهِ. عَقَدْتَ كَفَّكَ مِنَ الْحَقِّ عَلَى قَبْضَةِ مَاءٍ { فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا...الآيَةُ }⁶ إِذَا غَامَ جَوْ الْمَجْلِسِ، وَابْتَدَأَ رَشُّ غَمَامِ الدُّمُوعِ، قَالَتْ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ: حَوَالِينَا وَلَا عَلَيْنَا⁷، فَوَالَتْ رِيَا حُ الْغَفْلَةِ وَسَحَابُ الصَّيْفِ هَفَافٌ⁸ كُلَّمَا شَدَّ طِفْلُ

- ع: ساقط¹

- سورة الأعراف، الآية: 58²

- م: "التفكير" ولعل الصواب ما أثبت³.

- ع: "ذنابة" "نظر إليه بذنب عينه وذنابها وذنابتها وذنابتها بالكسر والضم، أي بمؤخرها" أساس البلاغة / ذنب، 1 / 318⁴

- ع: "تلجج"، م: "تلحج"⁵

- سورة فاطر، الآية: 8⁶

- قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم حوالينا ولا علينا؛ اللهم على الأكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر) حديث أنس

متفق عليه في استسقاء النبي صلى الله عليه وسلم.⁷

- "سراب هفاف وقد اهتف السراب إذا برق" أساس البلاغة / هفف، 2 / 376⁸

العزيمة كفه على درة¹ التوبة صانعه ظئر² الشهوة على ذلك بعصفور. إذا ضيق الخوف فسحة المهل، سرق الأمل حدود الجار.

قال بعض الفضلاء: "كانوا إذا فقدوا مطلوبهم تأملوا قلوبهم، ولو صدق الواعظ الأثر، اللهم لا أكثر، طبيب يداوي الناس وهو عليل، والتفتن قليل، فهل إلى الخلاص سبيل؟ اللهم انظر بعين رحمتك التي وسعت الأشياء، وشملت الأموات والأحياء، يا دليل الحائرين، دلنا يا عزيز، ارحم دلنا يا ولي من لا ولي له. كن لنا، إن أعرضت عنا فمن لنا؟ نحن المذنبون، وأنت غفار الذنوب، فقلب قلوبنا يا مقلب القلوب، واستر عيوبنا يا ستار العيوب، يا أمل الطالب وغاية المطلوب، أنت حسبنا ونعم الوكيل.

- "وسحابة مدرار ولها درة ودرر" أساس البلاغة / درر، 1 / 283¹
- الظئر: المرأة العاطفة على ولد غيرها.²

وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي هَذَا الْغَرَضِ مِمَّا خَاطَبْتُ بِهِ أَحَدَ الْفَضَلَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَبُنُورِ النُّبُوءَةِ نَجَلُو عَنَّا غِيَاهِبَ الظَّلَامِ، وَنَسْعَى إِلَى دَارِ السَّلَامِ. حَفِظَكَ اللَّهُ يَا أَبَا سَعِيدٍ، وَأَرْشَدَ سَعْيِكَ، وَتَدَارَكَ بِالْمَرِيَّةِ¹ وَهَيْكَ، قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ الْمَوْتُ نَعْيَكَ، وَقَفَّتْ عَلَى بَرَاءَتِكَ الطَّوِيلَةِ الدَّيْلُ، الْمَطْفَقَةُ² فِي الْكَيْلِ، مُشْتَمَلَةٌ عَلَى تَهْوِيلٍ، وَمَرْعَى وَبِيلٍ، وَعِتَابٍ طَوِيلٍ، وَتَبَجُّحٍ بِالْفَافِ وَأَقَاوِيلٍ، لَمْ يَنْجَعْ فِيهَا طِبُّ ابْنِ مُقَدِّمٍ، وَلَا عِلَاجُ ابْنِ عَبْدِ الْجَلِيلِ. مَا نَمَّ إِلَّا عَوَائِدُ يُشْتَكَى مِنْ لُزُومِهَا وَوُخْزٍ³ كُلُّومِهَا⁴، وَبُعْدُ يُتَضَرَّرُ مِنْ طُولِ مَدَاهُ، وَوَهْمُ يُفْلَقُ مِنْ اشْتِيَاكِ لُحْمَتِهِ بِسَدَاهُ⁵، مَعَ الْإِعْتِرَافِ مِنْهُ بِالْعُنُورِ مِنَ الشَّيْخِ الْوَاصِلِ، [عَلَى الْكَنْزِ الْحَاصِلِ، وَمُصَاحَبَةِ مَنْ يُطَبِّقُ بِالْحُسَامِ النَّاصِلِ]⁶ شَوَاكِلَ الْمَفَاصِلِ. إِنْ كَانَ الْفَتْحُ حَاصِلًا فَمَا مَعْنَى الشَّكْوَى؟ أَوْ لَمْ يَحْصُلْ، فَحَتَّى مَتَى الْبُلُوى؟ وَهَذَا الدَّيْنُ الَّذِي يُلَوَّى، وَغَرِيمُهُ مَعَ اللَّدِّ يَهْوَى، وَالْهَوَى مَعَ انْصِرَامِ الْعُمُرِ فِي هَذَا الْمَهْوَى.

أَيْنَ الثَّمَرَاتُ يَا شَجَرَ الْخُورِ؟ أَيْنَ الرَّاهِبِي يَا جَاعِلَ الْبَصَلَةِ فِي أُسْتِ الثَّوْرِ؟ تَتَأَوُّكُمْ عَلَى النَّاسِ تَقْلِيدٌ، وَشَأْنُكُمْ فِي الْاِخْتِيَارِ⁷ شَأْنُ الْبَلِيدِ، وَعُقُولُكُمْ يَتَرَفَّعُ عَنْهَا عَقْلُ الْوَلِيدِ. ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْعَوَائِدَ، الَّتِي تُشْكَى، وَيُضْحَكُ لَهَا ثُمَّ يُبْكَى، وَيَتَلَذَّذُ بِذِكْرِهَا حِينَ تُحْكَى، لَمْ تُضَاقِقِ الْإِيمَانَ، وَلَا رَفَعَتْ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - الْأَمَانَ.

- ع، م: "بالمرمة" ¹

- م: "المطفقة" وهو تصحيف. ²

- ع: "ووخر"، م: "ودخر" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي للجروح وخز كوخز الإبر. ³

- م: "قلومها" ولعل الصواب ما أثبت؛ أي جروحها. ⁴

- "وأرض سدى: لا تعمر" أساس البلاغة / سدي، 1 / 447 ⁵

- أ: ساقط، والزيادة من ع، م ⁶

- أ، ق، م: "الاختبار" والمثبت من ع. ⁷

إِنَّمَا هِيَ بِزَعْمِكُمْ حُبُّ دُنْيَا لَا يُعَارِضُ الْوَعْدَ، وَلَا يُسَابِقُ الْعَقْدَ، وَالْعَوَائِدُ تُعَالَجُ مَعَ بَقَائِهَا وَعِمْرَانِ نَافِقَاتِهَا، بِأَدْوِيَّةٍ شَرْعِيَّةٍ تُثِيرُ عُبُوسَهَا، وَتُذْهِبُ بُؤْسَهَا، وَتُمْلِسُ أَدِيمَهَا، وَتُوْنِسُ عَدِيمَهَا، صَعْبٌ عَلَيْكُمْ اسْتِعْمَالُهَا، وَسَهْلٌ لَدَيْكُمْ إِهْمَالُهَا. وَرُمْتُمُ الْغَايَاتِ بِالثَّرَهَاتِ، وَالْحَقَائِقَ بِالشُّبُهَاتِ، وَدَعَوَى الدَّرَجَاتِ مَعَ الْمُدَاجَاةِ، وَالشَّرِيعَةَ لَمْ تَذْهَبْ، وَالْمَدَارِسُ لَمْ تُخْرَبْ، وَالْكَتُبُ لَمْ تُحْرَقْ، وَسِيرَةُ النَّبِيِّ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ لَمْ تُخْتَلَسْ وَلَمْ تُسْرَقْ. أَنْتُمْ مِنَ الْوَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالذِّمَمِ الْمَرْعِيَّةِ.

أَيْنَ الصَّدَقَاتُ، إِذَا حَدَقْتَ إِلَى الْأَكْفِ الْحَدَقَاتُ؟ أَيْنَ زُفُ اللَّيْلِ؟ أَيْنَ الزَّكَاةُ الْمُتَوَعَّدُ مُمَسِّكُهَا بِالْوَيْلِ؟ أَيْنَ الْجِهَادُ وَارْتِبَاطُ الْخَيْلِ؟ أَيْنَ الْحَجُّ وَرُكْبَانُهُ، تَتَدَافَعُ تَدَافَعِ السَّيْلِ؟ أَيْنَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الَّذِي تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ؟ أَيْنَ الْخُلُقُ الَّذِي لَا يَصِحُّ دُونَهَا الْمَطْلُوبُ؟ أَيْنَ الْحِظُّ الْمَغْلُوبُ؟ أَيْنَ الصَّبْرُ وَالسُّكُونُ، وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ مِمَّنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ؟ أَيْنَ قَيْدُهَا وَتَوَكُّلُ، أَظْنُهُ أَشْكَلَ؟ أَيْنَ الْأَنْفَقَةُ مِنَ الْأَشْتِهَارِ؟ أَيْنَ الْأَنْسُ بِالْخُلُوةِ بِيَاضِ النَّهَارِ؟ عُدِلَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى الْبُخْلِ عَلَى الْمَسَاكِينِ، وَالسَّلَاطَةِ عَلَى أَهْلِ الدَّكَائِينِ، وَهَجَرَ الْمَوْرِدِ الْمَعِينِ، وَالتَّغْوِيلِ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ مِنْ خُرْجَةٍ ابْنِ سَبْعِينَ¹.

وَالْحِرْمَانُ تَتَضَاعَفُ مَكَاسِبُهُ، وَالْمَقْصِدُ الْخَبِيثُ يَمُدُّهُ الشَّيْطَانُ بِمَا يُنَاسِبُهُ، مَقَامُ التَّوْبَةِ لَمْ يُحْصَلْ، وَسُورُ² الْوِلَايَةِ لَمْ تُفْصَلْ، وَعُقُودُ الْعَقْدِ الصَّحِيحِ لَمْ تُبْرَمْ، وَالْمُحَرَّمَاتُ بَعْدُ لَمْ تُحَرَّمْ، وَالْمُوَاجِدُ لَمْ يَخْطُبِ الْمَحَلَّ الْأَكْرَمَ، الْقَوَاعِدُ بَعْدُ مُضَاعَعَةٌ، وَمَعْرِفَةُ اللَّهِ قَدْ جُعِلَتْ بِضَاعَةً، الْخُلُقُ لَمْ تُهْدَبْ، وَالنَّفُوسُ فِي التِّمَاسِ الْكَمَالِ تُعَدَّبُ، ثَمَرَاتُ الْعَمَلِ لَمْ تُحْصَدْ، وَغَايَاتُهَا فِي الْحَوَانِيتِ تُقْصَدُ،

- م: "طير"¹

- ع، م: "سوء" وهو تحريف.²

كَأَنَّ جُمْهُورَ الْمُسْلِمِينَ هَمَجٌ مُهْمَلٌ، كَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ تُبَيَّنْ مَا يُعْمَلُ، كَأَنَّ الشَّرِيعَةَ لَيْسَ لِأَوْضَاعِهَا سَوْقٌ، وَلَا لِنَخْلِهَا بُسُوقٌ، كَأَنَّ الشَّافِعِيَّ أَوْ مَالِكَ لَيْسَ بِسَالِكٍ، وَإِنَّ مَا دُونَ أَشْيَاخِكُمْ هَالِكٌ، هَذَا لَوْ كَانَ لَكُمْ أَشْيَاخٌ، أَوْ لِمَسِيرِ خَيْرَتِكُمْ¹ مَنَاحٌ.

إِنَّمَا هِيَ أَعْلَامٌ لِلشُّهْرَةِ تُنْصَبُ، وَتِيَجَانُ الْحُظُوةِ تُعْصَبُ، النَّسِيءُ يُذَكَّرُ، وَالذِّكْرُ يُنْسَى، وَظُهُورُ الْوُلْدِ وَالْمَسَاكِينِ تُعْرَى، وَالْخَلِيلِيُّ يُكْسَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ نَعُولُ يُوسِعُ رَسْمُهُ طَمَسًا، وَالْإِعْتِدَالُ يَحْكُمُ فِيهِ الْجِدَالُ، بِاللَّهِ خَلُّوا عَنْكُمْ الْإِصْطِلَاحَ الْخَالِي، وَهَذَا النَّتْوِينَ الْعَالِي مَعَ حِرْمَانِ الْمَخَالِي، وَالْفُتُوعَ بِالْفَرَاغِ مَعَ حُرُونَةِ الْمَرَاغِ، وَالْعَلْيَانَ الَّذِي يُبْغِضُكُمْ إِلَى اللَّهِ وَالِي خَلْقِهِ، وَهُمْ الشُّهَدَاءُ فِي رِقَّةٍ مَعَ الْغَفْلَةِ عَمَّا أَوْضَحَ لَكُمْ الشَّرْعُ مِنْ حَقِّهِ، وَتَخَطَّى الظَّاهِرَ الْمَضْمُونِ إِلَى الْمُشْكِلِ الْمَظْنُونِ، فَلَوْ كَانَ سَيْرُكُمْ مُسْتَقِيمًا، لَمْ يَكُنِ الْقِيَاسُ عَقِيمًا، عُمَيَّانُ قَدْ هَجَرْتَ الْكُحَالَ، وَأَمَلْتَ فِي رَدِّ أَبْصَارِهَا **الْمَحَالُ.**

مَا الَّذِي رَابَكُمْ، أَنَسَ اللَّهُ اغْتِرَابَكُمْ، مِنْ سِيرَةِ السَّلَفِ الَّذِينَ اتَّجَرُوا وَكَسَبُوا، وَانْتَمَوْا لِغِنَى الْأَكْفِ وَانْتَسَبُوا، وَتَصَدَّقُوا وَوَهَبُوا، وَجَاهَدُوا وَحَجَّوْا، وَمَا انْحَرَفُوا وَلَا لَجَّوْا، وَبِسِيرَةِ أَعْلَامِهِمْ² اخْتَجَّوْا، وَسَعَوْا وَالنَّمَسُوا، وَأَكَلُوا الطَّيِّبَ وَلَبَسُوا، وَجَوَارِحَهُمْ بِمِيزَانِ الشَّرِيعَةِ أَرْسَلُوا وَحَبَسُوا، وَشَهِدَ لَهُمْ بِالْخُلَاصِ عَقْدُهُمُ الَّذِي حَفِظُوا وَدَرَسُوا، لَمْ يُزِمْعُوا لِغَيْرِ الضَّرُورَةِ طَلَاقًا، وَأَشْفَقُوا مِنْ فِرَاقِ أَهْلِيهِمْ إِشْفَاقًا، وَلَا حَلُّوا لِحُسْنِ الْعَهْدِ نِطَاقًا، وَلَا قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ إِمْلَاقًا، وَلَمْ يَضُرَّهُمْ مَعَ الْإِسْتِقَامَةِ مَعَاشُهُمْ، وَلَا قَطَعَ بِهِمْ عَنِ اللَّهِ أَثَانُهُمْ وَلَا رِيَاسُهُمْ؛ بَلْ إِلَى فِتْنَةِ الْحَقِّ انْحِيَاسُهُمْ، وَأَنْتُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَمَنْ لَكُمْ بِذَلِكَ

- ع، م: "جبرتكم" وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبت؛ أي خياركم لم يجدوا مكانا للإنابة.¹
- م: "أعمالهم"²

أَوْبَاشُهُمْ؛ فَإِنْ قُلْتُمْ وَسَّعُوا مَا ضَاقَ عَنْهُ احْتِمَالُنَا، وَلَمْ تَسْتَطِعْهُ أَعْمَالُنَا، فَهَلَّا تَقْطَنْتُمْ وَتَنْبَهْتُمْ، وَتَكَلَّفْتُمْ هَدْيَهُمْ وَتَسَبَّهْتُمْ.

تَظُنُّونَ أَنَّهُمْ غَابَ عَنْهُمْ مَا أَدْرَكْتُمْ، أَوْ عَجَزُوا عَمَّا إِلَيْهِ تَحَرَّكْتُمْ، وَهَبْ أَنْ تَمَّ مَقَامَاتٍ عَالِيَةٍ، وَلِمُقَدِّمَاتٍ أَصْلِ الشَّرِيعَةِ بِرَعْمِكُمْ تَالِيَةٍ¹، هَلَّا اسْتَرَيْتُمْ إِذْ لَمْ تُدْرِكُوها، وَإِنْ لَمْ تَحْصُلُوا مِنْهَا إِلَّا عَلَى أَنْ تُحْكُوها، فَارْجِعْتُمْ إِلَى الْأَصْلِ الْمُحَرَّرِ² وَالطَّرِيقِ الْمُقَرَّرِ، فَمَنْ ضَلَّ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِسَ³ حَتَّى يُصْبِحَ، وَيَبْدُو الْمَهْيَعُ وَيَتَّضِحَ، فَافْتِحَا الْمَفَارِ بِلَا دَلِيلٍ شَأْنُ غَيْرِ النَّبِيلِ، وَبِالْانْقِطَاعِ كَفِيلٍ.

وَيَا لَيْتَكُمْ بَلَغْتُمْ دَرَجَةَ الْبُلْهِ الْمَشْهُودِ بِتَوْفِيقِهِمْ، وَصِحَّةِ طَرِيقِهِمْ، وَمَنْ أَجْهَدُ الْحُزْنَ أَمْهَلُ، وَمَنْ تَحَيَّرَ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ، وَيَتْرَكَ اللَّجَاجَ أَجْمَلُ، وَلَمْ يَرِبْ بِالْأَمْرِ حَتَّى يَتَأَوَّلَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَيْقِنْ فَلَا يَسْتَعِجِلْ، وَالطَّرِيقُ الَّذِي احْتَقَرْتُمْ، وَاللَّهُ أَمْهَلُ، وَأَحَجَّكُمْ بِالشَّيْخِ عَبْدِ الْجَلِيلِ الَّذِي ظَلَمْتُمُوهُ، وَبِكَشَفِ الْغُيُوبِ اتَّهَمْتُمُوهُ، وَبِالْوَلَايَةِ حَدَدْتُمُوهُ وَرَسَمْتُمُوهُ، وَهُوَ يَقُومُ عَلَى السَّلْبِ بَيْعًا وَشِرَاءً، وَاعْتِمَارًا وَكِرَاءً، وَيُصْلِحُ مِنْ كَرَمِهِ الَّذِي لَمْ يَبِعْهُ وَلَمْ يَرْمِهِ؛ فَإِنْ قُلْتُمْ ذَلِكَ شَيْخٌ هِدَايَةٍ، فَقَدْ كَانَ ذَا بَدَايَةٍ، وَمُفْتَقِرًا مِثْلَكُمْ إِلَى دَايَةٍ⁴، فَلَمْ تُلِحَّ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ آيَةٌ، وَلَمْ يُطْلَقْ رُوحَهُ مَجَانًا، وَلَا تَطَارَحَ فِي مُصَلَّى الْجَنَائِزِ عُزَيَانًا، وَلَا خَطَّتْ مِنْهُ فِي مَجَالِ النَّجَاسَاتِ رِجْلٌ، وَلَا دَبَّ إِلَى وَادِي الْخَمَةِ⁵، كَأَنَّهُ عَجَلٌ. فَعَلَّامَ عَوْلْتُمْ فِيمَا تَأَوَّلْتُمْ، الْقَدِيمُ مُخَالِفٌ لِلِسَمْتِ، وَالْحَدِيثُ مُتَّهَمٌ بِالْعُوجِ وَالْأَمْتِ؟ أَعْلَى أَهْلِ السَّبْتِ، وَمَنْ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالْكَبْتِ؟ نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَا الْجَلَالِ، وَنَسْتَهِدِيهِ مِنَ الضَّلَالِ، وَنُبْرَأُ إِلَيْهِ مِنْ

- م: "بالية"¹

- م: "المجرد" ولعل الصواب ما أثبت تشكيلا للسجع.²

- "عرس بالشيء لزمه" المصباح المنير/ عرس، ص: 152³

- أي داية وهي الحاضنة دون الأم، وسهلت الهمزة تحقيقا للسجع.⁴

- م: "الجمد"⁵

نُفُوسٍ عَجَلَ لَهَا الْعَذَابُ، وَغَرَّهَا الْأَمَلُ الْكَذَّابُ، وَأُظْمِنَتْ وَحَوْلَهَا الْمَوَارِدُ الْعِذَابُ. فَتَرِكَ الشَّرَابُ،
وَاتَّبَعَ الشَّرَابُ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَأَمَّا مَا يَخُصُّ حَالَكَ يَا أَبَا سَعِيدٍ، وَالْقَرِيبَ الْبَعِيدِ، فَمَوْرِدُ الْمَوَدَّةِ لَمْ يَنْضُبْ مَعِينُهُ، وَلَا التَّبَسُّ
بِالشَّكِّ يَقِينُهُ، وَمَنْ أَعَانَ مُسْتَقِيمًا فَاللَّهُ يُعِينُهُ، وَمَا يَتَّصِلُ بِكُمْ مِنْ جَفَاءٍ فَهُوَ -عَلِمَ اللَّهُ- تَأْدِيبٌ
وَتَهْذِيبٌ، وَغَيْرُهُ يَجِدُهَا وَلِيٌّ حَبِيبٌ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ رَقِيبٌ، وَلَوْ كَانَ بِوَدِّي، لَمْ تَكُنْ يَدُكَ مَغْلُولَةً وَلَا وَلَدُكَ
عَارِيًّا ذَلِيلًا، وَلَا الْخُبْرُ¹ بَيْنِكَ الْمَلِيءِ بِالْحُبُوبِ الْمُخْتَرَنَةِ قَلِيلًا، وَلَا هِمَّتُكَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
كَاسِدَةً، وَلَا خَبَائِثُ الْمُصْطَلَحَاتِ عَنْ حَدِّكَ نَاسِلَةً، وَلَا اسْتَعْدَيْتَ² عَلَى شَيْخِكَ بِمَا رَزِيَهُ مِنْ مَالِكَ
وَدِمَمِكَ سَمَاعًا مِنْ فَمِكَ، فَأَصْبَحْتَ فِي أَفْقَهَا وَالرَّفْضُ مِنْ شَيْمِكَ، فَتَقَطَّنَ لِمَا نَزَلَ بِكَ، وَسَلَى اللَّهُ
صِلَةً بِسَبَبِكَ.

وَاعْلَمْ أَنِّي بَدَلْتُ لَكَ النَّصِيحَةَ مِنْذُ زَمَانٍ بِرِسَالَةِ "الْغَيْرَةِ عَلَى أَهْلِ الْخَيْرَةِ"³، وَقَدْ عَلِمْتُ بِمَالِ
أَمْرِكَ، وَضَرَبَ رِيْدَكَ وَعَمْرَكَ، فَإِنْ قَبِلْتَ مَا جُبِلْتُ، وَلَوْ سَمِعْتَ مَا كُنْتُ فِي الْمَحَالِ طَمَعْتُ،
وَلَكُنْتُ مُعْتَدِلَ التَّصْرِيفِ مُجَانِبًا لِلتَّحْرِيفِ، مُنْفِقًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ التَّلِيدِ الْعَالِي وَالطَّرِيفِ، جَارِيًّا مِنْ
الْإِحْسَانِ لِنَفْسِكَ وَوَلَدِكَ عَلَى السَّنَنِ الشَّرِيفِ. هَذَا جَوَابُ سَحَاءَتِكَ⁴ الْمُسَجَّعَةِ، وَرِسَالَتِكَ الْقَلِيلَةِ
الطَّحْنِ الْكَثِيرَةِ الْجَعَجَعَةِ. وَقَدْ أَعَدْتُنَا -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- تِلْكَ **الْعَزَارَةُ**، وَإِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

- م: "الخير"¹

- م: "استعذبت"²

- م: "الجمد"³

- "أخذت من القرطاس سحاة وهي ما يقشر عن ظاهره ليُشَدَّ به الكتاب" أساس البلاغة/ سحو، 1/ 443⁴

انْتَهَى هَذَا الْكِتَابُ الْمُسَمَّى " بِرِيحَانَةِ الْكِتَابِ، وَجُعِلَ الْمُنتَابُ " عَلَى يَدِ نَاسِخِهَا لِنَفْسِهِ ثُمَّ لِمَنْ
شَاءَ مِنْ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، عُبَيْدَ اللَّهِ الْمُفَرِّ بِذَنْبِهِ، الرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ، أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ الْبُقْنِيِّ الْأَنْصَارِيِّ غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ، وَسَتَرَ عَيْبُوهُ، بِتَارِيخِ أَوَاسِطِ شَوَّالِ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَثَمَانِينَ
وَتَمَّانِ مِائَةٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى.

فهرس الأعلام

حرف الألف

- أبو إسحاق بن العاصي: 430
- أبو القاسم بن جزي: 564
- أبو البركات البليقي: 430
- أبو زكرياء ابن السراج: 432
- أبو جعفر بن أبي خالد: 28، 44، 46، 57، 70، 432
- أبو سعيد بن لب: 433
- أبو يزيد خالد بن أبي خالد: 434
- أبو عبد الله اليتيم: 316، 434
- أبو عبد الله الجزيري الخياط: 435
- أبو عبد الله البدوي: 54، 59، 436
- أبو العتاهية: 348
- أبو جعفر بن فركون: 66، 436
- أبو بكر بن شبرين: 54، 437
- أبو القاسم الخضر بن أبي العافية: 58، 439
- أبو إسحاق بن جابر الوادي آشي: 439
- أبو محمد عبد الحق بن عطية: 62، 430
- أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي: 489

- أَبُو الْقَاسِمِ الرُّعَيْنِي: 443
- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدَةَ: 55، 63، 445
- أَبُو زَكْرِيَّا الْقُبَاعِي: 71، 446
- أَبُو جَعْفَرٍ السِّيَاسِي: 446
- أَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ: 446
- أَبُو عُثْمَانَ بْنِ لِيُون: 447
- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَالِقِي: 448
- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّايغ: 448
- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَاجِّ الْبُضِيعَةِ: 449
- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِصَام: 449
- أَبُو جَعْفَرِ بْنِ غَالِبٍ: 22، 46، 57، 63، 70، 450
- أَبُو الْحَسَنِ الرَّقَّاص: 451
- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّجَّار: 451
- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّمْرِي الْكَفِيف: 42، 479
- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْوَقْشِي الزَّيَار: 452
- أَبُو جَعْفَرِ بْنِ صَاحِبِ الصَّلَاةِ: 54، 452
- أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ رِضْوَانَ: 453
- أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُقَاتِلٍ: 453
- أَبُو الْحَجَّاجِ بْنِ مَرْزُوقٍ: 55، 65، 454، 526

- أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْجَيَّابِ: 85، 455
- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ اللُّوشِي: 456
- أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ جَعْفَرٍ: 470
- أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ الْحَاجِّ: 16، 18، 62، 297، 459
- أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ زَكْرِيَاءَ: 64، 459
- أَبُو إِسْحَاقَ الْحَسَنَانِي: 17، 66، 72، 497
- أَبُو إِسْحَاقَ السَّاحَلِي: 480
- أَبُو إِسْحَاقَ الطَّرَازِ: 21، 34، 467
- أَبُو الْأَصْبَعِ عَزِيزُ بْنُ مَطْرَفٍ: 509
- أَبُو بَكْرٍ الْبُلُوي: 476
- أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْحَكِيمِ: 60، 66، 312، 446، 457
- أَبُو بَكْرٍ الْقُرْشِي: 42، 461
- أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَنْظُورٍ: 510
- أَبُو بَكْرٍ بْنُ مِقَاتِلٍ: 453
- أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ رِضْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ: 35، 520
- أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ خَيْرٍ: 481
- أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ خَاتِمَةَ: 464
- أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ بَرطَالٍ: 510
- أَبُو جَعْفَرٍ بْنِ حَمَيْسٍ: 45، 431

- أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزَّيَّاتِ: 44، 426
- أَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ: 446
- أَبُو جَعْفَرِ بْنِ غَفْرُونَ: 482
- أَبُو جَعْفَرِ الْجَوَالِ الْمَالِقِيِّ: 507
- أَبُو جَعْفَرِ الشَّاطِبِيِّ: 62، 500
- أَبُو جَعْفَرِ بْنِ صَفْوَانَ الْمَالِقِيِّ: 458
- أَبُو جَعْفَرِ بْنِ غَالِبٍ: 22، 46، 57، 63، 70، 450
- أَبُو جَعْفَرِ الْعَاشِقِ: 60، 512
- أَبُو جَعْفَرِ الرَّوِيَّةِ: 483
- أَبُو الْحَجَّاجِ ابْنِ السُّلْطَانِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ نَصْرِ: 92، 101، 114، 142، 155، 175
- أَبُو الْحَجَّاجِ بْنِ مَرْزُوقٍ: 456
- أَبُو الْحَجَّاجِ الْمُتَشَاقِرِيِّ: 444
- أَبُو الْحَسَنِ بْنِ بَذْرِ الدِّينِ: 149
- أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْجِيَابِ: 457
- أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَاغِ: 469
- أَبُو الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو: 562
- أَبُو الْحَسَنِ الْقَيْجَاطِيِّ: 429
- أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْمَحْرُوقِ: 139
- أَبُو الْحَسَنِ الرَّقَاصِ: 451

- أَبُو الْحَسَنِ عَلِي بْنِ بَدْرِ الدِّين: 246، 146
أَبُو الْحَسَنِ الْوَرَادِ الْمَالِقِي: 508
أَبُو حَمُو مُوسَى بْنِ زِيَّانَ: 271
أَبُو زَكْرِيَاءُ ابْنِ خَلْدُون: 15، 21، 26، 265، 271
أَبُو زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنُ عُمَرَ بْنِ رَحُو: 141، 159
أَبُو زَكْرِيَاءُ بْنُ هَذِيلِ التَّجِيبِي: 64، 477
أَبُو زَكْرِيَاءُ الْقُبَاعِي: 71، 446
أَبُو زِيَّانَ: 215
أَبُو زَيْدِ بْنِ خَلْدُون: 15، 21، 26، 265، 271
أَبُو زَيْدِ بْنِ عُمَرَ: 155
أَبُو سَالِمٍ: 180
أَبُو سَعِيدِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَلِيِّ الْعَلِي: 152
أَبُو الطَّاهِرِ بْنِ صَفْوَانَ الْمَالِقِي: 502
أَبُو طُوبَى: 368
أَبُو الطَّيِّبِ: 338
أَبُو عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ: 54، 56، 67، ، 68، 511
أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ شَعِيبٍ: 495
أَبُو الْعَبَّاسِ السَّبَّيْ: 198، 491
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَدَّيْنٍ: 260

أبو عبد الله البدوي: 54، 59، 436

أبو عبد الله بن أبي البقاء: 519

أبو عبد الله بن بقي: 49، 55، 465

أبو عبد الله بن عبد الملك: 496

أبو عبد الله بن عمر التونسي: 496

أبو عبد الله جابر الكفيف: 42، 479

أبو عبد الله الجزيري الخياط: 435

أبو عبد الله بن جزي: 62، 462

أبو عبد الله بن خاتمة: 518

أبو عبد الله بن الحاج 459

أبو عبد الله الحاجب 486

أبو عبد الله بن الحاج البضيعة 499

أبو عبد الله بن حسان 469

أبو عبد الله بن الحسن الحسني

أبو عبد الله بن رشيد '

أبو عبد الله ابن زمرك

أبو عبد الله بن السراج

أبو عبد الله بن سلمان

أبو عبد الله الشريشي 517

- أبو عبد الله بن شلبطور 515
- أبو عبد الله بن الشيخ الحاجب
- أبو عبد الله بن الصايغ 448
- أبو عبد الله الطرطوشي 502
- أبو عبد الله الطشكري
- أبو عبد الله بن عبدة 445
- أبو عبد الله بن عصام 449
- أبو عبد الله بن عيسى 504
- أبو عبد الله بن غالب الطريفي 440
- أبو عبد الله بن فضيلة 509
- أبو عبد الله بن القاسم المالقي 448
- أبو عبد الله بن قطان
- أبو عبد الله اللؤلؤة 518
- أبو عبد الله بن مشتمل 516
- أبو عبد الله بن مشرف 520
- أبو عبد الله بن مصادف الرندي 469
- أبو عبد الله بن نصر 92
- أبو عبد الله بن هاني السبتي 491
- أبو عبد الله بن ورد 506

- أبو عبد الله العبدي المالقي 483
- أبو عبد الله العراقي 507
- أبو عبد الله اللوشي 456
- أبو عبد الله المتأهل 475
- أبو عبد الله المكودي 498
- أبو عبد الله النجار 451
- أبو عبد الله الوقشي الزبار
- أبو عثمان بن أبي عثمان 511
- أبو عثمان بن ليون 447
- أبو عثمان الغلق 511
- أبو العليِّ إدريس 152
- أبو علي بن غفرون 482، 503
- أبو علي القرشي 500
- أبو العلي الحسن بن عبد السلام 31، 33، 466
- أبو علي الحسين بن تدرارت 492
- أبو العلي بن السماك
- أبو عمرو بن عباد 478
- أبو عمرو بن منظور 501، 510
- أبو عمران موسى بن أبي زيد رحو بن مخيو 147

- أبو القاسم بن قطبة 460
- أبو القاسم بن الرئيس أبو زكرياء العزفي 486
- أبو القاسم بن رضوان 453
- أبو قاسم الحزالي 512
- أبو القاسم الخضر بن أبي العافية 439
- أبو القاسم الرعيني 443
- أبو القاسم عبد الله الطبيخ 513
- أبو القاسم الساحلي 512
- أبو القاسم الشريف الحسني 484
- أبو القاسم الورشيدي 69، 509
- أَبُو مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ 175
- أَبُو مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ 255
- أبو محمد عبد الحق بن عطية 16، 443
- أبو نواس 353
- أبو الوليد بن هانئ 31، 479
- أبو يحيى 219
- أبو يحيى بن داود 519
- أبو يزيد خالد بن أبي خالد 434، 444
- أم الحسين بنت أحمد الطنجالي 17، 499

ابراهيم بن المهدي 233

حرف الباء

ابن الأبار 424

ابن بشكوال 424

ابن ثابت 210،

ابن جبور 310

ابن الحقالة 441

ابن حزب الله 524

ابن حيان 424

ابن الخطيب

ابن خلدون 15، 21، 26، 265، 271

ابن الزبير القاضي 424

ابن الشاب 488

ابن عسكر 424

ابن العلاء 230

ابن الفرضي 424

ابن مرزوق 65، 526

بَدِيعِ الزَّمَنِ 249

حرف الثاء

ثابت 274

حرف الجيم

الجاحظ 20، 21، 40، 71، 317

حرف الحاء

حاتم 233، 235، 255

الحجاج 318

حرف الخاء

خَالِدَ بْنَ عِيسَى بْنِ أَبِي خَالِدٍ 251

خَالِدَ بْنَ يَحْيَى 235

حرف الراء

الرشيد 318

حرف الزاي

الزيرقان بن بدر 332

حرف العين

عَامِرَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ 200

عَامِرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْهَنْتَاتِي 208

الْعَبَّاسَ بْنَ مُزْنَى 261

عَبْدُ اللَّهِ الْغَنِيَّ بِاللَّهِ 101، 155

عروة بن حزام 296

عَلِيٌّ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ نَصْرِ 128

عمر بن أبي ربيعة 312

حرف القاف

قالون 317

حرف الكاف

كسرى 251، 279، 318، 331، 369، 446

كعب 233

حرف الميم

مالك 242، 287،

المأمون 233

مُبَارَكُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ 223

مَسْعُودَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ فَتْحِ اللَّهِ 258

محمد بن عبد الله بن الخطيب 270، 463

حرف الياء

يَحْيَى بْنُ رَحُو 221

يَحْيَى بْنُ عُمَرَ 141

يزيد 274، 339

فهرس الأماكن

حرف الألف

إخميم: 325

أرجدونة: 350

أزمور: 364

اسطبونة: 329

آسفي: 365

أصيلا: 361

أغمات: 366

آقر سلوين: 370

الإسكندرية

أشبانية

أشكر: 34

إطرية

إفريقية

ألفريد

المرية: 337

أنتقية: 350

أندرش: 342

الأندلس

أنفا: 363

أورية: 340

الإيوان

حرف الباء

باديس 357

برجة: 335

برشانة 340

بغداد: 38، 111

بسطة: 341

بسكرة: 261، 265

بلش: 17، 332، 341، 426، 474، 483

بيرة: 338، 349

حرف التاء

تازة 372

تبريز: 330، 363

تكرور 325

تلمسان 180، 182، 184، 239، 498، 522

تونس: 17، 279، 466، 486، 488، 496، 497

تيط 364

حرف الجيم

الجامع الأعظم 128، 164، 165، 476

جبل الرحمة 330

جبل الشوار 334

جبل فاره: 132

جَبَلِ الْفَتْح: 92، 95، 97، 98، 328، 432

حرف الحاء

الحجاز 233، 247، 316، 445، 480، 514، 518

حلب 331

الحمّة 348

حَمْرَاء غَرْنَاطَة 94

حرف الخاء

الخليل 251

حرف الدال

دلالية 336

حرف الذال

ذُكُوانَ 153، 351

حرف الراء

الرافدين 324، 480

رندة 153، 352، 441، 469، 454، 524

حرف السين

سبّنة 358، 432، 489، 490، 491

سجل ماسة 371

سلا 205، 255، 283، 362، 419، 422، 423، 424، 425

سهيل 329

حرف الشين

الشام 187، 232، 249، 281، 479، 480، 490

شبالش 342

شلوبانية 334

حرف الصاد

صالحة: 349

الصفاء: 319

صنعاء اليمن: 227

الصين: 324

حرف الطاء

طبرنش: 338

الطائف: 249، 251، 322

طنجة: 359

الطيبة: 324، 311، 490

حرف العين

عدن: 324، 249

العراقيين: 324

حرف الغين

غرناطة: 31، 94، 102، 114، 128، 164، 178، 272، 345، 479

حرف الفاء

فاس: 35، 86، 190، 198

فنيانة: 344

حرف القاف

قبة أرين: 329

قتورية: 339

قرطمة: 351

القرويين: 86، 136

القدس: 324

قشتالة: 92

قصر كتامة: 360

قمارش: 333، 518

حرف اللام

لورقة: 341، 509

لوشة: 349، 499

حرف الميم

مالقة: 90، 153، 195، 330، 419، 420، 421، 423، 424، 425، 435، 443،

452، 473، 479، 503، 507

مجمع البحرين 249

محاقر 339

مراكش 198، 258، 365، 496، 521، 522

مريلة 227، 329

مرسية 338، 449

مرو 486

المروة 319

مصر 325، 449، 480

المعرة 291، 316

المقدس 251

مكة 251، 311، 359، 490، 502

مكناسة 242، 310، 367

منتقريد 349، 503

منكب 333، 463

حرف الهاء

هنتاة 209

الهند 324

حرف الواو

=وادي آش 507

حرف الياء

اليمامة 322

اليمن 168، 205، 217، 228، 249، 281، 296، 301، 324، 480،

فهرس القبائل

- بني مرين 217
- بني رحو 142
- آل يعقوب 161، 217
- عرب غسان 163
- بني حام وسام 211
- آل خلدون 272
- عاد 462
- تميم 479
- العرب العاربة 316

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ	الحشر	2	98
لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ	إبراهيم	7	100
أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	النحل	125	102
ولباس التقوى ذلك خير	الأعراف	26	102
أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ	هود	44	105، 125
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ	الرعد	6	105
وَغِيضَ الْمَاءِ	هود	44	105
إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْنًا وَأَقْوَمُ قِيلًا	المزمل	6	106
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا	البقرة	245	106
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ	النمل	91	107
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عِبَادًا وَأَنَّا إِلَهُكُمْ إِلَهًا لَا تُرجعون	المؤمنون	115	107
أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا			

108	183	الشعراء	بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
108	33	الأنفال	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
109	8	المنافقون	وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
109	249	البقرة	وَكَمْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثْرَةِ بَادِنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ
110	3	المائدة	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
110	128	الأعراف	وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
110	88	ص	وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ
539 ، 125 ، 112	33	لقمان	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ
114	27	الكهف	وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحِدًا
114	76	مريم	لِيَزِيدَ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى
115	116	البقرة	وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
117	109	الصفافات	فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ
117	15	الزمر	ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينِ
117	52	التوبة	قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ

			مُتَرَبِّصُونَ
119	22	الذاريات	وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ
119	19	إبراهيم	يُذْهِبُهُمْ وَيَاتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ
119	64	النمل	مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
120	10	إبراهيم	أَفِي اللَّهِ شَاكٌّ
314	106	النساء	وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً
122	7	محمد	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّصِرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ
122	123	التوبة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
123	200	آل عمران	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
122	139	آل عمران	وَلَا تَهِنُوا وَتَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
124	193	البقرة	وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ
124	222	البقرة	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
124	114	هود	إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى
112	5	فاطر	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ

125	3	غافر	غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ
126	5	الفاتحة	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
126	250	البقرة	رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أَفْئَامُنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
126	174-173	آل عمران	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ
130	38	يوسف	ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ
130	83	الأنعام	إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ
	245	البقرة	فِيضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً
133	54	المائدة	وَلَا يَخَافُونَ يَوْمَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
134			يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ
137	11-10	الصف	أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ
139	102	هود	وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ

358	90	النحل	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ
367	30	النازعات	-أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا
368	57	القصص	-يَجْتَنِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا
369	12	فصلت	- وَ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
369	142	النساء	-فَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتْلَى
370	24	ص	-إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ
371	13	الحديد	-بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ
=	9	الحشر	-تَّبَوُّوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ
393	269	البقرة	-وَمَنْ يُوتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا
377	66	البقرة	-فَجَعَلْنَاهَا نِكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا
395 ، 106	6	المزمل	-وَأَقُومْ قِيلاً
395	4	مريم	-وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي
400	18	طه	-وَأَهْسُ بِهَِا عَلَى غَنَمِي
401	32 ، 29	طه	-وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي، أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي، وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي
405	57-56	البقرة	-وَأَنْتَ أَكْلَاهَا ضِعْفَيْنِ
419	25	مريم	-وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا

428	10	مريم	-وَهْزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطِ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا
143	16	الصفات	-شِهَابٌ ثَاقِبٌ
143	68	الدخان	-يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى
157	26	القصص	-وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ
159	1	الحج	-الطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكْعَ السُّجُودَ
160		النصر	-إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ
264	13	سبأ	-جِفَانٍ كَالْجَوَابِ
178	128	التوبة	-بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ
265	1	البلد	-لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ
179	73	آل عمران	-إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ
266	3	النجم	-وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى
167	35	فصلت	-وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ
169	2	النصر	-وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا
172	69	النساء	-الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
267	18	يوسف	-إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ
180		النبأ	-يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُتَاثِرُونَ أَفْوَاجًا

	19	الشعراء	-وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الْيَاسِرَ فَكَرِهْتَ
267	191	آل عمران	-الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا
182	15		وَقُعُودًا
183	28	الحج	-فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ
		الرعد	-أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
272	65		الْقُلُوبُ
215		الحج	-سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ
	144		قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ
216	18	البقرة	الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
295، 216			-فَصَبِّرْ جَمِيلٌ
	66	يوسف	-وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ
193	43	النساء	أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا
			مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ
273، 208		هود	-قَالَ سَآوِيَ إِلَى جِبَلٍ
219	40		يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ
231	27	هود	-وَفَارَ التَّنُّورُ
231		الروم	-وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ
	4	الروم	-لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ
238			بَعْدُ
327، 238	11	الحج	-مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ
		التوبة	لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا
389، 240	42	الرحمن	وَسَفَرًا قَاصِدًا
243	29	الأنبياء	-كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ
244			-قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَ
252	69	المطففين	سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ
			-خِتَامُهُ مِسْكٌ
			-يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

		البقرة	تَبٰطِلُوْا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاٰدٰى
253	26		
253	264	هود	اِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذٰهَبْنَ السَّيِّئَاتِ
			لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِيْ مِنْ جُوْع
256	111	الغاشية	مَالِ هٰذَا الْكِتٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَلَا كَبِيْرَةً اِلَّا اَحْصٰهَا
263	7	الكهف	
			قَدْ ضَلَلْتُ اِذَا وَمَا اَنَا مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ
263	49	الأنعام	مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلٰى
273	56	الضحى	لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ اِلَّا مَنْ رَحِمَ
274	3	هود	فَاَلْقٰى السَّحَرَةَ سُجَّدًا
	43		وَمَا اَنْسَانِيْهِ اِلَّا الشَّيْطٰنُ اَنْ اَذْكُرَهٗ
281		طه	
281	70	الكهف	يَقْلِبْ كَفِّيْهِ
283	63	الكهف	اِنَّهٗ كَانَ وَعْدُهُ مٰتِيًّا
283	42	مريم	فَلْيُلْقِ الْيَمَّ بِالسَّاحِلِ
286	61	طه	مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ
286	39	البقرة	فَقَالَ اِنِّىْ سَقِيْمٌ
287	106	الصفات	تَمْشِيْ عَلٰى اسْتَحْيَاٍ
	89-88	القصص	اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ
288	25	فصلت	وَعَلٰى اللّٰهِ قَصْدُ السَّبِيْلِ،
		النحل	وَمِنْهَا جَابِرٌ
288	39		
	9	فاطر	يَزِيْدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ
290	1	النمل	

			أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ
291	12	الطلاق	سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ
295	7	القمر	يُسْرًا
			اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ
	1		القَمَرُ
295		يوسف	وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ
295	18	الأنفال	كَذِبٍ
			وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
297	17	آل عمران	وَأَكِنَّ اللَّهَ رَمَى
			وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ
	26		
298		طه	لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى
300	118	ق	فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ
301	5	الضحى	وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى
302		يوسف	وَقَالَتْ هَيْبْ لَكَ
302	2		
		التحريم	لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ،
313	23		وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ
318	6	الإسراء	وَأَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ
327		النور	طَاعَةً مَعْرُوفَةً
327	13		
		النساء	لَا يَظْلِمُ مَثْقَالَ ذَرَّةٍ
327	53		
		النساء	وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا
	40		
		الأنعام	وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا
328	122		
		الفجر	إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ
329	152		يُخْلَقَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ
	8	البقرة	قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ
330			
		البينة	أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ
330	60		
		الكهف	

332	6	التين	وَتَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا
334	82	المعارج	وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ
330	3		يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ
338	43	القمر	مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ
347	8	النساء	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
350	48	الكهف	تَحْسِبُهُمْ أَيَّاقًا وَهُمْ رُفُودٌ
350		الملك	يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ
354	18	الأنبياء	وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَذَبٍ يَنْسُلُونَ
355	96	الأنعام	إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ
355	36	الانشقاق	وَأَلْقَتِ الْأَرْضُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ
	4		

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

وَجَعَلَهُمْ مَّصَابِيحَ مِنْ بَعْدِهِ اقْتِدَاءً وَاقْتِبَاساً: 102

فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ فِي الرَّخَاءِ عَرَفَهُ فِي الشَّدَّةِ: 104

أَنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا فَشَتْ فِي قَوْمٍ أَحَاطَ بِهِمْ سُوءُ كَسْبِهِمْ: 105

فَالْأَنْبِيَاءُ الْكَرَامُ وَوَرَّثَهُمُ الْعُلَمَاءُ الْأَعْلَامُ: 107

وَهَذَا الدِّينُ ظَهَرَ مَعَ الْغُرَبَةِ: 109

وَالدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ: 112

وَتَكْفَّلَ بِالشَّفَاعَةِ غَدَا: 115

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً: 120

دَخَلَتْ فَاطِمَةُ وَبِيَدِهَا كِسْرَةُ شَعِيرٍ. فَقَالَ : مَا هَذِهِ يَا فَاطِمَةُ؟: 120

فَكُونُوا كَالْبِنَاءِ الْمَرْصُوصِ: 123

ذَكَرُوا أَنَّ امْرَأَةً احْتَمَلَ السَّبْعَ وَلَدَهَا....: 123

مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ: 137

لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ: 137

مَنْ جَهَرَ غَارِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَرَا: 137

لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ: 193

أَنْتُمْ الْكَرْشُ وَالْعَيْبَةُ: 212

وَالذَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ شَرِيكُ الْفَاعِلِ: 228

وَتَقْلِيْبُ الْقُلُوبِ بِيَدِ اللَّهِ: 245

وَفِي الْجَسَدِ بَضْعَةٌ تَصْلُحُ إِذَا صَلَحَتْ: 262

وَكَوْنُهَا أَجْنَادًا مُجَنَّدَةً: 274

وَأَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءِ: 282

وَكُورُهُ حَوْرٍ وَكَوْرٍ: 394

فهرس الأشعار

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية	المطلع
246	04	مطلع البسيط	ابن الخطيب	خفاء	يا جملة
289	01	الطويل	قيس بن الخطيم	أضاءها	طعنت
295	02			الضراء	لا تظهرن
363	01			الكرماء	يكثُر
300	02			للذكرى	قعدت
290	01			تعبا	إني
	05			اكتئاب	أشكو
326	01			نسيب	أجارتنا
326	01			الخشب	
==	01			معايبه	إن
321	01			العصب	ومن ذا
539			ابن الخطيب	الغريب	والعامي
542	05	المديد			صحت
210	07	الطويل	ابن الخطيب	شامتا	أبا ثابت
263	01			وفاته	وكدر
291	01			مت	إنك
323	02			لملت	أبوا
345	03			إفاضة	أي واد
	02			الموت	اسمع
396	02			ذمته	كم من

407	03		ابن الخطيب	الموت	ألا أذن
540	12	الكامل		مواتي	خذ
546					
287	02	المتقارب	بشار بن برد	الخبيث	ومرت
326	02		المعري	خبيث	ولقد سئمت
280	01		ابن الرومي	سجسج	سلام
137	03		ابن الخطيب	ممهد	ماذا
==	02	الكامل	" " "	وقاد	قد كنت
277	01			اجتهاده	إذا لم يكن
291	01		عروة بن حزام	تنادي	لقد أسمعت
291	03			مزبد	الله يعلم
296	02		جحظة	عماد	لقد مات
325	01		البرمكي	ممدود	رعى
367					
214	15	الكامل	ابن الخطيب	حاصر	يا ابن الخلائف
196	01			الديار	وأبرح
206	01			أكثر	ترى
==	06		ابن الخطيب	أمر	تحول
264	02	الطويل		داره	فوحقه
282			ابن	تعسر	خذ

284	07 03	الكامل	الخطيب	تتبري	بمقام
263	01			جازيا	أقل
292 293 368	02 02 02			نفسه فأفلسا الطاووس	عدمت تكرش بلد
280 198 226 258	03 05 01 03	الكامل الخفيف الوافر	ابن الخطيب "" "" "" ابن الخطيب	يقطع المنيع وعى وقوع	الدهر ياولي وإنما المرء أمسعود
253 260 265 525 525 541	01 02 06 02 02 01	المتقارب المتدارك	ابن الخطيب "" ""	ألوف انحراف بمخلفها ملثف تشفى وما كفى	وإن يكن تعود من أنكر تعفف رفقا ما قام
331	01		حسان بن ثابت	صدقا	وإن أشعر

200	05	السريع	ابن الخطيب	أيدك	لا ترج
223	15	الكامل	""	السالك	عرصات
300	02	السريع	أبو العتاهية	شمسك	ياقاضي
348	02			ذلکا	أصبحت
263	01	الطويل	امرؤ القيس	قبلي	خليلي
281	01			خيال	نصيبك
287	01			إذلال	وصرتا
290	01			مثلي	خليلي
267	01			صول	ما أقدر
294	03			بالي	بنفسي
226	02	الطويل	ابن الخطيب	وسمي	ومدحي
233	01	البسيط	ابن الخطيب	دمي	وهبت
234	02			والظلم	لا أعدم
292	03	الكامل	ابن الخطيب	زكاما	لا يحسدني
294	03			المختوم	حكموا
314	01			حمام	هن الحمام
315	01			شتمي	وأسمع
391	12		أبو تمام المتنبي	كمه	صاح
192	12	الطويل	ابن الخطيب	الشانى	هنيئنا
205	05	" "	" "	بدينه	أيا عمر
230	03	السريع	" "	جنه	راش
233	01	الطويل	" "	آمينا	آمين
242	03		" "	الحدثان	علقت
261	12		" "	بأثمان	بنفسي
262	02		" "	عصيانا	تركتموني
272	01		" "	بلبانها	فإن لم
274	05	المتقارب	الذولي	السكون	وحي
279	02	الوافر	ابن الخطيب	وبيني	ولما
325	05		ابن الخطيب	أولانا	لبسنا

212	02	السريع	ابن الخطيب	مكره	أوصيك
292	02			أسفله	أرفعه
353	02		أبو نواس	أولاها	ما من يد
532	06			السلامه	ما ثم
268	02			ريها	يا من
293	02			داهيه	أقول
329	02			السقيا	هو الباب

فهرس الأمثال

طَرَقَهُ بِحَنَفِهِ، وَأَهْلَكَهُ بِرَغَمِ أَنْفِهِ: 97

قَالَ دَهْرٌ مُبْلِي الْجِدَّةِ وَمُسْتَوْعِبُ الْعِدَّةِ: 104

فَقَبَّلَ الرَّمْيَ تُرَاشُ السَّهَامِ: 108

فَرَى الْفَرَى: 176

فَأَشْبَهَ السَّيْفُ الْفَرْدَ: 176

وَفِي رَكْبِ الْحِجَارِ نَاقَةٌ وَجَمَلٌ: 247

الْمَالُ عَدِيلِي عِنْدَ النَّقِيمَةِ، وَطَبِيبِي فِي الْأَحْوَالِ السَّقِيمَةِ: 231

أَشْبَهَ امْرُؤٌ بَعْضَ بَرٍّ: 256

أَهْلًا بِذَاتِ النُّحَيْنِ: 276

فَابَ حَنِينُ الْأَمَلِ بِخُفْيِهِ: 281

وَشَبَّهُ الشَّيْءَ مَثَلٌ مَعْرُوفٌ: 283

فَتَكَ السَّلِيكَ إِلَى فَتَكَ الْبَرَاضِ: 289

إِذَا وَلِيَ أَحْوَكَ فَأَقْنَعُ بِعُشْرِ وُدِّهِ: 300

شَنْشِنَة مَعْرُوفَة: 312

لكل مقام مقال: 317

فهرس المصطلحات الأدبية والنقدية

الأدب: -16-17-18-19، 20، 22، 28، 36، 37، 46، 57، 59، 65، 67، 68، 69، 70، 75،
الشعر 482، 486، 487، 497، 505، 508، 511، 513، 523، 525،

النثر: 17، 18، 22، 27، 28، 29، 30، 39، 544، 55، 72، 73، 74، 187، 435، 494،
596، 610، 611،

اللفظ: 11، 15، 17، 27، 31، 32، 33، 35، 36، 5562، 178، 299، 318،
458، 468، 474، 481، 486، 510، 596، 610، 611،

المعنى: 468، 474، 501.

الطبع: 38، 39، 40، 42، 55، 56، 75، 248، 253، 290، 399، 538، 596.

التكلف: 41، 42.

المفاضلة: 43، 44، 45، 69، 421، 596، 610.

الذوق: 46، 55، 63، 64.

الفصاحة: 46، 47، 48، 49، 51، 52، 55، 60، 61، 62، 428

البلاغة: 49، 50، 60، 61.

البراعة: 46، 51، 52، 509، 516، 509، 516.

السرقعة: 53، 71، 92.

الانتحال: 53، 71، 287.

فهرس المصطلحات الصوفية والفلسفية

-أ-

الاتصال: 100، 272، 297، 398، 500

الإخلاص: 378، 388، 413

الإدراك: 20، 165، 452، 465

الإرادة: 37، 294

الاستقامة: 102، 374، 507، 553

الأنس: 391، 552

الإيمان، 122، 142، 371، 238، 192، 551

-ب-

البقاء: 230، 234، 538

التفريد: 537

التفكر: 410

التقييد: 447، 536

التكليف: 39، 413

التوبة: 544، 550، 552

التوحيد: 95، 122، 124، 208، 219، 231، 289، 536، 537

التوكل: 96، 159، 515

-ح-

الحال: 45، 95، 191، 234، 256، 285-، 291، 320، 373، 376، 388، 400،

408، 411، 413، 491، 503، 504، 526، 529، 549

حضرة الحق: 537

الحق: 97، 107، 109، 120، 129، 142، 147، 149، 150، 173، 176، 177،
180، 182، 187، 193، 199، 200، 205، 229، 230، 231، 254، 258، 273،
280، 282، 283، 284، 285، 288، 303، 327، 382، 383، 395، 399، 408

-خ-

الخلق والأمر: 371

الخلوة: 362، 552

الخوف: 172، 381، 550

-ذ-

الذكر: 142، 152، 171، 181، 356، 381، 388، 409، 410، 413، 424، 464،

471، 500، 537، 553

الذوق: 13، 42، 51، 60، 61

-ر-

الرجاء: 93، 97، 205، 212، 264، 267، 275، 381

الرعاية: 406، 464

-ز-

الزهد: 252، 365، 457، 533

الزهاد: 121، 397، 542

-س-

السر: 243، 388، 389، 446، 459

السفر: 163، 168، 177، 208، 216، 238، 333، 335، 445

السلوك: 231، 236، 282، 345، 412، 456، 511، 523، 536

-ش-

الشريعة: 107، 279، 376، 377، 387، 412، 485، 552، 553، 554

الشهود: 117، 159، 295، 535

الشيخ: 128، 142، 146، 147، 152، 164، 157، 175، 200، 218، 244، 246،

260، 269، 279، 285، 323، 326، 353، 358، 365، 373، 476، 486، 495،

500، 502، 503، 506، 507، 551، 554

-ط-

الطريقة: 17، 69، 168، 313، 430، 456، 469، 471، 472، 473، 474، 494، 513

الطمأنينة: 275

الطهارة: 156، 418

-ع-

العارف: 34، 336، 467، 536، 539، 542، 545، 488،

العبودية: 117، 183

العقل الكلي: 398

العلم: 4، 7، 15، 16، 19، 70، 86، 88، 89، 101، 106، 107، 130، 164، 165،

166، 171، 178، 187، 200، 205، 227، 228، 244، 250، 299، 342، 366،

387، 389، 414، 418، 429، 430، 432، 440، 442، 446، 447، 448، 449،

451، 459، 477، 479، 481، 489، 490، 491، 492، 495، 501، 510

-غ-

الغفلة: 104، 114، 118، 121، 122، 124، 125، 173، 234، 318، 393، 540،

545، 549، 535

الغيبة: 212، 319، 347، 490، 528

-ف-

الفناء: 367، 544

الفيض الرحماني: 535

-ق-

القبض: 400

القهر: 262، 388، 425، 395

-ك-

الكشف: 6

الكمال: 169، 235، 243، 255، 320، 342، 345، 362، 397، 404، 468، 476،

492، 537، 552

-ل-

اللطائف: 98، 114، 251، 275

اللوح المحفوظ: 272، 531

-م-

المحبة: 268، 271، 383، 478

المعرفة: 404، 432، 444

مقام الإحسان: 536

المنازل: 242، 321، 366، 542

-ن-

النبوة: 211، 551

النفس: 15، 19، 20، 44، 117، 181، 201، 227، 228، 231، 233، 252، 278،

281، 304، 363

النور الباهر: 231

و-

الوجود: 98، 117، 152، 159، 194، 210، 223، 230، 232، 278، 336، 368،

402، 527، 528، 533، 538، 540

الوحدة: 123، 434

الولي: 119، 122، 214، 271، 273، 393، 536

الولاية: 152، 155، 157، 161، 165، 175، 382، 541، 552، 554

ي-

اليقظة: 410

اليقين: 124، 171، 172، 533

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- ابن الخطيب من خلال كتبه، محمد بن أبي بكر التطواني، دار الطباعة كريماديس تطوان، 1959.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله بن عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، مصر القاهرة، سنة 1973م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، طبعة مطبعة فضالة، المغرب الرباط، سنة 1978م.
- الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، طبعة دار الكتاب، المغرب، 1992.
- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية بعنوان "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب المتوفى (776هـ) من بداية الكتاب إلى جمهور الأغراض السلطانية دراسة وتحقيق. للطال الباحث المبروك السنوسي شادكو، بإشراف الدكتور عبد الإله سيار، السنة الجامعية 2016-2017م.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، راجعه عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، المغرب الرباط، سنة 1993م.
- الأعلام قاموس تراجم، خير الدين الزركلي، الطبعة 15، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، سنة 2002م.

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (776هـ) تحقيق سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، سنة 2003م.
- أوصاف الناس في التواريخ والصلات، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد كمال شبانة، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، سنة 2002م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، سنة 1973م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، طبعة، مطبعة فضالة، المغرب، الرباط، سنة 1978م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، طبعة، دار الكتاب، المغرب، الدار البيضاء، سنة 1977م.
- الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، راجعه: عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، المغرب، الرباط، سنة 1993م.
- الأعلام قاموس تراجم، خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، سنة 2002م.
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، الوزير أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي، الشهير بلسان الدين

ابن الخطيب، المتوفى (776هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، سنة 2003م.

• الأمثال والحكم، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المتوفى سنة (666هـ)، تحقيق: دكتور: فيروز حريرجي، تقديم: دكتور شاكِر الفحام، طبعة: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، بسوريا، دمشق، سنة 1987م.

• أوصاف الناس في التواريخ والصلوات، المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب السلماني، المتوفى (776هـ)، تحقيق: دكتور: محمد كمال شبانة، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، سنة 2002م.

• بلاغة العرب في الأندلس، دكتور: أحمد ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف للطبع والنشر، تونس، سوسة، سنة 1998م.

• البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق: ج. سنة. كولان، إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، لبنان، بيروت، سنة 1983م.

• تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، المتوفى (808هـ)، تحقيق: خليل شحادة، وسهيل زكار، طبعة، دار الفكر.

• تاريخ الخلفاء، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى (911هـ)، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، سنة 2013م.

• تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري 310هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.

• تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، أبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجذامي النباهي المالقي الأندلسي، المتوفى (792هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديدة، لبنان، بيروت، سنة 1983م.

- تحقيق النصوص التراثية، التصور والواقع، منشورات جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، تنسيق: نجاة المريني، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، الدار البيضاء، سنة 2006م.
- تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، دكتور: الصادق عبد الرحمن الغرياني، طبعة مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، طرابلس، سنة 1989م.
- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، سنة 1998م.
- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون، طبعة دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، سنة 1979م.
- الجبال والأمكنة والمياه، الشيخ الإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تصحيح وتدقيق: محمد أبو عامود، طبعة الجزيرة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، سنة 2007م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، أحمد ابن القاضي المكناسي، المتوفى (1025هـ) ، طبعة دار المنصورة للطباعة والوراقة، المغرب، الرباط، سنة 1973م.
- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، الشيخ العالم العلامة الأديب البارع الفاضل أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي شهر الوزير، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، سنة 1287م.
- الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، أبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، دكتور: محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، ودار الفكر بسوريا، دمشق سنة 1991م.

- دراسات مصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة.
- درة الحجال في أسماء الرجال، أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، المتوفى (960هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، الطبعة الأولى، دار التراث، مصر، القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس سنة 1971م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، الشهير بابن حجر العسقلاني، المتوفى (852هـ)، تحقيق: دكتور سالم الكرنوكي الألماني، طبعة دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت.
- ديوان ابن الرومي شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 2002م.
- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، بيروت سنة 1986م.
- ديوان أبي تمام عزام، الطبعة الثالثة دار المعارف، مصر، القاهرة، سنة 1951م.
- ديوان أبي فارس الحمداني، تحقيق: دكتور: خليل الدويهي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، سنة 1994م.
- ديوان الأعشى- الكبير ميمون بن قيس، تحقيق: دكتور: محمد حسين، طبعة، مكتبة الآداب بالجاميز، المطبعة النموذجية، مصر، سنة 1950م.
- ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط: دار المعارف، مصر، القاهرة، سنة 1964م.
- ديوان الحطيئة، تحقيق: حمدو طماس، الطبعة الثانية، دار المعرفة، لبنان، بيروت، سنة 2005م.

- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة، سنة 1983م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، لبنان، بيروت، سنة 2004م.
- ديوان بشار بن برد، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، طبعة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، القاهرة، سنة 1966م.
- ديوان ذي الرمة، تحقيق: أحمد حسن بسج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، سنة 1955م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حاعور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، سنة 1988م.
- ديوان كعب بن زهير، صنعة: أبي سعيد السكري، شرح ودراسة: دكتور: مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة والنشر، السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة 1989م.
- ديوان لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: دكتور: محمد مفتاح، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، سنة 1999م.
- روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد الكتاني، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 2004.
- علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، الدكتور علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، 2008.
- اللحة البدريّة في الدولة النصرية، أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: دكتور: محمد مسعود جبران، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، لبنان بيروت، سنة 2009م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر لبنان بيروت .
- لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري محمد بن عبد الله عنان طبعة مكتبة الخانجي سنة 1968م.
- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، طبعة، دار الثقافة، لبنان، بيروت، سنة 1983م.
- مجمع الأمثال، لأبي الفضل بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، المتوفى سنة (518هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط، مطبعة السنة المحمدية، سنة 1955م.
- مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 23، ع 2، 2007.
- مجلة كلية الآداب بتطوان، ابن الخطيب سفيراً ولاجئاً وسياسياً، دكتور: عبد الهادي التازي، سنة 1987م.
- المستقصى في أمثال العرب، للعلامة الأديب أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة 538هـ، تحقيق: دكتور: محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى، وطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، سنة 1962م.
- معجم الشعراء، أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، المتوفى 384هـ، تحقيق: دكتور: فاروق سليم، الطبعة الأولى، دار صادر، لبنان بيروت، سنة 2005م.
- معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، المتوفى 816هـ، تحقيق، محمد صديق المنشاوي، طبعة دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر القاهرة.
- معجم البلدان، الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت، سنة 1977م.

- معجم البلاغة العربية، دكتور: بدوي طبانة، الطبعة الثالثة، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ودار الرفاعي للنشر والطباعة التوزيع، الرياض، سنة 1988م.
- معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى 626هـ، تحقيق، إحسان عباس، الطبعة الأولى، مصر سنة 1942م.
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق، محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، سنة 2002م.
- مجلة مقاربات، طبعة 2017.
- نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب،: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: دكتور: حماد الله ولد السالم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، سنة 2014م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: دكتور: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة، سنة 1968م.
- نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، المتوفى 337هـ، تحقيق: دكتور: محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تأليف: أبي العباس أحمد القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، سنة 1980م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تأليف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، المتوفى (733هـ)، تحقيق: دكتور: يوسف الطويل: علي محمد هاشم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، سنة 2004م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أبي العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبي بكر بن خلكان، (608، 681)، تحقيق: دكتور: إحسان عباس، طبعة، دار صادر، لبنان، بيروت، سنة 1970م.

- يتيمة الدهر، تأليف: أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري المتوفى (429هـ) تحقيق دكتور: مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، سنة 1983م.

فهرس عام

2	الإهداء:
3	شكر وتقدير:
4	المقدمة:
14	قسم الدراسة:
15	القسم الأول: المصطلح النقدي لدى لسان الدين ابن الخطيب في "ريحانة الكتاب":
16	الفصل الأول: المصطلحات الأدبية:
16	مصطلح الأدب:
21	مصطلح الشعر:
27	مصطلح النثر:
31	الفصل الثاني: المفاهيم النقدية:
31	مصطلح اللفظ:
35	مصطلح المعنى:
38	مصطلح الطبع:
41	مصطلح التكلف:
43	مصطلح المفاضلة:
46	مفهوم الذوق:
47	مصطلح الفصاحة:
49	مصطلح البلاغة:
51	مصطلح البراعة:
53	مصطلح الانتحال:
	القسم الثاني: آراء ابن الخطيب النقدية في القضايا الواردة في تراجم الأدباء الأندلسيين كتاب
55	"التاج" و "الإكليل الزاهر":
55	الفصل الأول: آراؤه النقدية في اللغة:
56	أ- العربية وعلم اللسان:
59	ب- القافية:
60	ج- البلاغة والفصاحة:
61	د- الفصاحة والغرابة:
63	هـ- الذوق:
65	الفصل الثاني: آراؤه النقدية في النقد:
65	أ- الحسن والقبح:
69	ب- القلة والكثرة:

71	هـ- السرقات
72	الفصل الثالث : آراؤه النقدية في الأدب
72	التداخل بين الأجناس الأدبية:
72	أ-بين الشعر والنظم
72	ب-بين النظم والرجز
73	ج-بين الشعر والنظم
73	د-بين النظم والنثر
73	هـ-النثر (الخطابة، الرسائل...)
74	مراتب الشعراء
77	خاتمة الدراسة
79	قسم التحقيق
94	كُتِبَ مُخَاطَبَاتِ الرَّعِيَّةِ وَالْجِهَاتِ
103	وَصَدَرَ عَلَيَّ أَيْضًا فِي عَامِ سَبْعَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعُمِائَةٍ مِمَّا يَجْرِي مَجْرَى الْحُكْمِ وَالْمَوَاعِظِ
117	وَفِي هَذَا الْغَرَضِ أَيْضًا
131	وَسَكَنْتُ هَرَجَ النَّاسِ بِقَوْلِي عِنْدَمَا ثَارَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ نَصْرِ
131	صَادِعًا بِذَلِكَ فَوْقَ أَعْوَادِ الْمِنْبَرِ بِالْجَامِعِ الْأَعْظَمِ مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ
134	وَصَدَرَ عَلَيَّ ظَهِيرٌ كَرِيمٌ لِمَنْ تَوَجَّهَ يَتَطَلَّعُ عَلَى أَحْوَالِ الرَّعَايَا حَسْبَمَا نُبِّهَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ
139	وَلَمَّا تَوَجَّهَ شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ السَّفَارَةِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْمَحْرُوقِ رَسُولًا إِلَى الْمَغْرِبِ يَسْتَدْعِي
142	وَوَصَّلَنِي كِتَابَ السُّلْطَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعَرِّفُ بِفَتْحِ إِطْرِيَّةٍ وَاسْتِيْلَانِهِ عَلَيْهَا عُنُوَّةً وَذَلِكَ بِخَطِّ يَدِهِ
142	فَعَرَفْتُ مِنْ أَهْلِ حَضْرَتِهِ الَّذِينَ أَعْجَلَهُمْ إِسْرَاعُ الْحَرَكَةِ عَنِ اللَّحَاقِ بِهِ
144	ظَهَائِرُ الْأَمْرَاءِ وَالْوُلَاةِ
144	صَدَرَ عَلَيَّ لِشَيْخِ الْغَزَاةِ بِالْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عُمَرَ بْنِ رَحُو
144	لِأَوَّلِ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ السُّلْطَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
149	وَصَدَرَ عَلَيَّ ظَهِيرُ شَيْخِ الْغَزَاةِ أَيْضًا أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ بَدْرِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
155	وَمِنْ ذَلِكَ ظَهِيرٌ كَرِيمٌ أَمْلَيْتُهُ لِلشَّيْخِ الْأَجَلِّ أَبِي الْعَلِيِّ إِدْرِيسَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
158	وَأَمْلَيْتُ ظَهِيرًا لِلْأَمِيرِ أَبِي زَيْدِ بْنِ عُمَرَ نَصُّهُ أَيْضًا
162	وَأَفْتَضَى نَظْرَ السُّلْطَانِ أَعَزَّهُ اللَّهُ أَنْ قَدَّمَ وَلَدَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ الْكُبْرَى مِنْ جَيْشِ الْغَزَاةِ بِحَضْرَتِهِ
167	وَأَمْلَيْتُ أَيْضًا ظَهِيرًا لِلْمَذْكُورِ بِخُطَابِهِ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ مِنْ غَرْنَاطَةَ
170	وَتَبَّتْ فِي ظَهِيرِ رَئِيسِ الْكُتَّابِ الْفَقِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ زَمْرَكٍ
174	وَالَّذِي خَاطَبْتُ بِهِ عَنْ نَفْسِي أَوْ عَنِ السُّلْطَانِ يَنْقَسِمُ إِلَى مَكْتُوبٍ عَنِ وَلَدٍ لِلْمَلِكِ أَوْ حَرَمِهِ
174	مُخَاطَبَةِ سُلْطَانٍ وَوَلِيِّ نِعْمَةٍ، أَوْ رَئِيسٍ طَوَّقَ يَدًا، أَوْ فَاضِلٍ رَاحَ فِي الْفَضْلِ وَغَدَا
174	وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ السُّلْطَانَ الْكَبِيرَ الْمُقَدَّسَ، أَبَا الْحَسَنِ، لَمَّا قَصَدْتُ ثَرْبَتَهُ
178	وَمِنْ إِمْلَائِي ظَهِيرُ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ

- وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ وَلَدَهُ السُّلْطَانَ أَبَا سَالِمٍ- رَحِمَهُ اللَّهُ- أَهْنَيْتُهُ بِفَتْحِ تِلْمَسَانَ..... 183
- وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ السُّلْطَانَ أَبَا زِيَّانَ عِنْدَمَا تَمَّ لَهُ الْأَمْرُ وَوَلَّى مُلْكَ الْمَغْرِبِ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. 189
- وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَلَدُهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى فَاسَ..... 192
- وَخَاطَبْتُهُ لَمَّا بَلَغَنِي مَا كَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ لَهُ، وَعَوَدْتِهِ إِلَى سُلْطَانِهِ..... 194
- وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ عَلَى لِسَانِ وَلَدِهِ أَسْعَدَهُ اللَّهُ عِنْدَمَا حَلَلْنَا بِمَالِقَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ..... 197
- وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبْتُ بِهِ عَنِ السُّلْطَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْوَلِيِّ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّبْتِيِّ..... 200
- بِمُرَّاكُشٍ وَنَحْنُ بِالْمَغْرِبِ مُسْتَقِرُّونَ بِفَاسَ..... 202
- وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ الْوَزِيرَ الْمُتَغَلَّبَ عَلَى دَوْلَةِ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ عَامِرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ..... 205
- وَخَاطَبْتُ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ عَلَى أَثَرِ الْفَتْحِ الَّذِي تَكَيَّفَ لَهُ..... 207
- وَمِنْ ذَلِكَ فِي مُخَاطَبَةِ الْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ وَأَنَا سَاكِنٌ بِسَلَا فِيمَا ظَهَرَ مِنَ الْغَرَضِ..... 210
- وَمِنْ ذَلِكَ فِي مُخَاطَبَةِ عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَنْتَاتِي..... 212
- وَخَاطَبْتُهُ مُعْزِياً عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ..... 221
- وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ أَبَا ثَابِتٍ عَامِرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَنْتَاتِي بِمَا نَصُّهُ..... 223
- وَخَاطَبْتُ شَيْخَ الدَّوْلَةِ يَحْيَى بْنَ رَحُو بِقَوْلِي..... 224
- وَخَاطَبْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ بَدْرِ الدِّينِ..... 225
- وَمِنْ ذَلِكَ فِي مُخَاطَبَةِ شَيْخِ الْعَرَبِ مُبَارَكِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ..... 229
- وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ شَيْخَ الدَّوْلَةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْقُدُومِ عَلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ مُفْلِتًا مِنَ النَّكْبَةِ بِسَبَبِ شَفَاعَتِهِ..... 232
- وَخَاطَبْتُهُ أَيْضاً بِمَا نَصُّهُ فِيمَا يَظْهَرُ مِنَ الْغَرَضِ..... 236
- وَخَاطَبْتُهُ وَقَدْ اسْتَقَلَّ مِنْ مَرَضٍ..... 239
- وَخَاطَبْتُهُ أَيْضاً بِمَا نَصُّهُ..... 244
- وَخَاطَبْتُهُ أَيْضاً بِقَوْلِي..... 246
- وَخَاطَبْتُهُ أَيْضاً فِي غَرَضِ الشَّفَاعَةِ..... 248
- وَخَاطَبْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ بَدْرِ الدِّينِ..... 251
- وَخَاطَبْتُهُ مُقَرَّراً لِلْوَسِيلَةِ وَالشَّفَاعَةِ..... 253
- وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبْتُ بِهِ لِلْقَاضِي خَالِدِ بْنِ عِيسَى بْنِ أَبِي خَالِدٍ فِيمَا يَظْهَرُ مِنْهَا..... 257
- وَخَاطَبْتُ وَالِي دَرْعَةَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ لَمَّا كُنْتُ مُسْتَوْطِناً مَدِينَةَ سَلَا..... 262
- وَخَاطَبْتُ الشَّيْخَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَدِينٍ أَهْنَيْتُهُ بِتَقْلِيدِ الْخُطَّةِ.....

- وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ الْفَقِيهَ أَبَا زَكَرِيَّا ابْنَ خَلْدُونَ لَمَّا وَلِيَ الْكِتَابَةَ عَنِ السُّلْطَانِ أَبِي حَمُو مُوسَى
 273.....بْنِ زِيَّانَ وَافْتَرَنَ بِذَلِكَ نَصْرًا وَصُنْعَ غَبَطْنُهُ بِهِ، وَأَشْرَتْ قَصْدًا تَنْفِيْقَهُ وَإِنْهَاءً ضِدًّا وَلَدَهُ.....
 279.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ صَاحِبَ الْعَلَامَةِ بِالْمَغْرِبِ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ رِضْوَانَ بِمَا يَظْهَرُ مِنْ.....
 281.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبْتُ إِلَى الشَّيْخِ الْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْزُوقٍ جَوَابًا عَنْ كِتَابِ.....
 281.....وَقَدْ اسْتَقَرَّ خَطِيبُ السُّلْطَانِ بِثُونَسَ حَرَسَهَا اللَّهُ وَأَعَزَّهُ.....
كُتُبُ الدُّعَابَاتِ وَالْفُكَاهَاتِ.....
 287.....فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ أَبَا زَيْدٍ بْنَ خَلْدُونَ وَقَدْ اشْتَرَى بِكَرًا مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ مُوَلَّدَةً اسْمُهَا هُنْدُ.....
 299.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي مُخَاطَبَتِهِ أَيْضًا إِذْ هُوَ الْيَوْمَ فَارِسُ الْمِيدَانِ وَصَدْرُ هَذَا الشَّأْنِ.....
 302.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي سَبِيلِ الدُّعَابَةِ فِيمَنْ تَزَوَّجَ قَيْنَتَهُ.....
 308.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي مُخَاطَبَةِ بَعْضِ الْأَطْبَاءِ بِمَا يَظْهَرُ مِنَ الْعَرَضِ.....
 310.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي مُخَاطَبَةِ ابْنِ جَبُورِ.....
 312.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي مِمَّا خَاطَبْتُ بِهِ الْوَزِيرَ أَبَا بَكْرَ بْنَ الْحَكِيمِ.....
 314.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي مِمَّا خَاطَبْتُ بِهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْيَتِيمَ بِمَا نَصُّهُ.....
 318.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ أَحَدَ الْمُنتَحِلِينَ لِصَنْعَةِ الْحِجَامَةِ.....
 321.....**الْمَقَامَاتُ. مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ الْمُسَمَّى بِمِغْيَارِ الْإِخْتِيَارِ.....**
 322.....**المجلس الثاني.....**
 356.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي السِّيَاسَةِ وَكَانَ إِمْلَاؤُهَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.....
 376.....وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَدَبِ الْوِزَارَةِ فِي السِّيَاسَةِ.....
 395.....بَابُ بَيَانِ قَدْرِ رُتْبَةِ الْوِزَارَةِ فِي الْأَقْدَارِ وَبَعْضِ شُرُوطِ الْإِخْتِيَارِ.....
 402.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي مُفَاخَرَةٍ بَيْنَ مَالِقَةَ وَسَلَا مَا نَصُّهُ.....
 421.....أَوْصَافُ النَّاسِ فِي التَّوَارِيخِ وَالصَّلَاتِ "فَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي مِمَّا ثَبَتَ فِي كِتَابِ "النَّجَاحُ الْمُحَلَّى
 428.....وَمُسَاجَلَةُ الْقُدْحِ الْمُعَلَّى" فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزِّيَّاتِ.....
 429.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ الْقَيْجَاطِيِّ.....
 430.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الْعَاصِيِّ.....
 431.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ جُزِيِّ.....
 432.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْبَرَكَاتِ الْبَلْفِيْقِيِّ.....
 433.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ خَمِيْسِ.....
 435.....فِي وَصْفِ أَبِي زَكَرِيَّاءَ ابْنِ السَّرَّاجِ.....
 434.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي خَالِدِ.....
 435.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ لُبِ.....
 436.....فِي وَصْفِ أَبِي يَزِيدَ خَالِدِ بْنِ أَبِي خَالِدِ.....
 436.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْيَتِيمِ.....

- 437..... فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَزِيرِيِّ الْخَيَّاطِ.
- 438..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَدَوِيِّ.
- 438..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ فَرْكُونَ.
- 439..... فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي حَبَلٍ.
- 439..... فِي وَصْفِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ شَبْرِينَ.
- 441..... فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ الْخَضِرِ بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ.
- 441..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ جَابِرِ الْوَادِيِّ أَشِي.
- 442..... فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبِ الطَّرِيفِيِّ.
- 443..... فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْجَقَالَةِ.
- 444..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمُتَشَاقِرِيِّ.
- 445..... فِي وَصْفِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَطِيَّةَ.
- 445..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ الرُّعَيْنِيِّ.
- 446..... فِي وَصْفِ أَبِي يَزِيدَ خَالِدِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ.
- 447..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدَةَ.
- 448..... فِي وَصْفِ أَبِي زَكَرِيَّا الْقُبَاعِيِّ.
- 448..... فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ السِّيَاسِيِّ.
- 448..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ.
- 449..... فِي وَصْفِ الْحَكِيمِ الْمَغْرِبِيِّ أَبِي عُثْمَانَ بْنِ لِيُونٍ.
- 450..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْمَكْتَبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَالِقِيِّ.
- 450..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّايغِ مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةِ.
- 451..... فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَاجِّ الْبُضِيْعَةِ.
- 451..... فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِصَامٍ.
- 450..... فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ غَالِبٍ.
- 453..... فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ الرَّقَّاصِ.
- 453..... فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النَّجَّارِ.
- 454..... فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْوَقْشِيِّ الزُّبَارِ.
- 454..... فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ صَاحِبِ الصَّلَاةِ.
- 455..... فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ رِضْوَانَ.
- 455..... فِي وَصْفِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُقَاتِلٍ.
- 456..... فِي وَصْفِ الْمُؤَذِّنِ أَبِي الْحَجَّاجِ بْنِ مَرْزُوقٍ.
- 457..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْحَيَّابِ.
- 458..... فِي وَصْفِ الْكَاتِبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ اللُّوشِيِّ.
- 459..... وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْحَكِيمِ.

- 460.....وَفِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ صَفْوَانَ الْمَالِقِيِّ.
- 461.....وَفِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ زَكَرِيَّا.
- 461.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ الْحَاجِّ.
- 462.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ قُطْبَةَ.
- 463.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي بَكْرٍ الْقُرَشِيِّ.
- 464.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَزِي.
- 464.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْعَلَى بْنِ سَمَاكٍ.
- 465.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ مُؤَلِّفِ هَذَا الْمَجْمُوعِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ - وَفَقَّهُهُ اللَّهُ.
- 466.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ خَاتِمَةَ.
- 467.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَقِيٍّ.
- 468.....وَمِنْ ذَلِكَ وَصْفُ أَبِي عَلِيٍّ حَسَنَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ.
- 469.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ.
- 469.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ الطَّرَازِ.
- 470.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ دَاوُدَ الْوَادِي أَشِي.
- 471.....وَمِنْ ذَلِكَ وَصْفُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَّانَ.
- 471.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصَادِفِ الرُّنْدِيِّ.
- 471.....مِنْ شُيُوخِ الطَّرِيقَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَمُنْتَحَلِي الصَّنَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ
- 472.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ جَعْفَرٍ.
- 472.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ ابْنِهِ أَبِي جَعْفَرٍ.
- 473.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَرْبَرِيِّ الْمَالِقِيِّ.
- 473.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُقَاتِلِ الْمَالِقِيِّ.
- 474.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي زَيْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَنْشَتِيِّ.
- 474.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغِيلِ مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةِ.
- 475.....وَفِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ جَعْفَرٍ مِنْ مَالَقَةَ.
- 475.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَلِيٍّ حَسَنَ ابْنِ الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ الْقِيَّاطِيِّ.
- 476.....وَفِي وَصْفِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَرَّاحِ مِنْ أَهْلِ بَلَش.
- 477.....وَفِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُتَاهِلِ الْمَعْرُوفِ بِعِمَامَتِي مِنْ أَهْلِ وَادِي أَش.
- 477.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ.
- 478.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي بَكْرٍ الْبَلُوي مِنْ أَهْلِ الْمَرِيَةِ.
- 479.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّرَّاجِ.
- 479.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ هُذَيْلِ التَّجِيبِيِّ.
- 480.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عَبَّادٍ مِنْ أَهْلِ رَنْدِه.
- 481.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ هَانِيٍّ مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ.

- 481.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النَّمْرِيِّ الْكَفِيفِ مِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ
- 482.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبِ الْحَاجِّ الرَّحَّالِ أَبِي إِسْحَقَ السَّاحِلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
- 483.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْقَائِدِ أَبِي جَعْفَرَ أَحْمَدَ بْنِ خَيْرٍ
- 484.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرَ بْنِ غَفْرُونَ مِنَ الْجُنْدِ
- 485.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرَ الرَّوِّيِّ مِنْ أَهْلِ بَلَشَ
- 485.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْدَرِيِّ الْمَالِقِيِّ
- 486.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّرِيفِ الْحُسْنِيِّ
- 487.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّرِيفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْحَسَنِ الْحُسْنِيِّ
- 488.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ الرَّئِيسِ أَبِي زَكَرِيَّا الْعَزْفِيِّ
- 488.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّيْخِ الْحَاجِبِ بَثُونَسَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو
- 490.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَاجِبِ بَثُونَسَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّابِ
- 491.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ صَاحِبِ الْقَلَمِ الْأَعْلَى بِالْمَغْرِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُهَيْمَنِ الْحَضْرَمِيِّ
- 492.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَشِيدٍ
- 493.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي السَّبْتِيِّ
- 494.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ ابْنِ تَدْرَارَتٍ
- 495.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْقَاضِي أَبِي الْحَجَّاجِ الطَّرطُوشِيِّ
- 497.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْكَاتِبِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ شُعَيْبٍ
- 498.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ التُّونِسِيِّ
- 498.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ أَهْلِ مُرَاكُشَ
- 498.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ الْحَسَنَانِيِّ مِنْ أَهْلِ تُونَسَ
- 498.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَكُودِيِّ مِنْ أَهْلِ فَاسَ
- 499.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبَةِ أُمِّ الْحُسَيْنِ بِنْتِ أَحْمَدَ الطَّنَجَالِيِّ [مِنْ بَلَدٍ] لُوشَةَ
- 502.....وَمِنْ ذَلِكَ مَا ثَبَتَ فِي "الإِكْلِيلِ الزَّاهِرِ فِيمَنْ فَضَّلَ عِنْدَ نَظْمِ النَّاجِ مِنَ الْجَوَاهِرِ" فِي وَصْفِ الْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ السَّاحِلِيِّ الْمَالِقِيِّ الْوَلِيِّ، نَفَعَ اللَّهُ بِهِ
- 502.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرَ الشَّاطِبِيِّ
- 502.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْخَطِيبِ أَبِي عَلِيٍّ الْقُرَشِيِّ
- 503.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْقَاضِي أَبِي عَمْرٍو بْنِ مَنظُورَ
- 504.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْخَطِيبِ أَبِي الطَّاهِرِ بْنِ صَفْوَانَ الْمَالِقِيِّ
- 504.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّرطُوشِيِّ
- 505.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْفَقِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَاجِّ مِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ
- 505.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّيْخِ الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ غَفْرُونَ
- 506.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى
- 507.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْكَاتِبِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرِيفِ

- 507.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَتَاهِلِ.
- 508.....وَفِي وَصْفِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَرْدٍ.
- 509.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعِرَاقِيِّ الْوَادِي أَشِي.
- 509.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرِ الْجَوَالِ الْمَالِقِيِّ.
- 510.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ الْوَرَّادِ الْمَالِقِيِّ.
- 511.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبِ أَبِي الْأَصْبُعِ عَزِيزِ بْنِ مَطْرَفٍ.
- 511.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضِيلَةَ.
- 511.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ الْوَرَشِيدِي.
- 512.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَنْظُورٍ.
- 512.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْقَاضِي أَبِي جَعْفَرِ بْنِ بَرطَالٍ.
- 513.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْفَقِيهِ أَبِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ.
- 513.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عُثْمَانَ الْغَلَقِ.
- 513.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عُثْمَانَ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ.
- 514.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْمُقَرِّي أَبِي الْقَاسِمِ الْحَرَالِي.
- 514.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْفَقِيهِ الصُّوفِيِّ أَبِي جَعْفَرِ الْعَاشِقِ.
- 514.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ السَّاحِلِيِّ.
- 515.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّبِيخِ.
- 515.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ قَيْسٍ.
- 515.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ السَّكَّاكِ الْعَرْنَاطِيِّ.
- 516.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْوَزِيرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْخَزَافِيِّ.
- 516.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْحَاجِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّدِيدِ.
- 516.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي الْحَسَنِ الرَّعِينِي.
- 516.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْفَقِيهِ الْخَيْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ السَّكَّانِ الْأَنْدَرَشِيِّ.
- 517.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْعَدْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُطَّانِ.
- 517.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَلْبُطُورٍ.
- 518.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْعَدْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُشْتَمَلِ الْبَلِيَّاتِيِّ.
- 518.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْمُؤَلِّفِ.
- 519.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ الْكَاتِبِ.
- 519.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّرِيشِيِّ.
- 520.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْوُلُوءَةِ.
- 520.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَاتِمَةَ.
- 521.....وَفِي وَصْفِ أَبِي يَحْيَى بْنِ دَاوُدَ.
- 521.....وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْبَقَاءِ.

521	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْيَشْكُرِي
522	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُشْرِفٍ
522	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ رِضْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ
522	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِيٍّ
523	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْكَاتِبِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ زَكَرِيَاءَ
523	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْحَاجِّ أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَرَّاقِ
523	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْكَاتِبِ أَبِي الْحَسَنِ الْمُلَيَّنِيِّ صَاحِبِ الْعَلَامَةِ بِالْمَغْرِبِ
524	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ سَعْدٍ
525	وَلَهُ فِي وَصْفِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ
525	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الشَّرِيفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرَانِيِّ
525	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرِ الْكَفَيْفِ
525	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ الْحَاجِّ
526	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ الْأَدِيبِ ابْنِ حِزْبِ اللَّهِ
526	وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ أَحَدِ الْفُضَلَاءِ
528	كُتِبَ الزَّوْاجِرُ وَالْعِظَاتُ
528	فَمِنْ ذَلِكَ فِي مُخَاطَبَةِ ابْنِ مَرْزُوقٍ
542	وَإِنْ شَاءَ قَالَ بَعْدَ الْخُطْبَةِ
548	وَمِنْ ذَلِكَ
553	وَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ عَنِّي فِي هَذَا الْغَرَضِ
559	فهرس الأعلام
571	فهرس الأماكن
577	فهرس القبائل
578	فهرس الآيات القرآنية
590	فهرس الأشعار
594	فهرس الأمثال
597	فهرس المصطلحات الأدبية والنقدية
598	فهرس المصطلحات الصوفية والفلسفية
603	لائحة المصادر والمراجع
612	فهرس عام